

جهادي الحسين

# من ذاكرة سوس وبصمات الحاضر

نموذج أيت باعمران

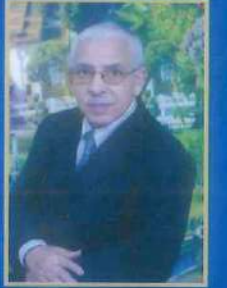


جهادي الحسين

من ذاكرة سوس وبصمات الحاضر نموذج أيت باعمران

## المؤلف

- من مواليد 1942 بالدار البيضاء.
- حفظ القرآن بعدة روايات.
- مجاز في التاريخ.
- اشتغل في التعليم ما يزيد على الأربعين سنة.
- أستاذ باحث، ساهم في معلمة المغرب.
- أنعم عليه المغفور له صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بوسام الاستحقاق من الدرجة الممتازة.
- حاصل على الجائزة الوطنية للترجمة من طرف المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.



## من مؤلفاته :

- نشرت له تاغاراستن - ورقاسن - ربي، وديوان أمازيغي : تيماتارين. وله آخر مرقون، ومثله بالعربية..
- نشرت له مقالات في المجلات والصحف الوطنية، وأذيعت له حلقات دينية بالأمازيغية في رمضان (30 حلقة).
- قام بترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الأمازيغية.
- فتح الباري في تمزيغ تجريد البخاري.
- نموذج المقاومة المغربية في دولة برغواطة الأمازيغية.



من ذاكرة سوس  
وبصمات الحاضر  
نموذج أيت باعمران



جهادي الحسين

من ذاكرة سوس  
وبصمات الحاضر  
نموذج أيت باعمران



## تقديم

يجب أن يؤمن المغاربة بأن تاريخ المغرب الكبير واحد، وهو أمانة في يد أمته أفرادا وجماعات، وهو سجل دائم مستمر، يضاف فيه الجديد إلى القديم، من الجزئيات إلى الكلّيات، ومن التراكمات إلى التفرّيعات، وباختصار، فهو كفصول السنة، لكلّ مميزاته وخصوصياته والوطن واحد، وقد يكون أكثر تعقيدا كألوان قوس قزح، كما يكون أسهل على من يدخل البيوت من أبوابها، أو من تساعده الظروف فيقطف الثمار من أغصانها، وكلاهما يساهم في استمراره واستكثاره، ولا عيب إذا صيّر الباحث قلمه كعدسة المصور تلتقط كل ما تراه، وبعد ذلك يأتي التمحيص والتفحص، ولا بأس بالتجريح والتصحيح، لتقريب الماضي إلى الحاضر، بقدر ما يفرضه التطور المعاصر، والتعاون المناصر.

واقتناعا بهذا المنطلق، استدرك هذا العمل، ما بقي من ذكريات المعمرين كشهود عيان، أو عن رواة لهم دور في إنتاجها، أو على يدهم فتحت لنا بيوتات وخزانات عثرنا فيها على مخطوطات ومراسلات وتقييمات وقصائد عربية وأمازيغية كنصوص سجلت الأحداث في حينها، وأهمها رسائل الملوك وتوجيهاتهم للمسؤولين في الآفاق، كل ذلك وظفناه في ظروفها لتزكية الوقائع، وتقريب الماضي بأسلوب مؤجّز سهل ساطع.

ولا يخفى أن البحث الميداني، كالصيد في البحر، فالمولع بهما مستمر على الدوام، وأفضل صدفة له كلما عثر على مصادر ومراجع متراكمة في غير مظانها، وقد تكون كنانيش وورقات ومخطوطات وعقود لم تطرق، وأكبر لذة لديه إذا أنقذها قبل أن يتم أجلها، ومثال ذلك عثوري على مخطوط الأنيس المطرب بروض القرطاس. لابن أبي زرع، وفي مستواه من الأهمية مجموعة من المخطوطات الأمازيغية نظما ونثرا، بما فيها

الكتاب  
من ذاكرة سوس وبصمات الحاضر  
نموذج آيت باعمران

المؤلف  
جهادي الحسين

الطبعة الأولى  
1437هـ / 2016م

الناشر  
المؤلف

الحقوق  
© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

صورة الغلاف  
دينار مرايطي بسجل ماسة عام 451





اللامعقول في الأدب الأمازيغي!، وقصة أمحضر الباحث عن والديه في أعماق جهنم، وقصة قيتوص في الكون المجهول حتى عن جبريل عليه السلام، وهذا دليل على أن من يبحث يجد، ومن جدّ وجد.

أيها القارئ الكريم، يسرني أن أقدم لك جانبا آخر من تاريخ مغربنا العزيز، إنه: «من ذاكرة سوس وبصمات الحاضر: نموذج أيت باعمران». والعنوان نفسه، يفرض التسلسل التاريخي قصد التعريف بالأعلام الثلاثية التاريخية: لمطة، بعمرانة، جزولة، كحبوحة أصالة سوس الأدنى والأقصى، لما لهذا الثالوث من شأن كبير عبر التاريخ، بقطع النظر عن الإيجابيات والسلبيات، طبيعية كانت أو بشرية، وطنية كانت أو أجنبية، كل ذلك من صميم تاريخ المغرب وعقريات نظامه الموهوب، تلك أصالة مستمرة يتحدى بها الصعوبات، وينمي بها تطوره في الحال لصالح المستقبل، مغرب متمسك بأصالته ومقدساته، معتزا بمميزات تكفيه وتحميه، وتساهم في تطوره بما ينتفع به ويرضيه. وهكذا، فتحن أمة عظيمة ولنا تاريخ مجيد..

هذا مؤلف يعينك يا بعمرانة، فقد وثقنا لك ماضيك المجيد، وجهادك الحميد، من أجل استمرار فعلك المديد، القريب منه والبعيد. من صميم ذاكرة سوس، ولعلها همسة رنانة في أذن بناء الجهة العاشرة الرابطة بين شمال المغرب وجنوبه، قوتها في موقعها، وقيمتها في وطنيتها، مستقبلا في استثمار إمكاناتها واستغلال إمكاناتها، رغم أن بعمرانة كانت مقطوعة شكليا سياسيا في مدة استعمارها، لكنها فعليا من صميم ثورة الملك والشعب، فهي ملجأ للفدائيين ومورد للمقاومين، إلى أن رجع الملك إلى عرشه، فاستقل الشمال بجزئه، وبقي الجنوب في كفاحه وعهده، تذكرت بعمرانة تاريخا صنعه الآباء والأجداد، فسلموه أمانة في يد الأبناء والأحفاد، فكم من شاهد في سبيل الوطن بلا فخر، فاعترف به القاصي والداني بلا حصر.

مقاومات تلو المقاومات، بطولات ضد الحماية لمدة 21 سنة، ومقاومة الصبرانية لمدة 35 سنة (1934م - 1969م). وببسم الله وبنصر السلطان محمد الخامس سنة 1947م. قامت ثورة أيت باعمران برفض الاستعمار، ثم تلتها ثورة شاملة سنة 1957م فحررت جميع

الثكنات وحاصرت مدينة سيدي إفني، إلى أن استقلت بفضل السياسة الحكيمة لجلالة المغفور له الحسن الثاني باتفاقية فاس سنة 1969م. ومن ثم انسحب الاستعمار من الصحراء المغربية المسيّرة من إفني، وبالمسيرة الخضراء، ثم تنظيف المملكة برا وبحرا من شوائب الاستعمار، فبدأ عهد البناء والتجديد، وبعمرانة حاليا بحاجة إلى مزيد من التنمية والحداثة المستمرة.

فهل عرف شباب اليوم المئات التي قدمتها بعمرانة؟ والآلاف التي قدمها الريف في حرب إسبانيا سنة 1936م؟ ولم يرجع منهم حتى خمسة في المائة، وعندما ذكر أيت باعمران إسبانيا بذلك في إفني كشرت عن أنيابها، وقبضت على أعيانها، إلى أن اصطدمت بأسودها وبأحجار بلادها، فلم تغن جيوشها ثكناتهم ولا تنوع سلاحها، ففجر المجاهدون قلاعها ومرافقها في أسبوع واحد.

ومن ثم تحررت جميع البوادي فحوصر بإفني 30000 جندي، فهل عرف شباب اليوم المسار التاريخي لمدينة سيدي إفني: تلك القلعة التي دافعت عنها المملكة المغربية منذ حرب تطوان 1860م فصدق عليها نداء الملك محمد الخامس [ماضع حق وراء مطالب] وباستقلال إفني، حل التعاون وحسن الجوار بين المغرب وإسبانيا، وباستقلال إفني تبعته الصحراء المغربية بالمسيرة الخضراء.

ولا يفوتني هنا أن أذكر بأهمية مخزون الذاكرات المعاصرة للأحداث، وهي بحق خزانات تمشي على رجلين، فإذا توفيت أو أدركها الخرف، فقدناها ولات حين مندم، وعهدنا بذلك منذ تفصيلات ابن خلدون، وبعده تسلط بعض الأفاقين على تاريخ المغرب عن طريق السماع، وبعملية الإسقاط في غير محله، فسد ذلك التراكم شهية البحث، وبمرور الزمان، لم تعد تذكر زناغة المرابطة، ولا المصمودية الموحدية، ولا الزناتية المرينية، ومن تلاهم من الإمبراطوريات المغربية الساهرة على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة.

وإن كانت الأمة المغربية لم تخل من نُخبٍ خلدت بصمات المجد وبمميزات تاماغرابيت المتفتحة النموذجية في عهد جلالة ملكنا محمد السادس، عهد التنمية المستدامة في



الداخل والخارج، عهد المنافسات الاقتصادية وتسابق الجهات والزمان لا يرحم وفي الرجوع إلى التاريخ الوطني ذاكرات وبصمات مستنيرة كسرٍ كامنٍ في هذه الأمة المؤمنة بمتى ولماذا وكيف كنا أمة عظيمة ولنا تاريخ مجيد، وهذا مجهود آخر، أرجو أن يسد فراغا قدر المستطاع. والسلام.

## مقدمة

من ذاكرة سوس وبصمات الحاضر : نموذج أيت باعمران

لا شك أن الأعلام الوطنية لها ذاكرة تتكلم لمن يحسن الاستماع إليها، ولها بصمات تتميز بها أصلاتها، تفتح على الإيجابيات، وتعايش الجديد من التطورات، وقد تؤثر أكثر مما تتأثر، هكذا تاريخ الماضي والحاضر لمغربنا المجيد، مغرب الحضارات ومنبع العبقريات، مغرب حقوق الإنسان وقبلة الاختيارات، مغرب التنمية الشاملة ومبتكر الجهات المتميزات، مغرب الصداقات ونموذج الإمكانيات، همزة وصل بين القارات وملتقى الحضارات، لذلك، وظفنا عددا من الوثائق، توضيحا لهذا الجانب من وطننا العزيز، سميناه : «من ذاكرة سوس وبصمات الحاضر : نموذج أيت باعمران».

نعم : للمغرب ذاكرته العامة عبر التاريخ، ولسوس منها ماضيه العريض والطويل، ودوره ثابت متفتح على كل تقدم وتجديد، منهجيته التعاون في إطار الجنوب جنوب، وشعاره التنمية المستدامة إلى أعماق أفريقيا لتجديد الأخوة والصداقة، في إطار نهضة مشتركة حية نابضة تبشر بالمستقبل الوعيد.

هذا ما يذكر به هذا المؤلف المذكور، إسوة بأمجاد سوس العالمة ولمطة وجزولة وبُعمرانة، هذا المصطلح الذي كان في عهد من العهود، يشمل وطن تامازغا أو المغرب الكبير بكامله، وهو مصطلح يطلق على سهول واسعة تنبض بالحياة، مازالت بصمات ذلك متداولة من تونس إلى المحيط، ممتدا من الشمال إلى أعماق الجنوب، إنه مصطلح أمازيغي وليست Souz الفارسية، أصلاتها إفريقية، موطن الممالك والإمبراطوريات المغربيات، تجمعها كلها كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، أصالة تاريخية، تتفاعل دائما مع حضارة البحر الأبيض المتوسط، إنه مغرب مشهور بتحمل المسؤوليات، صامد في قارته يتكيف مع الضروريات.



بالمسيرات المباركة تحققت كرامات إن لم نقل معجزات، فهاهي الصحراء المغربية لم تعد فاصلا يتحدى التواصل، بل صارت مصدرا للخيرات بما فيها من الأحفوريات وموطن الطاقة النظيفة كسابقة مغربية تضاف إلى مآثر الآباء والأجداد، وهاهي مياه سدود الشمال تنعم بها لمطة، وجزولة، وبُعمرانة في أقصى الجنوب، وهاهي نهضة بالصحراء تغبط جهات الشمال وتتمنى لها المزيد، هكذا نظام المغرب النموذجي باعتراف العالم، مغرب ينمى ويشجع، يبني ويعمق، يعتز بما كان ويضيف المزيد ويحقق.

أما بُعمرانة بهذا الاسم، فقد احتفظنا بها كما وردت في المصادر والمراجع، اسم من تلك الأسماء التي توحى بمفهوم الكيان الأمازيغي، مركزا مكثفا صلبا حيا نابضا بالقوة مهد المقاومة وجنود ثورة الملك والشعب، مكاتهم لا تجحد في الداخل ولا في الخارج، في الاقتصاد الوطني ناجحون، وفي الخارج عمال منتجون فاعلون، وفي الثقافة قديما وحديثا مساهمون، وجهتهم العاشرة تتمنى منهم المزيد بكل إلحاح وهم أحق بها وأهلها..

أيها القارئ الكريم، ليس هذا المؤلف شاملا ومستقرئا لكل بضمنات عنوانه، وإنما هو من باب ما لا يؤخذ كله، لا يترك كله، ولكنه ينبه على الأقل إلى الاهتمام بتاريخ الجنوب، ولعل ما أوردناه من المراجع والمصادر، سيفتح الباب لاستكمال المزيد وهو كثير، فالمغرب اليوم، مفتاح خير على القارة الأفريقية، فهو مركز الواردات والصادرات، قبلة الشركات وتعاون الراسماليات، تلك فرص فرضها الواقع، ورحب بها القريب والبعيد، ونظام الجهات مجال واسع، وللبحث فيه ميادين واعدة، وعلى أهلها وسكانها أن يساهموا في إنجاحها.

ومن مساهمة هذا المؤلف، الإطلالة على الماضي والحاضر بشكل يربط الأحداث قدر الإمكان، تتبعنا فيه الإجابة عن قبيلة لمطة أو بُعمرانة كنموذج من تاريخ الجنوب، وهكذا أفحمت نفسي في مجال شحنة الماضي بالأحداث : موقعا وبشرا، فاعلا ومساهما، انطلاقا من جانب إلى جانب، وقد يفرض علينا الاستقراء تراكم الأحداث إلى استطراد ذكر بُرادة فريدة نخاف من ضياعها، أو مصادفة مظنات أسدل عليها النسيان سدوله، أو

عثور على مذكرات من لا وارث لها إلا الفناء، كل ذلك قد وقع، وربما عاجلنا التسلسل المطلوب على حساب قيود المنهجية المفرطة، انطلاقا من تقديم ما يخشى فواته، إذ من أنقذ مخطوطا من غير محله، فكأنما أنقذ غارقا في بحره، ولعل هذا العذر يجعل هذه اللبنة مقبولة تليها أخواتها ممن له غيرة على هذا الفن المتعب الذي لا يرحم، فمن اقتنع بهذه الغيرة، فاليدل بدلوه. «ومن كان غنيا فليستعفف، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف». والسلام.



## قبيلة لمطة :

إنها من القبائل الكبرى المؤسسة للدولة المرابطية، وهي لموقعها ژناكية وفي امتدادها مصمودية، وقد عايشت التاريخ ووجدت في مواطن كثيرة، وإن اشتهرت أكثر من قبائل سوس الأدنى والأقصى، فقد كان موقعها مطاطا يمتد نحو الشمال حتى سفوح الأطلس الكبير، وإلى الشاوية وإلى أحواز فاس، كما يتوغل في الجنوب حتى طرفاية وما إليها، وبمرور الزمان، حلت بعمرانة محل لمطة، وقد لا تخلو معركة من معارك الشرف والدفاع عن الوطن ومقدساته إلا وأبطالها في مقدمة الدفاع عن الحرية، إنها بعمرانة : «بجيوحة قبائل سوس، أساد وحشية، وبأفنان الغضاموشية» على حد تعبير السلطان مولاي الحسن الأول. في خطابه إلى الأمة المغربية عند نزوله في تيغزي وسط أيت باعمران عام 1303هـ<sup>(1)</sup>. نعم، قاوم أيت باعمران الزحف الاستعماري الفرنسي من 1912م إلى 1934م إلى أن فرضوا على الاستعمار الإسباني شروط احترام في اتفاقية أمزدوغ بإفني، نعم : قاومت الجهات المغربية كلها الزحف الفرنسي لكن ليست كاتحاد أيت باعمران إلى أن تم عقد صلح الهناء في سنة 1934م بشروط مشرفة، وبذلك عرفت بعمرانة بحصن المقاومة حسا ومعنى، قولا وفعلا.

استمرت اتفاقية أمزدوغ بإفني مع السلطة الإسبانية ثلاث عشرة سنة، إلى أن خرقت السلطة الإسبانية بعض بنودها، فرد أيت باعمران أبناء لمطة على ذلك بنصر أكليد المغرب سيدي محمد بن يوسف سنة 1947م بأكبر موسم للصالح سيدي محمد بن عبد الله المشترك بين السلطين الفرنسية والإسبانية، وذلك باتفاق شيوخ القبائل على تتابع ذلك النصر ورفع الراية المغربية في جميع أسواق أيت باعمران، كل حسب سوق قبيلته تحت رئاسة أمغارها.

(1) رسالته إلى مكناس 1303هـ.

كان ذلك النصر ضربة قاسية على الإسبان، كما كان ردها هي كذلك أدهى وأمرّ بالقبض على معظم أعيانهم وزعمائهم في ذكرى ليلة عيد المولد النبوي الشريف لنفس السنة 1947م، إذ اختار الإسبان تلك المناسبة الموحدة التي تقام فيها سوق العيد في جميع أيت باعمران بدون استثناء على عادة عرف أعيادهم.

هكذا طعنت إسبانيا أيت باعمران في أعظم ذكرى دينية، تحتفل بها جميع الزوايا والمدارس والمساجد، ويتلقون فيها باللغة الأمازيغية قواعد الإسلام نظما ونثرا بالشلحة البليغة المعبرة بأسمى العبارات، وأصدق الكلمات، كبحر الدموع، وأوزال، والأمير، وأبو شكر، وترجمة البردة والهمزية، ومعظم الأمهات الفقهية التي ينهل منها أبناء جزولة غذاءهم الديني والروحي بأمازيغيتهم بدون تكلف، وبدون واسطة تتيه بهم في التأويلات والتفسيرات البعيدة عن فهم المجتمع عامة.

وفي ذكرى هذا العيد النبوي، تلقى في الأماكن المعتادة من طرف النساء والأطفال أدبيات تشيد بهذه الذكرى وبالسيرة النبوية وبفرح جميع الكائنات بمولد الرسول ﷺ إلى حد أن الجميع يؤمن بأن الشمس ترقص لفرحه، ولذلك يراقب الأطفال بزوغ الشمس يوم العيد، فيركزون عيونهم عليها وهي تتراكد وهم يفرحون بذلك المنظر، فيشرعون في قراءة أناشيد هذا العيد بالأمازيغية منها :

مُرْحبا يا تامغرا نرُسول ألمولودي

تلول گيس نرُ ولا گيس نسكر گيس تامغرا

كان رد فعل أيت باعمران إضرابا عاما وحزنا شاملا، فتوقفت الزوايا والمساجد عن اللقاءات وتبادل التحايا وتلقي الأمداح، وألغيت عادات أحواش النساء وختان الأطفال، بل حتى الأفراح الخاصة مثل الأعراس توقفت. فكان رد فعل أيت باعمران، أكبر نكايه مفاجئة لم يتصورها الإسبان : إنها إعلان الثورة التحررية، ورفض الجنسية الإسبانية، وإعلان العصيان من أفراد وجماعات، فصارت هذه الطفرة، أول مسمار دق في نعش معاهدة تطوان الظالمة منذ سنة 1860م ولم يخفف من رد هذا الفعل، إلا إعلان



إسبانيا السلم في بداية ثورة الملك والشعب 1953م. فصارت مدينة سيدي إفني، ملجأ للمقاومين في المغرب الشمالي، فوصل عددهم 600 بالتمام والكمال، إذ قالت إسبانيا: «إذا اعترفت فرنسا باستقلال المغرب في الظهر، فإنها ستعلنه في العصر الموالي» فقال أيت باعمران أمين. فوجهوا مقاومتهم الفعلية إلى الدار البيضاء بامتياز، إلى أن انتهت الحماية الفرنسية، فإذا بأيت باعمران في وضعية شاذة لا حل لها كأنهم ليسوا من المغاربة في شيء!؟! 1

لكن أبناء لمطة المرابطين، يعرفون أن ليس في القنفاذ أملس، فتحدوا الحدود واحتفلوا باستقلال المغرب في مدينة سيدي إفني 1956م. ونشروا الرايات المغربية، وصوروا أكليد محمد الخامس في كل مكان، وأعلنوا مقاطعة الاتصال بجميع المرافق العمومية للإسبان، كل ذلك في سلم واتفق المجتمع الباعمراني، ولم يكن في استطاع السلطة الإسبانية إلا فرض المنع عن كل ما يمت بالصلة إلى المملكة المغربية المستقلة، لأن إقليم سيدي إفني أرض إسبانية، فأعلن أيت باعمران ثورتهم التحررية سنة 1957م، فاستقطبت المقاومة الوطنية وجيش التحرير، فحررت القبائل في أسبوع واحد تقريبا، جميع الثكنات الإسبانية، ما عدا مدينة سيدي إفني، حيث حوصرت قواتها وعددها ثلاثون ألفا مع عشرة أخرى من السكان في مستطيل طوله 10 كلم، إلى أن استسلمت قوة إفني تحت الحصار الاقتصادي، فخفضت لسياسة الحكمة واحترام الجوار لمصلحة الطرفين، فتم ذلك باتفاقية فاس. بفضل السياسة الحكيمة للمغفور له جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله. وما أكثر من لا يعرف كل ما ذكر.

### متى حلت بعمرانة محل لمطة ؟ :

لا يخفى أن حب الوطن من الإيمان، والافتخار به من أوجب الواجبات، وها هي الجهوية الآن أصبحت منقبة دستورية زكتها الانتخابات، والاعتناء بالإقليمية مساهمة اقتصادية واجتماعية في التنمية البشرية، والغيرة على المقدسات الوطنية فرض عين وفرض كفاية على حد سواء. وانطلاقا من هذا المبدأ، فرض علينا الموضوع إلقاء أضواء على تاريخ أيت باعمران، وهو طويل ومتشعب، يتسع أحيانا ويشمل سوس بكاملها، ويضيق

أحيانا أخرى إلى أقل من خمس ذلك أو يزيد، ومع ذلك يبقى مصطلح بوعمرانة طنانا على رؤوس الأشهاد.

لهذا لا يكفي فيه مجلد واحد، ولا للإحاطة به من طرف بحث مستمر واعد، وإن كانت الرغبة ملحة، وتلبية رغبة الفضلاء مجدة، وما تناثر في المصادر والمراجع غير يسير، ومن الصعوبة معرفة متى ولماذا وكيف استمر هذا العنوان كل هذه القرون؟ هنا سر يجب البحث عن أصله، والقيام بإبراز مواصفاته ومقوماته بشهادات من التاريخ، وفي مقدمة ذلك بلسان الملوك المغاربة الذين سمو أيت باعمران «بجبوحة مجامع قبائل السوس الأقصى»<sup>(2)</sup>.

ومن حقنا أن نفتخر بأيت باعمران، لأنهم أصلي وفصلي، وهم موطني ومنبت أهلي، أعتز بوطنيتهم، وأفتخر بمقاومتهم، ولا يهمني بعد ذلك أن أوصف بالغللو من طرف من لا يعتز بوطنيته أولا، أو بجهته ثانيا، كاعتزازي بالبحث عن مفاخر أيت باعمران كنموذج في المحافل يذكر، وفي المجالس ينشر..

وأول مفتاح لأصالة بعمرانة قول مؤرخ سوس سيدي محمد المختار الإلغي السوسي الذي أكد وسجل أن لمطة هي بعمرانة، وبعمرانة هي لمطة. نعم؟ من حق القارئ الكريم، أن يطالب بأدلة تثبت مفاخر موضوعنا هذا من وطننا العزيز، ومن حقنا أيضا أن نذكر بالواجب على كل قادر أن يبرز ما لديه وما يفيد الجهة التي ينتمي إليها، فالمغرب الآن منخرط في السياسة الجهوية حسب دستور المملكة المغربية لسنة 2011م دستور عهد جلالة الملك محمد السادس نصره الله وحفظه.

وبصفة عامة، قد اتحدت كل الجهات في همومها المستقبلية، لكن شتان ما بين التي لها إمكاناتها وأمكاناتها، وبين التي ستبدأ غدا أو بعد غد، فالأولى لها حالتها المدنية، ومقوماتها الحضرية، واعتماداتها الاقتصادية، وكفاءاتها الاجتماعية، وتراكماتها التاريخية، ومعرفة مقوماتها الجغرافية الفلاحية، والجيولوجية والمعدنية. المبحوث عنها بإمكانات وطنية سابقة مشتركة، بينما الثانية لم تبدأ بعد، وهما معا على وشك الشروع في التنمية المناسبة للزمان والمكان، انطلاقا من دراسة الماضي، وجمع ما بقي من المرتكزات

(2) رسالة السلطان الحسن الأول 1299.



الضرورية، بالإضافة إلى ترحال الذاكرات وتلاشي الخزانات، ومغادرة الأجيال موطن الآباء والأجداد، وما تعلق بالذكريات، لمن أفتانهم هدم اللذات، وما مر على هذا الوطن الذي حباه الله بهذا الموقع المحسود.

نعم، قد انتهت فلسفة القبيلة تيويزي وتامازالت التي كانت تربط الشباب بعين المكان، وفرضت على كثافة السكان توزيع المهمات، فافتنعت العائلات بالاكْتفاء الذاتي وسأيرت استغلال الزمان والمكان، فتشبت الفرد بالعائلة مرتبطاً بتقسيم العمل، كل شيء مشترك بفضل تسيير هرمي متأصل في مجتمع أمازيغي أميسي. من العائلة إلى دوار إلى فخذة إلى قبيلة إلى تاضا إلى أمقون إلى أفراگ: أجموع إلى عرف مرين يتكيف حسب الزمان والمكان...

ذلك ما رأيتُه وعقلته من تيويزي وتامازالت وتادوگامت، فحل محلها زمان الهجرة وبيع المجهود العضلي بدراهم معدودة، فحلت المدرسة محل تيمزگيدا، وحل المعلم محل الطالب، وحلت السبورة محل اللوح، وحل القائد محل أمغار، وهلم جراً...

فلم يعد الفرد من صنع عائلته المباشرة، ففرض التطور على الفرد مسارا لا بد منه حتى في تحديد النسل ومستلزمات الحياة، فبدأ تجريد البادية من شبابها، فنشطت الهجرة إلى الداخل وإلى الخارج، فتبدلت الأحوال وتغيرت المفاهيم، وتطورت الحياة وتكيفت العادات والتقاليد، ولا حد لما ستره في المستقبل. لكن لا خوف على المجتمع المغربي من التطور السريع، فقد عاشت هذه الأمة ما جعلها تتكيف..

### موطن لمطة قديما :

قال أبو عبید البكري المتوفي 487هـ/1094م : «وماست التي أضيف إليها الوادي رباط مقصود عندهم، له موسم عظيم، ومجمع جليل، وهو مأوى للصالحين، ومن وادي السوس إلى مدينة نول ثلاث مراحل في عمارة جزولة ولمطة ومدينة نول، آخر مدن الإسلام؟ وهي أول الصحراء ونهرها يصب في البحر المحيط، ومن مدينة نول إلى وادي درعة ثلاث مراحل، ومدينة إيجلي (إيگيليز) مدينة كبيرة سهلية بغربها نهر كبير

جار من القبلة إلى الجوف، عليه بساتين كثيرة متصلة... وهي كثيرة الفواكه والخير، وربما بيع حمل التمر بها بدون كراء الدابة من البستان إلى السوق، وقصب السكر أكثر شيء بها، يحمل الرجل بربع درهم منه ما يوده ثقله، ويعمل بها السكر كثيرا، وقنطار سكرها يبتاع بمثقالين وأقل، ويعمل بها النحاس المسبوك يتجهز به إلى بلاد الشرگ؟ وبها مسجد جامع، وأسواق وفنادق، والذي افتتحها عقبة بن نافع، وأخرج منها سبياً لم ير مثله حسنا وتاما! كانت تباع الجارية الواحدة منهن بألف دينار وأكثر... وتباع أهل سوقه بالخلي المكسورة أنقار: الفضة والدرهم المسكوك عندهم قليل، ومثاقيلهم تعرف بالقزديرية<sup>(3)</sup>.

نجد في هذا النص حالة إقليم كان يطلق عليه المؤرخون موطن قبيلة لمطة، وينفي ما يزعم البعض أن هذا الإقليم للرعاة والتنقل فلنلاحظ ما يأتي :

1 - ركزنا على رأي من سجل أن موطن لمطة يمتد من ماست شمالا إلى طرفاية «في عمارة جزولة ولمطة ومدينة نول» وكلمة عمارة لها مدلولها عند المؤرخين الجغرافيين، وسوس بكامله حضاري، بدليل إيگيدار وإيغرممان وهندسة البنيان، وانتشار المدرجات الفلاحية، واستخراج المعادن...

2 - ورد عند المؤرخين أن الإقليم كثير الفواكه والخير، وقصب السكر، أكثر شيء بها، وقنطاره يباع بمثقالين أو أقل، ومعنى ذلك ازدهار الفلاحة وتقنين المياه. وحفر الآبار والخطارات وصناعة تاناست وأسقول والظلال لتقسيم مياه إفرض...

3 - ومن حيث الصناعة، يعمل بها أناس: النحاس المسبوك، ويتباع أهل السوق بالخلي المكسورة أنقار: الفضة (النوقرت) ومثاقيلهم تعرف بالقزديرية.

4 - من حيث المجتمع، لهم مسجد جامع، وأسواق وفنادق، ومع ذلك أخرج منها عقبة بن نافع سبياً لم ير مثله؟ كيف يقبل من عقبة المجاهد هذا النسبي من مجتمع متحضر بلغ شبابه غاية في الحسن والكمال؟ وفي عهد البكري نجد مسجد جامع وأسواقا وفنادق والسكر بأقل الفلوس؟ ألا يصدق هذا على ما نسمعه اليوم مشاعا في الهلال الخصيب، وما حل بحضارة بغداد أمام توحش الأحفاد في الشام؟ كما فعل أجدادهم

(3) البكري، ص 161.



بالأمازيغ باسم الإسلام في سوس، والإسلام بريء من فعل قادة الغزاة، وحتى الآن، بدلا من التأسف، أصر البعض على إعادة المآسي بنفس الأدلة ويقطع الرؤوس وتهجير السكان بالآلاف من مواطنهم! فما مصدر هذا العنف؟ وما سبب هذا التشيع بجرثومة الإرهاب وتخريب الحضارات ونشر الرعب في المجتمع؟

5 - فهل هذه الأدلة الحضارية في جميع المستويات بسوس عمي عنها قلم البعض عمدا، أم أن الهدف هو خلط قبيلة لمطة الجزولية الأمازيغية بالأعراب من بني هلال وبني سليم وبني معقل، الذين طردتهم مصر منذ الفاطميين، فألقوا بسوس لما دعاهم ابن يدير؟ وكما ألقوا بتونس وسهل أنجاد بالشمال قبل أن ينقلوا إلى سوس؟ أو بسبب طردهم من هنا وهناك. والقرون بين ذلك كثير!

6 - فهل مجتمع الرعاة فيه مدن عامرة في مستوى نول لمطة وتاكاوست وإيگلي وتارودانت، وضرب النقود المحلية، والمصارفة بالفضة؟ مابال أفلام البعض لا تنجمل عند وصف سكان جزولة بالسكنى في الكهوف، فهل بسماعهم بوجود مدينة في الأطلس الصغير تسمى إفران عاصمة الفضة والتجارة؟ فلم يعرفوا أن الغيران: إفران لوجود التضاريس الكارستية الطبيعية، أو لكثرة استخراج المعادن من الغيران؟ فأوقعهم تعريب الكلمة الكهف في هذا الخطأ كأنها سكنى لجميع الجزوليين! إكبرت كلمة تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذبا. فهل مدينة إفران الحديثة الآن التي أخذت نفس المدلول ونفس التضاريس، تعد كهوفا وهي تشرف من الأطلس المتوسط على حاضرة فاس؟ كأنها قطعة من الجنة، يصدق عليها كهف المتوحشين! ذلك من بين أخطاء التعريب، فكم يلزمنا من زمان لتصحيح الأخطاء التي ألحقها الكتاب الأفاقيون عن سماع بأعلام المغرب، الجغرافية والبشرية؟ بل وحتى النباتية، إلى حد يصعب إزالة الغشاوة على أعين بعض الأمازيغ المثقفين أنفسهم، «حتى نسبوا شجرة أرگان لإبليس! لانعدام معرفة غارسها»<sup>(4)</sup>؟

وهنا تساؤل؟ فهل تحتاج لمطة بعمرانة إلى الدفاع عن مكائنها في التاريخ إلى هذا الحد؟ كلاً وألف كلاً. فوطنيتها فوق كل اعتبار، وشجاعيتها الوطنية فاقت كل اختبار،

(4) الاستبصار المجهول المؤلف بل هو ابن أبي زرع الذي أخفى اسمه!

وسمعتها لا تضاهيها في الداخل ولا في الخارج، ودفاعها عن الوطن ومقدساته كالشمس في رابعة النهار، ولبعمرانة الجزولية والجنوب عامة من المواقف الوطنية ما لا ينكره زيد ولا عمرو، فقد أشاد بذلك الزمان، ومدحه الملوك وسجله المؤرخون المعترفون، وذلك الإحساس النبيل، هو الذي ابتكر «تيموزي»: ⵜⵉⵎⵓⵣⵉⵢⵉ : tiwizi: «وفرض تامازالت، واعتز بتاضا، وطبق أزرف بكل مرونة، وتحاشى الإعدام قبل القوانين الوضعية الحالية، فهل من مجيب؟ لكن بفكر مغربي متفتح أصيل؟. اقتصاديا واجتماعيا وعمليا، معتزا بمغربيته، ومفتخرا بتاريخه وبمكانة مغربه كنور منور على رؤوس الأشهاد.

صحيح أن ما أصعب عليك، أصعب على غيرك، فقليل من الجرأة مع العزم والحزم، يمكن التغلب على كثير من الصعوبات، لكن باستمرار وصبر، وإلا توقفت المشاريع، وتقطعت السبل، وتلاشت المراجع، ونسي الخلف ما سجله السلف، وهنا مكسر السفن، ومرتع الخلاف، وخصوصا إذا علمنا أن من يجهل التاريخ، أو ليس من أهله، أو كان مستلبا أو مصابا بسلطة اللسان، واعتاد مهاجمة الإنسان، فهذا النوع ديدنه نكران الإحسان، وتكون الحقيقة من نصيب النسيان...

فإذا كانت الدعاوي لا تثبت إلا بالشهود، والحضارة لا تجحد أمام الموجود، والوثائق هي صلتنا المباشر بالماضي، وهي الدليل على حضوره واستمراره - وإن تعرض المغرب في معظم جهاته لظروف قاهرة، إن لم نقل لناسخ ومنسوخ - إلى حد تكرار اللامعقول، فإن هناك حقائق قد زورت، وأعلاما مغربية بشرية وعمرانية وإسلامية قد حرفت، بل أسند ما كان منه للمغرب لغيره! فمتى سيتحد المغرب الكبير والدستور واضح؟ قبل أن يهب مرة أخرى من يلمزه من بعيد بربطه بعاد وتموذا!

صحيح أن المملكة المغربية اليوم، صارت قبلة جاذبة لأنظار العالم، بل ميدانا تتسابق القارات إلى ربط العلاقات الاقتصادية النفعية المساهمة في أجل مظاهرها، إلى حد أن أقر العالم بأن المغرب هو مفتاح خير لقارة أفريقيا، وذلك باعتراف الجميع، ونرجو أن يخلد التاريخ حضاريا تأثير ذلك المجهود المغربي الإيجابي الذي يكاد يمر مر السحاب. إذ هناك مصطلحات ومحطات وبصمات قد دب إليها النسيان، ونشير إليها هنا ولو باللسان.



## جزولة القديمة :

من حسن الحظ، أن التاريخ لم يبخل علينا بوجود إشارات دالة على وجود معلومات تفيد في تاريخ تعمير سوس الأقصى بأجداد المغاربة الذين « مكث معهم حانون القرطاجي وبحارته بعض الزمان، فأصبحوا لهم أصدقاء في سوس الأقصى، عند مصب وادي ذرا : أسا المنخفض. وهو الوادي المعروف في بدايته بدرعة عند تامغروت. بإغالن مفردة إغيل : الذراع نوع من التضاريس المقوسة، ولا داعية لتصديق «مبالغات حانون القرطاجي التي ضخمها»<sup>(5)</sup> ويكفيها منها وجود الإنسان المغربي في وطنه بمشارف الصحراء منذ ما قبل المسيح، ذلك هو الإنسان الأمازيغي الأول الذي عاش في مغرنا القديم، المعروف بالإنسان الأطلسي منذ مليون سنة ق م.

أما جزولة : كجزولة فقد « كانت أحد أفخاذ البربر القديمة، وقد عرفت بها الاسم من قديم جدا، وكانت كل هذه الجبال التي تسمى إداؤلتيت اليوم مواطنها إلى أيت باعمران التي تسمى مواطنهم قديما ببلاد لمطة، وهي من الجزولين...»<sup>(6)</sup>.

«وجزولة قبيلة كبرى، قامت بدور مهم في عهد المرابطين، وكانت تستقر قرب جبال الأطلس الكبير جنوبا، واتحدت مع كدالة ولمطة ومسوفة وملتونة تحت راية عبد الله بن ياسين الجزولي السوسي، وأنجبت عددا من العلماء والصلحاء وقواد الجيش»<sup>(7)</sup>.

فهل جزولة هذه هي كزولا أو تاكيزولت ؟ أو جيتولا ؟ وكلها في نفس الموقع، ومن نفس الحروف، تمتد مجالها من المحيط إلى خليج سيرت بليبيا.

وتطلق جزولا، على الحال والمحل، وعندما يقصد بها نحلة الشموخ والكبرياء، فهي تاكيزولت، ضد نحلة تاحوگات الدونية، ويميزون بينهما بمواصفات منها :

1 - أن أگيزول إذا قتل لك والدك، فصدفته فاقتله قبل أن يكلمك، وإلا فبلسانه الحلو سيسحرك ويمنعك من أخذ تارك منه. هكذا قالوا !

(5) تاريخ المغرب العتيق سلسلة أكاديمية المملكة المغربية الرباط. سنة 2008م.

(6) إيلغ قديما وحديثا، ص 238.

(7) كتاب المغرب ذ الصديق بن العربي، ص 118.

2- أما أحوگًا إذا قتل لك والدك فصادفته، فلا تقتله حتى يتكلم، لأنه لا يواجهك إلا بكلام لا يستحق العفو عنه ولا التريث في قتله، فأرخو ذلك بهذا البيت ليحفظ وينفذ :

1- الله إزگم أحوگًا غ وُنوال وُلا أغاراس

2- أزاو وُرت يگي گارأفگان أس يتوسان

وترجمته قطع الصلة به في المعاملات والتزواج بين الأصيل والدخيل، فأكيزول هو الأصيل، وأحوگًا هو الدخيل ؟ ! هذا ما نسب للشاعر مبارك أموسى الباعمراني، أما القبيل جيتولا، فقد كانت تحاصر الرومان في الشريط الشمالي جنوب اليمس، من الغرب إلى الشرق، وهي من المقاومة المغاربية الأمازيغية القديمة.

أما لمطة القديمة : فقد ورد هذا الاسم كمدينة غير بعيدة عن قرطاجة بتونس، حيث « نزل حنبعل البرقي بلمطة في صيف 203م «Leptis Minor»<sup>(8)</sup>.

أما لمطة القبيلة التي ورثت هذا الاسم، فهي القبيلة التي كانت مع قبيلة لمتونة وماسوفة منذ البداية، كعمدة لنواة المرابطين، إلى أن أدمجت في مصمودة الموحدية دون تلاشيها كليا، حيث تذكر بهذا الاسم في فاس، وفي جليلها : زالغ وتاغات : العثروس والمعزة، إلى أن ذكرت في جهاد المرينيين بالأندلس، مع بقاء موطنها معلوما، وبعاصمتها مدينة نول لمطة مستمرا في ذلك الإقليم الجنوبي، وعاصمتها نول باللام، وليس بالنون المعرب بالحوت رغم قدمها في التاريخ.

ومن أعلام قبيلة لمطة واگناگ بن زالو اللمطي، شيخ عبد الله بن ياسين الجزولي، وصاحب رباط أگلو، وهو تلميذ أبو عمران الفاسي الباعمراني أو من قرابته حسب ما هو موجود حاليا من الوثائق لدى الدكتور عبد الهادي التازي كما سيأتي، ويرجع ذلك التعاون المعرفي إلى حوالي 427هـ/1035م.

أما قبيلة لمطة الباعمرانية : فقد كانت تمتد على سيف البحر، وهي من جملة القبائل الأمازيغية الأولى، مثل كدالة وملتونة ومسوفة، اللاتي قامت عليها نواة المرابطين كما (8) شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ص 105.



سجل في التاريخ، وقد أورد البيدق لمطة مشكولا : أَيْلَمْتَيْن ولا يبعد من أن يكون الاسم محرفا من : إلمِيضن أو إلمطائين أهل جلود اللَّمَط التي يصنع منها الدرق المشهور لتلك القبيلة، كما ورد هذا الاسم لَمَت أو لمط قديما في التاريخ.

### لمطة من قبائل المرابطين :

«ويرجع ابن أبي زرع ابتداء عظمتهم إلى بداية القرن الثالث الهجري، حيث قام الملك تيولوتان، ودوخ بلاد الصحراء، واقتضى مغارم السودان (الغربي). وكان يركب في مائة ألف نجيب؟!؟ (البعير) وتوفي عام 222هـ/836م. وملك بعده يُلْتان، توفي عام 287هـ/900م وقام بعده ابنه تميم، إلى أن توفي سنة 302هـ/918م حيث قتله أشياخ صنهاجة (زناكة) فافترق أمرهم، إلى أن قام فيهم محمد بن تيفاوت المعروف بتارشتا اللمتوني، وهلك في بعض غزواته، فتولى يحيى بن إبراهيم الكودالي، وبعده يحيى بن عمر بن تلاككين الذي حج واتصل بأبي عمران بالقيروان بتونس» فزوده برسالة إلى واكاغ وهي : «سلام عليك ورحمة الله، أما بعد : إذا وصلك حامل كتابي هذا وهو يحيى بن إبراهيم الكودالي، فابعث معه إلى بلاده من طلبتك من ثثق بدينه وورعه وكثرة علمه وسياسته، ليعلمهم القرآن وشرائع الإسلام، ويفقههم في دينهم، وله ولك في ذلك الثواب والأجر العظيم. والله لا يضيع أجر من أحسن عملا. والسلام»<sup>(9)</sup>.

وبعد استشهاد هذا الأمير ببلاد السودان، قدم الفقيه عبد الله بن ياسين في مكانه أخاه أبا بكر بن عمر اللمتوني عام 448هـ/1056م<sup>(10)</sup>.

لمطة كلمة أمازيغية نحفتها القرون : فصارت لمت القريبة من لمط أو المأض أي أرمآگ من له لحة في الذقن فقط، وجمعه إلمأضن أو إرمآگن، لقلب الراء لاما عند زناكة، ويمتاز سكان المناطق الحارة بلحاهم البسيطة في الذقن، دون صفحتي الوجه، كما هو الغالب حتى الآن في سكان مشارف الصحراء، لاستغناء الوجه طبيعيا عن التدفئة بالشعر الذي هو ضروري في المناطق الباردة، وذلك معروف في دور تكييف البيئية الطبيعية التي

(9) رسالة أبي عمران من القيروان.

(10) الأنيس المطرب بروض القرطاس علي بن أبي زرع الفاسي، ص 154.

تكييف المجال عامة، كضخامة الأنف لدى سكان المناطق الحارة، من أجل امتصاص أكبر قدر من الهواء، وبالعكس في المناطق الباردة، حيث يكاد الأنف أن يكون مسدودا، لكون الهواء مضغوطا، وهذا واضح حتى في النباتات الشوكية الصحراوية حتى لا يتبخر ماؤها، ولا ينكر ذلك إلا من حُرْم حظه من دقة الملاحظة، ومن دور تكييف البيئية في المجتمع ؟

ولمطة من القبائل الأمازيغية التي ترتع في الصحراء الكبرى حسب قول ابن خلدون : «منذ دهور قبل الفتح، لا يعرف أولها، وعفوا في تلك البلاد وكثروا، وتعددت قبائلهم من كودلة، فلمتونة، فمسوفة.. ثم لمطة إخوة صنهاجة، كلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب إلى غدامس»<sup>(11)</sup>.

ولا عبرة بتفصيلات ابن عبد البر، مما رآه في كتاب الاسفنداد الحكيم، وما أورده هذا الأخير قوله : «ولمطة أبو لمطة وإيلان أبو هلالنة فنزل بعضهم بجبل درن، وبعضهم بدرعة، وبعضهم بالسوس، ونزل لمطة عند جزول، وتزوج بابنته» وها هي قبائل كبيرة عمرت ووطنها شمال أفريقيا لخصها هذا المؤلف في أسماء عدة أفراد، قياسا على قحطان وعدنان وكليب وطسم وجديس وضبة وكنانة وأنف الناقة وغيرهم من أذناها... إن لم نقل نوح عليه السلام أبو البشر الثاني، ليقبل القارئ عموم الطوفان واتساع سفينة نوح لحمل كل زوجين اثنين ؟ ! كأن شمال أفريقيا، لم يخلق إلا لنزوات جنسية، ولغزوات حميرية، أو بطولات أفراد طوحت بهم طوائف الزمان، واكتتوا بفداحة المسغبة ونوائب الحرمان، هذا كله مردود عليه، لكن المشكل في استمرار هذا الاستلاب لدى بعض المغاربة الذين لا يقتنعون بمغريبتهم حتى الآن ! وما زالوا في استلابهم يعمهون، وإلى غيرهم ينتسبون ! وهم يشهدون على أنفسهم وعلى أجنبييتهم في هذا الوطن !

فما رأي البحث العلمي حاليا ؟ وما رأي من يتشبه بروايات الهمداني في كتاب الإكليل في الدولة الحميرية ؟ وما زوي عن ابن الكلبي ؟ وما نقله من لا يميز الكوع من البوع ؟ وهو ينقل بلا تحفظ عن الشاعر الملزوزي هذا التزوير :

مرابطون أصلهم من حمير، قد بعدت أنسابهم عن مضر  
فقد رأيت في كتاب النسب، قولاً أعجز أهل الأدب  
بأن صنهاج سليل حمير، وهو ابنه لصلبه لا العنصر

(11) ابن خلدون، ج 6، ص 181.



لاحظ كيف تلقن المزاعم بالشعر! وكيف تمحل شجرة الأنساب! كل ذلك لإهمال التاريخ، وزرع الشك في الأنساب «هذه خلاصة ما ورد عن طريق الرواية من أقوال نسب البربر، وهي أقوال متضاربة، يناقض بعضها بعضا، وتعوزها الحجج القاطعة، والأدلة القوية، ويظهر عليها حيناً الطابع الأسطوري الواضح، وتشتم منها حيناً الرائحة العنصرية المقيتة، وقد استعرضها المؤرخ الكبير عبد الرحمان بن خلدون في تاريخه، وانتقدها قولا، قولا، وصرح أنها كافة مذاهب مرجوحة وبعيدة عن الصواب»<sup>(12)</sup>.

وعن إمام النسابين ابن حزم قوله في كتاب الجمهرة: «ما علم النسابون لقيس بن عيلان ابنا اسمه بر أصلا، وما كان لحميم طريق إلى بلاد البربر، إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن»<sup>(13)</sup>.

أوردنا هذا الاستطراد عن لمطة التي تهمنا هنا، لنشير فقط إلى المجهود الكبير الذي ينتظره التاريخ المغربي، لفك ألغاز الخرافات المتركمة، والتي ما زالت تتراكم عمدا على وطن الأمازيغ بتامازغا: المغرب الكبير، وليس غربا لأحد، ولا جنوبا لأحد، فهو علم قائم بذاته، كتاج على قارة أفريقيا، فعظام سكان تامازغا الأصليين ونقائشهم على صخور وطنهم، تجاوزت هنا في شمال أفريقيا مليون سنة ق م، والبحث العلمي لم يعد يخضع لرغبات الأفاقين الذين يتسربون من جييب يستغلونه..

وعندما أورد مؤرخ سوس سلسلة نسب ختمها بقوله: «ولم أقف على أصول هذا النسب، ولو جعل صاحبه مكان إدريس (الثاني بزوهون) آدم مكانه لكن أليق وأنسب، لأن سلسلة هذا النسب، أطول من سلسلة الإسلام نفسه، وكل من يزاول مشجرات الأنساب يدرك هذا بديهية»<sup>(14)</sup>.

وفي كتاب الحلل الموشية «هؤلاء المثلثون ينتمون إلى المتونة، وهم أولاد لمت، وكدالة، ولمطة، ومسطوف ينتسبون إلى صنهاجة، وهم ظواعن في الصحراء رحالة لا يطمنن بهم منزل، وليس لهم مدينة يأوون إليها، ومراحلهم في الصحراء مسيرة شهرين في

(12) ابن خلدون، ج 6، نفس المرجع.

(13) جمهرة أنساب العرب، ص 495، القاهرة، ط سنة 1962 م.

(14) خلال جزولة، ج 4، ص 78.

شهرين، ما بين بلاد السودان، (الغربي) وبلاد الإسلام، وهم على دين الإسلام. واتباع السنة، يجاهدون غيرهم من طوائف السودان»<sup>(15)</sup>.

ونلاحظ في هذا النص: جعل القبيلة شخصا ولد القبيلة كلها كعادة العرب، مع أنهم قبائل، وأنهم مسلمون، ولقبيلة لمطة مدينتها القديمة تسمى «نول لمطة» وإن عربوها بالنون ليوافق اسم حوت لقوله تعالى: ﴿وَمَا النُّونُ إِلَّا كَلِمَةً مَغْلُظًا فَكُنْ أَنْ لَنْ نَفْكَرَ عَلَيْهِ فَنَلْجِ فِي الْخُضَمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَ إِفْرِ كُنْتَ مِنَ الْخَالِمِينَ...﴾ (سورة الأنبياء الآية 87) «وقلب الحرف وورود الآية، ليصح تعريب هذا العلم اللمطي، فكيف تكون مثل مدينة نول لمطة لظواعن لا يستقرون؟ وهي العاصمة التجارية لقبيلة لمطة الرابطة بين شمال المغرب وجنوبه؟، وهي المسؤولة عن استمرار ربط مسالك الصحراء التجارية عبر تابريدا الغربية إلى مدينة نول لمطة ملتقى المبادلات، مع باقي المدن الكبرى في ذلك العهد، وعسى البحث الميداني يزكي ذلك بفضل نشاط الكليات المغربية في المغرب غير النافع!.

فإذا كانت قبيلة لمطة تعد من قبائل الصحراء، فإنها كذلك نجدها تعد من قبائل سوس ومن صميم جزولة، وما ذلك إلا لاستقرارها في موقعها الذي يربط بين أصقاع الصحراء جنوبا، ممتدا إلى أزغار جنوب الأطلس الكبير، لأن موطنها حسب الظروف يمتد شمالا من أزغار إلى طرفاية على الأقل، وبما أن «بعمرانة» هي لمطة كما نص على ذلك المؤرخون: منهم المختار السوسي بالذات، فعلينا أن نبحت عن مزيد من ذكر لمطة في المراجع، لكي نصل إلى كيف حلت بوعمرانة محل لمطة، بعدما تحقق أنها مزوجة بين مصمودة الجزولية من جهة، وبين ژناغة الصحراوية من جهة أخرى، ومع ذلك لم تدب شخصيتها كليا.

وقد أورد ابن خلدون قائلا: «وأما شعوب البرانس فعند النسابين أنهم يجمعهم سبعة أجدام: وهم أزداجة ومصمودة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة ووريغة وزاد سابق بن سليم وأصحابه لمطة وهسكورة وكزولة»<sup>(16)</sup>.

وبما وقع فيه من أرخ للأمازيغ سكان شمال أفريقيا، وقوعهم في منهجية مؤرخي العرب المعتمدة على نظرية الإسقاط في غير محله للماء الفراغ، ولتشجيع الغزو، ثم

(15) كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 17.

(16) ابن خلدون، ج 6، ص 90.



الانطلاقة من جد مفترض، أو من أم ولودة، أو من جد مجهول لقدمه، أو لتضارب بين قيل ويقال، أو أنهم وردوا من هناك أو من هنالك، أو أنهم جذام الأرض لا حصر لهم، أو تكريس تفرقهم حسب النحل والمذاهب، وأخيراً يطعن في هذه الرواية بلا مراجع، لترجيح رواية أخرى مقصودة، أو ترك الموضوع متشعباً ليبنى عليه آخر، ليزكي فراغ الأقدمية في الموضوع، فمتى يبدأ البحث العلمي الدقيق؟

أما ما احتمال واحتمل، فقد سقط به الاستدلال، فيبقى أصل الشعب الأمازيغي قديماً في وطنه شمال أفريقيا، متفتحا على حضارة حوض البحر الأبيض المتوسط، مداً وجزراً، عطاء وأخذاً، سالماً ومحارباً، له مميزاته الخاصة، كميزات بيئته الطبيعية الخصبة، كالتشبث بوطنه عبر التاريخ، أمة تقبل الضيف، وتُعيد حين تذوّبه.

وقد أورد ابن خلدون قائلاً «ولما أفضت الرئاسة إلى يحيى بن إبراهيم الكدالي - وكان له صهر في بني وارتاناطق هؤلاء - تظاهروا على أمرهم، وخرج يحيى بن إبراهيم لقضائه فريضته في رؤساء من قومه، في سني أربعين وأربع مائة (440 / 1048م) وفي القرطاس عام 437هـ (مخطوط في حوزتنا) فلقوا في منصرفهم بالقيروان، شيخ المذاهب المالكي أبو عمران الفاسي، واغتمنوا ما متعوا به من عهده وما شافهم به من فروض أعيانهم من فتاويه ورئاسة الأمير يحيى ويصحبهم من تلاميذه من يرجعون إليه في نوازلهم وقضايا دينهم، فندب تلاميذه إلى ذلك حرصاً على إيصال الخير لهم، لما رأى من رغبتهم فيه.

فاستوعروا مسغبة بلادهم، وكتب لهم الفقيه أبو عمران، إلى الفقيه محمد واگگاب ابن زالو اللمطي بسجل ماسة من الآخذين عنه، وعهد إليه أن يلتمس لهم من يثق بدينه وفقهه ويروض نفسه على مسغبة أرضهم في معاشه، فبعث معهم عبد الله بن ياسين ابن بك الجزولي... حتى أنابوا إلى الحق، واستقاموا على الطريقة، وأذن لهم في أخذ الصدقات من أموال المسلمين، وسماهم بالمرابطين، وندب فتح المغرب إلى الأمير يحيى بن عمر، فتخطوا الرمال الصحراوية إلى بلاد درعة وسجل ماسة، فأعطوهم صدقاتهم وانقلبوا، ثم كتب إليهم واگگاب اللمطي بما نال المسلمين، فيما آل إليه الأمر من العسف والجور»<sup>(17)</sup>.

(17) ابن خلدون، ج 6، ص 182.

وفي الحلل الموسية حول رغبة الأمير الصحراوي ورد: «فدله الفقيه (ابوعمران) على رجل من فقهاء المغرب الأقصى، مستوطن بالسوس، يدعى وگاگ بن زلو مشهوراً بالخير والعبادة، كانت بينهما قراءة؟ ومعرفة وفي نسخة الخزانة العامة حرف «ك» بينهما قرابة» (الحلل الموسية ص 20) ولا معنى لقراءة ومعرفة. ولا تكون إلا لقرابة تزكي لمطيته وبوعمرانته كما ذكر الدكتور عبد الهادي التازي وغيره، حسب ما لديه من الوثائق عثر عليها في بغداد عندما كان سفيراً. وفي ديوان الشاعر لحسن بونعماني

\* أبو عمران لمطة تدعيه، فما من قيروان ولا فؤوس \*

### لمطة في عهد المرابطين والموحدين:

أورد بعض المؤرخين أنهم من صنهاجة، على أساس أنها من القبائل الكبرى التي أسست الدولة المرابطية، وأورد البعض الآخر، أن لمطة من جزولة، وجزولة من مصمودة، وكلا القولين مقبول، لأن موطن قبيلة لمطة الممتد من طرفاية جنوباً إلى وادي والغاس شمالاً: ماست. يجعلها تفرض نفسها كمر نحو الجنوب الصنهاجي المرابطي، وبنفس الوزن نحو الشمال المصمودي الموحدية، فموقع الأطلس الصغير، يفرض التوازن بين شمال المغرب وجنوبه، فكثافة سكانه لظروف خاصة، تمتد حتى أقصى الصحراء، كما تمتد نحو الشمال إلى مشارف بوغاز جبل طارق. كما في عهد دولة برغواطة.

وقد لاحظنا وجود قوة لمطة في المد المرابطي إلى حد استقرارها جنوب برغواطة شمال مراكش في دولة عبد المؤمن الموحدية، كما وجدناها في الجهاد بالأندلس في عهد المرينيين، كما لها موقع في فاس المدينة وفي جبلي زالاغ وتاغات.

كما للمرابطين وللموحدين، ما يميز ما ضيهم حتى في حصون وقلع لهما في قمم الأطلس، بعيداً عن جيوب زوارق البرتغال، تلك الدولة التي لم تولد إلا بعد ذلك الزمان! ومع ذلك يسند لها كل بناء ضخم ولو كانت في قمم الأطلس، فإذا لم تسند للمغرب تسند للشرق، ليسهل غزوها عند الحاجة، فمتى ينتهي هذا التخرص الذي يوحى من طرف خفي إلى أن المغاربة ليسوا أصلاً في هذا الوطن رغم أمازيغيته؟



«فها هي القلعة الحرة بقرطبة، والقلعة الحرة في جبل طارق، تشرف على الميناء من جهة الغرب... وها هو جدار مرابطي في إشبيلية يرتفع بجانب البرج»<sup>(18)</sup>، لماذا لا تتكرر مثل هذه الأسماء كمعلومات على مسامع شباب اليوم، كما يتكرر «كابونيجرو، وسانتاكروز، وماريبا؟ ليزداد تقارب التنمية والاقتصاد والصدقة بين الجيران؟ عبر جهات المغرب الأربع، ليقابل علم مغربي علما أجنيا فيستمر التعاون والتكامل الحضاري.

لا يفهم من هذا أن تاريخ المغرب كان مجهولا، لا أبداً، بل كان موجودا وواضحا لكنه كان مكمونا في جهاته وأقاليمه معروفا بميزاته، فإذا كانت المملكة المغربية منذ بداية تقلص إمبراطورياتها محاطة «من جميع الجهات بسدود طبيعية كالصحراء الكبرى في الجنوب، وبالبحرين في الغرب والشمال، ومن الشرق بالجزائر الخاضعة للأتراك والفرنسيين»<sup>(19)</sup> فإذا كان الأمر كما ذكر مؤرخ سوس، فإن إقليم أيت باعمران، تعرض لما هو أدهى وأمر، إذ تقلصت مساحة هذا الإقليم بالاحتلال الإسباني الضعيف، كما تقلص عدد السكان بشكل غريب، وفي نفس الوقت، أضف ذلك الاستعمار الضعيف ضعفه إلى ضعف إقليم أيت باعمران والصحراء، إن لم نقل امتصت العظم وامتشقت اللحم، فحوصرت أيت باعمران من جميع الجهات، ماديا ومعنويا، ثقافيا واقتصاديا، فازداد الإقليم ضعفا وشيبة.

وبما وقع فيه من أرخ للأمازيغ سكان شمال أفريقيا، وقوعهم في منهجية مؤرخي الشفويات، وتسجيل الأخطاء عن الأقاليم لم يروها قط، كمن أرخ لسوس وهو في الأندلس، ويجعل مصب وادي سوس في ماسة جاهلا وادي والغاس، فكيف بمن يجهل الأقاليم ألا يجهل الأحداث والوقائع؟

فقدان الأمن في طريق الحجاج :

1 - رحلة الأمير الصحراوي يحيى بن إبراهيم في رؤساء قومه إلى الحج عام 440هـ / 1048م ولا شك أن طريقهم كانت عبر تابريدا الغربية المعتدلة المعروفة بدءا من قبيلة لمطة الجزولية. المعروفة المراحل المسماة بأوكوز (النزلات) الممتدة من قاع الصحراء إلى

(18) التاريخ، ج 5 / 62.

(19) المسول، ج 1، ص ج المقدمة.

المغرب الشمالي، عبر موطن لمطة المحيطي المعتدل غالبا، وهي طريقة القوافل التجارية المعروفة، وسجل ماسة حسب فصول السنة.

2 - لماذا اختار الوفد الصحراوي الفقيه المالكي أبو عمران المنعوت بالفاسي من طرف شيخه الباقلافي في الشرق الذي نسبه إلى فاس؟ لأنه كان معروفا بعلمه في فاس، قبل أن يرحل إلى القيروان، فسمي بالفاسي، لكون هذه المدينة أشهر مدينة في المغرب الكبير في ذلك العهد، وقد أبرز البحث حاليا أنه باعمراني الأصل كما سنرى في المعلومات المكتشفة الآتية.

3 - ويروي صاحب القرطاس مبالغة «للهمداني وابن الكلبي في تعدد أفخاذ زناكة إلى عدد غير مقبول، ومسيرة بلادهم من نول لمطة إلى قبلة القيروان من بلاد أفريقية»<sup>(20)</sup>.

4 - طريق الأمير يحيى الصحراوي إلى الحج، وفي طريقه بمدينة القيروان، لقي بها الفقيه الصالح أبو عمران موسى بن الحاج الفاسي، كان قد رحل من مدينة فاس، «حيث بلغهم أي الصحراويين أن أهل فاس أخرجوه من مدينة فاس لنهايه لهم عما أحدثوه من البدع والمظالم والمغارم وأخذهم أموال الناس بغير حق»<sup>(21)</sup>، فاستوطن القيروان، يأخذ عن أبي الحسن القابسي، ثم رحل إلى بغداد، فحضر بها مجلس الفقيه القاضي أبي بكر بن الطيب، فأخذ عنه علما كثيرا، ثم عاد إلى القيروان، فلم يزل بها إلى أن توفي رحمه الله لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان المعظم . عام 430هـ وهناك رواية أخرى لوفاته.

5 - وفي الذكرى الألفية لرباط الشيخ محمد واكتاك بن زلو اللمطي من طرف العلماء بجوار مدينة تيزنيت على بعد 17 كلم غربا، أعلن الدكتور عبد الهادي التازي أنه يملك وثيقة حصل عليها في بغداد، عندما كان سفيرا للمغرب هناك، فيها أن أبا عمران هذا أصله من أيت باعمران، أي من قبيلة لمطة، وفي نفس اللقاء أعلن أستاذ آخر حاضر هناك، أنه اطلع على ورقات في الخزانة العامة بالرباط، فيها «أن أبا عمران الفاسي أصله من أيت باعمران من قبيلة لمطة، وأن شيخه العراقي هو الذي نسبه إلى فاس، لشهرة هذه

(20) القرطاس لابن أبي زرع مخطوط في حوزتنا.

(21) بيوتات فاس الكبرى اسماعيل بن الأحمر ط دار المنصور الرباط، ص 27.



المدينة في الغرب الإسلامي في ذلك العهد» (عن الدكتور لحسن العبادي إلى أذني إلى قلبي). وما يؤيد أصالة أبي عمران في لمطة ما بينه وبين وگاگ من قرابة كما في مخطوطة بالخزانة العامة تحت رقم 2300 حرف ك<sup>(22)</sup>.

6- وتشير كل هذه المعلومات، إلى أن الأمير الصحراوي يحيى بن إبراهيم ورأساء من وفده كانوا على علم بأصل هذا الفقيه، إذ جرت العادة في ذلك العهد، أن ينزل المسافر عند المعرفة - للثقة وخوفا من السم - ولو بانتساب إلى القبيلة، أو الإقليم، أو لمعرفة اللغة والتفاهم التي هي لغة واگاگ وعبد الله بن ياسين، وكذا أبو عمران والأمير يحيى الصحراوي، ولا تكون إلا الأمازيغية لقلة العربية - لكن هنا روايتان، احدهما تناقض الأخرى : الأولى عن : النويري من كتاب «نهاية الأرب، في فنون الأدب» المتوفى عام 732هـ/1332م وبطل هذه الرواية رجل اسمه الجوهر الصحراوي «أتى من الصحراء إلى بلاد المغرب، طالبا للحج، وذلك في عشر الخمسين وأربع مائة. فمر بفقيه يقرأ عليه مذهب الإمام مالك ابن أنس، وحوله جماعة قال : والغالب أنه أبو عمران قاضي القيروان - فأوى إليه وأصغى إلى ما يذكر في مجلسه من علم الشريعة، فأحب جماعته وأتاب إليه قلبه، ثم استمر في وجهته إلى الحج، وقد أثر ذلك في نفسه.

فلما حج وانصرف قصد المسجد الذي كان فيه الفقيه، وسمع الكلام فيما تقتضيه ملة الإسلام من الفرائض والسنن والأحكام. فقال الجوهر : يا فقيه، ما عندنا في الصحراء من هذا الذي تذكرونه شيء، إلا الشهادتان في العامة والصلاة في بعض الخاصة، قال الفقيه : فاحمل عنك ما يعلمهم عقائد ملتهم، وكمال دينهم، فقال له الجوهر : فابعث معي أحد الفقهاء، وعلي حفظه وبره وإكرامه، وكان للفقيه ابن أخ اسمه عمر، فقال له : «اذهب مع هذا السيد إلى الصحراء، فعلم القبائل بها ما يجب عليهم، من دين الإسلام، ولك الثواب الجزيل من الله عز وجل والذكر الجميل من الناس.

فأجابه إلى ذلك، فلما أصبح عمر من الغد، جاء إلى عمه فقال له : اعفني من الدخول إلى الصحراء، فإن أهلها ناس جاهلية، قد ألفوا سيرا نشأوا عليها، فمتى نقلوا عنها قتلوا من أمرهم بخلافها، وكان من طلبه الفقيه رجل يقال له عبد الله بن ياسين

(22) الحلال الموشية، ص 10.

الگزولي، فرأى الفقيه وقد عز عليه مخالفة ابن أخيه فقال : «يا فقيه أرسلني معه، والله المعين»، فأرسله معه، وتوجهوا إلى الصحراء، وكان عبد الله بن ياسين فقيها عالما ورعا دينا شهما قوي النفس، حازما ذا رأي وصبر وتدبير حسن.

فلما دخل الجوهر وعبد الله بن ياسين إلى الصحراء، فانتهوا إلى قبيلة لمتونة، وهي على ربوة عالية، نزل الجوهر عن جماله وأخذ بزمام جمل عبد الله بن ياسين تعظيما لدين الإسلام، (بل محاكاة لقدوم الرسول على المدينة وأبو بكر يقود ناقته) فأقبلت أعيان لمتونة وأكابرهم للقاء الجوهر والسلام عليه، فرأوه يقود الجمل، فسألوه عنه، فقال : هو حامل سنة رسول الله ﷺ قد جاء يعلم أهل الصحراء ما يلزمهم في دين الإسلام، فرحبوا به، وأنزلوه في أكرم منزل، ثم اجتمعت طائفة كبيرة من تلك القبيلة في محفل، وفيهم أبو بكر بن عمر، فقالوا تذكر لنا ما أشرت إليه أنه يلزمنا، فقص عليهم عبد الله عقائد الإسلام وقواعده، وبين لهم حتى فهم ذلك أكثرهم، ثم اقتضاهم الجواب، فقالوا :

«أما ما ذكرته من الصلاة والزكاة فذلك قريب (غيكان ياز) وأما قولك من قتل يقتل، ومن سرق يقطع، ومن زنا يجلد، فأمر لا نلتزمه ولا ندخل تحته اذهب إلى غيرنا» فرحلا عنهم والجوهر الجدالي يعجز زمام جمل عبد الله بن ياسين، فنظر إليه شيخ كبير، منهم فقال : «أرأيتم هذا الجمل ؟ لا بد أن يكون له في هذه الصحراء شأن عظيم، يذكر في العالم ! قال : وكان بالصحراء قبائل العرب !! وهي لمتونة وجدالة ولمطة وأنبيصر وأيتواري ومسوفة وأفخاذ عدة، وهذه القبائل ينسبون إلى حمير ؟! ويذكرون أن أسلافهم خرجوا من اليمن في الجيش الذي أنفذه أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى الشام، وانتقلوا إلى مصر، ثم توجهوا إلى المغرب، مع موسى بن نصير، وتوجهوا مع طارق إلى طنجة، ثم اختاروا الانفراد، فدخلوا الصحراء، واستوطنوها وأقاموا بها.

قال : وسار الجوهر حتى انتهى بعبد الله إلى قبيلة جدالة، فخاطبهم عبد الله، هم والقبائل المتصلة بهم، فمنهم من سمع وأطاع، ومنهم من أعرض وعصا، ثم إن المخالفين لهم تحزبوا وانحازوا، فقال عبد الله للذين قبلوا منه الإسلام : قد وجب عليكم أن تقاتلوا هؤلاء الذين خالفوا الحق وأنكروا دين الإسلام، فاستعدوا لقتالهم، واجعلوا لكم حزبا،



وأقيموا لكم راية، وقدموا لكم أميرا، فقال له الجوهر: أنت الأمير، فقال عبد الله لا يمكنني هذا، إنما أنا حامل أمانة الشرع، أقص عليكم نصوصه، وأبين لكم طريقه، وأعرفكم سلوكه، ولكن أنت الأمير، قال الجوهر: لو فعلت هذا لتسلطت قبيلتي على الناس، ولعابنوا في الصحراء، ويكون وزر ذلك علي، لا رأي لي في هذا، فقال عبد الله فهذا أبو بكر بن عمر رأس لتونة وكبيرها، وهو رجل جليل القدر، المشكور الحال، محمود السيرة، مطاع في قومه، نسير إليه ونعرض تقدمه الأمانة عليه، فلحبت الرئاسة يستجيب إلى ذلك بنفسه، ولمكان الجاه ستجتمع إليه طائفة من قبيلته يقوي بها على عدونا والله المستعان<sup>(23)</sup>.

هذا نص طويل وعريض، للإحاطة به يحتاج إلى صفحات، لكن تركه يخفي حقائق من تاريخ المغرب، ويعاكس عددا مهما من المراجع المغربية، ويخالف حتى رواية ابن خلدون في الموضوع، مما يفرض علينا في مناقشته ارتكاب أخف الضررين، وأدنى المفسدين، فنشير إلى ما يأتي:

1 - وفيما يخص عربية أولئك الصحراويين فقد أجاب عن ذلك ابن أبي زرع بقوله «فقد كان لكل هذه الأسر الحاكمة أن تستند إلى الأسس الشرعية اللازمة كالنسب النبوي أو الأصل العربي - وهنا يجب التمييز بين غربي، وأعرابي، ولغة عربية، وإدبولوجية عروبية عنصرية - وما دام النسب النبوي من الصعب اختلاقه، فقد أشاعوا أن أصولهم عربية من حمير<sup>(24)</sup>».

2 - تجمع المصادر التاريخية على أن الزعيم الكدالي الذي توجه للحج هو الأمير يحيى بن إبراهيم. وليس الجوهر بن سگم (في آيت باعمران فخذة تسمى إداوسوگم حتى الآن) فكان ممن «نقموا على عبد الله بن ياسين أشياء يطول ذكرها، وكأنهم وجدوا في أحكامه بعض التناقض، فقام عليه فقيه منهم كان اسمه الجوهر بن سگم... فعزلوه عن الرأي والمشورة، وقبضوا منه بيت مالهم وطرده وهدموا داره وانهبوا ما كان فيها من أثاث وخرثى. فخرج عبد الله مستخفيا من قبائل صنهاجة إلى واگاگ بن زلوى فقيه ملكوس (إيحيى لكوست مدينة في جبل لكوست) الذي أمر عبد الله بالرجوع إلى الصحراء، بعد أن أفتى بهدر دمهم، فرجع عبد الله وقتل خصومه<sup>(25)</sup>».

(23) النوير، ص 378.

(24) ابن أبي زرع الأنيس المطرب، ص 119.

(25) البكري، ص 166.

3 - نلاحظ أن الجوهر حل محل الأمير يحيى بن إبراهيم كواسطة مع أبي عمران الفاسي، كما حل محل واگاگ في علاقة عبد الله بن ياسين، بينما هو نائر فقط.

4 - ينتمي الجوهر إلى قدماء العرب المنتحلين لحمير، بينما ينتمي واگاگ إلى لمطة وجزولة التي منها عبد الله بن ياسين وأمه تين إيزامارن من تامانارت، والكل أمازيغي، ولذلك أقحم الجوهر في الموضوع حتى لا ينسب الخير لأهله؟

5 - كانت علاقة واگاگ بأبي عمران أقوى من علاقة الجوهر به من حيث القرابة والتعليم والمذهب والموطن والقبيل، كما أن رواية الجوهر، تحوي مواصفات هجرة الرسول وصاحبه أبي بكر يقود ناقته (والجوهر يقود جملة) عند إشرافه على المدينة المنورة، وعملية الإسقاط ساطعة عند كثير ممن ينقل الروايات، وقد نبهنا إلى ذلك في تاريخ برغواطة، فليراجع بالتفصيل في محله. (نموذج المقاومة في دولة برغواطة الأمازيغية ط 2014 م)

6 - وهكذا نجد إهمال ذكر أية علاقة بواگاگ، مع إبراز الجوهر الذي كان ممن ينتمي إلى من كان مع موسى بن نصير<sup>(26)</sup>. «لكن الرواية المشهورة والمنطقية المؤيدة بظروف الزمان والمكان، تزكي يحيى بن إبراهيم الكودالي، كما تصحح مسار عبد الله بن ياسين، مما سهل التقارب والتفاهم، وبالتالي إخبار أبي عمران بأسرار الصحراء، والمستوى الديني للقوم فيها، حتى رشح لهم ابن أخيه عمر... إذ يصعب على الأمير يحيى، وهو رئيس قومه، إفشاء سرضعف قومه في الدين والوحدة والمستوى المعرفي، لو لم يثق في مخاطبه أبي عمران الفاسي. المنتمي إلى مشارف الصحراء. حسب الوثائق المشار إليها سابقا ببوعمرانته أو لمطيته وجزوليته.

7 - ولهذه الثقة، نجد أبا عمران يسأل الأمير عن اسمه وبلده ونسبه ومستوى الدين في الصحراء، فلم يجد عنده ما يكفي، فاختر له تلميذه أو أقاربه واگاگ ببلاد نفيس من أرض المصامدة، وليس بأرض ژناگة، فأبو عمران إذن خبير بنسب القبائل في المغرب، أي كان يعرف ذلك «اللمطي من أهل السوس الأقصى، وهو الآن يتعبد ويدرس العلم ويدعو الناس إلى الخير في رباط هناك» هذه معرفة عميقة بأوضاع المغرب، وبداية نشر المذاهب في المغرب والأندلس، وقد كانت القيروان مصدر تصدير الزعامات المذهبية منذ نزول عكرمة البربري بها، بل قبله بكثير. (مراجعة مقاومة برغواطة في الموضوع)..

(26) النويري، ص 378.



8 - لماذا استقر شيخ المذهب المالكي بالقيروان ؟ لأن تلك المدينة هي باب فتح شمال أفريقيا، وبها تركزت غلاة الشيعة والخوارج منذ البداية، ومنذ أن أتى يحيى بن يحيى الأمازيغي المصمودي على حد قول ابن خلدون لهم في «صدر الإسلام بهذه الجبال عدد وقوة وطاعة للدين ومخالفة لإخوانهم برغواطة في نحلة كفرهم». ! (مقاومة برغواطة) وكلمة كفر هذه كانت تطلق على كل من تبع مذهبا أو مشيخة أو صوفيا يخالف الآخر، كما عشنا اليوم ذلك في الشرق الأوسط، قياسا على ما كان متداولاً بين الأحزاب الدينية من الخوارج والشيعة والمرجئة والمعتزلة منذ الفتنة الكبرى في المشرق عام 36هـ/657م انطلاقاً من هذه الخطبة «فمن لم يسعه الحق أخذ بالباطل، ألا وإن طلحة والزبير وأم المؤمنين تملؤوا على سخط إمارتي»<sup>(27)</sup>.

ومثل هذه الفتنة في المغرب بين المرابطين والموحدين : «فلقب الموحدون بالخوارج، والمرابطون بالمجسمين»<sup>(28)</sup>، وكل حزب بما لديهم فرحون، وتلك فتوى لاستحلال سفك دماء بلا حساب، ونهب أموال بلا عتاب، وغزو مواطنين بتهمة كفر وعناد، والكل من الكفر فرّوا.

ومن مشاهير الفقهاء المنظرين في الغرب الإسلامي : كُتير بن وسلاس بن شمال بن أمادة، وهو يحيى بن يحيى راوي المؤطأ عن مالك، دخل الأندلس، وشهد الفتح مع طارق بن زياد، وفي آخرين من مشاهيرهم استقروا بالأندلس، وكان لأعقابهم بها ذكر في الدولة الأموية ..

وبهؤلاء الأمازيغ، صار مذهب مالك ينتشر، وما أبو عمران الفاسي وواكتاغ بن زالو اللمطي، وعبد الله بن ياسين المقتول في معركة إكثروفاً : كريفلا (الفدان الأعلى) ومن تتلمذ عليهم في الصحراء، إلا من دعاة هذا المذهب الذي جاء به أمازيغي مصمودي، - لكن بأية لغة انتشر ؟ - إنها اللغة الأمازيغية لا شك في ذلك لندرة العربية، وبها علم المهدي بن تومرت كبار قومه، وهم لا يعرفون حتى. «الفاتحة كما زعموا» إلى أن سمي أعوانه بأبيات الفاتحة، لتحفظ. عن ظهر قلب، وهم كبار السن، أليست تلك بداغوجية تربية أمازيغية ناجحة بسرعة ؟ بلغت الثقافة الإسلامية بالاكْتفاء الذاتي، الأمر الذي

(27) تاريخ الطبري، ج 3، ص 5.

(28) أخبار المهدي بن تومرت، ص 38.

عانت منه المدرسة الحديثة، رغم توفر وسائل الإيضاح، لماذا تسفك كل هذه الدماء والإسلام دين السلامة والتسامح ؟ لأن المصيبة في فتوى من لا يدخل المعركة واكتفى عنها بشراة لسانه، متربعا على كرسيه بلا منازع.

### لمطة في حوز مراكش في نهاية المرابطين :

عندما رجع عبد المؤمن من احتلاله لشمال المغرب، قاصدا مراكش لحصار آخر المرابطين بها، هاجم لمطة في جهة شمال مراكش، فساقها وفتك بها، ويظهر أنها كانت مجرد قوة مرابطية مجاورة لبرغواطة. [إبركواتن المعظمون] وكان عهدنا بلمطة في الدير جنوب الأطلس الكبير، وها هي الآن بين برغواطة في أزموور ومراكش، في شمال المغرب. ففي عهد الأمير يوسف المريني، عندما اجتاز إلى الجهاد في الأندلس عام 683هـ نجح لمطة قبيلة في الجهاد مع باقي قبائل المغرب إذ «كل قبيلة منها مُبْتَرَّة عن الأخرى» على حد قول صاحب القرطاس<sup>(29)</sup> فلمطة إذن لم يقض عليها المرابطون ولا الموحدون. كما سنرى. فقد أورد صاحب الاستبصار قائلا : «ومن بلاد السوس مدينة نول لمطة هي مدينة كبيرة في أول الصحراء، على نهر كبير يصب في البحر المحيط... وإنما سميت نول لمطة لأن قبيلة لمطة يسكنونها، وما وراءها وهي آخر بلاد السوس... ثم يليها بلاد لمتونة، وهم من صنهاجة، ومن بلادهم يكون اللط الذي يعمل من جلوده الدرق، وهذا الحيوان المسمى باللمط دابة دون البقر لها قرون»<sup>(30)</sup>.

هنا ملاحظة. كثيرا ما يختلط الأمر بين قبيلة لمطة وبين جلد حيوان يسمى اللمط، أي الأملس الذي هو ضد الخشن، تصنع منه الذروع. ونسب إلى تلك القبيلة.

لا شك أن المهدي الموحد استغل عدم اندماج المصامدة في الزحف الزنناغي المرابطي المنتشر في السهول دون الجبال الصعبة، إذ اكتفى المرابطون غالبا باستعمال الجمل في حصار سفوح الجبال التي هي عرين المصامدة كعادتهم، إلى أن يستعدوا لتحرير سهول المغرب، فكانت بداية أمر المهدي بن تومرت في سوس على الأصح، بعد رجوعه من الشرق، مصمما على إقناع سكان الجبال المصامدة بالقيام ضد من خضع

(29) ابن أبي زرع، ص 459.

(30) كتاب الاستبصار لمؤلف مجهول، ص 214.



للمرابطين الصحراويين في السهول، ولما كانت أغمات ومراكش ومعظم السهول الغربية الخصبية تابعة للمرابطين اقتصادياً، فليس للمهدي إلا أن يبدأ بغزواته الفعلية ضدهم من سوس، بعدما انتصر في مجلس الجدل والحجاج بمراكش، - رغم فطنة مالك بن وهيب بشر المهدي المنتظر -<sup>(31)</sup> إذ كانت سوس هي مولده بين قومه ومهبط مهدويته وادعاء العصمة «وأنه منصور من السماء في ذلك الغار الذي ذكر أنه منتهى العصمة، ومهبط ملائكة الرحمة في جبل درن»<sup>(32)</sup> فطبق ما يناسب الزمان والمكان من السيرة النبوية المحمدية حسب مهدويته...

كما لا يعزب عن باله أهمية سوس البشرية والاقتصادية وما ذكر عما غنمه عقبة بن نافع من مدينة إگلي أو تارودانت أو كلاهما - إن صح وصوله إلى تجاوز ما بعد نهر ملوية - . إذ قيل : «ووصل عقبة بن نافع إلى هذه المدينة عند دخوله بلاد المغرب، وافتتحها، فأخرج منها سبياً لم ير مثله حسناً، كانت تباع الجارية منها بألف دينار فأكثر، لحسنها وتما خلقها»<sup>(33)</sup>.

وقد أورد البيدق مجموعة من غزوات المهدي نفسه في حياته إلى أن توفي عام 522هـ/ 1128م والذي يهمننا هنا، هو ما موق ف لمطة بعمرانة جزولة في تلك الظروف؟ فهل انضمت إلى الموحدين عندما أحسوا بعزلهم؟ قال البيدق : «ارتدت جزولة، وقام فيها ثائر يسمى بأبي بكر بن عمر، ولما قتل، بعثوا ليحيا الصحراوي، (البطل المعروف) فوصل إليهم، وكان يضرب أطراف السوس، وارتدت لمطة، وقام فيهم ثائر يسمى بمحمد أمركال، ثم ارتدت أيت ييغز، (الوليجة) وهبطوا إلى تازاگورت، فقال الخليفة لأبي حفص : قامة الناقة بحملها يا أبا حفص، فقال له أيها الخليفة نرقدها إن شاء الله، ودفعت العساكر إلى تلك الجهات، منها لنول لمطة... ورجع أبو حفص لهشتوكة، وهزمهم، وساق غنائمهم، وهزم أيضا آگت أنكي لمطة، وساق غنائمهم، ووصلت الغنائم إلى مراكش، وبيعت بباب الشريعة الكزوليات واللمطيات والجمال والبقر والغنم، وأخذ الخليفة في سهمه ثمانمائة ناقة « انتهى باختصار»<sup>(34)</sup>.

(31) المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المراكشي، ص 272.

(32) خلال جزولة للمختار السوسي، ج 4، ص 166.

(33) نفس المرجع، ج 4، ص 163.

(34) البيدق أخبار المهدي بن تومارت، ص 77.

وفهم من هذا النص، أن لمطة كانت تلي الأطلس الكبير في هذا التاريخ، كما قال ابن خلدون، أي يوجد جزء منها في سفح الأطلس الجنوبي، أما هذا السلب والنهب، فلا يخلو من مبالغة تشجع الغزاة، كما ليس بعيداً عن فتنة الأعراب الذين لم يتخلصوا بعد من جاهليتهم، وخاصة بني هلال وبني سليم المحافظين على بدويتهم، فاستغلهم السياسيون في حروبهم، مثل علي بن يدر في سوس، وأبي سعيد في سجلماسة الذي «استخدم كافة عرب المعقل، فرغبوه في ملك السوس وأطمعوه في أموال ابن يدر، فغزاه من سجلماسة»<sup>(35)</sup>.

أي مذهب يجيز لهذا القوم سفك الدماء بلا حساب؟ - والقوم مسلمون - والعهد مازال طرياً بمجهودات واگگابن زلو، وعبد الله بن ياسين، ويحيا بن إبراهيم الگودالي الحاج راجلا، وتأسيس نواة المرابطين من قبائل زناگة ومصمودة، كيف يصح للمهدي العمل بقاعدة «الفيء»؟ صحيح أن المغيرين لا أجر لهم، إلا النهب والسلب، والقضاء على العمران الذي يربط الإنسان بالأرض قصد الاستقرار.

إن موقع لمطة بعمرانة في الأصل على مشارف الصحراء، يفرض عليها تأثيرات الهجرة من وإلى عبر تابریدا، ومع ذلك، فأصلتها النسبية مستمرة منذ جيتولا القديمة، إلى جزولا الوليتية السوسية، إلى لمطة البعمرانية المرابطية، إلى لمطة الموحدية المصمودية القبيل الذي يمتد على ساحل هذا المحيط، من أقصى الجنوب إلى شماله، كما نصادفها بهذا الاسم حتى في حروب المرينيين بالأندلس.

### فتنة أمراء سوس :

إن الذي تولى كبرها هو «علي بن يدر من بني باداسن (حول أمسكروود) الذي فر من مراكش إلى سوس، وجاهر بالخلاف عام 651هـ وتغلب على حصن تسنخت (لعلها تيزغت مضيق الوادي) من أيدي صنهاجة، ثم تغلب على بسيت السوس، وجأجأ كلمة تقال للإبل لتشرب) بني حسان من أعراب المعقل من مواطنهم بنواحي ملوية إلى بلاد الريف - بعدما أخلى عبد المؤمن تونس من الأعراب، نقلهم إلى بلاد المغرب - فارتحلوا إلى سوس، وعات بهم في نواحي السوس، واستفحل ابن يدر ببلاد السوس، واستخدم

(35) ابن خلدون، ج 6، ص 274.



الأعراب : من الشبانات وذوي حسان، وأرض السوس مجالات لنزول لمطة، فلمطة منهم مما يلي درن (الأطلس الكبير) وكزولة مما يلي الرمل والقفر، ولما تغلب المعقل على بسائطه اقتسموها مواطن (لاحظ عدم الاختلاط) فكان الشبانات أقرب إلى جبال درن، (أدرار البلوط) وصارت قبائل لمطة من أحلافهم، وصارت كزولة من أحلاف ذوي حسان»<sup>(36)</sup>.

وهنا نحن نرى أن الأعراب جاء بهم علي بن يدر من جهة ملوية بالشمال إلى سوس، فاستخدمهم في فتنه وخراب سوس، إلى أن استهلكتهم الحروب، وأهلكهم الوباء في مرتعهم حول مصب أسيف ن سوس، فبقيت ماشيتهم حتى توحشت لهلاك مالكتها بالوباء المذكور.

وهكذا نعرف أن الأعراب لم يأتوا من الصحراء، ما عدا من ذهب في مشتاه وراء ماشيتهم كرحال عند الحاجة، لأن زناغة أمازيغية، وليست من حمير، كما زعمه كتاب الأفاق، مع العلم أن هجرة الإنسان أصلا من إفريقيا، وهي التي وصلت الإنسان منذ القديم، إلى أستراليا، فكيف بالتنقل حول حوض البحر الأبيض المتوسط ؟ فنحن لا ننكر نسبة صفر فاصل صفر في المائة بين القارات، وإنما ننكر مغالاة مزاعم إفريقيش اليمني، وبربرة الأسد، والبربر جذام الأرض، وطردهم من الشام بالوحي من الله لداود عليه السلام !؟!

أما لمطة وكزولة ومسوفة وملتونة وزناغة ومصمودة فكلهم أمازيغ. أما دارجة البدو في المغرب، فترجع إلى المعاملات، ودور الزوايا، وقوافل تابريدا، وتأثير الدين، بالإضافة إلى حصار الأمازيغية بالشفوية طيلة قرون، حتى أعلن صراحة «يجب قتل البربرية»<sup>(37)</sup> فأعلننا [نامت الفتنة لعن الله موقظها] ومع ذلك الاحتجاج، استمر تعريب أعلام المغرب الكبير : وطن تامازغا، ثم منعت الأسماء الأمازيغية على الأطفال المغاربة، ولو اتصلت شجرة أنسابهم إلى لآ فاطمة الزهراء بنت رسول الله، ومع ذلك قالوا : «ليس ذلك المنع من العنصرية في شيء على رؤوس الأشهاد في التافزة المغربية» !؟!

(36) ابن خلدون، ج 6، ص 274.

(37) كتاب الدكتور محمدعابد الجبري الأمازيغي.

لا شك أن إمبراطورية الموحدين قد حققت كثيرا من توحيد المغرب الكبير، ولم يسبقها إلى ذلك إلا مملكة أكليد ماسينيسا قبل الإسلام، لكن مع الأسف، - رغم ما بلغوه - فإنهم لم يحصنوا إمبراطوريتهم بالدستور، هذه الوثيقة التي ادخرها التاريخ للدولة العلوية الشريفة، بل تركوا دولتهم كالمقص، إذا قطع مسماره تفرق، فلم يعد يصلح للمدية ولا للمقص : مثل أمازيغي يضرب لتشتيت القوي.

ولنقتصر بهذا المثل على ما أورده ابن خلدون على تركة الموحدين للمرينيين منها : «واستفحل ابن يدر ببلاد السوس، واستخدم الأعراب من الشبانات وذوي حسان، وأطاعته القبائل من بنيه وبني كزولة، وكانت لهم فتن وحروب، يستظهر في أكثرها بذوي حسان»<sup>(38)</sup>.

ولما استولى بنو مرين على مراکش عام 668هـ استبد علي بن يدر، وتملك سوس وسائر أمصاره ومعاقله، وأرهب حده للأعراب، إلى أن هلك، واستولى السلطان أبو الحسن المريني على سوس، وعين فيه عماله، إلى أن كانت نكبة القيروان بتونس، حيث انفض العسكر من هنالك بالغرق، أي من تونس، وتغلب عليه أي سوس العرب من بني حسان والشبانات، ووضعوا على قبائله الإتاوات والضرائب.

ولما استبد أبو عنان بملك المغرب، أغزى عساكره السوس عام 556هـ واستخدم القبائل والعرب من أهله، أي من أهل سوس، ورتب المشايخ إلى أن انفضوا، وبقي عمل السوس ضاحيا من ظل الملك لهذا العهد، وهو وطن كبير من لدن البحر الميت، إلى نيل مصر الهابط من وراء خط الاستواء في القبلة إلى الاسكندرية... ثم وصف المؤرخ سوس وأهميته وأقاليمه وقال : «وأرض السوس مجالات لنزول لمطة، فلمطة منهم مما يلي درن أي جبل الأطلس، وكزولة مما يلي الرمل والقفر» (نفس المرجع) وقد سبق أن ذكرنا أن لمطة كانت تمتد من سفوح الأطلس الكبير إلى طرفاية. (عن نفس المرجع باختصار).

لماذا حافظ التاريخ المغربي على ذكر الأعراب أو العرب كل هذه القرون ؟ فهل هذه التفرقة بتكريس من النظام منذ الغزو الإسلامي لشمال أفريقيا ؟ أو أن العرب أصروا على ذكرهم مسجلا كإحساس منهم بتفوقهم المزعوم، أو أن المؤرخين قاموا بإحصائهم

(38) ابن خلدون، ج 6، ص 273.



وذكرهم حيثما نزلوا أو أنزلوا فيه، حتى لا يعلنوا يوماً أنهم أصلاً من وطن تامازغا؟ أو أن كل هذه القرون المارة لم تقنعهم بعد، بأنهم مغاربة!؟ مع أن ما بقي من نسبة العروبة في دمائهم، كنسبة الحديد [كلكم من آدم، وآدم من تراب] كل هذه الأسئلة وغيرها أجاب عنها دستور المملكة سنة 2011م.

### لطة في عهد السعديين باسم بعمرانة :

ديوان قبائل سوس في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي، لهذا الديوان أهمية كبيرة، منها أنه مصدر تاريخي مباشر لأحداث خطيرة مرت بسوس، ولولا العثور على هذا المصدر، لما سهل تصديقه، بل لو لم يكن بقلم فقيه سوسي عارف بالزمان والمكان، أولو لم تتعدد نسخ منه وشاعت سماعاً لسهل إنكاره، أو القضاء عليه، مثل أنساب البربر الذي كان حاضراً بسوس بنسخة واحدة، إلى أن أهداه أحد الفقهاء للسلطان الحسن الأول عام 1303هـ/1885م. فكان العهد به، وهو العين الوحيدة لقبائل سوس، ومن هذا القبيل، كتاب مفاخر البربر لمؤلف مجهول، الذي أخفي مدة طويلة إلى أن ظهر مؤخراً، فشكراً لطابعه سنة 2005م. ومن هذا القبيل، موقف الشيخ الحصري لما اطلع على إشادة المؤرخ ابن خلدون بمفاخر البربر في المقدمة قال: «لو لم أخف أن تكون هناك نسخة أخرى، لحذفت هذا المدح لهم أو ما في معنى ذلك!؟». (مقدمة ابن خلدون).

وحتى مؤلف إبراهيم بن علي الحساني هذا، كان مخفياً إلى أن ذكره مؤرخ سوس محمد المختار السوسي، في خلال جزولة، ثم العثماني محند في رسالته الجامعية، وأنا بدوري كنت في تيزنيت في غشت سنة 1964م حيث أمدني فقيه بويزاكارن سيدي محمد بن أحمد المسراوي بمخطوط «نزهة الجلاس بأخبار بوحلاس» الثائر بأيت باعمران، بشرط أن أرده له في ظرف أسبوع.

ولما وفيت بالوعد بعد تلخيصه ذكر لي وجود مخطوط آخر، ذكر فيه أصل أيت باعمران، يوجد عند الطالب مولاي عبد الذي هو أخ للفقير الباحث مولاي عبد الرحمان في بويزاكارن الذي كان لا يسمع بخزانة بسوس، إلا زارها واطلع على ما فيها من النوادر، وكان يد المؤرخ الشريف ابن زيدان بكل ما عثر عليه بسوس. كما فعل الفقيه سيدي محمد بوزكر المانوزي في موضع أو بالأطلس الصغير.

وفعلاً، ذهبت إلى بويزاكارن عند مولاي عبد، في غشت سنة 1964م، أبحث عن المخطوط المذكور، فقال لي: «كان عندي ذلك المخطوط، لكن منذ شهرين أخذه مني إعاراً المقدم في قيادة طاطا يطلبه مني باسم القائد هناك، ليطلع عليه لمدة شهر، ولم يرجعه حتى الآن، والمخطوط فيه شعر الشاعر جمع بن إغيل بالشلحة، وهو معروف من طاطا، ومعه ديوان تاريخ زعيم باعمراني، الذي تنسب إليه كل هذه القبائل بما فيها لخصاص إلى إفران، وكانوا يدفعون له جباية، وزكواتهم كل عام كتمويل لقوة تجرس شواطئ أيت باعمران، من تسرب الأجنبي، والمخطوط في حجم ستة أحزاب من القرآن، أي حتى حزب قد سمع، وقد مر شهران ولم يرجع المخطوط. وهنا استفسرته حول ما تعلق بذاكرته، فسجلت ذلك بقلمتي.

وحتى الآن لم أعر على شعر ابن إغيل، ولا ما معه مما ذكره المطلع عليه مولاي عبد من بويزاكارن، وكم كنت حريصاً على أن أعر على الشخصية التي ينتسب إليها أيت باعمران، ولعل الأيام تجود علينا بما يلقي الضوء على هذا الجد الخيالي الذي لا يقبل الباعمرانيون الانتساب إلا إليه، فرجعت من بويزاكارن في حافلة سطات في يوم يقال في مثله:

فإن كان يومٌ في جهنم مدخلي ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

وسبب ذلك أن عطبا عطل الحافلة مدة في سهل مرغت بسهل لا ماء فيه ولا شجر، وكاد البعض أن يموت بالعطش لشدة الحرارة في انتظار الانطلاقة نحو تيزنيت، ومن الناس من غشي عليه، وأنا منهم، ولما وصلت إلى تيزنيت، قصدت دار حفيدنا الحاج إبراهيم مسنهو الباعمراني، فانطلقت مباشرة إلى تحت صنوبر الماء في أسفل الدار، فأطلقته على أم رأسي، فكان ذلك آخر عهد لي بالوعي، ولا أدري من نقلني إلى البيت، إلى أن استيقظت وحالتي يرثي لها، فتقيأت دماً، ثم لازمت الفراش ثلاثة أيام، وكم ضحينا من أجل الوصول إلى معلومة في مظانها، وحتى إذا تيسرت فبالنقل المباشر. ذلك من أجل إنقاذ وثيقة في آخر نفس من حياتها؟. وخاصة في ذلك الوقت.

ومن هذا القبيل اطلعت على «مخطوط كبير، وبخط مغربي واضح، لا نقص فيه ولا غموض، اعتني به غاية العناية، خال من تاريخ كتابته» خاص بتاريخ أولاد عمران في



دكالة، ويذكر أنهم من أيت باعمران الأصليين المتنقلين من الجنوب إلى الشمال منذ زمان، وذلك أن الحاج مبارك الباعمراني الخلفاوي المعروف بالشافور بمراكش سكننا في الدار التي كانت للداي ولد سيدي بابا، طلب مني أن أطلع على ذلك المخطوط الذي لا يبعد أن يكون مقبولا، لولا أنه حديث العهد خطا وورقا وخاليا من التاريخ ومن اسم واضعه وكتابه.

وفيما يخص ما ذكره مولاي عبد، هو من جملة ما ورد في ديوان قبائل سوس، وخاصة ما أشار إليه مؤرخ سوس من تعدد نسخ ذلك المصدر، إذ قال: «كنت رأيت نسخة من كتاب توظيف السلطان الذهبي على قبائل سوس الإتاوة المخزنية السنوية على عدد السروج التي ركب كل سرج منها على عدد الكوانين، تتبع فيه جامعه الفقيه إبراهيم بن علي الجزولي القبائل السوسية، ويذكر كل قبيلة وما فيها من عدد السروج، وعندني من الكتاب نسختان، وفيهما ألصقت أخبار تيزنيت»<sup>(39)</sup>، وكان هذا الديوان محتكرا إلى أن حققه صديقنا الأستاذ عمر أفا. وله كامل الشكر. تقبل الله مجهوده.

أما مخطوط بويزاكارن فمعه ديوان شعر جمع ابن إغيل المشهور، الذي لم يظهر حتى الآن، وشاع أنه كان يزور الأعيان في أيت باعمران صحبة الشاعر الباعمراني مبارك أموسى، وكلاهما يذكران أبيات متفرقة غاية في الشعر الأمازيغي، وقد حاولت العثور عليه في مكتبة ليدان بهولاندا فلم النجح.

وبما لخصته من مولاي عبد: «هو مخطوط في مجموعة من بين المخطوطات، وفيه أن هذه الجهة كلها من البحر حتى قمة الأطلس الصغير، أسندت لقائد باعمراني مجاهد، يدافع عن هذه الشواطئ، وكانت كل هذه القبائل، تدفع له الزكوات والأعشار من ماشيتهم، وفيه مجموعة أخرى منها ديوان شعر جمع بن إغيل بطاطا، وحجم الجميع حوالي ستة أحزاب حتى حزب قد سمع الله». (استجوابه سنة 1964م)

وفي سنة 1969م حقق الأستاذ عمر أفا ديوان قبائل سوس بمجهود لا مزيد عليه، لكن نسخه كانت ناذرة إلى حد الاحتكار، وفي هذا الديوان، ذكرت بعمرانة: أي أيت

(39) خلال جزولة، ج 2، ص 190.

باعمران التي أشار مؤرخ سوس إلى أنها قبيلة لمطة، لذلك سأخص هنا ما يربط قبائل سوس هذه، ثم نتابع البحث في المراجع عن لمطة التي هي أصل بعمرانة، وكيف اختفت لمطة؟ وكيف حلت بعمرانة محلها؟ ومتى؟ وكيف ولماذا؟

ونستفيد من هذا الديوان أن السلطة السعدية قامت بغزو جبال جزولة بقوة كبيرة العدد، ومدافع لا قبل للشعب بمقاومتها، «ثم وقعت فتنة عظيمة بيننا وبين البربر من طلوع الشمس إلى غروبها، وطلعوا لنا جبلا عظيما وهو جبل أغشتيم (أگشتيم) .. ويجري الدم فيه كالماء، ولم يعلم أحد عدد من مات فيه إلا الله تعالى، وذلك من طلوع الشمس إلى غروبها، ثم رجعنا لموضوعنا إلى الصباح». (نفس الديوان المذكور ص 14)

ويظهر أن هذه المقتلة من باب التخويف أكثر مما ذكر، إذ وقعت في أصعب مكان لا يمكن أن لا تصله قوة السلطة، وبما أنها وصلته وسفكت الدماء فيه بلا حساب، فما على غير هؤلاء المانعين إلا أن يخضعوا لقوة المدافع، التي لا يبعد أن تكون من بقية مغام وقعة وادي المخازن، وهي التي وحدها تستطيع أن تغزو مدخل أگشتيم، ذلك الخائق الذي زرته أنا بنفسني وتسلفته بالأربع لصعوبته، وعرفت تضاريسه ومنعه حتى على الراجلين. وعليه [فالعبارة بمرؤى الراوي لا يفهمه] ويصعب حتى الآن تسلق أگشتيم على غير أهله، أو الوعول التي تربت فيه، وكثيرا ما توصف شدة المعارك بالعنف، لتخويف الخصوم في جهات أخرى، كما أن الراضين هم أيت أصواب وحدهم، لذلك، فالمبالغة غير بعيدة عما ذكر، ومن شك فيما ذكرت، فليزر المكان وليحكم بنفسه على مبالغة قائد هذه المعركة، أو على الأصح مبالغة المؤرخ. الواردة في هذا الديوان: «وهكذا بعث لجميع أشياخ أهل سوس الأقصى عربا وعجما» فوقع إحصاؤهم لدفع الجباية هكذا:

- 1- حساب أشتوكن جبلا وفحصا ومن إليهم.
- 2- وأهل إداوتيمملت فهم ربع أسفل الواد ومن إليهم. قبيلة أمطن: (العيون).
- 3- ربع لأهل سمايئون ومن إليهم: (المرتفعات).
- 4- ربع لأهل الواد ابتداء من تازولت ومن إليهم حيث اليهود ومعدن الفضة.



5- ربيع أهل السطوح الميزاب تافراوت، ومن إليهم ويشمل أداي بكامله.

6- حساب أهل أمانوز ومن إليهم غالبا أما نـ وُزُر (حافة ممر القوافل).

7- ويليه قسمة سروج أهل واد النظيفين ومن إليهم أنصافن : حرّاس أعلى المرتفع. وغيرهم يسمّى أگنـ إيضيف أي المطلّ على محل الحراسة.

8- ويليه حساب هلاله (ألال ج إيلالن) أهل المرتفعات والمنحدرات ومن إليهم.

9- ويليه حساب إداولتيت ومن إليهم، وكل هذه الأسماء عريقة في القدم، ومع ذلك مازالت تحافظ على مدلولها اللغوي. وإن حاول المعربون خدشها.

10- ويليه إيمسگين ومن إليهم : إيمي سـئگي نـ : المدخل إلى ذاك المرتفع.

11- ويليه حساب بـعمرانة ومن إليهم (وهي كنية وليست اسما) من واد إفران، وفروع تيزلي، وأهل وأفقا، وأهل أغشتا مع أهل إيغشان، وأهل حربيل، وإداوئلال أيضا. كما ورد في الديوان، كل هذه القبائل بقيادة بـعمرانة.

هكذا ورد اسم بـعمرانة في الديوان المذكور في عهد السعديين، ولما انهارت دولتهم بالوباء الفتاك، صار أيت باعمران الركيزة الأساسية في نحلة تاكيزولت، بزعامه إمارة تازروالت، فتكونت إمارة إيلينغ، التي اكتفت بالإقليمية، إذ كانت إمارتها ما بين الصويرة إلى أفريقيا السوداء. معتمدة على نحلة تاكيزولت.

ولا بأس في فتح القوس حول مصطلح تاكيزولت وتاحوگات، عن صاحب المعسول عندما تعرض لحرب تارغنا في بسيت أنكيفا بجبال گوزولة : قال «فاحتشد كلا الفريقين بشيئته، فكانت كل القبائل التي تحمل سمة تاگوزولت في جانب إيلينغ، والتي تعانق سمة تاحوگات في الجانب الآخر.. والحسين أوهاشم، لم يضعف إلا عندما انقطع عنه البعمرانيون والخصاصيون وكل الذين يبادرون إليه عند الشدائد، ومع ذلك حاول بعض الخصاص فك الحصار عنه، في تازروالت، لكن سقط منهم ستة فرسان قبل دخول تازروالت...»<sup>(40)</sup>.

(40) السوسي إيلينغ، ص 279.

أوردنا هذا، استطرادا لنرى تشتت القوى الوطنية بين النحل من جهة، وبين الإمارات الطافحة في المغرب كله من جهة أخرى، ولم يستتب الأمر سياسيا إلا للدولة العلوية بمجهودات مولاي رشيد أولا، ثم تبعه مولاي إسماعيل إلى حين. لكن فكرة الدستور الوضعي لمنع الطامعين لم تنضج بعد في ذلك العهد، «وفي عام 1169هـ/1755م توجه سيدي محمد بن عبد الله لتمهيد سوس، فدوخها؟ وجبى أموالها، وولى عليها وقرر الحامية بتارودانت... ورتب الحامية بأگادير، ورجع لمراكش منصورا»<sup>(41)</sup>، ومصطلح سوس قديما شامل لجنوب المغرب الأدنى والأقصى. بما فيه لمطة بـعمرانة.

«وفي عام 1177هـ/1763م ثار أحمد الخضر بالصحراء، وأوقد نيران الفتن بها، فوجه هذا السلطان لعرب تلك الناحية في شأنه فقتلوه ووجهوا له برأسه» (نفس المرجع ج 3 ص 164) «وفي عام 1190هـ/1176م رحل هذا السلطان عرب تكنى ومجاط ودبّلال من سوس لسائيس، وأقاموا به نحو العام، ثم نقلهم للشراط، فهموا بالهروب، إلى بلادهم، ولما أحس المترجم بذلك، أمر الشاوية بالكون منهم على بال ومنعهم من المرور»<sup>(42)</sup>. فمتى إذن رجع مجاط إلى تيزلي بعد حصارهم في شمال المغرب؟ ويظهر أنهم انتهزوا فترة الوباء والاضطرابات بعيد وفاة السلطان محمد هذا، فرجعوا إلى موطنهم، والدليل على ذلك أن الخليفة أغناج في عهد السلطان سليمان، لما غزا تازروالت، وفر هاشم «فاستولى أغناج على مجاط كلها بتيزلي، فجمعت المؤون والمغارم المخزنية»<sup>(43)</sup>، ورغم استقرارها بتيزلي بواسطة صالح تازروالت، فإنها ظهرت وذكرت في عدة أماكن منها، في بداية السلطان الحسن الأول 1291هـ هكذا : «ثم وجه جيشه لقمع متمرده بني مطير ومن انضم إليهم وانخرط في سلكهم من العصاة كمجاط وبني مگيلد وأيت يوسي، فنالت منهم بعد أن كانت الحرب سجالا»<sup>(44)</sup>.

أوردنا هذا كله لاهتمام السلطة المركزية بالمغرب الجنوبي دائما رغم قلة المواصلات، وشساعة المسافات، إن لم نقل قلت الإمكانيات.

(41) إتحاف أعلام الناس لابن زيدان، ج 3، ص 152.

(42) الإتحاف، ج 3، ص 173.

(43) إيلينغ قديما وحديثا، ص 243.

(44) إتحاف أعلام الناس، ج 2، ص 153.



## نزلة السلطان السعدي بتانكارفا لبني بعمرانة :

نزل السلطان السعدي بتانكارفا على بعد 10 كلم من تيغزى. أما لائحة المرافقين لهذا السلطان في الحركة، فمنها بعمرانة والتكنة والعرب جملة إلى واد نول بثلاثين ألف فارس، وهذا ما يهمننا هنا. والتفصيل في مرجعه المذكور، ويظهر أن عمالة إقليم سيدي إفني حاليا، طبقت بنسبة كبيرة ما ورد في ديوان المنصور السعدي، تطبيقا لقاعدة الخلف، يرث السلف، فاقنعت كل هذه القبائل بهذا التكتل في الجهة العاشرة.

ولعل هذا الاختيار الاستراتيجي سيجي لكل إقليم تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية كما أكد جلالة الملك محمد السادس نصره الله أن بلورتها تركز على أسس أربعة : «أولها التشبث بمقدسات الأمة وثوابتها في وحدة الدولة والوطن والتراب التي نحن لها ضامنون، وعلى صيانتها مؤتمنون، فالجهوية الموسعة يجب أن تكون تأكيدا ديمقراطيا للتميز المغربي الغني بتنوع روافده الثقافية والمجالية المنصهرة في هوية وطنية موحدة» (مقتطف من خطاب جلالتة الثالث من يناير 2010م).

لما عجزت السلطة المركزية في عهد بني واطاس، استغل الزحف الأروبي ذلك الضعف، فاحتل موانئ المغرب انطلاقا من الشمال تدريجيا إلى الجنوب، ولما وصل الاحتلال البورتغالي إلى سوس، سقط حق بيعة الوطاسيين في نظر السوسيين، لعجزهم عن الدفاع عن الوطن. لذلك تكتلت جميع قبائل سوس، فأسست دولة السعديين، فكانت تيزنيت الواحة مركزا لتدريب مجاهدي قبائل الجنوب : لمطة وجزولة وولتيتة وما إلى ذلك، بينما كانت تارودانت مركزا لتدريب مجاهدي جنوب الأطلس الكبير وما والاها، وبهذا التجنيد القبلي وبإمكانيات محلية، وبإيمان الجميع بالدفاع عن الوطن، حرر الشعب الجيوب المحتل بسوس، كبداية لتحرير الباقي.

وهكذا كانت وطنية المغاربة فريدة من نوعها، إذ نهضت قبائل معتمدة على نظامها القبلي، وعلى عرفها الأصلي، وعلى مذهبها المالكي، فاخترت قيادتها بتضحياتها، مادام الهدف وطنيا واضحا للجميع، لكن كيف تكسرت قوة الدولة السعدية بعد ما طبقت سمعتها الآفاق؟ وانتصرت على أكبر قوة في وادي المخازن؟ من الجواب أنها قلبت ظهر المجن للمجتمع السوسي الذي أسسها كما يأتي :

1 - قال الفشتالي : «يقال إن أهل السوس، لما وضعت الحرب أوزارها، وسكن رجفان المغرب بالجبل الذي أرسى الله به أرضه من أمير المؤمنين عند مصير الخلافة إليه، أحصى كل قبيل من القبائل، ما أسأره الموت، واستجمه السيف، في حروب أمير المؤمنين (خليفة) مع المتوكل حولين كاملين، فكان جملة المفقود من العدد الذي أثبتوا به في دواوين الخراج، ستة عشر ألفا. (16000). واقتصرت على ما ذكرت ليدل دلالة الغدير على المطر»<sup>(45)</sup> وعبرة المؤرخ تكفي في الإحاطة بمرارة المآسي.

2 - «إجلابه على ابن أخيه المتوكل، وعلى جنوده بمضيق أساطس، في حروبه معه بالسوس» (نفس المرجع) وتلك معركة حصدت من الشعب ما لا يحصى !.

3 - تأثير جيوش الشرق الأتراك التي استجرها هو وأخوه المولى عبد الملك للمغرب، وكانوا أحد شوكته في الحروب السوسية، مما أنهك الشعب وحصد الشباب.

4 - «كات خمسة أعوام في عمر دولتي المتوكل والمعتصم التي نفقت فيها أسواق الفتن، وأظلم الجو فيها بالهراج في سائر أقطار المغرب، حتى تمنت الرعايا، واستنسر بغاتها، وطغى الجند الذي به قوام مائلها، فغلب فساده على صلاحه، وتعذر النفع به، وتعطل الخراج منذ سنين، حتى نفذ الطارف والتالد، وأقوت (افتقرت) بيوت المال من كل صفراء وبيضاء، وانتسفت مخازن الحبوب والأقوات، وأصبحت خاوية كأن لم تغن بالأمس، واستشرى الداء، وأعضل الخطب، وكاد سلك الدولة يتنسر، (يتشتت)، وذيلها يتقلص، جبر الله الصدع بأمر المؤمنين أيده الله، فشمز لابتداء الأمر من أوله، وتشيد الملك من أساسه» (نفس المرجع ص 39).

5 - تلك مأساة الشرق، وما يصدره للغرب من فتن، خوفا من أن يستقل عنه، اقتصاديا وسياسيا ومذهبيا، كما هو ديدن هذا الشرق منذ قتل إدريس ومولاه راشد، وتنافسوا على استلحاقه تارة بالشرق، وتارة بالأندلس، وثالثة بجعله معتركا لألقاب شرقية من متوكل ومعتصم وناصر ومأمون وغالب، والكل مغلوب، كأن الفكر المغربي عاجز حتى عن لقب مناسب. يفهمه المغاربة بدون تكلف ! فمتى ينتبه مغاربنا أجمعون إلى قول جلالة الملك الحسن الثاني : «إن المغرب محسود» ؟

(45) الفشتالي، ص 33.



6 - كان أمر سوس في بداية المنصور الذهبي كما قال الفشتالي : «وكان من أول ما صرف إليه همه من ذلك، ووجه إليه عنايته، بلاد سوس ومالكة (من نفس العائلة السعدية ؟) بما كان قطره منبعث الدعوة، ومطلع شمس الإمامة الكريمة، وقبائله أشد شوكة وأقوى عصبية، وكان شأنه في الانتفاض سهلا وحزنا منذ نهوض أمير المؤمنين منه (كان خليفة فقط) في عساكره لتشريد المتوكل عام 985هـ/1577م. وسار جيشه حتى إذا نزلوا بالسوس، صمدوا إلى جباله على جهة تاغراگری من بلاد أشتوكن، يتقصون تمهيد البلاد أرضا أرضا، وقبيلة قبيلة، ويجوسون بالعساكر خلال ديار الخوارج، وأهل الشقاق والعصبية، فاكتسحوا السرح، وانتسفوا الزرع، وخربوا العمران، ودمروا أرض المارقين تدميرا، حتى أذعن لهم جل قبائل السوس، ومدوا يد الانقياد للطاعة، واشرفوا على التمهيد واستكمال التدويخ، وبينما هم في جد من أمرهم، واقتبال من شأنهم، إذ عرض لأمير المؤمنين مرضه الشديد، فكتب إليهم يسترجعهم» (نفس المرجع ص 52).

ملاحظة هامة : تخص ورود أشتوكن وتاغراگری وتيغزى، فكلمة أشتوكن هنا تطلق على الفخذة المتنقلة كالغيش في عدة أماكن من المغرب، منها جزء من غرب الدار البيضاء، ومنها في سهل أشتوكن الحالية جنوب أكادير. «أما أشتوكن بتاغراگری هذه ففي أيت باعمران الحالية بتيغزى تعرف حتى الآن بإدواشتوك بأيت إخلف، عرفوا حاليا بإدبو الصابون : أي حرفتهم، ومنهم عائلة بوزگاو المتنقلة من هناك لضرر الحق بهم» (46).

- وفي تاغراگری هذه جرت تلك المعارك الخطيرة بين أكاديرين بوواغاض بتيغزى وأكادير أبوزيا بتيغزى، لكن لا ندرى تاريخ خرابهما ثم قال : «فاكتسحوا السرح، وانتسفوا الزرع، وخربوا العمران، ودمروا أرض المارقين تدميرا» (معارك عام 985هـ في عهد المنصور السعدي) وهذه إشارة واضحة دالة بشواهدها. لكن خراب أكاديرين قديم، إذ ورد ما يشير إلى ثورة غزولة على الخليفة عبد المؤمن الموحد. وذلك في عام 546هـ/1151م.

ومنها ما أورده البيدق : «ودفع (أي عبد المؤمن) عسكرا لعبد الله بن أبي بكر بن ونگي، وعبد الله بن فاطمة، وعمر بن ميمون لنول لمطة ... وهزم أيضا أك أنكي لمطة، (46) معلمة المغرب، ج 5. ص 1698 جهادي.

وساق غنائمهم، وضرب أهوكتار سلطان لتونة، ووجد الحسين بن سليمان صاحب تاغكيست (لعلها تاغجيغت) ووصلت الغنائم إلى مراکش، وبيعت بباب الشريعة الكزوليات واللمطيات والجمال والبقر والغنم، وفي ذلك العام، أخذ الخليفة في سهمه ثمانمئة ناقة» (47).

ورود كذلك «وارتدت (ثارت ضدهم) لمطة وقام فيهم نائر يسما بمحمد أمرگال، ثم ارتدت أيت ييغز : تبيغزى. في وسط تاغراگری، حيث يوجد أكادير بوواغاض للمرابطين الذي خربه أكادير لأبوزيا .. وفي عام 550هـ. 1155م. ووجه الصحرراوي بالتوحيد مع بني ييغز، ووحدت غزولة ... وعفا الخليفة عن بني ييغز وأعطاهم البركة» (48).

تنبيه : حافظنا على أسلوب البيدق ومفهومه المهدوي : مبالغاته كما قال، فكل من لم يخضع للموحدين فهو مرتد كافر، وفي «ذكر الاعتراف» استفتى عبد المؤمن ما جزاء من منع اللبن والماء ؟ فقالوا له يقصص. قال أحسنتم فيما قلتم، وقسم أشياخ الموحدين (القواد الكبار) وأمرهم بالسيف، وبتلك الفتوى قتل من ذلك الغزو اثنان وعشرون ألفا وأربعمائة وثلاثين فردا. (22430) من القبائل، وبذلك تم الاعتراف بحمد الله وعونه ؟!؟ على حد عبارة مؤرخ شاهد ولعياذ بالله. ألا يشبه ما ذكر هنا باسم فتوى الشيوخ ما نلاحظه في الهلال الخصيب اليوم ؟ فمتى يتحد العالم كله ضد من يتزعم الإرهاب ؟ ويفتخر بتخريب العمران، وتهجير أمواج الناس باسم الإسلام ؟.

#### أول زيارة لوسط أيت باعمران :

كانت «معرفة المولى الحسن الأول بهذه الأصقاع الباعمرانية، ترجع إلى الوقت الذي كان فيه وليا للعهد، فقد تحرك سنة 1283هـ/1866م لتأديب الحسين أهاشم» (49).

وتوغل مولاي الحسن كخليفة والده تاركا محلته الكبرى بقبيلة أشتوكن جنوب أكادير، فزار تاغراگری بتيغزى، ثم إلى ثلاثاء إصبويا، ثم إلى مستي، فقد كرزنا هذا

(47) أخبار المهدي بن تومرت البيدق، ص 77.

(48) البيدق بتصرف، ص 79.

(49) محمد الغربي الساقية الحمراء، ص 253.



لإزالة الخلط بين الروايتين حول رحلته عندما كان أميراً وهي الأولى، واللذين عندما كان سلطاناً لقطع أطماع الإسبان في تلك الجهة، لتعيين مراقبي السواحل في الأولى سنة 1283هـ. وتعيين قواد القبائل بأمزور في الثانية عام 1299هـ. ثم نزول محلته بتغزى في الثالثة عام 1303هـ ومنها إلى الصحراء. لحسم أطماع الأجانب هنالك، ويعد مولاي الحسن الأول من الملوك المغاربة المقاومين لأطماع الغرب طيلة حكمه : قانونياً وبقوة جيشه وتحركاته وبعلاقاته مع دول صديقة منافسة...

### ديوان قبائل سوس للمنصور السعدي :

يرجع هذا الديوان إلى عهد السلطان أحمد المنصور السعدي، لمؤلفه إبراهيم بن علي الحسّاني أو الجزولي، أما قبيلة لمطة - وإن كانت أصلاً من زناغة - فإنها من صميم قبائل سوس المستقرة في مواطنها، وفي ديوان المنصور السعدي، ما يدل على اتحاد هذه الكتلة البشرية تحت راية الدولة السعدية، ضد غزو الأجنبي الأروبي.

ففي عهد هذا السلطان السعدي، أسندت قيادة معظم قبائل جزولة إلى زعامة لمطة باسم بعمرانة لمكانتها وقدرتها على إنجاز أوامر المخزن المركزي، ومن بين قيادات سوس الكبرى في ذلك العهد : «بعمرانة، وأشتوكة، ومسكينة» (ديوان قبائل سوس).

لكن هذا الاستقرار المفروض، لم يدم طويلاً، لظهور الوباء بسوس عدة مرات، فخلخل النمو الديمغرافي في المغرب كله، حتى أهلك السلطة المركزية السعدية بشريا واقتصادياً وسياسياً، أفقياً وعمودياً، حاكماً ومحكوماً، بشريا وحيوانياً...

لهذا التأثير العميق، لم نعد نعث على أعلام قبلية، مثل لمطة وبعمرانة وجزولة، وتاگيزولت وتاحوگات إلا لماماً يسيراً، كما انتهى ذكر الأعراب في سهل سوس لهول الكارثة، إذ خلت الأقطار من كثافة أهلها عند مصب وادي سوس، وذلك ما يفسر انتشار المقبريات التي لم تدرس حتى الآن لمعرفة نوع ذلك الوباء الجارف.

وبعد مدة معروفة، تعرضت السهول الغربية عامة لهجرات الأعراب من بني معقل المبالغ في تكثيرهم وتأثيرهم كما قال ابن خلدون، ومنهم من يتاجر مثل أيت جرار مع

البرتغال حول تيزنيت، إلى أن أهلكتهم إمارة تازروالت، بحلف تاگيزولت التي «كانت مراكزها الأخيرة في إيليج، وفي تامانارت، وفي أكلميم»<sup>(50)</sup>، ومعنى ذلك حلف الأطلس الصغير بكامله، نعم من الخطأ أن تتاجر قبيلة جرارة مع البرتغال خارج الأمة المغربية، لكن يجب ألا ننسى الظروف الاقتصادية والسياسية لعهد تلك المتاجرة في سوس، فمن حيث الاقتصاد، قد كانت المجاعة تضرب أطناها، ومن حيث السياسة، قد انهارت الدولة السعدية بالوباء الجارف، فأين إذن السلطة الشرعية المركزية المحافظة على أمن البلاد والعباد؟ فالضرورة اقتضت، والحاجة قد ألحّت، وجيوب الشواطي قد احتلت، وأمير تازروالت بحاجة إلى رد الاعتبار، وله في ذلك مآرب أخرى كالدفاع عن حرمة العار، ومنها المال الذي هو عصب الدولة، والإمارة في بداية أمرها، وتحرير مرسى أگلو يبدأ من صادرات أيت جرار، وإحلاله محلها في التبادل مع الخارج.

### إجحاف إمارة إيليج في الضرائب :

أجحفت إمارة إيليج بمناصريها فنعتهوا بالأخطبوط الذي يبدأ بأكل أصابعه قبل أن يمتد إلى غيره، ولا عجب، فالإمارة بحاجة إلى المال، لتأسيس مرافق إمارتها، وقد عيب عليها ذلك الإجحاف، منذ امتلاكها الصحراء، وإن كان هذا الوصف من منافسيها الدلائيين، إذ قالوا : «ولما ملك الشائر أبو الحسن علي بن محمد بن الشيخ الولي أحمد ابن موسى السملالي بلاد الصحراء، «لم يترك لأهلها بيضاء ولا صفراء، وكان فظاً غشوماً، مبيراً ظلوماً، لا يحسن السير في طريق السياسة التي توصل إلى بيت الرئاسة»<sup>(51)</sup>، والمزيد في كتاب البدور الضاوية، في التعريف بالسادة أهل الزاوية الدلائية لسليمان الحوات المتوفى عام 1233هـ/1817م مع العلم أنه يجب الاحتياط من أقوال المنافسين السياسيين، وكل يكتب ويزكي لسانه من المؤرخين المتسييسين. - واللّهي تفتح اللّهي - . وويل لمن استعبده لسانه، أو صار إمعاً لا ظل له.

وإلا فمن رسالة رسمية من وإلى تازروالت عام 1040هـ «فشدوا أرواحكم في حياة البلاد، وطهارتها من كل غي وفساد، وعموم السعادة للحاضر منها والباد، وانتجدوا لما

(50) إيليج قديماً وحديثاً، ص 240.

(51) إيليج قديماً وحديثاً، ص 132.



يراد منكم من مشكور الخدمة أتم انتجاد، حسبما يعهد منكم ويعتاد، وإياكم أن تضيعوا في مقامنا العالي محل إثاركم، ومقر اعتباركم... لكن اتساع إمارة تازروالت منذ البداية، يدل على المسألة، لا على المعاركة والمقارعة» (نفس المرجع ص 1001) وبتساع الأقاليم، تعجز المراكز عن تلبية الأفاق.

ومن أقوال المجذوب : [أنف نسوس أك ور نسوس أزواس أيگاسوس] كثيرا ما تباغت الظروف القاسية المغرب الجنوبي، كما في عهد السعديين، وبعدهم الإيلغيين، ففرضت على المسؤولين عجزا يؤدي إلى إجحاف لا مبرر له، ومن ذلك تأثير الجفاف، ومصيبة الوباء الفتاك، فانهارت تازروالت أمام الحاجيات، فعم الإجحاف الأقارب والأبعد، ومن الطبيعي، أن يتخلى آيت باعمران والأخصاص عن مناصرة إمارة تازروالت، شأنهم شأن معظم قبائل الأطلس الصغير، بالإضافة إلى انقطاع مصادر معاش الإمارة، كتجارة الصحراء، وخاصة لما ثار عليها أهل سجلماسة. «والتقوا مع الأعراب المجاورين لهم مثل : دخيسة، وذوي منيع، والصباح، والمعاضيد، وأولاد غنام، وحميان، وأضرابهم، واتفقوا معهم على نبذ طاعته». (نفس المرجع)

لا شك أن الحاجة، هي التي جمعت كل هذه الطوائف من الأعراب المتقاطرين من الأفاق بمجرد ندائهم إلى الوليمة، ففعلوا بإمارة إيلغ أفعالهم، كما هو ديدنهم على حد عبارة ابن خلدون... وهكذا حرمت هذه الإمارة من مداخيل سجلماسة، ومن تدهور التجارة مع تاصوت القديمة عبر حاحة، فاشتغلت بالجدال حول النسب مع الدلائين والعلويين، فنشطت الفتوى بحثا عما جاز وما لا يجوز في بناء بيعة لليهود في إيلغ، بدلا من البحث في معالجة الأوضاع، والتفكير في بناء السدود ضد الجفاف، فتخلى عنها حمايتها، فانسحبت قوتها أمام إشراف قوة مولاي رشيد على تازروالت بدون مقتول ولا مجروح، إلا ما كان من محاولة أعراب الشبانات المنفردة بالعصيان ضد حملة هذا السلطان العلوي عند نزوله في سهل أكادير، إلى أن انهزموا أمامه وانفضوا من حوله.

يمكن للجفاف أن يزول بغزارة الأمطار، كما يزول تأثير الوباء بازدهار الحياة عامة، لكن من الصعوبة أن تجدد السلطة جيشا في مستوى حماية الوطن الواسع، وبالأحرى

رد الاعتبار للإمن في الداخل والخارج، والإمارة قد استهلكت قوتها في النمو الديمغرافي في سهل سوس وسجلماسة، وإعداد الجيل يستغرق ثلاثين سنة.

والعبرة بالسعديين الذين «كونوا جيش الوداية الذي يشمل قبائل أهل سوس والمغفرة والوداية، وهي عبارة عن جاليات عسكرية، إلى أن ارتأى المولى إسماعيل إنشاء قوة أخرى من عبيد البخاري مدة حياته»<sup>(52)</sup>.

نعم : أعاد هذا السلطان العلوي نفوذ المخزن السعدي النهار، لكنه سرعان ما تلاشى بدوره «بسرعة غريبة بعده، فانفصمت العروة بمثل نفس السرعة، وذلك بالوباء الذي فشا في سوس كثيرا من سنة 1006هـ إلى أن مات بسببه السلطان السعدي نفسه، ولم ينقطع إلا بعد سنة 1016هـ» حيث نزل الذي ينسف الأقطار، ويجرف جرف السيول والأمطار، فلم يدع بيتا إلا صدعه، ولا بابا إلا قرعه، ولا جمعا إلا فرقه، ولا داخلا إلا طرقه، حتى اغتال الملك المنصور، وكل أسد هصور، فكسد سوقه، ومطلت حقوقه، وتعطلت مصادره وموارده، وطمست سبله ومعاهده، فركب أهله الهوان، وشملهم الخذلان»<sup>(53)</sup> يالها من مصيبة نستك منها المسامع، وتنهذ من هولها المصامع والمقالع، حفظ الله مغربنا من ذلك.

#### آيت باعمران مع لف تازروالت :

«كانت جزولة أحد أفخاذ البربر القديمة، وقد عرفت بهذا الاسم من قديم جدا، وكانت كل هذه الجبال التي نسميها إداولتيت اليوم مواطنها إلى آيت باعمران التي تسمى موطنهم قديما ببلاد لمطة، وهي من الجزوليين، وقد كانت هذه البلاد تسمى في التاريخ ببلاد جزولة، أعني جبال ولتيتة، وذلك في أواسط القرن الخامس 445هـ/1053م حين دخل الملتمون إلى سوس، فكل من كان في هذا الفخذ الجزولي فهو جزولي». (نفس المرجع ص 238).

«أما حربيل، فقد ورد ما يدل على أنهم جاءوا من المشرق قبل الاسلام ! ؟ ولكن يظهر أن ذلك ليس بشيء، لأن لسانهم الذي تمالأت عليه قبائلهم، يحكم بأنهم أفخاذ

(52) جون واتربوري ترجمة عبد الغني أبو العزم مع غيره، ص 60.

(53) إيلغ قديما وحديثا، ص 33.



من البربر، وقيل - ولم يعثر عليه بعد - عن المسعودي في مروج الذهب، أن حربيل من قبيلة جالوت الفلسطينية ! لاحظ كلمة قيل ... وذكر من قبائل البربر «نحو ثلاثين قبيلة من قبائل البربر : كهوارة وكتامة ومصمودة ولطة ونفزة، أما حربيل هذه فلم يتعرض لها». (نفس المرجع ص 239) والقولة التي لم يعثر عليها، ولم يعرف قائلها، هي التي يحاول قائلها دائما ترويجهما على أصل البربر في شمال أفريقيا، والمسعودي لم يذكر ذلك، وحتى إن ذكره فالأعلام الجغرافية والبشرية والتاريخ كلها لا تقبل مزاعم من أراد أن يلحق الأمازيغ بغير وطنهم تامازغا : شمال أفريقيا.

وبما أن تاريخ علاقة العنصر الفرنجي مع شمال أفريقيا معروف وغير بعيد، فمتى تكونت هذه اللغات البربرية التي نرى أسماءها في الأرض والسماء والنبات والحيوان والتضاريس والبحر وأسماء السمك وأدوات الصيد البري منه والبحري، وأسماء المراسي (أفتاس) والأشياء الأخرى، كصور من عمر وطن تامازغا منذ ما قبل التاريخ؟ هذه شواهد من تاريخ واجهت تشكيكات من طوحت بهم طوائف الزمان، لكي ينفي الأصل الأمازيغي، ولكي يجد موطن قدمه بقال وقيل ويقال ..

فهاهي مسألة حربيل رفضها مؤرخ سوس المختار السوسي، إذ ليست إلا من متناقضات تاحوگات وتاگيزولت، ومن مخلفات بين غالب ومغلوب، فجعلوهم من قبيلة جالوت بفلسطين، لكي يكون دائما للشرق سبب في التدخل في وطن تامازغا بشمال أفريقيا. وها هي فكرة [الغرب الإسلامي أعلنت حاليا] تطل من جديد تحت شعار : إما أن نحكم العالم أو نقتله ! ولولا تكتل العالم اليوم لفسدت الأرض ومن عليها، لكن بفضل تقدم التكنولوجيا، صارت الكرة الأرضية تحت مجهر لا تخفى عليه خافية، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر..

في طي كل نقمة نعمة :

أكرم الله شمال أفريقيا بموقع وسط بين أقطار العالم، وأنعم عليه بمناخ البحر الأبيض المتوسط ذي الفصول الأربعة، وهو مهبط الديانات ومنشأ الحضارات، فانعكس ذلك

إيجابيا على تفتح أجداد المغاربة، بقدر ما كان هذا الوطن جذابا بفضل طبيعة غنية في جميع المستويات، معروفا بموقعه عبر التاريخ وبأطلسه المعمم كرأس قارة أفريقيا مهد الإنسان القديم، منذ وجد الإنسان المنتشر في العالم، لكن هذا الوطن الجميل محسود، وعلى أبنائه الصمود، كما عرف عنهم الدفاع المعهود، إلا أن تلك «المدنيات المتتابعة التي طرأت عليه من الخارج، لم تكن بالنسبة إلى الأمازيغ إلا ثيابا متنوعة تستر جسدا وروحا لا يتغيران»<sup>(54)</sup>، يا لها من حقيقة توصل إليها هذا المؤرخ بفكر ثاقب ! فما هي نسبة من أدرك هذه الحقيقة المغاربية من شبابنا المهاجر ؟

صحيح أنه من الصعب أن توجد دويلة في هذه الدنيا خالية من نسبة الدخيل، لكن هذه القاعدة قد يبالغ فيها البعض بالنسبة لشمال القارة الإفريقية من النيل إلى المحيط الأطلسي، إن لم نقل من بحر القلزم (أكلزيم) أليست هذه الكلمة أمازيغية؟ أليس الشكل الجغرافي كصورة لهذه الآلة؟ ومن أراد المزيد فليراجع ابن خلدون.

نعم : أنفق المؤرخون مدادا من أجل إحصاء دفعات خارجية مبالغ فيها، لكن دون أية إشارة منهم إلى إحصاء الأصل الأمازيغي في وطنه تامازغا، بينما يكرسون ذكر الفينيقيين والهنديين واللاتينيين والوندال والأتراك والعرب والزنوج، وكلها عدد ضئيل جدا، فقدر الوندال يثمانين ألفا، ومجموع الجيوش المرسله من الشرق في القرنين : السابع والثامن مجموعها مائة وخمسون ألفا (150000) قد أتت المعارك على معظمهم.

كما تعب الأنتروبولوجيون في الوصول إلى صنف نموذجي لهذا المغاربي الأصيل في وطنه منهم pertholon ثم : chantre. وعدّ البعض عمل هذين من أفضل ما أجري حول مجموع السكان، لذلك اعتمد المؤرخون إحصاء الأقل الأجنبي، من بين الأغلبية الأمازيغية الأصلية بدعوى «أن البربر لا حصر لهم وهم جذام الأرض» كما يعبر عنهم العرب عندما يهزمون، وبعد ذلك يزعمون أن الكل منهم وإيهم، قدموا قديما من الشام أو من اليمن؟ فإن أعوزهم الدليل، قولوه ودبجوه بشعرهم ونشروه، ثم كزروه ليحفظ وهم عاجزون عن إثبات أصل كلمة «عيريبًا» لهم على حد أبي التاريخ التوينبي الإنجليزي في تاريخ السومريين.

(54) شارل أندري جوليان تاريخ أفريقيا الشمالية، ص 65.



## انطلاقة الدولة العلوية :

من المعلوم أن معظم الدول المغربية نشأت من الجنوب، ومنها الدولة العلوية انطلاقاً من سجلماسة أولاً، حيث بويح محمد بن الشريف، ثم أخوه رشيد، ثم أخوهما إسماعيل، وهؤلاء الثلاثة، هم الذين أسسوا الدولة العلوية، وتبثوا دعائم الوحدة المغربية، بعدما أصيبت بتوزيع الطوائف. نعم، كانت وضعية المملكة المغربية في نهاية السعديين، لا تقل شتاتاً عن تمزيق الأندلس، فأنقذها يوسف بن تاشفين المرابطي، ومع ذلك كتب الشقندي في رسالته عن يوسف بن تاشفين هذا : «لولا توسط ابن عباد لشعراء الأندلس في مدحه ما أجروا له ذكراً، ولا رفعوا الملكة قدراً، بما يدل علي غرور هؤلاء الأدباء المستعربين، كأن أقدار الممالك والدول منوط بهم، يرفعون ويخفضون ويعزّون ويدلّون، ومن زعمهم أن المرابطين كانوا شعباً خشناً بدوياً محارباً لم يأخذ من رقة الحضارة وتهذيبها» (levi provensal حول المرابطين) ولو أنهم عرفوا البيئة الجغرافية لجنوب المغرب ووطنية أهلها وغيرتهم على الدين والوطن، لما افتخروا بالتغني بالقين وربة العنب حتى حل بهم غضب استحقوه، ومكر ابتدعوه، فتنازعا فيما بينهم فقبلوا وذهبت ريحهم.

وقد كانت حالة النظام في المغرب بعد السعديين موزعة بين الرؤساء والأمراء في كل إقليم، إلى أن وحدها السلطان رشيد العلوي، انطلاقاً من المغرب الجنوبي، فهل يقال كذلك لكل من وحد المملكة المغربية غير متحضر؟ كما أرخ ذلك أحمد شوقي في مسرحيته التي مثلتها فرقة فاسية في مراكش، وضريح ابن تاشفين غير بعيد! ولم يخفف من تلك العنصرية إلا قول شاعر الحمراء رداً على من لا يفيد ولا يجدي، وقد «أفتى أبو الوليد ابن رشد لعلي بن يوسف بتغريبهم (الأندلسيين) وإجلالهم عن أوطانهم، وهو أخف ما يؤخذ به من عقابهم»<sup>(55)</sup>، والمزيد في رد شاعر الحمراء بعد العنوان الآتي :

أ أحمد شوقي للقوافي رجالها \* كآنت وللتاريخ ذوا الأخذ والرد  
يعز علينا القصر يفقد مجده، ويضحى ابن عباد فيه شامخ المجد  
ولكن لدين الله دين محمد، نضحى بعباد ومن لا يفيد ولا يجدي

(55) وثائق تاريخية جديدة، ص 20.

ومن قارن عصور تاريخ المغارب، فسيجد سرا كامناً في مؤسسي ممالكه العظمى كنموذج أكليد ماسينيسا، ويوسف بن تاشفين، وعبد المؤمن بن علي، ومولاي رشيد العلوي، ومحمد الخامس ملك الاستقلال، والحسن الثاني مؤسس المغرب الحديث، وملك النهضة المغربية النموذجية جلالة الملك محمد السادس. نصره الله.

ومن حق العظماء أن يسجلوا ويعظموا، أفراداً كانوا أو جماعات، فمن ينكر دور أيت باعمران، في حلف جزولة الذي كون مملكة تازروالت لمقاومة الأجنبي؟ فقامت بالواجب، إلى أن أجهت إمارتها بضرائبها على من نصرها بالأمس، إلى حد تغريم من نزل في ظل شجرة في الصيف - كما يقول خصومهم - ! لذلك انفض عنها أيت باعمران إن صح ذلك، فانضموا إلى حركة مولاي رشيد عندما نزلت محلته في موضع بويفورنا وسط أيت باعمران، فاتجه إلى الشرق إلى أن أطل بقوته على تازروالت، ففر من بها أمام قوة مولاي رشيد<sup>(56)</sup>، وهذا المسار يخالف طريق هذا الأمير عبر إغير ملولن الصعب، كما ورد عند مؤرخ سوس، هذا استطراد لا بد منه، كرواية منطقية لهذا المسار، ويحتاج إلى مزيد من البحث، ومن يبحث يجد.

وفي عام 1094هـ نهض السلطان مولاي إسماعيل من مراكش لمحاربة ابن أخيه أحمد بن مخرز، إذ تحصن هذا الأخير في تارودانت، فطالت الحرب حتى نالت من الطرفين مادياً ومعنوياً، إلى أن أعاد السلطان حصار تارودانت من جديد سنة 1096هـ فاستمر ذلك إلى أن فتحها سنة 1098هـ. قال الناصري : «ثم دخلت سنة تسع وتسعين وألف (1099هـ/1687م) فيها قفل السلطان من سوس، فدخل دار ملكه مكناسة واستقر بها، وبعث إلى عامل فاس أن يخرج من بها من أهل الريف إلى تارودانت، بقصد عمارتها والسكنى بها»<sup>(57)</sup>.

## السلطان مولاي إسماعيل بسوس :

وقد اهتم السلطان إسماعيل بالجنوب، حيث عين إخوانه الثلاثة : المولى الحران، والمولى هاشم، والمولى أحمد، لكن تحزبت قبائل أيت عطالهم عام 1089هـ/1678م. «فنهض السلطان بمحلته إلى سجلماسة أولاً، ثم انعطف غرباً حيث التقى بإخوته عند جبل صاغرو،

(56) حمدي أنوش محقق روضة الأفتان.

(57) الاستقصا، ج 7، ص 69.



وشتت أتباعهم، ثم توجه إلى سواحل سوس، وانحدر إلى جنوب درعة، فأضاف تلك النواحي إلى أباته، فصاهر كبار رجالاتها» *massart un voyage botanique au Sahara* (58).

وقد توافد على السلطان أمراء الجهات الصحراوية ورؤساء القبائل بها، فوزع عليهم ظهائر إقرارهم، في مهامهم وظهائر الاعتبار والتوقير، من قبائل تكنة إلى أدرار إلى أقصى الجنوب، ثم قسم السلطان المملكة إلى خمس نواحي، منها درعة، وعليها ابنه المولى عبد الملك، وسوس لابنه المولى محمد العالم، فلماذا لا تدرس هذه الأعمال في المدارس الابتدائية لشباب اليوم؟ فمتى انفصل جنوب المغرب عن شماله يا من يود خلق جمهورية وهمية ويعاكس التاريخ بغرس فتنة في المغرب الجنوبي؟! .

وفي عام 1111هـ/1699م فرق السلطان إسماعيل أعمال المغرب على أولاده، فعقد لابنه المولى محمد المدعو بالعالم على إقليم سوس، ورتب معه ألف فارس (59). والمقصود بسوس هنا، هو ما اشتمل عليه حكم تارودانت ممتدا إلى الجنوب، بما فيه جزولة والساحل وبوعمرانة والصحراء، كما سنرى في مراسلات الأمير محمد العالم الذي يجمع هذا الجنوب، لكي يرد الاعتبار لعاصمة سوس تارودانت، في انتظار الصدع بطموحاته، وفي رسائله قبس من شخصيته: إذ في عام 1114هـ/1605م نازع أخاه عبد الملك على درعة، فأعلن نفسه سلطانا. لكن «أنزل عليه والده أعظم عقاب» (60).

وكثيرا ما كانت درعة ومشارف الصحراء مرتعا للاضطرابات؟ منها تطلع أبو النصر بن إسماعيل إلى الحكم، عام 1123هـ/1711م. ولما فشل احتفى بأولاد دليم، لكنهم قتلوه، وفي الرسائل الآتية ما يلخص لنا أوضاع مشارف الصحراء المزعجة للسلطة المركزية لظروفها الخاصة:

1- رسالة إلى الأمير المأمون: عام 1110هـ/1698م «أما بعد فاعلم أنه لا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة، وما له أدنى معرفة بالأمر، .. وأنت لا يخفاك ما كنا عتبناه عليك من عدم كتبك إلينا، ولا تألوا جهدا في ارتكاب ما يحمل سماعه عنك، ولا تقصر في أعمال ما يحمد صدوره منك، ورأيناك تعتذر بالعرب وتشتكي منهم؟ وقد ارعوى الناس

(58) أحمد الغربي الساقية الحمراء ووادي الذهب، ص 214.

(59) الناصري الاستقصا، ج 7، ص 89.

(60) الاستقصا، ج 7، ص 91.

كلهم وأنابوا إلى الله سبحانه وتابوا واطمأنوا وسكنوا، وهم مازالو على حالتهم من الغي والضلال والفجور والبخل والجبن والنكول حتى عن عدوهم» (61) والرسالة طويلة، والمغرب دائما في صحرائه..

2- الرسالة الثانية إلى نفس الأمير: أضافت عليه غضبا إلى غضب، رغم أن السلطان خاطبه بقوله: «كبرناك على من كبرناك عليه منهم، واخترتناك للولاية دونهم، وأضفنا لك بلاد الفاتحة، وبلاد درعة وبلاد توات، وبلاد تـكـرارين.. وتأمل هل أنت من الرجال الذين يسوسون الأقاليم؟ أو من الذين يحسنون التدبير حتى في أنفسهم؟ وعرفت أنك ساقط المروءة، ليست لك همة، وهل اليهود الذين يكونون تحت الذمة يقتلهم الرجل؟ ولا يحل قتلهم، ولا نهب مالهم، ولا يقتل منهم إلا من قتله الشرع، ولا تؤكل أموالهم إلا بواجبها» (نفس الرسالة يا لها من غيرة!).

3- رسالة عتاب إلى نفس الأمير عام 1113هـ منها:

«وأنت لم يعجبنا في هذه الساعة أكثر أحوالك، وغالب تصرفاتك وشؤونك، مع علمك بأن أولئك الأعراب الذين توجهوا للغزو كثيرا ما أكدنا عليهم وحرصناهم وتوعدناهم، كتبنا لك بذلك، ونحن نتشوف إليهم، وأولئك الأباليس أولاد دليم قبيلة كبيرة، وخذينا الشيخ محمد بن أبي بكر الدليمي السناني اليعلاوي هو من كبار أولاد دليم، ومن خيار إخوته، ودائما يتعهد ركبنا المبارك، على عادة وجوه العرب وكبارها وأعيانها وساداتها في القديم وفي الحديث» (نفس الرسالة) ما زالت عائلة اليعلاويين هؤلاء في إصبويا ببعمرانة بهذا الاسم وبهذه الشنونة حتى الآن.

4- الرسالة الرابعة: توجيهات تقوي من عزيمة المأمون، وتأمره بكبير شوكة أصحاب الفتن من أولئك الأعراب ولو بالحيل، وخاصة ذوئلال وأولاد دليم أصحاب الإغارات، «فإن أولاد دليم يهلكهم الله لا محالة، وسبب هلاكهم هو ما ارتكبه من معاناة حق الله تعالى، وهذا الجذب الذي سلطه الله عليهم، وهؤلاء هم الذين خربوا زاوية إجاوان بأيت إخلف، وصادروا أعشارها ولم تعمر بعد ذلك..

(61) أحمد الغربي، ج 1، ص 220.



بذل هذا الأمير مجهودات جبارة، لكي يوحد قبائل سوس بكاملها، حتى «إنه اتفق مع قبيلة مجاط المحاصرة بالقبائل في تيزنيت بالآطلس الصغير : لينزلوا إلى أزغار ضد قبيلة ولتية المعادية له، وللتحرك يمينا وشمالا، ويذهبون ويرجعون أينما أحبوا، فإن هم وقفوا بما ذكروا فذاك المطلوب منهم، وإلا فيدنا بحول الله وقوته أطول عليهم وعلى غيرهم، أما الآن فلا تتعرضوا لهم، ولو بكلمة واحدة، حتى ننظر ما هم صانعون، لكن ولتية كُنْ في أمرهم على بصيرة، وشد اليد عليهم، وبالغ في البحث عنهم وطلبتهم أينما قدرت عليهم، وإياك والتقصير في مسألتهم، في الثالث من ذي القعدة عام أحد عشر ومائة وألف» (الطابع محمد بن إسماعيل).

- يطلق أزغار على السهل حول واحة تيزنيت من بونعمان إلى ماست، ومن ويجان إلى المحيط الأطلسي ممتدا إلى الجنوب، مما يسمى بأساكا ند علي أعمر، وأساكا أبلاغ، وهذا المجال قديما لقبيلة إداولتيت أصلا، إلى أن حاولت إمارة بودميعة فرض سلطتها غربا، وباستغلال ولتية له تقوت، وهي من أكبر خصوم مجاط، والهدف من نزول مجاط إلى أزغار، ليكونوا ضغطا على ولتية، وليتقوى بهم الأمير محمد العالم في تارودانت عند رحلاته نحو الجنوب. لكن ولتية لا تقبل وصول مجاط إلى حقولهم في أزغار، وهذا ما سيوحد أهل هذا الساحل الذين حول تيزنيت لرد الفعل المكبوت فيما بعد في المعارك الآتية.

لأن القبائل الأخرى التي تحيط بمجاط ؟ لا تسمح بذلك، وخاصة في طريقهم إلى أزغار، مثل قبيلة أيت الرخا وقبيلة الخصاص، وقبيلة تازروالت، وقبيلة أيت جرار، وقرية الدهائر وويجان، مع العلم أن هذه القبائل لم تأمن من مجاط في يوم من الأيام، ثم أين أيت باعمران في ذلك الوقت ؟ ومعهم الخصاص وأيت بوياسين ومنهم يتكون أمقون كبير وحلف عظيم. ؟

أثارت قبيلة ولتية الكبرى الجبلية السهلية المتكتلة الحصينة رغبة الأمير محمد العالم بن السلطان إسماعيل في تارودانت، حيث أحاطت به مجموعة من الشعراء

الذين يسلبون العقول ببلاغة الألفاظ، ويرفعون المخاطب إلى عنان السماء، فصارت سمعة تارودانت في عهد هذا الأمير، أصعب من أن تسع طموحاته ورغبات من حوله من الشعراء، حتى تحدثت بهم فاس ومكناس، بل أنذرت بطموحاته اللامحدودة.

وقد تكون قبيلة ولتية هي التي لم تنضم بعد إلى ذلك التيار الجارف، مع العلم أن أيت باعمران كانوا مع حلف إداولتيت، واستمر ذلك بينهما حتى في عهد هاشم التازروالتي، فهل هذا الحلف ما زال يخضع وحده لأمير المؤمنين مولاي إسماعيل بمكناس ؟ وهو يرفض الطاعة لمحمد العالم بتارودانت ؟ لتعدد انتفاضات إخوانه في الجهات الأخرى من المملكة الواسعة، مع صعوبة المواصلات ؟

لذلك لم يفتر هذا الأمير برودانة يعمل بعدة وسائل، حتى خضعت له قبيلة ولتية سلما بواسطة الداهية القاضي أمزغار : أصل الكلمة إيْمُوزاغار، حيث مسكن هذا القاضي وباب الأطلس الصغير، حيث ترد عليه رسائل الأمير تشرى. هكذا :

الحمد لله وحده. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

«إلى الفقيه النبيه القاضي النزيه، الأرضى الماجد، المرتضى، أبي عبد الله السيد محمد أمزغار سددك الله ورعاك، وأخصب بمنه روض مسعاك، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته عن ود ثابت، واعتقاد جميل ثابت، هذا ولتعلم حفظك الله أنا كتبنا كتابا لجماعة ولتية وكافة قبيلتهم ها هو يصلكم، فنأمرك أن تقرأه عليهم وتقرع به أسماعهم، وتبينه لهم حرفا حرفا، وفصلا فصلا، وتوعظهم مع ذلك وتحذرهم وتذرهم وترشدهم إلى طريق الحق، وتردهم إلى الطاعة، ولا تألوا جهدا في نصحتهم، فإننا والله ما نعتقد فيك إلا كمال المحبة وخلوص النية وصفاء الطوية، ولقد أمرنا خدامنا أن ينفذوا لك ... غرارة من الزرع بأزغار لتستعين بها على ضرورياتك، ووجهنا ولدنا في حفظ الله راشدا كما يجب، ثم اعلم أن لنا بك أغراضا فلتقدم إلينا لنتكلم معك في أمور ولا تصدر من حضرتنا العلية بالله إن شاء الله، إلا كما تحب، وبجميع ما تحب، قرير العين، منشرح الصدر والسلام». في الحادي والعشرين من المحرم سنة اثني عشر ومائة وألف (1112هـ/1700م).



أول رسالة إلى القاضي أمزوغار باسم محمد بن إسماعيل أمير المؤمنين الله وليه عليك توكلت يا عالما بحالي . منها :

«إلى محبنا الأَرْضِي السيد محمد بن أحمد أمزوغار سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد : فقد ورد علينا كتابك وقرأناه وعرفنا ما ذكرت فيه مما وقع من الفتنة بين محبنا السيد مومن بن أحمد، وبين تلك الطائفة القذرة أهل إيليج، والآن فها نحن متوجهون إليهم إن شاء الله دون شك ولا ريب، ولا نقدم أهلا على مسألتهم شيئا ولا نرفع اليد عنهم حتى لا يبقى لهم بحول الله وقوته ذكر. والسلام. في السابع عشر من رجب الفرد عام اثني عشر ومائة وألف» (1112هـ / 1700م).

وقد غضب هذا الأمير وعزم على ألا يبقى لخصومه ذكرا، مع أن تلك المساواة يمكن أن يستغلها الخصوم، إذ ليس لهم خيار، فإما الدفاع حتى الرد، وإما الفناء النهائي، وعادة لا تفيد هذه الإثارة في البدو، بل يستغلها رؤوس الفتنة فتأتي النتيجة على غير المراد، كما تكرر ذلك في قضية بسيطة، كقول الباشا حيدة بن ميس ضد أيت باعمران إذ قال : «سأمحيهم من الوجود» فإذا بهم تغدوا به قبل أن يتعشى بهم، وتلك فتنة لا تستحق الذكر، والهدف من ذكر ذلك ألا يتكرر، والحرب أولها الكلام.

### رسائل إلى القاضي أمزوغار منها :

إلى محبنا الأَرْضِي القاضي الأجل أبي عبد الله السيد محمد بن أحمد أمزغار سلام عليك ورحمة الله وبركاته عن الخير والعافية وبعد فقد ورد علينا كتابك وقرأناه وعرفنا ما اشتمل عليه من أوله إلى آخره وألقانا .. كتبنا لك كتابا صحبة السيد محمد بن سعيد الكارحي ... وأما ما ذكرته لنا في شأن تلك القبيلة الوليتية، فقد فهمنا ذلك كله وعرفناه، وها نحن كتبنا لهم كتابا صحبة المذكور، بعد أن ألح علينا في كتبه إليهم غاية الإلحاح، وكتبنا كتابا آخر لأهل وِجَان، زيادة في تأنيبهم واطمئنان قلوبهم، وقد كتبنا لك هذا المسطور من أيت وادريم، بعد وصولنا لدار خدينا على بن موسى الوادريمي : تعريب الرِّيم (أسيف أوهارموش) متوجهين إن شاء الله لإيليج، وليس عندنا إقامة واحد، وهذا الكتاب الذي ذكرنا لك أنا كتبناه لوليتية قد بسطنا لهم القول فيه، وإن كانوا لا

يلبثون على حال ولا يوفون بعهد، أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون، إن هم إلا كالانعام، ولم يبق بيننا وبين ولتية اليوم إلا أن يصنعوا لنا واحدة من ثلاث : إما أن يتكفلوا لنا بإيحيى وإبراهيم ويأتوا إلينا حيث قالوا إن إخوتهم من أهل إيليج، ولا يمكن التعامي عنهم، وليأتوا شفعاء فيه، وليقدموا لذلك أعيان نفاليسهم وطلبتهم ومرابطيهم مصحوبين للمصحف الكريم وللبخاري ولكسوة السيد أحمد بن موسى، ووالله إن أتوا لنا به لا نصنع له إلا الخير، ولا رجوع من عندنا إلا كما يحب إن شاء الله، ونرجع نحن لدورنا إن شاء الله، وإما أن يخلوا بيننا وبين تلك الخربة إيليج ويجلسوا بدورهم ويكفوا أيديهم نصنع فيهم ما يظهر لنا، فإما أن نستبيحهم جميعا، أو نعفو عنهم جميعا، أو نؤاخذ البعض ونعفو عن البعض. وإما فليتعرضوا لنا جميعا ويتصدوا لمحاربتنا وقتالنا، والظن بالله سبحانه أن ينصرنا عليهم ويظفرونا بهم، ولا نصنع مع ولتية غير ما ذكرنا، وعجل لنا حفظك الله برد الجواب عاجلا والسلام. في الخامس والعشرين من شعبان عام 1112هـ / 1700م.

وهاهي محلة الأمير عازمة على حل مشكلة قبيلة ولتية التي هي حامية لزاوية إيليج، وهي القوة الضاربة والممر الخطير نحو تازروالت . لكن خطاب الأمير في رسالة إلى أمزوغار، قد مزج فيها بين الوعد والوعيد، وبين الرجاء والخوف، مع محاولة فك الرابط بين القبيلة وزاوية إيليج التي مازالت تحلم برد ما كانت عليه قبل إطلالة مدافع مولاي رشيد على تازروالت. ولكن هيهات ؟

أشرنا سابقا إلى أن أيت باعمران كانوا مع قبيلة ولتية، كما نص على ذلك صاحب المعسول، وأن قوة تازروالت منذ البداية كان في مقدمتها «بُعمرانة يعسوب جزولة» إلى أن تخلوا عن إيليج بسبب تهافت سلطتهم. ومعاملاتهم فتخلى عنهم مناصروهم، ومن ذلك نزول السلطان رشيد بمحلته في بويفورنا بأيت باعمران، لكي يهاجم تازروالت من جهة الغرب، أي من أيت باعمران.

رسالة إلى أمزوغار منها : «إلى محبنا الأَرْضِي السيد محمد بن أحمد أمزوغار سلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد : فاعلم أنا قد أخرجنا أخيبتنا وضربنا محلتنا على وادي



سوس يوم الكتب تاسع ذي القعدة عازمين على التوجه والتقدم - إن شاء الله - لوليتية، ولا نرفع اليد عنها حتى تفيء إلى أمر الله ونصيرها كغيرها وسائر قبائل سوس إن شاء الله تحت وطأة القهر منقادة للنهي والأمر، وكل من جاءنا منهم فلا نصنع له إلا الخير، ولا نطالبه بما يكره، ومن تمادى منهم على غيه وضلاله، فو الله إن شاء الله لأتبعنه أينما دخل، ولا نرجع عنهم حتى يمكننا الله من نواصيتهم ويظفرونا بهم بحول الله وقوته، فكن على بصيرة في أمر قدومنا والسلام. في العاشر من ذي القعدة عام اثني عشر ومائة وألف هـ (1112هـ/1700م).

إخبار أمزوغار. «وبعد : فاعلم أن أعيان ولتيتة الذين وردوا على حضرتنا العلية بالله قد تكلمنا معهم ووجهناهم لإخوانهم وعامة قبيلتهم وخاصتهم ونفاليهم يتكلمون معهم في هذا الأمر الذي بيننا وبين أهل سوس، وكتبنا معهم كتابا لقبيلتهم، فلا بد أن تحضر معهم بسوق الأربعاء حتى يقرأ عليهم هذا الكتاب ويجتمعون عليه، ولا غنى لك عن الحضور معهم، إذ أنت كبيرهم وقاضيهم، فإن انقادوا لهذا الأمر ودخلوا فيما دخل فيه أهل سوس، فهم منا وإلينا وإخواننا، وإن تمادوا على ضلالهم القديم، فلا علينا فيهم ولم يتوقف لنا غرض عليهم، وهم أخبر بمصالح أنفسهم، والذي يجتمعون عليه ويفترقون به عرفنا به عاجلا، وسيرون إن شاء الله ما يحل بهم إن تمادوا على غيهم وضلالهم ولا يقولون إنه يشغلنا شاغل عنهم، فنحن بحول الله وقوته لنا القدرة عليهم وعلى غيرهم والسلام. في التاسع عشر من صفر عام 1113هـ (1113هـ/1701م) وفي هذه الرسالة نلاحظ محاولة إصلاح ذات البين من أعيان قبيلة ولتيتة إلى حد كتابة كتبها معهم، فما هو إذن أساس هذا الأمر؟ فهل هو تعلق القبيلة بإبليخ؟ وفي الرسالة التالية ما يخفف على الطرفين معا :

«من عبد الله تعالى أمير المؤمنين الناصر لدين الله محمد بن إسماعيل إلى محبنا الفقيه السيد محمد أمزوغار : وبعد : فقد وصلنا كتابك صحبة السيد محمد بن علي السملالي، وفهمنا مضمونه من أوله إلى آخره، فاعلم أنا تحققنا محبتك في جانبنا، وتشيعك إلينا، وعرفنا ذلك من قديم الزمان، ونحن على عهدك، وأن ما ذكرته من أن لا نأمن فيك كلام أحد، فاعلم أنا لا نقبل كلام كائن من كان حسبما ذكرنا لك، وذلك مشافهة، وفي

كتبنا غير ما مر، فلتكن ساكن الخاطر، من أجل ذلك، ولتسلم منا على المرابط الخير، السيد أحمد أبعقيل، واطلب لنا منه الدعاء الصالح. والسلام. وفي منتصف جمادى الآخرة عام أربعة عشر ومائة وألف هـ (1114هـ/1702م).

وفي هذا الرسالة مصطلح لم نعر عليه في رسائل سلاطيننا الرسمية، وذلك هو كلمة «التشيع» فأبي المقصودين أقرب الحزبي أم اللغوي أم كلاهما؟ إذ بهذا التاريخ ظهرت ثورة محمد العالم بتارودانت مسكن الشيعة سابقا.

«.. وبعد حمدا لله الذي وفق بمحبته أهل بيته النبوي من خصه بالسعادة ولنيل بذلك الحسنى والزيادة، هذا وقد كتبناه إليك من حضرتنا العلية المحمدية الملحوظة بالرعاية من الله المحمية، ولا جديد يجب به الإعلام، إلا ما عودنا سبحانه من النصر والإقبال وبلوغ الآمال، في كل حال من الأحوال، والتأكيد التام على محبتك الخالصة، أن تعمل الجد والاعتناء في مسألة واحدة، وهي مسألة علي وسعيد أن تعده بكل ما يؤمل في جانب عليائنا وعظيم إنعامنا، وأقدم معه لتكريم أبواننا، بلا ثوان يجمع لنا وصفان ذلك الساحل بمقتضى صحيح خدمته ونكبره تكبيرة إن شاء الله، يسموا بها على جميع نظرائه، وبذلك تحصل أنت من الخطوة لدينا على المزية الرفيعة، وينال من شرف إكرامنا المرتبة المكيئة، واعمل الجد والحزم ولا تأل جهدا في الشروع في هذه المسألة بالعزم، والله يتولى حراستك وكلاءتك بعزته، واضمن له أن نجعله بمكان هنالك بالساحل، ونقضي له كل غرض يحبه عندنا على الوجه الذي يرضيه إن شاء الله تعالى، واقطع واجزم بذلك بحول الله وقوته. والسلام في السادس والعشرين من جمادى الثانية عام 1115هـ/1703م).

ونفهم من الرسالة السابقة حل مسألة ولتيتة نسبيا، وهل معها بعمرانة؟ فلننتظر، إذ ظهرت مسألة أهل الساحل والمقصود بهم القبائل التي في أزاغار الممتد من وادي والغاس (أسيف ماست) الموازي لساحل المحيط بما فيهم أيت باعمران جنوبا إلى وادي نول لمطة، كما ورد في رسالة أخرى تعيب على أيت باعمران مشاركة أهل الساحل المقصود به أزاغار حول تيزنيت، ونحن لا ندرك أهمية «كبير القوم علي بن سعيد» الباعمراني



لكي يقود قومه ولينضم هذا الساحل إلى السلطان الجديد محمد العالم، ولا لماذا لم ينضموا؟ فهل ما زالوا خاضعين للسلطة المركزية بمكناسة الزيتون؟ أم أنهم على يقين بأن ثورة محمد العالم ليست شرعية؟ أو لأنه لا يستطيع أن يقف أمام قوة السلطان إسماعيل في جميع المستويات؟ تلك أسئلة نفهم منها خضوع ولتية، لكن بقيت بعمرانة والساحل بقيادة كبير القوم علي بن سعيد: القائد الباعمراني القادر على جمع ذلك الحلف الساحلي ليتم الأمر.

إذ ورد في الرسالة أن أمير تارودانت، صالح قبيلة ولتية لقوله: «وإعلامك أنه بلغنا وقوفك مع خدامنا ولتية، وتسديك إياهم للدخول في الطاعة، والانخراط في سلك الجماعة، حتى أعلن جميعهم بنصرنا، ولم يبق لأحد منهم تشوف لغيرنا؟ فجزيت خيرا أيها الأحب الأصفى، والأعز الأوفى، فلا تزال ترشدكم وتنههم وتعرفهم بما أعده تعالى لمن أوفى بعهوده جل جلاله من الثواب الجسيم، والأجر العظيم، ولا تغفل عنهم. والله تعالى ولي التوفيق، والهادي بمنه إلى سواء الطريق، لا رب غيره، ولا مأمول إلا خيره، عليه توكلت، وإليه أنيب، ثم اعلم أن أخانا الأحظى الأجل، مولاي الشريف أكرم الله وأرد عليكم ورود خير بأثر هذا المسطور الكريم في محلنا المظفرة بالله تعالى إن شاء الله. فتأهبوا لملاقاته، وقفوا معه في كل الأمور والسلام. وفي الثاني من المحرم عام ستة عشر ومائة وألف» (1116هـ/1704م).

بحثنا كثيرا عن سبب انفصال بعمرانة عن لفها ولتية، فمتى؟ ولماذا؟ وكيف؟ وكان مؤرخ سوس قد أثار هذا السؤال قبلنا، إلى أن عثرنا على رسالة صلح تم بين ولتية وأمير تارودانت محمد العالم.

وذلك حيث «أعلن جميعهم بنصرنا... ولم يتشوفوا لغيرنا» (رسالة عام 1115هـ) وبهذا التاريخ انفصلت بعمرانة عن ولتية، المنضمة إلى هذا الأمير بتارودانت، بينما تمسكت بعمرانة مع أهل الساحل بالبيعة الشرعية لمولاي إسماعيل. كما سيتضح ذلك في معاتبة أيت باعمران المنضمين إلى أهل أزغار كرأس رمح لا بد منه، وعليه فرأس ذلك الرمح هو كبير القوم علي بن سعيد القديم المشهور في قبيلة أيت الخمس الباعمرانية، ولعله من أجداد الشيخ سعيد الخمسي الوطني المعروف؟

أما قبيلة مجاط، فقد اشتهر أمرها في عهد العلويين، إلى أن أزعجت على ثلاثة أماكن: بأحواز مكناس، وبأحواز مراکش، وبتيزلي بسوس ففقدت تكتلها، وانطقت جمرتها منذ أبو الحسن المريني، ولم نعثر حتى الآن على نزولها من تيزلي إلى أزغار تيزنيت، كما طلبوا من الأمير الذي لبي رغبتهم، ليزاحموا ولتية، لكن أمره غير منفذ، وغير ممكن لمرورهم عبر مجموعة من القبائل إلى سهل أزغار، وبانعقاد الصلح مع عدوها قبيلة ولتية، انتهى مطلب أعيان مجاط في أزغار، الذي هو مجال لولتية البعايلية عبر قرون. وما زالت هذه القبيلة تحج إلى رباط واگاگ كل عام.

وقد أورد صاحب المعسول قائلا: «وكثيرا ما يظلم الولاة الشعب باسم توليتهم من طرف السلطان، فيستغلون ذلك ظلما وعدوانا، بجمع السلطات كلها في يد واحدة، كان سيدي الحسين بن هاشم الإيلخي، هو الذي يجول ويصوب في أمور قبائل سوس، بإذن من المخزن، بدعوى أنه شريف، وأنه يحترم لدى الجميع، ولذلك اعتمدت عليه الحكومة في معالجة المشاكل التي تحدث بين تلك القبائل الجزولية»<sup>(62)</sup>.

نفهم من الرسالة المذكورة أن هناك أمرا بين السلطان وبين أهل سوس أجمعين، ويظهر أن من الذين لم يدخلوا بعد في ذلك الأمر قبيلة ولتية ومن بقي على حلفها، لكن ما هو هذا الأمر؟ فهل هو مقدمة من هذا الأمير لإعلان نفسه في انتظار إصلاح ذات البين مع أعيان قبيلة ولتية إلى حد كتابة كتاب معهم؟ فما هو إذن أساس هذا الأمر؟ فهل هو تعلق القبيلة بإيلغ؟ أو بالبيعة الشرعية لوالده في مكناس؟

ما كادت قبيلة ولتية تخضع حتى ظهر جانب آخر يعرف بمسألة أهل الساحل والمقصود بهم القبائل التي في أزغار الممتد من وادي والغاس (أسيف ماست) الموازي للمحيط بما فيهم أيت باعمران جنوبا، كما ورد في رسالة أخرى تُعيب على أيت باعمران مشاركة أهل الساحل المقصود به أزغار حول تيزنيت. بزعامة كبير القوم علي بن سعيد الباعمراني، ليقود قومه لينضم هذا الساحل إلى السلطان الجديد محمد العالم بتارودانت، لكن لماذا لم ينضموا؟ فهل ما زالوا خاضعين للسلطة المركزية لمولاي إسماعيل بمكناسة الزيتون؟ أم أنهم على يقين بأن ثورة محمد العالم ليست شرعية؟

(62) المعسول، ج 4، ص 30.



أو لاقتناعهم أنه لا يستطيع أن يقف أمام قوة والده إسماعيل في جميع المستويات، في الوقت الذي تبعه شرق أزغار، ما عدا أهل الساحل، بما فيهم أيت باعمران، إذ بدون انضمام هذا الحلف الساحلي إلى تارودانت لا يتم الإجماع.

أما قبيلة مجاط فقد انتهت الحاجة إليها بعد انضمام ولتية إلى الركب العام، فظلت محاصرة في جبالها الباردة، كما لم تحصل على نزولها إلى أزغار، ولم يبق لها إلا انضمامها إلى أهل الساحل الباعمرانيين الذين غزوا شمال وادي والغاس..

ومن رسالة السلطان تخوفه من ولتية التي لم تباع بعد، لذلك أكد على القاضي أمزوغار مراقبها وتهديدهم بمجاط المعروفة بتكتلهم وتسليحهم وتربيتهم للخيال التي هي قوة القبيلة في ذلك العصر، لضربهم بعدوهم وقاهرهم ولتية على الدوام، وفعلاً نجحت سياسة السلطان على يد القاضي أمزوغار في إدخال ولتية في سلك الجماعة على حساب عدم تلبية رغبة مجاط المستحيلة المحاطة بمجموعة من القبائل.

قد يقول البعض : كيف تحدث مثل هذه الأخطاء بالنسبة للسلطة المركزية ؟ من الجواب أن ذلك يرجع إلى عدة أسباب منها : بداية بيعة السكان للسلطان الجديد الذي يلبي رغبات المطالب، ريثما تستقيم الأمور، ومنها أيضاً بعد المسافة بين العاصمة مكناس والقبائل في قمم الجبال بسوس، بالإضافة إلى قلة المواصلات والاتصالات وتباين وجهات النظر للولاة الجدد وفكرة الفقهاء وانتماء الزوايا...

ومن ذلك قول صاحب المعسول : «وكثيراً ما يظلم الولاة الشعب باسم توليتهم من طرف السلطان، فيستغلون ذلك ظلماً وعدواناً بجمع السلطات كلها في يد واحدة، وقد ورد في المعسول ج الرابع ص 30 ما يأتي مختصراً :

«كان سيدي الحسين بن هاشم الإلغي هو الذي يجول ويصول في أمور قبائل سوس، بإذن من المخزن، بدعوى أنه شريف، وأنه يحترم لدى الجميع، ولذلك اعتمدت عليه الحكومة في معالجة المشاكل التي تحدث بين تلك القبائل الجزولية».

«إلى القاضي الأجل السيد محمد بن أحمد أمزوغار : سلام عليكم ورحمت الله تعالى وبركاته عن خير وعافية وبعد : فقد ورد علينا كتابك وفهمنا ما تضمنه خطابك،

فإن الزرع الذي طلبت منا أن نحود به عليك، فها نحن أمرنا لك بقبض عشرين غرارة من الزرع من أيت همّان بأيت برايميم، فخذها واستعن بها على ضرورياتك، وأما ما طلبته منا من تحرير أملاكك وأخيك، فها كتاب ذلك ياتيك صحبة هذا والسلام». في الثامن عشر من صفر ستة عشر ومائة وألف 1116هـ / 1704م.

ويظهر أن هذا القاضي قد أدى مهمته واستحق كل تقدير : ويتجلى ذلك في تحلية السلطان له بالتعظيم والسلام والبركة وفهم خطابه كلياً، والأمر له بقضاء مطلبه بجواب له بسرعة، يفهم في ذلك قلة الزرع بأزغار، بينما يمكن العثور عليه في مرتفعات أيت همّان غرب أزغار جنوب تيزنيت، وذلك معروف عندما تقل الأمطار في السهول، يكفي ما سقط منها في المرتفعات، لانخفاض درجة الحرارة، وللغطاء النباتي، كما أن هذا المقدار الذي أمر به السلطان يدل على ما قلناه، لأن تاغرارت لها مكيالان : أحدهما لسوق الأحد، وهو نصف عبرة سوق خميس أيت بوبكر، والأول هو المستعمل في أيت همّان، فعشرون غرارة إذن، هي مائة عبرة من الشعير بمكيال سوق الأحد، ومعناه عشرون خنشة (كيسا) فلتراجع سنوات الجفاف بسوس في هذا الوقت بالذات، حيث ساهمت الظروف الطبيعية في تفاقم الأحداث السياسية.

وقبيلة أيت برايميم هذه تتكون من فخذتين أيت همّان وأيت خلّوف بمدريستيهما العتيقتين سيدي بوعبدلي المرتفع، وبونعمان بالسهل القديمتين، إذ ذكر ابن خلدون «بني نعمان» في عين المكان، والذي يهمننا هنا هو وجهة نظر نواب السلطة المركزية في جهات سوس، ومن ذلك رسالة محمد العالم بتارودانت :

1 - إن غضب السلطان بلغ غايته، ولو من مركزه البعيد، ولا شك أن سبب ذلك هو شكايات المظلومين في باب عاصمته وهم كثيرون حسب ما ورد في هذه الرسالة، ولا شك أن شكاياتهم المتعلقة بالترامي على أملاكهم، بدأت تنتشر، وذلك ما تخافه السلطة المركزية، لأن رفع الظلم عن الشعب من واجبات أمير المؤمنين.

2 - نفهم من قَسَم السلطان أن أولئك المشتكى بهم، قد استعصوا على السلطة المحلية فرفعت تقاريراً تؤكد على تدخل السلطان نفسه قبل أن تتدخل الدهماء، وخاصة إذا تعلق الأمر باحتلال أملاك الضعفاء، وظلم ذلك لا ينسى إلا برد الحقوق.



3 - نلاحظ هنا دور القاضي أمزغار وعائلته الذي هو عين السلطة، ولذلك حرره السلطان وقواه بكل من ينتسب إليه، حتى من تخرص في فلاحته بقليل ولا بكثير من المطلب والأعشار وغير ذلك.

4 - كنا نعثر في رسائل التحرير على شخصيات محررة من المطلب العامة، ما عدا ما هو من حقوق الله كالزكاة والأعشار ولوازم المسجد وما فرضه العرف المحلي عكس ملاحظناه هنا، والسبب في ذلك مكانة القاضي أمزغار. فهل بعمل القاعدة الأصولية [حكم الحاكم يلغي الاختلاف في الاجتهاد]؟!؟

### نزلات السلطان مولاي إسماعيل :

لنتتبع نزلات هذا السلطان في أيت باعمران : منها نزلة محلته في تيفزي حسب الرواية الشفوية - وفي عين المكان بإدواشتوك بتاگراگرا حيث نزل السلطان الذهبي قبله - ويزكي تلك الرواية أثر بناء هناك بتغزي ثم تقدم نحو الجنوب، فنزل في تانگارف بقبيلة أيت السيمور، ومن ثم إلى قرية إيگيسل حيث قلعتة، أو للمرابطين فجدها، وكلها في أيت باعمران، ثم زار مشارف الصحراء، فجدد الظواهر التاريخية للأعيان والقضاة، وفي كتاب نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لليفراني : «أن مولاي إسماعيل دوخ بلاد المغرب كلها، وطوعها وعرها وسهلها، واستولى على السودان، وبلغ فيها ما وراء النيل. (نهر النيجير) وبلغ من ذلك ما لم يبلغه السلطان المنصور السعدي، وامتدت دولته من جهة الشرق إلى بسكرة من بلاد الجريد» (نفس المرجع ص 430).

إن مرور محلة السلطان مولاي إسماعيل بأيت باعمران إلى الصحراء لا شك فيه، لكن لم نعثر بعد على تأريخ ذلك، ولعله بعد تحرير مدينة العرائش عام 1101هـ/1689م إثر تحقيق ذلك الانتصار الباهر، فاستقرت الأحوال، واستمرت بتعيين الأمير مولاي عبد الملك بن إسماعيل خليفة لأبيه بالصحراء إلى أن توفي عام 1142هـ/1730م.

ومن رسائل هذا الأمير يطمئن فيها «.. أولئك الغنامة الذين هنالك بوادي الساوره ووجههم إلينا في حفظ الله وأمانه، فلا يخافون من شيء، لأننا والحمد لله ما وجهنا والدنا

أيده الله لهذه الصحراء إلا بالخير». في فاتح 1111هـ/1699م عبد الملك بن أمير المؤمنين حفظه الله. (من نفس الرسالة أعلاه).

إلا أن الوباء المجحف في عهد السلطان سليمان، كان مؤثرا، بالإضافة إلى اشتغال هذا السلطان بجمع الكلمة في شمال المغرب، فاكتفى بالمراسلات مع أيت باعمران حول أطماع الأجانب هنالك، بل حتى مراسلاته وعملته ناذرة في الجنوب.

وبتلك الظواهر السلطانية، صارت القبائل تسير نفسها بأعرافها لمدة طويلة، مع التعلق بوحدة المملكة المغربية، إذ باسمها وبعملتها وبظواهر سلاطينها يدافع أيت باعمران ضد أطماع الاسبان في سواحلهم وأفتاسهم (المراسي) ولما اشتدت تلك الأطماع، تكتلت بوعمارة باسم انتمائها إلى جد أعلى حسب عرفهم المسجل هكذا : «أيت بها أو يحييا في الجنوب، وأيت بوبكر أو يحييا في الشمال، مستقرين في عين المكان، مدافعين عن شواطئهم ضد الأجنبي، ومن ذلك مصادرة سفينة للمغامرين في مرسى سيدي إفني التي باعوا حتى بحارتها» (أخبار سيدي إبراهيم أماست).

### رسالة إلى كبار شيوخ أيت باعمران :

«بعد الحمدلة والتصلية إلى الشيخ علي بن مسعود، والشيخ عبد الله بن بلخير، والشيخ مسعود بن محند، والأمهري أحمد، وبلقاسم بن مسعود أطيب، وعبد الله بن يحيى أتگلفت، والشيخ محمد ولد حمو كايا، والشيخ أحمد بن بلا بورلماص، والشيخ باكريم، أعانكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته عن خير سيدنا أيده الله وأدام لنا وجوده. وبعد :

فاعلموا أن أحاكم الشيخ أحمد الأمهري ورد علينا، وذكر لنا أنكم رجعت من الشك إلى اليقين، وخمتم مع نفوسكم، والآن لمن أراد منكم القدوم إلينا فليتقدم، فعليكم أمان الله ورسوله ﷺ، فما تروا منا إلا ما يسركم، وقد علمتم بأن سيدنا أعزه الله وتلى لنا أمور إخواننا، وأنعم علينا بالتصرف في قبائلنا، وقدمنا لأزغار، ووكدنا عليكم سيدنا المؤيد بالله، وأمرنا أن نستوصي بكم خيرا، وعولنا على ذلك. ثم إنكم تبعتم غروض



أنفسكم، ورأي سفهاء أنفسكم، ومن لا عقل له، وتراميتم على محلة سيدنا السعيدة، حتى وقع ما وقع من الجانبين، والآن فاعلموا أننا عند أمر سيدنا ونهيه، ما قبضنا عداوة أحد، وقد نسيتم ما كانوا عليه أسلافنا، مع أسلافكم من المحبة والأخوة، وقد أردنا أن نشترك معكم مائدة سيدنا، وتربحون كلكم في طريقنا، وحسدتم أنفسكم، والله ثم بالله، لو جلستم معنا هنا تربحون وتغنمون كلكم وتفوزون بالمزية من عند سيدنا المؤيد بالله، ولكن اخترتم علينا أهل الساحل، وبدلتمونا بما لا فائدة فيه، ولا مزية له، والآن إن صدقتم فيما تقولونه فأقدموا إلى عندنا (بتارودانت نذهب) معكم بحضرة سيدنا العالية بالله، ولا تروا فيه إلا ما يسركم ويسرنا، ولكم والله فيه الخير كل الخير، وبقية الخبر يقصه عليكم حامل كتابنا، فما قاله لكم تثقون به (... والسلام) (الرسالة في حوزتنا).

والمقصود في الرسالة بكبير القوم هو الشيخ علي بن سعيد الباعمراني رئيس لف أيت باعمران أجمعين، بعد انفصالهم عن حليفهم ولتيتة المعترفة بأمر تارودانت، فكون أيت باعمران حلفا يعرف بأهل الساحل الممتد من جنوب ماست حتى سوس الأقصى. «وقد ورد في كتاب إيليج أن أول سنة أطلت فيها ألوية أهل سوس كما يسمى به السوسيون إذ ذاك، في درعة وما إليها»<sup>(63)</sup>.

ويذكر هذا الحلف الساحلي ببُعمرانة القديمة. وأغلب الظن أنه لم يشارك في زحف أمير تارودانت على مراکش، حيث انهزم انهزاما يحسن السكوت عنه. أما قبيلة السيجل جنوب أكلو فهي من أيت باعمران، وتميز بالسيجل ند الحاج علي وليس المقصود بها بمن لا فائدة منه.

أما المبتور من الرسالة المذكورة بتاريخ 28 ذي القعدة عام 1201هـ فالمبتور خديم المقام العالي بالله القائد محمد بن أحمد... (استدركناه في رسالة أخرى)، وهو قائد بسوس في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي الذي حكم ما بين (1171-1204هـ) 1757-1790م.

لكن لما وصل إلى أزاغار، ترامى عليه الباعمرانيون حتى وقع ما وقع من الجانبين. (تراجع معركة تابوحنيايكت مع التاريخ 1201هـ) (خلال جزولة؟).

(63) إيليج، ص 59.

أما خليفة السلطان محمد على سوس في هذا التاريخ، فهو ابنه عبد السلام، ومقره غالبا بمدينة تارودانت، ومنها عين القائد محمد بن أحمد المذكور، أما عبد السلام بن السلطان فقد تولى أمور سوس سنة 1199هـ.

وفي الرسالة أسماء لتسعة أعيان من أيت باعمران، وعائلات هؤلاء مشهورة حتى الآن. فما الداعي إذن إلى الترامي على محلة السلطان؟

إن علاقة أيت باعمران كانت دائما مع السلطة الشرعية، ما لم يشتط من يمثلها في سلطته ويرتكب ظلما صارخا، وفي نفس الوقت يزعم أنه يطبق أوامر المسؤولين، «وذلك ديدنهم، وإن كان الجبليون منهم من يمتنعون عن السلطة التي تأخذ بالعنف، فكم من مرة كانوا يقاومون جيوشا ليست على حق، فانتصروا عليهم، رغم أن أولئك يزعمون أنهم باسم السلطة المركزية، في حين أن المدافعين عن أنفسهم يعترفون بالشرعية، ويجهرون بالدعاء لها عقب صلواتهم، وفي خطب جمعاتهم، وما ذلك إلا لقداسة كل من استحوز على العرش في أنظارهم»<sup>(64)</sup>.

وهنا يأتي مفعول الحديث [من مات ولم تكن في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية] ونحن نعلم أن سلطة تازروالت لم تتقو إلا بحلف تاكيزولت وعمدتها أيت باعمران، ولما تخلوا عنها زالت هيبتها، وقضي عليها باتمائمهم للسلطان مولاي رشيد العلوي...

#### إشارة لا بد منها :

- 1 - وقع بتر في آخر هذه الرسالة، لكنه غير مؤثر.
- 2 - مصطلح أهل الساحل يقصد به أزاغار جنوب والغاس عاما لأيت باعمران.
- 3 - في الرسالة عتاب خاص لأيت باعمران الذين انضموا إلى أهل الساحل أزاغار.
- 4 - المؤاخذة هي الترامي على محلة السلطان لعلها في تابوحنيايكت بأشتوكن.
- 5 - أما القائد المبتور في الرسالة فهو القائد محمد بن أحمد بسوس عام 1201هـ في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي الحاكم ما بين (1171-1204هـ)

(64) إيليج قديما وحديثا، ص 231.



1757-1790م. أما خليفته على سوس بهذا التاريخ، فهو ابنه عبد السلام، ومقره غالبا بتارودانت، ومنها عين القائد محمد بن أحمد المذكور، أما عبد السلام بن السلطان فقد تولى أمور سوس عام 1199هـ..

6 - أما أسماء شيوخ أيت باعمران التسعة، فكلهم من القبيل الباعمراني الجنوبي أيت باها أويحيا، وما زالت عائلاتهم مشهورة حتى الآن.

7 - لكن أين النصف الشمالي الثاني من أيت باعمران وهم أيت بوبكر أويحيا؟ فالظاهر أن الجميع في لف واحد لرئاسة أهل الساحل جميعا، لذلك كان هم السلطان أن ينضم إليه كبير القوم علي بن سعيد الباعمراني، ملتزما له بتلبية جميع رغباته فينضم إلى السلطان، ويفوز بالمزية متخليا عن أهل الساحل ومن لا عقل له من المغيرين على محلة السلطان؟! ..

8 - وبما يدل على مشاركة أيت باعمران جميعا تقسيم السلطان الحسن الأول لهم إلى عدة قيادات عام 1299هـ إذ قسم الجنوبي الباعمراني أيت بها أويحيا إلى ست قيادات، بينما قسم قبيل أيت بوبكر أويحيا الشمالي إلى قيادتين فقط، أيت إخلف وأيت النص، كما قسم القبائل الكبرى في سوس بكامله، فكانت نتيجة ذلك السببية بعد موته.

### عهد السلطان مولاي سليمان :

ويأذن من المولى سليمان أرسل القائد عبد الملك بن بيهي الحاحي البينوني الباعمراني أصلا في تارودانت خليفته محمد بن يحيى أغناج «فغزا إيلينغ، وحارب البعاقلين، واستولى على مجاط كلها، ودخل بلاد أمانوز وأملن، واستمر حكمه إلى سنة 1232هـ»، لكنه لم يتجه إلى أيت باعمران؟ وكان تأثيره كبيرا على معظم قبائل جزولة بكاملها.

أما قبائل أيت بعمران، فقد غزاهم القائد الكيلولي، لكنه انهزم أمامهم في معركة تيغانيمين بأربعاء السيجل الحالية، ثم جهزت سلطة الحماية الباشا حيدا بن مائيس ليغزو أيت باعمران، فانهزم في سنة 1917م، شر انهزام، ثم جهزت سلطة الحماية الفرنسية من

جديد الجنرال دولاموط في نفس السنة، بجميع أنواع الأسلحة المتطورة، أرضا وجوًّا، فانهزم بدوره، لكنه قضى على مئات من أيت باعمران والصحراويين، كما سنرى، وأفسد زروعهم، ومع ذلك، استمرت مقاومتهم ضد سلطة الحماية منذ اتفاق الجنوب المغربي المستمر منذ زعامة الشيخ أحمد الهية سنة 1912م إلا أن معظم القبائل استسلمت للحماية تدريجيا، ما عدا مقاومة أيت باعمران المستمرة إلى اتفاقية ثلاثاء لخصاص مع سلطة الحماية. 1934م فتقلصت قبائلهم ومساحتهم شمالا وشرقا وجنوبا على حساب سلطة إسبانيا الضعيفة لصالح الحماية الفرنسية.

### آخر المعارك ضد الحملة الفرنسية :

«وبعد فدخلت دولة الفرنسية بلاد الأخصاص يوم السبت ستة وعشرين من ذي القعدة الحرام عام 1342هـ بجيوش كثيرة، وجاوزت لأبي الأحبال (بويزاكارن) يوم الأحد، بعد أن تقاتل معه أيت باعمران ليلة الجمعة الثامنة من الشهر المذكور في رقبة تيزي (تامگرت ن تيزي) ومات منهم تسعة عشر قتيلًا مجاهدا، وعند صلاة العصر، من يوم السبت التاسعة منه، ضربوهم بالطيارات عند نطفية السبيل، ومات من أيت باعمران واحد وعشرون قتيلًا، وسبعة خيول، وسبعة وعشرون جريحا، وتلاقوا معه أيت باعمران صبيحة يوم الأحد التاسع عشر من ذي القعدة، في سوق ثلاثاء الأخصاصيين، وجعلوا معهم المهادنة حدّ ترابهم لجهة البحر.

وفي يوم الجمعة الموالية عشرين من ذي الحجة الحرام، عام 1342هـ موافق 6 أبريل سنة 1934م، خرجت دولة الإسبانية بمرساة إفني، ومكثوا فيها ستة عشر يوما، فراسلوا لأيت باعمران على أن يدفعوا إليهم السلاح الذي بيدهم، فدفعوه إليهم إلى يوم الاثنين، ولو في تسعة أيام من المحرم الحرام عام 1343هـ. فدخلوا تاليوين، وأرسلوا الإدالة والعساسة لأيت إعلاتن، في الحادي عشر من الشهر المذكور، وجعلوها أيضا بإدعيسى في بلاد أيت عبلا الباعمرانية، يوم الخميس ثاني عشر منه، وجعلوا الشروط والأحكام بين الدولة المذكورة وبين أيت باعمران على أن يبقوا في أحكامهم، يفتون بهم من الأعراف الكائنة في قوانينهم، ويفتون بأحكام الشرع، كما في القرآن والحديث،



وقبلوا ذلك، فكاتبوا القوانين بينهم وشرطوا عليهم، ألا يحكموهم إلا بموافقة أحكامهم شرعا وعرفا، وبه تعاقدا وتكاتبوا عليه حين خرجوا بإفني. وجعلوا في أيت باعمران عشرة شيوخ: قبيلة إصبويا بأربعة شيوخ القائد أحمد بن البشير على ربع أيت ياسين، والسيد بلعيد بن الطيب على ربع إد ياكو، ومبارك بن المسكين أبوشامة على ربع إدعبلا أوبراهيم، ولحسن بن الحاج، على ربع إرناكن، بدأت القيادة بعائلة عليات أولهم لحسن بن عليات، ثم ابنه البشير بن لحسن، ثم القائد أحمد بن البشير، وكلهم من فخذة أيت بوياسين، ومن فخذة إدياكو أمغار مولود بن بلعيد ومبارك با أحمد ند ياكو المتاجر مع كورطيس في المجاعة.

والشيخ سعيد بن الحسين على جميع قبيلة أيت الخمس من تاليوين إلى آخرها، وباري بن العسري العبلوي على أيت عبلا، والحسين بن عبد الله بن إبراهيم على بني يعزى، والسيد بلعيد بن عبد الله بن بلعيد على أيت النصف، وعبد الكريم بن الحسن على أيت إخلف (حج سنة 1939م)، وسيدي عبد الرحمن بن سعيد الأشكر على إمستين، وبه تداورت (تدور) الأحكام على ما في قوانين الجزوليين في التاريخ أعلاه، مخطوط مبتور به ملاحظات» (في حوزتنا).

1 - لم تتمكن من اسم صاحب هذه المحاولة التاريخية الحقيقية المطابقة لما طبقه الإسبان في أيت باعمران، وصاحب الوثيقة هذه جميل الخط، إلا أنه ضعيف التوثيق، وفي بعض قواعد النحو، لكنه أفادنا كثيرا بهذه الدقة.

2 - هناك مفردات من الدارجة يمكن مفهومها من سياق الجملة، مما جعلني أتدخل في إصلاح ما لا يتم المعنى إلا به، وليتني وجدت هذا الوعي الذي لدى صاحب هذا المخطوط لدى الآخرين.

3 - لدينا معلومات عن المعارك التي أشار إليها الكاتب، وقد كانت الخسارة فيها كبيرة في جانب أيت باعمران أكثر مما ذكر، وخاصة معركة تانوظفي ن السبيل، حيث استعملت سلطة الحماية القصف بالطائرات التي أحدثت رعبا في المجاهدين، كما انتقل السكان من ديارهم إلى الجبال الغربية مثل تادرات وتازايفت، فصار سهل تاكراگرا

خاليا من السكان، إلا من المدافعين في مرتفعات أيت برايم وأيت يعزى، حيث كونوا هناك سدا منيعا مما جعل المحلة تسلك الجبال الوعرة لتمر إلى أكلميم انطلاقا من تابریدا القديمة من بونعمان إلى أندجا عبر هضبة الأخصاص المعروفة بالضهر: أي الهضبة.

4 - منذ معركة الجنرال دولاموط، حيث شارك فيها الصحراويون بكثافة كبيرة، إذ كانوا يظنون أن تلك المعركة ستكون مغرية بالغنائم، كما حدث في معركة ضد الباشا حيدا بن ميس، حيث غنمت القبائل كل شيء، مقابل خسائر قليلة في الأرواح، لكن هذه كانت خسائرها فادحة في المجاهدين، ومنذ ذلك الوقت بقي أيت باعمران وحدهم في الجبهة، مع قلة الإمكانيات والمجاعة على أشدها.

### وثيقة الحدود بين الاستعماريين :

«الحمد لله وحده. محبنا الأعز الأرضي الشيخ سعيد الخمسي سلام على سيادتكم ورحمة الله، أما بعد : فليكن في علمكم أنني قدمت من مراكش صحبة سيادة الجنرال كاترو حاكم دائرة مراكش وخليفته (الكومندر بواي) وعند وصولنا لتزيت توجهنا لأهل الساحل عند فخذة أيت وانكيفا، فوجدنا الشيخ لحسن فر من داره وترك متاعه وأولاده، وذلك بعدما قدم لدى محب الطرفين القائد أحمد صحبة ضباط الدولة الإسبانية بأيت ويجان (أيت تويجانت موضع بالسيحل) وگوراييم، ويومه توجهنا لإكيسل وأبينو، الذي نزل بهما عسكر فرانصيس لمقتضى الاتفاق الواقع مع أيت باعمران المشار فيه أنه بمقتضى الاتفاقات الواقعة بين الدول تكون قسمة من أيت باعمران في المنطقة الفرنسية أصلا المواضع التي عمرها العسكر بعد ما وقع الاتفاق بينكم وبين الدولة الفخيمة الجمهورية الإسبانية على احتلال بلادكم وجولان الأجل السيد ... كباص بها، ولأجل اتصال المخالطة والسياسية بين الدولة الفرنسية والدولة الإسبانية، وقع هذا التمييز : الحدود نهائيا بين المنطقتين، أما منطقة الدولة الإسبانية، فكانت محدودة من قديم بين الدول، وهي طرفا من البلاد بين وادنون ووادي سيدي محمد بن عبد الله طولا، أما العرض فقدرها خمسة وعشرون كلم من البحر، وحيث ذكر في الاتفاق بينكم وبين المخزن أن الباقي من أيت باعمران الذي يسكن في المنطقة



الفرنسوية يدخل لطاعة المخزن بمجرد ما يطالب بها، ولا يمكن لأحد أن يتعرض على الحدود، وقرروا الناس الذين دخلوا للطاعة ولم يحصل لهم أدنى شيء مما يكدر خاطر، بل الأمن التام على الرقاب والمال والاطمئنان، وقد أخبرناك بالواقع، لتكون سيادتكم ببال، زيادة على ما وجهناه لكم يومه مع السيد مبارك (ويحوا..؟) يأتينا لتزيت عند ولد الأشغر، وبه الإعلام وعلى المحبة والسلام. في محرم الحرام عام 1353هـ / 1934م ... السباعي الله وليه<sup>(65)</sup>.

قال أمغار عبد الكريم «إن الشخصين الفارسين اللذين توصلا برسالة مخزنية من تيزنيت تأمر بأن يرسل أيت باعمران ممثلهم إلى ثلاثاء الأخصاص هما الشيخ سعيد ورجل آخر نسيته توصلا بها عن طريق الشيخ موسى بالعوينة، فوصلوها إلى أدار بأيت يعزى، دون أن يعرف أجموع فيه بالوسيطين، لأنهم لو عرفوها لقتلا في الحين، كما ورد في الرسالة المذكورة، وهو شاهد حاضر.

أما الصحراويون الذين يغيثون أيت باعمران، فقد انكسرت شوكتهم، واستشهد شجعانهم بالثبات منذ معركة الجنرال دولاموط، والباقي منهم رجعوا إلى الصحراء عندما سمعوا، بأن الزحف الفرنسي يتدفق من حدود الجزائر، وقد حافظ أيت باعمران على حدودهم التي اقتطعتها الحماية الفرنسية، بينما قد فصلها الاستعمار، ونحن إمغارن لا علم لنا بذلك، وفي الحدود الشمالية في قبيلة السيجل، كادت الحرب أن تقع عندما التقى كباص مع حاكم المعسكر الفرنسي الذي احتل تيغانيمين بأيت باعمران، على أساس ما قد تم أمره في الرسالة المذكورة بين الاستعمارين المرسله إلى الشيخ سعيد (استجواب عبد الكريم). أما القائد المدني الخاصصي فقد كان رجلا سياسيا، قيل عنه الكثير، وتعرض للنقد والانتقاد على السواء، لكن حسناته أكثر من سيئاته، فقد دافع عن جزولة بجميع الوسائل، سلك كل شيء لجمع الكلمة من وراء حجاب، وعند الضرورة يضرب البعض بالبعض، فيجمع أو يفرق، له اتصالات مع كل الجهات، لذلك كان عدوا للنصارى، وسدا منيعا لهم حتى توفاه الله في 7 رمضان عام 1352هـ / 1933م. ودفن في قريته بويزاكارن بعدما تعرضت لقصف احدي عشر طائرة فرنسية. مات بالسلم شهيدا، فترك فراغا عبر عنه كاتبه ماء العينين بقوله : «وفي الصباح، وقفت في

(65) وثيقة الحدود بين الدولتين بحوزتنا.

الناس المجتمعين أعلن لهم ما نحن فيه الآن، وإنما محاطون من كل ناحية، فأرونا ما هو المصنوع؟ فقال الشيخ سعيد الخمسي : يا فلان : ادع للناس ليذهب كل واحد إلى داره يصنع ما تيسر له، فدعونا دعاء اختتمت به مجتمعائنا في سني الكفاح، والناس في بكاء ونحيب عما وقعنا فيه<sup>(66)</sup>، أكد لي الفقيه الحسين أرغيب، كيفية تسميم القائد المدني بأمر من قائد آخر كان مع فرنسا، وهكذا قضى المدني نفسه بنفس سلاحه.

#### جولة الكولونيل كباص لترسيم الحدود :

عن بازين أحمد الحاضر قال : «قدمت من مدينة قنطرة علي أوعدي (القنيطرة الحالية بالغرب) سنة 1934م، ولما وصلت تيزنيت، اشترت منها كيسين من الشعير، والمجاعة على أشدها، ومررت على سوق أربعاء ن تسوليلت في شمال السوق الحالية بالسيجل، ولما وصلت بسلعتي على جمل إلى مكان أربعاء السيجل الحالية، وجدت فيه المحلة الفرنسية قدمت إلى عين المكان عن طريق - أگني، إيگالفن، فخفت من ذلك الجيش العرمم، لذلك أسرعت وتجاوزت المحلة المثقلة بالأحمال، فوصلت داري بتابلوكوت، فوجدت الموضع خاليا من السكان، لأن عمنا الفقيه سيدي محند : جهادي الذي كان مشارطا في زاوية الصالح سيدي محمد بن عبد الله، قد ذبح هناك شاة وأطعم الناس والمجاعة تقتل الضعفاء. ولا شيء يأكله الناس.

وكان ذلك اليوم، هو يوم الجمعة، ثم تسوقت الخميس الموالي الباقي في المسيد الأحمر منذ الحرب القبلية، حيث انتقل أيت بوبكر من موضع خميسهم بعد تلك السبية، كما صار أيت الخمس يتسوقون في موضع - أداگ نسيدي حساين شرحبيلي في قبيلتهم. ويراجع جباري الفقيه الحسين بن سعيد كمرجع.

وفي سوق المسيد الأحمر، التقيت فيه بأمغار عبد الكريم، وكنت أكبره بسنتين في العمر، فقال لي : اذهب حالا إلى الصالح سيدي محمد بن عبد الله بتابلوكوت عند الفقيه سيدي محند، واذبحوا هناك ذبيحة، وقوموا بالواجب، فإن الضابط كباص ومحلته سيفطرون غدا الجمعة في زاوية الصالح، وفعلا قمنا بالواجب.

(66) المعسول، ج 20، ص 203.



وحوالي العاشرة من يوم الجمعة، وصل الضابط كبّاص فارسا قادمًا من مدينة سيدي إفني، ومعه جميع أعيان آيت باعمران الفرسان، منهم أمغار عبد الكريم بجميع إنفلاس التابعين له لأيت إخلف، وهم السيد مبارك بن جوان، والسيد الحسين بن يوسف، ومحمد مومّادي نعلي أومبارك، والحسين بن الحاج بن بهي، وإبراهيم أوعلي في موضع إمولّا إيحيا وهو عسكري من شمال المغرب عند الإسبان، وهو الذي يعرف اللغة ويترجم. ومن قبيلة آيت النص : أمغار بلعيد، وأخوه محمد بن عبلا بن بلعيد، ثم أنفلوس الفقير حمايدوش ند الشّي بإيفرض.

ومن قبيلة إصبويّا : القائد أحمد، ثم مبارك بن عبد السلام، ثم أخوه جامع بن عبد السلام، ومن قبيلة آيت الخمس : أمغار الشيخ سعيد، ومن معه من كبار قبيلته لم استذكر أسماءهم، والكل علي فرسه وسلاحه، بالإضافة إلى بعض الراجلين المخزنيين المعينين مباشرة منذ خروج كبّاص من مرسى إفني، من أولهم علي بن الفقيه الحسين ند عدي بموضع إمولّا إيحيا.

وبعد نزول كبّاص أمام زاوية الصالح بتابلوكوك، انطلق وحده إلى الجانب الشمالي لتاگاديرت الصخرية، فوقف في منتهى الأمواج، فأخذ قطعة من الثوب الأسود، يخاطب بها الباخرة الموازية لرحلة كبّاص منذ خروجه من إفني، وبعد فطور الجميع هناك، خرج من الباخرة ثلاثة من النصارى، إلى أن اقتربوا من بداية الجزر، فأشار إليهم كبّاص بالرجوع إلى الباخرة لمتابعة السير نحو الشمال.

وقالوا : إن المبيت سيكون في ميرلفت، وفعلا ذبح هناك السيد أحمد بن فلاّ بالكوكي شاة، ثم فرشوا تامصريت نـبوواگـو، وهي أفضل ما يوجد في ميرلفت كلها في ذلك الوقت.

لكن كبّاص، مر إلى أسيف نـگورايـيم، وهو مصب الوادي الذي نصت عليه اتفاقية ثلاثاء الأخصاص سنة 1934م، وأمام ذلك المصب، وقفت الباخرة في البحر، وهو حدود آيت باعمران الشمالية، وهناك صعد كبّاص ومن معه نحو الشرق يضع الحدود هناك، إلى أن وصل إلى أمغار لحسن أوعبلا، وهو من صميم إمغارن آيت باعمران من موضع آيت تويجانن قبل أن ينسلخ منهم لأمر أخرى. تحتاج إلى تفصيل.

وهناك بات عنده الجميع، حيث قدم عنده ضابط فرنسي اسمه فلي (fli) وذلك يوم السبت، وكان القائم بالترجمة إبراهيم المذكور العسكري، الذي جاء من شمال المغرب، مثل الضابط الوديني، كما ظهر مبارك أوعبيد الشافور، ولما تقابل الضابطان أعطى الضابط الفرنسي التحية للضابط كبّاص الإسباني لمدة طويلة، ثم أمره بالاستراحة، وسبب ذلك التراخي، هو عدم احترام الفرنسي لحدود اتفاقية ثلاثاء الأخصاص سنة 1934م.

وبعد حوار طويل بين الضابطين طول الليل، لا يعرف أحد ما جرى بينهما، وفي الصباح انطلق كبّاص ومن معه إلى سوق الأحاد في بويفورنا، كما رجع الضابط فلي الفرنسي إلى محلته في المكان الذي أنزل فيه الباشا حيدا بن مآيس محلته سنة 1917م، حيث سوق أربعاء السيجل الحالية المحدثه منذ ذلك الوقت.

وفي يوم الأحد أصبحت القوة الفرنسية قد نزلت بميرلفت، بقيادة الضابط فلي (fli) أما كبّاص، فقد تغدّى ومن معه في دار إدجوان، ثم جاءه خبر مفاجئ، فانطلق إلى إفني، ولا نعرف سبب ذلك ؟. هذا وقد عزم عبد الكريم، على أن تكون ضيافة الجميع في تامگرت ند الشيخ همو، والله لا يوجد ذلك اليوم في تامگرت، حتى ما يكفي لتغذية تلك الجماعة، ولكن الله نجى دار المجاهدين والعلماء ودار قبيلة آيت إخلف من كبّاص رمز الاستعمار<sup>(67)</sup>.

هذا وقد سجلت عدة روايات لهذه الرحلة عند من حضرها وشارك فيها، فكانت كلها من باب وقع الحفر على الحافر، كما قارنتها بمذكرات الغير، وقد سجلت عنه كل هذا سنة 1981م. والرجل ذاكرة عجيبة، عاش مائة وثلاث سنوات، رجل متدين شارك في الحرب بأسبانيا، يعرف اللغة الإسبانية، خبير بأعراف آيت باعمران، مر في عدة وظائف، قل نظيره، بل أهم آخر من بقي من ذلك الجيل. ودفن في مقبرة أجداده سيدي مسعود أمبارك بتيغزى..

### احتجاج آيت باعمران على كبّاص :

وقد احتجّ أعيان آيت باعمران على كبّاص وذكروه بانتصارهم على خليفة المخزن بتيزنيت القائد سعيد الكيلولي، وأكدوا له أن صالح تيغانيمين بالسيحل، هو صالح

(67) الذكرة الحاج أحمد بازين، توفي في 7 / 4 / 2015م.



باعمراني لا شك فيه، فكيف نسمح للاستعمار الفرنسي؟ أن ينزع منا قبيلة السيجل الباعمرانية، وكذلك الاستيلاء على صالح منا؟ فغضب الجميع في أيت تويجانت، وهموا بالهجوم على محلة الفرنسيين بتيغانيمين، وهم في الحقيقة يجهلون ذلك الاقتطاع كما سيأتي، مع أنهم لا يملكون إلا بنادقهم مع الضابط الإسباني كباص الذي فهم كل شيء، لذلك قال لأولئك الأعيان،: سنعالج الأمور مع هذا الضابط الفرنسي، لكن قضي الأمر حول ضم الحدود قبل ذلك..

فقد كانت اتفاقية الهناء بثلاثاء الأخصاص مع أعيان أيت باعمران سنة 1934م تنص على حدود أيت باعمران بالواد المار بموقع تيغانيمين، لكن فرنسا أضافت اتفاقية أخرى اقتطعت بها قبيلة السيجل في الشمال، وحدودا أخرى في الجنوب بأبانو، وقليل من يعرف ذلك، إلى أن بدأ تطبيق الحدود، فتوغلت سلطة الحماية أكثر إلى وادي سالگماض بتابلكوكت.

أما صالح موضع تيغانيمين بالسيجل، فهو نفسه في إداوتانان، وحوله كرامات لعبت دورا مهما في توحيد الجنوب كله ضد الاستعمار في الشواطئ، وقد ورد أن «الشيخ سيدي أحمد بن موسى والشيخ سيدي إبراهيم بن علي بتيغانيمين هذا أنهما اجتمعا في جد واحد مع الجزولي، وهو التاسع، والثاني عشر بالنسبة لأحمد بن موسى، والثالث عشر بالنسبة لإبراهيم بن علي هذا، فاجتمعوا كلهم في عيسى بن الفضيل.. وكان سيدي إبراهيم أعلي إذا قيل له عمن أخذت؟ يقول سيدي سعيد بن عبد النعم طهر ذاتي، وسيدي أحمد أموسى ملاء عسلا.. في صفر عام...؟ محمد بن محمد بن الحبيب الباعمراني نجارا والهوتي جارا، من ذرية الوالي المذكور أبي سالم سيدي إبراهيم أعلي»<sup>(68)</sup>.

قال أمغار الحاضر عبد الكريم: «قد احتجاجنا على كباص، ونحن بجوار المحلة الفرنسية بتيغانيمين بالسيجل، وقلنا له: لا يمكن أن نسمح باحتلال جزء من بلادنا، أو التنازل عن جزء من إخواننا الباعمرانيين أيت السيجل بحدود أسيف ن گوراييم، وصممنا على خوض المعركة، فوقع إقناعنا بإعلان التهدة في انتظار المذاكرة بين كباص والضابط الفرنسي حول الموضوع، فبنتا جميعا عند أمغار أيت تويجانت لحسن أو عبلا؟»

(68) وثائق قديمة عند جهادي إيريك.

فكنا نسمع طول الليل «تاقورت» لغطا وخصومة بين الضابطين الفرنسي والإسباني، ونحن نعتقد أننا سنسترجع الباعمرانيين في السيجل حسب الحدود المنطلقة من الوادي الخارج من ثلاثاء الأخصاص أسيف ن تزوگارت: «واد بوسدر» المار إلى إيگالفن (إنگارفن) أسيف ن تگينيت، إلى تيغانيمين، إلى گوراييم، إلى أن يصب في المحيط الأطلسي، بينما كان ذلك الفصل في علم القائد أحمد أصبايو، كما في الرسالة المرسولة إلى الشيخ سعيد بتفاصيل الحدود في الشمال، لأن هذا الأخير، كان مسؤولا كذلك عن إگیسل وأبانو المقطوعين من أيت باعمران في الجنوب، بينما أنا أمغار هذه الحدود الشمالية، لا علم لي بذلك، ولم يخبرني أحد.. وكذلك كل من كان معي، فإذا بفرنسا تضم حتى ميرلفت، بدعوى أن حاكم تيزنيت الحاحي سعيد الكيلولي في عهد السلطان مولاي عبد العزيز الذي غزا السيجل، «وهو أول من استعمل البنادق الرومية الجديدة العصرية التي تستعمل القرطوش بدلا من البارود، ثم غنمها الوليتيون منه في معركة تاساوت نندريس في بعاقيلة، ثم انتشرت في سوس»<sup>(69)</sup>، ومع ذلك هزمه أيت باعمران وغنموها منه في معركة تيغانيمين بالسيجل، وبغزوه هذا وصلت فرنسا القوية حدودها إلى أسيف ن سالگماض. بتابلكوكت.

وقد انتهب ابن دحان دار الفقيه إبراهيم گزور وديار السملالين الباعمرانيين، فتبعثرت خزانتهم عام 1332هـ. «وفي هذه التموجات جاء مره ربه من الصحراء بجيش أسود كثيف من الصحراويين فنزل بهم على قبائل أزاغار فانتهبوا الكعدة والزاوية الإگراية بأگلو في رمضان 1332هـ»<sup>(70)</sup>، كما ذكرنا ذلك في مكانه.

أما ظهور اسم القائد أحمد أصبايو في الرسالة، فيرجع إلى معلومات حول رسالة أسقطتها طائرة على المتسوقين في أربعاء تاسوليلت بالسيجل، فتسابق إليها المتسوقون، فسلمت للقائد أحمد أصبايو هذا، فألقى عليها نظرة ثم أدخلها في شكارته بعدما أعلن للمتسوقين أن يتحمسوا للجهاد وأن يشتغلوا بحراسة البلاد تعمية منه، ولم يعلن عما في الرسالة، لعلمه بما كان يجري في الخفاء، كما أن الأمية تضرب أطنابها، والناس بين

(69) المعسول، ج 3، ص 261.

(70) المعسول، ج 4، ص 194.



الخوف والحماسة وتهديد القوة الزاحفة من تيزنيت تجاه أيت باعمران. وبمجرد إعلان الذهاب إلى ثلاثاء الأخصاص، في أجموع بموضع أدار بأيت يعزى، ظهر هيجان، وفقد الناس أعصابهم، وعجز الأعيان عن ضبط الأمور، وكادت الفتنة أن تقع، بين من يدعو إلى الاستمرار في الدفاع، وبين من يوضح خطورة الموقف، لإحاطة العدو بأيت باعمران من جميع الجهات. بعد استسلام القبائل حولهم.

وبعد أخذ ورد، اقترح عزل كل قبيلة لتنتخب من يمثلها في ثلاثاء الأخصاص، والمجاعة منتشرة، والقبائل المجاورة قد تخلت عن أيت باعمران لعجزها ولعزلها عنهم، فعاش الناس بأكل الجراد، وتبخر كل ما يدعيه أعراب الصحراء بزعماء أبناء الشيخ ماء العينين من بركة ونصر منتظر، فطاردتهم طائرات العدو من أغبالو ن كارديوس بقبيلة بعاقيلة، حتى طرفاية، فلم يبق في ساحة المعركة، إلا أبناء المعارك أيت باعمران الذين تربوا فيها دفاعاً عن وطنهم وعن مقدساتهم.

وأخيراً اطلعت على تلك الرسالة التي أسقطتها الطائرة المذكورة، والتي قيل عنها الكثير، حتى اتهم القائد أحمد أصبايو بكتمان حقيقة ما فيها، وملخصها أنه أي القائد أحمد هو والشيخ سعيد كانا همزة وصل بين الحاج موسى بالعوينة المتصل بحاكم تيزنيت، أما الرسالة ففيها إنذار لأيت باعمران، ومنها: «أيها الباعمرانيون، اعلّموا أن فرنسا قوية، قادرة على إحراق بلادكم، وعلى زرعكم وعلى نحلكم، وعلى أولادكم، وذنب ذلك كله عليكم والسلام» (الشيخ موسى بن الطيفور، أطلعني على حقائق الأحداث).

أما رسالة عقد الهناء فقد جاء بها من العوينة كذلك الشخصان المذكوران، وقد أحدثت رسالة الذهاب إلى ثلاثاء الأخصاص فجأة، فوضى في أجموع بأدار بأيت يعزى، ففقد المجاهدون صوابهم، فانقسم أيت باعمران بين مقاوم حتى الانتصار، أو الاستمرار في المقاومة حتى الاستشهاد، فكادت الحرب أن تقع بين الطرفين، ومعنى ذلك هو القضاء التام على القبائل الست الباقية من أيت باعمران، إلى أن اقترح عزل كل قبيلة لتنتخب من يمثلها أو ترفض الذهاب إلى الصلح مع فرنسا في ثلاثاء الأخصاص، فنجح

الاقتراح. أما أنا يقول عبد الكريم: فقد حدث أن استشهد أخوالي وأعمامي، فتوليت رئاسة قبيلة أيت إخلف، وأنا شاب أصغر القوم عمري 17 سنة، لذلك ثار النزاع بين عائلتين من قبيلتنا، فرقة إدجوان، ضد فرقة إدعيسى، وهما من إنفلاس القبيلة وكبار القوم، فانقسمت قبيلتنا بين الطرفين، إلى حد الخطورة والقيام بالقتال، فقام أنفلوس السيد عيسى بن عثمان فقال: «نحن قبيلة أيت إخلف، لا يمثلنا إلا عائلة إدالشيخ همو، ولم يبق منهم بعد استشهاد كبارهم، إلا هذا الشاب عبد الكريم، فصفق الجميع، فمثلت أيت باعمران في اتفاقية ثلاثاء الأخصاص سنة 1934م / 1353هـ. وهذا لا يمنع ما سبق له في رسالة سرية من القنص براكش إلى عبد الكريم. كما سنرى. وسمعت أن الفقيه الروائي باغاض اليعزوي لعب دوراً في التصالح بين القبائل في أدار، واسمه أحمد باغاض لقباً من قبيلة أيت يعزى الباعمراني، كان يلبس أحايك فقط، كأنه في إحرام الكعبة، ويعري صدره المغطى بالشعر، وذكروا أنه شارط في مدرسة ميرلفت حوالي عام 1303هـ، وموضع سكنه في أدار حيث ركيزة القبيلة وموضع أجموع أعيان قبائل أيت باعمران، وهو من المستعرضين أمام السلطان الحسن الأول سنة 1303هـ في الروايات عندما مرت حملته في تيزنيت، فنال ظهير التوقيع والاحترام، فصار رئيساً لطلبة القبيلة، وعنه ورثها أهله منهم سيدي الحسين بن أحمد باغاض، المشرف على تعمير المدرسة العتيقة بوكارفا من حيث التموين، مما جعل الدراسة تستمر في تلك المدرسة، وقد أدركته عندما كنت أخذ هناك على يد سيدي الحسين بن أمغار البوجرفاوي تلميذ الحمزاوي سيدي محمد بن مأيذا اليوسفي من تادراوت العليا، وكان باغاض الأخير هذا يختبر معلوماتنا في الرواية تشجيعاً لنا، وكان دائماً يقرأ أمامنا بداية حزب «قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون» بالرواية وهو مسن للغاية وذلك سنة 1952م.

### خطورة تسليم الجنوب بوعود لا أصل لها :

وهذه رسالة السلطان مولاي الحسن الأول في الدفاع عن ذلك. بعد الحمدلة والتصلية، والطابع السلطاني بداخله الحسن بن محمد الله وليه ومولاه. «خدمنا الأرضي الطالب الحبيب بن الشيخ مبارك الودنوني الكلميمي، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.



وبعد : فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما أخبرت به من كُتب قنصو الصبنيول بالصورة لك، بالقبض على الخارجين منهم في الساحل، وكُتبتهم لك أيضا بأن تحت أيديهم كتاب سيدنا الوالد قدسه الله، بأنه رفع يده على ماسة ووادنون والصحراء ولا يتكلم فيها، تركهم يفعلون مع أهلها ما يشاءون ! وطلبت ما يكون عليه عملك في ذلك، وكف ابن الدليمي عما هو مشتغل به، من قطع الطريق على الواردين من ناحيتكم للمدن، ومنعهم من القدوم لها، وإلزامه ردّ ما أخذه لكم، أما تسليم سيدنا رحمه الله المسلمين مطلقا، أخرى من هم من رعيته، فلا أصل له، ولم يكن. وحاشا وكلا ومعاذ الله يصدر منه ذلك، أما ابن الدليمي فقد أمرنا عاملنا خدينا الحاج عمر المتوگي بكفه عن ذلك، وإلزامه الجلوس عند حده، ورد ما أخذه لكم، وأتم عندنا بالمنزلة التي كان فيها أسلافكم عند أسلافنا قدسهم الله، لأن داركم دار حرمة ومحبة خلفا عن سلف، فلا نفوتكم بحول الله، وحتى من جاء منكم من تلك الجادة، رجع نقبله ولا نسلمه والسلام»<sup>(71)</sup>.

وهذه الرسالة السلطانية دليل قاطع على الشك حتى في مدلول المادة الثامنة من معاهدة تطوان 1860م ؟. والاسبان سبق أو زوّروا توقيع اتفاقيتهم مع الكاتب الغزال المغربي حول حدود مليلية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله. لذلك عزله لسهولة تزوير توقيع يده على اتفاقية الحدود.

وبما ورد في اتفاقية مغربية إنجليزية في 13 مارس سنة 1895م «ومن أصدق ما اشتملت عليه الفصل الأول من هذه الاتفاقية اعتراف بريطانيا العظمى بأن المنطقة الواقعة بين الطرفية ورأس بوجدور هي كلها من أرض المغرب وحسابه»<sup>(72)</sup>.

### تنظيم السلطان الحسن الأول للجنوب :

«أقبل هذا السلطان إلى سوس ليتفقد ناحية الصحراء لأمر سياسية خارجية، فحافظ ألا يثور أمامه من قبائل الجبال ما قد يشغله عما جعله أمام عينيه، فأفلح فلاحا باهرا في الملاينة، فلم تبق قبيلة في كل سوس، ولا في صحرائها إلا مثلت بين يديه، فعين

(71) عبد الوهاب بن منصور مناقب الصحراء، ص 76.

(72) نفس المرجع، ص 81.

لها القواد والقضاة، ويصل كل واحد. وقد أظهر للعلماء جميعا على اختلاف طبقاتهم احتراما زائدا».

وفي هذه الرحلة إلى سوس، عام 1299هـ/1881م عين مجموعة من القادة في القبائل الكبرى، معظمهم من الأفاقيين عن قبائلهم ؟ وكمثال عين في بُعمرانية وحدها ستة قواد، أساء بعضهم السيرة وظلموا، مما أدى إلى انتفاضات كل قبيلة على قائدها، والناس لم يدركوا غاية السلطان التي هي توقيف أطماع الاستعمار الغربي المطل من شواطئ أيت باعمران، حيث خرج تجار مغامرون هناك، منتهزين شدة المسغبة بسبب الجفاف واستمراره حتى أهلك الحرث والنسل، كما قام هذا السلطان نفسه من جديد عام 1303هـ/1885م برحلة من قبل هاتين عندما كان أميرا إلى مشارف ماسة عام 1262هـ، حيث بقيت محلته الكبرى، فانطلق إلى أيت باعمران.

### أهمية علاقة كناريا بجنوب المغرب :

هذا جانب مهم بين الجارين، عريق في القدم يجب استثماره، وخاصة إقليم أيت باعمران وأرخابيل كناريا التي لها علاقات جيولوجية ونباتية وإنسانية وتاريخية، والعلاقة إنسانية وإنسية قبل أن يكتشفها أگليد يوبا الثاني الأمازيغي بداية القرن الميلادي ما بين 25 قبل الميلاد إلى 25 بعد الميلاد وهو مؤسس خزانة ليبىكا، ومن أشهر تلك الجزر تينينيريف التي تحمل اسم الريف في شمال المغرب، ومن أعلاها حوالي 3700م، وبها نقوش صخرية قديمة لسكانها وهم يدينون بديانات توحيدية ويقدمون الكواكب والقمر والنجوم كما هي الحضارة العريقة في وطن تامازغا : شمال أفريقيا، وحسب الدراسات الجيولوجية، يمكن أن يوجد الحوض القاري البحري بكميات من البترول غدا أو بعد غد ممتدا إلى 92 كلم في المحيط. حسب الدراسات الجيولوجية في انتظار الحفر إلى عمق 5 كلم..

ورغم قدم حضارة كناريا وغموضها، فهي تشترك مع المغاربة الأمازيغية وحوض المتوسط وجنوب أوروبا في الأشكال الهندسية خصوصا في المغرب، وأهمها كلمات أمازيغية، ونقوش كتابة تيفيناغ التي هي أقدم كتابة في العالم، وما زال فن كناريا يطرح



تساؤلات حول ما اكتشف هناك من الصناعة الطينية وأدوات الإنسان القديم، وهي نفسها متوفرة في الجنوب المغربي وصحرائه، وعلى الجهة العاشرة أن تستفيد من الموجود قبل أن ينفذ، وخاصة إقليم أيت باعمران الشامل لجزولة، مستغلا العلاقة الإيجابية الواسعة لما يتوفر عليه هذا الممر المحيطي المتمتع بالتيار الكاناري، المساهم بالثروة البحرية السمكية والأحفورية والرملية والمنتظر سياحيا وتجاريا وأمنيا وازدهاريا انطلاقا من تفتح المملكة المغربية الأفريقي.

### مقاومة أيت باعمران للاستعمار :

من الواجب الاهتمام بتنمية إقليم عمالة سيدي إفني ضمن الجهة العاشرة تاريخيا واقتصاديا واجتماعيا، كما اهتمت الدولة بإنعاش إقليم الريف، حتى أصبح نموذجا يغري جميع الجهات، ولا يفهم من هذا إلا غبطة الأقاليم لما فاز به الشمال، فإقليم أيت باعمران مثل سائر الأقاليم المغربية، مع وجود تفاوت بين هذه الجهة وتلك، ولإقليم شهادات ووثائق، قل نظيرها في جهات أخرى، لكن كيف الوصول إلى استغلال الإمكانيات وتلك الشهادات، ثم القيام باستعمالها وإبرازها لتنمية الإقليم وازدهاره قصد ربط السكان بالمكان؟ وبالتالي التخفيف من ذلك الفراغ الذي لا يشجع على الارتباط بتوطين مطلوب، وخاصة إذا علمنا أن المستغلين يتهافون على نزع ملكية السكان في الشاطئ الممتد من أكلو حتى الشاطئ الأبيض، وهي أهم ما يملكه إقليم أيت باعمران ضمن الجهة العاشرة.

ولكن من أين تبدأ هذه التنمية؟ هل من القريب إلى البعيد؟ أو من البعيد إلى القريب؟ وهل من المسجل المعلن؟ أم من العريق المبهم؟ وفي جميع الحالات، فتاريخ المغرب واحد، يتكون من كتابة تاريخ جهاته، انطلاقا من مقاوماته ومن شهادات أهله، واعتنائهم بتنميته بروح وطنية

وجهات المغرب متنوعة، منها القوي والضعيف، الغث والسمين، والمضحك والمبكي، والمغني والمخجل، والكامل والمبتور، والصحيح والمغلوط، لذلك سميت أبحاثي الميدانية بحاطب ليل، حتى إنني كنت أخجل من قلمي عند ما أسجل ما يملئ علي أحيانا في

الاستجابات، بل أحيانا أتعرض لتناقضات معاينة، وبما أنني كحاطب ليل، يصادف أفعى أو يلامس عقربا، فإنني لم أتخلص من هذه العقدة حتى قرأت لمؤرخ سوس سيدي محمد المختار السوسي قوله :

«وقلم المؤرخ الجماعة كعدسة المصور، تلتقط كل ما أمامها حتى ما تقدي به العين، فكما تلتقط الإشعاعات الساطعة، تلتقط الظلال القاتمة، فإن لم يكن قلم من يجمع للتاريخ كذلك، فإنه قلم التضليل والمسخر للحقائق، لأن واجب المؤرخ، أن ينقل قارئه بوساطة يراعيه إلى الذي يتحدث عنه، حتى كأنه يشاهد عيانا، مدحا وقدحا، وإن كنت أعمل فكري وأختار وأرجح، لأن هذه أيضا من وظائف المؤرخ، ولا خير في مؤرخ جماع فقط، من غير أن يظهر أثر فكره فيما يكتب»<sup>(73)</sup>، رحمك الله يا نموذج السوسيين المتفتحين، فمن فمك سمعت «كلما تعمقت في معلومات عن موضوع واسع، إلا وازددت جهلا، لأن الموضوع أكثر مما كنت أتصور في البداية»<sup>(74)</sup>.

ولنستمع إلى السلطان العلوي الكبير مولاي الحسن الأول، بما حلّى به أيت باعمران عندما زارهم في رحلتين : الأولى وصلت إلى مشارف أيت باعمران قرب أكلو بموضع يسمى أمزور بجوار زاوية سيدي عبد الرحمان، «غرب تيزنيت، هناك وفدت عليه أشرف أيت باعمران، وفقهاؤهم ومرابطوهم وأعيانهم وأشياخهم المالكون لقيادتهم، وأظهروا كامل الطاعة وغاية الإذعان، ووليت عليهم عدة من العمال، والقادة، ووقع الكلام معهم في شأن المرسى التي أريد فتحها». وسجل مؤرخ المملكة كلمة العمال الموالين. للبحر تمييزا لهم عن القادة في الداخل<sup>(75)</sup>.

وذلك من أجل حراسة هذا الشاطئ الأطلسي، وهذا في سنة 1299هـ/1881م وبما ورد في رسالة السلطان من الاعتناء بتنمية إقليم أيت باعمران حينئذ قوله :

«وعين بوغزة السريفي كبيرا بأيت باعمران، وألزم العمال جوار المراسي الأربع وهي مرسى سيدي محمد بن عبد الله، ومرسى سيدي وارزگ، ومرسى إيسگ بأيت باعمران، ومرسى أكلو. بجوار تيزنيت».

(73) المعسول، ج1، المقدمة حرف الواو.

(74) عرض ألقاه بتيزنيت، سنة 1956م.

(75) إنحاف أعلام الناس، ج2، ص210.



وهنا نلاحظ اعتناء هذا السلطان العلوي بهذا الساحل الذي خصصه بالمراسي الأربع، ولو تم هدف السلطان الحسن الأول في هذا الإقليم، لتبدلت الأرض غير الأرض بفضل البعد الفكري لذلك السلطان، لكن كلمة «لو» لا تفيد في التاريخ، كما أن الله تعالى قد ادخر أجر تنمية عمالة إقليم سيدي إفني وتوحيد قبائل إقليم هذه العمالة كما كانت متحدة في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي، ادخر الله أجر ذلك كله لجلالة الملك سيدي محمد السادس نصره الله وأعز أمره.

وينبغي أن نشير هنا إلى التعديل الواقع بعد رسالة السلطان الحسن الأول كما يأتي: إن مرسى إيسيك الواقعة في النص المذكور أعلاه غير ممكنة، إذ لا وجود للبحر في موضع إيسيك البعيد عن المكان بحوالي 15 كلم، والسبب في ذلك أن العامل المعين وهو القائد إبراهيم بن سعيد الوجداري المكلف بذلك، هو الذي يوجد مسكنه في موضع إيسيك، فأراد أن يكون مطلا على البحر، وكلمة إيسيك هذه بالأمازيغية هي الخوض الذي يجمع سيول المرتفع. (إيسيكّي).

ولذلك لما وصلت مرحلة التطبيق، شرع عامل السلطان أحمد بن الشيخ همّو الخلفي المتوفى بمراكش سنة 1316هـ/1897م شرع في بناء برج لحراسة مرسى سيدي محمد بن عبد الله، في المكان الذي بنت فيه السلطة الإسبانية محل حراستها في تابلوكوكت.

وهو المكان المشرف على مكان المرسى المذكور. في عين المكان الذي كانت فيه مرسى للأمير بودميعة التازروالتي. في بداية أمره «وهناك في جوار سيدي محمد بن عبد الله بين قبيلة السيجيل وقبيلة أيت بوبكر، محل آخر اشتهر في الألسنة فقط، أنه أيضا اتخذ في عهد إيليج للتجارة، مع الخارج، ولا يزال هناك في الشاطئ آثار للمرسى المبني، مما يؤيد ما تتداوله الألسنة، ولعل بودميعة فكر في جعله مرسى جديدا ففتحته للتجارة، إلا أن منيته اخترمته قبل فتحه أو قبيل شهرته بعد فتحه»<sup>(76)</sup>.

ولدينا صور واضحة لما شخّص من أثر البناء، وهكذا ظهر الخطأ بالنسبة لموقع مرسى إيسيك، وتبين فيما بعد، أن الخطأ ارتكب إما لعدم معرفة مكان إيسيك البعيد عن البحر بالنسبة لموظفي المخزن المركزي، أو حسب ما ورد في كتاب السلطة والمجتمع كقوله:

(76) إيليج قديما وحديثا، ص 161.

«كون المخزن المركزي العلوي ظل يعرف موطن أيت باعمران بصفة مبهمة»<sup>(77)</sup>، وأكد البعض، أن هذا الخطأ متعمد من ممثل المخزن بتزنيث، لصالح القائد إبراهيم الوجداري، لكي يسمّى عاملا بدوره واصلا إلى البحر، بدلا من مجرد تسمية القائد لمن عين في البادية بعيدا عن السواحل، إذ سمي المكلفون بالحراسة البحرية عمالا بينما سمي غيرهم في القبائل الداخلية قوادا على فخذات من القبائل.

وفي رواية أخرى: لا يمكن أن يخطئ المخزن المركزي، وإذا حدث فمن باب المثل [أمر تدبر بليل]! لأن أحكام القائد إبراهيم لا تصل إلى شاطئ المحيط، وإنما الذي يوجد في إيسيك هو مقر سكنه فقط، ولكي يكون لحكمه امتداد إلى البحر «قام بهجوم على جزء من أحكام القائد أحمد بن همّو الخلفي، مما جعل المخزن يتدخل بعد رفع الشكاية من طرف القائد أحمد برسالة تنذر القائد إبراهيم المهاجم» (شكاية من القائد أحمد إلى السلطان الحسن الأول).

وأخيرا وقع الاتفاق على أن ينتقل العامل أحمد بن الشيخ همّو الخلفي إلى سيدي إفني، وفعلا بدأ في تأسيس برج الحراسة هناك في دوار الشرفاء الإدريسيين بموضع إدوفقير، لحراسة مرسى سيدي إفني الطبيعية. حتى لا تنفذ إسبانيا ما فرضته معاهدة تطوان الظالمة على المغرب سنة 1860م.

بينما سمح لقائد إيسيك إبراهيم الوجداري ببناء برج لحراسة مرسى سيدي محمد بن عبد الله المنسوبة إلى الأمير بودميعة التازروالتي منذ بداية ظهوره، فشرع الوجداري بدوره في تأسيس ذلك البرج للحراسة على الضفة اليمنى لوادي سامطماط المسمى بتيگمي أو كليل حتى الآن. (دار الملك) وقد وقع هذا الخطأ كذلك بالنسبة للقائد بايروك بأكلميم، لأن المرسى بعيدة لبعد البحر عن أكلميم، لذلك النزاع القبلي حول الحراسة المؤدى عنها، تأخر العمل.

«أما مرسى سيدي وارزگ جنوب إفني بحوال 18 كلم، فما كاد يبدأ الشروع فيها وفي بناء برج الحراسة حتى برز خلاف بين قبيلتي مستي وإصبويا، لأن الأرض للقبيلة (77) السلطة والمجتمع في المغرب نموذج أيت باعمران د علي المحمدي، ص 19.



الأولى، وذلك الأثر البسيط، هو الذي عثرت عليه لجنة البحث المركبة من المغاربة والإسبان، بحثا عما يزعمون هناك من أثر برج أورومي القديم، فرفض المغاربة مزاعمهم في سيدي وارزك»<sup>(78)</sup>.

«كما اقترح السلطان مرسى أساكا في مصب نفس الوادي، لكن نازع في حراستها المسندة إلى إصبويا وحدهم في البداية، إلى أن تدخل المخزن من جديد، برسالة أخرى من أجل إشراك مستي بدعوى أن المكان لقبيلتهم»<sup>(79)</sup>.

ورغم الشروع في تنفيذ أوامر السلطان في هذه المراسي الباعمرانية، فإن ظروفًا قاسية حالت دون بناء أي مرسى من مراسي ساحل أيت باعمران إلى عهد المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني، عندما تفضل بإعطاء أمره بتأسيس مرسى سيدي إفني، ولا بأس بفتح قوس كشاهد لأقول: قد حصل لي الشرف أنا الحسين جهادي بكتابة ذلك الطلب، فوقعه كل من السادة: رئيس المجلس البلدي لمدينة سيدي إفني السيد محمد بن التاكي البوجرفاوي ولد 1883م وتوفي في 4/9/1983م، وهو عمدة إفني وشخصيتها ومضياها الوفود باستمرار، صاحب المساكن، وطني مخلص، يسير أعماله بنفسه كواحد من المتواضعين. أُجريت له عملية جراحية لم تكتمل، فأرجع إلى إفني في انتظار رجوع المتخصصين من العطلة في كل من مستشفى ابن رشد وابن سينا، فزرتة وهو في تلك الحالة، صابرا راضيا طالبا العفو من الله، معتزا بمرور حياته بخير وسلام، مفتخرا بمعاصرة ستة ملوك من العلويين، من الحسن الأول إلى الحسن الثاني، ومن إفني نقل جثمانه إلى قرب جده سيدي إبراهيم بن عبد الله البوجرفاوي، حيث ودعه جماهير من أيت باعمران، بحضور الكاتب العام لتيزنيت، وألقيت هناك كلمات أشادت كلها بمكانة الرجل وبوطنيته، ولو جمعت لكنت مؤلفا يغطي قرنه بكامله. وما نقلته من حفظه هذه الأبيات:

تاد إزرين ف باب لعائل يارا تنت  
إيگاس أمحاس نؤزال سلقلم نواناس  
إيگيتنت غ لعوقود أور إيميل إتوتنت

(78) معلمة المغرب، ج 22، رقم 7551 جهادي.

(79) رسالة السلطان الإتحاف لابن زيدان.

ومن معه في توقيع طلب مرسى سيدي إفني كذلك، السيد محمد بن الشيخ بلعيد البوبكري، من العائلة الوطنية الكبيرة، كان من جملة المحاصرين في مدينة إفني، فكلفه الإسبان بتموين حوالي أربعين ألفا بين الجنود والمدنيين، فكان يستورد كل شيء من كناريا، وكان جوادا كريما يعطف على الفقراء بإفني مدة الحصار، كما وقف مع اللاجئين وعددهم ست مائة منهم مجموعة من الروائس. ومن الموقعين كذلك القائد عبد الله جوان الخلفي من عائلة إنفلاس من قبيلة أيت إخلف، من الوطنيين، ومنهم الأستاذ الأديب السيد أحمد زكرياء التادراتي البوبكري، سلالة العلماء السكّال، قضى حياته في المدارس العلمية العتيقة، فكوّن عددا من المثقفين في كل من بوگارف ومدرسة أيت بوبكر، ثم في زاوية سيدي سليمان وبث الروح الوطنية في تلاميذه، وقد عرفنا به في<sup>(80)</sup> ومنهم المناضل الشجاع أحمد بن الديب الخمسي المعروف بحواره المفحم أمام الإسبان، ومنهم الأستاذ محمد بن مبارك أجبابدي الخلفي الأبني من الجيل التقليدي المعتر ببعمرانته، وأخيرا كاتب ذلك الطلب عبد ربه جهادي الحسين الخلفي، والحمد لله على تحقيق ذلك الطلب.

«ومن عائلة ابن التاكي هذا عائلة الحجاج بإفني الحاج محمد بن الطاهر بن محمد بن أباكرم، بن بلقاسم بن عبد العزيز بن باركا بن إبراهيم بن إبراهيم (مكررا) بن عبد الله بوگارف صاحب الضريح، ولد في 8 ذي الحجة عام 1314هـ/1896م وعقل حملة حيدا بتفاصيلها إذ شارك فيها، وعقل أفراگ القبائل: أجموع بايسينگ، وحضرت فيه القبائل ما عدا الصحراويين، ومن كبار أيت بوبكر القائد محند الخلفاوي وأنفلوس عيسى بن عثمان، ومومادي بن علي أومبارك، وحمو الكارح، وأعلي، وبوژاليم محمد بن مبارك، والضابع الخلفي، وغيرهم من أيت إخلف القادرين على الحرب..»

ومن أيت النص عقلت أمغار أحمد بن سعيد الحوضي، وحسي ن الكر، من أنامر، وحمایدوش ند السي، وفي تيغيت بوطرات، وفي إخبريشن بوچورغا، وعبد بن محمد ابن عبلا البايهي، والمدني في إدبوشاني، وفي المرس أمغار السي بلعيد، ومن دوتويرت والدي الطاهر، وأنا معه في الحرب. ومن أيت عبلا أمغار أحمد بن الطالب، ومعه إقادفن مثل العسري وأخوه عبد القادر، ومنهم حمایدوش وبوجنوي. وفي أيت يعزى أمغار

(80) معلمة المغرب، ج 14، ص 4685.



الحسين بن محمد، ومعه إبراهيم بن الكدائل وفي إدالعسري الحسين بن بلقاسم، وفي إصبويا القائد أحمد، وبوشاما وبلعيد بن الطيب وعبد الله بن أحمد بن جامع أحمد بن مبارك. ومن أيت الخمس أمغار سعيد والسي الحسين بن علي، وغيرهم وهؤلاء المذكورون هم أعيان قبائلهم مكلفون بجميع المشاركين وبأسلحتهم وباتحادهم وتطبيق الأوامر، وباختصار جميع القادرين الشجعان.

ومن المقتولين القلائل في تلك المعركة محمد بن عبد بن عبلا البايهي رأيته بعيني مجروحا ينزف حتى مات، لأن من أصيب في تلك المعارك لا يتداوى فيموت، وأكل الناس حملة حيدا بكاملها، فكثرت فيها القتل بينما قل ذلك في أيت باعمران، إلى أن هاجمهم الجنرال دولاموط، فانتقم منهم، ومن الصحراويين. كل ذلك كأنه أمامي.

وفي عام 1920/1339م شغل الاستعمار أيت باعمران بخلاف بين قبائلهم وهم لا يشعرون، ومن أخطرها معركة خميس أيت بوبكر التي فرقت بين أيت الخمس عن أيت بوبكر حتى في أسواقهم، ثم تلتها معركة بوواغاض حيث جرح حمايدوش وحسي فصار الأخصاص يتدخلون في أيت بوبكر ضد أيت الخمس بفتن المدني. الذي انتهز نتائج تضحيات أيت باعمران التي منها :

1 - قضت قوة الجنرال دولاموط على أبطال أيت باعمران وشجعان الصحراويين بالئات، فحل محلهم أشخاص آخرون همهم تقسيم القبائل واستمرار الفتن.

2 - قضى سلاح الجنرال الخطير على معظم خيل أيت باعمران، وهو سلاحهم المدرب والسريع في الهجوم على الخصوم، إذ كان الخيل لا تقتل في المعارك أصلا.

3 - كانت صابا في البلاد عظيمة فأفسدتها الجيوش التي كانت مع الجنرال، كما سرقوا ما في المداشر من زرع وأدوات حتى باب دار مسنهو باعوه لليهودي يعقوب بتيزنيت إلى أن استرجعوه بثمنه من جديد، وقد رحلت العائلات إلى الجبال خوفا من قصف الطائرات، بينما الرجال يحيطون بالغزاة في انتظار الهجوم عليه.

4 - ولما وقع صلح الهناء بمرغت، فرض أيت بوبكر على جميع السكان ثمن شراء الخيل من جديد، فباع الناس بقراتهم وماشيتهم لدفع الثمن، فزاد ذلك في الأزمة

فظهرت مجاعة 1345هـ/1926م فرحل معظم أيت باعمران إلى ماست وإلى أيت ملول، وإلى حاحة، وإلى عبدة، لكن رجع معظمهم باتفاقية ثلاثاء الأخصاص، فانتعشت البلاد بقدر ما وقعت المجاعة في الحماية الفرنسية وانعدم الثوب والزيت والدقيق والروز والسكر والشاي....

وفي 1934م كنت من تجار القوافل الرابطة بين موريطانيا والصويرة ومراكش، ونزلت بسلعتي في موضع بوتائن قرب إيسينج، قاصدا بها مراكش كما العادة، فإذا بعمي التهامي يخبرني بأن كباص خرج في إفني، فسرت بسلعتي إلى إفني حيث نزل كباص في أمزدوغ، فاجتمعت عليه قبائل أيت باعمران من كل نوع، وكنت أول من أدخل السلعة إلى إفني، فسلمتها للتاجر السيد مبارك بن بلال الخلفاوي، ومن ثم أرسلت أخي الحاج لحسن إلى كناريا ليأتي بالسلعة من هناك بتشجيع من الإسبان، بدلا من مراكش، ومنها الدقيق والسكر والثوب، كل ذلك لقطع الصلة بالحماية. وكان مكان مدينة إفني حاليا، عبارة عن غابة من تيكويوت، فبدأ الإسبان تخطيطا للمدينة بالجير، وفرقوا على الناس البقع بثمن رمزي باسم البلدية، فبدأ الناس يزيلون الغابة من بقعهم وبينون، فانتعشت البلاد بشكل سريع، وبتأسيس مدينة سيدي إفني انقطعت صلة أيت باعمران بمدينة تيزنيت إلا بالرخصة، وبدفعهم إلى الاتجار مع كناريا انقطعت تجارتهم مع مراكش، وبالتالي انخرطوا في السفر عبر البحر» (استجوبته 1983م بمتجره بإفني).

### علاقة أيت باعمران بالبحر :

وليس معنى هذا أن المغاربة ليست لهم علاقة بالبحر، بل هم عريقون في هذه العلاقة، ولنستمع إلى هذا النص : «كان الرجل الروماني يعيش على الخبز المصنوع من القمح الذي ينمو في شمال أفريقيا، أو في مصر، وعلى السمك الذي صيد وجفف هناك بجوار جبل طارق، وكان يطبخ بزيت شمال أفريقيا، في أوان من النحاس صنعت في إسبانيا، ويأكل في صحاف حرقت في أفران فرنسية، ويشرب خمرا مستوردة من إسبانيا أو فرنسا، وإذا سكب شيئا من أكله على شملته ينظفها من تراب التقصير الآتي من جزائر بحر إيجه.

وكان الروماني الثري يلبس ثيابا من ماليطوس من مصر، وأما زوجته فترتدي حريرا من الصين، وتزين نفسها بالجواهر واللآلي من الهند، وتبرج بأذهنة من جنوب بلاد



الغرب، وكان يتبّل غذاءه بالفلفل الهندي ويسكره بالعسل الأثيني، ويقدمه في صحاف من الفضة الإسبانية، على سُفْر من خشب الليمون الإفريقي، ويشرب خمرا صقلية، من قنينات من الزجاج السوري، ... في منزل رخامه من آسيا الصغرى، وحجراته مليئة بالتماثيل، المستوردة من اليونان... كل ذلك في القرن الثالث الميلادي»<sup>(81)</sup>.

ويبرز هذا النص حضور المغرب : شمال أفريقيا، أربع مرات، مما يدل على قدم علاقة المغاربة بالبحر، بالإضافة إلى مصطلحات بحرية أمازيغية، منها أفتاس، أغرابو، تاناوت، تايوغت، تاضيبنكا، تاكراؤلا، تاغارت، تيغري، تاوالا، وهناك أسماء الأسماك وفواكه البحر بالأمازيغية، بالإضافة إلى آثار لوجود المراسي الطبيعية في مصبات الوديان، كما لا يخلو هذا الشاطئ الأطلسي المغربي من بناء بسيط له علاقة بتلك المراسي قد تكون متوغلة في القدم لو تناولتها أبحاث علمية متقدمة.

ومنها ما يرجع إلى علاقة المغاربة التجارية مع أسطول قرطاجة المار عبر سواحل أيت باعمران منذ زمان، فقد كانت هناك مراسي طبيعية تستعمل من طرف السكان المغاربة، تسمى أفتاس، وجمعه إفتاسن، وهناك أعراف تنظم المهن البحرية في جميع الجوانب، كما يخبرنا التاريخ بالعلاقة البحرية بين المغاربة والفنيقيين منذ ما قبل الإسلام بكثير، ومن رغب في التفصيل فليراجع مجلة كلية الآداب بالرباط سنة 2008م حيث مقال لجهادي بعنوان : المغاربة والبحر، وهناك كذلك كتاب المغرب العتيق، أكاديمية المملكة المغربية للمزيد...

فإذا كانت المراسي المغربية في شمال المغرب مرغمة على الدفاع عن الوطن ضد القراصنة الأروبية أو باسم الجهاد البحري لتنافر بين الثقافتين في ذلك العهد، فإن الخطر الأوروبي لم يصل إلى جنوب المغرب إلا في عهد التوسع الاستعماري الذي فرضته حاجة الثورة الصناعية والاكتشافات الكبرى.

ورغم أن أيت باعمران وقعوا في حكم إسبانيا - لأمور يطول شرحها - فإن إسبانيا لم تؤسس أية مرسى في أيت باعمران، بل اكتفت بنفس المراسي الطبيعية المسماة بأفتاس،

(81) كتاب رواد البحار لليونيل كاسون ترجمة جمال مظهر، ص 302.

حتى حصار سيدي إفني بعد الثورة التحريرية لأيت باعمران سنة 1957م فاكثفت بتلك الأعمدة الواقفة حتى الآن بجانب المرسى الحالية. قصد الاتصال بكاتاريا من أجل فك الحصار واستيراد كل شيء.

نعم : ظهرت أطماع إسبانيا في إفني منذ عهد السلطان محمد بن عبد الله حوالي 1163هـ/1749م وذلك إثر الوباء العام، ولدينا رسائل حول هذا الموضوع بين إسبانيا وبين عائلة إد الشيخ همو من أيت إخلف منها : «إن إسبانيا تعد أيت باعمران وتمنيهم بأن تقوم ببناء مرسى سيدي إفني، إذا كانت بلاد أيت باعمران في حظ إسبانيا استعمارية، فرفض إد الشيخ هم قبول ذلك» (رسالة من قنصول بالصويرة إلى قبيلة أيت إخلف للشيخ محمد بن القائد أحمد) تؤكد على مراسلات سابقة مع الشيخ الحسن بن علي ابن الشيخ هم بخط الفقيه أحمد بن موسى اليوسفي.

ولما استقلت إفني بفضل السياسة الحكيمة للمغفور له جلالة الملك الحسن الثاني، طالب أيت باعمران بتأسيس مرسى سيدي إفني برغبة ملحة، لأنها من أهم المرافق العمومية التي ستنعش البلاد والعباد، وقليل من يدري أن بناءها كان من شروط اتفاقية فاس التي منها استغلال الصيد البحري لمدة عشر سنوات، والمحافظة على بعض المباني في مدينة سيدي إفني كالحزانة العامة التي فيها وثائق الإقليم؟ والكنيسة والمستشفى، فانهى كل ذلك بخروج الإسبان، وكان من الممكن استغلال ذلك. بالتوأمة بين الدولتين.

وقد كان أيت باعمران يذكرون ويكررون ويرغبون ويلتمسون من المسؤولين تلبية آمالهم التي منها بناء مرسى سيدي إفني، إلى يوم 29 يناير 1980م. فأعلنت جريدة المحرر «إعلان وزارة التجهيز والإنعاش الوطني مديرية الموانئ عن مباراة دولية مفتوحة من أجل إبرام صفقة طبقا لمحتويات الفقرة الثالثة من الفصل 36 إلى 44 من المرسوم رقم (479762) المؤرخ ب 14 أكتوبر 1976م يتلقى مدير الموانئ إلى غاية (28 فبراير 1980) طلبات الترشيح، من أجل بناء مرسى سيدي إفني» فاستبشر أيت باعمران خيرا، فتم بحمد الله تنفيذ أمر السلطان مولاي الحسن الأول منذ 1299هـ بإنجاز جلالة الملك الحسن الثاني رحم الله الجميع.



هذا وقد عين جلاله الملك الحسن الثاني باشا مدينة سيدي إفني الحسن وشن خلفا للسيد بريكا الصحراوي، فوقع اجتماع في بلدية سيدي إفني، وهناك اتفق الإخوان علي تكوين شركة من أيت باعمران من أجل شراء لوازم الصيد، وقد نشط في ذلك المرحوم الحاج محمد هرواش الباعمراني، كما أعطيت بقع أرضية شبه مجانية لبناء معامل السردين من أجل التشغيل، ورغم أنني هو المسجل والمنظم لتلك الجلسات كلها وتسجيلها ورفع برقية الولاء لجلالة الملك، فإنني لم أقدم بأخذ أية بقعة هناك. لأن الهدف عندي أسمى من ذلك كله، وهو إنعاش الإقليم، وخاصة مدينة سيدي إفني التي ترك فيها الإسبان رَغداً ورغبا مصتنعا مبنيا على ميزانية ثلاثين ألف جندي إسباني (30000) والسكان لا يعملون، وإنما يستهلك أغلبهم كما هي العادة في مدينتي سبتة ومليلية، لأن إفني لا تتوفر على معمل ولا مصنع، فاعتمدت أثناء الحصار على التبادل التجاري في موقع تيزوگاغين شرق المدينة، بقبيلة مستي، على شكل باب سبتة سواء بسواء، وفي تلك المناسبة ألقى محاضرة تحت عنوان «سانتاروز دي ماريكينيا» الصليب المقدس للبحر الصغير، ونشر ملخصها في العدد الأول من مجلة الكلمة في سنة 1971م.

وقد تمس أيت باعمران، فأسسوا الشركة المسماة (يوسيف) وقد تسابقوا في الداخل والخارج، لشراء أسهم تلك الشركة، بألف درهم لكل سهم في ذلك الوقت، لكن مع الأسف هناك عراقيل، رغم تعيين بقع أرضية لبناء معامل السردين في مدينة سيدي إفني، وكانت نية أيت باعمران هي تحقيق نية السلطان الحسن الأول إلى أن طبقت في عهد المغفور له جلاله الملك الحسن الثاني، إذ بعده استمر النمو بأيت باعمران بوصول الماء والكهرباء وفك العزلة عن البوادي بالطرق المعبدة، فانتشرت المدارس والمرافق العمومية، فتحقق تقريب الإدارة من المواطنين في عهد جلاله الملك سيدي محمد السادس أبقاه الله لهذه الأمة وأصلح به البلاد والعباد أمين.

ومن حق أيت باعمران أن يحمدوا ويشكروا ما تحقق في إقليمهم فهو أضعاف مضاعفة لكل ما فعلته إسبانيا، كما يجب ألا ينسوا أنهم ما يقرب من قرن ظلوا منعزلين بسبب الاستعمار الذي لم يقدم لهم ما يستحقونه، ولكي تتضح الرؤيا أورد هنا توجيهات صاحب الجلالة الحسن الثاني عند زيارته لمدينة سيدي إفني منها :

«إننا نريد أن نبلغوا سكان سيدي إفني وسكان أيت باعمران كلهم تأثرنا العميق، وأن الذاكرة لترجع بنا إلى روح والدنا المقدس، طيب الله ثراه، محمد الخامس محرر هذا الوطن، ذلك أننا كنا مؤمنين بأن روحه الطيبة وروح جميع المناضلين والشهداء الذين استشهدوا على هذه الأرض، تبتهج معنا وتفرح معنا وتسعد معنا وتبتسم إلى الغد المشرق البسام، نعم : إن هناك بعض المشاكل للإدماج، علينا ألا ننسى أنه طيلة قرن أو ما يقرب من قرن، بقينا منعزلين، فلا يمكن بين عشية وضحاها أن نحجي تلك الصعوبات ولا تلك العقبات، ولكن يكفي أن نكون واعين بها حتى لا يكبر أولادنا وهم يعيشون في هذه العزلة المختلفة.

فعلينا إذن أن نهيمن باسم الله والقدم اليمنى تفاعلاً واقتباساً لما كان يعمل ويصنعه جدنا محمد عليه الصلاة والسلام. وأخيراً أرجو منكم أن تبلغوا تحياتنا إلى سكان الإقليم، وبهذه المناسبة أبلغ سكان المغرب قاطبة افتخاري واعتزازي وحمدي لله وتواضعي أمام جلالته لكونه أنعم علي بأن أكون ثاني الفاتحين لهذه البقعة أعاننا الله جميعاً وسدد خطانا وأعانكم وألهمكم التوفيق والسداد والسلام عليكم». (من خطاب جلاله الملك الحسن الثاني لزيارة سيدي إفني في 18 ماي 1972م).

وأما ما يتعلق بتساؤل أيت باعمران عن أسباب تماطل مرسى سيدي إفني بكل تلك المدة، فقد شاع بين مؤسسي شركة (يوسيف) أن ميناء أكادير هي التي تقف دائماً ضد إسراع بناء ميناء سيدي إفني، لكن عندما صارت الثروة السمكية في المحيط تنتقل طبيعياً من شمال المغرب نحو الجنوب، من جهة العرائش أولاً، إلى أسفي ثانياً، إلى أكادير ثالثاً، إلى إفني رابعاً، صار ذلك ضرورياً لنقل السمك من إفني عن طريق البر إلى أكادير، وذلك أسرع بكثير من البحر.

لكن أرباب المعامل بأكادير، لم يقوموا ببناء معامل السردين بإفني حسب تعهدهم عند استلام البقع الأرضية بمرسى سيدي إفني كما ذكر، وراج وشاع أن هناك من سعى في إهمال إنعاش تلك النواة التنموية ؟!. وعلى الباعمرانيين أن يهتموا بتنمية مدينة سيدي إفني، ويعملوا لجعلها بمثابة كاليفورنيا الإفريقية سياحياً، كما أن الذين كونوا



شركة «يوسيف» بإفني لم يتقوا الله في مصير الشركة ولا في أسهم المشاركين، وقد ذهبوا كلهم بدون فعل يذكر، ولا عمل يعتبر..

وفي صدد هذه المرسى، أذكر أن الإسبان كانوا قد هندسوا شواطئ أيت باعمران قصد بناء مرسى لهذا الإقليم، لكنهم لم يفلحوا لضعف إسبانيا في ذلك الوقت، ولأن مرسى إفني الطبيعية لا تصلح عند هيجان البحر، وخاصة في فصل الشتاء، كما غرق فيها عدد من البحارة عند نقل السلع من البواخر إلى الشاطئ، كما هناك رمال تدخل إلى داخل رسو السفن، ولكن نظرا لضعف إسبانيا بسبب الحرب الأهلية فيها من جهة، ولضعف اقتصاد إقليم أيت باعمران من جهة أخرى، صارت إسبانيا متقشفة عاجزة عن فعل أي شيء يستحق الذكر، حتى إن الطرق لا تعرف القناطر ولا الزفت ولو مترا واحدا في أيت باعمران.

إلا أن حصار إفني - بسبب الثورة التحريرية لأيت باعمران سنة 1957م - جعل عدد الإسبان العسكريين وسكان إفني يصل إلى (40000) مضطرين إلى تأسيس الأعمدة التي توجد حتى الآن بجانب المرسى الحالية التي كلف المرحوم الحاج محمد لوطفي الوجاني بمد رصيف المرسى حتى العمود الإسباني في الداخل، حتى لا تتسرب الرمال إلى أحواض المرسى.

لكن مع الأسف عجز هذا المقاول الوجاني عن تحقيق ذلك، وخاصة عندما تعرضت آلة الشغل الرئيسية لخطر هناك، فاكتمت بالمنعطف الذي انتهى إليه الجدار حاليا، مما جعل الرمال تتسرب إلى أحواض المرسى باستمرار، والتي تكلف كثيرا، ولا دواء لذلك إلا بإيصال الرصيف إلى العمود في الداخل، كما يؤكد العارفون هناك، ولعل ذلك سيتحقق اليوم، فالمغرب الآن قادر بأطره وبتقدمه وبعلاقاته الواسعة أن يمد هذه السواحل بمراسي مناسبة.

وعلى كل حال فالمرسى الآن موجودة، والدولة المغربية قادرة - إن شاءت - على مد الرصيف إلى المسافة الضرورية، ومجال الاستثمار البحري والسياحي واسع في أيت باعمران، لكن ينبغي أن يساهم في ازدهار الإقليم، ويربط السكان بالأرض من أجل

الاستقرار في عين المكان، وذلك عن طريق التنمية التي نادى بها صاحب الجلالة سيدي محمد السادس نصره الله، وبالتالي تحقيق آمال أيت باعمران الاقتصادية والاجتماعية، استمرارا لاعتناء الملوك العلويين بالمغرب الجنوبي لما له من دور تأسيسي في تاريخ ماضيه الإفريقي المستمر.

### بداية دولة المرابطين في الجنوب :

نعم : «هناك ثلاث قبائل مغربية في أقصى الجنوب، بينما كانت الرابعة في مشارف الصحراء، وهي لمطة المنتشرة ما بين وادي درعة جنوبا ووادي سوس شمالا»<sup>(82)</sup>، فإذا ساهمت القبائل الثلاث الأولى بالنمو الديمغرافي، فإن قبيلة لمطة الرابعة لعبت دورا كبيرا لموقعها الرئيسي : تابريدا الممتدة من مصب نهر السينيغال، محاذية للمحيط حتى شمال المغرب، كما بلغت فكريا وقياديا توحيد المجتمع الصحراوي، كوكاگ اللمطي، وأبو عمران اللمطي، وعبد الله بن ياسين الجزولي اللمطي.

وموقع قبيلة لمطة، أي بعمرانة قد امتد إلى سهل سوس، لقول ابن خلدون : «وأرض السوس مجالات لنزول لمطة، فلمطة منهم مما يلي درن، وكزولة مما يلي الرمل والقفر، ولما تغلب المعقل على بسائطه اقتسموها مواطن، فكان الشبانان أقرب إلى جبال درن، وصارت قبائل لمطة من أحلافهم، وصارت كزولة من أحلاف ذوي حسان، والأمر على ذلك لهذا العهد»<sup>(83)</sup>.

والعجيب أن ابن خلدون نص على كلمة قسمة المواطن في سوس بين الشبانان ولمطة (بعمرانة) ولم يشر إلى الاختلاط، ولا إلى الاندماج، ولا إلى دويان لمطة في أعراب الشبانان، وإنما هي من أحلافهم، ونفس الشيء بين كزولة وذوي حسان «وكان علي بن يدر قد استفحل ببلاد السوس، واستخدم الأعراب من الشبانان وذوي حسان، وأطاعته القبائل من بنيه وبني كزولة، وكانت لهم فتن وحروب»<sup>(84)</sup>.

(82) عبد الهادي التازي التاريخ الدبلوماسي، ج 5، ص 24، توفي 2015م.

(83) ابن خلدون، ج 6، ص 275.

(84) ابن خلدون، ج 6، ص 273.



ويطلق على الشبانات الشراردة، ومن أفخاذها قبل أن تخرج من سوس أولاد جامع، وهم النازلون بأحواز فاس، وبني خليل، وأولاد إدريس، وأولاد يحيى، ثم تشتت الأفخاذ كلها إلى الحوز وغيره، إلا ما كان من أولاد يحيى وأولاد إدريس، وكانت بسائط سوس : حول مصب الوادي تملأها العرب يقاوضون في التجارة مع البرتغاليين حين كانوا في فُنْتِي : Fontaine ثم نقلت الدولة السعدية كثيرا من قبائل سوس إلى أحواز مراكش، فسميت بقبائل أهل سوس، وقد قاومت عرب الشبانات حول أكادير سنة 1081هـ السلطان مولاي رشيد العلوي يوم زحف إلى سوس بجيش لجب ليديك دولة إيلغ، وكان وباء عام 1163هـ هو الذي فتك بأفخاذ الشبانات حتى خلت القرى، وبقيت المواشي هملا فتوحشت»<sup>(85)</sup> ولذلك ليس لهم تأثير حضاري في سوس، ولا أثر تاريخي ماعدا ذكر حياتهم بتجارته مع الاستعمار البورتغالي بأكادير.

وليس معنى هذا أن هذا الإقليم اللمطي الجزولي السوسي كان خاليا من السكان، بل كان عامرا ومسكونا بحدود هذه الأمة الأمازيغية الإفريقية المغربية العريقة في القدم «وهذا الوطن قبلة جبال درن ذو عمائر وقرى ومزارع إلى ما بين گلاوة وسكسيوة، ويدفع إلى بسيطه، ثم يمر مغربا إلى أن يصب في البحر المحيط، والعمائر متصلة حُفًا في هذا الوادي ذات المدن والمزارع، وأهلها يتخذون فيها قصب السكر، وعند مصب هذا الوادي من الجبل في البسيط مدينة تارودانت، وبين مصب هذا الوادي في البحر ومصب وادي آش : أغيلاس ؟ (ماست) مرحلتان إلى ناحية الجنوب على ساحل البحر، وهناك رباط ماسة الشهير المعروف بتردد الأولياء وعبادتهم، ويمتد هذا الإقليم إلى بونعمان، إلى وادي نول ومدينة تاكاوست محط الرفاق والبضائع. وبلد إيفري (إيفران) بسفح جبل نكيسة : لكُست، وأرض السوس مجالات لنزول لمطة وگزولة..»<sup>(86)</sup>

أما تخصيص ذكر القبيلتين الأعرابيتين المستدعتين من جهة ملوية، فمن باب إحصاء الأقلية في عين المكان. بمثابة ما يسمى بالگيش عند الحاجة. ومن أقدم الأماكن التي ذكرتها المراجع، موقعا يسمّى لمطة في تونس الحالية منذ عهد الحروب البونيقية 204 ق م «عندما اجتاز

(85) خلال جزولة، ج 4، ص 98.

(86) ابن خلدون، ج 6، ص 274.

حنبل البرقي البحر من إيطاليا ونزل بلمطة في صيف 203 ق م (leptis minor)»<sup>(87)</sup> مما يدل على قدم قبيلة لمطة، ولا ندري سبب تنقل هذه القبيلة أو على الأصح انتشار ذكرها؟ وهي في تونس، وهي في جزولة، وهي على وادي سوس، وهي في حوز مراكش الشمالي، وهي في فاس في عهد السعديين، وهذا «ابن الصغير كبير اللمطين ومن إليهم يقاسم فاس ضد ابن صالح حامي الأندلسيين ومن إليهم، حتى اقتحمها مولاي رشيد فأفنى رؤساءها» (نزهة الحادي ص 427) وهما هي في جهاد المرينيين بالأندلس، مما يوحي لنا بأن لمطة قبيلة قوة حربية حتى سميت ذروع اللمط باسمها، كما سمي جلد البقر المتوحش بإفريقيا بالگاموس.

ولعل وجود لمطة هذه في جهة تونس إلى أقصى المغرب الجنوبي يرجع إلى عهد تغير مناخ الجنوب الصحراوي الممطر، فصار مناسبا للحياة النباتية والحيوانية والبشرية أكثر منها في المغرب الشمالي، ولأمر ما وسمت مجاري المياه في الصحراء الكبرى عامة بغزارة الأمطار، مثل الساقية الحمراء ووادي الذهب، وتاكانت وبير إنززان، وكلها دليل قاطع على غزارة الأمطار، وما بقية الواحات هناك حتى الآن، إلا شاهد على ذلك الماضي الممطر القديم.

ومن الطبيعي الانتقال كلما اشتد جفاف الصحراء على سكانها، فينتقلون بماشيتهم مرغمين نحو الشمال، وسيستمر ذلك ما لم يوضع حل مناسب لربط السكان بالأرض عن طريق استغلال الموارد المحلية، والمحافظة على الغطاء النباتي المحلي المغروس والمناسب لمقاومة الجفاف، وبالتالي وقايته من رعي جمال الصحراء التي تحطم النباتات في سويحات، قبل نثر بذورها المنتظرة، ولهذه الظاهرة ارتبط الجمل بالصحراء حيثما حل وارتحل، فقد تبعته من آسيا حيث أصله، إلى شبه جزيرة التوابل (الحجاز) إلى المراعي المدارية الإفريقية منذ أقدم العصور.

وعلاقة شمال المغرب بإفريقيا السوداء قديمة، ومعالمها في متناول الباحثين، وقد أورد الأستاذ عبد الهادي التازي خريطة واضحة «المحاور التجارية الرئيسية ما بين القرن العاشر والسادس عشر عن وثائق المركز الوطني للبحث العلمي بباريس»<sup>(88)</sup>.

(87) شارل أندري جوليان، ص 105.

(88) ذع التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج 5، ص 23.



قبيلة لمطة هذه هي بُعمرانة أصلاً منذ تأسيس دولة المرابطين، سواء في عهد اتساع موطنها فيشمل جزولة الغربية على الأقل، كما أشار إليه ابن خلدون أو تقلص موطنها حتى عرف بما كان تحت النفوذ الإسباني مؤخرًا، مع العلم أن حدود هذه الأقاليم، تتغير مساحتها حسب الظروف، كما تتغير عناوينها، وذلك لأسباب منها: الظروف الطبيعية، وضعف السلطة المركزية، واتساع الامبراطوريات المغربية، مع قلة المواصلات والاتصالات، وذلك ملاحظ كلما وصلت السلطة المركزية إلى عهد الشيخوخة، فتظهر الأطماع لانعدام دستور وضعي كمرجع يتحاكم إليه عند الضرورة، لتستمر الوحدة ويتوحد المجتمع.

ولنا في تاريخ ابن خلدون، ما يقربنا إلى حالة سوس، حيث موطن قبيلة لمطة (بُعمرانة) التي نتتبع تاريخها إذ قال: «وبقي عمل السوس ضاحيا من ظل الملك لهذا العهد (650 هـ/1252م)».

وهو وطن كبير في مثل عرض البلاد الجريدية، وهوائها المتصل من لدن البحر المحيط إلى نيل مصر، وهذا الوطن قبلة جبال درن ذو عمائر وقرى ومزارع ومدن وأمصار وجبال وحصون - كقدم قلعة بن حدو لثلاثة آلاف سنة - ويحدق به وادي السوس ... والعمائر متصلة حُفًا في هذا الوادي ذات المدن والمزارع، وفي البسيط مدينة تارودانت، ورباط ماسة الشهير، وزوايا أولاد بونعمان مرحلتان إلى الجنوب كذلك على ساحل البحر، وبعدها على مراحل عصب الساقية الحمراء، من جبال نكيسة وادي نول، ويمر مغربًا إلى أن يصب في البحر، وعلى هذا الوادي بلد تاكاوُصت محط الرفاق والبضائع بالقبلة، وبها سوق في يوم واحد يقصده التجار من الآفاق، وهو من الشهرة لهذا العهد بمكان، وبلد إيفري (إفران 3000 سنة ق م) بسفح جبال نكيسة وبينها وبين تاكاوُصت (تاكوست) مرحلتان، وأرض السوس مجالات لنزول لمطة، فلمطة منهم بما يلي درن، وكزولة بما يلي الرمل والقفر.

وفي ألواح جزولة للأستاذ محمد العثماني، أورد قائلا: يقول الدكتور حسن أحمد محمود في كتابه قيام دولة المرابطين ما نصه: «فقبيلة لمطة وجزولة تحتلان المنطقة الممتدة

من جبال درن حتى وادي نول الغربية من المحيط الأطلسي، وعنه أيضا: استطاع المرابطون في وقت قصير، أن يجتازوا إقليم السوس الأقصى، فاستولوا على بلاد جزولة وبلدة ماسة، ودخلوا تارودانت عاصمة الإقليم، ثم عبروا ذلك النطاق الجبلي العظيم المعروف بجبل درن، عند أطرافه القريبة من ساحل المحيط». انتهى باختصار.

وفي إيليج قديما وحديثا «كانت جزولة أحد أفخاذ البربر، وقد عرفت بهذا الاسم من قديم جدا، وكانت كل هذه الجبال التي نسميها إداوُلْتيت اليوم مواطنها إلى أيت باعمران التي تسمى مواطنهم قديما بلاد لمطة، وهي من الجزولين، وقد ذكرت هذه البلاد في التاريخ ببلاد جزولة، أعني جبال ولتية، وذلك في أواسط القرن الخامس الهجري (445هـ ص 1053م) حين دخل اللمتونيون إلى سوس، فكل من كان في هذا الفخذ الجزولي فهو جزولي».

وبعد كل ما ذكرناه ومعظم ما اطلعنا عليه، نخلص إلى أن هناك جزولة ما زالت تطلق على الأطلس الصغير، أما لمطة فالتاريخ يؤكد على أن ما بقي منها هو أيت باعمران، وبما قاله مؤرخ سوس محمد المختار السوسي. في أمنيته: «يأليت شعري متى انتقلت لمطة إلى بُعمرانة» (نفس المرجع) - وكلمة ليت معناها ما لا مطمع فيه أو فيه عسر، ومع ذلك قال: «أيت باعمران الحالية والقديمة هي لمطة لا شك في ذلك، لكن الحيرة في متى حلت كلمة بُعمرانة محل كلمة لمطة»؟. (أمنية المختار السوسي في إيليج).

وذكر الأستاذ ناعمي أن هناك وثائق غير منشورة؟ وجدت بتاغيجت بوادي نون: «ويفيدنا الكناش من جهته أن بعض أيت لحسن الحاليين ينحدرون من قبيلة لمطة ... بعد الغزو الأعرابي ... فقد ادعت هذه الأطروحة؟ بأن قبيلة جزولة الكبرى، قد أقامت بعد إنشائها حلف إيگيزولن، ... لمحاربة قبائل الصحراء المعقلية، في معركة إگراز نث تانانت، كما أن كثيرا من العائلات المعقلية، كأولاد علي منصور الذين من بينهم أولاد عمران، الجد الأسمى؟ لاتحادية أيت باعمران، قد استقرت بالمنطقة كبقايا الغزو الهلالي»<sup>(89)</sup>، من الطبيعي أن يوجد أحفاد أيت باعمران في

(89) الصحراء من خلال بلاد تكنة ذ. ناعمي مصطفى، ص 132.



جهات متعددة، بشرط التمسك بالميزات، أما الانتساب إلى عمران، فقد سبق إليه النبي ؑ موسى.

### قطع بحث سابق، عن بحث لاحق :

1 - نفخ كثير من الكتاب في تكثير أعراب بني معقيل وأهميتهم وتأثيرهم خلافا لابن خلدون، ويرجع السبب في هذا التكثير، إلى قتلهم في المجتمع المغربي، فوجوا لتكثيرهم بنشر الأقاويل والحكايات، وشهروا عناوين الأفراد كموسى وعمران. وأيت فلان، وذلك لقلّة ارتباطهم بالأرض والاستقرار فيها، شأنهم شأن المورسكيين في شمال المغرب المدافعين عن قتلهم بثقافتهم في المدن، أو انتمائهم إلى السلطة المركزية المدنية. وذلك دائما طبيعة الأقلية حتى تتجذر.

2 - نحن لا ننكر من تسرب إلى المغرب من أقليات تنتقل طوعا أو كرها من جهة إلى أخرى، أقول طوعا : كراحة تسير وراء ماشيتهم، أو كرها كلما تسببوا في فتنة أو فساد في الموضع الذي أنزلوا فيه، فيطردون منه أو ينقلون حسب ما ارتكبوه، أو عندما يدعون ما ليس لهم كرؤوس الفتنة. وهذا الانتقال أو التنقل، كثير في شمال أفريقيا. «ولما مهد الخليفة تلك البلاد : تونس، وأقبل إلى المغرب مع سادة العرب بأجمعهم بأولادهم وعيالهم فوصل أمير المؤمنين إلى سلا، وقسم العرب على البلاد!»<sup>(90)</sup> وسيتعرضون لتوزيع أكثر، من طرف يعقوب المنصور الموحد الذي ندم على إدخالهم إلى المغرب، كما ثم نقلهم من ملوية إلى سوس في معارك مع يدّر. في تخريب سوس لمدة مضطربة.

وليس ابن خلدون فقط هو الذي نعت العرب بما يكرهون، فهذا المنصور السعدي يحذر ولي عهده منهم فقال : «فالقوم عرب، لا يتحفظون على ما يطالعون ولا يفهمون ما يحسن إخفاؤه ولا إيدائه، ولا يتمالكون من أنفسهم قولا ولا نطقا، وبالجملة فقد أحرقتنا هذه المسألة وتفطرت لها أكبادنا»<sup>(91)</sup>. فإذا اتهم ابن خلدون في نعت الأعراب بما فيهم، فرسالة المنصور الطويلة وضحت كل شيء، لكن كيف يستحق الأعراب على الدوام

(90) البيدق، ص 80.

(91) نزهة الحادي، ص 263.

صفة النفاق عبر القرون؟ منذ تحذير أهل المدينة منهم؟ فهل لقوله تعالى : ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون...﴾ (سورة التوبة الآية 101) لا حيلة مع الله، فالقوم من البشر، فما العلة بنعتهم دائما بعنصر غير مستقر؟ وهذا موضوع تجب معالجته.

3 - نوابغ الفتن في عام 1197هـ «نبغت نوابغ الفتن ببعض القبائل، فمن ذلك قبيلة أولاد أبي السبع بأحواز مراكش، فجهز إليهم السلطان العساكر فقاتلوهم وقتلوهم، وانتهبوا أموالهم، وشردوهم إلى السوس... وأوعز إلى قبائل السوس أن يطردوا بقيتهم، وينفوههم إلى بلاد القبلة مسقط رأسهم، ومنبع شوكتهم وبأسهم ففعلوا، وفي رواية أخرى، موطن شرهم ! ومن أقسام الكيش : زرارة وتكنة والشبانان من أهل السوس المنشية سائق الدواب»<sup>(92)</sup>. وفي عام 1190هـ «رحل السلطان عرب تكنى ومجاط وذوبلال من سوس لسائيس، ففشى القحط كسني يوسف، أكل الناس فيها حتى ميتة الأدمي» (نفس المرجع ص 174) فلماذا تتناسى كل هذه الظروف بدون سد واحد، أو توطين هؤلاء الأعراب ومغربتهم لكي يذوبوا في مجتمعاتهم، كما تقمصهم غيرهم.

4 - وهكذا نجد عدم استقرار هذه الجماعات، إذ «نقلت تكنة ومجاط وذوي بلال من شوشاوة الحوز إلى الغرب، ثم أعاد المخزن أيت يّور من جبل سلفات (بمقدمة الريف) إلى تادلا، ثم نقل كطاية وسمكت ومجاط من تادلا إلى الغرب، ثم أعاد كروان من أزغار إلى الجبل»<sup>(93)</sup>.

5 - تكنة : تعرف في الجنوب كله بالضرة أي الزوجة الثانية، التي هي مصدر القلاقل غالبا، أما محاولة استمدادها لفظة تاكنا من الكوة، فظاهرة التمحل فيها لا تخفي الهدف منها، إذ متى كانت كوات الدفاع في الخيمة المصنوعة من الوبر؟ فالكوة خاصة بالدفاع في إيگيدار، ومن رمى غير ذلك، كذنبته شواهد امتحانه، والخيمة من أجل الترحال باستمرار؟ حتى سمي ذلك «بالسكنى فوق الجمل، بحثا عن المراعي في طول الصحراء وعرضها» فالتمحل إذن واضح للتلخص من حدة كلمة تكنة أي الضرة التي تسمها بالدخيلة، وبحديث عهد بالجمال، ولما ربط أبو حسون السملالي علاقاته التجارية مع السودان الغربي، ربط علاقاته بالمرابك الأوروبية، فنشطت التجارة في مشارف الصحراء، مستغلا توطين

(92) الإنحاف، ج 3، ص 554.

(93) الاستقصا، ج 8، ص 50.



الفرق والوحدات في وادي نول، منها تكنة، وخاصة عندما كانت قليلة العدد. كما يفهم من قول الناصري حول فتنة الشراردة إذ قال: «هؤلاء أصلهم من عرب معقل من الصحراء، وهم من طوائف زرارة والشبانات - وهم الخالص منهم - ويضاف لهم بعض أولاد دليم وتكنة وذوي بلال وغيرهم، وكانت منازلهم في دولة السلطان الأعظم محمد ابن عبد الله غربي مراكش»<sup>(94)</sup>. ويظهر أن هذه الإضافات الموقعة هي التي قصدتها الأستاذ ناعمي مصطفى «باتحادية تكنة من أربع عشرة قبيلة» (الصحراء من خلال بلاد تكنة ناعمي مصطفى ص 134) والعرب يطلقون قبيلة على عائلة صغيرة، دون أن يصل عدد أفرادها مستوى عدد فخذات القبيلة عند البربر التي لا تقل أبدا عن ربع القبيلة الأم.

6 - وما نحن نرى مجموعة من الطوائف، سرعان ما تعلن احداها أنها كل شيء وباسم كل من هناك من عرب وعجم، كما تجلي ذلك بالنسبة لتكنة عندما تسرب بعض المغامرين من التجار الأوروبيين إلى سوس الأقصى، فصارت السلطة المركزية، تعتمد على تكنة وأيت باعمران لحراسة الشاطئ، وذلك في عهد السلطان الحسن الأول قبيل الحماية، ومن هذا الادعاء إسناد بُعمرانة إلى اسم مجرد لشخص اسمه عمران؟ فقبيل إنه جد لأيت باعمران، كما حاول البعض أن يلحقهم بالآية الكريمة ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَٰهَ إِسْرَائِيلَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ يَدْعُوا بِهِمْ مُّجْرِبِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية 33-34) وقد روج خصوم أيت باعمران أقاويل باطلة حتى أطلق عليهم شاعر يهودا لنصرهم لبوحلاس الصغير الداعي يزيد العلوي، وسبب ذلك كله هو شجاعة أيت باعمران وسمعتهم وجودهم وكرمهم ووطنيتهم، ولا مانع من حظهم من شرف الأيتين الكريمتين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

كما أن كلمة «بوعمرانة» هي كنية وليست أبأ كقاعدة عربية، لأن هذا المصطلح يكتب دائما في الكلمة «بُعمرانة» بضم الباء، وكل ما صُدِّرَ بأبٍ أو أمَّ فهو كنية، وكلمة أيت تعني المجال، فإذا أسندت لشخص فهي تعني مكانه، مثل أيت أوسا، وأيت أوزاغار وقس على ذلك، ومن عنى بها آل فلان، فذلك خلط شائع يجب إصلاحه مثل (بو، أيت، إد) بعد ترسيم الأمازيغية في المدرسة. في عهد دستور 2011م، فبدأت تنقية اللغة الأمازيغية من شوائب القرون..

(94) الاستقصا، ج 8، ص 160.

والسؤال هل كانت بُعمرانة قبل السعديين؟ هذا لا شك فيه، لسبقها لديوان المنصور، وأيت باعمران من صميم إيگيزولن القدماء. بينما تلك الطوائف والفرق والوحدات المذكورة من الأعراب، لم تتشكل إلا عندما اضطرت إلى ذلك، وبالضبط عندما طوحت بها طوائف الزمان، في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، والجنوب بحاجة إلى البحث الميداني قبل أن يتأثر بالزحف الذي لا يرحم، كما شاهدناه في الهلال الخصيب؟

ولا عجب إذا قلنا يجب الحذر عما تسلط على التاريخ المغربي، من روايات مطعون في صدقها. سواء في عهد الرومنة أو بعد دخول الوندلة، أو في عهد القومنة.. ولكل واحدة منها أثر دال على مرورها من هذا الوطن، فمنها من ترك أسماء الأعلام على مسمياتها، مثل واليلي وبناسا وتاموسيدا وشالاً، ومنها من لم يحترم حتى طبوغرافية هذا الوطن، مثل «أسيف»، وأدرار، وأزاغار، وأسماء الأشخاص والنباتات إلى حد الأمر بقتل البربرية جهارا.

### مصطلح سوس ومحاولة استلحاقه :

وقد ادعت تلك الأطروحة المذكورة أنفا خلطا متشابكا يفهم منه أن كل تلك الجهات في سوس الأقصى شبه خالية، فعمرتها تكنة القريبة العهد باتحادياتها (14) قبيلة! لكن بالدعاية فقط، صحيح أن القبائل الأمازيغية كان يجمعها أمقون (الحلف) للدفاع عند الحاجة، ومن أوضح ذلك الحلف بين القبائل الأولى المؤسسة للمرابطين، مع إبقاء أصل كل قبيلة متداولا كلمطة ومسوفة ولتونة، وزناغة ومصمودة وزناتة... وهكذا في بُعمرانة واولتية وبعقيلة في حلف تاگيزولت. وإلى جانبها تاحوگات بالقباب مختلفة.

ومن القبائل المذكورة مع بُعمرانة في ديوان «المنصور السعدي» لخصاص، وأولاد جرار، وأهل تيزنيت، ورسموكة، وبعقيلة، وسملالة، وإفران، وأهل حربيل، وماسة. ومعنى ذلك أنها كلها منسجمة، بزعامة قيادة بُعمرانة لجمع كلف المخزن السعدي، مثل العمال والولاة حاليا، وذلك يدل على استمرار العلاقة بين كل هذه القبائل، أو ما يعرف اليوم بالتضامن الجهوي.

ومثل ذلك نلاحظه بقيادة أشتوكن عبر الجبال في اتجاه شرقها، وكذلك في قيادة مسگينة عبر روافد أسيف ن سوس. (ديوان قبائل سوس في عهد المنصور السعدي



(ت. عمر أفا) ويشمل حكم بعمرانة في عهد المنصور السعدي من وادي والغاس ماست، وهو الذي ورد في رسالة إخبار من السلطان الحسن الأول عندما ذكر أن حدود أيت باعمران ابتداء من وادي والغاس، تبعا لتقسيم كلف المخزن عند جمع ذلك في كل عام.

أما كلمة سوس فهي مصطلح أمازيغي قديم، وهي علم لا تحتاج إلى التعريف بأل، وهي ليست سوز souz الفارسية، وتعني السهل الكبير الممتد بين المرتفعات، وهو الوصف الجغرافي الذي أطلق قديما على كل سهل واسع بين مرتفعين، كما في سهل تونس، كما أطلق على سهل ما وراء تيليمسان حتى وادي ملوية، كما أطلق على غرب تازة حتى وادي تانسيفت، ثم نسي ذلك كله ليبقى علما على ما وراء الأطلس الكبير، منقسما إلى سوس الأدنى، وإلى سوس الأقصى المتوغل في الصحراء، وبما أن سوس علم جغرافي لا يمكن تعريبه، لذلك ألحقوه بـ souz الفارسية، وذلك من باب تهجير أعلام المغرب من أصلها.

### من منكرات مرادي الباعمراني :

أشرت في مقدمة تاريخ برغواطة إلى ظاهرة العزوف عن كتابة التاريخ في المغرب عامة، وفي سوس خاصة، لولا مجهودات مؤرخ سوس سيدي محمد المختار السوسي، ومع ذلك لا ننكر مساهمات أفراد نورد منهم على سبيل الحصر، من كان يحس بجراحات أصابت تاريخ المغرب في الصميم، منهم هذا الأستاذ الذي قضى مبكرا ولم يستوف ما كان قد شرع في إنجازها، إذ توفي في 18 نونبر 1963م لا نعرف ولادته، ولا مراحل تكوينه، ولا عمن أخذ، لكننا نعرفه شخصا ونعتز بثقافته وبفكره المتفتح، قضى زمنا طويلا في تونس كأستاذ هنالك، ومن هناك اتصل بالثقافة والفكر العالمي لتقدم تونس في هذا المجال بفضل سبق الحضارة الأروبية إليها، ونفس الشيء كان هنالك معه الأستاذ أحمد بن المحفوظ اليعقوبي الأدوزي الذي جاء كذلك من تونس ليساهم في التدريس في المعهد الإسلامي بتارودانت بعد استقلال المغرب، كما رجع من تونس كذلك الفقيه أحمد الزيتوني أكلوبي حافظ خزانة الكتب للإمام علي بتارودانت، ومنها رجع كذلك الأستاذ الأديب الرياضي الحسين من قبيلة إداوسوغم الباعمراني المدرس في المعهد

العتيق بتيزنيت، وهو الذي حبس خزائنه من المخطوطات على ذلك المعهد، جاء بها من تونس، لكن ضاع أغلبها، وما بقي منها نقل إلى مقر المجلس العلمي بتزنيت. وهكذا ساهم الآخذون من تونس في سد الفراغ منذ بداية استقلال المغرب. وقد انصبت مجهودات كل هؤلاء على تكوين أول جيل سوسي في معهد تارودانت، ابتداء من إعلان استقلال المغرب. فإنهم إذا كانوا لم يؤلفوا مراجع فإنهم ربوا وكونوا جيلا سد الفراغ بعدهم في معظم المجالات.

وسمعت أن الأدوزي أحمد هو الذي أقنع مرادي عبد الحميد هذا بالرجوع من تونس إلى التدريس بمعهد تارودانت، فإذا كان الأدوزي قد أفادنا بمعلوماته، وخاصة طريقة تدريسه وتلقيه المعلومات بشكل متطور، فإن الأستاذ مرادي أفادنا بفصاحة لسانه في اللغتين معا، الأمازيغية والعربية، فإذا تكلم بالأمازيغية أبلغ، وإذا خطب بالعربية أفصح، ولا مجال للتلمل ولا للتلعثم إلى لسانه، والحق أن معظم ما درسه لنا هؤلاء الأساتذة وغيرهم في تارودانت هو باختصارجل ما أخذناه بالتفصيل في المدارس العتيقة قبلهم، فحلت الأقسام محل المجالس، وحل تعدد المدرسين محل الفقيه، وحلت الكنائش محل الألواح، وحلت السبورة محل المراجع، وحلت الجرائد محل الكليات، وذلك ما يسمى بعصرنة التدريس، وفيه مقبول ولا يخلو من مردود..

ويعد الأستاذ مرادي بالنسبة لي شخصا، فريدا في بابه، وليس معنى ذلك أن الآخرين أقل منه، لا، بل كلهم متمكنون من الأمهات المدروسة، لكن بعضهم ينقصه أسلوب التدريس البداغوجي، لتعودهم، هم أنفسهم التلقين في سوس كله بالأمازيغية، لأن الغاية هي تبليغ اللفظ العربي بمرادف أمازيغي محض، بالطريقة التقليدية التي فهمنا بها كوامن العربية من فقهاءنا عن طريق التقرير في الألواح، لتحفظ عن ظهر قلب، ثم تمحى، وليت شعري سجلنا ذلك كنموذج تقليدي !.

وما زلت أتذكر فصاحة مرادي هذا وتشجيعه للناجحين في أول تخرج من الثانوي في الموسم الدراسي (1959-1960م) بتارودانت. وفيه حصلت من بين المتفوقين على الرتبة الخامسة في الجوائز، فكان من حظي أن قدم لي الأستاذ مرادي عبد الحميد الباعمراني



هذا خمسة كتب قائلًا : «تفضل يا بني بتسليم جائزتك نتيجة مجهوداتك الخاصة، ونتيجة طموحاتك في التحصيل والمثابرة، فهذا كتاب أدباء العرب يحتوي على عصور الأدب شعرا ونثرا، شاملا العصور من العصر الجاهلي إلى الأموي إلى العباسي إلى الفاطمي إلى الأندلسي المغربي، اعتكف عليه يا بني، وانهل منه، وزد على حالتك المرضية كما زكاها أساتذتك، وهكذا في تقديم هذا الأستاذ». (الاحتفال بالمعهد مع الصور 1959م).

وبعد ذلك يأخذ كتابا آخر، ويحلل ما فيه، ويوجه الطالب إلى الغاية منه، وينبهه إلى كيفية الاستفادة منه وهكذا، هذه ميزة مرادي في كل الميادين، بينما نرى بعض من يقدم جائزة أخرى لتلميذ آخر، يكتفي بتقديم حزمة من الكتب للطالب دفعة واحدة، مكتفيا بعبارة «بارك الله فيك، أو استمر في عملك» كان الأستاذ مرادي يتمتع بحس تاريخي، يفكر ويبحث، ينقد وينتقد، يضيف لما كان من أجل تصحيح ما كان، وذلك نادر لقولهم «الفقه منقول، لا معقول» لكن مرادي لا يعدم دليلا لاستملاح وجهة نظره كقول الشافعي «هم رجال ونحن رجال».

أدرك الأستاذ مرادي النقص الحاصل في تاريخ المغرب عامة، وفي تاريخ سوس خاصة، ولذلك بدأ يؤلف مذكراته، ويقوم بجولات في مظان مواقع الأحداث، وبعد ما يسجل ما رأى، يعلق عليه بكل جرأة، وذلك نادر لدى غيره من قلة الجرأة في محلها، ومن قلة التجارب في البحث الميداني، ولعدم التزود مسبقا بالمعلومات التاريخية في الموضوع، وقد يقتنع البعض إيديولوجيا بأن «التاريخ لا يضر جهله، ولا ينفع علمه» وتلك مصيبة أغلقت البحث، وأغلقت الفكر، فتبدل المجتمع. مع العلم أن التاريخ هو الذي يوصل إلى الحقيقة.

لكن مرادي لا تنقصه الجرأة في التقرير، ولا فصل الخطاب في التجديد والتحرير، فهذا هو عندما حكى ما ذكر في تقسيم قدماء الجغرافيين العرب لسوس. قال : «وقد سجلت القصص الشعبية كثيرا من الخرافات والحكايات، أوردها بعض المؤرخين عند حديثهم عن سوس» (مذكرات عبد الحميد مرادي) فأورد ما يأتي :

1- مراجع بلاد سوس الأقصى : «فمراكش هذه آخر المدن الكبار بالمغرب المشهورة به، وليس وراءها مدينة لها ذكر، وليس فيها حضارة إلا بليدات صغار بسوس الأقصى، فمنها مدينة صغيرة تسمى تارودانت، وهي حاضرة سوس، ومدينة أيضا صغيرة تدعى زُجُنْدَر .. وفي بلاد جزولة مدينة أخرى هي حاضرتهم أيضا تسمى الكُست، وفي بلاد لمطة مدينة أخرى هي حاضرتهم أيضا تسمى نول لمطة»<sup>(95)</sup>، وعلق مرادي قائلًا : إن المراكشي صاحب المعجب، لم يذكر كل المدن التي ورد لها ذكر في التاريخ، والتي كانت معروفة في عصره [مذكرة مرادي].

2- النظام الاجتماعي في سوس : هو نظام الأسرة، وأشار إلى دور المرأة في المجتمع السوسي إيجابا وسلبا، لخص ذلك بأن الحياة الاجتماعية بجبال سوس حاليا غير بعيدة عما كانت عليه منذ قديم الزمان والله أعلم.

3- النظام السياسي بسوس : قال : كانت سوس تعيش في نظام قبلي بسائر مميزات من عصبية وأخلاق وتبادل الغارات، والقبيلة تتكون من عدة مداشر (فخذات) لها حدودها، وكما أن لكل قبيلة أعرافها الخاصة بها على حسب أحوالها الاقتصادية والاجتماعية المتعلقة بجمع المحاصيل، والقوانين الجزائية والجنائية، وقد استطاعت هذه الأعراف، أن تعيش موازية للفقه الإسلامي، لأنها لا يوجد فيها ما يصادم أصوله ونصوصه.

وقد أبت لنا يد الأحداث سفرا كاملا في أعراف قبيلة ماسة، محفوظا في خزانة معهد محمد الخامس في تارودانت تحت عدد ج 17. ثم استطاع الأستاذ العثماني أن يحصل على كثير من هذه الألواح، وأثبت نسخها مصورة في رسالته التي تقدم بها إلى دار الحديث الحسنية «لنيل دبلوم الدراسات العليا» (مذكرات مرادي نفسه).

أما اللغة السوسية فهي الشلحة، وهي إحدى اللهجات الشائعة في هذه اللغة كالزناتية والصنهاجية، والشلحة كبقية اللهجات البربرية تشبه اللغة العربية ! في تقديم المضاف على المضاف إليه، والنعوت على نعته، والعامل على المعمول، بحيث تسهل ترجمتها

(95) المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المراكشي، ص 508.



حرفيا، وليست بقية اللغات العجمية كذلك، وهذا يفند مزاعم غلاة المستعمرين الذين يظنون أن البربر أشبه بالأوروبيين منهم بالعرب في لغتهم وساحتهم، وأتعبوا أنفسهم، حتى اعتقد البعض، أن المفردات البربرية تشبه مثيلاتها من اللاتينية، فصفقوا لها، وهذا يوجد بين سائر اللغات، ولكن العبرة بالتشابه في صناعة الجمل، لا بعض المفردات، ونفس الشيء ينطبق على الجارة العربية.

أقول لا يمكن للأستاذ عبد الحميد مرادي الباعمراني ولا غيره أن يقول أكثر من هذا، - والحالة هذه - أن المغرب كان حديث عهد بالاستقلال، ولكل يصفق لحزب واحد بسوس، ويقرأ منشورات شكيب أرسلان، ويقلد فصاحة فريد أبو حديد وسعيد العريان المصريين، وغير ذلك من طموحات صوت القاهرة والفكر البعثي، ولا تسمع بالمغرب إلا إذاعة صوت العرب تحرض على الحماية ..

حتى كلمة «الملك» كانت نادرة في المداولات، مع أنها كانت أصالة وقديمة في المغرب منذ ما قبل الإسلام باسم أكليد ماسينيسا، فاستمرت إلى تأثير سلاطين توركيا، فانتشرت بالسلطان يعقوب بن عبد الحق المريني.

وفيما يخص تاشلحيت قال مرادي : «وهذه اللغة تاشلحيت تستطيع التعبير عن سائر العواطف، كالغناء وجميع الأهازيج والأوصاف المختلفة، والحكايات الشعبية، سواء بالنثر أو بالشعر، وفيها أمثال كثيرة وحكم، كما ترجم إليها كتابا التوحيد والفقهاء بجمع أبوابه، وخاصة مختصر الشيخ خليل الذي نظمه العلامة المرحوم السيد محند بن علي أوزال «طبقات الخضيكي ج 2 ص 117 وفي المعسول ج 8 مقدمة الحوض للأستاذ أحمد العدوي» (الرحماني عبد الكوشثيمي).

ومعلوم أن كل من قضى حياته في التخاطب بلغة ما، فإنه بطبيعة الحال، لا يتذوق سلاسة وبلاغة وبيانا آخر في لغة لم يدرسها، بل لم يعدها إلا لهجة مثل الأستاذ مرادي هذا الذي سلبته العربية عندما يتحدث بها، كما سيطرت على لسانه منذ صغره حتى أقبر في لحده، إذ ما أدركه من اللغة الأمازيغية، كان شفويا فقط، وكل لغة لم تلقن بالتدريس، لا يمكن أن توصف بالعلمية، لكونها لغة الأم - كما هي العربية أصلا -

ومن مجرد الأشياء الطبيعية، ومع ذلك فوعي الأستاذ مرادي بمغربيته أعمق، وفهمه لظروف الحال أدق، وبالنسبة لجيله أنفع وأصدق، ولسانه أرعد وأبرق، هكذا فهمت هذه الشخصية الباعمرانية. رحمك الله يا من يستحق الرحمة. وفي الحديث [نحن أمة أمية لا نحسب ولا نكتب].

وباختصار، فقد ذكرنا هنا بهذه الوضعية المتباينة، لنفهم أن مرادي عبد الحميد الباعمراني، كان متشعبا بتيار القاهرة في تونس، وبالفكر البعثي الاشتراكي مثل غيره العروبي الشرقاني، ومن كان هكذا لا يمكن أن يذكر بحق اللغة الأمازيغية في تلك الظروف، حتى لا يفتح بابا للاستعمار يشغل به المغاربة عن مطالبهم بالاستقلال من جهة، وبسيطرة الأخطاء المرتكبة السياسية من طرف بعض زعماء الحركة الوطنية كأكذوبة الظهير البربري إلى أن سفهه محمد منيب فأقبره.

وبالنسبة للغة الأمازيغية يكفي مرادي في تلك الظروف، أن ينبّه إلى ما يمكن بحثه «من صعوبات، أو يتعذر التعبير بها عن الأمور العقلية والفكرية والعلمية لقصر مفرداتها، ونقص اشتقاقها، ولم يسبق لها - في علمنا؟! - أن كانت لغة الإدارة والمحاكم، كأن المتقاضين في أيت باعمران ومع قاضيهم كانوا يستعملون لغة أخرى غير الأمازيغية؟ وفي مدشر الأستاذ بالذات بتادرات أمام القاضي أحيانا وأمام أجموع، أو في حانوت القاضي بالسوق، وربما تحت شجرة أركان حيث تفصل القضايا والوقائع عرفا وشرعا، هذا كله واقع، ماعد إذا كان يقصد البنيان المرصوص المحدث في عهد الحماية - ولعل اكتفاه بما ذكر استدركه بقوله : لكن الشلحة ترجم إليها الفقه الإسلامي والصوفي، ولها أدب رائع شعرا ونثرا، ولها مجال واسع في الأعراف الأمازيغية ..» (من مذكرات مرادي).

إن «نقص اشتقاق الأمازيغية» في نظره مقبول، لأنه لم يطلع على معاجم اللغة الأمازيغية، منها كل ما ترجم بها، أو معجم شارل دوفوكو، كما لم يطلع على معجم المرتيني السوسي الضخم، ولا علم له بكتاب لاووست الفرنسي، ولا شهادة الدبلوم البربري المساوي لثلاث نقط مثل البكالوريا، ولا معجم دومينش الإسباني في لغة أيت باعمران وسملالة، وما شئت من اثني عشر معجما بالفرنسية.



ومن كان هكذا، أو كانت تحاصره مراجع العربية من كل صنف، أو سيطرت عليه ثقافة الغير، كيف لا يصف اللغة الأمازيغية بانعدام المراجع وينقص الاشتقاق، مع أنه باحث يعرف أن أجروم (أگورام) وابن معطي في ألفيته، وابن منظور والزواوي والسملالي هم أنفسهم معاجم ومصادر ومراجع، شأنهم شأن علماء الفرس في البصرة والكوفة، وكلاهما قعدوا العربية من أجل فهم مباشر للقرآن الكريم، للتخلص من الاحتكار.

لا يعد هذا الاستطراد انتقاداً للأستاذ مرادي الباعمراني، ولكنه تنبيه لمن لا يقدر ظروف الزمان والمكان لمذكراته، إلى حد أنني سمعت أنه أحرق جزءاً كبيراً منها لما طلب منه تسليمها؟ وقياساً على ما ذكر، فإن العربية في جزيرتها قبل تدخل المعجم في جمعها وتقييدها، ليست لغة علم وفلسفة، لأنها بنت بيتها بلا مدرسة ولا معلم، فكان أهلها أميون، حتى إن القرآن الكريم نزل مقروءاً ولم ينزل مكتوباً على الذي بُعث في الأميين رسولا منهم، فلماذا استبعد مرادي هذه المقارنة؟ وهو أذكى وأسس وأعلم بعهده ويفكر من يحيط به؟. وهو قادم من تونس المتفتحة والمشبعة بالثقافة الأوروبية حتى إنها متعلمة أكثر..

أما وصفه للأمازيغية بانعدام المراجع، فقد فات الأستاذ حصار الأمازيغية لما يزيد على أربعة عشر قرناً. ولولا أنها في وطنها تامازغا مسجلة في أسماء جغرافيتها لاندثرت كليا مثل اللغات التي عاصرتها، وبفضل هذا المعجم وربة المنزل قاومت وعاشت واستمرت كل هذه القرون، «تامغارت : Tamghart» هي المدرسة الأولى؟ فكل ما في «تيگمي : Tigmmi» لا يتكلم إلا الأمازيغية، والأستاذ مرادي تخرج من هذه المدرسة، والمصدر الثاني البيئة المحيطة بالأمة الأمازيغية، فأسماء التضاريس بهذه اللغة، وأسماء النباتات بهذه اللغة، وأسماء الحيوانات بهذه اللغة، وأسماء النجوم في السماء بهذه اللغة، وأسماء الطيور في تامازغا بهذه اللغة، وأسماء السمك في المحيط بهذه اللغة، وأسماء الألوان والأوصاف بهذه اللغة، وأسماء الأطفال بهذه اللغة حتى منعت في الحالة المدنية إلى حين، وهلمّ جراً. أليست هذه المذكورات كلها علمية؟ أليست معاجم تخاطب بلغتها على الدوام؟ إنها تاواسنا: المعرفة؟ أليست الأعداد حتى الألف أمازيغية؟ فهل نشأت كل هذه من لا شيء؟ فألأمازيغية كانت لا ينقصها إلا استعمالها في المدرسة

عامة: لفظاً وحرفاً وتعميماً في انتظار التطور المطلوب والتي هي أحسن، قبل أن يستغلها من ينعتها بأنها ليست بكلام.

ولو أن الأستاذ مرادي اطلع على جزء مما جمعه محمد الصالحي في المنظومة التعليمية في سوس فقط، لأعلن أن الأمازيغية كانت لغة كاملة لولا حصارها عبر قرون، ولا ينقصها إلا التدريس بحروفها تيفيناغ، إلى أن فازت بحقها بأمر جلالة الملك محمد السادس بظهير أجدير، فأقرها دستور سنة 2011م. باتفاق الأمة. وبهذا الحق وترسيمها بهذا المستوى لا يمكن لأية إيديولوجية أن تمنعها من حقها، وحذار من تماطل الهوية الأمازيغية المنصوص عليها بالظهير الشريف وبدسور الأمة الفريد بهذه المنقبة في عهد جلالة الملك محمد السادس..

وباختصار، فكل ما في السماء والأرض وما بينهما في هذ الوطن بالأمازيغية، وهي الحالة المدنية لوطنها تامازغا. وهي حوض تصب فيه الروافد، وليست مجرد رافد من روافد الضيوف المروجة في مدرجات الكليات بلا تمييز، وبهذا التكرار نالت شهادة إقامة كحق من حقوق الإنسان، ذلك لا يخفى على مرادي، لكن محيطه وظروفه والتغني «بأكذوبة الظهير البربري» في عهده، لا تسمح بأكثر مما قال، فلو أنه بقي حياً وسمع بترسيم اللغة الأمازيغية في الدستور، لرشح نفسه كمعلم ماهر معتزلاً بما وصلت إليه في عهد حقوق الإنسان في المملكة المغربية المتفتحة.

وقد أكد لي الأستاذ محمد عصامي النضيفي يوماً «أن الأستاذ عبد الحميد مرادي الباعمراني، كتب طويلاً في تاريخ سوس، لكنه أحرقه فيما بعد، لما طلب منه الاطلاع على ما كتب في تلك الظروف» (عصامي محمد النضيفي). لكنني سألت الأستاذ لسان الدين عبد السلام الدرقاوي يوماً عن إحراق ما ذكره عصامي، فأنكر ذلك. ولا أدري أيهما أصدق؟ وعلى كل حال، يجب نشر مذكرات مرادي.

#### التذكير بالمراجع الأمازيغية:

تعرضت المصادر والمراجع للغة الأمازيغية وحضارتها إلى إفناء محجف، منها ما توفر حالياً. في الفصل الثالث والثلاثين في لغة الأفارقة ما: ملخصه: «إن الأفارقة القدماء



الذين يسمون شلوحا أو برابرة... فإنهم مع ذلك يكتبون ويتكلمون كلهم لغة واحدة، ولا يمنعهم من التكلم أيضا بلغة البعض التي تختلف كثيرا عن غيرها من اللغات، ولو أنها تحتوي على بعض الكلمات العربية التي أدخلت فيها، بواسطة هؤلاء الشعوب الذين جاءوا إلى إفريقيا في مختلف العصور»<sup>(96)</sup>. والحق أن باب اللغة الأمازيغية طويل وعريض، وإهماله مؤثر، ورفضه فتنة، وفرض حقه يحمي هذا الوطن ويميزه، والهوية الأمازيغية حصن حصين لشمال أفريقيا، ولولا ذلك لعمه التسونامي للربيع العربي. وقد يقول البعض: لماذا تؤرخ للغة الأمازيغية؟ من الجواب أن هذا هو الخطأ الذي وقع فيه من لم يؤرخ للهوية اللغوية الأمازيغية.

### القبائل الكبرى في وادي سوس :

في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، أسند حكم معظم سوس، إلى القائد عبد الملك الحاحي، إذ كانت أيلته السوسية تشمل هوارة، بدليل أن نفوذه امتد إلى ما وراءها، وقد كان على ماسكينة قبل عام 1205هـ كما أنه امتد إلى تيزنيت عام 1217هـ ثم إلى كل جبال جزولة على يد خليفته محمد بن يحيى أغناج، لكن السلطان الحسن الأول «عين في هوارة وحدها عام 1299هـ عددا من قواده كما في قبائل سوس كلها، إلى حد أن عين كل قائد على فخذة من القبيلة الكبيرة، من أجل تسييس كل فخذة على عادته، شأن ذلك، شأن المقاطعات اليوم، حسب عدد سكان العمالة، من باب تقريب الإدارة من المواطنين، ونموذج ذلك في وادي سوس :

- 1- القائد صالح في فخذة الحفايا.
- 2- القائد أحمد بن العليوي هناك أيضا على طرف آخر.
- 3- القائد حمادا في الكفيفات.
- 4- القائد بن المختار الشريف السباعي في أولاد سعيد.
- 5- القائد عليوة علي بن دنان على طرف منهم أيضا.
- 6- القائد علال بن عباد في أولاد دحو.
- 7- القائد عبد الكريم أبو مصرف في أولاد تيمة.

(96) إفريقيا مارمول كريخال، ج 1، ص 115.

- 8- القائد سعيد بن بلعيد من الطالعة في الكردان.
- 9- القائد عليوة بن حميدان على طرف منهم أيضا.
- 10- القائد محمد بن بومهدي على طرف منه آخر.

وبعد رجوع السلطان من سوس، ثارت العامة على هؤلاء القواد، فكانوا معهم في عراك، فانتشرت الفتنة على عكس نية السلطان الساهر على أمن البلاد والعباد، بعدما أنهى فروض معاهدة تطوان وقد تجاوزت جسارة البعض وتطاولهم منتهاهما، فقال أحد العلماء المستعطفين أمام الملك مولاي الحسن الأول :

[أتهلكنا بما فعل السفهاء منا] فأجابه الفقيه سيدي علي المسفيوي، شيخ السلطان وجليسه بأية أخرى [وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال]<sup>(97)</sup>، وفي رواية أخرى إن الفقيه الذي أجاب بالآية هو سيدي الحاج أحمد الكشتيمي. صاحب قبة ضريح تاليوين، لأنه كان إماما مع السلطان. والأول أرجح، فإذا كانت هذه الجسارة من يمثل الشعب، «فللقائد إبراهيم الدليمي الهشتوكي يد كبرى في كل ما وقع من السلطان على هوارة، مما لست أذكره» (نفس المرجع).

### تقسيم أيت باعمران وجزولة إلى قيادات :

- 1- قبيلة أيت يعزى وهي فخذة صغيرة أصلا من أيت عبلا : وقائدها أحمد الصوابي الذي أساء معاملة الشرع والعرف، فثارت عليه قبيلته، توفى تائها على وجهه بعدما انتقمت منه قبيلته، وتخلصت من ظلمه عام 1346هـ / 1927م.
- 2- قبيلة أيت عبلا الباعمرانية المجاورة لها، وقائدها علي الخزار، كان في عراك ضد الكيلولي في تيزنيت إلى أن توفي عام 1343هـ / 1924م.
- 3- قبيلة أيت الخمس : وقائدها على بوحلاس السيموري توفى عام 1340هـ / 1921م.
- 4- قبيلة أيت النصف من أيت بوبكر : وقائدها إبراهيم بن سعيد الوجداري المقتول في معركة قبلية في موضع إدبائه في معركة المسيد الأحمر، عام 1308هـ حيث قتل فيها

(97) خلال جزولة، ج 4، ص 101.



عشرات من كل قبيلة. فتولى ولده القائد محمد المقتول بدوره انتقاماً منه لغدر ارتكبه في أعيان قبيلة أيت إخلف قتل عام 1325هـ/1907م من طرف من أخذ بثأر والده الطالب مبارك أحماد الخلفي.

5- قبيلة أيت إخلف البوبكرية : وقائدها أحمد بن الشيخ همّو توفي عام 1316هـ/1898م في مراكش، ودفن في مقبرة سيدي بلعباس، فتولى ابن أخيه القائد محند الشهيد في معركة ضد الجنرال دولاموط عام 1335هـ/1917م.

6- قبيلة إصبويا : وقائدها البشير بن عليات توفي عام 1333هـ/1914م فتولى ابنه القائد أحمد المشارك في المقاومة ضد الإسبان، وعاش حتى بعد استقلال سيدي إفني سنة 1969م حسب اتفاقية فاس، بفضل سياسة المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني، وهي من أصعب مخلفات معاهدة تطوان 1860م.

«فهذا جماع قبائلهم، ولا ندري في أي وقت صار اسم بعمران محرف أبي عمران تلقب به هذه القبائل، بعدما كانت هذه الناحية الودنونية تسمى لمطة في القرون الأولى إلى السادس فالسابع، وهذا التقسيم القبلي الأخير، هو الذي كان في حظ إسبانية الضعيفة يوم وزع الاستعمار المغرب، فأُسست هناك مدينة (سيدي إفني) وقد حظيت إزاءها فرنسا بحصة الأسد من المغرب»<sup>(98)</sup>، هذا ما أفادنا به العدل الفقيه جامع بن إبراهيم اليعزوي، وهو والد صديقنا المحترم السيد إبراهيم جمالي المتوفى حوالي 24 غشت 2013م الذي أسدى هو بدوره كثيراً للتعليم في تيزنيت، إذ كان يقبل حفظة القرآن الكبار السن في المعهد العتيق بتزنيت، حتى تخرج منه أطر معروفة بتعاون مع نائب التعليم إبراهيم الحياتي، ولهم فضل كبير على قبول طلبة أيت باعمران من حفظة القرآن في المتابعة رغم كبر سنهم، فتخرج معظمهم في الكليات، عظم الله أجر الجميع، وقد أصيب جمالي هذا بفلج إثر تأثير نفسي سلط عليه وهو كظيم كما قال لي، وتشتهر عائلته بأروهاًل بقبيلة أيت يعزّي، وخاصة والده العدل المفيد بمذكراته.

إنه الفقيه جامع الذي أفادنا بأنه أخذ القرآن في مسقط رأسه في قرية إدبوشوايشا من أيت يعزّي، عن «الطالب» الحاج مبارك بن بلقاسم بن الحاج إبراهيم من نسبه، وكان

(98) المعسول، ج 12، ص 97.

مدرراً مجتهداً، توفي عام 1328هـ وعنه حفظ القرآن في ثمانين ختمات بورش، ثم التحق بمدرسة بوغارفا من قبيلتهم، وهي مدرسة القبيلة، ويرجع بناؤها إلى عهد انفصالهم عن أيت عبلاً عام 1299م.

ثم قال : «وهناك أخذت عن شيخ الروايات : الشيخ المشهور سيدي محمد بن عبد الله الضحاكي نسبة إلى قريته الضحاك القريبة من ميرلفت، - وهو إمام جليل القدر -، قليل النظر في عزلته وفي عزوفه وفي عبادته، وفي إقباله على تعليم القراءات، أخذ هو عن أحمد أنجار الباعمراني المشهور المتوفى عام 1296هـ وأخذ عن أساتذة ماسة الأغباليين القراءات السبع، ثم شارط في مدرسة تيكويين العتيقة بأشتوكة سنين، ثم في المدرسة العتيقة تانكارفا من قبيلة أيت السيمور بأيت باعمران، ومن هناك إلى المدرسة العتيقة بوغارفا في آخر حياته، تزوج من خديجة بنت عبد الله أباكريم البوجرفاوية، فولدت له فاطمة وتعزّي وزينة ومحمد بن محمد، كلهم عاشوا بعده. ثم مرض مرضه النهائي، ودفن في مقبرة سيدي محند أعلي بالضحاك قرب ميرلفت. فانتقل لزيارته بداره جميع طلبة تلك المدرسة، فأوصاهم بالجد والاجتهاد وتقوى الله، وأنه راض على جميعهم، ومن تلامذته سيدي أحمد أروهاًل بميرلفت، وقد كان الضحاكي أحد الأعلام في القراءات السبع، وجدّه صاحب قبة إيوكني يسمى محند بن يوسف، والضحاكي ليس من شرفاء بوغارفا خطأً، وكنا عنده من أصحاب القراءات عددنا خمسة وثمانون طالباً، والتموين دائماً مستمر من هذه القبيلة.

ومنا أصحاب رواية قالون والبصري والمكي، فكان يمر على ألواح هؤلاء أصحاب حمزة من أصحاب الفقيه (يصححونها). والمقصود بأصحاب حمزة من اتقنوا السبع، وكان هو يمر على ألواح السبعين فقط التي تجعل كلها أمام بيته الذي ينزل فيه بالمدرسة. فيأخذها مرة واحدة في الهاجرة إليه، فإذا مر بها وضعها في نافذة فيحركها فيتناولها أربابها، كان إذ ذاك مسناً مقصوداً بالزيارة، فيهرب من الناس، وللناس فيه اعتقاد عظيم، ويأثرون عنه كثيراً من الخوارق، وهو لا يبالي بالناس، وقد انقطع إلى داره في مرضه، فحين قربت وفاته ذهبنا إليه كلنا لوداعه، فصار يوصي كل واحد منا بالتقوى وخوف الله، وأشعرنا بقرب وفاته، فلم ينشب أن توفي عام 1323هـ عن أزيد من ثمانين



سنة، وكانت العصا لا تفارق يده، ولم يترك إلا ولدا وبنيتين، ولا تزال إحداهما حية الآن 1379هـ.

وقد حضرت في الذين صلوا عليه، فرجعت إلى المدرسة، وفيها بعدما مرض الضحاكي الفقيه محمد بن علي التبلگدواري العبلأوي، وهو فقيه أخذ من سوس ومن فاس، كان يدرس إذ ذاك في المدرسة العلوم، ثم بعد عامين غادرها إلى داره، إلى أن توفي نحو 1333هـ عن نحو 55 سنة. ثم التحقت بعد وفاة الضحاكي بمدرسة إيسیگ عند الفقيه محمد بن إبراهيم الهرواشي، ومن ثم التحقت بمدرسة سيدي علي أوسعید الأخصافية عند المؤرخ محمد بن أحمد الإیگراري، وبعد شهرين انتقلت معه إلى المدرسة الرخاوية، فبقيت هناك أربع سنين، أخذت عن الأستاذ، وأعلم القرآن للتلاميذ في المدرسة، فمررت بالألفية وبالرسالة وبالمختصر، ولم أزل هناك إلى عام 1330هـ يوم بوبع الهيئة بتزنيته ففارقت الأخذ في المدارس.

ثم حكى عن عمنا القاضي جهادي محند من آل الشيخ همّو أنه وجدني - أنا جامع في موسم الصالح سيدي محمد بن عبلا، أبيع قطعاً من قلب السكر في ميزان لعلني أكسب قليلاً، فقال لي في السوق : «أمثلك يا سيدي جامع يبيع للعامة حجيرات من السكر؟ أليس هذا منتهى الذل لمن في مستواك؟ ويقول ذلك بصوته المرتفع كعادته في وسط الموسم التجاري، وفي الحين جمعت ما بقي لي، ومن ثم صاحبني وقام بضيافتي وأحسن إلي بما يليق بأصحاب الروايات وهو منهم، ومن ثم التحقت بالمشاركة أعلم القرآن، وفي نفس الوقت عينت عدلاً بواسطته هو كذلك، فصرت أعلم حتى النهاية» (مذكرات جامع أروهاال الباعمراني).

وأضيف هنا أنني أخذت له إضافات من ولده المذكور الملقب بجمالي إبراهيم اليعزاوي الذي أعطى للتعليم كل جهده في تيزنيت، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. انتهى.

ولنرجع من هذا الاستطرار الذي كان سيضيع. إلى بعمرانة، فنقول : ونحن كذلك نثني ونكرر كلمة «ليت» بقولنا : إن طول العهد هو الذي خلط الماضي حتى انمحت

علامات الحدود، فضاعت العقود، ونسيت العهود، وذلك بإهمال من الخلف لما كان معروفاً للسلف، وتلك من عواقب التاريخ، ومع ذلك تكفي عبارة هذا المؤرخ دليلاً لإيقاظ الفكر، واستنهاض الهمم، لمن كان له حس وغيره على إقليم أيت باعمران المحاصر طيلة حكم الإسبان بدون مزية تذكر من استعمارهم.

وانطلاقاً من هذا المبدأ، نتبع ما جمعناه في «حاطب ليل أثناء البحث الميداني» وفعلاً عثرنا على الغث والسمين، ومنه شذرات وشهادات وأعلام وأعراف وعمران، وهناك عقود ومبادرات فردية وطنية وأجنبية، وهناك علاقات تجارية ومذهبية ودينية، وما ينتظر من أبحاث ميدانية بفضل التقدم العلمي ونهضة الأبحاث الجامعية في المغرب الحديث، ومنها منظومات وأشعار أمايغية تعد نصوصاً وشواهد تاريخية أنية في الموضوع، وذلك ميدان واسع لطلبة الماجستير حالياً في الكليات حسب التخصصات وتوجيهات أساتذتهم الواعين بالموضوع.

### من هو أبو عمران بهذه الكنية ؟

نعم : ينتسب أيت باها أ يحييا وأيت بوبكر أ يحييا في أعرافهم إلى بعمرانة التي هي قبيلة لمطة القديمة، ومنذ ما قرأت لسيدي محمد المختار السوسي أن بعمرانة هي لمطة وقوله ليت شعري متى وقع ذلك ؟. صرت بدوري مهموما ومرددا « لبيت » الذي لا مطمع فيه أو فيه عسر كما قال الشاعر، دون قطع الأمل فأضفت له :

ليت وهل ينفع يوماً لئيتُ      لئيتُ شباباً بوع فاشتريتُ  
ليت يُفيدُ البحثُ دوماً حيثُ      يبعثُ راغبٌ كما رأيتُ

وفي صيف سنة 1964م سمعت بخطوط - وأنا بتزنيته، يتكلم عن أصل تاريخ أيت باعمران - يوجد عند مولاي عبد في قرية بويزاكارن، فركبت في حافلة لاساطاس قاصداً دار مولاي عبد هناك، فوصلت حوالي العاشرة صباحاً، فعرفت له نفسي، فوجدته يعرف عائلتنا «إد الشيخ همم»، فرحب بي كمولع بالتاريخ، فصار هو نفسه يعرفني بعمنا القاضي جهادي محند والقاضي علي بن الشيخ همم وابن عمنا شيخ القبيلة عبد الكريم، والدي



الشيخ البشير بن القائد أحمد، وأعمامنا الشهداء كالقائد محند وأخيه الشيخ محمد ضد الجنرال دولاموط 1917م. والشيخ الحسن مع الهيبة والشيخ مبارك والشيخ محمد المتوفون بالسسم لمكانتهم...

وجدت الرجل عارفاً بأيت باعمران وبشخصياتهم، لأنه كبير السن، عايش الأحداث المارة في سوس، كما كان أخوه الأديب المشهور بالخزانة التي تمشي على رجلين مولاي عبد الرحمان البويزاكارني، الذي كان يزود المؤرخ الشريف مولاي عبد الرحمان بن زيدان، صاحب الإتحاف بالوثائق، كما أكد ذلك الأستاذ محمد بن أحمد سحبان المعروف بزورّو الباعمراني، فصار مضيئي - ونحن على زريبة في مقصورة في يوم ساخن لاحظت فوقس (البق) ينزل من الكييزة بالسقف - فأخذ مولاي عبد ينادي بصنع الشاي قاتلاً : هذا باعمراني عندنا، لكنني مستعجل حتى لا تمر الحافلة الآتية من أكلميم إلى تيزنيت، ولذلك استعجلته بالبحث عن المخطوط الذي فيه ما يتعلق بأصل أيت باعمران.

وهنا تأسف وقال : «قدم عندي مقدم طاطا، أرسله إلى قائد طاطا يطلب مني إغارة ذلك المخطوط قصد الاطلاع عليه، في أجل شهر واحد، ثم يرده إلي، لكن مر شهران كاملان دون أن يرد ذلك المخطوط» وهنا تأسفت كثيراً فلم يبق لي إلا أن أخذت القلم والدفتري طالبا منه أن يذكر لي ما تعلق بذهنه حول المخطوط.

فقال نعم : فأخذ يصف لي المخطوط المكتوب بالعربية، وأنه في حجم عدة أحزاب من القرآن، حوالي خمسة إلى ستة أحزاب (مثل حجم يسبح إلى قد سمع على حد تعبيره) ضمنه معلومات أخرى، وذكر أن كل هذه القبائل حتى لخصاص إلى قمة تاسيريت، وكل هذه الجبال، كانت تسمى أيت باعمران حسب ذلك المخطوط، باسم قائد يحكم كل هذه النواحي، وكان كل كانون يدفع له خروفا أو شاة، وكذلك الأعشار والزكوات، ليقوم بحماية شواطئ أيت باعمران من الأجنبي، والكل ينتسب إلى بوعمران القائد الحاكم لهذه القبائل، ثم أمدني قبل شرب الشاي، بمصحف مخطوط بقراءة ورش، فهمت منه أنه يريد أن يهديه لي، فشكرته، لأن هدي هو العثور على المخطوط الذي

تناول أيت باعمران، أما القرآن فقد حفظته حتى ببعض الروايات». (استجوبته في غشت 1964م).

وفي النهاية، ختمت اللقاء بدعاء مستعجل خوفاً من مرور حافلة إلى تيزنيت، فرجعت في الحافلة الآتية من أكلميم حوالي نصف النهار، والحرارة على أشدها، ثم حدث شيء أوقف الحافلة بجوار صالح هناك في ميرغت، حتى كاد البعض منا أن يفقد توازنه لشدة الحرارة، في انتظار الرجوع إلى إصلاح سبب التوقف، وفي انتظار ذلك، نالني جهد كبير، ولما وصلت إلى دار حافدا السيد الحاج إبراهيم مسنهو بتيزنيت، دخلت مباشرة إلى تحت صنبور بارد بداره، فأطلقت الماء على أم رأسي، ومن هناك نقلوني فاقدًا للوعي إلى بيت الضيافة، فصرت أتقياً الدم، ولكن الله سلم، كل ذلك في سبيل البحث عن ذلك المخطوط المنحوس، الذي كدت أن أضيع حياتي كما ضاع ذلك المخطوط نفسه، وإن كنت وجدت فيما بعد ما يدل على ما هو موجود في ديوان قبائل سوس في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي، ولا خلاف بين الحكاية الشفوية إلا في دفاع قائد باعمراني عن الشواطئ ضد الأجنبي، بينما في الديوان جمع الكلف المخزنية بقيادة بعمرانة.

وعلمت فيما بعد أن الأديب الذاكرة مولاي عبد الرحمان، هو الذي كان باحثاً جوّالاً زوّاراً لخزانات أهل سوس بكاملها، كما كان حافظاً وذاكرة نقادا، وكان يدينه التجوال بين الأعيان والبيوتات الكبرى، إذ كان يقصد كل فقيه ذكرت عنده خزانة كتب، فيطلب منه الضيافة أولاً، ثم الاطلاع على ما عنده من الكتب بالمطالعة غالباً، معتمداً على ذاكرته، وكان الناس يعظمونه ويفرحون بزيارته، وقد يمكث عند صاحب الخزانة أسبوعاً كاملاً، حتى يأتي على كل ما في تلك الخزانة، وهدفه هو العثور على الجديد بالنسبة إليه، أما ما هو مشاع في معظم خزانات السوسيين فهو أعرف به، وكان يعتمد على ذاكرته العجيبة، وخاصة في كل الأمهات العربية واللغة والنحو والأدب، وقد جرت مناظرة يوماً بينه وبين الفقيه سيدي محمد بن الحسين المعدري فقيه المدرسة العتيقة بسيدي بوعدلي بجبل أيت إخلف، وليس الذي في أيت همان بقبيلة أيت برايم.



وذلك أن القاضي سيدي محمد أبلوش العبلوي جمع هذين الأستاذين بحضور جماعة من الفقهاء بداره بإفني قصد الاستمتاع بذاكرة البويزاكرني والمعدري معا، إذ كان الأول يعد غيره دونه حسب مزاجه، فسايره غيره على ذلك، إلى أن أوقعه أبلوش في مصيدة المعدري الجامع بحفظه بين النحو واللغة والروايات القرآنية وحفظ الشاطبية وغيرها، بينما يعتمد البويزاكرني على الجدل والمنطق دون الحفظ، بينما يحتاجه الآخر بقوله «من حفظ حجة على من لم يحفظ».

وقد استجوبت المعدري بدار مسنهو بتزنيته عن ذلك اللقاء قال : «دخلت عند أبلوش وأنا العدل وهو القاضي في داره العامرة دائما بكبار القوم، فرحب بي وقدم إلى هيدورا مصوفا قائلا لمولاي عبد الرحمان هذا هو سيدي محمد المعدري المشهور بالتحقيق في الروايات، فقال مولاي عبد الرحمان : كيف يجلس على إيليوش وهو يقرأ موسى بإخلاص الكسر ! فرددت عليه بسرد الوجوه في ذلك كما تبث عند المحققين من أصحاب الروايات، فحاول الرد بمفهومه دون إيراد الدليل كرد على ما ذكرته من منظومات في الموضوع مثل الشاطبي وغيره، لذلك رفضت أي رد منه بدون نص في مرجع معلوم، فاستغرقت المناقشة طول الليل .. » ومولاي عبد الرحمان هذا لم يعرف عنه إلا قصيدة واحدة من إنشائه عندي منها حوالي عشرون بيتا منها :

مالي وللأيام ما استعطفتها إلا قست مالي وللأيام  
ماذا لها إلا معارضتي وما، عاملتني إلا بضد مرامي  
إن أبرمت نقضا أبرمت نقضي، وإن أبرمت عاقب نقضها إبرامي  
أبغني افتكاكي جاهدا وتجدد، مع فقدانها المثلين في إدغامي

ويظهر لي أن مخطوط مولاي عبد هو من جملة ما عثر عليه مولاي عبد الرحمان هذا، وتركه بعد وفاته لأخيه المذكور الذي هو دونه بكثير، وقد كان يخبر من كان في مستواه بملخص ما يوجد في الخزانة المزورة بأهمية الحديد فيها، أو أنها أفرغ من فؤاد أم موسى، وقد أطلق عليه فيلسوف رأيه، حتى قيل له لا تمش وسط طريق السيارات، فقال : بل أمشي في حقي برجلي فيها، فطبق ذلك حتى قتل بحادثة سير في الرباط، فذهب نتيجة فلسفته التي لا تساير التطور.

### إشكالية أصل أبي عمران الفاسي :

اجتهد كثير بقوله في انتماء أبي عمران هذا الذي اشتهر بالفاسي، فهل ذلك أصلا أو من باب فلان المراكشي أو الرباطي أو القيرواني ؟ هذا ما سنناقشه انطلاقا من احتمالات واردة عند من كتب عن هذه الشخصية المغربية التي تهافتت الأقلام على استلحاقها تارة بزنانة، وطورا بهوارة، وثالثا بغفجومة، ورابعا بفاس، وخامسا بفارس، وسادسا بالقرشي، وسابعا بالصنهاجي، وثامنا بالباعمراني اللمطي، ومن قبيلة إصبويا بالذات، والبحث مازال جاريا، إذ ما احتمل واحتمل، سقط به الاستدلال، وإن كان ذلك لا يقدرح في استمرار البحث عن هذه المعلمة.

وقد كان القاضي جهادي محند الخلفي (معلمة المغرب 3799) كثيرا ما يردد «مازلت أتعجب في أصل شهرة بو عمران الذي عرفت به كل هذه القبائل وبهذه الشهرة، لكن لم نعثر له على بينة تزيل الشك فيه، أو إدلاء برأيه في أصله، فاستغرابه يرجع إلى انتماء كل هذه الجهات إلى ذلك الاسم، فاستمر كل هذه القرون، فكيف لا يعرف أصله وماله في موطنه المستمر بهذا الاسم حتى الآن» ؟ (هكذا يكرر دائما شفويا فقط).

فهل نكتفي بما أملاه علينا أساتذتنا من ذكر هذه المعلة انطلاقا من القيروان ؟ أو اتصاله بالأمير الكودالي الصحراوي الرناكي ؟ أو أنه شيخ واككاك بن زلو اللمطي ؟ أو أن لمطة هي أيت باعمران ؟ وواككاك منهم وإليهم، وكم كنت أود أن أعثر على الشخصية الباعمرانية التي تنتسب إليها قبائل لمطة كلها، ومتى حلت «بوعمرانة» محل لمطة ؟ وهل هناك علاقة هذه الشخصية وبين الفقيه أبو عمران الفاسي المشهور كنور على علم ؟ وليس كمنار كما في المثل العربي.

وأول من سمعت منه أن «أبا عمران الفاسي» هو من أيت باعمران الروائي الحمزاوي الفقيه سيدي الحسين بوشبوك إيجوي الباعمراني المتوفي بعيد الاستقلال بالدرب الشريف بالحلي المحمدي بالدار البيضاء، والرجل فقيه مسن متمكن، كان يقرأ الحزب دائما برواية حمزة، وعندما يكون مع الطلبة بدار عمنا بالبيضاء سنة 1951م، يقوم بتفسير ما قرأ بالروايات تفسيرا لغويا موضحا لمن حضر أهمية الروايات، فيقول : لماذا قرئت



هذه الكلمة هكذا في حمزة؟ وبهذه الرواية في قراءة أخرى، بينما قرئت بورش كما عرفتم. فيصير معناها كذا وكذا، فيفسر ذلك تفسيراً يجعل المستمع يدرك أهمية تلك الروايات، وقد تخرج عنه تلاميذ في حاجة أعرف منهم وذکور الحاحي أخذ عنه رواية البصري قتل سنة 1953م ظلماً وخطأ بدعوى أنه كاتب الباشا، وأنا في ذلك الوقت أقرأ بابن كثير، وتوفي في بداية الاستقلال، وترك خزانه وصلت في النهاية إلى طالب اسمه الصبان، مر بالشرط في المدرسة العتيقة بأيت بوبكر.

وهناك روايتي مشهور اسمه سيدي محمد أبو الشبوك الحمزاوي يلازمه عشرات من طلبة الروايات، وكان ماهراً، فخرّج كثيرين في مدرسة سيدي بيبي ومدرسة ابن جرار، وليس الباعمراني المذكور. توفي 1320هـ.

وفي أثناء بحثي الميداني، أرسل إلي الحاج مبارك الباعمراني المعروف «بالشافور بإفني» فقال لي عندي مخطوط في أصل أيت باعمران بمراكش، ويجب أن تأتي عندي في مراكش لتطلع عليه، وفعلاً ذهبت لزيارته بكل شوق، في الدار المهداة للداي ولد سيدي بابا التي يسكن فيها الحاج مبارك هذا بمراكش. إلى أن توفي، ولما اطلعت على ذلك المخطوط الجيد جداً، والمحفوظ بكامله، وجدته يتكلم عن أولاد عمران بدكالة، وليس في إقليم أيت باعمران، وذكر فيه أنهم في دكالة أصلهم من أيت باعمران، انتقلوا من هناك بسوس. إلى دكالة، والمخطوط ليس قديماً في مداده ولا في ورقه ولا في تنظيمه، لكنه ينتسب إلى ذلك الجد أبو عمران الفاسي من أيت باعمران.

وفي عهد معلمة المغرب (حرف الباء) قال لي الأستاذ محمد حججي، لماذا لا تقوم يا جهادي بتعريف قبيلة إصبويا؟ وهي قبيلة عظيمة، وهي ذات تاريخ ومجد قديم، ومن يدري ألا يكون أبو عمران الفاسي منها؟ فقلت له أفعل قدر المستطاع، ولعله كباحث اطلع على شيء يشير إلى انتماء أبي عمران إلى أيت باعمران كما ظهر الآن، ولم يخطر ببالي أن يشك الأستاذ حججي في نسبة أبي عمران إلى فاس، ولعله اطلع على ما ذكر الآن مما يوجد في الخزانة الحسينية، كما سنورد ذلك، ولعل حججي يريد أن يدفعني إلى البحث عن أصل أبي عمران الفاسي؟ لكن هذا النسب أي الفاسي أغلق البحث عما سواه، كما أن قبيلة إصبويا بسيطة في نظري.

ولما قرأت لإسماعيل بن الأحمر كتابه «بيوتات فاس الكبرى» وجدت جلها من الأمازيغ الواردين عليها كعاصمة علم في مغربنا الاسلامي، ولو كنت سألت الأستاذ حججي عن أبي عمران هذا، لربما أفادني، وليتني فعلت! ولما سكتت أضاف إلي القيام بتعريف وگاگ، فقبلت. دون أن أناقش أبا عمران هذا، لأنه مشهور بالفاسي، كما أن ذلك المستوى لم نكتشفه في البادية المغربية إلا فيما بعد. كمستوى اليوسي والمختار السوسي والولاتي وكلهم من خريجي البادية الجنوبية... ولما تذوقت لذة البحث، بفضل عمدة معلمة المغرب، وخاصة الأستاذ المشجع أحمد التوفيق ومحمد حججي، زاد اهتمامي أكثر بإقليم أيت باعمران الذي لم يتوصل منه صاحب المعسول إلا بالقليل. من أفواه بعض الدرقاويين، ومع الأسف حتى تغطية القرن لجهادي محند المرسولة لصاحب المعسول، لم يتوصل بها، فاكتفى بالثناء عليه، وبأنه يجول ويصوم في الفرائض، كما عرفنا به...

وفي سنة 2010م أقيمت ندوة علمية حول رباط سيدي واگاگ بن زالو اللمطي المجاور لمدينة تيزنيت، بمناسبة الذكرى الألفية لسيدي واگاگ، حضر فيها عدد من الباحثين منهم الأستاذ الباحث الدكتور عبد الهادي التازي، الذي كان سفيراً للمغرب في العراق مع الباحثين معه في الأكاديمية المغربية، فقال الأستاذ التازي هذا: «إنه عثر على وثائق تثبت أن أباعمران المشهور بالفاسي أنه باعمراني أصله من قبيلة إصبويا، فحمل هذا الاسم - باعمراني - إلى أن أطلق عليه في بغداد عند دراسته على يد القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي، ولما كانت فاس في ذلك الوقت هي المدينة العلمية المشهورة بالمغرب، أطلق عليه أستاذه المذكور نسبة الفاسي لاشتهار مدينة فاس بالعلم في المغرب، فاشتهر بأبي عمران الفاسي».

هذه الشهادة نقلها عنه الأستاذ الكبير الدكتور لحسن العبادي بإنشائه عن الأستاذ عبد الهادي التازي بحضور من في تلك الندوة، ثم قال الأستاذ العبادي: إنني طلبت من السيد الحسين وگاگ أن يطلب من التازي أن يوضح لنا ويتكلم معنا عن الوثائق التي عثر عليها في بغداد، عندما كان سفيراً للمغرب، وفعلاً طلب منه ذلك، فأكد لنا أنه باعمراني، وأن الوثائق ما زالت عنده. ثم أضاف الدكتور الباحث لحسن العبادي قائلاً



لي : «كان معنا رجل اسمه مولاي أحمد العلوي في الأكاديمية، - وليس العلوي الوزير - وكان يتكلم كثيرا لا يسكت، حتى سميناها محاضرا، لأنه لا يترك فراغا لغيره، وهو الذي أكد لنا بدوره يوما نفس المعلومات التي أدلى بها الدكتور عبد الهادي التازي، وأنه وقف هو نفسه على ذلك في كناشة في المكتبة الحسنية بالرباط» (عن ذ الحسن العبادي) فسجلت من فمه لقلمي بأقاديير، هذه المعلومات في 5/2/2012م. وتواضعا منه أخذت له صورة مستعجلة في منزله. ولن نس له ذلك التواضع وتلك الإفادات.

هذه معلومات جديدة، ولكل جديد لذة، ما عدا الموت، ومنه الجِدُّ والبحث العميق في الموضوع الذي يؤيد هذا الانتماء إلى أيت باعمران، بعدما نسب إلى فاس، وإلى القيروان، بل إلى عدد من القبائل المغربية، والعهد قديم، وأبو عمران من نظرائه عدم، رغم أنه معطاء وسخي كريم، ينبغي أن يعظم ويشهر، ويبحث عن آثاره وأصله كعلم يستحق كل تقدير يعتز كل باعمراني إلى انتمائه.

1 - أبو عمران كنية موسى وأنه : لما رجع الأمير يحيى بن إبراهيم الكودالي أمير زناغة إلى الصحراء (وليس صنهاجة الغرب) من الحج تعرف في القيروان على الفقيه موسى بن عيسى بن أبي حاج، وهو فقيه كبير من أهل فاس، عرف باسم أبي عمران الفاسي ؟ استقر بالقيروان، وتوفي بها سنة 430هـ. وفي مناقب أهل الصحراء لمؤرخ المملكة، وفي معلمة المغرب (ص 6184) نسب إلى قبيلة جراوة الزناتية، وفي مناهل التحصيل للركراكي وصفه بالفارسي !...

2 - وفي ترتيب المدارك، نسبة القاضي عياض إلى قبيلة غفجوم فخذ من زناتة، وقال السمنطاري من قبيلة هوارة، وعن ابن حجر العسقلاني في تبصير المنتبه، وتحرير المشتبه. أبو عمران موسى بن عيسى بن يحيى الفقيه القيرواني، وجده يكنى أيضا أبا الحاج الفاسي عالم المغرب في زمنه، وفي كتاب المعين في طبقات المحدثين.. موسى بن عيسى بن أبي رباح، بذكر هذا الجدل الثاني - رباح - يسهل استلحاقه كما جرت العادة في استلحاق الأعلام المغربية إلى غير وطنهم، وقس على ذلك يا من أصيب بعمى الوطن، إن لم يثلث بعمى البصر والبصيرة...

3 - وفيما يخص انتسابه إلى قبيلة غفجوم بتادلا مأخوذا من شعر الجراوي، فإن الشعر لا يقطع بصدقه، فالواضح أن «غفجوم» هو الموقع وليس قبيلة، والكلمة أمازيغية، وهي «إخفوغغمي» (راس الدرب) هكذا تنطق في مصمودة، بينما تحذف همزة الوصل في نطق زناغة، وتبادل المكان في الكلمة بين حرفي الخاء والغين في كلمة غفجوم أو خفجوم معروفة في الأمازيغية، «وقد وضحتها الأستاذ أحمد التوفيق محقق التشوف، إلى رجال التصوف، فكتب الكلمة لكي تقرأ في الهامش، ووضح أن غمجوم تعني المر أو المضيق أو المدخل»<sup>(99)</sup>. ومصدر الخطأ وارد من عدم فهم الكلمة الأمازيغية، وذلك كثير جدا يجب استدراكه، كما نبه إليه المختار السوسي. منذ زمان. في الرد على الإماعيين المسندين الأعلام المغربية إلى غير أهلها..

4 - أما البرزلي من فتاويه فقال : أبو عمران الصنهاجي القيرواني، وهنا نشم علاقة أبي عمران بالجنوب المغربي مادام صنهاجيا (زناغيا) التقى بالأمير الصنهاجي، فاقترح عليه ما ينقذ تلك القبائل الأمازيغية الصحراوية التي تعاني من قلة التبليغ، ومن قلة من يعلم الناس أمور دينهم، للتخلص مما وجدوا عليه آباءهم، وصنهاجية أبي عمران تدفعه إلى هذا الاقتراح، والبرزلي هذا هو الذي ربط أبا عمران بصنهاجة، أما انتسابه إلى القيروان، فهو انتساب محلي مرحلي، شأنه شأن وجوده في فاس وفي أماكن أخرى مذكورة...

5 - ولماذا لا نركز على هذه العلاقة الصنهاجية لأبي عمران الفاسي ؟ مادام هناك خيط رفيع، له أدلة ترمي كلها إل أصله وفصله، ومادام انتساب هذه الشخصية قد تعرض للتشكيك من طرف أقلام عبر قرون، فانتسب أولا إلى زناتة، وثانيا إلى هوارة، وثالثا إلى جراوة، ورابعا إلى صنهاجة، وخامسا إلى قریش، وسادسا إلى فارس، وهلم جرا، وهكذا صار أبو عمران بعلمه ياقوتة تتخطفها الأقلام، وتتبناها الأعلام، وتحن إليها الأصالة والأرحام...

6 - وكما اختلف في نسبه اختلف في ولادته، وكذلك في وفاته، وأيضا في لقائه مع الأمير الصحراوي يحيى أو عمر، وهكذا في ذكر أسماء أجداده، وكيف تكتب أو تنطق أو تفسر، فكيف لا ! وأثره في التاريخ منعدم ؟ !

(99) التشوف إلى رجال التصوف، ص 15.



7- أما وصف أبي عمران بالفاسي، فالظاهر أنه كان لقب شهرة اشتهر به بعد مغادرته لفاس، كما اشتهر كذلك بالقيرواني، والرجل كان متفوقا بما أضافه من العلوم في الأندلس، ولما رجع حسده من دونه في المرتبة العلمية - والمعاصرة تمنع المناصرة -، فهاجر إلى القيروان، وخاصة لما أنكر بدعة من في المسجد الذي بني في جبل فاس «وتلك لم تكن في الزمن الأول» بالإضافة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكثيرا ما أثارت هذه الجملة مشاكل كسيف ذي حدين تحاكم من أجلها حتى النوايا !.

ونستنتج من الاطلاع على أقوال من تناوله تشابها بينه وبين عبد الله بن ياسين والمهدي بن تومارت، وربما واگاگ كذلك، وكلهم يشبهونه في التشدد كما فعل في مسجد بفاس، وكما أنكر على اليهودي طبيب المعز بن باديس بالقيروان، لما دخل داره فوبخه بقوله : «أما علمت أن داري كمسجدي» وعندما عرّف له بأنه من السلطة العليا، برّر غضبه بقوله : «إني لأستحيي أن أحملك أسماء الله وحكما من أحكامه» وهذا استدراك في موقف خطير.

8 - فلو قارنا بعض مميزات أبي عمران مع من أدركناهم من علماء المدارس العتيقة، لوجدنا نفس التقليد، وخاصة في سوس، بما في ذلك تسمية ابنه باسم جده عيسى، أضف إلى ذلك استمراره في تعليم الروايات، مع تضلعه في العلوم العربية مما جعله يدرك بالنحو وباللغة معظم الغاية في ترديد تلك الأرداف، وهذا التعلق بالروايات نجده من مميزات قبيلتي لمطة وجزولة وبُعمرانة ولدى أبي عمران لاعتقادهم أن المواظب على تلك الروايات، يدرك ببركتها مرتبة الصالحين، ومنهم من ينعزل عن الناس ويقرأ القرآن بتلك القراءات، ويسمى بالحمزاوي.

9 - ومن عجب العجاب أن يكون أبو عمران خزانة تمشي على رجلين، وأن يكون أستاذا في معظم علوم ذلك العصر، وأن يقصده الطلبة من جميع الأفاق، سواء عندما كان في القرويين بفاس، أو عندما تصدر للتدريس في القيروان بتونس، ومع ذلك لم نجد له حتى الآن أثرا في كتابة التاريخ، بل حتى من عرفوا به أهملوا أثره التاريخي، إذ ليس من المعقول ألا يكتب أبو عمران مذكرات رحلاته من المغرب إلى الأندلس، ثم الرجوع

ثم ما تعرض له في فاس، ثم إلى الحج إلى بغداد، إلى إجازته، ولا يمكن إلا أن تكون كثيرة، كما لا يمكن ألا يسجل من أجازته، وقد يسجل الرجل ما مر عليه من الأحداث، وخاصة مع حساده، وقد يكون ذلك التسجيل - إن وجد - هو سبب القضاء على ذلك الأثر من طرف خصومه، مع العلم أن علماء المغرب يكرسون جهودهم على تكوين طلبتهم مهملين التاريخ الذي قيل فيه ما قيل، والتاريخ لا يعادي كتابته إلا من لا تاريخ له، أو سجل عليه بصمات أعماله لأنه لا يرحم أحدا.

وقال أبو زيد الدبائغ عن أبي عمران هذا في معالم الإيمان : «كان فقيها عالما بفنون العلم، منها القرآن وعلومه، وحديث وعلله ورجاله، والفقه البارع، مع الورع التام والهيبة والوقار والسكينة، قليل الضحك، عارفا بأصول الدين»<sup>(100)</sup>.

10 - يكاد أبو عمران أن يكون نموذجا من طلاب العلم المغاربة، ولا تتصوره إلا كتلميذ نجيب تعلم في الحضار (الكتاب) ثم تمكن مما يدرس في المدارس بالبادية، ثم رحل إلى المراكز العلمية، ومنها إلى الأندلس، ثم إلى مكة، ثم إلى بغداد، فحضر مجلس القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي، الذي أشاد به ثم رجع إلى وطنه المغرب الكبير، ونفس الشيء تكرر في عبد الله بن ياسين والمهدي بن تومارت، وابن بطوطة، لكن أين رحلة أبي عمران هذا؟ وقد علمنا التاريخ أن العلماء المغاربة يمتازون بتسجيل رحلاتهم. إلى الشرق غالبا.

### دور القيروان في تكوين الأطر السياسية لشمال أفريقيا :

ومن القيروان مع الأندلس يؤخذ العلم، أو على الأصح الأمهات العربية، ومن المعروف أن الدعاة الأول للخوارج في شمال أفريقيا ثلاثة : عكرمة البربري مولى العباس، وسلمة بن سعد، وابن مغيطر، وكلهم أمازيغ، تكونوا في المشرق، فرجعوا إلى وطنهم شمال أفريقيا بالقيروان، ينشرون المذهب الذي درسوه بعد الفتنة الكبرى هناك، هذا من الخوارج، وذاك من الشيعة، وثالث من السنة، ورابع من المرجئة، وخامس من يتهاافت بين المذاهب..

(100) معالم الإيمان، ج 3 / 160.



ولولا خروجنا عن الموضوع، لأوردنا الكثير من المغاربة الأمازيغ الذين كرعوا من المذاهب الشرقية حتى النخاع، فمنهم القادة الكبار، كطارق بن زياد، ومنهم من مشاهير علماء المصامدة كُنْتَبَر بن وسلاس بن شملال بن أمادة، وهو يحيى بن يحيى راوي الموطأ عن مالك، دخل الأندلس، وشهد الفتح مع طارق بن زياد. «فهو أمازيغي الأصل، أندلسي الموطن، ومنهم الإمام الخارجي الثائر ميسرة المضغري الزناني الأمازيغي» (مخطوط مرادي عبد الحميد الباعمراني رقم 11).

ونحن كلما تدرجنا في تاريخ المغرب، إلا ونجد تاريخنا يعيد نفسه في كليته، ومن ذلك راشد مولى إدريس الأول الذي قيل: «هو من بني كلاب بن كنانة» ونحن لا نتصور إلا أن هذه الشخصية كذلك من الغلمان الذين صادرهم الشرق، فتكون من ذلك الخضم، إلى أن وجد فرصة فرّ بنفسه في معركة فح مع مخدومه إدريس الأول، إلى وطنه الأصلي المغرب، وهو شيعي معتدل، وإلا فكيف قطع كل هذه المسافات كعالم وسياسي؟ وكيف أقنع أمير أوروبا بتولية إدريس لقطع الصلة مع السلطة المركزية في بغداد، وبالتالي توقيف نفقات الخراج التي تحمل من المغرب إلى هنالك دون شكر يذكر، أو حتى لقاء معتبر، وأهم من ذلك كله، نفي تهمة الردة الملتصقة «بالبربر» كلما أراد الشرق تصدير مشاكله إلى شمال أفريقيا.

وهكذا تتابعت هذه الحلقات التي تمثل الأصالة المغربية، والتي لا تنسى هذا الوطن مهما تغربت وهاجرت أو استلحقت كل تلك الشخصيات، بل حتى إذا استلبت إلى حين، أو تعربت أو تعجّمت بلغات مختلفة، أو تتاجرت في الخارج حتى اغتنت، فإنها لا يكون لها شأن معتبر إلا في وطنها المغرب المعروف بمميزاته عبر التاريخ، ومن شك في ذلك فليبحث.

وهنا أقول: ألا يكون أبو عمران الفاسي من هذه الطينة الطيبة المباركة؟ هذا سؤال فهل من باحث مجيب؟ هناك فقرة ذات حمولة كبيرة، وردت في كتاب بيوتات فاس الكبرى وهي «وكان السبب في دخول لتونة المغرب أنهم كانوا على دين الإسلام منذ أسلموا على يد الإمام إدريس، وكانوا يحاربون السودان، ثم إن يحيى وأبو بكر بن عمر

خرجوا إلى الحج مع قومهما، فمروا بمدينة القيروان، يتبركون بالعلامة أبي عمران الفاسي، حيث بلغهم أن أهل فاس أخرجوه من مدينة فاس لنهيهم لهم عما أحدثوه من البدع والمظالم والمغارم، وأخذهم أموال الناس بغير حق»<sup>(101)</sup>.

والعبارة «حيث بلغهم» تدل دلالة قوية على أن أبا عمران ليس فاسيا، وإلا مع شهرته العلمية، ومع أصالته، يصعب أن لا يوجد هناك من يدافع عنه ضد الخصوم، ولا سيما الدفاع عنه بفضل مستواه المتفوق على خصومه، فكيف يخرجونه بدعوى أنه «يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بهذه السهولة» وأقرب إلى الحقيقة أنه أفاقي متفوق بعلمه أو على الأصح بنشر مذهبه المالكي الذي بدأ هو نفسه يبثه في مجلسه، والشيعية على قُب قوسين أو أدنى منه، وإخراجه بهذه السهولة تشكك في وجود مكانة عائلته بفاس.

ومن علامة الاستفهام حول استلحاق أبي عمران هذا، ما ورد واضحا من انطلاق نسبه من «بيت بني أبي الحاج القرشي! بيتهم بيت حسب وثروة وفقه وعلم وعدالة، وله زقاق بفاس يقال له درب أبي الحاج، منهم الفقيه الإمام العلامة المدرس المفتي الخطيب الصالح ولي الله تعالى أبو عمران موسى بن أبي حاج القرشي المعروف بأبي عمران الفاسي» (نفسه ص 44).

إن وجود بيت بني أبي الحاج بفاس لا يجادل فيه، فمدينة فاس من أقدم الجامعات العلمية في العالم، فقد تخرج منها أهل الشرق والغرب والشمال والجنوب، المسيحيون منهم والمسلمون، ووجود درب باسم عائلة أبي الحاج لا يستحق المعارضة، وقد توجد عدة عائلات بهذا الاسم بفاس، لأن الحاج في ذلك العهد نادر جدا، حتى إن وجوده في البادية يكسب القبيلة كلها شرفا يعترف به الجميع، وفي الصحراء المغربية قديما يكفي أن تكون حاجا أو أن تسمى مُحَمَّدُو أو أحمدو لتصبح محترما إلى حد التقديس، وعند الشلوح اسم مصطفى مقدس.

قد تكون هناك عائلة قرشية لا علاقة لها بأبي عمران، لكن الشك يمكن إن لم نقل التدليس في ذكر النسب القرشي في بداية بيت أبي الحاج القرشي بصيغة التعريف، وفي درب أبي حاج بصيغة التنكير، ثم يسهل إلحاق بقول الكاتب: منهم أبو عمران

(101) بيوتات فاس الكبرى، ص 28.



القرشي بدلا من القيرواني أو الفاسي، ليسهل استلحاقه، ولا أدري كيف تلحق هذه الشخصيات بهذه السهولة، كأن العظماء لا تلدهم فاس، ولا ينبغي لهم أن يلحقوا بأصلهم المغربي الأمازيغي !.

ثم لماذا اهتم الوفد الصحراوي الصنهاجي بالتبرك بأبي عمران وحده بالقيروان؟ لأنه صنهاجي مثل إخوانه الصحراويين؟ وعلى رأسهم الأمير؟ أو لأن أهل فاس أخرجوه من مدينتهم وهو صنهاجي؟ أو لأن الصحراء بحاجة إلى نصيحته وعلمه واقتراحاته؟ كل ذلك ممكن، ومنه «ندبه أبو عمران إلى قتال برغواطة ببلاد السوس، وقتال زناتة، فوعده يحيى بن عمر بالنهوض إلى ذلك» أو يحيى بن إبراهيم في معظم المراجع؟.

فالمبادرة إذن من أبي عمران الصنهاجي أو على الأصح الزناكي اللمطي (الباعمراني) لماذا تسنده المراجع التي ذكرت لقاء الأمير الصنهاجي الصحراوي بأبي عمران في القيروان؟ - وإن كنا لا نستبعد منه طلب إرسال من يعلم الناس في الصحراء - ولكن الأقرب إلى المنطق هو أن تكون المبادرة من أبي عمران نفسه، غير أنه على موطنه الأصلي الصنهاجي، كما قال البرزلي في فتاويه أبو عمران الصنهاجي القيرواني<sup>(102)</sup>.

وفي انتماء الأمير الصحراوي وأبو عمران إلى زناكة (صنهاجة) التي منها لمطة وكندالة ولتونة ومسوفة، يسمح لنا بأن نقول بنوع من التحفظ، ألا يكون أبو عمران الصنهاجي هو الذي اقترح على الأمير يحيى بن إبراهيم الكودالي أن يصاحب معه طالبا متمكنا يعلم الناس أمور دينهم في الصحراء؟ وبالتالي يقوم بإفهام ذلك المجتمع أهمية هذا الركن الإسلامي الخامس، الذي أذاه أميرهم؟ وقد يكون هذا الأمير نفسه بسيطا في معلوماته، ولكي تزداد مكانته السياسية فهو بحاجة إلى تعزيزها بالجانب الديني بمذهب مالك، لكن بواسطة فقيه يُعرب عن لسان الأمير الحاج بلغة القوم، وهي الأمازيغية الزناكية التي لا يعرف ملكهم الكبير يوسف بن تاشفين إلا هي عندما أجاب بها شعراء العرب في جبل الفتوح. بقوله: [إس كا ترام أبادا ن إمولسمن سد تولغيتين] إنما تريدون بمدحك أموال المسلمين وليس إليه سبيل.

والمبادرة من أبو عمران الصنهاجي هذا غير بعيدة، بل هي احتمال يقيني فرضته الظروف، لما رأى ما يتكون حوله من طرف فقهاء القيروان مثل الفقيه سحنون: صاحب

(102) ج 1، ص 221.

المدونة، وابن أبي زيد القيرواني: صاحب كتاب الرسالة، والقابسي الذي أخذ عنه أبو عمران نفسه، كعالم وفقه تطبيقا لمدرسة سحنون بن سعيد المالكية في عهد طردت فيه الفرق والنحل والمذاهب من حروب الشرق إلى الغرب.

كما لا نستبعد صدور الفكرة من الأمير الصحراوي نفسه، وإن كان لا بد أن ينبه الفقيه إلى صعوبات الصحراء، ولكن ذلك التنبيه، لم نعثر عليه، مما يدل على أن صنهاجية أبو عمران صحيحة، وأنه يعرف ظروف الصحراء، ويعرف أن من تربى في مناخ البحر الأبيض المتوسط المعتدل، أو في مدينة القيروان العامرة بالعلم والعرفان، وهي مجتمع تشابكت فيه المذاهب كلها، وأن اقتراحه ابن أخيه عمر.. كل ذلك لا يستطيعه إلا طالب يمكن أن يتكيف مع الصحراء، ويعرف لغة أهلها الأمازيغية، وأن يكون متمكنا بعيدا عن تيارات القيروان الفكرية، ماعدا المذهب المالكي.

ومن الذين حملوا مذهب مالك ابن القاسم وأشهب وابن نافع وابن وهب ومطرف وابن الماجشون وغيرهم ممن أدركوه، والذين أخذوا عن أصحابه كسحنون وأصبغ وابن المواز وغيرهم ممن جاء بعدهم، كالأبهاري وابن أبي زيد والقابسي، ثم تلامذتهم كأبي بكر بن عبد الرحمان وأبي عمران الفاسي واللخمي وابن رشد وابن العربي...

صحيح أن صعوبات الصحراء لا تخفى على أبي عمران ولا على الأمير الصحراوي، وقد أدركها فيما بعد أمير صحراوي آخر بعدهم، وهو أبو بكر اللمتوني أمام زوجته الأميرة زينب النفزاوية في مدينة أغمات، عند رجوعه إلى الصحراء ضد انتفاضة هنالك إذ قال لها: [كمتي تَبْروريت]: أنت بظة لا تستطيعين تحمل حرارة الصحراء فطلقها.

والحق أن مستوى أبو عمران لا يعجزه الحل المناسب، بعدما لم ينجز اقتراح ابن أخيه عمر (معلمة المغرب 6184) مع أن هذا الاقتراح يعزز مرة أخرى صنهاجية الأمير والفقيه معا، وبالتالي القيام بالواجب، لمنافسة المغراويين بفاس، ومنافسيه في القيروان، وخاصة الصفرية والإباضية من الخوارج.

ولأمر ما لم يقبل عمر المقترح - إن صح ذلك - فإن أبو عمران لا يعدم حلا آخر، وهو رسالة منه من القيروان بتونس، إلى المغرب الجنوبي القريب من مناخ الصحراء،



وبالذات إلى تلميذه أو من قرابته من قبيلة لمطة : أيت باعمران، وهو الفقيه واكتاگ بن زلو اللمطي، سواء كان هذا الأخير في مدينة نفيس بحوز مراكش، أو في سجلماسة، أو في أكلو بسوس ؟ ولا شك أن هذا الأخير، صار ينشر منذ أن رجع من القيروان أو من فاس على الأقرب والأرجح، ما أخذه عن شيخه من المذهب المالكي في مقامه بوادي نفيس، بسفح الأطلس الكبير، بجانب مذهب آخر في أغمات، وفي سجلماسة البورغواطي، حيث نفس المذهب، وفي أكلو غير بعيد عن مدينة تارودانت حيث البجليّة، أو المهديّة الشيعية في ماست، ومعنى هذا أن الأحداث في الشرق، صدرت جميع مذاهبها ونحلها وخلافاتها إلى شمال أفريقيا، وبسبب تلك الرواسب القديمة، يسهل قبولها في المغرب بدون تروؤ.

نحن نعلم أن كلمة «واگتاگ» بالأمازيغية الهوگتارية معناها «العالم» وتحوال وأگتاگ هذا في سوس، ليس عاديا، فقد كان بنفيس، ثم في سجلماسة، ثم في سمالة بجزولة، وأخيرا بأكلو، فماذا كان ينشره واگتاگ هذا في تلك البوادي ؟ لا نملك إلا رسالة أبو عمران إلى واگتاگ وإليها :

«سلام عليكم ورحمة الله أما بعد : إذا وصلتك حامل كتابي هذا، وهو يحيى بن إبراهيم الكدالي، فابعث معه إلى بلاده من طلبتك من تثق بدينه وورعه وكثرة علمه وسياسته، ليعلمهم القرآن وشرائع الإسلام، ويفقههم في دينهم، وله ولك في ذلك الثواب والأجر العظيم، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا. والسلام»<sup>(103)</sup>

مصدر الشك في وجود الرسالة بعينها أو مصدر نصها لأسباب منها :

1 - نحن لا نقطع بعدم وجود رسالة أو رسالات بين الشيخ أبو عمران الصنهاجي إلى تلميذه أو قريبه واگتاگ اللمطي، لكن من باب التقية والحذر في تلك الظروف المتلاطمة في القيروان، التي كانت في ذلك الوقت مركزا للثقافة والسياسة والصراع بين الملل والنحل من طرف الشيعة والمعتزلة والحنفية والمالكية وما شئت من الانتماء إلى الشرق ضد من ينتمي إلى الأندلس، مما جعل الاستقرار في شمال أفريقيا في مهبط

(103) الأبيس المطرب بروض القرطاس مخطوط في حوزتنا.

الرياح، كل ذلك يفرض الاحتياط والحذر، وحمل هذا النوع من الرسائل من القيروان إلى المغرب خطير جدا.

2 - كان أبو عمران يبيت في مجلسه مذهب المالكي، وذلك لا يخفى على منافسيه السياسيين والمذهبيين، ومكانته في العلم مشهورة يقصده الآخذون عنه من جميع الأفاق، مما يكثر حساده ومنافسيه من الفقهاء من جهة، ويزيد من حذر السياسيين تجاهه من جهة أخرى، وما وقع له من حسد في فاس لا يعزب عن ذهنه.

3 - والحذر واجب كذلك من طرف الأمير ومن معه من الحجاج، حتى لا يخرجون عن طقوس الحج المحترمة المطهرة للحاج كيوم ولدته أمه، والعثور على رسالة سياسية وتوصية بالجهاد من طرف الخصوم وأصحاب المذاهب والسياسيين، يعد من الخطورة بمكان، فهل الرسالة شفوية فقط ؟

4 - وقد أورد البكري - وهو أقرب المصادر إلى ذلك الزمان - «.. فقال له أبو عمران : إني قد عدت بالقيروان بغيتكم، وأما بملكوس (إيمي لكوس مدخل إلى الكوست» بالأطلس الصغير) إني أعرف فقيها حاذقا ورعا قد لقيني وعرفت ذلك منه يقال له وجاج بن زلوى فمّر به، فرجما ظفرت عنده ببغيتك فجعل ذلك يحيى بن إبراهيم أوكد همه، فنزل به وعلمه ما جرى له مع أبو عمران، فاختر له وجاج من أصحابه رجلا يقال له عبد الله بن ياسين، واسم أمه تين يزمارن، من أهل جزولة من قرية تسمى تمانارت»<sup>(104)</sup> إن معرفة أبو عمران بموقع إيميلكوس دليل على معرفة الرجل بسوس.

5 - لم نجد عند البكري ذكر رسالة أبو عمران إلى وجاج، لكننا نفهم من المذاكرة بين الأمير ووجاج، ما يدل على حفظ مضمون الرسالة عن ظهر قلب، إذ جعل الأمير ذلك «أوكد همه فنزل به وعلمه ما جرى له مع أبو عمران» (البكري ص 165) وكلمة علمه ليست كتب له، والفرق كبير بين قوله تعالى : ﴿الرحمن عليم القرآن﴾ لأنه نزل مقروءا وليس مكتوبا، ومن باب التقية وذكاء أبو عمران وسدا لذرائع الخصوم، يكون الاكتفاء بعلم بدلا من كتب المادي. لكن ابن الأحمر قال : «فدفعوا إليه كتاب أبو عمران، فلما قرأه رحب بهم»<sup>(105)</sup> ويجوز كل شيء في تلك الظروف.

(104) البكري، ص 165.

(105) بيوتات فاس الكبرى، ص 28.



6- فكلمة علمه ما جرى، معناه أملى عليه ما دار في القيروان بين الطرفين أبو عمران والأمير الزناكي، لكن بأية لغة جرت هذه المذاكرة؟ لا نتصور إلا أنها بالأمازيغية المتداولة بين وفد الحجاج الصحراويين، والفقهاء وججاج وعبد الله بن ياسين، وبها جرى العمل بين القوم كلهم، مع العلم أن الأمير الصحراوي كان مستواه المعرفي بسيطا «لا يعرف من الكتاب والسنة حرفا. جاهل بما يصلح دينه» وهذا الموقف التأسيسي يجب أن يكون مفهوما واضحا بلغة القوم، وهذا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لا يعرف العربية البتة. وعاش مائة سنة.

7- وهنا يرد سؤال: أين مصدر رسالة أبي عمران إلى وججاج؟ فإذا كانت هي التي نقلناها من الأنيس المطرب، فإنها لا تخلو من نقل مخالف مما في مظنات أخرى، - وإن كان الفرق لا يضر - كما لا تكفي هذه الرسالة في هذا الباب، مما يؤيد أن ما كان شفويا سرى هو الأصل، بل حتى صغر الرسالة يوحي بالتحذير، وبكل تحفظ، يمكن أن ندلي بالاستفهامات الآتية، لعلها تساهم في تليين هذه الألغاز على سبيل الاجتهاد فقط:

(1) من حيث المبدأ، فواگگ مالكي المذهب الذي أخذه عن شيخه أبو عمران الفاسي، أو القارئ معه، سواء في فاس أو في القيروان أو في بني غفجوم جهة تدلا، أو في جهات أخرى كما ذكر في مراحل أبو عمران، وهذا الترحال بالنسبة للعلماء كان عاديا إلى حيث ما تيسر بث المعرفة في تلك الظروف، وقد سمعنا وقرأنا بل أدركنا فقهاء كبار، قاموا بجولات فاقت أصحاب كراسي العلم حالبا..

(2) نلاحظ تجوال واگگ نفسه في سوس عامة، حيث مراكز مذاهب متعددة في أغمات وسجلماسة وماست وتارودانت وبرغواطة في جبال السوس ملكوس (إيمي لكوس) والمقصود بهذا المكان هو جبال الأطلس الصغير التي منها لكوست بلاد اللكسيين: lixon وأهل نهر درعة: darat) والاسم قديم منذ رحلة حانون، فظن البعض أن هذا المكان في العرائش، وإيمي لكوس معناه مدخل جزولة. بين أزغار والجبال، كما يصدق عليه موقع ضريح واگگ.

(3) نحن لا يمكن أن نجد الصحراء من فقهاء كانت لهم صلة بالشيخ واگگ اللمطي، والدليل على ذلك، أن وفد الأمير اللمتوني رفقة عبد الله بن ياسين، لما وصل إلى

هنالك «فاجتمع عليه فقهاؤها وانقادوا إليه انقيادا عظيما، ثم ندب عبد الله بن ياسين لمتونة ومسوفة ولمطة إلى قتال برغواطة أهل جبال السوس وسجلماسة» مما يدل على أن برغواطة المصمودية، كانت في معظم المغرب، وهو كذلك، وليس في سهول تامسنا فقط، ودولتهم دامت 461 سنة.

(4) لا شك أن واگگ وتلميذه التمانارتي عبد الله بن ياسين، ومن معهم من الفقهاء في سوس، قد نفذوا فتوى أبو عمران الفاسي حول فرض التعليم في الكتاب: الحضار، ومنها جاءت كلمة أمحضار، وفي العرف: «أمر الحضار» إذا اتفق عليها أهل الموضع وشارطوا معلما، وتعاقدوا معه، يلزم من كان في الموضع إدخال ولده الحضار، وهذا ما جرى به العمل في سوس حتى الآن، كما لذلك عرف ملزم لجميع سكان الجماعات.

(5) فواگگ إذن معلم وموجه ومكوّن لأطر المذهب المالكي، وهو مساهم في نشأة الدولة المرابطية سياسيا وفكريا، بل منفذا لمدرسة أبو عمران الصنهاجي..

(6) فإذا كانت الرسالة الأولى بين الشيخين أتت أكلها، فإننا لا نتصور إلا تراكما من الرسائل بين الأطراف الأربعة على الأقل: أبو عمران وواگگ وعبد الله بن ياسين وأمير الصحراء.

والعجيب في الأمر، أن الذي صلى علي أبو عمران بالقيروان، هو أبو بكر عتيق السوسي الفقيه الزاهد بوصية له بذلك، أليس هذا أيضا مما يدل على الرابطة الروحية والانتماء الوطني والثقة الكاملة والمذهبية بين أبو عمران وهذا السوسي؟

فأبو عمران صنهاجي أو لمطي أو باغمراني، أما نسبه إلى أيت إخفغگمي (باب الدار) فمعناه المستوطن في المر أو المضيق أو في المدخل<sup>(106)</sup>، ونسبة أبو عمران إلى موقع سكناه «إخف وگگمي»، كلمة أمازيغية، وبالشلحة المصمودية، لكن لما خفي المعنى اللغوي لهذه الكلمة، التمس لها المعربون تخريجة كعادتهم في تفسير الأعلام الأمازيغية، وخاصة كل علم مغربي له مكانته في التاريخ.

(106) ذ أحمد التوفيق الشوف إلى رجال التصوف، ص 78.



ولدينا أمثلة كثيرة، إلى أن قيض الله أحمد التوفيق، فأرجع الأمانة إلى أهلها بعد مصادرتها من لا يعرفها، فتحول اسم المسكن إلى قبيلة بتادلا، لا يبعد انتقال أبو عمران من بلاد لمطة أيت باعمران، إلى تادلا الحضرية في عهد برغواطة، إلى فاس، إلى الأندلس، إلى القيروان، إلى الحج إلى بغداد. ثم الرجوع إلى القيروان لتكوين الأطر لهذا الوطن مثل وگاگ وغيره إن صحت التلمذة، وما أكثر تشويش الأفاقين على كبار أعلام المغرب بالاستلحاقات وإليك نموذجاً :

فهذه عائلة الإسكباني الباعمرانية الموجودة حتى الآن، وهي تحمل هذا الاسم الذي فسر لهم بأنه اسم لأسرة برتغالية، مع أن الكلمة مركبة من إسك (القرن) وباني الجبل، أي الساكن في قرن جبل باني، فزال اللبس عن هذه الأسرة المسماة حتى الآن إمارغن الساكنة في إصبويا، وفيها فقهاء وعدول وقضاة. (وثائق عائلة إسكوباني معظم خزانةهم عند المؤرخ أرفاك كما رأيت).

وما تركه أبو عمران الفاسي مواقيت التعليم، وأيام العطل، وأصل مشروعية عطلة يومي الخميس والجمعة، نظمها محمد بن عبد العزيز الأندلسي نزيل أسفي المعروف بكرضيلو، وهي المعمول بها في سوس حتى الآن :

واجلس لهم بعد صلاة الصبح، إلى الضحى العالي وزد في النصح  
ومن صلاة الظهر والعصر كفى، وسرّحهم سائر اليوم وفا  
وإثر كتب اللوح قل بالثب، يوم الخميس لصباح السبت  
قد سبّن ذلك أبو حفص عمر، فمن أماتها فلا شك افتقر  
كما دعا به ومن أحيائها، يكون في الأمة من أغناها  
وسرّحهم يوم عيد الفطر، وبعده يومين ثم النحر  
سرّحهم في يومه وبعده، أربعةً فهكذا قد حدّه  
شيخ المشايخ أبو عمراننا، جُوزي عَنّا الحيرَ والإحسانا  
(ندوة أبو عمران الفاسي بأكلو ص 56)

ومن شعر أبو عمران الرقيق رداً على الشاعر محمد الطُّبني :  
حياك ربك من خلّ أخي ثقة، وصان نفسك بالتكريم مولاها  
من كل غم وشأن لا يوافقها، فهو العليم بما يبديه مولاها  
ولا أضاع لها الرحمن حرقتها، وقولها إن تسر ودعتك الله  
فالله يجمعنا من بعد أويتنا، ويؤتينا من وجوه البر أسماها

وخلاصة القول : فإن أبو عمران موسى بن عيسى الصنهاجي ما هو إلا باعمراني كما هو الشأن في وگاگ بن زالو اللمطي، وفي انتظار إبراز الدليلين الماديين القاطعين المعترف بوجودهما في الخزانة الحسنية، وعند الدكتور عبد الهادي التازي، إذ ذاك يسجل تاريخ هذا العلم المغربي في حالته المدنية أيت باعمران. رسمياً. وختاماً ورد في كتاب الحلل الموشية «كانت بينهما (وگاگ وأبو عمران) قراءة ومعرفة وفي الهامش قرابة» (الحلل الموشية ص 20).

ولا شك أن العبقرى لحسن البونعماني قد اطلع على الوثائق التي في الخزانة والتي تنص على أصالة أبو عمران اللمطية الباعمرانية، فخلد ذلك في ديوانه بأنه لمطي وليس من قيروان ولا من فاس فقال :

\* أبو عمران لمطة تدّعيه، فما من قيروان ولا فؤوس \*

أما ذكر تغيير مساحات الجهات في شمال أفريقيا عبر القرون، فذلك لا يخفى على من استعرض التاريخ، كمصطلح سوس المكرر من تونس إلى أقصى الجنوب،

وذلك ما فهم في فحوى الخطاب الذي رفعه ابن العربي سفير يوسف بن تاشفين إلى المستظهر بالله العباسي، «واجتمعت (المغرب) على دعوته (أي يوسف) فينخطب الآن للخلافة على أكثر من ألفي منبر وخمسمائة منبر، فإن طاعته (أي يوسف) من أول بلاد الله الأفرنج، إلى آخر بلاد السوس، مما يلي بلاد غانة، وهي بلاد معادن الذهب، والمسافة بين الحدين المذكورين مسيرة خمسة أشهر»<sup>(107)</sup>. وها أنت ترى كيف تنتقل هذه المصطلحات فتتسع أو تضيق حسب ظروف الزمان والمكان. ولعل الجهة العاشرة اليوم تشرع ثقافياً في تنمية ما مر هناك وما نص عليه تاريخه المجيد..

(107) التازي، ج 5، ص 281.



وأما واضع ديوان القبائل : «فهو إبراهيم بن علي بن عبد الله الحساني، فلم نقف على ترجمته في المصادر التي رجعنا إليها، ولا نكاد نعرف عنه سوى ما أورده هو عن نفسه في الفقرات الأولى، وفي خاتمة الديوان، حيث استفدنا مما أورده أنه سوسي الأصل، من سكان بلدة إيرغ الواقعة بإيدا كنيضيف في الأطلس الصغير، وأنه أقام بفاس فترة من الزمن، لأسباب وظروف لا يذكر شيئاً عنها، ويشير إلى أنه رجع من فاس، فصادف تاريخ قيام السلطان أحمد المنصور السعدي إلى سوس أوائل عام 988هـ/1582م وبالضبط حينما كانت محلته مستقرة بنازلة إيرغ، وانتهى به الأمر، إلى الانضمام إلى جيش السلطان، وأصبح من عيونه بسوس، وأخيراً يكلفه السلطان بوضع هذا الديوان، فانتشرت نسخه في جميع أنحاء سوس، وانتشاره طبيعي، لأنه بمثابة إحصاء قانوني، لتعرف كل قبيلة ما يلزمها من كلف مخزنية، وقد لمحت في مرجع ما مثل هذا الإحصاء في عهد الدولة الموحدية». (نفس المرجع).

وما جاء في هذا المرجع :

1- بعد معارك فظيعة، بعث السلطان لجميع أشياخ أهل سوس الأقصى عربا وعجماء، فلما اجتمعوا عنده كلهم في مجلسه... ثم جعل كل خمسة عشر كانوا بسرجة ليسهل طريق المخزن على عماله، وعلى الدافع، والقوي والضعيف ..

2- ثم شرعنا في حسابه : هشتوكه جبلا وفحصا وجميع من كلفوا بحسابهم مع إسقاط الشرفاء، ثم أهل أمانوز وجميع من كلفوا بحسابهم، ثم أهل واد النظيفين وجميع من كلفوا بحسابهم، ثم أهل مزال وجميع من كلفوا بحسابهم، ثم هلاله وجميع من كلفوا بحسابهم، ثم ولتية وجميع من كلفوا بحسابهم، ثم مسكينة وجميع من كلفوا بحسابهم.

### حساب بعمرانة بألف سرجة :

وجميع من كلفوا بحسابهم : وهم واد إفران بمثتي سرجة، ثم فروع تيزلي بخمسائة سرجة، ثم أهل وافقا بمثتي سرجة، ثم أغشتا مع أهل إيغشان بثمانين سرجة، ثم أهل

حربيل بمثتي سرجة، ثم إداوبلال أيضا سبعين سرجة، ومجموع هذا ألف يساوي :  $2250 \times 15 \times 5 = 33750$  نسمة على الأقل. وعلى هذا المنوال، وقع إحصاء هشتوكه، وأهل أمانوز، وأهل واد النظيفين، وأهل مزال، وهلاله، وولتية، وبعمرانة، ومسكينة، وغيرهم، وذلك مفصل في هذا الديوان الذي أفادنا كثيرا.

وفي ديوان قبائل سوس هذا في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي بتاريخ أوائل عام 988هـ/1572م وجدنا كلمة بعمرانة (أيت باعمران) ونستفيد من ذلك أن أيت باعمران بهذا الاسم، كانوا في عين المكان قبل هذا التاريخ، وأنهم من القبائل المشهورة في سوس.

ويظهر أن إحصاء السكان وإسناد جباية المخزن إلى قبيل في هذا المستوى، معناه إسناد جمع حساب الكوائن باسم المخزن، وليس من باب الصدفة، بل نفهم منه أن القبيل المذكور في رأس اللائحة كقول الكاتب : ويليه حساب كذا، لما للقبيل المذكور من عوامل تساعده على تطبيق القانون، فقال الكاتب «فشرعت في حسابها شيخا شيخا». ومعنى ذلك أن هذا الديوان إنما طبق عرف كل قبيلة.

وقد وردت في الديوان كلمة عمال المخزن، ومن باب السهولة أن تندرج القبائل الصغيرة حسب عدد سروجها، كفخذات تحت القبيل الكبير، والعجيب في الأمر، أن إقليم عمالة سيدي إفني الحالية، تكاد تشمل معظم هذه القبائل المدرجة في دفع حسابها تحت بعمرانة في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي، ولا مانع من أن تكون مثل هذه العلاقة قبل هذا الديوان.

ويؤيد هذا الاتجاه أن قبائل أخرى، رفضت، أن تنضم إلى ما اقترح عليها فأضافها المخزن إلى من ترضى الانضمام إليهم، كإدخال الهلالين في حساب هشتوكه. وهذا دليل آخر على تعلق القبيلة بماضيها التاريخي.

وقد أكد لي مولاي عبد البويزاكاني قائلا : «إن أيت باعمران عرفوا بانتمائهم إلى عاملهم اسمه باعمران، وكانت كل هذه القبائل حتى قمم هذه الجبال، تدفع له الأعشار والزكوات، مقابل دفاعه عن الشواطئ ضد الأجنبي كما ذكر. وهو ملخص ما بقي في ذاكرته. في انتظار ذلك المخطوط المذكور ؟



## نزلات السلطان المنصور الذهبي في سوس :

- 1- نازلة تيدسي : بسهل سوس غرب تارودانت، حيث بوع محمد السعدي .
- 2- نازلة بني مزال : في إيبي مقورن، حيث انتقل إليه من أمسكروود (الفشتالي)
- 3- نازلة تافتوت : مختصة بهلالة، ولعلها تيفنيت، بمعنى تامدا إن وجدت هناك .
- 4- نازلة إيرس : مختصة بهشتوكة مع من كان حوله .

5- نازلة إيرغ : الواقعة بإدا كنيضيف بالأطلس الصغير، مختصة بهشتوكة .

6- نازلة أمانوز : مختصة بهشتوكة مع بعد أمانوز المعروفة عنها ؟ !

7- نازلة بماء أدول : لهلالة ؟

8- نازلة فوانو : ؟

9- نازلة تاسكرا :

10- وبالويدان يحرضان ..

11- نازلة تيزنيت لولتية : مما يدل على وجود هذه المدينة وقدمها هناك .

12- نازلة ماسة : لهشتوكة .

13- نازلة بونعمان : لجرارة وأهل بونعمان وأهل بلال (العوينة)

14- نازلة تانگارفا (تي ن جورفا) لبني بعمران، وهذا الموقع يوجد في قبيلة أيت السيمور، جنوب خميس أيت بوبكر، هذا الأخير الذي اختاره السلطان الحسن الأول عام 1303هـ فأسس فيه محلته لتوفر تيغزي هذه على مواصفات مهمة لم تتوفر في تانگارفا الموجودة في جنوبها بحوالي 15 كلم .

ولعل اختيار المنصور الذهبي لتانگارفا [تينجورفا] لوجود موقع قلعة حراسة للمرابطين في قمة مرتفع جنوب المدرسة، كما قال لي فقيه المدرسة. العتيقة إبراهيم المشارط فيها خمسين سنة كاملة، وهو الخبير بماضي قبيلته عندما استجوبته. في غشت سنة 1983م .

15- نازلة تاكاوست : لأهل واذنول، وهي من أقدم المدن التجارية الباعمرانية .

16- نازلة إفران : لأهلها مع الفروع مع بني وافقا وبني أرخا .

17- نازلة إيبلغ : لإداگاگمار مع حربيلة وإيغشان .

18- نازلة أسول : بواد تيملت (العين الغزيرة) لهم ولأهل إگنان .

19- نازلة تامانارت : لأهلها وأهل تازكا وأقا .

فهذه تمام النزلات التي ينزل فيها سيدنا رضي الله عنه، مع خلفائه، وكل نازلة يدفع فيها أهلها المؤونة حتى يقوم منها .

ونستفيد من هذه النزلات السلطانية موقعها في موضع تانگارفا (تين جورفا) ذات صخرة، «حيث ضريح الصالح سيدي عبد الله أويحيا المدفون في قبيلة أيت السيمور، وذكر أنه والد الصالح إبراهيم بن عبد الله المدفون بجانب الجرف الكبير بقبيلة أيت يعزي الباعمرانية، وأم الصالح إبراهيم هذا، هي أمة من الوساعدين المتأصلين في إيبيوگني»<sup>(108)</sup>، والمسافة بينهما حوالي (15) كلم والكل يرجع إلى القرن الحادي عشر الهجري، إلا أن جد السملالين يحيا هذا، ينازعهم فيه الصوفي سيدي محند أباراغ صاحب زاوية المسيد الأحمر، وهو محند بن إبراهيم الباعمراني بلدا، السملالي نسا، الناصري طريقة، قرأ في تمگيدشت، أكد أن يحيا المدفون في تانگارفا هو والد بوبكر أويحيا وباهما أويحيا جداي أيت باعمران منذ المرابطين، كما في عرفهم القديم حتى الآن، توفي أباراغ في 22 من ربيع الأول عام 1332هـ وله ضريح متواضع بالمسيد الأحمر، وهو أول من أسس زاويته هناك» (مذكرات حفيده الفقيه محند أباراغ).

والمعتمد أن هناك عالما صالحا مدرسا قديما يسمي عبد الله بن أيوب من قبيلة أيت أيوب، الباعمراني الأسري، وبه سميت القبيلة الكبيرة هناك . باسمه، فحسب أباراغ يرجع إلى عهد المرابطين، وعلى هذا، فهو من لمطة الباعمرانية الجزولية، بينما يرجع البعض وفاته إلى حوالي 910هـ فقط، وهناك من ينسب إليه عبد الله بن يحيا بن عبد الله كحفيد وورث أوصاف جده العليا، علما وحالا، لعله توفي حوالي 990هـ وهذا الأخير هو الذي

(108) روضة الأفنان، ص 214.



ينسب إليه بوكارفا المذكور، وليس الأول، وهم ينعنون بالمرابطين. منذ أن رفضت تركيتهم بتيغزي عام 303هـ. إما لمنزعة رأي أباراغ لهم؟ وهو نفسه لم يدل بمرجع تأكيده، أو لقوة البوجرفاويين التجارية وكثرة غوهم الديموغرافي، وتعلقهم بالسملالية؟ أو لمبالغة ما رواه الخضيكي في جدتهم بوكارفا إبراهيم، إذ قال: «وقد أخبرنا من أدركه وشاهد كراماته وبركته أنه من أهل الخطوة وأنه يحضر صلاة الجماعة بالحرمين الشريفين، ويأتي بغداد وغيرها من أقطار الأرض» (الخضيكي) وما يتداول حتى الآن أن العارفين في زمانه ركبوا الأسود عند زيارته فقالوا له: قيد خيولنا يافلان، فلما رأى الأسود قال: «لتخرج الأفاعي لتقيد مثلها من الوحوش، فلما رأوا الأسود مقيدة بالأفاعي سلموا له» وكثيرا ما قلنا للصوفيين مجالهم الخاص، لا يخضع للمنطق.

وفي الموضوعين معامدرسة عتيقة للعلم تارة وللقرآن تارة أخرى، حسب الفقيه المشارط، والأولى أقدم، بينما الأخيرة بنيت فقط بعيد عام 1299هـ إثر تعيين قيادة هناك، أما ظاهرة الاستكثار من الشرفاء، فترجع إلى التخلص من الكلف العامة، بما فيها حتى المشاركة في تمويل المدرسة العتيقة في بوكارفا!. بالإضافة إلى النمو الديمغرافي المطلوب في المجتمع الفلاحي لتقسيم العمل.

والخلاف في الجذ «يحيا» للفرق الزمني الواسع بين البوجرفاوي عبد الله وبين باها وبوبكر ابني يحيا الباعمراني القديم، ولعل رفض السلطان الحسن الأول تجديد ما لدى البوجرفاويين عام 1303هـ يرجع إلى الشك في الجذ المذكور المسمى يحيا بتانگرفا، من أهل القرن الحادي عشر الهجري بالنسبة للبوجرفاويين، بينما يحيا الباعمراني بعين المكان، يرجع إلى عهد المرابطين في القرن الخامس الهجري، ووجه الخلاف توارد معقولين في تنازع يحيا. أما مبالغة انتشار سملالة في أيت باعمران، فهناك انتباه إلى قلم الأدوزي عن أباراغ قائلا:

«وقد عيّن رحمه الله سملالة في أيت باعمران» وزرع السملاليين يشبه الزرع المكثف لأيت يعزى ويهدى في كل مكان، ومعنى قول الأدوزي أنه زرعتها بمبالغة ينكرها الواقع، كما أن أباراغ نفسه سملالي، لكنه مع ذلك فرق بين يحيا السملالي ويحيا المرابطي

حسب ما لديه. والبوجرفاويون يرفعون شجرتهم إلى گوندوز المتصل بالصالح أحمد أوموسى المتوفى عام 971هـ وأيت يعزى ويهدى يرفعون نسبهم إلى أبي بكر الصديق، ونحن نكتفي هنا بتحميلهم المسؤولية، والناس مصدقون في أنسابهم..

والحق أن تركز الأولياء والصالحين ومواقع المرابطين ومركز لمطة بعمرانة جزولة حول تانگارفا تمتد بسلسلة من الصالحين إلى أباينو، حيث الصالح سيدي لحسن من أيت أمغار الباعمراني - وهل أيت أمغار هؤلاء هم عبد العزيز وعيسى من عائلة المهدي بن تومارت أو من نسل آخر؟ - وقريبا منه بأگوليم، يوجد سيدي محمد بن هبة السوسي المشهور بسيدي الغازي النازح من سوس، شيخ مشائخ ابن ناصر بتامگروت، له مكانة مكيئة في التصوف وشطحات في مقالات، وهناك شعر أمازيغي يستغيث به لمكانته في التصوف، وليس في الغزوات، يرجع إلى القرن العاشر الهجري.

وهذه الجهة تحتاج إلى بحث ميداني عميق، ويكفي أن نشير هنا إلى أنه من أولئك المتصوفين الصالح سيدي وأملحافت في أيت باعمران، وضريحه في جهة تانگارفا، حيث مدرسة عتيقة علمية مر بها فقهاء متمكنون، آخرهم سيدي أحمد هميش في مجاعة 1318هـ وكلمة أواميلحافت: (owamilhaft) مركبة من (+ إيبي + الحافة) وتعني صالح باب حافة: المرتفع في قبيلة أيت السيمور، ويزعم البعض أنها من لباس أملحافت (المثزار) الروماني القديم. ويعرف الأعلام هناك باسم الأماكن لقدمهم. مع تعلق قبائلهم بالتبرك بهم.

وقليل من أجاب عن رسائلي حول المكان الوطنية والعلمية، ومن أجاب مشكورا بتاريخ 1963/12/4م الأستاذ المحترم برسالة طويلة نختصرها فيما يأتي:

«المولودي عبد الله بن أحمد بن محمّد بن مولود العبلأوي أصلا، وبدأ بوالده أحمد ابن مولود الذي كان مثلا لوالده محمّد في الوقار والرزانة والسكينة والفتح على يده فانهال على يده من معينه مما يتعلق بالقراءات لتوفره على المؤلفات في الموضوع، كالجامع الكبير والشاطبية ونجوم المطالع ونزهة المجالس والمخطوطات الفقهية المتداولة ومخطوط في عادات الناس وأعراف القبيلة...»



وأول مدرسة درس فيها - الجمعة - العتيقة بعد وفاة والده الفقيه محمد، وكان يجمع بين تحفيظ القرآن وبعض الأمهات العربية في النحو واللغة وذلك من 1336هـ إلى 1350هـ وبعد ذلك قام بجولات في الأقاليم المغربية لعدة شهور.

ثم رجع إلى المشاركة في المدارس من جديد، مثل سيدي زكري بأيت أيوب وإصبويا وأملو ومدرسة أيت بوبكر وغيرها، وخلف عائلة كبيرة من ذكور وإناث توفي في 17 / رمضان 1358هـ. وجده سيدي محمد بن مولود المعروف بعلمه الغزير وبأدابه وسلوكه وبالجو الروحاني الرباني رحمة الله عليه. (المولودي عبد الله) ومن القراء لهذه الناحية سيدي محمد بن مولود العبلابي الباعمراني المذكور، ليس هناك من لم يأخذ عنه، وخاصة في مدرسته الجمعة ومدرسة أيت بوبكر، وعنه تخرج لحسن بن محند العبلابي من أخريب، فلازم مدرسة تانگارفا وهو صهر القائد بوهيا توفي حوالي 1330هـ.

وأخر من استجوبته في تانگارفا سنة 1981م الطالب الوراشي سيدي إبراهيم الخومسي المشارط فيها لمدة خمسين سنة، وهو الذي دلني على الصالح سيدي الطوال أوغلي، صالح المرتفع في قمة ذلك الجبل جهة قبيلة إصبويا، ومعظم الأعلام باسم أماكنهم لقدمهم هناك. ولم أزرهم.

ولا تخلوا المنطقة من روايات شفوية قد تلقي الضوء على المزيد من المعلومات، كما تجيب العقود والأعراف والميراث على كثير من الحقائق لا تجحد، بل فيها يكمن مفتاح لمن يريد أن يفتح هذه الأقفال المغلقة منذ قرون، وعمدة القبائل أيت أيوب.

وأشهر من عرف من قدماء الصالحين ذوي القرب هناك، صاحب عين أبيانو القريب من أكلميم، وهو من أيت أمغار الباعمراني، وشجرتهم منتشرة تضم حتى مولاي عبلا أمغار بالجديدة، وفي حاحة كثير من تلك العائلة العلمية.

ومن أقوال الفقيه سيدي محمد أبلوش: «الجميع في أيت باعمران يدعي الشرف؟ اليوسوفيون والبوجرفاويون والسملاليون وأيت يعزى ويهدى والركراغة والمرابطون وغيرهم، فإذا صح شرف كل هؤلاء، فمن يكون العامة أي غير الشرفاء في أيت باعمران؟ نعم لا توجد في هذه البلاد شجرة للأنساب الصحيحة ماعدا الوزانيين وأهل

سيدي سليمان بوتوميت، فقد اعترف بهم عدد كبير من ملوك المغرب، أما الباقي فلا يعتمد عليه»<sup>(109)</sup>

وورد في ظهير السلطان الحسن الأول سنة 1299هـ عند تعيين عمال أيت باعمران على المراسي ما يأتي: «وألزم العمال جوار المراسي الأربع، وهي مرسى سيدي محمد ابن عبد الله ومرسى سيدي وارزك» وأضرحه الصالحين عديدة، وقد عرفنا بذلك في معلمة المغرب..

### لائحة المرافقين للسلطان السعدي :

أما لائحة المرافقين للسلطان السعدي بسوس فهناك هشتوكة جبلا وفحصا من حدهم بأقا إلى حدهم بماسة (12000) ثم هلاله (15000) ثم هلتيتة (30000) ثم بعمرانة والتكنة والعرب جملة إلى وادي نون (30000) ثم فروع تيزلمي (1025) ثم أهل جرارة مع أهل بونعمان (900) ثم أهل تيزنيت (100) ثم أهل ماسة (200) ثم أهل واد الغيران (400) ثم أيت وافقا من حربيل وإيغشان (400) وجملة من معه في الحركة من أهل سوس (125000) فليراجع اقتراح المحقق. ذ عمر أفا، والخطأ واضح.

ونستفيد من هذا الإحصاء كذلك، أن التكنة والعرب جملة اندرجوا في أيت باعمران لامتداد إقليمهم من بونعمان شمالا، إلى وادي نول في عهد السلطان المنصور الذهبي السعدي، فهل هذا الإدماج هو بداية من تدرج من قبيلة إصبويا؟ مع العلم أن فخذة أولاد دليم الصحراويين هم الذين التحقوا بأيت باعمران، فأتقنوا الأمازيغية كما أتقن بعض المغاربة النطق بالفرنسية حالا.

### فمتى إذن ظهرت بعمرانة واختفت لمطة ؟

لا شك أن أيت باعمران هم لمطة، وأن لمطة هم أيت باعمران، ولكن متى حلت هذه محل تلك؟ يظهر أن قبيلة لمطة كانت من ضمن القوة المساهمة في مد النفوذ المرابطي المكون في جنوب الصحراء، لأن موطن لمطة هذه يمتد أحيانا من أزاغار جنوب مدينة تيزنيت إلى طرفاية، على حد ما سجله القاضي بيمينصورن البوشناوي في مذكراته، وموطنهم يمثل ممرا لربط جنوب المغرب بشماله، والشيخ واگگاطي، وهو من أقدم

(109) أبلوش محمد القاضي المعروف، توفي في زلزال أكادير 1960.



الشخصيات اللطية الباعمرانية، وعبد الله بن ياسين تلميذ واگّاگ، أصله من أقا الجزولي، والأمير الصحراوي نزل عند واگّاگ في إيبي لكوست (مدخل جبال جزولة معناه باب من أزغار) ومذهب مالك بدأ ينتشر في هذا الإقليم، ضد الشيعة وضد سلطتها أمراء مغراوة. في كل من سجلماسة وأغمات براكش. الخاضعتين لبرغواطة في عهد قوتها.

ثم قام المرابطون بغزو سجلماسة أولا، «فتخطوا الرمال الصحراوية إلى بلاد درعة وسجلماسة، فأعطوهم صدقاتهم وانقلبوا. ثم كتب إليهم وگاگ اللطية بما نال المسلمين فيما إليه من العسف والجور من بني وانودين أمراء سجلماسة من مغراوة، وحرصهم على تغيير أمرهم، فخرجوا من الصحراء عام 445هـ، فنهض إليهم مسعود بن وانودين أمير مغراوة وصاحب سجلماسة ودرعة لمدافعتهم عنها وعن بلاده، فتواقعوا، وانهزم ابن وانودين وقتل، وغيروا المنكرات، وعادوا إلى صحرائهم»<sup>(110)</sup> ونلاحظ هنا محاربة المذهب بعد دفعهم الزكوات..

فلماذا لم يستمر الغزو المرابطي نحو المغرب الشرقي؟ لأنهم ما زالوا في بداية نشر الإسلام في القبائل الصحراوية، كما بدأوا في نشر المذهب المالكي في محيط مشحون بالمذهب الشيعي لدى مغراوة، وهم لم يملكوا بعد مقومات عسكرية كافية، ولا مقاومة روحية مذهبية، وهذا الانتصار الأول، وقتل أمير مغراوة، ليس معناه فتح الباب على مصراعيه نحو شمال المغرب بكل سهولة، وإن كان الشعب قد سئم بلا شك، من تقسيم المملكة، ومن عواقب ما يجري بين ملوك الطوائف في الأندلس.

إن ما فعله المرابطون بمغراوة في هذه الغزوة الأولى، ينفر أكثر مما يشجع على الانضمام، فقد برزت خشونتهم في سفك دماء أهل سجلماسة بلا تمييز، إذ قتلوا أميرهم، واستلحموا عسكره مع أموالهم وأسلحتهم ودوابهم وإبل الحي التي كانت ببلد درعة، وقصدوا سجلماسة، فدخلوها غلابة، وقتلوا من كان بها من أهل مغراوة، كل هذا لا يساهم في الانضمام إليهم، فما فعلوه بالسكان، ليس أقل مما لا حظوا واگّاگ، عندما كان هناك، مما جعله يحرض على تغيير أمرهم، كما كانت عدة المرابطين عندما تخطوا الرمال، عبارة

(110) ابن خلدون، ج 6، ص 183.

عن الجمال غالبا، وهذه لا تفيد في المرتفعات، ولا في معارك الخنادق، على عكس الخيل تماما، وحتى هذه إن وجدت عندهم فبقلة غير مروضة على المعارك، كما أن الجمال لا تسير إلا مستقيما.

ومكانة الخيل في المعارك لا تنكر، وعليها يعتمد أيت باعمران في حروبهم، ولا يستعملون الجمل أبدا، وقد أورد المختار السوسي نصيحة باعمراني لبعقيلي في حروبهم القبلية عندما قال له: «ما دتم أنتم البعقيليون لا تهتمون بالخيل، فلا تطمعوا في مقاومة ابن هاشم التازروالتي، قال: فكان ذلك سببا في أنهم اعتنوا بالخيل حتى كلفوا كل ذي بغلة بشراء فرس، لأنه قادر عليه، وكان في وادي الأغمارين وحده ستون فارسا، وعينوا جد آل كردوس سعيد بن أحمد مقدا على الخيالة وملاحظا عاما في القبيلة»<sup>(111)</sup> أضف إلى ذلك أن قلة معرفة بداية المرابطين بتضاريس المغرب الشرقي، وإن كان ذلك لا يخفي على عبد الله بن ياسين، سيفرض على الصحراويين الاكتفاء بانتصار الإغارة الأولى قصد الاستفادة من غنائمها لتقوية أتباعهم، وجلب الراغبين في الغنائم من الجنوب إلى الانضمام إليهم باسم (الجهاد)! ولو في إخوانهم، وأفقه منهم على حد مشافهة أميرهم لأبو عمران الفاسي، وكلمة جهاد هذه كافية في دفع من جربها في الصحراء، وما العهد ببعيد، فهي لا تكلف إلا خطبة رنانة، وزعامة طنانة، ووعودا منانة. ولما مات يحيى بن عمر، وتولى أخوه أبو بكر، وقع الاختيار منه على الطريق الأسهل «وندب المرابطين إلى فتح المغرب، فغزا بلاد السوس، سنة 448هـ/1956م. وافتتح ماسة وتارودانت، وفر أميرها القوط بن يوسف بن علي المغراوي». إلى تاذلا. وهكذا تبين لنا الآن أن غزو المغرب الشمالي من طرف الصنهاجيين منذ البداية، يصعب الاستمرار فيه عبر سجلماسة إلى المغرب الشرقي، لكنه ممكن عن طريق المدخل الغربي لسهولة تضاريسه، واستمرار علاقة الجوار عبر «القبائل الثلاث»: وهي لمطة وگزولة وهسكورة، وكلهم إخوان لصنهاجة»<sup>(112)</sup>. فإذا أضفنا إلى ذلك دور واگّاگ وعبد الله بن ياسين، والوفد الصحراوي المتشعب بمذهب أبو عمران الصنهاجي (الفاسي؟) وهو مذهب مالك، وانتشار فكرة الجهاد ولو في إخوانهم، وخاصة عندما بدأت السلطات المركزية تترهل، أضف إلى ذلك ما شاع عنها من ظلم وعسف وتفسخ وقهر للسكان، كل ذلك يسهل

(111) إيليج قديما وحديثا، ص 246.

(112) ابن خلدون، ج 6 / 203.



تغلب الغازي القوي البدوي المشحون، على السلطة المتنعة الفاقدة لمواصفات الجندي المدافع والمؤمن بوطنيته وحماية محارمه، لتنعمه وتفسخه. إشارة إلى هذه الظروف : «قال ابن حزم : إن صنهاجة ولمطة لا يعرف لهما أب، وهذه الأمم الثلاثة موطنون بالسوس، وما يليه من بلاد الصحراء وجبال درن تلو بسائطه وجباله، فأما لمطة فأكثرهم مجاورون الثلثين من صنهاجة، ولهم شعوب كثيرة، وأكثرهم طواعن أهل وبر، ومنهم بالسوس مُسَكَنَازِگَن (ولعلها موساكنا إيزاگَن قبيلة ما زالت بأيت باعمران) ولخُس (لخصاص) صاروا في عداد ذوي حسان من معقل، معنى الصيرورة ليسوا منهم، وبقايا لمطة بالصحراء مع المثلثين، ومعظمهم قبيلة بين تلمسان وإفريقية، وكان منهم الفقيه وگاگ بن زيرك (زالو بقلب اللام راء) صاحب أبو عمران الفاسي، وكان نزل بسجلماسة، ومن تلميذه كان عبد الله بن ياسين صاحب الدولة اللمثونية...»<sup>(113)</sup>، وهنا اختلافات معروفة لا تؤثر في المضمون.

وهكذا انخرطت لمطة (أي بوعمرانة) كلياً في صنهاجة، مع القبائل المذكورة، فصارت لمطة رأس الرمح لصنهاجة لمعرفتها بسوس، ولوجود الشيخ وگاگ المالكي بأرضها، مما سهل فتح سوس بأسرع وقت، فاحتلوا مدينة تاگاوست (تاگوست أي الوتد تشبيها لموقعها) قرب أكلميم، ثم ماست، ثم عاصمة سوس تارودانت، بعد طرد حاكمها، فانفتح الباب نحو الشمال عبر موازاة المحيط الغربية، وتتابع فتح هذه المدن دليل على دخول المرابطين عبر لمطة غرباً.

ولا أرى تفسيراً لهذه السهولة إلا بسبب تفسخ السلطة المسؤولة في المغرب الشمالي، بالإضافة إلى كثافة النمو الديمغرافي في الجنوب المدفوع نحو الشمال لظروف الخصاصة والمسغبة كما جرت العادة، ففي هذا الخضم - إذن من القبائل - بدأت كلمة لمطة «بعمرانة» ترد في أحداث المغرب الشمالي كما سنرى، ولعل بعمرانة كمقاومة في موطن لمطة، يرجع إلى أواخر مقاومة الموحدین، وخاصة في نهاية المرابطين بزعامة يحيى الصحراوي، تلك الشخصية التي قدت من حجر، وهو المعروف بابن الصحراوية.

### شخصيات متشابهة :

هناك ثلاث شخصيات، كلها باسم يحيى وهم : يحيى بن عمر المرابطي، وهو الذي خلف يحيى بن إبراهيم الكودالي، والثالث يحيى المعروف بابن الصحراوية ضد الموحدین.  
(113) ابن خلدون، ج 6، ص 203.

«ولما انتفض أهل سبتة وأخرجوا يوسف بن مخلوف التينمالي، وقتلوا من كان معه من الموحدین، وأجاز القاضي عياض البحر إلى يحيى بن علي بن غانية المسوقي الوالي بالأندلس، فلقية وطلب منه والياً إلى سبتة، فبعث معه يحيى بن أبي بكر الصحراوي الذي كان بفاس منذ منازلة عبد المؤمن»<sup>(114)</sup>.

ويحيى هذا هو المعروف بابن الصحراوية (غانية) الذي كان من قادة جيش المرابطين في واهران، ولما قتل آخر أميرهم تاشفين هناك، قاد يحيى الصحراوي هذا جيشه، والتجأ به إلى مدينة فاس، فحوصر فيها ستة شهور، ثم «مضى هاربا إلى بر الأندلس» وذلك سنة 540هـ<sup>(115)</sup> من فاس إلى سبتة على مشارف بوغاز جبل طارق.

ومن هناك التحق بجزر البليار، شرق إسبانيا، حيث بقايا المرابطين (ابن غانية) ومن هناك جهز أسطولاً راجعاً إلى سبتة، وقضى على عامل الموحدین فيها، ثم ضم طنجة إلى حكمه، ومنها انطلق بقوته إلى الهجوم على سلا، ومنها إلى سهل دكالة، حيث جرت أكبر معركة ضد الموحدین.

قال البيدق «وخرج الخليفة : عبد المؤمن من مراکش إلى وشبور متاع هسكورة، واجتمعت هناك المحلات على عون الله وتوفيقه، فقلع الخليفة إلى دكالة، وكان فيها يحيى الصحراوي، في أَيْصَرْوَال، فنزل عليها أمير المؤمنین وتلاقوا، ورأت دكالة ما لم تقدر عليه، فهرب شيوخهم مع يحيى الصحراوي إلى السوس، وتبعه يصلان إلى رگراگة، ووحّدوا، ومضى الصحراوي إلى الصحراء»<sup>(116)</sup>. «ورجع عبد المؤمن إلى مراکش لسته أشهر من خروجه، ووصلته الرغبة من مشيخة القبائل في يحيى الصحراوي فعفا عنه ؟ وصلحت أحوال المغرب»<sup>(117)</sup>.

وفي رواية أخرى أنه «كُون قوة أرهقت الموحدین بالكر والفر حتى اضطروا إلى الصلح معه بذلك الاقليم». ومن ذلك تلك الحروب التي وقعت في أيت باعمران بين أكاديرين :

(114) ابن خلدون، ج 6، ص 233.

(115) أخبار المهدي بن تومرت، ص 63.

(116) تأليف أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق، ص 69.

(117) ابن خلدون، ج 6، ص 233.



الأول ينسب إلى المرابطين، يسمّى بوواغاض [ومعنى أغاض بتفخيم الكلمة، هو اشتعال النار في فزان لتذويب المعادن حيث الفضة هناك، وعهدي بخت الحديد منتشرا في عين المكان] ومازالت آثار أكادير حول المدرسة العتيقة لأيت بوكرا شاحصة، حيث أدركنا بقايا الخطارات لعين أفولوس غرب المدرسة، أما أكادير الثاني فينسب لأبوزيا في إيمتيژكي لعامل الموحدين، حيث الصالح سيدي محند الشيخ المستغل لعين أزموور، بجانب ضريح الصالح سيدي بوزكراگ الذي له ضريح مربع متواضع متجه إلى الجنوب كذلك، والرگراكيون منتشرون في سوس، منذ أوائل القرن السابع، أما أخبار الأكاديرين فمذكورة في عقود قديمة عند الفقيه عبد بن بوعمير الخلفاوي» (خزانة عائلة بوعماير الخلفاوية).

وقد اشتهرت هذه العائلة بأصالة محترمة، وبزعامة مشهورة قديما وحديثا، منهم الفقيه سيدي عبد بن بوعمير المنتسب إلى أقدم فخذة من قبيلة أيت إخلف، ولهم عقود عقارية قديمة تدل على أقدميتهم في عدة أماكن بأيت باعمران، وفيها معلومات تاريخية مهمة، لخصت منها ما يأتي :

إن فخذة إداوبوزيا من قبيلة أيت إخلف من أقدم السكان هناك، وأصلهم قدم من جنوب المغرب ومن موريتانيا، وسكنوا أصلا في موضع يسمّى تيبّيوت tiyyiwt بتاگراگرا، ومن هناك سكنوا تيبژكي حيث يوجد عين أزموور (جف بعد عام 1299هـ/ 1881م) وأهل هذه العائلة هم الذين رهنوا وباعوا الملك المعروف حتى الآن ببوزوگتار المسقي بالعين المذكورة عن بعد كلم بتيژكي، لعائلة إبدالشيخ، مقابل عدد من رؤوس الماعز. معنى ذلك بالمقايضة لقلة العملة؟.

#### أكادير أبوزيا بتيژكي :

يوجد بعين المكان، ويدل على عمران كثير بهذا الموقع، وقد اتخذ منذ زمان مقبرة كبيرة، كما توجد في عين المكان مطامر كثيرة لحزن الحبوب مسدودة، معظمها لا يعرفها الناس حاليا، وفي وسط هذه المقبرة ضريح مربع الشكل حوله محرابان القديمة يتجه إلى الجنوب تماما، والجديد يتجه إلى الشرق، وهو الصحيح، والمقابر القديمة بما فيها للصالح

سيدي محند الشيخ نحو الجنوب، والباقي نحو القبلة، والاتجاه الأول يرجع إلى عهد الموحدين الذين ينسب إليهم أكادير هذا.

ولذلك يقولون : إن أكادير البوزياوي موحد، بينما الذي في تيبّيوت للمرابطين ولفخذة إداوبوزيا أملاك حتى الآن في جهة المحيط، ويذكرون أن جدهم الأعلى هو مالك العقارات المنسوبة إليه قريبا من تيبژكي تسمّى حتى الآن «إمولا ن يحيى أبوزيا».

وتقول العائلة : نحن لا نعرف كيف انتقل أهلنا من موقع أكادير إلى شاطئ المحيط حيث ضريح آخر يسمّى باسم الصالح المذكور، لكن هناك مرکه فقط، وليس مدفنه كما في تيبژكي، ولذلك يسمّى بوقبرين تبركا بمقامه، ومن المشاع والمتداول أن زلزالا ضرب أيت باعمران أربع مرات، فهل الزلزال هو الذي خرب أكاديرهم بتيژكي ؟ لا ندري.

هناك وثيقة جلدية عثر عليها الفقيه سيدي عبد ن بوريگ في مطمورة في خزفية هناك ورد فيها أن أكادير هذا أفناه الوباء والمجاعة لا تبحتوا فيه عن الكنوز....

وهناك قصة أخرى تسند خراب أكاديرين المذكورين إلى الصراع بين أبوزيا الموحد ضد أكادير بوواغاض المرابطي حتى تخربا، وقد يساهم الزلزال في إنهاء الباقي، وما زال هناك أماكن الحراسة بين الأكاديرين تسمّى تيمسوكيت .

ولدى عائلة بوعمير هذه ما يدل على علاقتهم بإداوبوزيا الذين انتقلوا من أيت إخلف إلى قبيلة أشتوكن، ثم من أشتوكن إلى حاحة، وتلك الرحلة تعاصر الصالح سيدي سليمان ن بوتوميت دفين الزاوية بقبيلة أيت الخمس. وهذه الرواية تشير إلى جولان الصالح سيدي أحمد أموسى إثر الوباء الجارف بعد المنصور الذهبي.

واشتهرت فخذة أبوزيا هذه بصراعات حتى إن معظم عقاراتهم ذهبت ثمنا لدية خصومهم، كما في فخذة إيكروورتن، استغرقت عقارت جدهم يحيى حيث مسكن أنفلوس أو علي بعين المكان. ويقولون إن يحيى هذا هو يحيى بن إبراهيم أبوزيا ؟ ويسميه البعض البوزيادي، وباسمه عرف في عقود الجبل الذي يطل على دار بوسناينا حتى الآن، ونفس المشكل، وقع لسعيد بن بوعمير الذي قدر عليه قتل الرجل المسمى



لفضيل، فذهبت أملاك أخرى في ديتة لصالح ورثة لفضيل الجد، وهم أهل مبارك بن حماد ند لفضيل، وكان حماد هذا الحفيد من أعيان قبيلة أيت إخلف، وهو من الستة الذين غدر بهم القائد محمد الوجداري فقتلهم بإيفارض شنقا.

ومن عائلة بوعمير كان الفقيه سيدي عبد بوعمير الخلفاوي، من أعيان القبيلة إرثا من أصلهم ولذلك كلفته القبيلة مع جهادي الفقيه محند ندومغار بتشجيع المجاهدين على أن يلتحقوا بالأمير أحمد الهيبة بتيزنيت ضد الحماية الفرنسية المنعقدة بفاس سنة 1912م. وهما اللذان حضرا مع قبيلتهم بتيزنيت.

وقد استجوبت المقاوم أحمد بن عبد الملقب ببوعمير الخلفي سنة 1969م حول رواية والده، فأكد لها لشهرتها، وطلبت منه الاطلاع على خزانة عائلتهم، فاستفدت منها قدم أكادير ندابوزيا، وأنه يرجع إلى عهد الموحدين، بالإضافة إلى مخطوطات سليمة معظمها من النحويات والفقهيات المعروفة لدينا، ثم سألته عن حياته فقال: «تربت في الدار البيضاء، وكنت أبيع الجرائد، كما كنت حمالا في المرشي دائم العراك مع صعاليك الأعراب هناك، ولذلك تعلمت أساليب المصارعة لأدافع عن نفسي، رغم احترامي للجميع، معروفا بجدي في العمل لكسب أجرتي بعرق جبيني. وبفضل تفوقي في أسلوب المصارعة، اختارني الأسبان موظفا لجباية الصنك عند رجوعي في بداية مدينة سيدي إفني، ونحن عدة أفراد منهم أنا والطالب عبد الله الدائح وإبراهيم أوهنا، وذلك سنة 1941م وفي نفس الوقت فرضوا علينا أن نقوم بالتجسس ونوصل لهم خبر كل ما يدور بإفني، فرفضنا وغادرت أنا الإسبان. ليلا. قاصدا دارنا القريبة من إفني، إلى أن وصلت ضريح صالح مجهول «يسمى سيدي بوتوجوت» مازال هناك بقبر متواضع. وهناك رأيت شيئا منتفحا ليلا سد الطريق أمامي، فتوقفت حتى صار برقاً مضيئاً فشرع يصغر حتى اختفى أمامي في ليلة مظلمة، وهذا واقع، لكن لم يصدقني أحد حتى الآن..

وكان الصيادون البحارة يملؤون خبية كبيرة من الطين بالماء الشروب حول ذلك الضريح ليشربوا منها عندما يصعدون من البحر، القريب، لكنهم كثيرا ما يجدونها خاوية، إلى أن رصدوها ليلا، فإذا بأفعوان هو الذي يشرب ذلك الماء، والأفعوان من

الأفعى المتجلجلة بذنبها الذي يبرق بالأشعة عندما تنتفخ، وهي خائفة، ثم تنقلص إلى أن تنتهي وتنسحب، وذلك ما عرفته حاليا بفضل التقدم العلمي.

ثم قال: ولما غادرت العمل من الإسبان بإفني، غضب علي والدي ورفض أن أحرث فداننا سبق أن أعطاه لغيري ليحرثه قائلا: أخرج عني. ومن ثم ذهبت إلى الجزائر، ومنها إلى تونس، ثم إلى ليبيا، فجلت هناك في القبائل، فرأيت وسمعت أسماء الأماكن كلها بالشلحة في ليبيا وشرق الجزائر، فعرفت أن سكان تلك البلدان ما هم إلا الشلوح، والحق أن الرجل لو كتب رحلته تلك لاستفدنا من مغامراته التي تحدى بها كل الصعوبات، وهو الذي ذكرني بالمصاهرة بين عائلته وعائلة آل الشيخ هم المستمرة طويلا. وللغريب المذكور ولده بوعمير أحمد التاجر المعروف، والمقاوم الوطني الباعمراني، وهو الذي أطلعني على مخطوطات جيدة منها شرح غير معروف للجرومية وآخر للميراث وثالث للفتاوي والفقهيات والنوازل من خطوط أهله، فركزت على عقود عقارية لممتلكات كانت لهم قديما، وفيها معلومات تاريخية مهمة تحتاج إلى بحث دقيق». ورحم الله الجميع.

### الرجوع إلى يحيى المرابطي المذكور :

فهل يحيا المغامر الذي ذكرناه هو الجد الذي سجل في عرف أيت باعمران قديما؟ ذلك موكول للبحث والتنقيب، مع العلم أن البحث الميداني في سوس عامة، وفي أيت باعمران خاصة، ما زال ينتظر الكثير لإزالة ما زعم الإسبان من اتفاقية تاكاوست، وكلها مزورة بين أشخاص من إيشت جهة طاطا، (طاطا) وبين جاسوس إسباني بمدينة تاكاوست (118).

وفيما يخص خبر يحيى الذي يهمننا قال البيدق: «وبعد عام 548هـ ارتدت كزولة (ثارت على الموحدين) وقام فيهم ثائر يسمي بأبو بكر بن عمر، وقتله حافظان اثنان كانا والييين عليهم يسمي أحدهما عمر بن يمان، والثاني موسى بن عيسى، وبعثوا ليحيا الصحراوي، فوصل إليهم مع الحاج ابن مرغونة، وسكنا عندهم، وكانا يضربان أطراف السوس، وارتد لمطة (بوعمرانة ثارت) وقام فيهم ثائر يسمي بمحمد أمرغال.. ولما هرب أيت لكست (مدينة) أمام الموحدين، اجتمعوا هناك مع الصحراوي، وبلغ أبو حفص إلى

(118) مجلة هيسبريس تامودا بخرائطها، عدد 7.



سيروان (جبل سيرا)» (البندق ص 77) وعندما تقول الرواية : إن يحيا هذا كان ثائرا في آيت باعمران، (لمطة) فإننا نجد مستدعى من أهل الكوست في قمة كزولة، كما نجد الذي ثار في آيت باعمران، هو الثائر محمد أمركال، وليس يحيا هذا، وقد يكون وصول الصحراوي إلى قمة الأطلس الصغير من أجل إغاثة آيت الكوست، لأنه كان يضرب أطراف السوس على حد تعبير البندق ضد الموحدين.

فعلى أي أساس إذن يمكن أن نحدد لمطة بالنسبة لكزولة؟ فعلى مستوى المقاومة نجد معظم قبائل سوس أثناء المقاومة يطلق عليها آيت باعمران، كما نجدها يطلق عليها جزولة، هذا متوفر في المراجع، ولكن منذ المنصور الذهبي نجد نوعا من التحديد، من أجل إحصاء كل قبيلة بالنسبة للوزم المخزن. ليس معنى هذا أن آيت باعمران لم يظهر لهم هذا الاسم قبل هذا الإحصاء؟ كلا، بل كل من ذكرهم ديوان المنصور السعدي من القبائل في سوس، كانوا في عين المكان قبل السعديين، ولكن متى؟ ولو تعمقنا في أصل جزولة وجيتولا في عهد الرومان، لما عدنا ما يربط الاثنين في نفس الموطن وبنفس المميزات.

#### علاقة الموحدين بلمطة :

بعد جهد جهيد، استطاع الموحدون أن يمدوا إمبراطوريتهم إلى معظم ما كانت عليه في شمال أفريقيا، طولا وعرضا، برا وبحرا، فساهم ذلك التوسع في إدماج القبائل الأمازيغية الكبرى : مصمودة وزناكة وزناتة، بالإضافة إلى مجموعة من المهاجرين مبالغ في عددهم، وبمرور الزمان، نالت الندرة ذلك الجيل الموحد المؤسس، فبدأ خلف آخر أصيب بلوثة الاحتكار، فبرزت المعاصرة ضد المناصرة، لغياب ما يحافظ على هذه الإمبراطورية كدستور وضعي مقنن يكبح جماح أطماع الأقارب والأبعاد، وبدون ذلك، تتحول الوزارات إلى الإمارات، وأبناء العلات إلى الانتفاضات، وأصحاب الأطماع إلى الانتهازات..

وفيما يخص سوس، قام عبد الرحمن الجزولي عام 597هـ «فدعا إلى نفسه، واجتمع إليه خلق كثير، واشتد خوف الموحدين منه، فلم يزالوا يجهزون إليه العساكر بعد

العساكر، وفي كل ذلك يهزمهم»<sup>(119)</sup>. «وهذا ابن غانية يثور في تونس عام 601هـ والدولة في حروب مع الروم بالأندلس» (نفس المرجع).

وفي جنوب المغرب فتنة إمارة علي بن يدّر من بني باداسن من الموحدين أنفسهم الذي جاهر بالخلافة عام 651هـ فتغلب على بسيط السوس.. «وجأجا بني حسان من أعراب المعقل من مواطنهم بنواحي ملوية إلى نواحي الريف، فارتحلوا إليه، وعات بهم في نواحي السوس... واستفحل ابن يدّر ببلاد السوس، واستخدم الأعراب من الشبانات وذوي حسان، وأطاعته القبائل من بنيه وبني كزولة، وكانت لهم فتن وحروب»<sup>(120)</sup>.

ألا تكفي كل تلك الهفوات في إقناع من جاء بعدهم من المرينيين والوطاسيين والسعديين وما شئت من ملوك الطوائف؟ إلى تأسيس دستور وضعي كل تلك المدّة، إلى أن حباي الله الدولة المغربية الحالية بمثل دستور 2011م في عهد ملكنا محمد السادس الذي جعل المملكة المغربية نموذجا يحتذى ببارك الله في مغربنا، وحفظه كما حفظ اللسان بين الأسنان. أمين، يارب العالمين.

#### الملك العلوي مولاي رشيد بسوس :

ورد في كتاب إيليج «أن القائد أغناج استدار من جهة تزنيّت، فصمد إلى إيليج، في عين الطريق التي سلكها إليها المولى الرشيد، فنزل إليها من إغيز ملون»<sup>(121)</sup> وهذه الرواية تذكرنا بالطريق التي سلكها مولاي رشيد إلى حصار إمارة إيليج بتازروالت، «إذ كان معه في تلك الرحلة من الجنود ما يبلغ ثلاثة وستين ألفا، منهم خمسة وعشرون ألفا من الفرسان... ولما قرب من أكادير تلقاه أهلها وبايعوه، ثم توجه نحو إيليج بأولاد سيدي أحمد وموسى، فحاصر القصبّة حتى أضر الجوع بأهلها، فطلبوا من أميرهم أن يسلم نفسه للسلطان فأبى، ولما جن الليل خرج من باب سرية وهرب، ثم إن أهل إيليج لما علموا بفرار أميرهم، خرجوا إلى السلطان وبايعوه، ثم بعد ذلك رجع السلطان إلى فاس عام 1081هـ»<sup>(122)</sup>.

(119) المعجب، ص 449.

(120) ابن خلدون، ج 6، ص 273.

(121) إيليج، ج 2، ص 242.

(122) إنحاف أعلام الناس، ج 3، ص 54.



وفيما يخص المسلك لدينا رواية أخرى تقول : «إن مولاي رشيد، استدار من أيت باعمران، ونزل في سهل هناك يسمّى بويفورنا، ومن هناك اتجه شرقا في الطريق الرئيسية من أيت باعمران إلى تازروالت، على هضبة تساعد على جر المدافع إلى المطل على إيلينغ عاصمة بودميعة بتازروالت من جهة الغرب، تجنباً لصعود إغير ملولن الذي سلكه أغناج الذي لم يطرق مشارف أيت باعمران، كما لم نعتز على ذكرهم، أو الاستعانة بهم في جولاته في قمم الأطلس الصغير؟ أو عزلهم عن ولتيته وتازروالت؟

فإذا صححت رواية «نزول السلطان مولاي رشيد في موضع بويفورنا، بدعوى أن هذا الاسم أطلق هناك على كثرة «إيقورنا» لطهي خبز محلة السلطان الكبيرة، كما ورد في إشارة من ذ أونوش أحمد في تحقيق روضة الأفنان» (نفسه أنوش أحمد) ويؤيد ذلك «ما شاع شفويا، أن تلك الحملة سلكت طريق قبيلة إفاردا عبر تامگارط نثلو، حيث توجد صخرة هناك تتبرك بها العجائز، يلتمسن بركة جلوس السلطان مولاي رشيد الذي استراح فوقها». (مذكرة الخليفة إدلشگر لحسن الساحلي).

وهذا الممر يصعب الصعود منه، كما لم يترك هناك أي أثر يدل على مرور كل تلك الجيوش في ذلك الخائق، ولا يبقى لمحلة مولاي رشيد إلا تابريدا المفتوحة أمام هذا السلطان إلى أيت باعمران، وهي التي سلكها الجنرال دولاموط سنة 1917م كما أن حملة السلطان رشيد هذه كان «معها من الجنود ثلاثة وستون ألفا منهم خمسة وعشرون ألفا من الفرسان»<sup>(123)</sup> فهذه جيوش جرارة يقودها سلطان ماهر في الحروب، عارف بمعارك السهل والجبل، من تازا إلى أقصى سوس، فكيف يصعد بهذه الآلاف في تلو؟

وهناك ذكر يزكي أن مولاي رشيد كان يعرف - عندما كان في إيلينغ - مسالك تلك المرتفعات؟ ومن الأدلة أن «أهل قرية الدهائرة من إغير ملولن - جيران إيلينغ - يقولون : « إن مولاي رشيد، كان في صغره يتعلم في مسجد قريتهم يوم كان أبوه معتقلا بإيلينغ»<sup>(124)</sup>.

ولعرفته بتلك التضاريس حسب ما ذكر، قام بالتفاف بعيد عن مقاومة إيلينغ، فتجاوز تازروالت في الجهة الغربية، حتى نزل في أيت باعمران، كأنه يريد الصحراء، وتلك خطة

(123) إتحاف أعلام الناس، ج 3، ص 54.

(124) إيلينغ قديما وحديثا، ص 110.

حربية، كما اختار طريق المفاجأة من جهة الغرب، أي من أيت باعمران إلى تازروالت، وهذا يفرض أن أيت باعمران، لم يعودوا من لف أمير تازروالت بعد إجحافه، بل كانوا مع مولاي رشيد، إذ لا يعقل أن يبقوا كذلك؟. وفي نفس الوقت لم يرد ذكر بوعمرانة من بين القبائل التي تسلقت الجبال هاربة أمام حملة مولاي رشيد، بل هناك من توغل من الفارين حتى تجاوز وادي نول. في مشارف الصحراء، وفي جميع الحالات، فأيت باعمران، لا يمكن إلا أن يكونوا معه، فباغت أهل تازروالت ففروا أمامه، كما ورد في مخطوط للعدل الحسين بن الحسن الوجاني الغريسي أمام مولاي رشيد :

حدثنا عن سير تميز حالا، وتسمى نعتا وعز ارتجالا  
فقد حاز كل ماراق سمعا، وصفا مصدرا وأنعم بالا  
يالها سفرة لقد اسفرت عن، صبح نجم خفي وجلت منالا  
سفرة أعربت عن الفتح بالرعب الذي لم يزل يزيل الجبالا  
أين من كان يوهّم الناس جهلا، وأفتراء على الإلاه تعالا  
ويقول السلطان ليس بات، سوس أصلا فصار قولا محالا  
فلقد جاءها وحل ذراها، ومألاها فوارسا ورجالا  
ولقد هز أرضها وكساها، من لباس العفو والجميل جمالا  
هذه سوس التي أكبرتها، فتية أذعنت ونالت منالا  
ونعم هان أمرها إذ أتاه، من دعا بالعلا فلبت سؤالا  
بيد الملك الرشيد مفاتيح المغاليق كلما رام نالا  
سيد سعده كفيل بنجم، وبفتوحات لا تبين اتصالا  
سيد ساجد إمام همام، مالك كامل تناها كمالا  
عزمه دائم مدال بحزم هكذا هكذا وإلا فلا لا  
للشفي سيمة عليه وللتمان نور في وجهه يتألا لا  
لو تلوت اسمه على الحزن أضحي لك سهلا وبالذات حالا



قد حباه الرحمان نصرا مبينا، وكساه مهابة وجلالا  
وتلاه فتح قريب غريب، وكفى الله المؤمنين القتالا  
نصر الله جنده وتوالى، حفظ قطب الملك الرشيد احتفالا

كم تعبنا في البحث عن فك الغموض عن التفاف السلطان مولاي رشيد من جهة  
أيت باعمران للانضمام إليه، ولباغثة من جهتهم غفلة تازروالت كما نستشفه من هذه  
القصيدة في كلمات :

«صبح نجم ضد من يؤهم الناس بأن السلطان ليس بات سوس أصلا»

(عن مخطوط العدل الحسين الوجاني)

ولعل الناصري يفيدنا في الموضوع إذ قال : «فلما كانت سنة 1081هـ / 1670م. غزا  
المولى الرشيد رحمه الله بلاد السوس، فاستولى على تارودانت، وأوقع بهشتوكة، وأوقع  
بأهل الساحل، وأوقع بأهل قلعة إيليج، وصفا أمر السوس للمولى الرشيد»<sup>(125)</sup>.

وهذا واضح بأن أيت باعمران كانوا مع مولاي رشيد ضد أمير تازروالت محمد بن  
أبي حسون عام 1070هـ. لكن ما سبب تخلي أيت باعمران عن إيليج؟ وهم تاكيزولت،  
ومن صميم جزولة وقوة يعسوبها أمير تازروالت؟

فهل ذلك بسبب تعسف إمارة تازروالت في الضرائب والمغارم، كما فعلت في  
سجلماسة؟ حتى أخرج ممثلوها منها؟ وفعلت مثل قسوتها مع من بقي لها من قبائل  
جزولة؟ لنترك الجواب للناصرى مرة أخرى إذ قال :

«ومن عسفهم (أل تازروالت) أنهم كانوا قد ضربوا الخراج بسجلماسة وأعمالها  
على كل شيء، حتى على من يجدونه في الشمس زمن الشتاء! وفي الظل زمن  
الصيف»<sup>(126)</sup> لا أحد ينكر هذه المبالغة، ولكن ما لا يؤخذ كله، لا يترك كله. وفي  
تلك الظروف، لا تستبعد المظالم من إمارة أحاطت بها الأزمات من كل جانب، والحالة  
هذه أن تازروالت قد فقدت ما تجنيه من سجلماسة، والسلطة دائما بحاجة إلى المال،

(125) الاستقصاء، ج 7، ص 40.

(126) الاستقصاء، ج 7، ص 15.

والمال عصب الحياة وقوام السلطة، إلا أنه لا يستخرج إلا بشق الأنفس، وقدما ذكر  
الغزالي في شفاء الغليل «فلإمام أن يوظف على الأغنياء ما يراه كافيا لهم في الحال، إلى  
أن يظهر مال في بيت المال» (نفس المرجع) وأيت باعمران لا يقبلون التعسف من إمارة  
سأهموا في تأسيسها، وهم أباة الضيم على حد عبارة الشريف ابن زيدان، وهم كرماء،  
لكن على حد قول الخليفة عمر «إذا جاد الله جاد عمر» ومن الطبيعي أن ينضموا إلى  
السلطان مولاي رشيد، وخاصة إذا صحت انطلاقتهم من موضع بيفورنا، وهو المقبول  
عسكريا، لأن الصعود بالمدافع الثقيلة من جبهة إغير ملولن (المنكب الأبيض) عبر  
منحدر ميرغت، من الصعوبة بمكان، كما أن أشبار تازروالت لا يتترس إلا بعين المكان،  
ومولاي رشيد، عرف ذلك منذ صغره كتلميذ أو توجيه من خبرائه أو كلاهما معا، ومن  
علامات ضعف سلطة إيليج، الإجحاف في الضرائب.

فكيف لا! وقد تقلصت الموارد، وغاب المناصر بغياب الموائد، ولنستمع إلى مؤرخ  
سوس إذ يقول : «وفي عام 1041هـ أخذ أبو حسون تافيلالت، وبنى فيها قسبة، تخطت  
الأيالة تينبوكتو وتاودني إلى غينية، فاستولت هناك على المعادن التي كان السلطان أحمد  
الذهبي يغترف منها ثروة هائلة من الذهب الخام، كما أنها استولت على تجارة كل تلك  
الناحية، فاستورد السلع السودانية فتصدرها إلى أوروبا على يد التجار الأوربيين في أكادير  
وماسة، وكان كل الساحل من حاحة إلى السودان تحت نظر إيليج المباشر، وهناك نصوص  
تبرز مكانة إمارة تازروالت لمن يريد المزيد»<sup>(127)</sup>.

ولكن لما تبدلت الحال غير الحال، وُصفت تازروالت بالتعسف، على حد المثل المغربي  
«إغ نرزا ورام نكوتن إجنوين» إذا سقط الجمل تكاثرت عليه الممدى، أوردنا هذا  
لعلنا ندرك منه أن ضعف تازروالت المادي، هو الذي سبب في التخلي عنها، وبالتالي  
نادى لسان الحال بزوالها لصالح مولاي رشيد وتوحيد المغرب على يد الدولة العلوية،  
خلد الله في الخيرات مآثرها، وأيد بالتوفيق أوامرها، وحفظها بوجود ملكنا الهمام.

وفي عام 1081هـ، غزا المولى رشيد أهل الساحل، ويقصد بهم أهل أزاغار ما بين ماست  
وتيزنيت، وإن كان هذا المصطلح يمتد إلى وادي درعة كما في بداية ظهور الأمير بودميعة

(127) إيليج قديما وحديثا، ص 92.



ومن ذلك أن : «أول سنة أطلت فيها ألوية أهل الساحل كما يسمى به السوسيون إذ ذاك في درعة وما إليها هي عام 1029هـ / 1619م» (128).

وبعد مرور (218 سنة) جاء في رسالة السلطان الحسن الأول عام 1299هـ «إذ نحن بأمزور من بلاد أهل أكلو مخيمون، وهو الطرف الموالي لأيت باعمران الذي يسمى بالساحل» (129) وفعلًا كان أهل السيجل من أيت باعمران، رغم محاولة الكيّلولي تيزنيت ضمهم، فوَقعت معه معركة تيغانيمين بجوار سوق الأربعاء الحالية، وليس أربعا تاسوليلت القديمة، ورغم انهزام حملة الكيّلولي، فإن سلطة الحماية، قد اقتطعتهم من أيت باعمران سنة 1934م، أما ما ذكره الناصري مع مولاي رشيد، فالمقصود بأهل الساحل هم أهل أزغار حول تيزنيت، وخاصة ما بين وادي والغاس إلى بونعمان.

وأصل معظم هؤلاء يرجعون إلى المستوطنين هناك منذ عام 999هـ / 1590م «فقد عمد المنصور السعدي لبداية حكمه إلى تقسيم الجيش الصحراوي إلى قسمين، أولهما ألحقه بالمحلة السلطانية، ورتبه في فرقة جيش الإسلام، بعد أن رأى جلد الصحراويين بما فيهم أيت باعمران في معركة الملوك الثلاثة بوادي المخازن، وثانيهما، وهو يضم الأغلبية الساحقة، سُرح من الخدمة، وأسكنه في قرية أزغار، وهي في تخوم الصحراء» (130).

«وذكر المؤرخ هنري طيراس : أن السلطان (السعدي) لم يكن يثق بهم، ورد عليه بأن ذلك كان يتعلق فقط بالسنوات الأولى لحكم المنصور» (نفسه ص 76).

وقد نص المراكشي عبد الواحد على بلاد السوس الأقصى فقال : «فمراكش هذه آخر المدن الكبار بالمغرب المشهورة به، وليس وراءها مدينة لها ذكر وفيها حضارة، إلا بليدات صغار بسوس الأقصى، فمنها مدينة صغيرة تسمى تارودانت وهي حاضرة سوس، وإليها يرجع أهله، ومدينة أيضا صغيرة تدعى زُجُنْدَر، هي على معدن الفضة يسكنها الذين يستخرجون ما في ذلك المعدن، وفي بلاد جُزولة مدينة هي حاضرتهم أيضا تسمى الكُست، وبها كانت عاصمة الجزوليين اندثرت، وفي بلاد لمطة، مدينة أخرى هي حاضرتهم

(128) إيلغ، ص 59.

(129) إتحاف، ج 2، ص 216.

(130) الغربي، ص 75.

أيضا تسمى نول لمطة، فهذه المدن التي وراء مراكش» (131) والمراكشي، كثيرا ما يملئ من ذاكرته ولا يعود إلى مصدر مكتوب، مما جعل معلوماته لا تسلم من نقد الواقع.

وبمرور الزمان، نسي مصطلح سوس فيما عرف به، ما عدا في جنوب الأطلس الكبير : أدرار ن درن : جبل البلوط، وبه عادة إدزنان، لكنه ينعت أحيانا بسوس الأدنى أي أزغار شمال أيت باعمران الحالية، بينما يشمل سوس الأقصى جنوب ذلك حتى وادي نول لمطة.

أما موريتانيا قبل بناء شنكيط، فقد كان يسمى ما وراء سوس، أو ما وراء درعة، ثم صارت تسمى بالمجالات الجغرافية مثل تيدرارين : الجبيلات، مفردها تادرارت، وبها سميت الفخذة النازلة هناك : أولاد تيدرارين، كأنها الجذ الأعلى لها ! ثم أدرار سطيف : الجبل الأسود، ثم تاكانت : الغابة، وأخيرا مجال القبائل في جنباتها، وخاصة بعدما طمست المآثر العمرانية. (محمد أحمد الغربي).

وقد يقصد بسوس الأدنى أزغار الممتد من وادي والغاس إلى بونعمان، أي السهل حول تيزنيت، ولا يدخل فيه أيت باعمران، وقد ينحصر جزء منه بأساكا، مثل أساكا أوبلاغ، أو أساكاند علي أو عمرو، ولكن إذا نصت الرسائل المخزنية على سوس الأقصى، فيشمل أيت باعمران بحدودهم بأزغار تيزنيت شمالا ممتدا حتى وادي نول لمطة جنوبا.

وهذا هو المتعارف عليه حتى في عرف أيت باعمران المنصوص على الحدود الشمالية بمنبت شجرة تالالت، الممتدة إلى قرية العوينة غرب تيزنيت، وهو ما نصت عليه رسالة السلطان الحسن الأول بأمزور عام 1299هـ. وهو المكان الذي عرف بمقام قائد أكلو العزيزي لحسن بن محمد المعروف بأمزور الشجاع الجماع للأموال، صاحب الدار الفريدة والرفاهية والمتمتع إلى أن توفي سنة 1933م.

وذكر القاضي الطيب بيمينصورن البوشناوي امتداد حدود أيت باعمران، من أمزور إلى طرفاية جنوبا، وهذا يزكي الرواية الشفوية، وبالتالي يقوي الرواية التي تقول : إن أيت باعمران، كانوا مع مولاي رشيد، عندما استهدف تازروالت.

(131) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 508.



ويمكن أن نفهم من ديوان قبائل سوس في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ) / 1578م - 1603م. نوعاً من الإدماج حسب القوة والضعف، وحسب الكثرة والقلّة، فنذكر الأقليات تحت أشهر قبيل له مميزاته الخاصة في نظر المخزن، بحيث تذكر القبائل المدرجة كفخذات أحياناً تحت اسم القبيل، لأن هدف المخزن، هو جمع المقدار المفروض من المال، لذلك تضاف الأعداد المكتملة إلى القيادة المسؤولة، وليس معنى ذلك فقدان الفخدة المنضمة لشخصيتها، إذ ليس عليها إلا دفع ما فرض عليها، وبتقريب للفهم نتصور ذلك كالقيادات اليوم تحت إشراف العمالات، أو إتباع العمالات إلى الولايات، إذ من الخطأ الكبير اعتقاد كل تجمع إثنيا متناسقا وموحداً، لكن العرف وحده هو الذي يذوب اللاجئ الأفريقي في القبيلة، إذ له ما لها، وعليه ما عليها.

كما يفهم من ديوان قبائل سوس مكانة القبيل الأول، ولا شك أن التقديم من علامة التشهير، وبالتالي الزعامة والقوة والإشراف، وذلك ملاحظ في عدد السرجات، وكل سرجة واحدة يقابلها خمسة عشر كانوناً، ويقدر عدد أفراد الكانون بخمسة أشخاص إلى ستة، فيصير عدد من تمثلهم السرجة خمسة وسبعين فرداً أو تسعين فرداً على التقدير الثاني، أما إذا قدرنا أفراد العائلة بأكثر من ذلك كما هو العادي في المجتمع الفلاحي الولود، فإن العدد سيزيد على ذلك بكثير.

وعندما باشر كاتب ديوان قبائل سوس دفع حساب عدد السرجات ليسهل طريق المخزن على عماله وعلى الدافع، أدرج مجموعة من القبائل تحت اسم القبيل المهم في نظر المخزن، ليدفعوا ما يلزمهم تحت عنوان: «ويليه حساب كذا» وتبعاً لذلك نجد ما يوضح ذلك تقريباً، وليس تدقيقاً من السرجات، مضروباً في عدد 15 عائلة مضروبة في 5 أفراد دون من شملهم الإعفاء من دفع الجباية كل عام كما يأتي:

$$1- \text{حساب هشتوكة ومن اندرج تحتها. من السروج حوالي } 5 \times 15 \times 2500 =$$

$$2- \text{ويليه حساب أهل أمانوز ومن اندرج تحتها } 5 \times 15 \times 1056 =$$

$$3- \text{ويليه حساب بعمرانة ومن اندرج تحتها } 5 \times 15 \times 1170 = \text{وهكذا..}$$

وقد نعت مؤرخ سوس هذا الديوان بقوله: «مجموعة تتبع فيها مؤلفها قبائل سوس يذكر أعدادها بالكوانين الكبرى التي تسمى مخزنية»<sup>(132)</sup>.

ولما تكلم الأستاذ العثماني في كتابه ألواح جزولة وضح قائلاً: «إن الإقليم الذي نعبر عنه - في اصطلاحنا - بجزولة، يشتمل على أربع دوائر وهي: دائرة أگلميم، ودائرة إنزگان، ودائرة تارودانت، ودائرة تيزنيت، وهذا التقسيم أحدث حسب علمنا بعد الحماية، ومصطلح «الدائرة» لم يكن قديماً كذلك، وأما ما أضيف في الهامش رقم (43) فيخالف بعض ما ورد في الديوان، وكلمة «في اصطلاحنا» تعني العثماني في بحثه لخصر الموضوع في التاريخ القريب.

والذي يهمنا هنا هو حساب آيت باعمران في دفع عدد السرجات، وهم في رأس اللاتحة، إذ دفعوا ألف سرجة، وإذا أضفنا إليهم من كان مندرجاً تحت العنوان في القائمة بالتتابع مثل إفران، وفروع تيزلي، وآيت وافقا، وإيغشان، وآيت حربيل، وإداؤبلال، حسب الديوان المذكور، فيصير عدد السرجات المدفوعة للسلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي هو 2370 سرجة، ومضروب هذا العدد في تسعين يقربنا من مجموع عدد السكان الداخل تحت ما نص عليه الديوان بقوله: «ويليه حساب بعمرانة» وذلك في أحداث حملة السلطان السعدي عام 988هـ/1580م.

وأبى الله إلا أن يعيد التاريخ نفسه في كلياته في عهد جلالة الملك محمد السادس، فصارت اليوم عمالة إقليم سيدي إفني (آيت باعمران) تشمل معظم ذلك اللف القبلي المستمر عبر التاريخ، موحداً منسجماً مؤمناً بمقدساته، ومعتزاً بالمحافظة على أصله ووطنه، ولم يتأثر بالتقسيم الاستعماري. رغم جميع وسائل الاستعمار. المارة على جزولة الكبرى.

كما تتجلى مكانة آيت باعمران في نزلة السلطان السعدي الخاصة بهم في سهل تانگارفا، وهو موقع سهل، مياهه عذبة وقريبة من السطح، وكان موقع نزلة القوافل التجارية التي تربط بين المغرب الجنوبي بالمغرب الشمالي بقوافل من الجمال، تعد بالئات، وهي شريان تجاري منذ أقدم العصور، وحول تانگارفا هذه، توجد مجموعة من أضرحة للصالحين.

(132) سوس العالمة، ص 212.







أما مدرسة سيدي سليمان، فقد عمرها مدرسون وفقهاء بالقرآن والفقه، أشهرهم آل الفقيه سليمان التادراتي البوبكري، كما قضى فيها الطالب الحسين أوشحاً حيا في تعليم القرآن، ودرّس فيها الأستاذ أحمد زكرياء التادراتي الوطني المشهور، والباعمراني الغيور، الشاعر الكبير، له ديوان شعر لا يقل عن عشرة آلاف بيت، حاورته بقصيدة عددها 24 بيتا حول حرب العراق، فأجابني بمائة وثمانية أبيات لأنه استحسن إنشائي تواضعا وتشجيعا لي منها :

حي العراق فمجدها مشهور، هي وحدها في الرافدين تمور  
هي وحدها في الشرق تقذف بالحمى بالنار والشرر اللهب يطير  
كل يؤيد حزبه بعتاده، أين العروبة؟ أم كفتها قصور؟

والرجل تيجاني الطريقة، مثل معظم من مر في تلك الزاوية، ولا أدري كيف أغفل صاحب المسول محاوره هذا الشاعر؟ ولعل ذلك لم يدخل في شرطه الدرقاوي أو أنني لم أطلع على ما هناك، عندما عرفت به كعلم في معلمة المغرب.

وعلى يد زكرياء هذا تخرج من هذه الزاوية عدد من الطلبة الجيدين من آل السكنيض والبوكرفاويين، وكذلك عندما شارط في مدرسة أيت بوبكر. في عهد الاستعمار الإسباني. وفي كتاب أنجلو غريلي صاحب التآلي الكثيرة (15) عشرت في كتابه (أسلمة وتعريب بربر شمال المغرب ص 148) قال في الريف الشرقي : «لا وجود في هذه الجهة لمعلم هامة، والمشهور منها بعض الزوايا، مثل سيدي يعقوب في تمسامان، وسيدي بوتوميت في تاركيست، وهما الوحيدتان المتوفرتان على صومعة» ومعظم مواصفات ما هنا تشابه ما هنالك، وانهيار السلطة المركزية، يساهم في تصديق الكرامات، المقبولة منها والمبتكرات، من المصلحين أو حتى من المشعوذين.

وقريبا من هناك بأيت باعمران، نزل الفقيه الناصري الطريقة سيدي حساين الشاراحبيلي الوردازي، مع جماعة من الطلبة إثر الوباء الجارف، قصد إعادة مجموعة من الأسواق هناك، وما زال الناس يحترمون مرّكع هذا الفقيه ونزالتة تحت شجرة أركان : أذاك نسيدي حساين، اطلعت على مرّكع هناك صحبة المسن الحاج أحمد بازين سنة

1980م قريبا من قرية أُخرب، وفيه أشهر عائلة بماضيها هناك، وحولها كان يتسوق أيت الخمس لظروف خاصة بين القبائل بسبب فتنة وقعت في خميس أيت بوبكر في عهد السبية، فانقسم أيت باعمران إلى قسمين كما سجل ذلك في مكانه.

وفي غشت سنة 1993م جددت البحث الميداني في تلك الجهة، فاسجوبت الذاكرة الفقيه بيثوارين العبلأوي، وهو عبد الله بن سيدي أحمد بن علي لقبه بيثوارين، بموضع أُخرب من قبيلة أيت عبلا الباعمرانية في «دوودرار جبل تاموشا»، ولد عام 1340هـ/1921م. قال «نحن من صميم قبيلة أيت عبلا في بلدتنا هذه، لكننا خضعنا لقبيلة أيت الخمس، منذ الفترة التي حرّض فيه القائد المدني بن الطالب أحمد الأخصاصي قبيلتنا، فقتل أمغارنا سيدي أحمد بن الطالب وهدموا داره، ومنذ ذلك الحين، انقسمت قبيلتنا إلى أهل الجبل وهم الأغلبية مع القائد المدني مدة من الزمن، بينما انفصل الساكنون منا في سهل تاكراكرا مع مقاومة أيت الخمس لطموحات المدني، كما قاوم أيت بوبكر طموحاته عندما أراد أن يضم قبيلة أيت يغزى إلى أن هازموه، وتقدر قبيلتنا بمائة كانون، وهم تابعون للأصل ولو كنا مع أيت الخمس، منذ تلك الحرب القبلية من 1321هـ إلى 1333هـ/1905م إلى 1914م نؤدي الأعمار والمؤونة إلى المدرسة العتيقة «الجمعة» واستمر ذلك حتى الآن» (نفس المستجوب).

وقال عن معركة أُخرب : «عقلت وعرفت مأساة جرت في موضع أُخرب هذه، وذلك أن هنا عائلة كبيرة تسمى إدّمبارك أويحيى العبلأويين، وكانوا معروفين بتجارة القوافل بين شمال المغرب والصحراء، ومنها ربحوا وكسبوا المال الكثير، ولهم ماشية كثيرة من كل نوع، فكانت سمعتهم مشهورة بتجارتهم وعلاقاتهم، فبنوا بنيانا عاليا ودارا كبيرة حصينة بالنسبة للدور المألوفة في البلاد كلها، ومن أشهر رجال تلك العائلة :

- 1- الحسين بن مبارك بن يحيى العبلأوي.
- 2- وأخوه لحسن بن مبارك بن يحيى العبلأوي.
- 3- وثالثهم سعيد بن مبارك بن يحيى العبلأوي.



وكان الأول منهم هو الذي يتطلع إلى السيادة والحكم، فتزوج من جاره لحسن أوسالم، إذ تزوج أخته، وكان أسالم هذا رجلاً قتالاً مالكا للبندقية الجيدة المعروفة بالخميسية من السلاح المتطور، وكانت تعد في ذلك الوقت بمثابة القبيلة التقليدية، كما كان من أمر الرماة، لا تسقط له رصاصة إلا في رأس خصمه، وقد حدث أن قتل أحد الأشخاص أخاه مبارك أوسالم، لمشاحنة بسيطة بينهما، فاخفى القاتل عن الأنظار، فكان لحسن أوسالم هذا يترصده مدة طويلة، فبينما هو ذات يوم جلس يراقب دار القاتل على بعد قريب، إذا بذلك القاتل يخرج رأسه من نافذة داره وينادي على أحد هناك، فرماه لحسن أوسالم برصاصة من ذلك البعد فأصابت رأسه فمات في الحين، فظن أجموع القبيلة أن القضية قد انتهت.

فإذا بعبد للحسن أوسالم اسمه ناظم، يسرق عجلاً صغيراً لجاره السيد الحسين بن مبارك بن يحيى لمجاعة، فبدأ البحث والتفتيش حسب عرف أيت باعمران، إلى أن وجدوه مذبحاً في دار لحسن أوسالم، لكن الأمور عولجت بسلام، قبل أن تصل إلى عرف القبيلة، ما دام العبد هو الذي فعل ذلك لأمر ما؟ فبدأت المشاحنات بين الغني والفقير، فشاع أن لحسن أوسالم هذا كان يخفي جماعة من السراق في داره ليلاً، فيقومون بالسرقة من هنا وهناك، وأنهم سيهاجمون دار آل مبارك أويحيى الأغنياء من كبار القبيلة، فأخبرت القبيلة بذلك.

وفجأة قدمت جماعة من الأعيان: إنفلاس من قبيلة أيت الخمس، ومعهم أيت عبلا، برئاسة أمغار سعيد الخمسي، فوقع الاجتماع في مسجد أوخريب، وهناك صلوا صلاة العصر في الموضع الذي هو بداية حدود القبيلة مع أيت بوبكر، وفجأة هاجمت القبيلة دار لحسن أوسالم، وكان متقدماً في السن، ومع ذلك يعد خطيراً، فتمكنوا منه وقتلوه هو وزوجته: تاخصاصيت، كما قتلوا بنته رقية بنت لحسن أوسالم، ويقال أصله من أعراب الصحراء.

وبعد ذلك باعت القبيلة حسب العرف ممتلكاته أمام ذلك المسجد، وبما عقلت من ذلك مواعين ناذرة منها مقراج من النحاس وعسكاة من النحاس وكذلك أشياء أخرى،

ثم قامت القبيلة بإحراق جثة القتلى الثلاثة، ثم حملوهم على الدواب إلى المقبرة، لأن من قتله العرف في أيت باعمران لا يحمل على الأكتاف، وإنما يحمل على الدواب، تنكيته لهم لما أحدثوه من الجرائم، وأخطرها حماية الأجنبي المجرم، لأن أجموع هو المسؤول عن أمن القبيلة والبحث عن المسروقات.

ثم قال: والجميع اتفق على قتل الزوج والزوجة والبنت، لكن الناس استنكروا قتل تلك الطفلة، وخاصة لما أخرجها الضبع من قبرها وجثتها جافة لم يمسه الدود ولا الضبع المطرود، لكن الناس فسروا ذلك بأنها مظلومة وأن الله حفظ جسمها كما تحفظ أجسام الأنبياء والصالحين، فكادت الفتنة أن تعم المجتمع.

ثم قال: إنه عقل تعمير سوق خميس أذاك نسيدي حسين شرحبيلي تقام بجوار شجرة أركان نعتها لي هناك، نزل تحتها الفقيه المذكور مع وفده من الطلبة لاسترجاع أسواق سوس بعد الوباء الجارف بعد عهد المنصور السعدي، وأضاف بأن قتل عائلة أوسالم كانت في مجاعة 1346هـ/1927م. أما وجود هذه السوق فترجع إلى الحرب القبلية بين أيت الخمس وأيت بوبكر، فاستمر ذلك الانقسام إلى أن خرج الإسبان في سيدي إفني سنة 1934م فرجع سوق خميس أيت بوبكر.

وبما استفدته منه ذكر عدد من القراء أصحاب الروايات للقرآن الكريم: منهم والده سيدي أحمد بن علي، بيشووالن، وهو الذي قضى حياته كلها في تعليم القرآن، وترك عدداً من تلاميذه منهم المستجوب هذا، ومن الروائيين سيدي إبراهيم بن بلخير المشهور بالروايات من تاراحالت، وأخوه سيدي محمد.

ومن المعروفين بالروايات السبع سيدي محمد أشطاب من تاراحالت، قال أدركته وهو مسن للغاية، تجاوز المائة، ولم يترك إلا بنات وكتبه في ذلك الفن، ويمتاز بطول القامة، مع لحية طويلة بشكل ملفت للإنتباه، وكان لا يلبس إلا أحايك (أفاكّو) مع السروال كعادة بعض العلماء في ذلك العهد، واستمر على تلك الحال حتى توفي حوالي سنة 1347هـ/1928م.

وهناك سيدي محند أبعاويل من تاراحالت كذلك، لكنه يركز على تحفيظ القرآن وتدرسه أكثر، وبجواره بتاراحالت سيدي أحمد بن أحمد بن مبارك المشهور بالروايات،



وقد شارط في مدينة أسفي لمدة طويلة، ربما انتقل إليها في المجاعة السابقة، ولما قرب أجله رجع إلى بلده فمات حوالي 1942م.

وكان معظم من ذكر أخذ ما عنده من العلم والروايات في مدرسة تانگارفا وفي مدرسة الجمعة بأيت عبلا، وهناك من تبرك منهم في جهات أخرى.

وهناك سيدي محمد بن إبراهيم بن مبارك من عائلة إدمبارك أويحيى المذكورين وقد درس في فاس، واشتغل بالقضاء مؤخرا في قبيلة إغرم بناحية تارودانت وتوفي في 1989م كما تعرف يا جهادي الفقيه أحمد بن زكرياء التادارتي أصلا ومقره في زاوية الصالح سيدي سليمان نـ بوتوميت، حيث ضريح الصالح هناك.

أما أنفلوس القديم على هذا الجزء من قبيلة أيت عبلا، فهو أحمد بن حوريا، في موضع أيت إعلاتن الخمسي، وهو رجل يذكر بالخير بخلاف أمثاله، وتوفي سنة 1954م رحمه الله.

أما الصالحون القدماء هنا فنذكر هؤلاء :

1 - الصالح سيدي سعيد بن علي : صاحب الضريح فوق قمة جبل هناك في وسط سهل . وضريحه عبارة عن بيت متواضع، وليس له قبة، ويجتمع فيه الطلبة كل يوم الخميس الأول من فبراير الفلاحي لثلاثة أيام من يوم الأربعاء فالخميس فالجمعة، ويقرأون القرآن ويذبحون ما جمعه من الماشية من أجل إطعام الجميع، إلا أن المياه لا توجد إلا في مطفية هناك، لبعده الآبار، لذلك يحمل الزوار الماء إلى تلك القمة الصعبة، لأن الدواب لا تصعد إلى عين المكان، ومناسبة أموقار الطلبة هذا عام في أيت باعمران في نفس التاريخ ونفس العادات، وهي قديمة تشجع حفظ القرآن الكريم، بالإضافة إلى نزاهة الطلبة كل عام، ولها عرفها والحكم للطلبة طيلة أيام النزهة، ولا يستأنف حكمه، بل ينفذه إنفلاس حالا...

ولذلك اختار السلطان إسماعيل النزول في كل من تانگارفا وفي قرى إكيسل بأيت باعمران قريبا من أبائنو، بقصبته المذكورة. وإيكيسل هذه كانت من صميم أيت

باعمران، كما تقول عقودهم العقارية مثلا (آل الشيخ سعيد وآل الحاج محمد أوعلال الخلفي) وفي عين المكان آثار لعمران قديم، وتقول الرواية الشفوية : إن انتقال العائلتين من هناك بسبب وباء جارف، ربما في عهد المنصور الذهبي، لأن مبادلة الأراضي بين إيكيسل وتابلوكوت، تشير إلى قريب من ذلك العهد، فتولى أيت إخلف تابلوكوت، مبادلة مع أجداد الشيخ سعيد الخمسي، فتصرف كل طرف فيما تولاه، كما كانت قرية أخريب هو الحد الفاصل بين أيت الخمس وأيت بوبكر، وكلمة أخريب هذه منتشرة في سوس باسم سكان هذه الحدود إثر معركة قبلية في عهد السبيبة، عن ذاكرة الفقيه أركيب الحسين، أصل عائلته من الركائبات القبيبة الصحراوية ولد 1318هـ قال «انتقل جدنا الرابع إلى الأخصاص، ومن هناك. هاجرت إلى تونس لمدة خمسة وأربعين سنة، فرجعت هذه السنة 1982م، وهو رجل متدين، حافظ للقرآن الكريم، وله حظ من المعرفة والثقافة العامة، يذكر الأحداث بالتفاصيل، ويؤيدها بالشواهد، جاء به من تونس مسنا ابن أخيه الحاج لحسن أركيب، إذ لا وارث له هناك وهو ملاك فلاح كبير، وأثنى بحثي الميداني في أخريب، أخبرت أنه يعقل معركة أخريب التي ذكرها المستجوب قبله، فأعاد مأسيتها، قائلا : عقلت وأدرت معركة أخريب بين القبليتين : لف أيت الخمس وحلفهم نصف أصبوا، وبين أيت بوبكر وحلفهم من جهة أخرى، فانهزم الحلف الأول من تاگراگرا، فتبعهم أيت بوبكر إلى أن وصلوا قلعة إدمبارك أويحيى بأخريب، والمنهزمون يرون على القصبية، فإذا بفتاة تقول بأعلى صوتها ويلكم أيها الرجال :

إيگولاً الشيخ سعيد المختار

أ - تاويرت أوخريب ورت نزرأي

فرجع حلف الشيخ سعيد ومعه المختار قائلين : لا نسلم للغزاة كدية موضع أوخريب، فهلك في تلك المعركة عدد من الطرفين، مع أن أصبوا هذه المرة كانوا مع أيت الخمس، وكانوا دائما من لف أيت إخلف، وقد قتل من الأخصاص من لف أيت بوبكر حوالي ثلاثين رجلا، ولذلك يحاول الجميع نسيان ذلك، والهدف من ذكرها ألا يقع الناس في تلك المعارك التي لا معنى لها عندنا الآن» (نفس المستجوب). وله معلومات مهمة عن تونس. كما أكد لي موت القائد المدني الخصاصي بالسم.



## عناية السلطانين الكبيرين بالجنوب :

نعم : كان للسلطان أحمد المنصور السعدي وللسلطان مولاي إسماعيل العلوي كلاهما اهتمام كبير بالجنوب المغربي حتى أعماق الصحراء، إذ كلاهما محاط في الشمال بطموحات الأجانب، وفي الشرق بالأتراك، فوجب الاحتفاظ على العلاقة التجارية مع الجنوب بواسطة القوافل، فاعتمد المنصور على الجيش في حراستها، وزاد مولاي إسماعيل على ذلك ببناء سلسلة من القصبات شحنها بالعبيد..

«إن عدد ما بناه مولاي إسماعيل من القصبات بالمغرب ست وسبعون قصبه (76) ممتدة من وجدة إلى وادي نول، وبأقصى القبلة من توات إلى آخر المعمور بالصحاري... ووزع على هذه القصبات من عبيده خمسة وسبعين ألفا (75000).. كما في كناش اليعمدي، ودفتر الكاتب سليمان الزرهوني، وتواتر الخبر به. انتهى<sup>(133)</sup>»

ومن أشرف على أمن هذه الإمبراطورية في تلك الظروف، كيف لا يعذر أو يقبل منه ارتكاب أخف الضررين، وأدنى المفسدين؟ والمسؤولية عظيمة - وحملها الإنسان -، والإنسان خلق هلوغا، إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا.

## عظمة مولاي إسماعيل :

«إنه أبو النصر، الشريف بن علي الينبوعي السجلماسي الحسني السلطان الذائع الصيت في المشارق والمغرب، فخر ملوك المغرب الأقصى، رجل السيف والثبات، له في اجتثاث ما يسخط الله تعالى وثبات، وطني غيور حر الضمير، صلب في دينه، متمسك بحبله المتين، يعاقب العقوبة الصارمة كل من ظهرت منه مخالفة في الشعائر الإسلامية أو مروق من الدين»<sup>(134)</sup>.

وصفه مؤرخ فرنسا (سان ألون) للملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا المعاصر له بقوله : «أما أخص أوصافه، فهو الاعتقاد الراسخ في الدين، لا تأخذه في الدين لومة لائم، مستحضر للآي القرآني في كثير من أحواله، ومضحيا نفسه في سبيل نشر الدين وعلو

(133) المنزح اللطيف، ص 337+338.

(134) إتحاف أعلام الناس، ج 2، ص 50.

كلمته، وبالجملة، فإنه لم يظهر ملك ذو قوة وثبات على أصول الدين مثل مولاي إسماعيل منذ قرون، مطلع على العلوم الدينية، متفقه مستحضر لمسائلها الأصلية، يتمذهب بمذهب مالك، يصوم زيادة على رمضان شهرين في العام...» (نفس المرجع ص 51).

من حق المغاربة أن يتمسكوا بمصطلح أكليد عبر التاريخ، أليس هذا النص من مؤرخ أجنبي لأكليد مولاي إسماعيل نموذجا فريدا مغربيا صالحا لكل من تجمعهم حضارة البحر الأبيض المتوسط؟ ومع كل هذه الأوصاف، بدأ كتابه إلى عظماء ملوك أوروبا بقوله : «من عبد الله تعالى الإمام المظفر بالله أمير المؤمنين».

أما قصبات هذا السلطان، فقد كانت من أجل استتباب الأمن في عهده على حد المؤرخ ابن زيدان، «ولما مات المولى إسماعيل انقطع عن عسكر القلع المدد، ولم يلتفت إليهم أحد من الذين تولوا بعده، ولا وصلوهم بشيء، وامتدت أيدي النهب للقلع التي تركوها خاوية». كما ساهم في ذلك الخراب، والغلاء والمجاعة وتوالي الزلازل. كما ورد في الترجمان المغرب والبستان الطريف، وكذلك في المنزح اللطيف<sup>(135)</sup>.

هذا وقد كان السلطان إسماعيل يصدر ظهيرا بإقطاعه قصبه نورد هنا نموذجا ملخصا لظهير شريف «يستقر بعون الله تعالى وتوفيقه الجميل، هذا الظهير المبارك المحفوف بالخير المتدارك الجدير بفضل الله تعالى جميع أنواع الإيثار والإكرام والإنعام غير مشارك بيد حامله المتمسك بالله، ثم به ولدنا الأرضى الأثير الأخطى، الأعز الأرشد الأنجد الأسعد، مولاي عبد الله، أصلحه الله، وأثمر غرسه، ورضي عنه وأرضاه، يتعرف منه أننا أعطيناه ووهبنا عليه جميع البلاد المعروفة بالفيضة بسجلماسة». (الظهير الشريف).

ومع الأسف، لم نعر على من عينهم على القلعتين المذكورتين في آيت باعمران : تانگارفا وإيگيسل. وغالبا من قادة عبيد البخاري، فلم يشتهر لحساسية آيت باعمران. تجاه الحراطين عامة ولو كانوا فقهاء والعياذ بالله من تلك النظرة.

إصرف اغد وگليد لحكام د تيزيليت

إيگ لقايد ييزيلي گين وسان ايضالان

(135) المنزح، ص 338.



ولا يظن أحد أن هذه العنصرية لم تكن، وفي المراجع رأي الفقهاء بفاس في عهد هذا السلطان، وفي الشعر الأمازيغي أقبح من عنصرية الشاعر المتنبي، وفي رواسب ذلك مازالت تعاني منها موريتانيا، ولم يخفف من ذلك الظلم الصارخ إلا الحماية الفرنسية وحقوق الإنسان. وفي جميع الحالات، فالبيت المذكور دال ..

وفيما يخص قائد محلة أيت بوبكريتغزي في عهد مولاي عبد العزيز، فهو القائد باقا المذكور، ولا نعرف حتى الآن، هل هو نفس القائد باقا الذي أرسل من جديد بعد طرده من هناك إلى تيزنيت عبر البحر، فغرق في مرسى أكلو منذ وصول الحماية إليها سنة 1913م - والقائد باقا هذا من عبدة أصلا عرفناه - أم هو قائد آخر اسمه باقا؟ وقد اتهم باقا تيغزي بالسرقة، فطرده أيت باعمران بقوة السلاح.

وفي عين المكان قصبة قديمة للمرابطين التي تشرف من أعلى مرتفع يطل على المدرسة العتيقة بتانكارفا من جهة الجنوب، كما تؤكد أن معظم القلاع في سوس من بقايا المرابطين، ثم تعرضت للتخريب أو للتجديد حسب الظروف السياسية.

#### السلطان إسماعيل في الصحراء :

وقد يعاب على جنوب المغرب ما ينتابه من اضطرابات أحيانا، دون أن ننتبه إلى أسباب تلك الطفرات، ودواعي تلك الوثبات المزعجة أحيانا، ومن الجواب :

1- البعد الشاسع بين السلطة المركزية في عواصم شمال المملكة عن الأقاليم الجنوبية الممتدة إلى عمق الصحراء، وخاصة عندما تظهر مشاكل في المركز لا يصل خبرها إلى الأقاليم إلا بعد مدة يصعب استدراك ما فات ...

2- قلة المواصلات الرابطة بين الطرفين، والتي كانت تعتمد فقط في أحسن الظروف على طرق القوافل التي لم تعد كافية في جميع المستويات، إذ كانت القافلة تستغرق ما بين أكلميم والصويرة 15 نزلة ..

3- فترات الجفاف القاسية التي تندفع من الجنوب الطارد، إلى الشمال الجاذب، بما في ذلك الإنسان والحيوانات والجراد، بل حتى زحف الصحراء لتغير المناخ.

4 - تأثير استبداد بعض الولاة : كما في رسالة إلى السلطان منها : «فلينظر سيدنا، فإن جباة مملكته قد جرّوا ذبول الظلم على الرعية، فأكلوا اللحم، وشربوا الدم، وامتشوا العظم، وامتصّوا المخّ، ولم يتركوا للناس ديننا ولا دنيا»<sup>(136)</sup>.

وفي عهد غير بعيد، نجد بعض القادة الناجين من لسعات الإكّراري صاحبه «الفطن الحفي اللوذعي الذكي الذي مجالسه تحف، ومحاسنه طُرف، القائد إبراهيم بن عدي بوفوس البويسيني لخصاصي - المشهور ببوهي الخصاصي - كان رحمه الله رجلا ظريفا حكيما ألوفاً، جوادا صحيحا، ومروءته شحيحا، جاوزنا معه أياما عدت من العمر بغرة، ومن الزمان بغرة، لا يناوشنا زيد ولا عمرو، ولا يناولنا حين ولا دهر، طواجين ممتلكات بالفراريج، وقصائع يلمعن ويتبعن بالمقاريج، إلى كسّ ذكي، وعنبر شهبي، مع أنواع المرائش، وزرابي فوق الفراش، ومؤانسة تنسي العقيلة، وإن كانت مع خصرها أسيلة، فوجب علي أن أمدحه، وأذكر فضله وأشرحه، فتبّا لهذا الدهر المشتّ، والزمان المهتّ، لا يصطنع لجواد، ولا يرأف لجواد، جرد له سيف العدوان، وجر عليه سيف النسيان، بعدما كان للمجلس فانوسه، وللحال به مانوسه، حديثه أحلى من الضرب، يشوقه العجم والعرب ..»<sup>(137)</sup>.

هكذا أطنب الإكّراري في مدح هذا القائد، وأتى بأوصاف أذهلت قلم المؤرخ حتى فاض بالمدح فيضانا رفضه كثير من فقهاء سوس، وعدّ ذلك منه من باب البطنة تذهب الفطنة، والإكّراري، لا ينجو أحد من انتقاده ولو بالمدح الزائد، وله مكانته المميزة بين من عاصره في سوس، وأسلوبه أشهر من حرب البسوس، ومن الطبيعي منه أن ينكر حتى العرف المعمول به في المغرب بكامله فسمى أصحابه «النفاليس»، وهم في الحقيقة مفاليس، إن لم نقل أباليس<sup>(138)</sup> ولا عجب، فالمؤرخ لم يرض حتى بلقب والده «أرفاك» المتجول بتجارته، بينما رضي «بالإكّراري» أما موقفه في العرف ففيه نظر، لأن العيب ليس في نص العرف، ولكن في الحاكم به، ونفس العلة في الفقه والفقهاء، وفي القادة وليس في من عيّنهم، ولا في المؤرخ، ولكن في تمييزه، والعادة محكمة، والعرف «من عادة سوس

(136) الاستقصاء، ج 7، ص 83.

(137) روضة الأفنان، ص 122.

(138) روضة الأفنان، ص 18.



الأقصى، من وادي الغاس إلى الساقية الحمراء، وفيه من أخذ عنهم المنتقد، وقد اعترف السلطان مولاي الحسن الأول بهذه الأعراف عام 1299هـ، وولادته حوالي 1278هـ ولعل مؤرخنا سيدي محمد بن أحمد الإغراري هذا ممن نافسهم أهل العرف في مهنتهم المعاشية، وهم الأقلية، وقد سبقه إلى ذلك القاضي أحمد بن إبراهيم أقرب بالسيحل ضد الحكم بالعرف بجواره من طرف القائد حسون الساحلي. فدعا عليه! فقتل وأكلت داره في تلك السببة، فهل لدعاء الفقيه عليه؟ أو لسوء سيرته في أحكامه مثل جيله؟

ولولا ما نعت به الإغراري قانون العرف وأهله بالمفالييس والمباليس، تاركا هذين الوصفين تلوكهما ألسنة أمثاله، لما نبهنا إلى أهمية العرف ليتوقف هذا الاحتقار، مع العلم أن العرف هو أول مصدر من مصادر القانون، أسكنك الله أيها الإغراري في روضة الأفنان، مع أمثالك من المؤرخين الأعيان، مع من أثنت عليهم بفضلهم في رياض الجنان، فمثلك قليل، وقلمك جليل، من نجما منه ربح، ومن لسعه فضح، غفر الله لنا ولك، وهو الغفور الرحيم.

#### ظاهرة انتشار المقبرات القديمة :

وبما يلفت الانتباه، كثرة المقبرات بجانب الطرقات، وكثافتها لا تناسب العمران القديم، كما لم نعر على نسبتها إلى ما يعرف بها، فتارة تعرف بمقبرة منسية، أي لا يدفن فيها بعد تقادمها لسبب مجهول! وهناك ما ينسب لبياض تربتها أو لمعركة مرت هناك عن طريق التواتر...

وكمثال : مقبرة قديمة تسمى بمائة حاج وحاج، وأنها كلها من هذا العدد من الحجاج، وهي موجودة محترمة في موضع بويفورنا بأيت باعمران، وهذه الكثافة من الحجاج وحدهم غير مقبولة في ذلك الزمان، وإلا فأين مقابر غير الحجاج في تاگراگری كلها لهذه النسبة؟

فهل ترجع تلك المقبرة إلى مذابح جيوش المنصور السعدي عام 985هـ فقد مرفعلا بتاگراگرا بموضع أشتوكن المعروفين حاليا بإدبو الصابون، لكن مذابح المنصور حدثت في أگشتيم بأملن، ولا يبعد أن يحدث مثل ذلك هنا، فعد الناس قتلاهم حجاجا،

وعددتهم مائة وواحد. وبعد زمان أرخوا عين المكان بنص عرف قبلي بسوقهم « يوم الأحد في بويفورنا، وسكتوا عن أصل المقبرة والنص هكذا :

«بعد الحمدة والتصلية. وبعد : فهذه تبين أحكام سوق يوم الأحد المحدث عند مائة حاج وحاج (مقبرة قديمة) وتبين الذين يتولون إنصافه، وهم بنو إعزى وآل إسگ، وآل عب، هؤلاء الذين يتولون أحكامه، في جميع أفعاله في الظاهر والباطن. من قطع في طريقه فعليه مائة مثقال لكل واحد، والسارق فيه 24 مثقالا، ومن اتهم بالسرقة فعليه خمسون مينا من أقاربه في ثلاثة أيام في مائة حاج وحاج، ومن افتتن فيه فعليه 4 مثاقيل لكل واحد، وكذلك ألصف بين الشخصين فعليهم 17 مثقالا لكل فرقة، لأن ذلك نكرة، تدعي إلى الاقتتال، وكذلك من رفع فيه حاجة من حوائج الناس المحترمين بتلك البقعة عليه 24 مثقالا، سواء كان يوم السوق أو غيره، وكذلك من وجد فيه حاجة ولم يبرح بها أو لم يشهد الشهود. وأما إن شهد الشهود فلا عليه 24 مثقالا. ومن ضرب فيه شخصا بمدية فعليه 24 مثقالا، ومن خرّج فيه عمارة من مكحلته سواء ضرب بها أو لم يضرب بها فعليه 24 مثقالا، وكذلك من افتتن في الطريق فعليه أربعة مثاقيل، وكذلك الكيال والموازين إن غشّ في التشحيح فعليه أربع مثاقيل، ومن سلّ السكين ولم يضرب بها فعليه خمسة مثاقيل، ومن طلع زند مكحلته ولم يضرب بها فعليه خمسة مثاقيل، ومن عليه دين ووجد في يوم السوق أخذ به فيه، ودعي إلى الشرع، ومن ذبح فيه نعجة فعليه 4 مثاقيل ومن ذبح فيه بقرة ووجد فيها جنينا رفعها لنفالييس السوق كلها، وكذلك من عمر فيه حيوان الحرام كالإبل والبقر والحمر وغيرهم يرفعون أمره إلى الشريعة المحمدية فيتكلم فيه، وكل ما ذكر من أحكام السوق متفق عليه والزموه لغيرهم المرابطون آل بجرقة، وآل عز، وآل إسگ، وآل عب، ومن في السواحل المجاورون أعانهم الله ومن أعانهم برخانهم وسلكتهم مسلك الشريعة وأجروا في ذلك قول ولي الله صاحب الرسالة عملا بقوله تحدث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا من الفجور، ما دام الزمان يدور، طوال الزمان وقصره ثبت عن إفصاحهم بذلك وإشهادهم به واتفاقهم على ذلك غرة ذي قعدة الحرام بتاريخ 1277هـ/1859م أحمد بن محمد بن العربي بن موسى بن عبد الله بن إبراهيم الجرفاوي صانه الله، وأعزّ روعته، وستر عورته، وغفر حوبته في الدارين بالنبىء وأصحابه. وعبد ربه محمد بن علي الترسيم الجرفاوي لطف الله به ءامين.



الحمد لله وحده، وصلى الله على الحبيب محمد وآله وأصحابه أدى الباني وعاطفه الكائنات علماً بما رُقم أعلاه أداء مشافهة بثبوته عبد ربه الحسين بن محمد البعقلي أصلاً التدرارتي وفقه الله أمين (النص في حوزتنا) نقلناه بحذافيره. والمقبرة حالياً تتداول بمائة حاج وحاجة خطئا كما ورد في العرف أعلاه. كما تأخر هذا عن عرف الشيخ هم المطبق في جزولة بكاملها بسبعة وعشرين سنة؟

إن ظاهرة العرف في أيت باعمران كانت عامة، ومنها القديم جدا، ومنها ما يرجع إلى عهد إمارة بودميعة، ثم كثرت بعد وفاة مولاي إسماعيل 1139هـ وخاصة في عهد مولاي سليمان، وتتشابه الأعراف غالبا ما عدا الخصوصيات، والأعراف القديمة سجلت في الرق وفي أعواد أليبي ثم في الألواح وأخيرا الورق، وقد تجسم في آلة منصوص عليها كمكيال مناسب للمادة كالزروع والإدام والقياسات المختلفة كحفر مقدار نعلة جلد الكاموس في شجرة الخميس في عهد الشيخ هم :

1- جميع الأسواق والمواسم التجارية لها عرفها، وتنص على الموقع بحدوده، وعلى مرافقه العمومية كالماء وتعيين رحبات السلع وتنظيمها وأمينها ونفاليستها...

2- ينتخب إنفلاس : الأمناء المشرفون على تطبيق القوانين العرفية مع إحالة القضايا الشرعية على الشرع للحكم فيها، ثم تحال على إنفلاس بعد الحكم لينفذوها في الحين بلا تماطل ولا معارضة.

3- الجميع ملزم بالتعاون على تنفيذ العرف والدفاع عنه والتضامن يلزم الجميع، وقد تكون عقوبات العرف قاسية أحيانا. ومع ذلك يفضلها الكثير لإعلانيتها وسرعتها.

### ظاهرة العرف في أيت باعمران :

ذكرنا سابقا أن عرف بعمرانة في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي، كان شاملا لمعظم القبائل المغربية لجزولة من المحيط إلى تيزلي، كما في ديوان القبائل، ثم وجدنا عرفا قديما آخر باسم أيت باها أيحيا في الجنوب، وأيت بوبكر أيحيا في الشمال، ولكل قسم عدد من القبائل، ستة في الجنوب : قبيلة أيت يعزى، وقبيلة أيت عبلا، وقبيلة أيت الخمس، وقبيلة أيت أيوب، وقبيلة إدموساكن، وقبيلة إصبويا.

وفي القسم الشمال : قبيلة أيت إخلف مع إداوسوكم، وقبيلة أيت النص، واستمر ذلك الوضع إلى مجاعة عام 1190هـ حيث «أكل الناس فيها الميتة والخنزير والأدمي»<sup>(139)</sup> فأثر ذلك في الوضع الاجتماعي، وفني كثير من الناس، إلى أن رجع القسم الشمالي إلى القبيلة الكبرى حسب عرف 1224هـ بأربعة وعشرين نفالس تحت أمغارهم الشيخ هم الخلفاوي.

ونجد في عرف عام 1288هـ عدم ذكر قبيلة مستي، كما في العرف الآتي :

«وبعد فقد اتفقت قبيلة بني أبي بكر أجمع، من غير تخصيص سدد الله رأيهم، وأصلحهم وأصلح بهم، وجمع شملهم على نفالس أربعة وعشرين، ستة لكل ربع، ليديروا أمور القبيلة، ويسعون فيما يصلح للقبيلة، ويرفعون مضرتها، ويأمرون بالمعروف في البلد، وينهون عن المنكر، ويأخذون الحق من القوي للضعيف، والكبير للصغير، وسائر أمور القبيلة، وما نشأ في بلدتهم من القتل والهجم والسرقه وغير ذلك. من أخذ سوقهم بالحق من مكيلاته وموزوناته وعينوا صاع الخميس في ثلاث فطرات بفطرة الفقيه الأبر سيدي علي بن صالح (التدرارتي) وجعلوا في الحناء والتمر الميزان بالرطل الذي فيه أربعون ريالاً، والصابون بثلاثين ريالاً، وأن سائر المسائل التي ليست للسوق، فلا يسأل فيه أحد أحداً في السوق أبداً، وكذا التي في السوق مثل من باع لآخر شيئاً، أو سلفه له للسوق الآتي، فإن وفى في وعده فذلك، وإلا فلا يسأله إلا بعد مضي السوق، وجعلوا أيضاً في إنصاف من قاتل غيره في السوق إعطاء عشرة مثاقيل لكل واحد، ومن حامى عن أحدهما فعليه هو أي الحامي مائة مثقال، وجعلوا أيضاً أن السوق لا يسأل فيه من ليس رب النازلة كإخوانه مثلاً أو فخذة وإن لقي أحد صاحبه وكان رب النازلة فليدعه للشريعة، وجعلوا أيضاً في إنصاف من ألم الله عليه القدرة وقتل غيره إعطاء مائة مثقال وثلاثين مثقالاً، وأما من قتل شيئاً عمداً عدواناً بلا شبهة فإنصافه مائة مثقال، فإن كان السارق فيه معمداً فأمره بيد أربعة وعشرين نفالس، فإن رأوا قطع يده كما أمر الله به في كتابه فيه، وإن رأوا نفيه عن البلدة فكذلك، فإن سرحوه مجاناً فذلك لهم، وإن قتلوه فليس عليهم القود، ولا عليهم الدية، ومن تعرض لأربعة وعشرين نفالس على إنصافهم، فعليه مائة مثقال، سواء كان واحداً أو اثنين أو ثلاثة أو أكثر، فعلى كل منهم مائة مثقال،



وكذلك من سلك شيئا من إنصاف القبيلة الواقع في البلدة من إنصاف القتل والهجم وإنصاف الخميس وإنصاف موسم إسكّ سواء كان في البلدة وخارجها، فعلى السالك مائة مثقال، سواء كان واحدا أيضا أو اثنين أو أكثر، وكذلك جعلوا أن من أكل حقه أو ظلم وأراد الزبيجة فلا يجاوز إخوانه أي فخذة وربعه. فإن فعل غير ذلك فعليه مائة مثقال، وكذلك المذبوح عليه إن قبلها فيعطي هو مائة، وإلا يقبلها فلا. أي ليس عليه شيء، وكذلك الطلبة المحكمون في البلدة فمن كتب منهم حكمن في نازلة، فإنصافه مائتان، وكذلك الشيوخ. وأما من أدى شهادته إلى غيره ثم رجع عنها بلا شبهة مائة وثلاثون مثل إنصاف القاتل.

وعينوا في رُبْع لُل، ستة: أحمد بن بَهْد من بني بوتكياض، ومن بني يوسف بن عمرو الفقير بلقاسم بن مسعود بيرومين، ومن بني عَبَّ أخانا سيدي محمد بن الحسن بن العربي وخالنا علي بن محمد بن بلعيد أغيلس، وإبراهيم بن سعيد من آل إسكّ، وسكّ بن محمد بن بلخير. وستة آخر من بني إملن: مبارك بن إبراهيم بوشميص، وسيدي عبل التوجنتي، ومحمد بن عبد الله بن بيته من بني إقوا، والحاج على الصفاري من بني أهْم، ومن بني بوشني سيدي الحسين خججي، ومن بني إزل علي بن عبد الله إمكيل. وربيع بن بكر بن يوسف محمد بن مسعود بن عبد الله بن أحمد، وأحمد بن الأعرج الأكروري، والحسن بن برك من فصل إمولا يحيى، والفقير به بن الخويسن، والفقير أحمد بن أمغار. وربيع بن إبراهيم بن يوسف الشيخ بها بن الشيخ هم، وعلي بن به بشيخ، ومن بني بلقاسم إبراهيم بن علي بن عبد الله، ومن الضلعين سيدي محمد بن عثمان، ومحمد بن ملود أهر في إبعيسن الزيايدي، ومن بني غابون سيدي الحسن بن عدي بوسنين.

ومع المذكورين شيخهم الشيخ أحمد بن الشيخ هم بن الحاج محمد بن علاّ، ومقدمهم أحمد بن الحاج الحسن بن عبد الله بن أحمد الوغماري. فهؤلاء المذكورون اتفقوا على ما ذكر أعلاه، وأن من سلك شيئا من إنصافهم من غير حضرة الجميع، فعليه مائة مثقال، وكذلك من عنده إنصاف القتل وكان عدما يطرده إخوانه وجماعته عن البلدة فيه، وإلا فهم سبع كانوا يتوخذون بما فعله أحبوا أم كرهوا، واتفقوا أيضا على

من تخلف عن موعدهم على مشورة ما يصلح لهم من الأمور المتعلقة بهم، فإنصافه ريال بوجهه، وجعلوا أيضا في تخلف الدعوى عند الشيخ أحمد، وعند المقدم ثلاثة أرباع لكل يوم، فكل منهما يغرم تخلفاته، وأما التخلفات لدى الشريعة فهي لأربعة وعشرين المذكورين قاله وقيد بإذن القبيلة المذكورة صانها الله ليكون ضياء لهم يوم ما بتاريخ أواسط شوال سنة 1288هـ/1871م عبد ربه أحمد بن الحسن بن العربي عفا الله عنه أمين توقيعه» (الأصل في حيازتنا).

والحق أن العرف في أيت باعمران لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا نص عليها، وإليك نموذجاً عجيباً هكذا: كانت الأحكام في أيت باعمران بين العرف والشرع، وكانت القاعدة أن يذهب المتنازعان إلى العرف، ويمثله شيخ القبيلة مع إنفلاس، فإذا رضي الخصمان بالعرف فلا مجال لرفض ما حكم به، أما إذا طلب أحدهم الشرع، فيرسل أهل العرف النازلة إلى القاضي الشرعي، وللمتخاصمين الاتفاق على القاضي المختار بينهما، أو أن يرشح كل واحد منهما قاضياً له لأجل معين، وعندما يحزر القاضيان النازلة، ترجع إلى العرف لينفذ، إذا وقع الاتفاق بين الخصمين، وسلم أحدهما للآخر، وإلا يرسل الحكمان إلى قاض ثالث يختاره أهل العرف، وبعد ترجيح الصواب بين الحكمن ينفذه العرف وجوباً في أجل محدد.

1- العرف هو قوانين معروفة مكتوبة اتفق عليها المجتمع الذي أسسها لكل مشكلة. تحت إشراف إنفلاس وشيخهم في القبيلة، وبمرور الزمان تصبح ثقافة معلومة مقنعة يعترف المجتمع بها لتكرارها ومفعولها وحفظها بصفة عامة، كثقافة اجتماعية من صميم الحديث: أمتي لا تتفق على الضلال أو كما قيل.

2- الشرع هو مجموعة من الفقهيات التي هي منقولة لا معقولة، موكولة إلى القاضي المختار لنزاهته ولتمكنه ولتفوقه في فصل القضايا المختلفة حسب المذهب...

3- العدول: قديماً كان الهدف هو تسجيل ما هو المطلوب من طرف من يحسن التوثيق، فإن لم يوجد فطالب المسجد تطبيقاً للآية ﴿يَأْيُهَا الْكَيِّنَ أَمْنُوا إِذَا تَكَابَرْتُمْ بِكَيِّنٍ إِلَى أَمَلٍ مَسْمُورٍ فَكُتُبُوهُ، وَيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ﴾ (سورة البقرة الآية 282).



4 - أول تدخل الإسبان في أحكام أيت باعمران منذ سنة 1934م بدأوا بتعيين قضاة بعد اجتياز امتحان من طرف لجنة خاصة في تطوان، فكان الناجح الفقيه المستحق سيدي محمد أبلوش العبلأوي الباعمراني.

5 - طلب الإسبان من القضاة تعيين العدول الرسميين، بعد إختبارهم خطأ وتوثيقا وأسرا وتنظيما، ومن العدول في مدينة سيدي إفني :

- 1) الحسين بن حميد بن علال العبلأوي بإفني،
- 2) محمد بن أحمد بن البشير البوبكري بإفني،
- 3) محمد الخضر بن محمد التوبالي المستاوي بإفني.

قبيلة مستي :

- 1) صالح بن محمد بن مسعود السملالي بمستي،
- 2) محمد بن موسى المستاوي بمستي.

قبيلة أيت عبلا :

- 1) علي بن أبي الخير بن محمد العبلأوي قبيلة أيت عبلا،
- 2) الطاهر العبلأوي أيت عبلا،
- 3) إبراهيم بن أحمد بن عبلا البدراري أيت عبلا.

قبيلة أيت يعزى :

- 1) علي بن عبلا بن أناصر أيت يعزى،
- 2) محمد بن إبراهيم بن عد أرهال العزاوي أيت يعزى،
- 3) لحسن بن محمد بن الكدليل العزاوي أيت يعزى.

قبيلة أيت النص :

- 1) أحمد بن الحسن التدرارتي أيت النص،
- 2) إبراهيم بن محمد الأغماري أيت النص،

- 3) أحمد بن الحسين الكودي أيت النص،
- 4) علي بن محمد الهرواشي أيت النص،
- 5) إبراهيم بن البشير البوجرفاوي أيت النص.

قبيلة إصبويا :

- 1) محمد بن أحمد بن عمر بأنامر إصبويا،
- 2) محمد بن الحسن بن عبلا الموساكنأوي إصبويا،
- 3) محمد بن محمد العبلأوي إصبويا،
- 4) محمد بن مبارك بأوتلاوك إصبويا،
- 5) العربي بن مولود بن بلعيد الهصباوي إصبويا.

قبيلة أيت الخمس :

- 1) عبد الله بن الحسين البودراري الموساكنأوي أيت الخمس،
- 2) إبراهيم بن عثمان الإفراني الأيوبي أيت الخمس،
- 3) عثمان بن علي بن مبارك الشوگمي أيت الخمس،
- 4) محمد بن لحسن بن محمد البودراري أيت الخمس،
- 5) إبراهيم بن محمد بن بوهوش أيت الخمس،
- 6) الحسين بن عبد الرحمان بمدشر إنفلاس أيت الخمس،
- 7) أحمد بن محمد بن إبراهيم الإبراهيمي أيت الخمس،
- 8) البشير بن يحيى العليوي أيت الخمس،
- 9) علي بن حماد بن إسكوباني العليوي بقرن باني أيت الخمس،
- 10) أحمد بن إبراهيم بن أحمد التالويوني أيت الخمس،
- 11) محمد بن محمد بن إبراهيم التالويوني أيت الخمس.

قبيلة أيت إخلف :

- 1) محمد بن سيدي مبارك أمرأي أيت إخلف تلميذ القاضي محمد أبلوش،



- (2) لحسن بن عبد العزيز بن عبلا بن محمد بن عمر أيت إخلف تلميذ أبلوش،  
 (3) محمد أشتشي الأنكيزاوي أيت إخلف عينه القاضي جهادي محند في عهده،  
 (4) محمد بن الحسين المعدري أيت إخلف عينه القاضي جهادي محند في عهده،  
 (5) محمد بن سيدي مبارك الطيب العيني أيت إخلف.

هذا هو الجيل الأول المقبول رسميا من طرف القاضي الرسمي محمد أبلوش بعد أن أمر الإسبان بتأسيس الرسميات، وقطع الطريق على اختيار شخصي، فاستمر العرف في أيت باعمران حسب اتفاقية أمزدوغ بإفني.

#### مراسلات رسمية من الإسبان :

«أمغار سعيد بن الحسين الخمسي سلاما تاما ورحمة الله وبعد : أعلمك أنه أن العسكري من الطابور إفني اسمه الحسين بن عبد الله بن بلقاسم رقم 250 من مدشر أگني نديحيا بأيت أيوب يطلب منا التسريح لكي يحضر بل يدعي الضاربة لزوجته ولم يساعده الكوماندنطي الأنصو في التسريح، وكتبنا لك هذا لتقوم في فصل تلك القضية على وجه الذي يناسب لها والقضية هي فاطمة بنت الحسين بن حماد بن سوسان ضربتها زوجة علي بن بائه اسمها جمعة بنت حماد بوزيت، وقلعت لها ثنية بل سنها من الفك الأعلى وسنين آخرين يتحركان، ولهذا أعلمك أن تحكم في تلك النازلة، وتعطي لكليهما حقها في الأخرى، وأعلمنا بما يقع عليه الانفصال بينهما والسلام في 24 نوفمبر 1936م موافق 9 رمضان 1355هـ حاكم الوقت القبطان مورينيو الطابع.

وهكذا استمر العرف في أيت باعمران حسب الاتفاقية. ومع الأسف لم أتمكن من الحكم العرفي في هذه القضية من بين وثائق الشيخ سعيد.

وهذا حكم عرفي آخر يرجع تاريخه إلى عام 1291هـ في عهد الشيخ أحمد بن هممو الخلفاوي وذلك قبل أن يسمى بالقائد في عام 1299هـ.

النازلة هكذا : حدث أن قتل شخص كلبا لصاحب الماشية في قبيلة أيت أيوب، فتحاكم رب الكلب والقاتل، فلم يجد أجموع تلك القبيلة نصا عرفيا عندهم في قضية

قيمة الكلب الضاري المعلم المقتول، فأرسلهما أمغار قبيلتهما إلى الشيخ أحمد بن الشيخ هممو الخلفاوي، حيث يوجد عرف شامل، ولما وصل المتنازعان وجدا الشيخ يفصل في قضية أخرى بأجموع، فلم يسلم الشخصان، بل مدا الرسالة إلى الشيخ بدون أدب، ففتحت فوجد فيها المطلوب أن تحكم على هذين بقيمة الكلب المعلم المقتول.

- ونظرا إلى أن الخصمين أجنبين عن القبيلة، وأنهما غير مهذين إذ قاطعا عمل الشيخ في قضية أخرى أمام أجموع استسمح الشيخ إنفلاس القبيلة، فحكم بما يأتي :

«يا صاحب الكلب، أنا لا أعرف حالة كلبك، ولا جسمه ولا ضراوته ولا تعلمه، وإني أكتفي بقولك : إنه يحرس معي غنمي، أما أنت يا هذا، فقد اعترفت بقتل الكلب واختلفتما في قيمته فقط، وبما أنكما فلاحان فعلا القاتل أن يعترف بجسم الكلب إذا أقعى (إذا جلس على أسسته) ثم تفرغ عليه عبارات من الشعر، حتى يغطى ذلك المقدار كاملا، فذلك هو قيمة الكلب الضاري في عرفنا. وغالبا ثمانين عبارات من الشعر فكتب بذلك إلى أجموع قبيلتهما وردهما في الحين قبيل غروب الشمس. فانطلقا راجعين والمسافة بعيدة بين القبيلتين بحوالي 20 كلم، فلما توصل المرسل بالحكم نفذته القبيلة ثم كتب إلى الشيخ أحمد بن هممو بما يأتي :

بعد الشكر : لماذا أيها الشيخ حكمت بهذه السرعة على الخصمين وردتهما بدون أكل ولا شرب، والمسافة طويلة، والليل مقبل، وربما تعرضا لخطر في الطريق ؟ فرد الشيخ بما يأتي : «أرسلتم إلي قضية كلب لأحكم في قيمة كلب، بين شخصين قد يكون الكلب مهذبا أكثر منهما، وكتبنا لكم حكم كلب لتنفذوا قيمة كلب بعد الرضى بينهما بقيمة كلب، وقد اعترفا أمام أجموع القبيلة. والسلام».

كنت أهملت ذكر قضية الكلب هذه في عرف أيت باعمران، في إحدى ندوات شاركت فيها بعنوان «العرف : نموذج أيت باعمران» فإذا بي أعثر في مخطوط للفقير سيدي عبد الله بن عبد الله الإسكوباني الباعمراني الأغراني، حول قضية قتل الكلب هكذا قال : «وهنا حكم النظائر التي لا يجوز بيعها، وإذا استهلك فيها القيمة، وهي بئر الماشية، وجلد ميت أضحية، وخمر الذمي، وكلب الماشية، ثم أورد هذا البيت، وربما



في نظم الفقيه سيدي محمد بن القاسم الفيلاي، وعدد أبياته حوالي (1400) بيت. إن لم يخزن العد منها :

مدبر وهكذا أم الولد قيمتها تلزم والبيع فسد

بخطه الجيد في آخر المحرم عام 1291هـ. وفي آخر مخطوطه كتب هذه الأبيات غالبا من إنشائه ؟ :

وقد رقت يدي الحروف كما ترى وكاتبها حيا وعيناه تبصر

وأيقنت أنها ستفنى من بعد ذا وتبقى من بعدها الرقوم وأسطر

فبالله يامن ينظر الخط بعدنا فجد بالدعا عل المولى به يغفر

أما الذي حفظناه فهكذا :

كتبت وقد أيقنت لا شك أنني ستفنى يدي يوما ويبقى كتابها

ثم ختم هذا المخطوط عن ابن عاشر الفاسي الأنصاري بقلمه :

الناس هم ثلاثة، فواحد ذو درقة ومنفق في واجب ذهبه وورقه

فدارس علومه وكتبه وورقه وما سواهم همج لا ودك لا مرقه

### أهمية موقع قبيلة مستي الساحلية :

كانت هذه القبيلة هي الرابعة من القبيل الشمالي الباعمراني أيت بوبكر أيجيا، ولها مكانة مهمة بموقعها الموازي للمحيط الأطلسي، وهي ممر القوافل منذ القديم، وأراضيها سهلة فلاحية، ولذلك تتعرض للهجرات الصحراوية بمواشيمهم في فترات الجفاف الصعبة.

وعندما استعرضت الأعراف الباعمرانية عندما كلفت بتعريفها في معلمة المغرب (ج 12 رقم 1127) وجدتها مستمرة مع أيت إخلف في عرف أيت بوبكر عام 1210هـ وفي عرف عام 1224هـ، لكنها لم تذكر في عرف عام 1288هـ رغم استمرار نقاليسها مع

أيت بوبكر، تحت مشيخة الشيخ هم وبعده ابنه القائد أحمد، ثم في عهد القائد إبراهيم الوجداري، إلى أن وقعت معركة بواواضن بين أيت أيوب وقبيلة مستي عام 1326هـ/ 1908م وفي هذه المعركة قتل عدد كبير من شجعان القبيلتين معا، ومن خصومهم بوهيا من عائلة آل بوحلايس الخمسي المتغنى بشجاعته في المعارك، كما جرح أمغار يحيى بن يحيى من نفس القبيلة، واستمرت الحرب القبلية بين مستي والخمسي، فتدخل المخزن المغربي بواسطة سيدي الحسين أهاشم التازروالي، قائلا : «بكلمة واحدة مني بين أيت باعمران تنتهي الحرب بينهم» لكنه لم يجد شيئا، فأغاثت قبيلة إصبويا قبيلة مستي، فاشتدت الحرب، فقبل للتازروالي : أيها الشريف، إذا أردت هدية تجمعها لك، أما الحرب لا بد أن تستمر، فانسحب التازروالي. ومن ذلك التاريخ استمرت علاقة مستي بإصبويا فانفصلت عن حلفها أيت بوبكر نهائيا 1302هـ / 1884م ولهذا الانفصال لم تحضر في اتفاقية ثلاثاء الأخصاص 1934م لأنها مدمجة في أدار..

أما معركة بواواضن هذه فهي نسبة إلى غابة هناك عرفت بكثرة شجر أراض، ومنه ألواض، وفي عين المكان كانت الحرب القبلية بين الجارتين : أيت الخمس ومستي، بدعوى المرور في أراضي مستي نحو المغرب الشمالي بدون الخضوع لحق النزلات، ومن الخسائر ما سجل شعرا في المساجلات هكذا :

يحيى ويحيى يتياكاس بوهيا تموت

زنزات كولو أيوداين تحلياس نون

أداغ نحيو تاكيزولت نمانا أوا تموت

وكان الرد هكذا بين النساء في أسايس :

نكاد وصبايو تاكوت تمستي أكركور

يكيد والخومس أكرض نسن أرتن يسروا

نحرم وصبايو تيدي غ واكال أولخومس

والقصيدة ترثي شخصيات ذات الوزن الثقيل في تلك القبيلة، وبموتهم تركوا فراغا لدى الخلف لإحياء «تاكيزولت» : الشهامة، ولم يبق إلا الأمل في قيمة بردعات اليهود



لبعث تاكيزولت هذه التي ماتت بموت أولئك الأبطال، والهدف هو استمرار الحرب، وعن العدل سيدي أحمد آراموگ الحبير بالقبيلة أنه قال : منذ هذه المعركة انضمت قبيلة مستي التي كانت من أيت بوبكر، إلى قبيلة إصبويا، لأنهم أغاثوا قبيلتهم في المعركة في حالة خطيرة، لكن في رسائل المخزن المغربي، كانت قبيلة مستي مستقلة بذاتها، وخاصة في عهد سعيد أمغار أوراغ، كما فصل المخزن برسالة بينها وبين إصبويا عندما تراموا على مرسى سيدي وارزگ، ليفوزوا بحق حراستها وحدهم. وهي من أرض مستي. وقد دامت تلك النعرة إلى 1912م.

وحدث أن رددت فتاة راعية في قمة جبل بوتگيداز بأيت إخلف بصوت عال كعادة الرعاة، فصادف ذلك مرور فرسان من أيت الخومس وإصبويا في طريق موضع بورمضان بأيت إخلف، بمناسبة أموگار بتابلکوکت، فسمعوا صوت تلك الفتاة، ترددت تلك الأبيات، حول تلك المعركة، فكادت الفتنة أن تقع بين المتسوقين.

وأخيرا بحثوا عن اسم تلك الفتاة وقصدوا والدها فأدّى ذعيرة وهي أربعون ربالا حسنية، وهي تردد ما حفظته ولم تقصد، وقد عاشت هذه المغنية إلى سنة 1956م. ورغم انضمام قبيلة مستي بذلك الجوار إلى قبيلة إصبويا فإنها بقيت قائمة الذات في عهد الإسبان وحتى الآن، ومعظم مدينة سيدي إفني الجنوبية من أرضها.

وفي 19 غشت 2000م قمت ببحث ميداني في قبيلة مستي أبحث عما يفيدني بالمزيد هناك، فاستجوبت السيد عمر الراشدي حول عائلة إطبيين بدوار تيوسمگ بهذه القبيلة الباعمرانية، فحصلت على ما يأتي :

أصل هذه العائلة من دوار تاگانت وگضيض قرب المدرسة العتيقة في بومروان من الأطلس الصغير، فهو عمر بن محمد بن لعربي بن أحمد بن حماد بن محند بن عبلاً السملالي حسب وثائق العائلة، وذكر أن الذي نزل بأيت باعمران، هو محمد بن عبلاً ومن هذه العائلة الطبيب الدكتور برّ عبد الله المتخرج من ابن رشد بالدار البيضاء، ولصعوبات فوق طاقته، ترك الطب فنجح في انتخابات كرئيس للجماعة بمستي، وجددهم هو محند بن عبلاً، والذي توفي بحادثة سير هو الدكتور في أسا الزاگ ؟ !

وهناك وثائق العائلة عند عمه إبراهيم بن أحمد المشهور بإبراهيم أوطيب، وكان حارسا للغابة، إلى أن توفي حوالي 1990م.

ومن وثائقهم تحرير جدهم أحمد بن حماد من الكلف المخزنية من طرف الأمير الحسن الأول عام 1280هـ، من أجل عسات الشواطئ، وذلك في رحلة خاطفة لقبيلة مستي وإصبويا هناك وهي زيارته الأولى لأيت باعمران، وقد اشتهرت هذه العائلة بالتطبيب التقليدي في تلك الظروف القاسية التي انعدم فيها الطبيب في أيت باعمران أجمعين، فاجتهدت هذه العائلة لإنقاذ من كان المزيد متوفرا من عمره، فشاع ذلك حتى من خارج أيت باعمران، ومن ذلك أن مريضا قدم من ماست أصيب بمرض الصفرة (بوصفّار) فشفي على يد محمد بن لعربي، فانتشرت سمعته في الآفاق.

وكان في الأصل معروفا بختان الأطفال، واشتهرت العائلة بذلك حتى الآن، وكانت له معرفة بجبر كسر العظام، لذلك لما احتل الإسبان إفني 1934م، طلبوا من أحدهم أن يتوظف في المستشفى البدائي بمدينة سيدي إفني لجبر المكسورين، لكنه فضل أن يعالج الناس في داره بمستي، وشاعت عنه معالجة كسر عظام الجمجمة، ما لم يمس المخ مستعملا أشياء قد لا تقبل اليوم، ومن أدويته استعمال الدهن بالسمن الحار القديم، والعنبر الأصيل، وزيت أركان، والحناء والبيض والكي بالنار. هذه هي إحدى وصفاته الطبية.

وكان يستعمل النفذات في جلد المريض، وهي ثقب في جلد البطن، فيخرج منها ماء أصفر، كما يشرط الجبهة، فتنزّل قطرات من الدم لمعالجة مرض معين يصيب الأطفال، وكان يقوم بعملية خياطة الفتق في البطن، وبعد الوصول إليه في الداخل يجمعه برؤوس نوع من النمل، بحيث كلما قبضت نملة على طرفين من الفتق الداخلي، فصل الطبيب جسم النملة عن رأسها قابضة، ثم يخيط الجلد الخارجي بخيط من الحرير، وبالأذنان يلتئم الجرح غالبا، فتدوب رؤوس النمل طبيعيا !

ومن ذلك أن نصرانيا قدم مع صديقه من فرنسا إلى إفني، وكانت أصعبه الوسطى مقوسة لعدة سنوات، لكن هذا الطبيب التقليدي غافله فأرجع أصبه إلى حالتها الطبيعية



بعد كسرها، ثم عاجلها فنال مكافأة من ذلك النصراني. ومن مراجعه ما كتب في الطب التقليدي كالطب البعقلي، حيث ذكر هو الكبير المشاع ولم أره عنده، لكن الموجود هي نسخ من الصغير، وفي حوزتي نسخة منه.

هذا المستجوب الأخير، هو الذي ورث حرفة التطبيب بمهارة عن جده، فتوفي سنة 1945م. ثم والده لعربي، فمبارك بن العربي الذي ارتقى إلى مرتبة أنفلوس، في عهد الإسبان، إلى أن توفي سنة 1945م بمرض الوباء (الكوليرا) إذ أصيب مدشرهم كلهم بذلك المرض، لكن السلطة الإسبانية تجندت وحققوا الجميع بإبرة الوقاية بما فيهم مبارك هذا. أما والده لعربي فقد قتل بسبب أنه ضامن لشخص آخر إلى موعد معين، ولما لم يف المطلوب بوعد، قام المدعي بقتل هذا الضامن، فذهب ضحية وعده لمن لم يقدر المسؤولية. [إشقا لفيعل حداغ تين وكان أخلغ] ومن نصوص العرف : الضامن بشكارتة.

#### توضيحات حول هذا النص :

وفيما يخص قدم الأخصاص في عين المكان، أن ذكرهم ابن خلدون مع بني نعمان بكلمة مبهمـة «حَسَّ» ولعلها إْحَسَّ : الصلب أي الأصل المفسر بالضحك، وإخف، أي الرئاسة، وأفوس أي الفخدة، حسب مصطلحات تقسيم القبيلة، مع العلم أن كلمة ضهر تاسيرت أي الهضبة المذكورة بهذا اللفظ في شمال أفريقيا بكامله، وموقع الأخصاص اليوم عرف قديما بتاسيرت تارؤكّاغت، وقد ناقشنا ربط ذلك بسكنى البدو الأعراب في مكان آخر. «وكانت كل تلك القبائل في عهد المنصور السعدي تسمى بعمرانة»<sup>(140)</sup>.

وفي الأخصاص مدارس علمية عتيقة، لها فضل كبير بنشر التعليم في قبيلة الأخصاص، أهمها «مدرسة سيدي همّ الحسّ، ومن المشاركين فيها كل من الحاج أحمد اليزيدي من آل تازونت، وما أدراك ما هو ! ومر فيها محمد الرفاكي، ومحمد بن الحسن في الروايات، والحسين بيبس الحيسوب» (معلمة المغرب ج 6 رقم 1915 تعريف جهادي) ومنها أيضا مدرسة سيدي علي أسعيد مر فيها بيبس نفسه، وعبد

(140) ديوان قبائل سوس، ص 24.

الله بن محمد الإلغي، ومدرسة بويزاكارن، مر فيها بيبس كذلك، وأحمد بن صالح الإفرائي، والعربي السموكمي، وأدركنا فيها محمد بن أحمد المسراوي. وغالبا ما تدرس هذه المدارس الفقهيات، مع التركيز على التصوف المناسب لقساوة البيئة ومستوى الفلاحين، ومع ذلك ترى بعض فقهاءهم يندمج في العرف القبلي إلى حد الخوض في مسائل القضاء والنوازل، أو الانخراط في مداخلة العامة يخوض مع الخائضين، ومن أشهر الزوايا هناك زاوية البصير - وزاوية الواعظ الأمي مولاي أحمد بتلات نترامت، الذي أوتي فصل الخطاب في الوعظ والإرشاد بالأمازيغية، إلى حد تبكيت السامعين له بلغتهم التي يفهمونها.

ومن علماء الأخصاص الأقحاح محمد بن سعيد المرغيتي الأخصاصي من آل يعزى وهدى ؟ علامة متفوق في فنون متعددة، معتنى بالأسانيد والطب والرياضيات، مدرس عابد مؤلف في علم النجوم، - كتاب المقنع في علم الفلك كمرجع وحيد في سوس - صوفي كبير، نزيل الحمراء توفي 1089هـ وسمعت أن طلبة أيزيد المتفوقين بإيميوكشتيم طلبوا منه تدريس هذا الفن، فرد عليهم بهذا البيت :

علوم الأرض لم تصلوا إليها، فكيف بكم إلى علوم السماء

وفي الأخصاص أدركنا أحمد البصير بأباينو الحافظ لأوزال وبحر الدموع عن ظهر قلب، وبالجملة فالدرقاويون أفقه كثيرا من أصحاب الزوايا الأخرى، وذلك لحفظهم المنظومات الأمازيغية الفقهية والصوفية البليغة المنذرة بأهوال منتظرة لكل إنسان بعد موته، منفردا في قبره، ومصيره إلى الله ينتظر القيامة، أشقي أم سعيد، وأمام هذا التلقين المخيف، يستحيل قيام حركة فكرية نشيطة متفتحة، وقد لعب هذا الاتجاه الصوفي المتشدد، دورا كبيرا في كبح التدبر والتفكر والتمعن، إلى حد فرض التبعية التقليدية، أسارى لمن قادهم من الفقهاء وشيوخ الزوايا بلا نقاش..

أما كيف تلقن المعلومات وتحفظ، في تاخوربيشت وفي مدرست، فقل في معظمها مخافر الشرطة وزيادة، وقد لاحظنا ذلك عمليا، ولم أجد ما أخص به ذلك كله إلا بعبارة وضع القيد الحديدي في رجلي أمحضار تلازمه ليلا ونهارا، وقد تستغرق معه



شهوراً، حتى سمي بعض الفقهاء بالأخصاص بولجيد، وهو الفقيه سيدي أحمد بولجيد الأخصاصي، سمي بذلك لهروبه من قساوة العنف في تيمزگيدا، لكن عائلته تصر على تعليمه قائلة للطالب «اقتل ونحن ندفن» كما زعموا أن كل مكان أصيب بعضا المعلم في جسم التلميذ، لا تأكله النار يوم القيامة! «ورجاء العائلة هو شفاعة أمحضار في أهله تمتدا إلى سلسلة من عائلات أجداده بسند يشجع على حفظ القرآن الكريم، وسجلوا ذلك في قصة أمحضار الشافع لوالديه بانتشالهم من الدرك الأسفل ومن أعماق جهنم؟!».

ولعل سيدي أحمد بولجيد هذا نموذجا لمن تخرج هناك بعد معاناة، أخذ عن أستاذه الحسين بيبيس، من أفذاذ العلماء، المشاهير في جنوب سوس، رغم مطرقة الإكراري حتى في هيئته وصورته على عكس من أثنوا عليه؟ ومن كان راغبا في تحصيل تخصصات بيبيس كبولجيد، يسهل الهوان عليه، كما أخذ هذا الأخير عن مسعود المعدري، فجمع بين الحسينين، ثم تفرغ للتدريس، في معظم مدارس الأخصاص، يدرس ويقضي ويفتي، وأصل أسرته من أمانوز بلنخ، وهو من أسرة علمية كُنيت بالقيد حتى عرف به، توفي في ذي القعدة 1352هـ / 1933م. ولعله جد الأستاذ مبارك بولجيد الأخصاصي الباعمراني، وما قلت إلا بالذي علمت سعد. ورحم الله السلطان أبو الحسن المريني الذي قال: «لابأس بالغالي إذا قيل حسن».

وإلا فكيف يحدث بين هذه المدارس والزوايا ارتكاب القاعدة «إن الرضاع يحرم ما يحرم من النسب» فهذا رجل عرف ببوزنداگ بآيت عبلا، تزوج بنت بنت أخته، فولد معها أولادا كباراً<sup>(141)</sup>. فلم يستبن الرشد إلى أن نبهه الفقيه الحسين بن عبد الله العبلأوي المتخرج من فاس، وبلغني مؤخرا أن مثل ذلك وقع في بويغورنا أو كاد، فنبه إليه طالب من عين المكان مؤخرا، لعله ولد شيخي سيدي الحسين بن أمغار البوجرفاوي، ومعظم الفقهاء لا يهتمون بعلم الأنساب: أي التاريخ، كما في الحديث «تعلموا من النسب ما تصلون به أرحامكم» إذ يجب على المرء أن يعرف أباه وأمه وكل من له به رحم، ليعرف ما يجوز نكاحه وما يحرم عليه، ومن يتصل به بميراث، فمن جهل ذلك فقد أضاع فرضا واجبا عليه. ومنه التاريخ.

(141) روضة الأفنان، ص 246.

وهناك أخطاء تقع كثيرا بسبب عدم معرفة القوم بالعربية، بينما الفقيه يظن أن كل من سمعه قد فهم ما قال، ومن المرويات: «أن واحدا من أولاد ابن ناصر، وجد رجلا شائبا مقوسا الظهر يرعى الغنم في أدميم بوادي سوس، فقال له: ياعم؟ هل عرفت الفاتحة؟ فقال له: من أي قبيلة هو؟ تناني أو هواري أو مسكيني؟ فقال له: إنما أسألك عن الدعاء، فقال له: تسأل عن الذي ينحني مرة، ويجلس مرة، ويقوم للقبلة؟ فقال له نعم، فقال له أنا لا أعرف ذلك، فالطالب ها هو في المسجد، فأسأله. وقال الأدوزي: إن هذا من أهل القبلة، وهذا لم يصله أحد ولا وجد من يعلمه، [وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا]<sup>(142)</sup>».

هنا تساؤل: من الحزم سوء الظن، ألا يمكن أن يقصد ذلك الناصري تحيلا باسم الدين ليأخذ من ذلك الراعي المسن كبشا أو أكثر في تلك الغابة؟ ثم ألا تتصور أن ذلك الراعي هو فقيه أكثر من الناصري، فاسعمل تجاهل العارف لما مر عليه من أمثال الناصري؟ وإلا فأين غابت مهمة زاوية الناصري طيلة عمر هذا الشيخ المقوس؟ كل ذلك ممكن، ونرجح تجاهله بمعرفته الطالب المكلف بالدين في المسجد، كما يعرف هذا الراعي من فرائض الصلاة الركوع والجلوس والقيام للصلاة، كما يعرف القبائل البعيدة عنه، ولماذا لا يفسر تجاهله هذا بإدراك سبب زيارة الناصري المكررة وطمعه في استدراج الشيخ الأمي كما يظن؟ وقد كان الرگراگة يفعلون ذلك في البوادي بسوس، وينجحون باستعمال الدين فيأخذون أكثر من الزكاة.

#### مجهود كبير غير مستثمر:

نظرا للإمكانات والإمكانيات في تلك المدارس العتيقة، فنادرا ما نجد فيها من استكمل تعليمه، أو أحاط بكل ما يستحق به أن يسمى عالما، وحتى إذا أمكن لعبقري نادر أن يتمكن من النحو واللغة والأدب والفقه والبيان والفرائض والحساب، وتعقيدات الشيخ خليل الذي دخل سوس منذ القرن الثامن الهجري، وما شئت من المقامات الحريري، فيصير معربا حافظا تراه يملا ذاكرته كمسجلة بدون تمعن، ساكتا عن العلوم الحاملة للمنطق والتاريخ والجغرافية والفلسفة، رافضا مفاتيح البحث: متى وكيف وأين؟

(142) روضة الأفنان، ص 250.



وقد يتفرغ أخيرا للقريض ليثبت أن لسانه قد تعرب، وباليته تفتح بعد هذا كله، واهتم بتبليغ ما لديه ما دام قادرا، وأغلب هذا النوع، ينتهي بتفوقه إلى الانعزال، بل تراه زاد تعمقا في الانزواء، وهو خزانة تمشي على رجلين، وقد ينتهي به المسار بلا ولد ولا تلميذ ولا مال، كأصحاب الروايات والمتصوفين. ومن لم يخضع للزوايا من الفقهاء، يشاع عنه إن علمه لا ينفع لسخط شيخه عليه، وما ذلك إلا لحصاره تقية لانتقاداته لما لا يعجبه من التمسك بالمرجوحات وهو حافظ للراجحات. كما شاع عن الفقيه محمد إكبيك الذي يلزم أهل الطرق ويفرض مشيخة أحد فحورب بالتعزير في مجتمعه لتمكنه في علم الحساب وأن لا شيخ له في ذلك فاقتل عقله ...

أنا لا أنكر مصطلح العالم في البوادي لعلمه بالضروريات المطلوبة في مجتمعه، وإلا فالعالم هو الذي يربط بين العلوم لإنتاج الحاجة لغيره من أجل إبراز الطاقة، وليس العالم هو الأسير لمحفوظاته كما هي، مع العلم أن كل زيادة في حساسية الحمولة، تعد فهما خاصا في عصر الحدائة الممتدة إلى اللانهائي. ويكفي أولئك الفقهاء سد الفراغ في تلك البوادي العائشة على الاكتفاء الذاتي.

### دور الصوفية في بداية تفكك المجتمع :

اختلف الباحثون في اسم الصوفية، وفي معناها، وأين منبعها؟ وأسباب ظهورها؟ ومتى تنتشر في المجتمع؟ وما تأثيرها الإيجابي والسلبي؟.. قرأت في مخطوط ورد فيه أن «أول متصوف في الإسلام هو أبو بكر الصديق»، وليس معنى هذا أن التصوف لم يظهر إلا بعد أبي بكر، بل هناك متعبدون صوفيون يذوبون في عبادة الله وتقواه كل حسب مذهبه، كما في تاريخ الهند والصين، وفي حضارتي الرافدين ومصر، وقصة الخضر مع موسى سجلت في القرآن الكريم، وأسطورة حمو أنامير الأمازيغية ربطت بين السماء والأرض، تحكي الإسراء والمعراج بفكر أمازيغي، تحدى أقطار السماوات وتناول الأبعاد بين الكواكب إلى الشفق البعيد، ومع ذلك ضحى ورجع إلى أمه الأرض التي خلق منها. ومن أولئك من توصل إلى ذلك بالتعب والصيام وقهر النفس، ومنهم من فتح الله عليه بلا تعب ولا مشقة، ومنهم من تاه بين السماوات السبع يبحث عن اليقين

كأصحاب الحدائة في عصرنا هذا، وها نحن نسمع بوجود الحياة في كوكب المريخ. ولا حد لما سيكتشف في المستقبل أمام تطور التكنولوجيا المنتظرة...

ومن الباحثين من أسند التصوف إلى العاكفين في مسجد الرسول ﷺ يسمون أهل الصفة، ومن أقوال أبي بكر الواسطي: «هبة العارف بالله تعالى مزوجة بسروره، وخوف مفارقتة مزوجة برجاء اتصاله، وشوقه إلى لقائه مزوج بالحياء منه، فلا هيئته تذيب سروره، ولا خوف مفارقتة يغلب رجاء اتصاله، ولا الحياء منه ينفّر عن الشوق إلى لقائه»؟! (أبو بكر الواسطي). وعن أزنّاك أن علم التصوف حديث عهد بسوس، حتى أدخله الشيخ سعيد المعدري معننا إلى الشيخ العربي الدرقاوي عن الشمال، وهو علم الباطن لا يحس به إلا أهله. ونظمه بالأمازيغية ومنه :

ذَكَرَ اللهُ أَيُّكَانَ أَكَادِيرَ لَيْغِ كَلَوِ جُمُعَانَ وَلاَوْنَ نَائِتَ رَبِّي غَائِبِ غِ رَبِّي

والحق أن التصوف مذهب خاص بأهله، لا يعلل بسبب من الأسباب، ولا بأدلة منطقية، والذي استنتجته من التاريخ، أن التصوف حالة تظهر في المجتمع كلما أصبح مهددا بالانهيار لأسباب قاهرة فاجأت مجتمعا لا يتخيل أمامه إلا وثبة قيام الساعة وفناء العالم! وهذه التصورات موروثه كامنة لدى الإنسان ككمون النار في الحجر، فهي تستيقظ في الفرد كما أحاطت به، أضافت إليه ضعفا لضعفه الذي خلق منه مستمرا معه إلى نهاية حياته. والناس كلهم راكبون في قطار الحياة، من استوفى أجله نزل. والقطار يتابع سيره في نفس الاتجاه بدون توقف؟.

وتبرز تلك الإضافة كلما أحس الإنسان بذنب ارتكبه يتمنى التخلص منه، فيدخل في مرحلة الخلوة، ومن ثم ينقطع عما حوله، وبالصيام وقهر النفس وهجر مقومات الجسم من تغذية وملح وماء وحركة ورياضة تتلاشى فيه القوة المادية لتنمية القوى الروحية، ويسهل عليه قبول التصوف عادة، كلما برز للمجتمع انهيار الدولة ماديا ومعنويا، أو أحس بما لا قبل لهم به إثر حروب أهلية، أو مجاعة عامة، أو وباء بدأ يحصد المجتمع، أو عدو لا يرحم نزل بكلكله لا يبقي ولا يدر، هذا ما استنتجته من التاريخ، ولا داعي لنكرانه، ولا لفرضه على أحد.



وهنا يحتاج المجتمع إلى من ينقذه، بأي وسيلة من الوسائل، بشرط رفع راية الأمل، وإحياء الهمم، كما فعل أولئك المفكرون والمصلحون والزعماء والمتصوفون، إذ من تلك الشخصيات، تنبت دائما بذرة الرجاء تؤهلهم لتحمل المسؤولية، كالمعرفة، أو الأصالة، أو القوة المادية، أو الشهرة في المجتمع، وهكذا يصبح الموقف مباركا بشهادات الناس، وبكثرة الزوار، وتداول المريدين، ومن زيارة الشخص إلى التبرك بالمقام، إلى تأسيس مزار ريثما يؤسس لنفسها هالة يقتنع بها مجتمعه، هكذا جميع بداية الأماكن المقدسة في العالم. ﴿ربنا إننا أمكننا من غير نبي وإننا غير نبي﴾.

أو هكذا فهمت ظهور الزوايا في أيت باعمران، ولا ادعي أن تكون هذه النظرة الخاصة مقبولة أو مرفوضة نسبيا، ولكل وجهة هو موليتها، ومع ذلك هناك أسباب واضحة لظهور الزوايا بأيت باعمران منها :

1- كان المجتمع الباعمراني مجتمعا متحركا لا يستسيغ الهدوء ولا السكينة، على عكس مجتمع التصوف المائل إلى الانعزال، حيث يجد راحته في الخلوة وفي التفكير في الوجدانية، غارقا في الخيال إلى الشفق البعيد، فالفرد الصوفي لا يعايش المنافسة والطموح، بينما المجتمع الباعمراني يهوى المنافسة والشجاعة والاندفاع بعزم وحزم، وهو ابن بيئته، تربى في مناخ معتدل وقاري معا، شعاره العزة والكرامة، والوطنية والشهامة، والدفاع عن الحق وعن مقدسات الوطن كالمغاربة الأحرار.

2- كان من أيت باعمران منذ القديم مريدون لزوايا تامگروت الناصرية، المنتشرة في البوادي لبساطتها، لذلك كانوا يؤدون لها بعض الأعشار حسب عرفهم، ويقومون بزيارتها في موسمها كل عام، وهي التي مزغت الأمهات الفقهية فزال الاحتكار، عرف المجتمع السوسي فرائض دينه بلغته منها جميع الصفات بسهولة عجيبة :

أيكان تاووحيد دئغ نسن نسن ورتلي بلا ربي  
يان أيكائسول نسنفاو نسنفلد نرضار ما ير  
يكا واحداث نغاما ندوس ورسار ننتيل غ ورمزي  
أر نساوال ورترواس مقاردا يان غ تميتارادي

نسن نسن د يصرف ربي أرقاس رسول الله  
نملا ياغ أك ماد نرا ربي ولا ماد يوكي

بهذه المنظومات بلغ المتخرجون من زاوية تامگروت - باللغة الأمازيغية الصافية - هذه الصفات التي انتشرت في سوس بكامله، فاستحقت حمل الأعشار والزكوات إليها بورزازات، أولئك علماء بحق، أنتجوا بكل أمانة وصدق، وبلغوا بوسائل تربوية محلية ما يجب الإيمان به، فلهم أجر ذلك وأجر من عمل به إلى يوم القيامة.

3- زاوية تيمگيدشت : وهي تلميذة الناصرية تأسست حوالي 1320هـ، منها تخرج اليوسي، وسيدي الزوين، ومعظم مدارس الحوز، وهي ثمانية بعد تامگروت، ومنها تخرج معظم أيت باعمران، وهم يدفعون لها جزءا من أعشارهم، ويرسلون إليها أبناءهم، فاستمر ذلك إلى دخول الاستعمار.

4- حاول مريدو زوايا الأطلس الصغير أن ينشئوا زواياهم في البلاد مثل الشيخ على الدرقاوي في آخر رحلته إلى أيت باعمران قبل الحماية، فنصب هناك الفقير الحسين أولگود الأمي، وهو رجل مولع بأحواش والشعر الأمازيغي، وهو منشط للناس في الأعراس، إلى أن لقي الشيخ الدرقاوي المذكور، فعينه مريدا درقاويا، فذاب في شطحات الدرقاوين، ناسيا جميع رقصات المغنين، ثم ورث عنه ذلك ولدها الفقيه العدل الصوفي سيدي أحمد أولگود المشارط أولا في مدرسة سيدي واگاگ كفقيه بالموازاة مع الوراشي سيدي علي بوتاتن الألوراضي أدركتهما معا، ثم رجع إلى المدرسة العتيقة في إيسگت سيدي بووبراهيم، ثم تبعه ولده الذي جعل من داره زاوية له حيث زرته فيها، 1969م. والكل من أهل الذكر. وعهدي بولده أستاذا في التعليم.

5- وفي نفس الوثيرة كون تلميذ تيمگيدشت الفقيه سيدي محند أباراغ جد العائلة في داره بجوار الصالح سيدي علي بوزيد - حيث المدرسة العتيقة بالمسيد الأحمر - منتقلا من بويفورنا، ثم تبعه أبناؤه وأحفاده بعدما ضربت السلطة الإسبانية الحصار على زيارة الزوايا في حماية فرنسا شيئا فشيئا، وهي فرع للناصرية التابعة لتيمگيدشت.



6- زاوية سيدي سليمان في قبيلة أيت الخمس، وهي من أقدم المذكورتين، وهي أساس المدرسة العتيقة التي مر منها فقهاء عقلت منهم سيدي الحسين أوشحيفا حوالي 1949م ثم تركز فيها آل السكنيض التاداراتيين باسم الفقيه المشارط سليمان، وليس من عائلة صالح القبة هناك. وهم عائلة لها دورها في التعليم والتثقيف والوطنية والخلق الحسن، وعهدي بخطوط لهم لا تخلو من هوامش مفيدة، تدل على مستواهم الكلاسيكي. حسب ما رأيت.

7- هناك زاوية في إصبويا زرتها مستعجلا، وقال لي مسنُّ هناك: قيل لنا إن السلطان مولاي الحسن الأول جلس للناس تحت هذه الشجرة أركان المزار حتى الآن، وفعلا صحت زياته عندما كان أميرا فقط، زار تلك الجهة. كما نصحه في مكانه. وفي إصبويا مدرسة عتيقة مر منها فقهاء كبار، منهم فقيه سباعي يذكر بمستواه قديما هناك، وعن شارط فيها أيضا الحسن الأصبوياني الباعمراني: عالم كبير، وقاض جليل، وكريم يذكر بكرم، لعله أخذ عن الأدوزي رفع راية القضاء فطارت له شهرة كبيرة، حتى إنه كان أعلى وأشهر من الزبير التدرارتي، ولم ينفرد علماء بعمرانة يجتمعون على مائتته، فيتباحثون في المسائل، وخصوصا في أيام معلومة كرمضان، وله حكايات غريبة (حياته ما بين 1260 - 1324هـ).

كما مر في تلك المدرسة شيخنا سيدي الحسين أبناي البوبكري البوشناوي صاحب الروايات، وعنه درست سلكة واحدة في رواية المكّي مع الاستمرار في حفظ المنظومة الشاطبية كلها، في مدرسة أيت بوبكر 1952م. رحم الله الجميع.

8- هناك زاوية في أوتول تنسب إلى عائلة تسمى إسكوباني أي الساكن في قرن جبل باني، ومنهم علماء كبار، لهم خزانة كبيرة، معظمها من المخطوطات، ومنهم الفقيه الأديب سيدي عبد الله بن عبد الله الإسكوباني، ولعله من طلبة عبد الرحمان الجشتيمي أو قبله حسب ما ينقل عنه، وآخرهم العدل السيد علي الإسكوباني في عهد الإسبان سنة 1934م، وهم عائلة باعمرانية أصيلة مجاهدة مقاومة متفرعة عرفت قديما بـ«بأيزيغ» (نسبة إلى أمازيغ الأحرار) وقد كونت تعريفا شاملا لهذه العائلة، لكن أخبرت حاليا أن الثقافة

انتهت منهم، ومعظم خزانته انتقلت إلى أرفاك الإكراري حول تيزنيت لمصاهرة بين عائلتين، فاستفاد منها أرفاك المؤرخ صاحب روضة الأفنان، والعجيب أنه لم يذكر هذه العائلة حسب ما علمت.

9- وفي عهد الإسبان: تكونت عدة زوايا في مدينة سيدي إفني بتشجيع خفي من طرف السلطة الإسبانية، قصد قطع الصلة بالزوايا خارج الحدود، ومنها الزاوية الدرقاوية والتجانية وأباراغية بمدينة سيدي إفني، فساهمت هذه الأخيرة في ثورة أيت باعمران التحررية 1947م. ضد الصبرانية، انطلاقا من زاوية أحمد أباراغ.

10- نعم: هناك زاوية سيدي مبارك إجيوي القديمة في إيمي ن تيزنكي، كانت منذ عام 1207هـ واشتهرت بحفظ أمانات الناس لاحترامها، ولموقعها الحصين، ولعلاقتها ببداية تازروالت، إلى أن هاجمها أعراب الصحراء في عهد السبيبة والمجاعة، فصادر الغزاة الأعراب ما فيها من أمانات الناس، وما وضع فيها من أعشار، فخرّبوها فنسي ذكرها رغم مكانة هذه العائلة الاجتماعية.

ومنها الفقيه الصوفي سيدي مبارك إجيوي الخلفاوي، ذكروا أنه شارط في مدرسة أيت بوبكر يوم ظهر الفتان بوحلاس الصغير هناك، ومنهم سيدي بوبكر من نفس العائلة، ومنهم الروائي سيدي الحسين بوشبوك، ومن أعمال باني الزاوية سيدي مبارك إجيوي صاحب بناء برج في قمة جبل سُرْدْرَارْ على صخرة منيعة، بها نظفية للماء بين الصنخور، إلا أن السبيبة أزلت بركة الزاوية وقداسة صاحبها لعجز بركة الزاوية عن دفع الغزاة، كما ألغى السوق الأسبوعية بجوارها بعد 1330هـ.

وثقافة هذه الزوايا في أيت باعمران لا تتعدى ترداد الصلاة على النبيء وطقوسها، كما لا تتعدى مريدي كل زاوية، وأغلبهم يحفظون بالأمازيغية ما أمكن من أوزال وبحر الدموع، والأمير، وابن عاشر، وأبوشكر، أو من منظومات صوفية منها إرشاد المجتمع بأن الدين يسر لا عسر فيه، ومن الوعاظ من يمزج بين الرجاء والخوف، ومنهم من يقذف مجتمعه بشواظ من نار ونحاس وبأهوال يوم القيامة، ولا سبيل للرحمة وغفران الله إلى خطابه العنيف.



ومنهم من يشدد على العنصر النسوي، ويدعو إلى احتقاره. ومنهم من ينظم ذلك شعرا ويلقنه لمريديه، ناسيا أنه يهدم نصف المجتمع. المكون من ذكر وأنثى، وأيهما تعرض للنقص صار المجتمع ناقصا. وإليك هذا النموذج :

سوياس ننهاتن شراع وُر سكيرن تماواشن  
لعاجائب أيجران شوف شيطان تسمون د أك  
لقاوم إدرستن يان تاما تيان تُفرح أسن  
أر تن تَسودو نلي ياسن أماريرغ توژومت  
د نطبالن كين أسن كولو لعوان أر تبنغالن  
نما توتمين قضيتنت ند وكناض توتت تتسواك  
تاغوييت تندر تاغريت وُر تخاصاغ وسائس  
ولا لعياض أغالال أر أك تاكين تمخلاون  
نخ يژون بيض نان سرسات اغ نلونا  
هان تاوالا تلکم توتمين كويان نرا تاووناست  
هان طالب نكن تاكي نليس سوسائس  
تافي ن كيس نليس لمودن تزوار تلاغ وسائس  
لحساب ن تالي نسكران تاغوريت ملان اغت  
لكتوب أزکا نلس نس يوگل لکمن نفاذن

هذا نموذج أمازيغي من نظم محمد أحمدات أتمقيست بايمي إيسي ن إگنان، هذا الناظم هو الذي نظم البردة للبوصيري بالأمازيغية، وأعلن أن الله سخر له ذلك بلغته، كما سخره للبوصيري مدح الرسول ﷺ بالبردة والهمزية.

ونلاحظ أن هذه المنظومة مشحونة بالمفردات الأمازيغية التي لم تعد تتداول حاليا لذلك كبرناها في النص أعلاه حسب الترتيب : صفهم، يركبهم، الشاعر، يباعدون، الخداع، المستمر، يرقصون، منتصف الليل، نزلت إلى المرقص، وضحه.

وهذه المنظومة طويلة جدا، بها وبمثلها حارب بعض الفقهاء المتطرفين الأدب الأمازيغي، كما حاصروا المرأة الأمازيغية واحتقروها ووصفوها بما لم يوصف به الشيطان الرجيم، فصات من سقط المتاع، ومن حسن الحظ أن قلة هؤلاء المتطرفين الذين استولوا على مريديهم فقط. وكان هؤلاء يستعملون الدين كوسيلة لمعاشهم...

أما طقوس التجانية فمريدها أقلية لضعف الأغنياء أو قلتهم في إفني. ونفس المصير للدرقاوية بعد وفاة عمدتها مولاي به البوجرفاوي. وكان الشيخ علي الدرقاوي الإلغي هو الذي وصل الطريقة إلى أيت باعمران في رحلته الأخيرة، فنزل بفقرائه في السيجل عند الفقيه القاضي سيدي محمد بيشوارين المذكور بمكتبة مهمة من المخطوطات لم اطلع عليها، وله أخ اسمه أحمد تخرج على يده عدد كبير من حفظة القرآن برواية ورش، وكان بمثابة محجور لأخيه القاضي المذكور الذي كان يكتب كل مشترك باسمه فقط، إلى أن قال له أخوه أحمد : «أنا أسمح لك من حقي إذا لم تمت، وعند الله أطلبه في يوم الميعاد، فقام القاضي برد الحقوق لأخيه بكاملها فشكره على تنبيهه فتوفي شاكرا لله بذلك التنبيه، هكذا حكى لي. ومن داره تقدم الدرقاويون إلى وسط أيت باعمران، فأستت زاوية الحسين گود».

### ظاهرة أضرحة الصالحين في أيت باعمران :

لا شك أن انتشار الأضرحة له ما يبرره في مجتمعها، منها المنفعة المادية والمعنوية وحتى السياسية، وهي ظاهرة قديمة في التاريخ، فمنها ما كان قبل الإسلام، مثل الأهرام في شمال أفريقيا، وهيكل سليمان بفلسطين، وقبب فارس وقصور الرومان، وأماكن للتعبد والتأمل في المرتفعات لمراقبة الأبعاد وحراسة الحدود والشواطئ من تسرب الأجنبي، ومنها تشهير مقام من يستحق التعظيم لمكانته عبر القرون، وقد سبقت إلى ذلك الوثنية، ثم الديانات السماوية كلها، ومنها بناء النواوس : وهي قبور النصارى المزوقة باعتناء، لذلك نهى المسلمون الأولون المتقشفون عن التطاول في البنيان، سدا للذريعة. أما الآن فلا خوف من الشرك على الإطلاق. إذ المقبور بحاجة إلى الترحم عليه، وفي نفس الوقت، اذكروا موتاكم بخير، ولالأضرحة علاقة بالحضارة والاستقرار



وتطور العادات والتقاليد وتبادل الأفكار، ومن ثمّ، تنظيم المجتمع والمحافظة على الوطن وتقوية الملة والدين، وكلها مرتبطة بأداء الفريضة الخامسة لمن استطاع إليها سبيلا.

أما أصل القبر فمن الفرس، انطلاقاً من وضع تاج الملك الرمزي على رأس الملك، إلى أن ثقل عليه بالذهب والجواهر، فعجز الشاه عن حمله لضخامته، فصار التاج يعلق فوق رأسه، وبمرور الزمان، تطور ذلك إلى قبب العظماء والصالحين، وفي المشرق هياكل عظماء القوم، إلى أن تبنى المسلمون المتفتحون حضارة غيرهم في الشام كله، حيث حضارة السوماريين والبابليين والآشوريين والفارسيين والرومانيين.

إلى أن أمر الخليفة علي أبا الهياج الأسدي المرسل إلى اليمن قائلاً :

«لا تدع تماثلاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» فذلك في بداية الإسلام، له ما يبرره، كما فعل «باللاة والعزى ومناات» وها هو البيضاوي خالف الجمهور فأباح البناء على القبور، ومن الطبيعي أن يستمر الفكر القديم، إلى أن ينتهي بالبقاء للأصلح، ما لم يؤد ذلك إلى الشرك بالله بغلو المستغلين.

وأما انتشار الأضرحة في المغرب الكبير، فترجع إلى ما يستحق أهلها من التذكير الذي عرفوا به في مجتمعاتهم، من علم وإصلاح وجهاد وحراسة لشواطئهم من الغزاة، أو تعريف الجمهور بتعمير مقام يستحق التعمير والاجتماع فيه، وخاصة حيث المياه والحامات للاستشفاء في المغرب خاصة، كما حلت الأفعال الخيرية والدينية محل طقوس البدع، أو على الأقل هذبتها وحسنتها حتى لا تقدر في العقيدة الصحيحة، وأما ما يبرر به الشرقيون تسوية الأضرحة والعمران، فذلك يخصهم، ولعلمهم يحنون إلى الخيمة التي تحفق الأرواح فيها على حد أمنية زبيدة زوجة هارون الرشيد المشتكية من حصارها في رفاية القصور، وهكذا مع اعتماد في إشبيلية...

أما انتشار القبر في وطن تامازغا فمنها أول هرم في الجزائر قبل أهرام مصر، ثم عمران إمبراطورية روما ومسارحها، وما أسسه أكليد يوبا الثاني الأمازيغي...

أما في الغرب الإسلامي، فلم تكن القبر عريقة في القدم، ولكنها تطورت من احترام أفعال ومكانة صاحب القبر، الشيء الذي فرض الاعتناء بمقام الصالح مادياً

ومعنويًا، فاهتمت السلطة المركزية بكل ما يجمع المجتمع، كالمعاريف والأوسمة الدينية والاقتصادية والعمرانية وتطور المجتمع في اتجاه إيجابي..

ولنفرض أن أول ضريح مشهور بمغربنا هو لمولاي إدريس وكذا ابنه، ولكن القبة والتشهير تأخرت إلى عهد المرينيين، ولا ننس، أن المغاربة كغيرهم كانوا غلطوا فحملوا حديث [ما بين المشرق والمغرب قبلة] وذلك لمن كان في المدينة المنورة وما يقابلها من الجهة الأخرى في الجنوب، إلى القرن الرابع، فصارت مساجد المغرب توجه إلى الشرق، مثل جامع ابن يوسف بمراكش عام 520هـ ولما جاء الموحدون ردوا القبلة إلى الجنوب خطأً منهم حتى في القبور، مع أن قبر وگگآگ نحو القبلة منذ 445هـ.

ومعلوم أن معظم قبب الصالحين في أيت باعمران ومعظم شواطئ المغرب ترجع إلى بداية الغزو المسيحي لسواحل المحيط الأطلسي، كما ينسب معظم تلك الأضرحة إلى الهاريين من إيبيريا بعد سقوط الأندلس.

وهذا سيدي موسى وسيدي مولاي ؟ بأكلو من الرگراگيين، بنيت قبة الأول 1254هـ والثاني 1264هـ وسيدي محمد بن عبد الله بتابلكوكت عام 1282هـ والمعتمد هو أن تدخل الأروبيين في المغرب وكذا نشر المسيحية، هو الذي ساهم في تشهير الصالحين والزوايا وتخويف المغاربة من الأجانب، فصارت كل قبيلة تشهر صالحها وتؤسس أو تسمى أسواقها ومدارسها القبليّة باسم الصالحين، ومعظم هذه التواريخ، ترجع إلى بداية المرينيين، وانتشر في عهد الدولة العلوية. ما لم يكن هناك أشهر...

ومن تتبع هذه الظاهرة فسيجد تجديد تلك القبب في أيت باعمران، ترجع إلى سبق مزاعم إسبانيا بحقها في احتلال نقطة لصيد السمك في ساحل إفني، وإليك قصة حول بناء القبة القديمة للصالح سيدي إفني هكذا نقلناها :

«كان قبر الصالح سيدي إفني قديماً يعاصر سيدي بو عبدليّ بأيت همّان في القرن السادس الهجري، وكان الأول ضريحاً متواضعاً قريباً من البحر، بعيداً عن الناس، فإذا برجل ؟ يلاحظ ناقة خرجت من المحيط، على ظهرها قناطر من أعواد تكفي لسقف ضريح الصالح، فأسرع إليها ذلك الرجل، لينزل عليها حملها، لكنها رجعت إلى البحر



بعدهما سقط منها القدر الذي بنيت به قبة الصالح القديمة، وشاع أنه لولا وجود ذلك الرجل، لصار المكان مقدسا يقصده الناس مثل الحج؟» (بحث ميداني حاطب ليل سنة 1983م. لا يخلوا صالح في تلك الجهة إلا وله كرامات..).

فمن حبك إذن هذه القصة أو سميها الخرافة أو بذرة التنبؤ بتعمير المقام، أو فكرة سياسية لها ما وراءها. أما الناقة فهي سفينة مغربية تنقل الخشب لبناء أو تجديد أضرحة الصالحين في سوس، في عهد السلطان مولاي عبد العزيز، وقام بذلك القادة الحاحيون بتزيت المجددون لعدد من أضرحة الشاطي كما وقفت على ذلك، ثم قصدت الفقيه المسن سيدي إبراهيم بن زعبون اليوسفي صحبة المتوكل عمر الساحلي برلفت، فسألته عن خرافة ناقة إفني فقال: «كان المخزن المغربي العلوي يعتني بإصلاح هذه الأضرحة حتى لا ينزل البحارة الأوروبيون في هذه الشواطئ، فحضرت أنا هنا بأفتاس ميرلفت سفينة مغربية تطلق صفارتها، فأسرع إليها القائد محمد الوجداري في أغرابو، وهي تحمل التموين والخشب الذي بنيت به مدينة سمارة حيث الشيخ ماء العينين ضد الاستعمار في الصحراء، وذلك في عهد السلطان مولاي عبد العزيز، ولما سألته عن ناقة خرجت من البحر في سيدي إفني حملت أعوادا، أجاب: الناقة هي السفينة، والأعواد لتشهير الصالح سدا لأطماع الاستعمار في سيدي إفني، والقصة لقبول المقام» (الفقيه إبراهيم ابن زعبون) وبذلك فك هذا الفقيه، لغز هذه الخرافة التي أعجز الإسبان عن إثبات مزاعمهم في إفني.

صحيح أن لعائلة الشيخ ماء العينين فضل كبير في الصحراء المغربية، «فهذه الأسرة هي التي بدأت كفاحها الأجنبي قبيل وأثناء ولاية السلطان الأقدس المولى إسماعيل، وهي التي حمت ظهر خلفاء سلاطين المغرب الذين كانوا يفدون إلى الصحراء بقصد إقرار الأمن وإقامة الصلح بين القبائل أو توزيع التعيين والتوقيع على الولاية، وهي التي حمل أفرادها السلاح أثناء التغلغل الاستعماري لمنعهم فرض توقيع الحماية على السلطان بفاس بتعيين الهيبة من طرف سوس الأدنى والأقصى»<sup>(143)</sup>.

(143) محمد الغربي الساقية الحمراء ووادي الذهب، ص 131.

أما انفصال قبيلة الأخصاص مؤخرا، فقد أكد لي الفقيه أبو القاسم بلقاسم لخصاصي بعين المكان قائلا: «كانت قبيلة أيت بوياسين من لخصاص أصلا من صميم أيت باعمران، ومن حلفهم على الدوام، ولذلك كان القائد المدني بن الطالب أحمد، يكن لهم عداوة» وقد أكد لي هذا القول أيضا الفقيه المسن سيدي إبراهيم بن زاعبون الضحاكي. قائلا: إنما ضمهم المدني ثم اقتطعتهم الحماية الفرنسية من أيت باعمران. 1934م، كما غزا المدني موضعي المرس وتالات بتاگراگرا، وأخذ ما فيهما لعداوته للشيخ بلعيد على الدوام.

ثم أضاف أبو القاسم: «كان القائد بوهي لخصاصي من قبيلة أيت بوياسين من قادة السلطان الحسن الأول سنة 1299هـ وكانت له حروب مع قبيلة أيت علي لخصاصيين، فخرج في إحدى المعارك معهم، فرحل إلى قبيلة أيت جرار عندما هدمت القبيلة داره، ولما رجع حاول الانتقام منهم، لكنه أصيب في معركة موضع أذار بأيت علي برصاصة في فخذه، كما قتل فرسه تحته، ورغم ذلك ركب فرسا آخر للسيد أحمد إيغيد، فحارب حتى قتل فرسه الثاني تحته، ثم ركب فرسا ثالثا لرجل اسمه أحمدادي أشمینگ، فكسرت فخذه برصاصة أخرى، كما قتل فرسه في نفس المعركة، فألحقت الخسارة بأنصاره، فانهزمت قبيلته أيت بوياسين أمام أيت علي، فأحرقت الدور، وصدورت الأموال، ووقعت الفتنة، وكان هذا القائد شجاعا لا يخاف الموت، ولا يقدر العواقب، ولا يرثي على قبيلته، وكان يضرب به المثل في الشجاعة، ولما سقط جريحا أمر بنقله إلى أصهاره في موضع أوخريب بأيت باعمران، كما احتفى بامغارن في قبيلة أيت السيمور الباعمرانيين، لأنه تزوج منهم أخت الشخصية الكبيرة علي أوسالم من عائلة إدمبارك أويحيى.

ولما انتهى أمر القائد بوهي، حيث مات هناك. عام 1329هـ/1911م كما تعرض قادة السلطان الحسن الأول من طرف قبائلهم إلى مثل ذلك وزيادة، فنصب بعده القائد المدني بن الطالب أحمد لخصاصي، ومعه في القيادة الفقيه سيدي أحمد بن الطالب العبلوي، لكن المدني قضى على هذا الأخير، واستصفى أمواله، ثم استولى على جميع لخصاص بما فيهم أيت بوياسين الذين كانوا من صميم أيت باعمران، ثم استولى على قبيلة أيت عبلا وعلى ميرغت، وعلى قبيلة أيت يعزى، ووصل إلى أيت برايم



سنة 1321هـ/1903م فدخل في المد والجزر إلى وفاته في رمضان 1352هـ<sup>(144)</sup>. قال الشاعر:

فكان ماكان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

والذي يهمننا هنا هو ما يتعلق بأيت باعمران، ما دام هناك من تكلف بالغير، وهنا نجد جوابا من الوزير المدني الكلاوي على رسالته، حول أيت باعمران ونصها: «مجنبا الأَرْضِي السيد المرتضى، الفقيه البركة، الباذل جهده في سبيل الله سيدي الحاج الحسين الإفرائي. أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد: وصل كتابك الأغر، وخطابك الراقق الأوجز، جوابا عما كتبنا به لك في شأن السببية لما حدث في أيت باعمران، بأنك وجهت من يستقصي أخبار تلك الناحية، وتحذير من يروم وقوع تلك الفتنة بين المسلمين، وتمكين أرضهم وأولادهم لطفة الكافرين! ووقوفك في حسم مواد الفساد، وأن تلك القبائل قامت على ساق الجد والاجتهاد، وأن الكل والحمد لله على غاية ما يكون من السكون والاطمئنان، لاهجين بدعوة مولانا السلطان، ولم تطمع نفوسهم فيما لا يرضي الملك الديان. عدا البعض من هصاوة ذكرت أن نارهم لا تخمد، إلا بتخميم مدد شريف بتيزنيت، وأن القائد صالحا الشاوي يصلح للتكليف على العسكر هناك، وصرنا بذلك ببال، فالحمد لله على وجودكم بتلك الناحية. لقد ظهرت بركتكم فيها ظهور الشمس الضاحية في السماء الصافية، وانجلي منها ما كان صدى عليها، فجزاكم الله أحسن الجزاء، بجاه من شفاعته ترجى، صلى الله عليه وسلم، ولا تعدم إجازة بحول الله من الله ورسوله ومن سيدنا أعزه الله، فلتدم على عملك ولا يضيع لك ذلك بحول الله، ويصلك طيه كتاب بتكليف القائد صالح على العسكر، وجميع أشتاته، وأعلمنا بالمتحصل بعدده، والكتاب الذي وجهته لمولانا المؤيد بالله، قد وجهناه طي مكاتيبنا إلى جلالته، فلتدم في وقوفك واعتنائك بأمر المسلمين، ولا تغيب عنا خبرا. وعلى صميم المحبة والسلام. في 17 صفر الخير عام 1327هـ/1899م. المدني ابن أحمد آمنه الله»<sup>(145)</sup>.

ومن حجج أيت باعمران ضد الصبرانية الإسبانية سنة 1947م قبب الصالحين مثل سيدي إفني، كما كانت أكبر دليل على حضور السلطة المحلية، ومن ذلك قصبات

(144) المسول، ج 3، ص 268.

(145) المسول، ج 4، ص 55.

السلطان مولاي إسماعيل كما في ويجان شرق مدينة تيزنيت في قبيلة إداوعلقليل، ولها أربعة أبراج، ثم قصبة أحداتو في وسط قبيلة إفران، على ضفة الوادي بالأطلس الصغير، ولها ستة عشر برجاً، وفي هذه القصبة نزلت الجالية الفرنسية عند دخولها لسوس سنة 1335هـ/1916م.

«وفي أيت باعمران: قصبة بقري إيگيسل، ولها أربعة أبراج، وهذه القصبة من بقايا قلاع المرابطين، فجددها مولاي إسماعيل، وكانت تشرف هناك على عين غزيرة وبساتين، ولعل ما بقي منها الآن في سفح ذلك المرتفع، وهي عين تاكانت ن توتال، وعين أباينو على مشارف أكلميم، وكلها من صميم أيت باعمران»<sup>(146)</sup>.

وهناك قصبة في أيت بوبكر في وسط أيت باعمران بتغزي، وبها اثني عشر برجاً، وهي في سوق الخميس هناك حتى الآن، في جماعة تيغزي الحالية، وهي من بناء مولاي الحسن الأول، وقد أكد لي والدي البشير بن القائد أحمد بعين المكان، أن هناك قصبة قديمة بنيت على مرتفع «موكفاف» المرتفع المشرف على ما حولها، وتحتها عين غزيرة ذهب معي حتى عين لي موقع ذلك العين المسمى عين أفولوس، وربما هي قصبة مولاي إسماعيل، الذي مر هنا إلى الصحراء عام 1090هـ وقد أكد لي مسن آخر، أن ذلك المرور شاع بين الأجداد، كما يذكر ذلك مع ذكر السلطان مولاي الحسن الأول، لما نزل بجوار القائد أحمد هنا بتيغزي سنة 1303هـ قال لهم: «يجب قبل كل شيء، هدم تلك الدار المشرفة علينا على مرتفع هناك لخطورتها في الدفاع» فعلا هدمت، ولم يذكر له أحد أصلها ولا فصلها، وأغلب الظن أنها أصل لقصبة مولاي إسماعيل الذي مر هنا بلا شك. في عهد بناء سلسلة من القلاع، وذهابه إلى الصحراء.

وفي بعض الوثائق أن أكادير بُوواغاض (أنوض) المرابطي في جنوب موكفاف، وأن الذي بغرب المدرسة العتيقة هو لأبوزيا، بينما يقول البعض لبُوواغاض وربما بعد احتلاله بما يفسر الحرب مع أكادير أبوزيا بتيغزي؟

ولعل شهرة السلطان مولاي إسماعيل، وما قام به في جمع الكلمة في المغرب الشمالي، وكونه مولودا بسوس، وخليفة لأخيه مولاي رشيد، كل ذلك وغيره، لا بد وأن يغرس في

(146) أبو القاسم الفقيه بلقاسم الهادي.



ذاكرة الشعب ما له تأثير متداول، وبناء على ذلك، نجد «مرور السلطان مولاي إسماعيل هناك سنة 1123هـ إذ فيها ورد الخبر على السلطان بأن أولاد الدليم من عرب السوس، قد قتلوا ولده أبا النصر الثائر بها... وفي عام 1130هـ ولي قطر السوس لولده عبد الملك، واستقامت الأمور، وسكنت الرعية وهدأت البلاد وغزرت الأمطار»<sup>(147)</sup>.

وقريبا من عين المكان اشترى السلطان الحسن الأول أراضي هنا لتوسيع الأصل الإسماعيلي، اشتراها من عند عائلة آل الشيخ همّو الخلفاويين من عائلة قائده أحمد بن الشيخ همّو سنة 1303هـ، وكتب عقد الشراء القاضي سيدي أحمد وُلحسّن المرسي بجوار تيغزي، ومنذ ذلك التاريخ، صارت القصبّة تسمّى لمُحلت يربط فيها الجيش السلطاني، إلى زمن ما يعرف بالسببية وثورات القبائل على القادة الجائرين، بمجرد موت السلطان الحسن الأول 1311هـ/1893م.

### المحافظة على الصحراء المغربية :

اتبع السلاطين العلويون نفس السهر ونفس المحافظة على الصحراء المغربية بلا منازع، ولا داعي للرجوع إلى الإمبراطوريات السابقة قبل الدولة العلوية المستمرة. «ففي عام 1086هـ/1675م أرسل جيش مغربي إلى الترازة لمساعدة أميرها على إقرار الأمن، وبعد ذلك بأربع سنوات، قام المولى إسماعيل بجولة في أرجاء موريتانيا، تمّ خلالها تنصيب أمير جديد في الترازة هو الأمير هدى، وأرسل جيش مغربي إلى تاكانت عام 1091هـ/1680م، بقيادة الأمير إسماعيل أحد أقرباء السلطان إسماعيل، أبعدها كلة يزعم الاستعمار أن صحراء المغرب كانت أرضا خلاء؟ ولكن لماذا السكوت عن كل هذه المعلومات في الوثائق الرسمية المغربية؟ فهل النقص في قلة نشر الوثائق المغربية؟

وفي عام 1171هـ/1757م عين السلطان محمد بن عبد الله المختار ولد أعمارو أميراً على الترازة، وأسند إليه القيادة العسكرية، وفي عام 1298هـ/1880م أقرّ أمير أدرار أحمد ولد محمد على إمارة أدرار»<sup>(148)</sup>.

(147) الاستقصا، ج 7، ص 97.

(148) الغربي، ص 166.

وقد أدركنا الرواية الشفوية المتعلقة بمرور السلطان مولاي إسماعيل في تابريدا التي فيها قصبته المذكورة في وسط أيت باعمران، وبها واجه أيت باعمران الصبرانية (الجنسية) الإسبانية في انتفاضتهم سنة 1947م في إقليم سيدي إفني، منها رحلة مولاي إسماعيل هذه عام 1090هـ/1679م ونزوله بقصبته في تيغزي وسط أيت باعمران، ولعل زيارة تيغزي كانت إبان «سنة الجذب التي كانت سنة 1680م» حسب سفير لويس الرابع عشر (ابن زيدان ج 2 ص 51) وسلطة السلطان مولاي إسماعيل في الداخل والخارج مشهورة، إذ قال أبو عبد الله اليفرنّي في روضة التعريف: «دوخ مولانا إسماعيل نصره الله بلاد المغرب الأقصى كلها، وملك سهلها ووعرها، ودان له قريبتها وبعيدها، وبلغ من ذلك ما لم يبلغه ملك قبله، وقد وصلت جيوشه إلى بحر النيل، يقصد وادي السينغال والنيجير وامتدت مملكته من جهة المشرق إلى قرب بلاد بسكرة قرب بلاد الجريد، وما تمهدت له البلاد إلا بعد محاربة طويلة، ومقارعة فظيعة، وبعد ما قاسى مع المغرب والثوار من الحروب ما هو أدهى وأمر»<sup>(149)</sup>.

حركة مولاي إسماعيل إلى سوس «بلغه أن الترك جاءوا بمحلتهم واستولوا على بني يزناسن، وأن كلامهم مع ابن أخيه ابن محرز (في سوس) راسلهم وراسلوه ورجع السلطان (من شرق المغرب) قاصدا مراكش، ومنها للسوس، وبلغه دخول أخيه الحران لتارودانت مع ابن أخيه أحمد بن محرز (القادم من سوس الأقصى) ووقع القتال بينهما خمسة وعشرين يوما... فوق الصلح بينهما، ورجع السلطان لمكناسة» (نفس المرجع المنزع ص 164).

كما نجد في التاريخ أنه كان يقضي في «حرب الثوار ومن شق عليه عصا الطاعة أربعاً وعشرين سنة، ولم يقم فيها بداره سنة واحدة، وهو مستمر في نهج خطة أخيه المؤسس مولاي الرشيد» (المنزع اللطيف ص 166).

ومما قاله أبو عبد الله اليفرنّي عن اتساع مملكة مولاي إسماعيل: «وقد وصلت جيوشه إلى بحر النيل» - يقصد السينغال - إذ كان مؤرخو المغرب يظنون أن نهري السينغال والنيجير من نيل مصر، في شرق أفريقيا لضعف البحث الجغرافي وندرة الاتصالات.

(149) المنزع اللطيف ص 167.



وطريق القوافل التي تربط شمال المغرب بجنوبه الصحراوي، هي تابريدا التي تمر إحداهما في أيت باعمران، وهي مناسبة لسير القوافل والحجاج من حيث الطقس صيفا وشتاء، وتبريدا الغربية هذه تتوفر فيها المياه الضرورية لرحلة السلطان، ورحلة القوافل، وخصوصا إذا علمنا أن مولاي إسماعيل قد أسس أو جدد عددا من القصبات نذكر منها في أيت باعمران قصبه خميس أيت بوبكر، وقصبه بقرى إيگيسل، وقصبه في أگوليم وهكذا نحو الصحراء.

وهنا نتساءل عن علاقة مولاي إسماعيل بعائلة بعمرانية شريفة النسب من أحفاد الصالح سليمان دفين أباينو بأيت باعمران، وقال صاحب المعسول: بعد ذكر ما هناك من روايات: «إن مولاي إسماعيل هو الذي ولي ييهي بن مولود» وهو القائد المشهور في بلاد إباحان، ولهذه العائلة سمعة كبيرة، ومجد طريف وتليد، والفضل لصاحب الاختيار مولاي إسماعيل، والعلاقة مستمرة، ولما توفي هذا السلطان سنة 1139هـ / 1729م تولى ابنه مولاي أحمد في نفس السنة، لكن ظهر تنافس بينه وبين أخيه عبد الملك الذي تولى إلى أن زحزحه أخوه المذكور أحمد، فرجعت الأمور إلى عبد الملك من جديد في رجب 1141هـ وهو بسوس الأقصى: أيت باعمران وحلفهم، ولعله عند أخواله المغافرة في وادي نول لمطة (بُعمرانة)، وبتلك الجيوش، دخل مدينة تارودانت، لكن ثار عليه أخوه من جديد أحمد في 10 المحرم عام 1142هـ. وذلك كله لتلاعب جيش العبيد من جهة، وانعدام فكرة الدستور في ذلك العهد من جهة أخرى...

فتولى مولاي عبد الله بن إسماعيل - وأمه خنائة بنت بكار المغافرية - الذي كان مع أخيه عبد الملك هناك بوادي نول عند أخواله، كما ذكرنا، ولما قدم عبد الملك إلى مكناسة الزيتون، (لأن مكناس الأصلية القديمة في جهة تازا) قدم معه مولاي عبد الله ابن إسماعيل هذا، ولما ثار العبيد من جديد بالمولى عبد الملك، خرج مولاي عبد الله إلى سجلماسة، إلى أن اتفقت الأغلبية على بيعته التي جاء منها «الحمد لله الذي جعل العدل صلاحا للملك والرعية والعباد، كما جعل الجور هلاكا للحرث والماشية والبلاد» ومقدمة هذه البيعة تلخص لنا تلك الظروف قال الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهلهم سادوا

هذا وقد كان السلطان عبد الله بن إسماعيل قد قاسى من لم شمل المغرب مثل ما قاسى والده مولاي إسماعيل أو أكثر من ذلك، كما عانى الوطن كله أكثر مما أتعب السلطانين معا، في سبيل هذه الأمة المغربية ولم شمل هذا الوطن العزيز المحسود على حد وصية المغفور له الحسن الثاني.

أما مولاي عبد الله، فقد كان في أيام خلافة أخيه منحاشا إلى أخيه عبد الملك عندما كان في وادي نول مقيما معه في بلاد سوس الأقصى، ولما بويع أخوه قدم معه إلى مكناسة الزيتون، إلى أن تولى بدوره في أخبار يطول سردها، وقال الناصري: «ولما كانت سنة 1147هـ / 1734م فسد ما بين السلطان عبد الله رحمه الله، وبين العبيد، لإسرافه في قتلهم، وكان ذلك منه جزءا لهم على قتلهم لأخيه المولى عبد الملك... فأجمعوا على خلعه وقتله... ففر إلى السوس، فنزل بوادي نول على أخواله المغافرة، نحو ثلاث سنين»<sup>(150)</sup>.

ودور الصحراء الإيجابي في المغرب الشمالي، كغيرة المغرب الشمالي على صحرائه في الجنوب، ولنستمع إلى هذه الفقرة في هذا الجانب:

«ولا تمنعنا هذه الأحداث التاريخية التي تبين مدى الارتباط وروح الغيرة التي كانت تجمع الصحراويين المغاربة إلى إخوانهم في الشمال من أن نذكر المكانة التي كان يحظى بها الصحراويون في الإدارة، بالإضافة إلى الجيش، فمؤدب السلطان وفقه نساء القصر، كان من أبناء الصحراء، وهو عبد الله بن عمر المضغري الذي كان مفتيا في درعة وما يليها، وشيخ الجماعة كان هو أبو علي الحسن الثاملي»<sup>(151)</sup>.

ما أشبه اليوم بالأمس! فهكذا كانت العلاقة في عهد السعديين، إلا أنها كانت أكثر في عهد العلويين، وفي هذه المدة، قال صاحب نشر المثاني: «وفي سنة 1149هـ أهلك الله كل من خرج على السلطان عبد الله، وقويت الفتن، وارتفعت الأسعار، وانحبت الأمطار... فتحرك السلطان من السوس، وقد أقبل من وادي نول، فتمت بيعته بكناسة في نفس السنة، وذلك لقوة أتباع هذا السلطان في جنوب المغرب وشماله، وخاصة

(150) الاستقصا، ج 7، ص 137.

(151) الغربي، ص 63.



قبائل سوس الأقصى، مثل أيت باعمران وتكنة ومن في لفهم العرفي، وقد كان أهل سوس والصحراء ومن تصرف منهم مع مولاي عبد الله. (نفس المرجع) فارتفاع الأسعار، وانحباس الأمطار هو الدافع، فلماذا السكوت عنه؟ قال الناصري :

«لما شغب العبيد على السلطان المستضيء ومراجعتهم طاعة أخيه مولاي عبد الله... ولما استصرخ الأول على عبد الله تقاعدوا عنه، لأن عبدة والرحامنة وأهل سوس كانوا شيعة المولى عبد الله»<sup>(152)</sup> وهكذا نجد جنوب المغرب يساهم دائما في تزكية السلطة المركزية، وذلك دليل على استمرار العلاقة مع الصحراء المغربية بقيادة من يروونه شرعيا.

وهذا نموذج من حُطَب ما يسمّى بالعار المطروح على الأمازيغ حيثما كانوا، ومنه في الأطلس المتوسط : «وركب السلطان عبد الله... وأسرع إلى أيت إدراسن، وهم بسهب عشار، فدخل محلة عبد الله بن يشى (يَكَا) منهم، وقلب سرجه وسط جموعهم، فالتفّ عليه من حضر منهم وقالوا :

«ما الذي ناب مولانا؟ فقال : جئتكم لتنصروني على هذا الجبلي (الباشا الريفى) الذي كان خدينا وعبدنا وأطغاه ما جمع من المال في خدمتنا، ثم أراد أن يفضحنا، وجراه علينا أخونا المستضيء، وأراد الاستيلاء على بلادنا، وهي في الحقيقة بلادكم، وما قصد إلا إهانتكم، وأنتم أحق من ينصر أهل البيت، ولا يتحمل العار، والسلام»<sup>(153)</sup> وهذا النوع من «العار» هو الذي يستولي به كل ثائر يريد السلطة بشرع أو بدونه، فيجر وراءه الدهماء، فقد يصل وقد لا يصل، والذي يهمننا هنا في هذه الأحداث بين الطامعين في شمال المغرب، كان المغرب الجنوبي من حظ مولاي عبد الله، كما ورد عند ابن زيدان قائلا : «واستولى السلطان عبد الله على مراكش والسوس والصحراء»<sup>(154)</sup>.

«وفي سنة 1147هـ ثار بأقصى سوس أبو محمد عبد الله ومحمد الكورسيقي ودخل أكادير بالسيف، وأمر بإعلان جهاد أهل أكادير، وأنهم عصاة حطب جهنم!» (نفس المرجع) وهذا غاية في التطرف كما في الشرق حاليا، ولن ينجح في المغرب. مثل ذلك أبدا.

(152) الاستقصاء، ج 7، ص 101.

(153) الاستقصاء، ج 7، ص 160.

(154) إتحاف أعلام الناس، ج 3، ص 146.

## وفاة السلطان عبد الله بن إسماعيل :

قال الناصري : «ثم دخلت سنة 1163هـ (1749م) قدم المولى محمد بن السلطان عبد الله من مراكش إلى مكناسة، فوجد العبيد لا زالوا يخطبون به، فعاتبهم على ذلك وقال لهم : «أنا بريء منكم ومن فعلكم هذا، وإنما أنا خديم والدي» فتركوا الخطبة وراجعوا بصائرهم وجددوا البيعة (لعبد الله) وكانت هذه هي البيعة السابعة للعبيد مع السلطان عبد الله»<sup>(155)</sup>.

والسبب في ذلك قال المؤرخ صاحب البستان : «نفرت قلوب الجند والرعية عنه» أي على السلطان عبد الله. في الوقت الذي مال الكل إلى سيدي محمد بن عبد الله بعد موت والده سنة 1171هـ (1751م).

وكان هذا السلطان ميمون الطالع منذ تعيينه نائبا عن والده بمراكش، قال الناصري : «فكان ذلك أول انغراس شجرة الملك العلوي بمراكش» (الاستقصاء ج 7 ص 193) «ولما كانت سنة 1199هـ غزا بلاد سوس، وقرر الحامية بتارودانت في خبر يطول ذكرها، وفي مراكش تمت له البيعة الكبرى، وقدمت عليه وفود السوس» ولم يتخلف عنه أحد من أهل المغرب : (الاستقصاء ج 8 ص 4) وتقدم إلى أصحابه بأن يعاملوا أصحاب أبيه بالتوقير والاحترام، فمن ظهرت نجابته أدناه، ومن لا عبرة به أقصاه.

ولما استتب الأمن في شمال المغرب، اعتنى بجنوبه انطلاقا من عاصمة سوس تارودانت، ثم عالج مشكلة الطالب صالح بأكادير، ثم أسس مدينة الصويرة، لأن حصن أكادير كانت تتداوله الثوار من أهل السوس مثل الطالب صالح؟

وبتأسيس ثغر الصويرة، استمرت العلاقات مع الدول الأروبية، فتطور ذلك في اتجاه تجديد عظمة المغرب في عهد هذا السلطان، كما تتابعت العلاقات والبعثات بين المغرب والخارج، فكانت قوافل التجارة الصحراوية تتبادل في الصويرة ما دام الأمن متوفرا، والوصل متصلا، والعمل واحد، والبيعة موحدة.

وفي سنة 1182هـ «بعث هذا السلطان ابن عمه علي بن الفضيل، وكاتبه أبا عثمان سعيد الشليح الجزولي إلى بلاد السوس، لجمع عبيد المخزن الذين بها، وكذلك في إقليم»<sup>(155)</sup> الاستقصاء، ج 7، ص 182.



طاطا، وأقسا، وتيشيت» (الاستقصاء ج 8 ص 35) ومعنى ذلك أن الأمن كان شاملا في الجنوب، وتطور شمال المغرب بحاجة إلى قوة أكثر لعزومه على تحرير مدينة مازيغن (الجديدة) فشارك أهل سوس في جهاد تحرير البريجة مثل المغاربة أجمعين، وقد سجل التاريخ نموذجا انتحاريا من اختراع البورتغال، لما خرجوا من القلعة إذ تركوا منها «رجلا حدادا اسمه بطرس فيقال : إنه هو الذي أوقد المينا عند دخول المسلمين إليها، فهلك فيها نحو خمسة آلاف مغربي، وتهدم السور الجنوبي منها»<sup>(156)</sup>.

كان المخزن المركزي في عهد السلطان محمد بن عبد الله منشغلا بالعلاقات مع أوروبا، وخاصة ما يتعلق بأسرى المسلمين، لأن المغرب الجنوبي وباقي أقاليم الجهات، كان الكل مساهما ومشاركا في تحرير البريجة التي أعجزت من سبق هذا السلطان، ويحريه آخر جيب استعماري على سواحل المحيط الأطلسي، تمت البيعة الشرعية المقرونة بالجهاد لهذا السلطان، فلم يعد هناك من يدعي القيام بتحرير البلاد والعباد من المنتهزين. المستغلين لظروف خاصة.

وفي هذا الاتجاه، استمر هذا السلطان في تحرير أسرى المغاربة، فنجح في ذلك كل النجاح، ثم استمر في فك أسرى الجزائر مقابل أسرى الإسبان، فاستمر في فك أسرى المسلمين وإليك هذا النص :

«وفي سنة 1182هـ كتب طاغية الإصبيول إلى السلطان يقول : إنه لم يبق ببلادي أحد من أسرى أبايتكم، ولم يبق عندي إلا أسرى أهل الجزائر الذين عندهم أسرانا، وطلب منه مع ذلك أن يتوسط له عند صاحب الجزائر في المفاداة بينه وبينه...» وفعلا تم هذا العمل الإنساني لهذا السلطان<sup>(157)</sup>. ومن يستطيع أن ينكر هذه الأخوة قديما وحديثا ؟

وفي سنة 1184هـ غزا هذا السلطان مدينة مليلية، لكن لم يتم ذلك لخطأ في وثيقة الصلح التي حرقها الإسبان، كما اشتغل هذا السلطان بترويض جسارة عبيد المخزن» وكان قيام هؤلاء العبيد سببا لافتراق الكلمة، وانحلال نظام الملك بالمغرب، وسرى فسادهم في القبائل كلها عربا وبربرا، وكثر الهرج وانحبس المطر، ووقع القحط، وعظمت

(156) الاستقصاء، ج 8، ص 37.

(157) الاستقصاء، ج 8، ص 38.

المجاعة، أكل الناس فيها الميتة والخنزير والأدمي ! واسمر الحال على ذلك نحو من سبع سنين : 1190-1196هـ. وتسمى هذه الكارثة بمجاعة تسعين في عقود أيت باعمران ببيع الثنيا والإقالة، متى وجد الثمن وجدت الإقالة، إذ كان البعض يبيع فدانه بعبرة واحدة من الزرع فيرحل، لكنه لما رجع يسترجع عقاره إذا نجا من هلاك تلك المجاعة، وقد اختلف الفقهاء حول هذا البيع، لكن جرى به العمل بالقاعدة : ارتكاب أخف الضررين..

وكان هذا السلطان رحمه الله قد رتب الخبز في كل مصر، يفرق على ضعفائهم في كل حومة وأسقط في تلك المدة جميع الوظائف والمغارم عن قبائل المغرب، إلى أن عاشوا وتمولوا. (الاستقصاء ج 8 ص 49) ونحمد الله على تقدم المغرب والمغاربة، ويجب أن يتذكر المغاربة مجهودات أجدادهم ..

وقد تحمل هذا السلطان الكثير، لتجاوز محنة هذه المجاعة، فانتعشت البلاد والعباد، وفي سنة 1199هـ ولي السلطان ولده المولى عبد السلام على تارودانت والسوس وما إليها، أي سوس الأقصى بكامله، وهو الصحراء المغربية، وقد انتعش المغرب بعد الأزمة المذكورة، واستمر ذلك إلى أن توفي رحمه الله سنة 1204هـ 1789م. «فوتب عبيد الثغور على بيوت أموالها وفتحوها واكتسحوها، وقد كانت لهذا السلطان هبة عظيمة في مشوره وموكبه وفي علاقاته مع الدول والأجناس، وعهده حافل بالمجد، وتاريخه مشهور»<sup>(158)</sup>.

### السلطان يزيد بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل :

أمه علجة من سبي الإسبان، كان شغوبا بالملك، بسبب الذين يفتلون له في الذروة والغارب، رغم أنه كان عند والده بعين العناية ملحوظا، ومن النقائص محروسا ومحفوظا، ولما تولى أظهر معاداة الإسبان، وصمم على حربهم، وهو في بداية أمره، في شمال المغرب، فإذا بأهل الحوز ينتقضون عليه، فجرح في معركة بموضع يقال له تازكورت، فجرح، فكان في ذلك حتفه. رحمه الله. وذلك الواحد والعشرين من جمادى الثانية سنة 1206هـ/

(158) (الاستقصاء، ج 8، ص 61).



1791م ولكي نعرف علاقة أيت باعمران بهذا السلطان يزيد: ينبغي أن نلخص الظروف العامة بعد وفاة والده وعلاقته به حسب ما لدينا كما يأتي:

- 1- كان بعض الأمراء من أولاد السلطان، يتسابقون إلى خلافته في حياته.
- 2- كان المولى يزيد هذا سابقا إلى الإمارة مرارا في حياة والده لكنه فشل.
- 3- كانت المواصلات تقليدية في ذلك العهد بين جهات المملكة المغربية الواسعة.
- 4- كانت القاعدة أن يسرع أهل الحل والعقد ببيعة مستعجة سدا للفراغ.
- 5- جرى العمل بتلك السرعة في عدة أقاليم، والدستور لم يعرف بعد، فتنازع الأمراء حق الأسبقية فيما بينهم.

6- في مثل تلك الظروف يظهر المنتهزون والمشعوذون، بل حتى من ليس له يد في العير ولا في النفير، والناس لا يعرفون ما يقع في جهات من الوطن، وقليل من يدرك أهمية المواصلات والاتصالات التي جعلت العالم اليوم قرية مكشوفة أمام الجميع في كل آن وزمان، وفي تلك الظهور، ظهر مجهول في أيت باعمران باسم السلطان يزيد، فتعرض أيت باعمران لغواية كاهن يزعم أنه السلطان مولاي يزيد العلوي، طالبا منهم استرجاع حقه من خصومه في معركة تازكورت (الحجلة) بحوز مراکش ضد أخيه الأمير هشام، وزعم هذا المشعوذ أنه الأمير المنتهزم في معركة تاسكورت عام 1206هـ/ 1791م. ولم يشك أيت باعمران في تلك الشخصية المجهولة فبايعوه، «ووصف بأنه زنديق ملحد، جبار عنيد، فاتك لأهل الفضل، غصاب للأموال، ساحر كذاب» (السوسي رجالات العلم ص 89) أثار فتنة لا تبقى ولا تدر، إلى أن وصل خبر معركة تازكورت التي جرح فيها المولى يزيد فمات، فبايع أهل الهبط شقيقه مسلمة، وبايع أهل فاس مولاي سليمان، في هذا الوقت، أعلن بوحلاس الصغير بأيت باعمران؟ أنه هو السلطان يزيد بن محمد بن عبد الله بن مولاي إسماعيل العلوي، يريد مناصرته منهم، من أجل استرجاع حقه المزعوم من الغاصبين بمراكش، ومعنى ذلك أنه حي لم يميت في تلك المعركة. ففعل مثل أهل مراکش، وأهل فاس لفقدان الدستور الوضعي.

ولما كانت الأخبار الصحيحة لم تصل بسرعة إلى تلك القبائل بسوس، زعموا أنهم على حق، وخاصة لما اشتغل شمال المغرب بأمر آخرين دون إشراك الجنوب معهم،

وحسب ما سجل عن بوحلاس الصغير هذا أنه سحر أعين الناس واسترهبهم، فبايعوه بيعة لا أساس لها في نظر الشرع بالنسبة للبعض، بينما بالنسبة لمن بايعه فذلك هو عين الصواب، فانتشرت الفتنة قبل أن يطلع أيت باعمران على الحقيقة، ولما تبين لهم ذلك، انفضوا من حوله.

والعجيب في الأمر، أن كل من أرخ له لم يذكر اسمه أو أصله، بل اكتفوا بكلمة بوحلاس صاحب البردعة، ومن مزاعمه وكراماته ووعوده الكاذبة، أن لا حدود لخيراته وفضائله، وأنه المهدي المنتظر، ولا مجال لمقاومته، فأوقد نار الفتنة في الجنوب كله، كان وقودها الطلبة المعارضون واليهود على السواء، وكان يدفنهما في حفرة واحدة؟ وهناك من وسمه بالمشعوذ بوحلايس أو (بوحلاس)، بعدما تبين أنه ليس بالأمير يزيد العلوي، لكنه - بلا شك - كان عارفا بأحوال شمال المغرب، وما انتشر فيه من اضطرابات سياسية، كما أن أهل مراکش يقولون لأيت باعمران: تعالوا لتروا قبر يزيد المقتول في المعركة، وذلك لا يعد دليلا ماديا مقنعا، بل لا يصدقه حتى البسطاء، بقدر ما يثير سخريتهم ويزكي مزاعم الثائر.

وها هو فصل الخطاب «وأما أهل سوس لما سمعوا بأن مولاي يزيد كسر أخاه هشاما وهرب بناصر، فزعوا من السلطان رحمه الله، فأسرعوا له بالهدايا من كل قبيلة كأهل حاحة والصويرة وأهل سوس وتارودانت وهوارة وأشتوكة وأهل أكادير واكسيمية وأهل رأس الوادي إلى وادي نون والشياطمة وأهل الدير وغيرهم كل هؤلاء القبائل وردوا عليه بالهدايا للسلطان رحمه الله، فلما سمعوا بخبر موته رجع كل واحد منهم إلى موضعه» (تاريخ الضعيف ص 238) بانتشار هذا الخبر، أعلن مجهول بأيت باعمران، كما في «وثيقة للقاضي الطيب بوراس الخلفاوي الباعمراني الحاضر في معركة قرية العوينة فسماه يزيد بن محمد بن عمر» (في حوزتنا).

«شاع في المغرب الشمالي أن هذا الأمير يزيد العلوي عرف بابتزاز القوم، قاسيا على اليهود - وما أنه في بداية أمره - فهو بحاجة إلى المال. «فاستنزف أموالهم، وأخرجهم من ملاحهم، وأمر بحفر قبورهم التي مرت عليها أكثر من ثلاثمائة سنة، في المكان المعروف



بالجيسة بفاس، وسمي مدينته باسم خيبر، ومنع أن لا يلبس يهودي ولا يهودية لباسا أخضر، وقتل كل اليهود الكبار الذين خدموا أباه سمت جلالته، وأحرقت كثير من أسفار التوراة، وبدل كثير من اليهود دينهم<sup>(159)</sup> ولا يخلو ما ذكر من مبالغة استغلها الناثر بوحلاس الصغير، (تميزا له عن الكبير) وأقنع بها من تبعه من البدو ومروجي المهدوية، والمجاعة على أشدها.

والذي يهمننا من هذا المختصر، أن الناثر بوحلاس في أيت باعمران، قد قلد كثيرا من أمثاله، ففي سنة 1197هـ «كانت فتنة الدعي محمد ولحاج اليموري، وكان يزعم أنه من الأولياء، ويتكلم في الغيبات، ويشيع أنه ينتظر صاحب الوقت (باب ن السعت أي المهدي المنتظر) فسرى فساده في قبيلته ونجاوزها إلى غيرها»<sup>(160)</sup> وهناك «فتنة عبد الله بن محمد الكرسيفي مدعي المهدوية بالسوس واقتحم حصن أكادير .. وفعل بأهلها ما يخجل وجه المروءة، وخيم بفوتتي ومنعهم من الماء حتى مات جل تلك البلاد نساء ورجالا ويقول إن ثلثهم نصارى وثلثهم يهود وثلثهم عصاة حصب جهنم ..»<sup>(161)</sup>

وهكذا نرى أن بوحلاس ادعى بالشعوذة استرجاع ملكه ! فكيف صارت الأمور إلى هذا الحد ؟ إذ لا دخان بلا نار، وقد سجل ما يأتي :

1- إن الأمير المولى يزيد العلوي، سبق له أن أقنع الدهماء بحقه في الملك، ولو ضد والده عدة مرات في شمال المغرب، لذلك تمص بوحلاس شخصية يزيد هذا، فسهل عليه أن يعلن أنه هو، وأنه أولى بالملك المغتصب من غيره، وقلة المواصلات والاتصات، كافية بقطع الصلة بأخبار عواصم الشمال وما دار فيها من الأحداث الخاضعة لتفسيرات لا حد لها.

2- ولما كان المولى يزيد العلوي يستعين بالأماكن المباركة، ويلجأ إليها عند الضرورة في شمال المغرب، فإن بوحلاس الساحر، أعلن فتنته في مسجد مبارك في أيت باعمران يسمى بوتزكيدا، في قبيلة إدموساكن شرق مدينة إفني بعشر كلم، وهناك أظهر لهم خوارقه للعادة، بالنسبة للعامة في مجتمع فلاحي، وفي عهد مسغبة لا تبقي ولا تدر،

(159) كتاب تاريخ التواريخ كلية الآداب تطوان، ص 112.

(160) الاستقصا، ج 8، ص 50.

(161) الإتحاف، ج 4، ص 406.

فكيف لا يتبع القوم من أفاض عليهم السمن والعسل وهم جياح في فترة جفاف مستمر ؟ كما مناهم بالخير والغناء، وأنه غالب على كل من عاداه ؟. والبدواة تضرب أطنابها، والحاجة تساهم في تراكم الأتباع.

3- وفي يوم ذكرى عيد المولد النبوي الكريم، أعلن فتنته تحت هالة مما يغري الفقراء ومن تبعه. ممن يطمعون فيما ليس لهم إليه سبيل، أو كانوا مدفوعين من شيوخ القبائل مكرهين تحت طائلة الظروف. الاقتصادية على الأصح.

4- ولما كانت أقلية من الفقهاء كالتاساكاتي والأدوزي هما اللذان كشفوا أمره وأشاعا يهوديته، صار بوحلاس، يقتل اليهود ويدفنهم مع الطلبة في حفرة واحدة، لأن الفقهاء أثاروا الناس عليه، وقتل اليهود لأخذ مالهم، وإزالة تهمة نسبة إليهم، وكثيرا ما يستعمل لفظ اليهودي في عزل شخص ما، لأن اليهود كانوا يسيطرون على الرواج التجاري في معظم المغرب الجنوبي عبر القوافل، حتى كونوا إمارة تجارية في إيران بجزولة، وهم في الحقيقة يهود أمازيغ، اختصوا بالرواج التجاري حتى مع الخارج، بل لهم تأثير حتى في صناعة عملة المغرب. محليا وفي الخارج، وما زالت نجمة داود عليه السلام في بعض النقود المتداولة.

5- قد يكون ما قيل عن المولى يزيد العلوي صحيحا، ما دام قد شق عصا الطاعة حتى على السلطة المركزية مرارا، كما لا يبعد أن تضاف أقوال أخرى لتنفير الناس منه ومن طموحاته، كما أن الامبراطورية المغربية واسعة الأطراف، وخاصة في ظروف المجاعة التي ظهر فيها هذا الناثر في وسط أيت باعمران.

#### الفقيه التاساكاتي :

«محمد بن أحمد من إلأسن الماسي توفي 1214هـ، ودفن في مقبرة سيدي واساي. عبد الرحمان الرندي الأندلسي، والتاساكاتي فقيه متمكن، صوفي مؤثر، أستاذ مرب ومكون، اشتهر بمقاومة ناثر يزعم أنه السلطان يزيد بن سيدي محمد بن عبد الله العلوي، ثار في بعمرانه، ثم لم يلبث أن انتشر أمره، فاتبعته القبائل طوعا أو كرها، ثم تكون له جيش زحف به إلى إيران، حيث نهب قبائل إيران التي تدفع عن الأستاذ الذي قام



ضده أيضا، في أمسرا سيدي أحمد بن سعيد، فنهب هناك ما نهب بعد انهزام الناس أمام جيشه الكثير.

وفي وقت نزوله في تيمولاي السفلى، وصله رسول من عند التاساكاتي يعلن له به العداوة، ففتك به، فأطلق عليه [أبو الرجاء] إلى الآن، وهو في ضريح قبة في تيمولاي...  
ومن لبي نداء التاساكاتي قبيلة الولتيتين بجيش عدته إثنا عشر ألفا، رابط في تازروالت، فاستدار بوحلاس من إفران إلى لخصاص، فنزل إلى أزاغار، وقد كان الجراريون وبعض أهل العوينة من شيعته، لما رأوه منه من المخارق التي تخالف العادة؟ فاضطرب جيش الناس بتيزنيت، وقد توافرت قبائل هشتوكه وولتيتة، ثم صمدوا إليه بالعوينة، فألقي في مطمورة أحرق فيها. قتل في ظهر الثلاثاء في شعبان 1207هـ/1791م<sup>(162)</sup>.

وعن الأستاذ سيدي محمد بن أحمد (معروف بفقهاء مدرسة بويزاكارن) قال: «رأيت مخطوطة تتضمن أن أهل (إفران بجزولة) كلهم اجتمعوا في (أساكا) حيث مسكن سيدي أحمد بن سعيد، فاتفقوا على أن يحاربوا الثائر (بوحلاس) الذي كان توجه إليهم إذ ذاك بجيشه القبلي، على أن يتكاثفوا على دفاعه، وأرخ ذلك بسنة 1207هـ» (نفس المخطوطة).

وهذا المخطوط يوجد تحت يد الفقير أحمد بن محمد من إدغلي همو من أمسرا، وفيه ذكر هذه الحرب التي تمت بغلبة (بوحلاس) على (أساكا) وعلى كل (إفران) وتانكرت إلى قرية إيرز... وذكر صاحب المعسول: «سمعت من شيخنا سيدي الطاهر، أن (أساكا) نهبها جيش (بوحلاس) فذهبت كل الكتب التي لأهلها إلا ما كان من نسخة لكتاب (القرطاس) فإن صاحبه خبأه في خلية نحل، فوجده بعد الرجوع في محله» قال سيدي محمد المحدث: «إن قبائل (تكنة) هي التي نصرت واحتشدت في جيش (بوحلاس)»<sup>(163)</sup>.

وهناك رواية تقول: «إن بوحلاس، سبق أن ظهر في جهة تامانارت، فطلب من رجل عظيم هناك؟ أن يعينه على استرجاع ملكه، زاعما أنه المولى يزيد، فأرسله ذلك

(162) خلال جزولة، ج 4، ص 46.

(163) المعسول، ج 12، ص 217.

التامانارتي، إلى صهره في أيت حريل، الذي أرسله بدوره إلى أيت باعمران، قائلا له: إن أيت باعمران إن ناصروك فلا أحد يتأخر عنك، ولا تخلو هذه الرواية من الغموض، كما تشبه رواية محند أوغلي أمصاگ. في قصة تامدولت المعروفة، والثوار دائما يستغلون من تبعه الجمهور..

وها نحن نعر من جديد على ما يخفف من مسؤولية أيت باعمران، فإذا قال سيدي محمد أو محمد المسراوي هذا: «إن قبائل تكنة هي التي نصرت واحتشدت في جيش بوحلاس» فإن مكانة هذا الأستاذ ومقلبه ومستواه كمرجع لا تجحد، وقد عرفته واستفدت منه، وأعارني مخطوطا للأدوزي حول بوحلاس لمدة أسبوع. الذي هو [نزهة الجلاس، في أخبار بوحلاس] بخط الوثائقي الحسن بن البريك في موضع بورمضان البوبكري الباعمراني بخط جميل، كتبه عندما كان يدرس في بويزاكارن عند الفقيه المذكور، والحسن هذا هو الأخ الشقيق للعبقري أحمد الوثائقي، وكلاهما أخذوا عن عمنا جهادي محند في مدرسة أيت بوبكر سنة 1936م.

فإذا كانت شهادة المسراوي فرغت فتنة بوحلاس ووسخه على أعراب تكنة النازلة جنوب أكلميم، فإن أيت باعمران اعترفوا بذنبهم، على لسان القاضي جهادي منحد الذي كان يردد باستمرار قوله:

«إن بوحلاس كاهن ساحر، كاد كيدا أيت باعمران بزعمه أنه السلطان يزيد، الذي رجا منهم أن يناصروه على من غصب منه حقه الشرعي في الملك، ولم يشك أحد بأنه كان على حق، وأيت باعمران من عادتهم أن ينصروا المظلوم، ولو بتضحية دمائهم بمجرد ذبيحة العار على عتبتهم»<sup>(164)</sup>.

اختار هذا الثائر زاوية تآذرت في إدموساكننا، وسط أيت باعمران «ولذلك المقام مروجات غيبية منذ القديم، كما قالوا بأن المهدي المنتظر سيظهر في رباط ماست، وغير ذلك من الأمور» (نفس المرجع) اختار هذا الساحر يوم ذكرى عيد المولد النبوي، فسحر أعين الناس بكرامات، فلم يكن أحد ينكر ذلك من فيض السمن والعسل على الأواني يوم عيد. المولد، بعدما خلا وحده بالمسجد. مدة، ثم أمر بالدخول فوجد الناس

(164) القاضي جهادي محند.



الأواني تطفح بالخيرات، زعم أنه المهدي المنتظر، وأنه سيغني كل من معه من جنوده، وأنه سينتصر على كل من عاداه.

لكن لما اطلع أيت باعمران على حقيقة الكاهن، انفضوا من حوله في قرية العوينة بجوار تيزنيت، وقد فتك بالثائر المذكور في شعبان سنة 1207هـ/1792م بعدما ثار قبل ذلك بشهرين، وادعى أنه المولى يزيد بن سيدي محمد بن عبد الله العلوي المتوفى سنة 1206هـ/1792م فتك به على يد الفقيه محند بن أحمد التسكاتي السوسي، لأنه كانت له فنون من السحر والشعوذة بالقطر السوسي (نفس المذكرة) وهناك تفاصيل في مخطوط. «في نزهة الجلاس المذكور للأدوزي السملالي شارح المرشد المتوفى 1221هـ» (دليل مؤرخ المغرب الأقصى بن سوادة ج 1 ص 229).

وفي حوزتنا وثيقة للقاضي الطيب بوراس من أيت إخلف الباعمراني منها «أنه حضر في حصار بوحلاس في قرية العوينة، بعدما تخلى عنه أيت باعمران، وأعلن المحاصرون أن بوحلاس ساحر يتشكل في كل شيء، ولذلك يجب قتل كل ما ظهر من قرية العوينة إنسانا كان أو كلبا أو طائرا، حتى لا يفلت الساحر، ولما قتل احتز رأسه وشوي على النار كالخروف، فعرض على الناس مشوها سنة 1207هـ»<sup>(165)</sup>.

وهذه وثيقة أخرى بعنوان: «مصيبة وقعت في بلاد بعمرانة، حين ظهر الرجل الذي يزعم أنه مولاي اليزيد بن محمد بن عمر في أسير، (بوتز كيدا) وذهب إلى إفني، فنصره جهال بني بعمرانة وبني التكنة وبني الأخصاص، بلا مشورة علمائهم، ولا طلبتهم، فبدأ بالموت بالعلماء بلا مكر سبب، وبعد ذلك بحرق اليهود قبل موتهم، فذهب هو ومن معه من القبائل المذكورة وغيرهم، وكلهم جهال إلى أكلميم فهدموه، وبعده ذهبوا إلى إفران فهدموا بعضهم فهرب منه العلماء، لجهله، فذهب بعد ذلك إلى العوينة هو ومن تبعه من الجاهلين، وتعرض له الولي الصالح سيدي محمد أوتسكات به وُسم، هو وجميع الفقهاء بنو هشتوكه وبنو والتيت، ومن تبعهم من المجاهدين، فكسروه مع قومه، وكانت الفتنة العظيمة، يوم الاثنين الثالثة عشر يوما من شعبان، عام 1207هـ وحبسوه هو وقومه

(165) القاضي الطيب بوراس الخلفاوي.

يوم الثلاثاء في قصبة العوينة إلى يوم الأربعاء، فدخلوا عليه هو ومن معه، فقبضوه فحرقوا رأسه ورجليه، لا رحمة عليه، لعنه الله إلى يوم الدين، والسلام كما وجدت بها بخط سيدي سعيد بن علي بن بني براس الخلفي، ونقلتها حرفا بحرف عبد ربه محمد بن عبد الكريم بن محمد الغرابي الكناني أماته الله مسلما بجاه عين الرحمة صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليما في 19 يوما من جمادى الثانية عام 1362هـ (في حوزتنا) عرفت هذا الفقيه الناقل، وهو رجل صوفي متدين، بموضع تيغراتين، لا يفارق لسانه قراءة القرآن، وفي خزائنه مخطوطات وفقهيات، لعله أخذ عن الأدوزيين، أخذت عنه ما تيسر في آخر حياته، فهو أسير ركوعه وسجوده، وردة القرآن، يصلي الركعات بأرباع الأحزاب، قليل الكلام، إذا سئل أجاب بنص محفوظ لديه ولا يزيد.

أشار مؤرخ سوس إلى ما أورده المؤرخ الضعيف حول علاقة السلطان مولاي سليمان ونلخص ذلك فيما يأتي: «وفي عام 1222هـ أراد السلطان النهوض لناحية مراكش ثم لناحية سوس الأقصى... ثم سار من مراكش للصويرة إلى بني تامر، إلى أكادير على تامراغت على ساحل البحر، ثم نهض إلى ماسة على ثلاثة أيام من أكادير، ثم سار على أكلميم، ثم إلى زاوية أسا، ثم إلى الساقية الحمراء، ثم بلغ السلطان لتازروالت، وزار سيدي أحمد أموسى. ووصل السلطان لدار سيدي محمد وتساكات، فوجده قد مات، لأنه كان في حياته يقول لأهل سوس: إن مولاي سليمان سلطان يبقى حتى يأتي لداري هذه. فكان الأمر كذلك»<sup>(166)</sup>، والعجيب في الأمر انفراد الضعيف برحلة السلطان سليمان هذه التي تشبه تماما رحلة مولاي رشيد وبعده رحلة مولاي إسماعيل، وكونها غير مذكورة في أيت باعمران ولو بإشارة إليها، أما مراسلة هذا السلطان للتساكاتي وغيره فمن جملة المراسلات إلى جميع الجهات. وإلى رحلته هذه ما أشار إليه صاحب المعسول عن الضعيف بأن هذا السلطان همس في همة الأعيان بسوس.

### فتنة بوحلاس:

معلوم أن أزاغار سوس هذا، قد شهد معارك متعددة لأسباب مختلفة، منها ثورة بوحلاس الصغير هذا في أيت باعمران، ذلك الثائر الذي أحدث فتنة لم تدرس بكيفية واضحة حتى الآن، وهل بوحلاس هذا يهودي أم لا؟ وهل هو السلطان مولاي يزيد

(166) تاريخ الضعيف، ص 341.



حسب ادعائه أم لا؟ وهل كلمة تعالوا أيها الباعمرانيون لتروا قبر يزيد بمراكش مقنعة أم لا؟ فكل ما شاع عنه أنه كان يزعم أنه مولاي يزيد، ذلك الثائر في المغرب الشمالي عدة مرات على السلطة المركزية، وضد والده بالذات.

بحثنا كثيرا عما يدل على موت السلطان يزيد بعد معركة تاسكورت، إلى أن عثرنا عند المؤرخ الضعيف قوله: «هذا قبر السلطان مولانا اليزيد الذي حرك من الغرب بخمسة آلاف ونصف، وهزم أخاه مولاي هشام بأربعة وأربعين ألفا ونصف، والبقاء لله تعالى»<sup>(167)</sup>.

ويميز المؤرخون بوحلاس الفتان بأيت باعمران بقولهم: «ثار أيضا ساحر بمن طرق سوس لا يدري أصله، وذلك سنة 1207هـ وهو بوحلاس الصغير» (المعسول ج 14 ص 26) وهذا الصغير هو الذي ظهر في بوعمرانة في عهد السلطان سليمان، وقد سبقه إلى ذلك فتان آخر في صحراء فيجيج في عهد السلطان محمد بن عبد الله «اسمه أحمد الخضر، فكان يزعم أنه المولى عبد الملك، ثم صار يزعم أنه داعية، وقتل الناس بتلك الجهات، وجرت على يديه حروب وخُطوب»<sup>(168)</sup>، وكلا الثائرين يفترى على النسب العلوي ويتشيع بالمهدوية.

وورد أيضا: «أن المولى هشام الأخ للسلطان المولى يزيد، استجاش عليه قبائل دكالة وعبدية، وقصده في مراكش، فبرز إليه المولى يزيد، ولما التقى الجمعان بموضع يقال له تازكورت (الحجلة تاسكورت) بالأمازيغية ولذلك يتشاورم المسافر في بداية سفره بمصادفتها في البداية! هذا الطائر الجميل، لولا أنه مرتبط بفتنة ظلما فانهزم جمع المولى هشام، وتبعهم المولى يزيد، فأصيب برصاصة في خده، فرجع إلى مراكش يعالج جرحه، فكان في ذلك حتفه رحمه الله، وذلك أواخر جمادى الثانية سنة 1206هـ/ 1791م. ودفن في قبور الأشراف قبلة جامع المنصور من قصبة مراكش»<sup>(169)</sup>.

وإلى هذا التاريخ يرجح الأدوزي فتنة بوحلاس الصغير، أي سنة 1206هـ وموت المولى يزيد زعم الثائر بوحلاس هذا أنه هو ذلك الأمير، وأنه لم يميت، إلى أن قتل في قرية العوينة المنسوبة إلى عائلة إداؤبلال غرب تيزنيت بعدة كلم عام 1207هـ/ 1792م. وذكر أن السلطة بمراكش راسلت أيت باعمران حتى لا ينخدعوا بهذا الثائر، بل طلبت

(167) تاريخ الضعيف، ص 38.

(168) الاستقصا، ج 8، ص 19.

(169) الاستقصا، ج 8، ص 83.

منهم أن يرسلوا من يتأكد من موت مولاي يزيد وقبره!؟ لكن ذلك بعد فوات الأوان، لقلة المواصلات السريعة، ولأن للثائر خوارق للعادة حسب سذاجة الغاوين، وخاصة بالنسبة للمجتمع البدوي البسيط، الذي اقتنع الناس بمزاعمه في عيد المولد النبوي، بأحد المساجد المبارك في أيت باعمران، يسمى بوتزكيدا ن تادارت ند موساكننا بوسط أيت باعمران، وبها مدرسة عامرة بالقرآن الكريم. على الدوام.

نعم: يمكن إقناع الدهماء بسهولة، لكن فما بال الفقهاء والأعيان ورؤساء القبائل وأهل الحل والعقد؟ وأصحاب الرأي والنقد، أليس منهم رجل رشيد؟ ليكتشف السر فيما بين خروج الناس من المسجد بأمره لمدة قليلة؟ وبين رجوعهم إليه ليجدوا الأواني تطفح وتفيض بالسمن والعسل! ثم فعلت التصلية فعلها.

إن ما قام به هذا الثائر، لا يعد معجزة ولا كرامة، ولكنها خديعة من باب [أمر تدبر بليل] وحتى ما سحر به أعين الناس فمن جنس ما عرف به أيت باعمران من كرم الضيافة بالسمن والعسل، حتى سميت عندهم تيمكيلت (السكيرة) المملوءة على الدوام بتاگورامت (المحترمة) التي لا تخلو منها دار تقدم للضيف دائما في انتظار الإطعام، وهي لتفكه منها بمقدار فقط.

والحق أن هناك عوامل تظافرت كلها في خلق هذه الفتنة منها، معرفة جنوب المغرب بتعدد الأمراء في شمال المغرب، دون إشراك الجنوب، فقام السوسيون بدورهم برئاسة أيت باعمران، بنصر شخصية مناسبة بتزكية أهل الحل والعقد، وساهم في جمع القبائل شدة الجفاف وظهور الوباء في نفس السنة، فشغل تعدد الأمراء جهات الشمال من هنا وهناك، فقام ساسة الجنوب بتوجيه ساكنته نحو المنتظر والغيب المجهول، والمهم هو شغل المجتمع بالمشاركة في ظروف القاهرة يصعب التحكم في إقناع شعب إذا ثار ضد الظلم والمجاعة وأطماع المحرومين.

### دور الفقيه التاساكاتي بعهد من مولاي سليمان:

«برح الفقيه سيدي محمد أوتساكات بماست البعاقلي، ونادى أيت باعمران إلى الجهاد سنة 1207هـ وكان هناك فقيه بودراري شارط في مدرسة خميس أيت بوبكر



في تلك السنة، وهو أول من أشهر في أيت باعمران أن الذي بايعوه هو يهودي، لذلك أرسل إليه المدعي جنديين فوجداه يدرس لطلبته : باب الشهادة في الشيخ خليخ، أو ما في معناه، فأخذه إلى موضع إدوقير القريب من ضريح الصالح سيدي إفني، حيث نزل ذلك المدعي بمن تبعه، وهناك قتله مع أحد تلاميذه، وقال لهم بوحلاس : [إن من هدم مدرسة أيت بوبكر أجره أكثر من بناها] وذلك لإغراء الجهال إلى محو ما غرس فيها ذلك الفقيه المقتول» (نفس المذكرة).

«وأما كلمة بوحلاس فتعني الأكاف، وأصل الكلمة أحلاس ملازمته ظهور الدواب، فهو مجهول ظهر سنة 1207هـ في قرية تاسريرت (الهضبة) بأيت باعمران، يدعي حيناً أنه المهدي المنتظر، وحيناً أنه السلطان يزيد بن سيدي محمد بن عبد الله العلوي، وكان يركب بردونا ملاً أكافه (بردعته) بقراطيس فيها رموز سحرية، تبعه كثير من العامة، مغترين به، بل حتى معظم الفقهاء ما عدا الشهيد المذكور» (نفس المذكرة) وهناك تلميذ آخر أرسله أوتساكات بعد ذلك في جهة أمسرا في بودرارة، فقتل كذلك، وكان عمنا جهادي محند هذا، يتأسف كثيرا لمشاركة أيت باعمران، في نصر ذلك الكهان، إلى أن اطلعوا على الحقيقة، فتخلوا عنه في معركة العوينة فهزم.

وعن «الأدوزي تسلط بوحلاس على العلماء وحملة القرآن، فقتل منهم كثيرا خوفاً من أن يفضحوه، كما تسلط على اليهود، متظاهرا بكرهته لهم، وغرضه ابتزاز أموالهم، وكان يخلط قتلى الفريقين في الدفن، فقيض الله بعض علماء سوس انتصبوا لتأليب الناس عليه، بالنشرات الكتابية، والخطب الوعظية في الأسواق والمجمعات : هما العلامة علي بن إبراهيم الأدوزي المتوفى في رجب 1207هـ ثم تلميذه محمد بن أحمد التاساكاتي، فاجتمع لهذا الأخير نحو اثني عشر ألفاً وجههم لملاقة جموع هذا الساحر بوحلاس، حول تيزنيت، فقتل في رجب 1207هـ / 1792م ووجد دميما قبيح الخلقة قصيرا، كثير الشعر»<sup>(170)</sup>. ومن شهادة شاهد عيان القاضي بوراس الباعمراني الخلفاوي بخطه في رسالته «أعطيت الأوامر للمحاصرين لقرية العوينة بقتل كل من كان معه، ولو كان طائرا أو حيوانا لأنه ساحر يظهر في صفات مختلفة، ولما قتل فصلت رأسه عن جسمه، وشوي فوق النار، فأظهر للناس كالزق المشوه، ثم ألقى في مطمورة

(170) المعسول، ج 14.

هناك تحت شجرة أركان قرب قرية العوينة عام 1207هـ. (شاهد عيان القاضي الطيب المذكور) مع اختلافات لا تضر.

«وقد تخلى عنه أيت باعمران عندما أقنعهم الآخرون بأنه يهودي ساحر، وليس الأمير المذكور، فانفضوا من حوله، وأما من قال بأنه لم يتبعه إلا العامة المغترون، فالواقع أنه غوى كبار القوم وأعيان القبائل والعلماء والقضاة، حتى ظهرت حقيقته، فانفضوا من حوله بعدما أفسد عقولهم بوعدهم بالانتصار على كل من عاداه، كما بشر من تبعه بالغنائم، وأمرهم بأن يستعدوا لجمعها بلا عدد». (نفس المرجع). وبالمقارنة يتم التكامل بين المؤرخين. والمزيد في المعسول ج 5.

ثم أضاف مؤرخ سوس في جولته في قرية العوينة هناك : «حتى وقفنا على قرية تيكيوت الحربة حيث مقتل بوحلاس عام 1207هـ فوقفنا بين أطلال القرية الكثيرة إزاء مجرى العين العميق على مكان نبتت منه شجرة الهرجان، وهي صغيرة جدا، فقيل لنا إن بوحلاس كان لما قتل بعد ما حوصر في دار رومي في مطمورة موقدة، ثم ردموها عليه، فمنها نبتت تلك الشجرة»<sup>(171)</sup>.

«وقيل عن وروده أن أصله من الشرق؟ التجأ إلى قبيلة حربيل التي دخلت سوس من الصحراء، وهي من بقية قبائل لتونة وكدالة، وأن ذلك كان بعد الطاعون الجارف سنة 749هـ/1348م، فخلا كثير من جوانب سوس، فقصدتها قبيلتهم فنزلت فيها، فكانت محاككتها للقبائل المتوطنة فيها... فالجزوليون يعتبرون الحربيليين دخلاء فيحتقرونهم؟ مع أن بعقيلة من الجزوليين، كما أن مجاط التي ليست من الجزوليين، وإنما احتلت بلاد حربيلة قهرا، وتمازجت مع كثيرين من الحربيليين قد اعتنقت نحلة تاكوزولت»<sup>(172)</sup> ولما عجز التامانارتي عن مناصرة هذا الثائر، أرسله إلى صهره الحربيلي، لكن أولاد هذا الحربيلي بلغهم رأي الفقهاء فيه، فعزموا على الفتك به، رغم وصية جدهم التامانارتي.

لأن الفقهاء على علم بهذا الثائر، مما جعل هذا الصهر ينقذه من أولاده، ونصحه بأن يذهب إلى أيت باعمران، وأقنعه بقوله : «إن أيت باعمران إذا ناصروك فلا أحد يتأخر

(171) خلال جزولة، ج 4، ص 27.

(172) إيلينغ قديما وحديثا، ص 240.



عنك» (نفس المذكرة المذكورة) وفعلا ذهب إلى المسجد المذكور ليعلن فتنته. المستمرة إلى حين، إلى أن قتل في قرية العوينة غرب تيزنيت.

إننا لا نعرف كيف وصل بوحلاس هذا إلى أيت باعمران، وعلى يد من؟ وكم استغرق وصوله إلى هناك، وتقول الرواية الشفوية: «إن أيت باعمران وصلهم الخبر بأن الأمير المولى يزيد الذي انهزم أمام السلطان في معركة جرت بين الطرفين في دكالة، فالتحق بأيت باعمران طالبا مناصرتة» (الرواية الشفوية وهي عين الحقيقة كما في المراجع).

وإن كانت هذه الرواية لم تذكر المولى هشام في معركة تازكورت في حوز مراكش، ولم تذكر يزيد، الذي زعم بوحلاس أنه هو، ولقلة الاتصالات في ذلك الوقت عام 1207هـ يصعب التأكد من الحقيقة، مع العلم أن المولى يزيد كان مشهورا في شمال المغرب. بمغامراته المتكررة حتى ضد والده.

وثيقة مُعمَّرة معبَّرة عن الواقع :

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدي محمد نبيه الكريم. وبعد : ففي يوم الخميس الذي هو سبع وعشري يوما من رجب الفرد عام 1207هـ قد نهوا الجزوليين من البعمرانيين والأخصاص والتكنى ونصف رخاوة وغيرهم من مع أميرهم بذكرهم أنهم مولي ليزيد، نعم وبني جرارة الكائنين بأزاغار وونرطفت ؟ وأهل تلمي جميع ما بوادي إفران بحد سوق إفران إلى وادي أمسرا حتى لا يبقى فيهم قيمة دراهم ولا قراط في الديور، ومات من فتانهم بينهم والله أعلم أن الناس نحو خمسة مائة رجال والبعض يقول إنه أكثر من ما ذكرنا فالله يعف علينا وعلى من هو مسلم دون الكافر، نستل الله تعالى أن يجعل مالهم نارا لمن ياكله منهم وغيرهم ممن ياكله منهم، وغيرهم ممن ياكله بالنهض، ويخلف عليهم متاعهم في الدنيا والآخرة. وبه كتب ذلك بيانا ومفتكرا لمن لا يحضر لذلك من عدادهم لا يقدره أحد إلا الله تعالى بتاريخ المذكور أعلاه عبد ربه يحيى بن علي بن محمد بن أحمد أيوب من الصخرة المسراوي لطف الله به، ويغفر له ذنوبه ويرحمه في الدارين ءامين. نعم : لا ينجي منهم إلا تنكرت بإفران أتماه يحيى أُلْحِقَ».

هذه نموذج من الوثائق المعاشة للأحداث في عين المكان، ونقلتها بحذافيرها ويرجع الفضل في طول عمرها كل هذه المدة إلى جدول كتب خلف الورقة، وهو رباعي مركب من الاسم اللطيف، محاط بحروف عناوين السور، وأسماء الملائكة المقربين، كما هو مشهور عند من يتعاطى فن الطلاسم، وكادت أن تحرق لولا حضوري. عندما أراد من كانت عنده التخلص من تراكمات نال منها الزمان، وللتاريخ أسجل «أن الحاج محمد أغلال الخلفاوي كبير القوم وقائد أيت باعمران الذين ناصروا هذا الفتان، بدعوى أنه السلطان مولاي يزيد المظلوم، وهو جدُّ جدِّي القائد أحمد الخلفاوي، إلى أن توصلت برسالة من الفقيهين التاسكاتي والأدوزي تخبره بأن الفتان ليس الأمير يزيد، فتخلى عنه وهو محاصر في قرية العوينة، ولا يبعد توصله من السلطة المركزية بمراكش، وقد ذكر الفقيه جهادي محند أن جدنا المذكور جرح في تلك المعركة وتأسف لحضوره هناك» (مذكرات جهادي محند). وما ناصروا هذا الفتان قبيلة تكنة كذلك.

تولية السلطان سليمان :

تولى يوم الاثنين سابع عشر رجب عام (1206هـ إلى 1238هـ) وتعد بيعة هذا السلطان مرآة لتلك الظروف كما يأتي : بعد الحمدلة والتصلية «الحمد لله الذي نظم بالخلافة شمل الدين والدنيا، وأعلى قدرها على كل قدر فكانت لها الدرجة العليا، وأشرق شمسها على العوالم، وأثار بنورها المعالم، وأصلح بها أمر المعاش والمعاد، وألف بها بين قلوب العباد، من الحاضر والباد، وجعلها صونا للدماء والأموال والأعراض، وغل بها أيدي الجبابرة فلم تصل إلى مفاصد الأغراض، وأقام بها أمر الخلق واستقام، وأقيمت الشرائع والحدود والأحكام، ونصب لها علما هاديا، وأقامه إلى الحق داعيا، فأوى إلى ظلها الوريث القوي والضعيف، والمشروف والشريف، فسبحان من قدر فهدى، ولم يترك الإنسان سدى، بل أمره ونهاه، وحذره اتباع هواه، وطوقه القيام بالنفل والفرض، وهو أحكم الحاكمين، ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، ولكن الله ذو فضل على العالمين»<sup>(173)</sup>.

فلو أن هذه البيعة وصلت في وقتها، إلى أيت باعمران، وقرئت عليهم بهذه النصائح، وترجمت لهم بلغتهم الأمازيغية كما ألقوا ذلك في تفهيم أعرافهم وأحكامهم، لما وقعوا

(173) عن الاستقصا، ج 8، ص 87.



في قبائل مزاعم بوحلاس الصغير، الذي أغواهم باسم السلطان مولاي يزيد، ولعلها كذلك هي التي وصلت إلى كل من التاسكاتي بماست والأدوزي بسفح الجبل، لكن بعد فوات الأوان، فقام هذان الفقيهان بتبليغ الواقع، عن طريق الرسميات. التي كانت تحمل الطابع المألوف من السلطان.

والحق أن بوادر الانقسام بعد وفاة السلطان يزيد في معركة تاسكورت، هي التي شتتت السلطة في المغرب الشمالي، وقد ألمّ الضعيف بأحداث تستكّ منها المسماع تلخصها فيما يأتي «و حين توفي السلطان يزيد قال القائد عبد الله الرحماني : اتركوا محلة العبيد نبعثها لمولانا عبد الرحمان بوادي نول ليأتي إلينا فنباعوه، ثم وصل خبر موته لأخيه مولانا هشام الذي كتب لأهل الرباط ليبيعوه عام 1206هـ فانقسم أهل الرباط وسلا حول مبيعة هشام وببيعة سلامة، ولما ورد على هذا الأخير موت أخيه الشقيق مولانا اليزيد 1206هـ نفر منه القادة الكبار الذين هددهم بقطع رؤوسهم، فقاموا بتشتيت الكلمة في البلاد، ففرق عنه الأغلبية، فاقترح الفقيه التاودي إحضار أولاد السلطان سيدي محمد قاطبة، وينظرون من يبيعونه منهم بعد التسليم أو بالقرعة أو بمن تعين وكان أهلا، وهذا من اقتراح التودي، بينما ظهر لصاحبه لقائد محمد وعزيز المطيري مبيعة مولاي سليمان بن سيدي محمد. وفي هذا الخضم ظهر بوحلاس الفتان بأيت باعمران، وانتهاز اختلاط الأمر فسمى بالمهدي المنتظر مولاي اليزيد» (ملخص ت الضعيف ص 238).

وقد أورد مؤرخ سوس ما يدل على أن السلطان سليمان هو الذي همس في همة الأعيان بسوس إذ قال : «وقد كان في بالي أن المولى سليمان الذي افتتحت سلطنته في ذلك العهد، زار سوس، وكان ذلك ليشرّف على أمثال المخلصين الذين يقاومون الثوار من عند أنفسهم، فيمهدون للدولة ولجمع الكلمة، وكأني سمعت أنه وصل إلى ماسة فلاقى التسكاتي. وقد ألمّ المؤرخ الضعيف بهذه السفارة»<sup>(174)</sup>.

وهذا واجب الطرفين، فإذا كان مولاي سليمان مشتغلا بلمّ الشمل في المغرب الشمالي، فإن أهل سوس تكتلوا بتوجيه من فقهاءهم، ففضحوا مزاعم الداعي بوحلاس، كما أوضحوه لأيت باعمران، أن السلطان يزيد قد مات في معركة تازكوزت بحوز

(174) خلال جزولة، ج 4، ص 47.

مراكش، وأن الداعي بوحلاس، ما هو إلا غاو ومشعوز، وهو في قرية العوينة غرب تيزنيت، ولما انفضّ أيت باعمران عنه، قتل وانتهى أمره، وتفرق أصحابه.

وعلى كل حال، فالفتن التي واجهها السلطان سليمان في المغرب الشمالي، كانت أخطر وأعمق تأثيرا من فتنة بوحلاس التي ماتت في مهدها - إذ لم تستغرق إلا عدة شهور - وذلك بفضل وعي المجتمع السوسي، وعمق وعيه بالوحدة الوطنية، وثقته في فقهاءهم وفهمهم أن الغلو في التعظيم، أصل من أصول الضلال، وأن خير الأمور أوسطها.

إن الداهية بوحلاس، ليس إنسانا عاديا كما يتبادر إلى الذهن، فقد اختار الزمان والمكان والقضية، وأنه حتى إذا لم يكن الأمير المزعوم، فهو خبير بأحوال المغرب وطقوسه، كما أنه انتهاز سذاجة القوم وبعد السلطة المركزية عن الجهات المستغلة، أما ثقافة هذه الشخصية، فلا شك أن منها ما يتعلق بالسلطات المركزية، لأن تقمص شخصية أمير معروف ثار حتى على والده ستّ مرات، لا يمكن التشبث بها بسهولة، كما لا يمكن إنكارها من الخصوم بلا دليل مادي.

ومن ثقافته أنه كانت له أذوات الشعوذة والطلاسم وعلمه بالمهدوية والاستدلال بها بكرامات من فيض السمن والعسل في عيد مبارك، وفي مسيد مبارك قديم في وسط أيت باعمران، كما أنه كون حلقا من القبيلتين بوعمرانة والتكنة ومن حولهما في مشارف الصحراء.

كما أن تجييشه لكل تلك القبائل في ظرف وجير، ليس من السهولة بمكان، ثم اتجه بالكل نحو احتلال مركز تيزنيت الذي هو باب الشمال، واحتلاله كقاب قوسين أو أدنى بعد احتلال قرية العوينة عن بعد عشر كلم، ولولا إغاثتها من تحريك إداولتيت ومن في أزغار من جهة، ومن إقناع أيت باعمران بالتخلي عنه في آخر المطاف من جهة أخرى، لاتخذ التاريخ مجرى آخر!؟.

وهنا نجد ما يزكي القولة السابقة : «إن قبائل تكنة هي التي نصرت واحتشدت في جيش بوحلاس» (المعسول ج 12 ص 217) ولعل ذلك بعدما انفصل عنه أيت باعمران



عند حصاره في قرية العوينة غرب تيزنيت. بمعية قبيلة التكنة. وحدها بعدما تأكد أيت باعمران، بأن بوحلاس ليس هو الأمير يزيد، مع العلم أن يزيد هذا كان عند أخيه في الصحراء جهة تكنة، فهم يعرفونه أكثر من غيرهم.

مع العلم أن التكنة لم تكن أصلاً في جوار أيت باعمران، إذ ورد في التاريخ أن سيدي أحمد الركايب، كان في أواسط العصر المريني «وقد عاصر أبا الحسن المريني المشهور بالسلطان الأكل (730 إلى 749هـ) فاتفق أن كان عرباً من بني معقل يُسمون (تكنة) يقطعون السبيل بين فاس ومراكش، فهم السلطان بالايقاع بهم، فأجفلوا بين يديه إلى الصحراء من حوز سوس، فتلقى السلطان آثارهم، وتوغل في الصحراء، فالتقى به الشيخ سيدي أحمد الركايب، وقد نزل هناك وشيكا، فتداول مع السلطان في أمر غرمانه لُيُبقي عليهم، فيعمروا معه تلك الأرض ضد البربر الذين كانوا متأصلين فيها»<sup>(175)</sup> هنا سؤال؟ لماذا تجذرت الفتنة في الأعراب حيث ما كانوا وأتى وجدوا؟! فهل ذلك صحيح منهم أو ظلم ألصق بهم؟ ثم لماذا لم يتخلوا عن هذه الظاهرة عبر كل هذه القرون؟ هذا موضوع فتحه ابن خلدون بأقل مما وصفهم به القرآن الكريم. فاستمر عبر التاريخ!

وحتى في «أيام كفاح الهيئة اندفع الأعراب عام 1331هـ فنهبوا أيت برايم، قبل نهبهم لأكلو سنة 1332هـ»<sup>(176)</sup> كيف يجمع هؤلاء بين كلمة الجهاد ضد الحماية؟ ونهب سوس التي سارت وراء الهيئة؟ ولنتصور إذن مصير الشاوية ومدنها أمام نهب هؤلاء الأعراب، كما بدأوا به بمجرد دخولهم مدينة مراكش كما سجله التاريخ، وهل هي نفس الظاهرة التي تخرب حضارة الشام؟ أم هناك أعراب مصطنعون من أعداء هذا الشعب؟ تلك ظاهرة عانى منها الزمان...

### محاكاة بوحلاس الصغير لمحاكاة بوحلاس الكبير :

«إنه الشاعر عبد الله الكرسيفي ثم الكثيري ثم بوتغولا، وهذا المكي كان كساحر نباش عن الكنوز ليستغوي بها دهماء الناس، حتى إنه عمم من عمم بعمائم الحرير، وأنه واعد الناس ليلة 27 رمضان 1167هـ ليوتيههم مالا... فقاد جموع القبائل التي اجتمعت

(175) المعسول، ج 12، ص 88.

(176) خلال جزولة، ج 4، ص 27.

عليه : منهم أيت باعمران والأخصاص ومجاط وبعض من وادنون من الصحراويين، وفي نص الحضيكي [كان حارصاً على أمور المسلمين، مهتماً برشادهم، معتنياً بمنافعهم ومكانة الحضيكي في الناس كبيرة كما أن كل الجزوليين انثالوا إليه، ولازموه إلى يومه الأخير، إلى أن فطن به الحضيكي] لكن تمادى غيره من الفقهاء في صحبته. واغتروا بفريته، فاستتبع التازارولتين، ونزل إلى حول تيزنيت، وتخطى وادي الغاس ليستولي على عاصمة سوس تارودانت، إلا أن جيش الحكومة تحت سلطة مولاي سرور خليفة السلطان ومن معه في أشتوكن أصابوا الثائر برصاصة، فحملة أصحابه وانهمزوا، فدفن في إدغ بأيت جرار في 5 يناير عام 1169هـ»<sup>(177)</sup> «وكان هؤلاء المتمهدين في المغرب عموماً، وفي سوس خاصة من المشاركة» (المعسول ج 14 ص 25) فمتى يقتنع المغاربة بخط الغاوين باسم الدين؟

أما مساهمة أيت باعمران في نصرة المدعي بوحلاس الصغير 1207هـ بدعوى أنه مظلوم، وأنه السلطان المولى يزيد، فلا تنكر، مهما حاول البعض تبرئتهم من ذلك، لأن كلمة العار عندهم لا ترد، وخاصة إذا كانت على الحق، وهناك قصيدة بالأمازيغية في الموضوع، تهجو نصرة أيت باعمران لبوحلاس الصغير، وهم من مجموع قبائل جزولة التي ناصرته بوحلاس الكبير قبله 1167هـ منها :

أيوداين أيگوداين أيت باعمران

شان أغروم د وودي فكين أغ أقریان

أويلي هدانين بوحلايس تيرامين

ولا تيجداعين ندا لحال ستمغارين

وقد أعيدت قراءة هذه القصيدة من شاعر بأملن بمناسبة استغاثتهم بأيت باعمران في الدفاع ضد قوة الحماية القادمة من تارودانت سنة 1933م فتكبد فيها أيت باعمران خسائر في الرجال والخيل، فردوا تلك الحملة إلى نهاية السنة، لكن البودرارين لتقشفهم، أطعموا المجاهدين بالخبز والسمن فقط.

(177) ملخص عن المعسول، ج 14، ص 27.



وأيت باعمران من فصيلة الأسود، لا يستغنون عن اللحم، ولذلك فرضوا بالقوة ذبح الخرفان بأيديهم، فإذا عاب البودراريون أبطال أيت باعمران بنصرهم المشعوذ بوحلاس باسم الأمير يزيد، فإنهم بدورهم عابوهم بالبخل والتقشف وعدم إكرام الضيف، كما اشتركوا هم كذلك في نصرة بوتگولا المهدي بوحلاس الكبير قبل ذلك، هكذا التاريخ لا يخجل من أحد، فمن يعمل مثقال ذرة يره.

والحق أنني بحثت كثيرا عن الخطابة وعن القصائد في عهد تلك الفتن التي لا بد أنها قيلت. لكنها لم تسجل، لكونها بالأمازيغية المفهومة للجميع، اللهم إلا بيت أو بيتان تحفظ وتكرر على السنة القوم عن الشاعرة تابأيهت الباعمرانية :

وَتَات أ - يَرْكَازَن توف لموت لعار

يوف أَيْضَر وافود أَيْضَر وَاوَال نُون

وفي سنة 1214هـ أرسل السلطان سليمان عامله محمد الزرهوني على سوس، فجبي قبائله ورجع وأحبه أهل سوس لحسن سيرته، ولين جانبه، هذا بالنسبة لاستمرار علاقة سوس بالسلطة المركزية، بينما وقعت فتن أخرى في المغرب الشمالي، أهلكت الحرث والنسل، وشغلت السلطان سليمان طيلة حياته. 1206هـ إلى 1238هـ. وبما لفت انتباهي في العقود التي اطلعت عليها في أيت باعمران، أنني لم أعثر حتى الآن على عملة للسلطان سليمان، فهل لقلتها أو لانعدام الاتجار بها في سوس ؟. إلى أن أقنعني صاحب الاستقصا «بأن بيت المال في عهده أنقى من الراحة» (الاستقصا ج 9 ص 9) فعلمت أن الدولة في غاية من الضعف لاجتماع الجفاف والوباء والثورات. الداخلية، وفي عهده وردت رسالة أمير الوهابية كما قال صاحب التعريبات الشافية المرسله إلى سائر البلدان. فحاورها علماء المغرب رضي الله عنهم.

### السلطان عبد الرحمان بن هشام :

تولى السلطان عبد الرحمن بن هشام سنة 1238هـ / 1276هـ فجمع الله به أقطار المغرب، وسعى في لمّ شعثه وتدارك رمقه، وعلى حد عبارة الناصري «إذ كانت الفتنة

أيام الفترة قد حالت حاله، وكسفت باله، وتفقد بيت المال، فألفاه أنقى من الراحة». (نفس المرجع) ولهذا السبب، قلت عملته في التداول.

وقال صاحب الجيش : «فلما جاء الله بهذا السلطان المؤيد، لم يجد بها إلا رمقا قليلا، وخيالا عيلا، قد وهت دعائمها، وأشرفت على الانهدام المفضي إلى حالة الانعدام، فأمدّه الله بضروب السعادة الخارقة للعادة، فقام بأعبائها بلا مال ولا رجال، والعناية من الله تساعده، والفشل يباعده، حتى أقام بناء الملك الإسماعيلي على أساسه، ورد روحه إلى الجسد بعد خمود أنفاسه». (الجيش العرمرم).

كان مولاي عبد الرحمن هذا، قد أقبل عليه عمه السلطان سليمان، ثم استقدمه من تافيلالت، وولاه بثغر الصويرة وأعمالها، وكانت هذه المدينة ملتقى للتجارة والتبادل بين ما تأتي به القوافل المئات من أقصى الصحراء المغربية، وبين ما تأتي به البواخر عبر المحيط من أوروبا، لذلك انتشرت مراسلات مولاي عبد الرحمن هذا منذ ذلك الوقت لدى بعض شيوخ قبائل أيت باعمران، كما استعملت في العقود والمعاملات والمهور والغرامات. وكانت دليلا ضد الاسبان. وقد صفا للسلطان أمر هذه البلاد (السهول الغربية) بعث ابن عمه محمد بن الطيب إلى الصحراء لجباية زكواتها وأعشارها، لكنه عاد مخففا بسبب ما حدث في المغرب من الجوع الذي أهل الناس وكاد يأتي عليهم.

«وفي سنة 1243هـ عزم هذا السلطان أن يرسل مائتي فارس من الشراردة إلى درعة، لكن شيخهم المهدي الشراذي قد عظم ناموسه، وتمكن من جهلة قومه، وكاد يتجاوزهم إلى غيرهم، حتى صار يعرض أو يصرح بأنه المهدي المنتظر، وقد جرت العادة أن تأتي قافلة الحججاج عبر تابريدا من موريتانيا عبر أيت باعمران، غير بعيدة عن مناخ المحيط، فيزداد عدد الحججاج إلى تارايست بسوس ليلتحق هؤلاء بباقي ركب الحججاج بفاس، ومنها يخرج الركب على الهيئة المعهودة في ذلك الزمان، فلما وصل هؤلاء الحججاج من أهل سوس وغيرهم إلى الشياظمة وهشتوكة (الشمالية) انتهبواهم، وجردوهم من المخيط والمحيط، ولذلك انتقم لهم السلطان عبد الرحمن في وقعة فرگالة من أعمال أزموور (178).

(178) الاستقصا، ج 9، ص 918.



وفي سنة 1244هـ انهزم المهدي الشراذي، وركب فيما قيل على حمار، فودعته شيعته في الموضع المعروف بتيتركي؟ وذهب إلى سوس؟ وقال الناصري: «وأما المهدي فإنه ذهب إلى السوس، وانتهى إلى أيت باعمران من ولتية فنزل على مرابطها أبي عبد الله محمد أعجلي الباعمراني، واستمر عنده ثلاث سنين، ثم بعث من شفيع له عند أمير المؤمنين، فقبل السلطان شفاعته، وجاء المهدي في قيده إلى أن دخل على السلطان براكش، فسامحه السلطان، وتقلبت به الأحوال، إلى أن توفي في سنة 1293هـ وفيما ورد هنا من نسبة أعجلي إلى بعمرانة عند الناصري، فغلطه صاحب المعسول، فهذا لا يمنع مشاركة أعجلي في مدرسة بوگارف حيث احتفى به المهدي الشراذي زمنا إلى أن تاب، كما نسي صاحب المعسول قوله في كتلة لمطة بعمرانة ولتية جزولة كحلف معروف.

كثيرا ما نجد المؤرخين لا يغفلون ذكر كل حركة ظهرت بسوس ضد الحكم المركزي في شمال المغرب، بقدر ما يهتمون ذكر أسباب تلك الانتفاضات، وخاصة إذا كانت العوامل الطبيعية هي التي يستغلها الطامعون في السلطة، وهذا الإهمال واضح لدى المؤرخين المغاربة، فمن حرك إذن الحران أخو السلطان إسماعيل مع ابن أخيه أحمد بن محرز من سوس الأقصى حتى دخل تارودانت؟ لنستمع إلى سفير لويس الرابع عشر ملك فرنسا (سان ألون) ما ملخصه «وقد أقام سنة صلاة الاستسقاء في سنة الجذب التي كانت سنة 1680م (1091هـ) فخرج بنفسه في اليوم السابع عشر من مارس حاسر الرأس، حافي القدمين، في بذلة خلقة، مصحوبا بسائر حاشية ملكه والجَم الغفير من رعيته» (179).

وإذا كنا ندرك ما بلغه تأثير الجفاف في المغرب الشمالي وفي مكناسة بالذات سنة 1680م / 1091هـ فكيف يكون تأثيره في المغرب الجنوبي الذي يسبق فيه الجفاف غالبا بسنوات قبل أن يحس به أهل المغرب الشمالي؟ لذلك زحف أهل الجنوب كما يزحف الجراد من الصحراء على الشمال من حين إلى حين، وقياسا على ذلك نجد ظروف زحف الأمير الحران ومن معه نحو تارودانت بسبب الجفاف، كما لا نشك أن تأثير ذلك الجفاف، هو الذي فرض الصلح بين الطرفين إلى حين، لانهيار قوة الطرفين.

(179) إنحاف، ج 2، ص 51.

وفي عام 1114هـ (1712م) ثار المولى محمد العالم بدوره في تارودانت على سلطة والده، فكان ما كان مما لست أذكره، وما أنصف به الكاتب (المسيو بودجيت ميكين) مولاي إسماعيل قوله: «إن قساوة مولاي إسماعيل هي نتيجة أحوال زمانه الذي يعيش فيه، ولئن فاق الملوك قساوة فلقد فاقهم قوة، وبسبب جهل المؤلفين للزمان والمكان، فإنهم أغفلوا التحفظ عند تتبعهم الأعمال الدموية التي قام بها مولاي إسماعيل، ومن أجل ذلك حكموا عليه بصرامة خالية عن كل إنصاف» (180) وشتان ما بين من يتحمل المسؤولية ومن ينتقد حاملها بدون تروء، ولأمر ما حافظ الفقهاء على قاعدة ارتكاب أخف الضررين..

وقد قال أبو عبد الله أكنسوس رحمه الله: «وكان المولى إسماعيل رحمه الله ارتكب أخف الضررين، وأدنى المفسدين... وهذا القدر الذي اعتذرنا به عن السلطان ظاهر غاية الظهور، ولعله خفي على الشيخ اليوسي حتى كتب إليه برسالته المشهورة» (الاستقصا ج 7 ص 81) وقد أصاب صاحب الاستقصاء الصواب بتنبهه أكنسوس إلى ما خفي عنه فيما قصد اليوسي، وربما لم يطلع أكنسوس بدقة على فحوى أمور ثلاثة واردة في كلام اليوسي مع السلطان، ومن أبلغ الأمثال لدى المغاربة عند الاعتذار إلس وُر كِيس تُخَسُّ «اللسان ما فيه العظم» ولذلك يستحق التسامح.

ويجب ألا يقصد بأيّ باعمران ذلك الجزء الذي فصلته فرنسا بقوتها لإسكات إسبانيا الضعيفة في ذلك الوقت، فأيت باعمران جزء مهم من القبائل في سوس الأدنى والأقصى معا، بل نصت الرسائل المخزنية على إطلاق أيت باعمران على كل المقاومة أو الكتلة الثائرة ضد زحف سلطة الحماية الفرنسية من سنة 1912م 1934م. عندما استسلمت قبائل سوس كلها ما عدا أيت باعمران التي وقعت في حصة الإسبان باتفاقية أعيانهم في ثلاثاء لخصاص سنة 1934م.

فإذا عرفنا أن كبراء القوم بسوس، ومن يستملح منهم الانتماء إلى أرباب الصدور، قد انضموا إلى السلطة الفرعية في تارودانت، سواء مع ابن محرز أولا، أو مع محمد العالم ثانيا، فإن القبائل الجنوبية تسير دائما وراء من يناديها بفصاحة اللسان، أو باسم الدفاع

(180) إنحاف، ج 2، ص 53.



عن الوطن، أو بإرجاع الحق إلى أصحابه، وأحيانا حتى من أجل الحاجة الملحة لظروف يستغلها البعض لجني الكمّثري، وذلك ليس في سوس فقط. وخاصة كلما ضعفت السلطة المركزية، حيث ينشط المفسدون.

### ظاهرة اللاجئين إلى سوس :

والغريب في الأمر أنه كلما فلت مشعوذ من القصاص في شمال المغرب، فر إلى سوس، وأحيانا إلى آيت باعمران، حتى صار ذلك الإقليم موطن اللاجئين من المظلومين والظالمين، وأغلبهم من شذاذ الآفاق، إلى حد دفع «علما من قبيلة جزولة من سوس، إلى أن أُلّف في أحد الثوار الذين كثروا في القرن الثاني عشر بالقطر السوسي كتابه بعنوان اللّعنُ الهتّان، على رأس الفتّان» ولعله يقصد محمد المكاوي الذي قتل سنة 1168هـ/ 1754م (دليل مؤرخ المغرب).

ولجوء هؤلاء الثوار إلى سوس ظاهرة تستحق الدراسة، إذ ليست في القرن الثاني عشر فقط، ففي المعجب ما يأتي : «في عام 597هـ قام بسوس رجل من جزولة اسمه عبد الرحمن، يعرف عندهم بما معناه بلسانهم ابن الجزيرة؟ (إويس نخيزوت) كما يدعى أبا قصبه، فدعا إلى نفسه، واجتمع إليه خلق كثير، واشتد خوف الموحدين منه، فلم يزل يجهزون إليه العساكر بعد العساكر، وفي كل ذلك يهزمهم إلى أن أسلمته جموعه» (المعجب، في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المراكشي ص 49).

من الأمثال الأمازيغية قولهم : «لا يأتينا من الشرق إلا جفاف وجراد وفتنة الأعراب» [وَر أَيَاغ د ت تَشْكََاغ شَارِق بَلَا إِيرِيفِي د تَمُورْغِي د وَاْعْرَابِن صَاضِنِين، أَوْ جَانِين]. وهذا هو فاطمي يثور بمراكش، ويدعى أنه من بني عبيد ولد العاضد لصلبه آخر ملوك العبيديين في القاهرة عام 596هـ، وتشبه بالصالحين في الآداب الظاهرة، وهاجم سجلماسة، وهزم حاميها، ومع ذلك لا يستقيم له أمر، ولا تثبت عليه جماعته، أوجب ذلك كونه غريب البلد واللسان، لا عشيرة له ولا أصل بالبلاد يرجع إليه، إلى أن قبض عليه فقتل» (181). وهذا «فاطمي آخر، ثار ببلاد جزولة من سوس، قتل وجيء برأسه إلى مراكش في شهر سنة 612هـ» (المعجب ص 466). وهؤلاء الثوار لا تنقصهم شعارات

(181) المعجب، ص 464.

رئانة، ويقولون ﴿ مَا نَا أَرَاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا مِثْلًا، يَضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا، وَمَا يَضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الْكٰثِرِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْصَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَفْسُقُونَ فِي الْأَرْضِ أَوْلَئِذَا هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية 26-27) وبمبايعة مولاي إسماعيل ثار عليه أخوه أحمد بن محرز الذي فر إلى عند قبائل سوس، كما ثار عليه أخوه الحران إلى أن فر بدوره إلى الصحراء، وهكذا فعل محمد العالم بتارودانت، وفر مثلهم مولاي عبد الله إلى سوس، وهل من أسباب ذلك زيادة على العرش أن اقتصاد المغرب كان مبنيا على الجبايات وعلى سوء التوزيع؟ ذلك ما توحى به المراجع. وذلك موضوع آخر.

ومن الملاحظ، أن لجوء هؤلاء إلى سوس، يكاد يكون ظاهرة مستمرة، تستحق دراسة عميقة حتى لا يعيد التاريخ مصائبه، ومن ذلك فرار المتوكل السعدي من قبل إلى سوس أمام السلطان أبو مروان، وما ترتب عن ذلك من حروب عظيمة، منها وقعة تينزرت، وكذلك الوقعة التي بعدها بأساطين المنصور : حيث استعمال الجمال طويلة الأعناق (أبجاوَج إِبْجَاوُن) التي تنفر الخيل في الميدان، وقد انتصر بها المنصور وبعدد قليل على نحو ثلاثة آلاف على المتوكل في نحو ستين ألفا (182).

ومن ذلك ثورة داود بن عبد المؤمن السعدي ضد المنصور الذهبي، وبعد معارك فر إلى الصحراء عند عرب الودايا من بني معقل إلى أن هلك عام 988هـ (الاستقصا ج 5 ص 95).

ولما أدرك المنصور خطورة ذلك : «طمحت نفسه إلى التغلب على بلاد تيگورارين (مطاعن الماشية) وتوات من أرض الصحراء وما انضاف إلى ذلك من القرى والمداشر، إذ كان أهل تلك البلاد قد انكفت عنهم أيدي الملوك، ولم تسسهم الدول منذ أزمان، فسنح للمنصور أن يجمع بهم الكلمة ويردهم إلى أمر الله، وصاروا في حزب الجماعة، وذلك عام 990هـ» (183).

ولما جدد السلطان عبد الرحمن قوة الدولة المغربية، أمر بإنشاء أساطيل البحر، لكن أوروبا كانت قد قطعت شوطا متقدما في الصناعة، وهي بحاجة إلى جلب المواد الأولية

(182) الاستقصا، ج 5، ص 68.

(183) الاستقصا، ج 5، ص 99.



لإدارة إنتاجها، وبالتالي إلى تصدير منتوجاتها إلى الأسواق الخارجية، في الوقت الذي مازال فقهاؤنا منقسمين على أنفسهم حول فتح المراسي للمصادر والواردات، حتى دخلت عليهم من أقطارها، فصاروا يحولقون ويضربون الأحماس في الأسداس، لذلك أعرض السلطان عن شأن البحر لقيام شوكة الفرنج، ووفور عددهم تجنبا لإثارة الخصومة، واتقاء لما حل بالجزائر سنة 1246هـ / 1830م، وهل تقتل الأفعى بالدعاء كما يقول المثل الأمازيغي؟

ولما صارت شواطئ شمال المغرب مرتعا لتطلعات الدول الأوروبية، صار للمغرب الجنوبي اتجاه واحد، هو الدفاع عن الوطن في شماله، وراء السلطة المركزية، لأن الوطنية عند المغاربة فوق كل اعتبار، إلى حد أن في أقصى سوس عائلات مازالت تفتخر باستشهاد أجدادها دفاعا عن تطوان 1859م.

ولدينا نموذج من كبار علماء سوس الذين استنفروا الجنوب تلبية للسلطان محمد بن عبد الرحمان لإغاثة تطوان عام 1276هـ إذ قال في رسالته الأولى: «وها نحن استنفروا أهل الفاتحة ودرعة وسوس للجهاد». وفي الرسالة الثانية استنفار «ألمن بالأطلس الصغير» (محمد داود تاريخ تطوان ج 4 ص 220) فلبى الناس هذا النداء السلطاني، واجتمعوا براكش، وبلغ عددهم نحو اثني عشر ألف مقاتل.

«ثم لما جاش المغرب سنة 1276م بالقضية التطوانية، قام علماء جزولة الأساتذة الحسن بن أحمد التيمكديستي، والحاج أحمد الجشتيمي، وأحمد بن إبراهيم السملالي الباعمراني الساحلي، والحسن الأزاريفي، والعربي الأوزي، ومحمد بن علي اليعقوبي، ومعه محمد بن صالح التدرارتي البعمراني، وأمثالهم... وسماهم السلطان بأسمائهم» (محمد المختر السوسي سوس العالمة ص 23).

وتلك وطنية المغاربة وإيمانهم عبر التاريخ، إلا أن هناك شواذ مسجلة لا مبرر لها تقول: «لأن قبائل العرب لم يقاتل منهم إلا القليل الذي لا عمل عليه، وينكسروا حتى يدخل الفرع منهم للذي يكون يقاتل، وقبائل البربر في القتال أفضل من العرب، وأهل الريف كذلك أفضل من قبائل جبالة... وإذا تكون منهم عشرة آلاف، هي أفضل من مائة ألف

من العرب، وكذلك قبائل البربر، فإنهم يصبروا للقتال، وأما العرب - ياسيدي - فلا يقاتلوا، ومنهم تظهر الكسرة»<sup>(184)</sup>، هذه شهادة مُرّة تدخل مع من سجلت عليه حتى في قبره، وهذا شائع ومتعدد في الأحداث المغربية، وسجل مثله على العبيد، فما سبب هذه الظاهرة؟ أليسوا مغاربة؟ عليهم واجب هذا الوطن؟ تلك ظاهرة إن صحت يجب أن تدرس وتعالج، فلا مجال لتهاون يهدد الوطن بكامله عند الواجب.

وإذا تكون كريهة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

«والذي يظهر أن دولة المغرب لم تكن في ذلك العهد، تعتمد على جيش منظم كجيوش الدول الأوروبية، وإنما كان اعتمادها في الغالب على الروحيات، أكثر من الماديات» (تاريخ تطوان ج 4 ص 132) ومنذ اكتشاف البارود، لم تعد البداوة تغلب الحضارة، وتبرز لنا رسالة الخطيب المذكورة إلى السلطان نفسه مستوى التعليم، فما بالك بالمقاتلين الأيمن؟ ثم هل كان فيما يلحق أثر للفكر المستنير، أم أن الغاية منه هو تكوين خزانات تمشي على رجلين بمنقول بلا معقول؟!.

فهل لهذه الملاحظة ما يبررها حتى لا تنتهم بالتنقيص؟ ها هو السلطان عبد الرحمن نفسه لما حرص على تثقيف حفيده الحسن في عام 1272هـ لم يجد له أستاذا! إذ قال: «فإن سيدي حسن أصلحه الله أراد القراءة ولم نجد له فقيها، فقد عرضنا ذلك على كل من هنا من طلبه مراکش، فلم يرد أحد الذهب لا حمر، وكتبنا لك بذلك، فلعلك لم تجد من يقبل، ولا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(185)</sup> يا للعجب! فإذا كان سلطان البلاد لا يجد في مملكته من هو أهل لتثقيف ولي عهده، فكيف بباقي هياكل الدولة ومن دونهم؟ ألا نحمد الله ونشكره على ما وصلت إليه الثقافة المغربية في عهد ملكنا محمد السادس؟ إلى حد تكوين أئمة لعدد من الدول الصديقة منهم حتى دولة فنلندا في أقصى شمال أوروبا. وأما بنعمة ربك فحدث. ومن كان في نعمة لم يشكر، خرج منها ولم يشعر.

فهل حيرة السلطان عبد الرحمن هكذا عندما لبي نداء الأخوة بالجزائر ضد الاستعمار الفرنسي؟ ثم ما هي ثقافة معظم من جهزهم هذا السلطان لولده سيدي محمد وعددهم

(184) تاريخ تطوان، ج 4، ص 233.

(185) إنحاف أعلام الناس، ج 2، ص 116.



30000 من المقاتلين المجاهدين في معركة أنكاد؟ ضد 4000 المجهزة بمدافع تصم الأذان، وترهب الخيل وتفتك بالفرسان، فكانت النتيجة مع الأسف غير منتظرة، إنها «مصيبة عظيمة، وفجيعة كبيرة، لم تُفجع الدولة الشريفة بمثلها»<sup>(186)</sup> ففرضت شروطاً للأ مغنية في المغرب الشرقي.

أما الإسبان في سبته فقد «بنى نصارى سبته على المحدة بيتا من حجر وطين، وجعلوا فيه علامة طاغيتهم (الراية) ... فعمد أهل قبيلة أنجرة إلى ذلك البيت فهدموه، وقتلوا منهم أناسا...» وقال الإسبان: «لا بد من قتل اثني عشر رجلا منهم بطنجة، وعظم على السلطان أن يمكّن العدو من أولئك المسلمين، فأعلنت الحرب على المغرب» (نفس المرجع).

### السلطان محمد بن عبد الرحمن سنة 1276هـ :

وما جاء في كتاب غارسيا فيغييراس : Marruecos الأسباني : «فعلى مقربة من سبته القديمة، وفي داخل حدودنا (غريب!) شرعنا في بناء مخفر أطلق عليه اسم القديسة كلارا، فاستاء من ذلك أهل أنجرة، فقلعوا الأساس، ثم أعيد تجديد البناء، فقتل الأنجريون بعض عمالنا، وحدث في أثناء ذلك وفاة سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن، الذي خلفه في الملك ولده محمّد، ولم يصل جواب السلطان إلا في 24 أكتوبر، بينما قرر مجلس الدولة إعلان الحرب على المغرب في 22 من شهر أكتوبر... فلم يسع سلطان المغرب إلا أن أعلن الجهاد». (غارسيا فيغييراس) لاحظ مستوى الاتصالات والمواصلات ؟

وذلك ما تريده إسبانيا في شمال المغرب، موازاة لفرنسا في المغرب الشرقي، فاستولت على مدينة تطوان يوم الاثنين الثالث عشر من رجب سنة 1276هـ/1859م. وفرضت شروطا قاسية على المغرب، ليخرجوا من تطوان، وما استولوا عليه من الأرض، وانعقد ذلك الظلم الصارخ، في أواخر شعبان سنة 1276هـ<sup>(187)</sup>. «ووقعة تطاوين هذه هي التي أزال حجاب الهيبة عن بلاد المغرب» (نفس المرجع) وقد عزم السلطان سيدي محمد بن

(186) الاستقصا، ج 9، ص 53.

(187) الاستقصا، ج 9، ص 85.

عبد الرحمان على أن يتفرغ إلى تكوين جيش مغربي حديث، لولا الاشتغال بتعجيل إخراج الإسبان من تطوان، مما فرض سلف المال لحسم مادة الخلاف.

كما أصيب المغرب في تلك الظروف الصعبة بأفات غير منتظرة،! ففي عام 1283هـ/1866م ظهر بالمغرب جراد منتشر، أكل النجم والشجر وباض وأنتج، وفي عام 1284هـ/1867م. وقع بالمغرب غلاء مفرط، أرّخ الناس به كحدث عظيم، وفي عام 1285هـ/1868م عم الوباء المغرب، ومع ذلك قاوم المغرب ظلم الغزو الأوروبي وآفة الطبيعة، وذلك سر من أسرار قوة هذه الأمة المغربية التي لا تستسلم للأجنبي، وهذه ميزة يجب أن تنتشر، وفي المحافل تذكر، وفي عقول الشباب تغرس وتستثمر.

أضف إلى ذلك أن نكبة إيسلي في المغرب الشرقي عام 1260هـ/1844م ضد الزحف الفرنسي من الجزائر، وقعت في حياة مولاي عبد الرحمن نفسه، وما سجله الناصري أن من آفة ذلك : «لم يكن للدولة جيش منظم، ولا أسطول بحري ولا مركب بحري واحد، ولا معاهدة تؤيد بالسلاح عند الحاجة؟».

وبعد معاهدة تطوان تطلعت إسبانيا إلى ساحل آيت باعمران، وأهل الجنوب الذين عضهم ألم الجوع في مشارف الصحراء، على حد تعبير مولاي الحسن الأول.

### مسار الأحداث في آيت باعمران :

بعدما لخصنا ما وقع في جوانب من شمال المغرب في قضية تطوان عام 1277هـ/1860م نلاحظ تتابع المراسلات من السلطة المركزية إلى كل جهات المملكة ومن ذلك :

رسالة استنفار من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن إلى السيد الحسين بن هاشم بتازروالت في عام 1277هـ يأمره بأخذ الأهبة والاستعداد لعدم الثقة في العدو ولقبح أعماله. وهذه رسالة من آيت باعمران إلى سيدي العربي الأدوزي منها «وقد استغاث بكم إخوانكم من أهل وادي نون (نول) ويني بعمرانة ومن جاورهم من تلك الجهات من هجوم العدو الكافر عليهم، وأرادوا أخذ بلادهم وغيره مما وصلوه من أرض المسلمين، فأغيثوهم عاجلا عاجلا بلا توان..»



وهذه رسالة أخرى من أيت باعمران، بخط الفقيه محمد بن صالح التدرارتي الباعمراني منها: «ليعلم سيدنا أن كتاب الشيخ محمد بن الشيخ مبارك الأكلمي من بني موسى بن علي، والحاج حَمْدَنَاهُ قد ورد علينا، وفي مضمونه أنهما اشتغلا بالدفاع عن المسلمين هناك، يستنفرونكم، فصلوهم بنية الجهاد، وإن أخاهم الحبيب بن الشيخ مبارك، قد وقف للعدو الكافر حتى خرج في وادي درعة هذه الأيام، وأوسق لهم فيه صوفاً، وأرادوا أن يبنوا فيه، وتعرضوا له، ولم يغنوا في ذلك شيئاً، بعد أن تضاربوا بالبارود في قرية أكلميين، واستغاثوا بالمسلمين.. فقرأ بعمرانة كتاب من ذكر في سوق خميس بني بوبكر، فبرحوا بالجهاد، واللقاء يوم الجمعة في رحبة سوق أربعاء مستيتين، وأحببنا منكم أن تحرضوا جيرانكم من آل بعقيلة، وبني سمالة، وبني رسموكة، وغيرهم جبلاً وفحصاً. عن إذن أعيان قبيلة بني بوبكر محمد بن صالح بن عبد الرحمن التدرارتي».

كما بلغ ذلك للأدوزي، وهشتوكة، وهوارة، وهلاله، وغيرهم من خاصة المسلمين وعامتهم في عام 1278هـ وهكذا صار المغرب كجسد واحد...

#### استنفاة السلطان محمد بن عبد الرحمان للأمة :

«أخانا الأعز الأرضى مولاي العباس، وبعد : فإن بيروك التكني (قائد) كان على عهد سيدنا توطاً مع بعض النصارى على البناء بشاطئ أرضهم، فبلغ خبره لمولانا، وحلفه في المصحف الكرم على ألا يعود لذلك، وظهر منه من التوبة ما أوجب اعتباره ومراعاته عند سيدنا، ثم خلفه من أولاده خلف أضاعوا تلك الوصايا، وأرادوا أن يعرضوا بلاد المسلمين للرزايا، ويبيعوا دينهم بديناهم، فتواطوا مع نصارى جنس الصبنيول على البناء هنالك، فسمعت تلك القبائل المجاورة لهم بذلك، واتفقت على قتالهم إن لم يرجعوا على غيهم، ويقلعوا عن غيهم، ولا يخفى ما يترتب عن ذلك من الفتن والأهوال، واتساع دائرة القتال، ومن المعلوم أن أهل تلك البلاد من جملة رعييتنا وإيالتنا، فليس لأحد منهم أن يفعل في شبر منها ما شاء، ولا تسلمها تلك القبائل ولو أفناهم القتال عن آخرهم، وبأن قبائل تلك النواحي رمت ولد بيروك عن قوس واحدة، وليس معه أحد فيما أراد فعله، وقد أخبر خدينا الطالب عبد الله أبهي بمثل ما أخبر به المرابط

المذكور (الحسين أهاشم) ونسأل الله أن يعجل بهلاكه أمين والسلام. في 11 من ربيع الأول عام 1278هـ / 1861م<sup>(188)</sup> والحق أن رسالة السلطان هذه طويلة ومستنفرة مركزة على الحذر من أن يؤدي ذلك إلى نفس بداية حرب تطوان.

«أما الرسالة الباعمرانية المذكورة، فمن شيخ قبيلة أيت إخلف أحمد بن الشيخ هم الخلفاوي بخط صهره القاضي محمد بن صالح التدرارتي، وهو فقيه متمكن، من الأخذين عن الأدوزي، فصار من كبار مجلس سيدي الحسين بن هاشم بتازروالت، وكان عدد إنفلاس قبيلة أيت بوبكر 24 أنفلوسا، وكانت أحكام الاستئناف ترسل بتزكية خط التدرارتي محمد بن صالح هذا إلى الأدوزي، زيادة على تعدد المصاهرة مع الشيخ المذكور الذي تزوج فضمة بنت العلامة علي بن صالح التدرارتي، مما قوى التعاون والدفاع ضد تطلع الأجانب في شواطئ أيت باعمران، إلى حد استنفار سوس بكامله بتلك المراسلات». (تقييدات القاضي جهادي محند).

وفي أثناء حرب تطوان، نجد هذا السلطان يحض على إرسال النجدات من أهل سوس، ومنها «خدينا الأرضى الطالب أحمد بوست... وها نحن استنفرا أهل الفائجة ودرعة وسوس للجهاد، فنسأل الله كمال المدد بمنه والسلام. في 20 رجب الفرد عام 1276هـ». وفي الرسالة الثانية أيضا : «فعلى آل أمّ لن السلام والرحمة والبركة من الضعيف الحسن بن أحمد بتمكيدشت... وموجه إعلامكم بالجهاد... وسنعين أمير المحلة يقود بالجميع إلى بين يدي السلطان نصره الله، ولا تقصروا. في 16 من شعبان الأبرك عام 1267هـ، ونسلم على المرابط الفقيه البركة سيدي أحمد بن عبد الرحمن الكشتيمي. وقد أخبر مؤرخ سوس : أن الناس قد لبوا هذا النداء، واجتمعوا بمراكش، وحكى عن القائد إدريس منو، أن عددهم بلغ نحو اثني عشر ألف مقاتل»<sup>(189)</sup>.

وفيما يتعلق بأيت باعمران : جاء في المادة الثامنة «التعهد بالأرض الكافية لإنشاء مركز لصيد الأسماك على مقربة من سانتا كروز الصغيرة (Santa cruz la Peguena) بساحل المحيط الأطلسي، ويجب الاتفاق على تعيين لجنة من لدن كل منهما لتعيين

(188) إتحاف أعلام الناس، ج 5، ص 420.

(189) تاريخ تطوان، ج 4، ص 220.



الأرض، والحدود، التي يلزم أن تكون للمركز المذكور». (تاريخ تطوان ج 4 ص 289) ولنا مقال في مجلة الكلمة العدد الأول سنة 1971م ولعله كاف في الموضوع.

### رحلة ولي العهد الحسن الأول إلى سوس :

«ولما قرت عين والده بأوبته ظافرا منصورا، عقد له عام 1280هـ على جيش بقصد تمهيد قبائل سوس الأقصى وسياسة من دنا من تلك القبائل ومن استقصى، فبلغ وادي ماسة، بل جاوزه، ثم ثنى عنان عزمه لباقي بلاد سوس، مثل هشتوكة (أشتوكة) وهوارة ورأس الوادي، واستخلص واجب بيت المال المرتب في ذمتهم، كما استخلص ما توفر بدم مَرُوضَة و دَوِيرَان و سُكساوَة و نَتَيْفَة و مَتوگَة و أولاد أبي السبع، فاستقبله والده بكل حفاوة بمراكش»<sup>(190)</sup> وكانت بعثته هذه رحلته الرسمية الأولى سلمية ناجحة وهو ولي العهد ؟

وكلمة جاوز ماست صحيحة، منها وصوله إلى أشتوكن بتاگراگرا بتيغزي ثم إلى مدرسة إصبويا ثم إلى مستي حيث عين هناك جد بن خليفة الذي بتيزنيت وموضع الإشكان أن المحلة الكبيرة لهذا الأمير في السنة المذكورة 1280هـ بقيت في أشتوكن، ثم تقدم هو بمجموعة من قوته حتى نزل بموضع أشتوكن بتاگراگرا ومن ثم إلى ثلاثاء إصبويا، ثم وصل إلى مستي قريبا من المحيط، فترك هناك حراسة محدودة لعسات المراسي منهم عائلة برّو وأهل ابن خليفة المستي الباعمراني. والمحزر من إدوقير بجوار إفني. وفي بداية بناء أربعا مستي أدلى أحدهم بالتحريير، لكن الضابط المكلف قال له : هذا تحريير من الحسن الأول لجدك وأنت أحضر لنا تحرييرك من الحسن الثاني نحررك من عمل القبيلة وإلا فالسجن، فاقتنع الرجل ودخل في عمل الجماعة.

ولا أدري لماذا يكتفي المؤرخون بكلمة تجاوزه لماسة ؟ فهل لتخفية ما تدعيه إسبانيا في إفني بقوة في هذا التاريخ ؟ وهو المعتمد، أو لأن الأمير الحسن الأول، اكتفى بجس النبض هناك مُعَيَّنًا من يراقب تسرب الاستعمار في سواحل أيت باعمران ؟ فعدت رحلته الأولى كأمر إلى سوس، لجمع واجب بيت المال المرتب في ذمة أشتوكن إلى تارودانت،

(190) ابن زيدان الإتحاف، ج 2، ص 117.

ولم يثر ما بعده، مع العلم أن الشرط الثامن من معاهدة تطوان الظالمة، كانت من أخطر ما شغل والده السلطان سيدي محمد، فاتقى شرها الأمير بعدم اللقاء بالقناصل، فاتخذ سرج فرسه كرسيه في جولاته لتقوية البلاد في انتظار رحلته الكبيرة إلى سوس عام 1299هـ. فنجح بذلك نجاحا هدم به مزاعم الخصوم. المستمرة كل هذه المدة.

### حضور أعيان القطر السوسي بمراكش :

«ولما حضر بشريف أعباه أعيان القطر السوسي كأبي عبد الله محمد بن الحسين أوشاشم، والقائد دحمان بن بيروك التكني، والحاج مسعود الراشدي، والقائد أحمد العبوبي السرخيني، والعمال الذين يتصارفون معهم من أيت باعمران، وباعقيلة، وتيزنيت، وغيرهم، كالقائد على الخصاصي، والقائد إبراهيم بوفوس، لأداء واجب التهنئة، ومشاهدة هذه الحفلات المولوية العيدية، وفق المقرر المألوف في ذلك، أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن العربي الجامعي بإحضارهم بشريف الأعباب، ومفاوضتهم فيما صمم عليه جنابه العالي من الوجهة لناحياتهم، فأحضرهم وعرض عليهم القصد المولوي، فاجابوا بالترحيب والبشر، وسردت عليهم مراحل السفارة الأولى، فوافقوا على بقاء البعض منها على الأصل، وأشاروا بتبديل البعض، قال الخصاصي وبوفوس : إن المسلك السهل المتواصل العمارة والماء إلى غلميم، إنما هو على بلاد لخصاص، لقربه واتصال الماء والعمارة، فذكروا أن من بونعمان لأندجا نحو الخمس ساعات، لكون محطة الظهر الفارغة بينهما ليس فيها إلا المطافي، ومن أندجا لإكيسل نحو الساعتين، ومنه لگلميم كذلك، كما ذكروا أن لبلدهم طريقا آخر.

بيانه أن من عين أولاد جرار إلى محل الماء القريب من تمرغت (ميرغت) بنحو نصف ساعة نحو الساعتين، ومن ذلك إلى أندجا نحو الساعتين ونصف، ومنه إلى إكيسل كذلك، ومنه إلى غلميم كذلك، وهناك مراحل أخرى.

المرحلة الأولى : من ماست إلى تيزنيت، والعامل محمد أوحسون التيزنيتي، وفيها الماء الكثير، والثانية من تيزنيت لأولاد جرار، والعامل محند بن عبد الرحمان الجراري، وفيها الماء الكثير، والثالثة من أولاد جرار لبونعمان، والعامل القائد يحيى البريمي،



وفيها الماء الكثير، والرابعة من بونعمان لإيسنك، والعامل إبراهيم بن سعيد، وفيها الماء الكثير، والخامسة من إيسنك إلى خميس لأيت بوبكر والعامل أحمد بن الشيخ همّو البوبكري وفيها الماء الكثير (وهذا هو جد جهادي المباشر)، والسادسة من خميس لأيت بوبكر إلى بئر تانگارفة والعامل باكريم، وفيها الماء الكثير الجاري، والسابعة من تانگارفة لقم تيكطان والعامل باكريم كذلك، والماء عيون دائمة بالمحلة، والثامنة من قم تيكطان ليگيسل، والعامل باكريم كذلك، وفيها الماء الكثير، والتاسعة من إگيسل لكلميم والعامل ولد بيروك، وفيها الماء الكثير جدا. كما وقع الكلام معهم في شأن اكتيال الشعير فأشاروا بأن يكون من يكتال لكل مرحلتين، وما اكتاله ينزلونه بالمحل الذي تنزل به المحلة.

وقد فضل السلطان أن يسلك وسط أيت باعمران، وهو مسلك الملوك السابقين بدل مسلك هضبة الضهر المرتفعة القليلة المياه، فنزلت محلته بإيسينك الذي ذكر أنه مرسى خطأ؟ ! ثم إلى خميس أيت بوبكر وأثلمون، والمقام أربعة أيام والعامل أحمد بن همّو الخلفي، ثم إلى ثلاثاء إصبويا، والمقام يوم، ثم إلى تبجكلت، ثم إلى زاوية تيليوين، ثم إلى الرق (الرك) أولاد أبي السبع، ثم إلى مدشر أكلميم والمقام أحد عشر يوما.

تنبيه هام: ورد خطأ في تعيين مكان المراسي في أيت باعمران، إما لعدم معرفة محرر الرسالة الرسمية، أو لأمر تدبير بلبيل كما شاع ذلك عندما ظهر الخطأ.

1 - أسندت مرسى إيسينك إلى القائد إبراهيم الساكن بعيدا عن البحر بحوالي 15 كلم، ولكي يوسع ثلاثة قواد نفوذهم اتفقوا على مؤامرة تقسيم قبيلة أيت برايم، فأخذ القائد حسون بن عمارة الساحلي مائة كانون، والقائد علي بن مسعود الخصاصي مائة كانون، والقائد إبراهيم بن سعيد الباعمراني مائة كانون، وذلك عام 1301هـ/1883م<sup>(191)</sup>.

وإلى هذه الجراءة نبه الأستاذ علي المحمدي، لكن ليس في إيسينك مرسى كما ذكر، بل المرسى على شاطئ البحر في مصب وادي سالگماض، كما ذكرنا حسب تعيين 1299هـ وذلك خطأ، وشاع أن ذلك كان متعمدا، لكي يصل حكم قائد إيسينك إلى

(191) علي المحمدي السلطة والمجتمع نموذج أيت باعمران.

البحر، لذلك «هاجم القائد إبراهيم هذا على ميرلفت ليصل إلى البحر، وهي من أحكام القائد أحمد بن الشيخ همّ، فرفعت الشكوى به فأندر السلطان القائد إبراهيم، فترجع إلى أن سويت الوضعية». (رسالة السلطان في الموضوع).

وفي عام 1299هـ «نهض السلطان الحسن من مراکش ووجهته قطر سوس الأقصى، حيث إن الإصبان تشوف لتملك بعض المراسي السوسية منذ انعقاد الهدنة الواقعة عقب حادثة تطوان» (ابن زيدان الإنحاف ج 2 ص 206) والمقصود هنا هو أطماع إسبانيا في سيدي إفنى وما وراءه من سوس الأقصى، وكانت نهاية هذه الرحلة السلطانية إلى مشارف أكلو بمنحدر أمزور.

### وفود أيت باعمران للاقاة السلطان :

في هذا المكان السعيد بجوار زاوية سيدي عبد الرحمان «وفدت على السلطان الحسن الأول، أشرف أيت باعمران وفقهاؤهم ومرابطوهم وأعيانهم وأشياخهم المالكون لقيادهم، وأظهروا كامل الطاعة وغاية الإذعان، ووليت عليهم عدة من العمال، ووقع الكلام معهم في شأن المرسى التي أريد فتحها بالمحل المذكور آنفا، فأجابوا بالامتثال، والسمع والطاعة، ووجه معهم المهندسين والفقهاء ولفيفا من أعيان الجيش، لتخطيط تلك المرسى ورسمها على الوجه اللائق، والنهج الهندسي الراقق»<sup>(192)</sup>.

«وقبائل أيت باعمران هذه كثيرة تفوق الحصر، يتكلمون بالعربية والسوسية، وبكل قبيلة مدرسة يدرس فيها العلم، وتدفع لها زكواتهم وأعشارهم يأكلها طلبة العلم، ولأيت باعمران كرم زائد وشجاعة وهم أباة الضيم، أهل شمم ونخوة، يحبون الغريب النازل بهم، ويكرمون الضيف، لاسيما رؤساؤهم فإنهم يحبون العلماء ويجلونهم غاية، ولا يتكلمون في مجالسهم حفظا لحرمتهم وتادبا معهم وكذلك تلك القبائل بحيث يذهل الداخل لبلادهم ما يرى من أنواع الأدب». (ابن زيدان نفسه)

«ولما استقر به الثوى، أوفد وفدا لوادى نول، عمه مولاي الأمين، ووزيره على سماع المظالم، العلامة السيد على المسفيوي، والقائد مبارك بن الشليح الشراذي الدليمي،

(192) ابن زيدان إنحاف أعلام الناس، ج 2، ص 210.



والقائد حمان بودلأحة الوُدِّي، والقائد عبد الحميد الرحماني، في ليف من الأتباع، حيث بلغه أي المترجم أن مركبا إنجليزيا ورد لتلك الناحية القاحلة حاملا للأرز وغيره من المقتاتات بقصد الاتجار مع تلك القبائل المصابة بالفحط وأليم الجوع، وخاف سوء العقبى، ليحققوا له الأمر، ويطلعوا على الأحوال بتلك الجهة التي أكثر المرجفون القيل والقال فيها؟! وامتدت أعناق الأجانب إليها، وكثرت أطماعهم فيها، لتدارك الخرق بالرتق قبل اتساعه». (نفس المرجع).

### القطر السوسي في عرف المخزن :

«ثم أمر بإصلاح دار المخزن بتيزنيت، ونصب قائدا من قواد جيشه المظفر وأقامه بقصبة تيزنيت بقصد أن يكون إعانة لسائر عمال ذلك القطر السوسي، من وادي والغاس (ماست). إلى منتهى وادي نول وكونيم، يتفاوضون معه فيما عسى أن يعرض لهم من المهمات، ولاسيما إذا كان المخزن بعيدا، وصرح لهم بأنه أقامه مشرفا للتفاوض معهم، وبصيرة على ما قصده من فتح تلك المراسي، وفرحوا بذلك واطمأنوا، ووقع الإشهاد عليهم بذلك، ودونك نص عقد الإشهاد الواقع عليهم بما ذكر» (إتحاف أعلام الناس ج 2 ص 211).

«الحمد لله الذي ابتدأ عباده بالإفضال والإحسان، وجعل نظام أمورهم بقسطاس وميزان، وجعل السلطان ظلا ظليلا يأوي إليه كل مظلوم، ومن اعتصم به فهو لا شك بحول الله وقوته معصوم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الميعوث هاديا للأنام، والموضح للشرائع والأحكام، وعلى آله وصحابه الكرام.

وبعد : فلما حل مولانا المنصور بالله بحبوحة القطر السوسي حلول بين وأمان، وجاس خلاله في المهامه والعمران، وصارت قبائله تتوارد من كل فج الكبراء والأعيان، وورد طاعة وانقياد وإذعان، واصل الله سمو مولانا وارتقاءه، وصرف لإقامة المصالح اهتمامه واعتناؤه، وولى على كل قبيلة عمالا يضبطون أمرها بكلمته، ويدافعون عنها بسطوته، اقتضى نظره السديد، ورأيه الموفق الرشيد، أن يعين كبيرا من جيشه السعيد، يكون بركة وسط عمال قبائل جزولة وواسطة لهم فيما عسى أن يعرض لهم، وإعانه لسائرهم،

وتقوية لأزرهم، وشادا لعضدهم، ومرشدا لهم، ومبصرا ليستشيروا معه فيما يكون من الأقوال والفعال، في الحال والمآل، مما تدعوا الضرورة إليه، وتتوقف الأوامر المخزنية عليه، ويبعد عليهم تناوله مع جانب مولانا المؤيد حين يكون نائيا عن البلد لدراية المعين وخبرته، ونجدته وفطنته، ومقره يكون بتيزنيت، محل قرار المخزن في القديم، ليجري على النهج القديم، وأما ما يرجع للعمال بما لا بد لهم فيه من أمورهم، أو مصالح قبائلهم، فلا واسطة بينهم وبين مولانا أيده الله في ذلك، لكونهم مستقلين بأمور تكليفهم، ومتحملين بدرك أياتهم، كتحميلهم بشد عضد بعضهم بعضا على خدمة مولانا الشريفة، وتنفيذ أوامره المنيفة، وبالتعاون على البر والتقوى.

فحينئذ حضر لدى شاهديه أمنهما الله بمنه بمجلس الفقيه العالم العلامة، الدراكة الفهامة، الحججة الأكمل، البليغ الأجمل، التحرير المحقق المدقق إمام حرم مولانا إدريس نفعنا الله به، شيخ الجماعة القدوة المحدث الخطيب البليغ بالحضرتين، قاضي الجماعة بمكناس ونواحيها، وبالمحلة المنصورة بالله تعالى، وهو أحمد بن الطالب ابن سودة أعزه الله تعالى وحرسه، عامل كل قبيلة ومن معه من إخوانه، وبعد ما عرض عليهم ذلك، وعرفوا المقصود منهم، أشهدوا أنهم ارتبطوا ذلك والتزموه، وصمموا عليه وأبرموه، وعقدوا على ذلك عقدا صحيحا إلى غير غاية ولا أمد ولا نهاية، اشتمل على الغائب والشاهد، وانتسخ حكمه على الصادر والوارد، بحيث لا تعقب فيه لأحد بوجه من الوجوه.

ومن رام نقض ما ذكر من أهل الزيغ والفساد، وسعى في الفتنة والشنآن بين العباد، أو تعرض لأحد في سبيل من السبل، أو تعدى في موطن من مواطن البلاد، فيعاقب العقوبة الشديدة لزيغه عن طريقة السداد والرشاد، ويجعل عليهم النصاب الثقيل (إنصاف الغرامة في العرف) زيادة على الردع والتنكيل، ويغرم ما أتلف وأفسد، سواء تعدد الفاعل أو اتحد.

فإن أعدم من فعل فأولياؤه وقبيلته يؤاخذون بجريته. ثم وضع العمال خواتم عمالتهم إثر تاريخه على ترتيبهم لفاً ونشراً عنهم وعمن حضر معهم من إخوانهم المرسومين، بالطرة يمنته بعد عقد الإشهاد تأسيساً للقصد وإبراما للمراد، عرفوا قدره، شهد به عليهم بأكملهم، وعرف أعيانهم وعرف بأسمائهم وعلى من ذكر دامت سعادته وكرامته بما فيه



عنه وهو بحيث يجب له ذلك في الثامن والعشرين من شعبان عام تسعة وتسعين ومائتين وألف هـ.

فلان بشكله وفلان بشكله، وبعده من يجب له الحمد لله أديا فقبلا وأعلم به أحمد بن الطالب بن سودة المري الله وليه ومولاه، وبخطه استقلّ» انتهت. (نفس المرجع ج 2 ص 213).

### العمل بالعرف في سوس :

«من عادة مجتمع سوس الأقصى - من وادي ولغاس إلى الساقية الحمراء - مباشرة أمورهم غالبا بالعرف، ويفصل بينهم عوارف يسمونهم إنفلاس، ولم تطبق عليهم قيادة عبد الملك بن بهي الحاحي في عهد السلطان سليمان، والقيادة لم تبتدئ في سوس إلا عام 1299 هـ<sup>(193)</sup>. نعم : في المغرب عرف دائم، لا يقدر في الشريعة، ولا يقطع الصلة «بتاغلديت» بل هو قوانين من صميم الشعب، يمتاز بالتكيف مع الأحداث حسب الزمان والمكان، ويقوم مقام ضعف السلطة المركزية إذا حدث ذلك لظروف قاهرة إلى أن تعود، طال الزمان أو قصر، كما حدث في أيت باعمران بشهادة السلطان الحسن الأول عام 1299 هـ الذي أقر عرف تلك القبائل ورسمه.

ومثل ذلك حدث في الأطلس المتوسط، كلاهما مستمر في عهد السلطان سليمان، إلى أن «نهض مولاي الحسن الأول عام 1305 هـ من مكناس، قاصدا القبائل البربرية بني مغيلد وزايان وغيرهم لتفقد الأحوال، وإخماد نار الأهوال... ولم تنلهم الأحكام السلطانية منذ وقعتهم الشنعاء مع السلطان العادل سليمان عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف هـ<sup>(194)</sup>، وهذه مدة واحد وسبعين سنة يسيرون مجتمعهم بعرفهم، بعيدين عن السلطة المركزية.

كما كان أيت باعمران يسيرون مجتمعهم بعرفهم قبل تعيين قوادهم عام 1299 هـ إذ كانوا قبل ذلك حسب عرفهم القديم «ينتمون إلى جدهم الأعلى اسمه يحيى : ففي

(193) روضة الأفنان تحقيق حمدي أنوش، ص 107.

(194) إتحاف أعلام الناس، ج 2، ص 249.

الشمال أبناء بوبكر بن يحيى، وفي الجنوب أبناء بها بن يحيى». (نص العرف القديم) فاستمر ذلك إلى عهد تقسيم السلطان الحسن الأول أيت باعمران إلى عدة قيادات نلخص أخبارها من مصادرها هكذا :

1 - في القسم الشمالي أيت بوبكر أychيا. فعين القائد أحمد بن الشيخ همّ البوبكري الخلفاوي على قبيلة أيت إخلف، وهو عامل على حراسة مراسي الشاطئ إلى أن توفي. 1316 هـ. براكش، وتولى بعده ابن أخيه القائد محند بن علي بن الشيخ همّ في عهد السلطان عبد العزيز، فلم يساعده الوقت، ولا أكل بها ولو فلسا، ولا فصل بين اثنين، إلى أن استشهد سنة 1917م ضد جنرال دولاموط. وعين القائد إبراهيم بن سعيد الوجداري على نصف قبيلة أيت بوبكر : أيت النص، وهو عامل لمرسى أخرى خطأ بإيسينغ؟ ! بعيدا عن البحر، إلى أن وقع إصلاح ذلك، فألحق بمرفقت. فلم يقتنع بحصته، فاندفع نحو التوسع، فقتل في معركة المسيد الأحمر سنة 1308 هـ وخلفه ابنه القائد محمد، فانتقم لأبيه بقتل أعيان أيت إخلف غدرا، فانتقموا منه هم كذلك، وهو في الطريق إلى السوق عام 1325 هـ.

وعين القائد أحمد أصواب البودراري على قبيلة أيت يعزى وهي فخذة صغيرة تشكل الثلث من أيت عبلا، فلم يحسن تسييرها «كما كان متهورا إذ اتفق مع قبيلة أكلو ضد أهل تيزنيت، ولما علم هؤلاء بذلك، برح إنفلاس بتيزنيت وباعوا داره التي في تاسوكت إييزلين، كما أعبى ظلمه قبيلته الذين استعملهم ظلما في بناء داره بتيزنيت، وكان معروفا بالكبرياء يركب فرسه أجرغام : الكميت ذو خلاخل وغرة في ناصيته، إلى أن انقسمت عليه قبيلته نصف مع أحمد ن الطالب العبلاوي، والنصف الآخر معه، ف وقعت الحرب قتل فيها ابنه عبد الله، وأخيرا قاموا إليه جميعا فخرّبوا داره مطرودا في الأفاق، إلى أن توفي عام 1346 هـ. كما استعمل القائد محمد الوجداري قبيلته كذلك في بناء داره بتيزنيت. إلى أن قتل بدوره<sup>(195)</sup>.

وقد تعرضت قبيلة أيت يعزى إلى أخذ ورد، إلى أن انتخبت عليهم أمغار الحسين اليعزوي ليمثلهم في اتفاق الهناء بثلاثاء الأخصاص سنة 1934م ونائبه معه الحسين

(195) مذكرات علي بومارت حاجي بتزنيت.



بن محند الكدائل، وهي بداية مشيخته، وقد قام بنصر السلطان في سوق بوغارفا سنة 1947م، ولما فر من القبض عليه إلى المغرب المحمي، باعت السلطة الإسبانية جميع بهائمته في موسم المسيد الأحمر بمزاد علني أبكى الجميع، ماعدا فرسه وبقرة ردت لابنه إبراهيم.

وعين القائد علي الخزار العبلأوي على قبيلته أيت عبلاً، ضيع أمر قبيلته، وأذكى فيهم قوى فتيلته، فلم يسعد بقيادته، فتسلط عليه العامة فلم يتركوا له خاصة ولا عامة، فابتلي بالخرف، وتوفي عام 1343هـ. وعين القائد بوهي الخصاصي على لخصاص، اشتهر بعداوته لحاكم تيزنيت، فرد عليه بالويل، ولداره بالهليل، ففر إلى الصحراء، ولما رجع اصطدم بالهيجان القبلي، فلجأ مجروحاً إلى أيت السيمور حيث أجله عام 1329هـ. وعين القائد حسون بن عمرة الساحلي على قبيلة أيت السيجل الباعمرانية، نذ الشرع وحكم بالعرف، وبذلك حرم القاضي أحمد بن إبراهيم من المتقاضين، فدعا عليه، فاستجاب القدر، بيد قبيلته فقتل.

2 - في القسم الجنوبي من أيت بها أychia : عين القائد البشير بن لحسن أصبايو على قبيلة إصبويا، سلمت داره من الخلاء، فاضطر إلى قيادة المخربين رغماً عنه، إلى عام 1333هـ حيث مات بالسم في ماست، كما شاع، وعين القائد باكريم على قبيلة أيت الخمس، لكن يموت هذا السلطان، أكلت الفتنة أصحابها من نفس القادة بلا شفقة ولا رحمة، وهناك قادة آخرون تحملوا المسؤولية في ظروف قاهرة. ليست يد الأجنبي بعيدة عن كل ما جرى، فاحترقت القبيلة بأخرى، وتلك ضريبة الجهل. رغم أن السلطان الحسن الأول عين في نفس التاريخ، وصيف جنابه العالي الطالب بوعدة السريفي كبيراً بأيت باعمران، وألزم العمال جوار المراسي الأربع : وهي مرسى سيدي محمد بن عبد الله، ومرسى سيدي وارزك جنوب إفني، ومرسى إيسيك بعبدا عن البحر (هناك توضيح) ومرسى أكلو بجوار تيزنيت، بحفظها والعسة عليها ليلاً ونهاراً، بحيث لا يدخل منها شيء ولا يخرج إلا بأمر مولوي، فالتزموا ذلك، ووقع الإسهاد عليهم به، وذلك في تاسع وعشري شعبان العام. وأمضى على ذلك العمال، بخواتمهم، وكتب بذلك لباشا مكناس القائد حمو بن الجليلي كتاباً نصه هكذا :

«بعد الحمد لله والصلاة والطابع الكبير الذي بداخله» الحسن بن محمد بن عبد الرحمان الله وليه. 1299 هـ وبداثرته بيتا البردة :

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في آجامها تجم  
من يعتصم بك يا خير الورى شرفاً فالله حافظه من كل منتقم  
(الشريف ابن زيدان إتخاف أعلام الناس ج 2 ص 212)

### بشرى نزول السلطان في أيت باعمران :

«وصيفنا الأرضي الباشا حم بن الجليلي : وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد : فقد قضى - والحمد لله - الغرض الذي ارتقى إليه الأمل المراد، وبمنا من أجله قطري سوس : الأدنى (حول تيزنيت) والأقصى (أيت باعمران حتى الصحراء) من صحاري البلاد، بنية خالصة تنيل الكل منهم ما أفاد، وتحبي رسمهم وأنسهم وقد باد، وترشد المتهور الذي منهم الإساءة إليه أجدى من الإحسان، والبهيمة عليه أكرم من الإنسان، عضدتها مواكب شديدة الالتحام، وجنود تقول لمن رآها تنكب لثلاً يقطرك الزحام، وصدور عمها الانشراح ومسرات أردفتها أفراح وآلات استعدادية جهادية تبهر وتروق، وخوارق ليست عادية تكاد عند سكونها تومض منها بروق، وفوارس ذات نفوس عصامية لا محل فيها للاستقصاء والاستفسار، ولا يأتي عليها ضابط إطناب أو فذلكة إكثار.

إلى غير ذلك مما تقتضي النعمة به التحديث، ويجذب من صميم فؤاد المحب المؤمن الحمدين القديم منهما والحديث، معترفين بأن الله سددنا في ذلك كله إلى غرض التوفيق، وأعلقنا من تحرى الصواب فيه بالسبب الوثيق، وأجرانا سبحانه على ما ألفناه من صنعه الجميل وتعودناه، ولولا فضله علينا بفضل فضله ما تم لنا منه ما أردناه، وذلك والحمد لله أن كافة قبائل القطرين المذكورين تلقونا بأجمعهم بأنواع الأفراح وأصناف المسرات.

وقدموا من الهدايا ما رأوه من أولى المهمات، وأعلنوا بواجب السمع والطاعة وحفيات التحيات، ووسطهم شرفاؤهم ومرابطوهم وفقهاؤهم وأعيانهم وكبراؤهم وذلك لما خيمنا



بقصوى عدوة وادي والغاز، الموالية لبلادهم، وجبال استقرارهم بعد أن كانوا كتبوا لشريف حضرتنا نحن بمراكش الحمراء، معلين بأنهم على سنن الاهتداء، مقيمين على إجابة الدعاء.

فلما التقى الجمعان، وجدنا ظواهر خبرهم وبواطن سرهم سواء، ولينا عليهم العمال والقضاة، وكذا على القبائل غيرهم ممن هو من مبادئ هذه الأقطار، أو من الغايات، وخططنا بخير بقاعهم لأجل استصلاحهم الرجال، حتى استحال ركض همالجهم لحن الحال، وأقبل أقاصيهم علينا إقبال الغادة، يهديها اليمن وتزفها السعادة، ثم بعد كمال استقامتهم وترتيب مراتبهم، طلبوا منا التجديد على ما بأيديهم بإقرارهم على عوائدهم وحملهم على أعرافهم التي عندهم عليها ظواهر أسلافنا الكرام، قدس الله أرواحهم في دار السلام، ومن غير من أمراء المسلمين، رضوان الله عليهم أجمعين، فأقررناهم وجددنا لهم عليه في الحين، واتبعنا في ذلك الإجماع وسبيل المؤمنين، ولو نيل من هؤلاء القبائل التي هي آساد وحشية، وبأفنان الغضاموشية، (الغضنفر) عشر هذا لكان كافيا في القصد من هذا الشأن، لأنهم هذه مدة تزيد على الستين سنة لم يتخلل بلادهم المخزن، هذا وأيضا فمن جملة الأهم المقصود لدينا بوجهتنا السعيدة لهذه الناحية البعيدة، فتح مرسى بوادي نون (نول لمطة) في حدود تكتة وأيت باعمران، بمحل يسمى أصك (أساكا) ليسهل بقربها على تلك القبيلتين البيع والشراء فيما يستقبل من الأزمان، لأنهم لبعده مراسي أباالتنا السعيدة عنهم يتضررون في تجشم السفر، لها بقصد ذلك في الطريق، وتشرق القوافل منهم ولو بوجود الماء بالريق، ويكاد نفسهم أن يقطع منهم حروف الحلق، فتيمنناها زيادة في الإحسان إليهم، والله يزيد في الخلق إلى أن بقي بينها وبين المحلة مرحلتان فيها ثلاث عشرة ساعة سفر الرفق. إذ ورد علينا أعيان القبيلتين المذكورين أيت باعمران وتكتة، وهؤلاء كغيرهم، فولينا عليهم ووقع الكلام معهم في شأنها، فأجابوا لذلك لما لهم من الرغبة فيها، حتى إن بعضهم سولت له نفسه فتحها على يد بعض تجار الدول.

وتقريبا كما ذكرنا وحرصا على بلوغ الأمل، واتفقت الآراء منهم على توجيه من يقف على انتخاب المحل الذي تبنى فيه، بما يقبل البحر تخطيطه وتأمين فيه جواريه، فساعدناهم ووجهنا صحبتهم سرية من القبائل والجيش السعيد، ومعهم طلبة الهندسة

لتقريب البعيد، بقصد معاينة محلها وتخطيطه، والإتيان لحضرتنا المحروسة بطبق تصويره، واستغنيا عن التقدم بهم بحيث إن قضوا الغرض فذاك، وإلا فننهض لقضائه على الله متوكلين، وبجيوشنا المتوافرة مصحوبين، لقربنا منهم إذ نحن الآن بأمرور من بلاد أهل أكلو مخيمون وهو الطرف الموالي لأيت باعمران الذي يسمى بالساحل - ساحل ند الحاج علي وهو من صميم أيت باعمران إلى أن اقتطعتم سلطة الحماية بوثيقة تقليص أيت باعمران - بينه وبين المرسى المقدار الذي تقدمنا أنفا حسبما قدمه المقاتيون، كما أن الأهمية أيضا نصب قائد من قواد جيشنا السعيد، مختارا من أمثالهم ذا رأي مصيب، وتسديد يكون بتزنيب محل المخزن في القديم، إعانة ودرءا لسائر عمال القطرين بالشار من قطع وادي والغاز (ماست) إلى منتهى وادي نون (نول) وأكلميم يتفاوضون معه فيما عسى أن يعرض لهم من المهمات، ولاسيما إذا كان المخزن بعيدا عن هذه الشرفات، واشترطنا على السادة منهم والأعلام والأعيان والحكام المعينين عندهم لربط الأمور، ربط إتقان وإحكام، أي يضربوا على يد أهل الجرائم، وأن ينتصفوا للمظلوم من الظالم، وأن لا يخرجوا في ذلك على ما تقرر لديهم من الأعراف والحد المحدود لهم عند الانتصاف.

وعليه أن يكون يعلم بالشاذة والفاذة، لا يترامى لعين لائمه ولاحيه، ولا يتوارى عن الحق في مغابن نواحيه، لنكون على بصيرة فيما قصدناه، من فتح تلك المراسي، ومؤاخاة لإثارة النعمة ودفاعا للبوؤسى فنصبناه، وبما هم من شأنه كلفناه، وحضر العمال المشار إليهم معه. وبعد ما عرفوا بذلك كله وعرفوه، أشهدوا بأجمعهم أنهم التزموه، وأنهم عند السمع والطاعة يقومون به جهد الاستطاعة، بل لإجل تمكن المعنى منهم أتم إمكان، على وجه الإذعان والاستحسان.

ختم العمال منهم بخواتم عمالاتهم على عقد الإشهاد، تأكيداً للقصد وتأسيساً للمراد، كما أشهد أهل السواحل منهم بالتزام جعل العسات في مراسي سواحلهم، كفاً للضرائر، وحسما لمادة النزاع والجرائر، وإرشادا للضليل، وفرارا من كثرة القال والقبيل. وبالجملة: فقد أطلقنا لهم بالخبر اللسان، ليصير هذا الغيب عندهم كالعيان، شارحين لكم الوجه الذي صرفنا إليه الآمال، واستعملنا أسنته اليمين وفي أعنته الشمال، وحثاً



على تمكينهم من حظكم من الفرح بما سنى الله لنا من العز والإجلال، واجتلاء وجوه التهاني، ووفود الآمال، ونحن على نية الأوبة بحول الله المتعال، فنسأله تعالى سبحانه أن يتم ذلك برد الجميع سالمين غانمين، ويسر لنا ما فيه رضاه ولكافة المسلمين آمين. والسلام. فاتح رمضان المعظم عام 1299هـ/الموافق لسنة 1881م<sup>(196)</sup>.

هذا وتعد هذه الإشادة في هذه الرسالة البليغة من السلطان الحسن الأول وساما وتكريما وتقديرا لمكانة أيت باعمران، ولوطنيتهم المتعلقة بوحدة الوطن وبالسلطة الشرعية قديما وحديثا، وحاليا واستمرارا، ومنذ تولية هذا السلطان «كان على الطابور السوسى، أي المعسكر الحاج على السوسى الباعمراني» (إتحاف أعلام الناس ج 2 ص 154).

### أوبة السلطان من مشارف أيت باعمران :

من أمزور إلى الكرمة بين المعدر وتزنت، ومنها إلى بكرة وادي والغاز، ومنها إلى الدحوش وهم أولاد بوطالب، ومنهم إلى طاكات بلاد هشتوكة، ومنها إلى بدار بلاد مسكينة، ومنها إلى بلاد بنسركاؤ قرب مرسى أكادير، ومنها إلى تامراغت، ومنها إلى إداوتامر، ومنها إلى تابوصيرت، ومنها إلى زاوية أمگدار، ومنها إلى وادي بورقي، ومنه إلى جمعة الكريعات، ومنها لعين أماست، ومنها إلى وادي شيشاوة، ومنها إلى نزلة المژوضي، ومنها إلى عدوة وادي نفيس، ومنها إلى بوغكاز، ومنه إلى الحضرة المراكشية» (إتحاف أعلام الناس ج 2 ص 217) وقد نجحت هذه الرحلة السلطانية بشكل أقلقت أطماع الإسبان، وخاصة لما قدم أيت باعمران أجمعين فتلقوه على مشارف بلادهم غرب تيزنت بأمزور، فعين فيه هذا السلطان قواد أيت باعمران عام 1299هـ.

### مزاعم الإسبان حول أسباب أوبة السلطان منها :

كان لقاء محلة السلطان بأمزور مع قبائل أيت باعمران المسيرة بالوضعية العرفية القديمة، وبهذا اللقاء انتقلت القاعدة العرفية إلى النظام القائدي المزوج بين العرف والقانون. باسم الظهائر السلطانية، فقسمت القبائل الكبرى إلى قيادات بهذا الاسم،

(196) إتحاف أعلام الناس، ج 2، ص 217.

تربطهم بالسلطة المركزية في المملكة المغربية، وذلك ليس من مصلحة تسرب الاستعمار إلى سواحل أيت باعمران ومشارف الصحراء، وخاصة مطامع إسبانيا «بعد استيفاء ما وقع الصلح عليه في حرب تطوان، وكان جملة المال المصلح عليه عشرين مليوناً من الريال الكبير»<sup>(197)</sup> وبما روجه جاسوس إسباني حضر في أمزور مسجلا ما يأتي :

1 - «إن محلة السلطان كانت كبيرة وصل عدد أفرادها إلى أربعة عشر ألفاً، وأن ما تستلزمه من الضروريات، لم تكن لديه في تلك السنة متوفرة بسوس، كما أن من استقبله هناك من أيت باعمران ومن إليهم من القبائل المجاورة، لا يقل عددها عن محلة السلطان، وكلهم في نفس مستوى حركة السلطان خيلاً ورجلاً.

2 - كان السلطان قد أمر بوسق الحبوب وعلف المحلة من الدار البيضاء إلى مرسى أگلو الطبيعية، لكن لما وصل إلى هناك، هاج البحر هيجانا كبيرا، قطع التموين على جيش السلطان، وكان ذلك يهدد محلته.

3 - ظهر مرض على بعض الأفراد في محلة السلطان سماه الوباء، لذلك خاف أن يزداد ذلك، والإمكانات غير متوفرة، فاضطر إلى الرجوع، وكثيرا ما تظهر الكوليرا في حركات السلاطين وقد يظهر فيها الوباء.

4 - حكى حوارا مستملحا جرى بين السلطان الحسن الأول نفسه وبين شريف اسمه مولاي أحمد من تادارت ند موساكتا بأيت باعمران، وذلك عندما أخبر السلطان بأنه سيعين في تزنت - محل المخابرة - ممثلا له، ليكون واسطة بين أيت باعمران والمخزن، فقال له ذلك الشريف : «كيف يمكن لتاحوگات أن تحكم في تاكيزولت ؟ هذا لم يكن ولن يكون» فقال له السلطان : [ما معنى تاحوگات وما معنى تاكيزولت] ؟ فصار ذلك الرجل يذكر القبائل في سوس هذه تاحوگات وتلك تاكيزولت، حتى عد الجميع، ثم أنهى كلامه بأن أولياء سوس هم الذين يحكمون أولياء شمال المغرب، وفي الحين انحنى السلطان بكل تواضع، وأخذ بيده قليلا من التراب ونثره على رأسه قائلا : «تسليم لأولياء سوس» فقال له ذلك الشريف : الآن قد صرت سلطانا لجميع أولياء المغرب» (نص بالإسبانية عند ج عبد الله بوژاليم الخلفاوي).

(197) الاستقصا، ج 9، ص 177.



نحن لا نجهل ما تقوله الجواسيس، وما قرره الغرب من تقسيم أفريقيا، وتطبيقا لذلك حاولت إسبانية تنفيذ فصل أيت باعمران عن المملكة المغربية منذ معاهدة تطوان، بما فيه إشاعات أخرى كان القصد منها «فصل شمال المغرب الشمالي عن جنوبه، فطبقتوا الجنسية سرا، وعدم توحيد يومي الصوم والإفطار بين المغاربة في أيت باعمران : Historia Laquerre D espqne رغم أن الحدود بين الحمايتين واد لا ماء فيه ولا شجر، كما منعوا في أيت باعمران نصر السلطان ولا ذكره في صلاة الجمعة في الجامع الوحيد في أيت باعمران أجمعين بإفني، كما منع رفع الرايات في مناسباتهم، وقالوا : «إن أيت باعمران من الدولة الإسبانية، والرايتان لا تجتمعان في دولة واحدة» (جواب من كباس لأعيان أيت باعمران في أمزدوغ سنة 1934م).

وفيما يخص بعض ما ذكر من النص الإسباني كان ممكنا، مثل حدوث بعض الآفات الطبيعية كالمرض وهيجان البحر، وما تعانیه 14000 من حركة السلطان من مشقة المسافة بين مراكش ومشارف أيت باعمران، لكن هذا الجاسوس نسي ما تكلف به أيت باعمران في مراكش في الموقع والطريق وتوفير المياه ..

إن هدف الإسبان هو التنقيص من تأثير رحلة السلطان على الجنوب، وخاصة إذا أخبروا بأن تلك القبائل الباعمرانية مر عليها ما ينيف على ستين سنة، دون أن يزورها في عين المكان سلطان في مثل مستوى الحسن الأول هذا، وذلك لتمركز الملوك في عواصم المغرب من جهة، ولمعالج طفرات من هنا وهناك.

ولما عالج السلطان الحسن الأول مخلفات صلح تطوان وما نتج عن ذلك، جدد قوة المغرب، فاتجه إلى تمتين علاقة تاريخ شمال المغرب بجنوبه، وذلك بسد الباب أمام أطماع المغامرين من الجانبين : الداخلي والخارجي، ومن عبقرية سياسة المخزن، أن وكل الأمر لأعيان قبائل أيت باعمران، لتختار كل قبيلة قائدها، فزكاه السلطان بظهير شريف، كما اختاروا جميعا ممثلا وحيدا منهم يكون في تيزنيت مقر المخابرة مع السلطة المركزية، فتم ذلك كله بشكل لا يمكن للمغامرين الأجانب أن يطعنوا فيه، ولا أن يجدوا فيه ثغرة تستغل لمد نفوذهم هنالك.

بل حتى الحوار المستملح الجاري بين السلطان وبين مجرد أحد الحضور في أمزور، حاول الإسبان أن يوظفوه كعدم الاحترام للسلطان، بينما وظفه أيت باعمران للتواضع ولسماع وجهة النظر لصالح وحدة البلاد والعباد، وخاصة بعد ترسيم استمرار الأعراف الباعمرانية التي هي منهم وإيهم، كما اعترف هذا السلطان بأولياء الله الأحياء منهم والأموات، فاستمرت العروة الوثقى بين الملك وشعبه، إذ قال : «وأجلسنا خاصتهم وعمالهم على أسرتهم، فاتصلت بهم المخزنية اتصال الأرواح بالأجساد، واستنارت هذه الأرواح بنور الله استنارة عمت الحاضر والباد». (الاستقصا ج 9 ص 175).

كل ذلك بفضل اتصال مباشر بين الملك وشعبه، في فضاء لا قلعة فيه ولا سور، ولا عين ماء فيه ولا شجر، ولكن فيه الوطنية الصادقة وحب الوطن من الإيمان ذلك لقاء بين السلطان وشعبه، وتلك سنة حميدة لا زالت مستمرة نشاهدها اليوم بأعيننا في جميع المناسبات ..

نعم : وردت في ذلك الحوار مشكلة النحلين المذكورتين، وما كان متداولاً في الزوايا بين الصوفيين ومريديهم. ولا شك أن ذلك سيثار فيما بعد، كما أثرت وسببت في خلافات خطيرة، ولا أظن أن أحدا من المنشغلين - في ذلك اليوم - بتسليم ظهائرهم، سيثير نحلتي تاكيزولت وتاحكات أمام السلطان، ولا حتى ذكر أفضلية الأولياء بين الجنوب والشمال ؟ وإن كان ذلك ثابتا ومشاعا في الأعراف القبلية لا يمكن تجاوزه، كما أن تعيين مقر المخابرة في تيزنيت المنسوبة إلى تاحكات قد يقال : لماذا لا يعين في وسط أيت باعمران كتيغزي مثلا ؟ مما جعل السلطان يختارها في رحلته الثانية عام 1303هـ / 1885م.

أما محاولة الكاتب الإسباني مقارنة قوة محلة السلطان بلقاء قبائل أيت باعمران بأمزور عام 1299هـ / 1881م فذلك خيال لا محل له، إذ كيف يقارن عظمة قوة السلطان الحسن الأول السلاحية والعسكرية ؟ مع العلم أن السلطان قد «استصدر من معمل الحمراء 1600 بندقية، و410000 رصاصة، وعشرة قناطر من البارود، ومائة قنطار من ملح البارود ومدفعين»<sup>(198)</sup>، يمكن أن يكون عدد أيت باعمران المرشحين بحملة السلطان 14000 شخص، ولكن أين الباقي من المماثلة العسكرية كما يدعي هذا الجاسوس ؟.

(198) عبد العزيز بن عبد الله ج 2 تاريخ المغرب ص 69.



أما طرح ذلك البدوي قضية النحلين - عن حسن نية - فقد حلت المشكلة إلى الأبد، كما اعترف السلطان بمكانة أولياء سوس وسلطتهم على غيرهم، وهو أمير المؤمنين، ومن تواضع لله رفعه، وقد تكون الرسالة الآتية من وحي ذلك اللقاء من حيث مستوى القوم التربوي والتعليمي، فأكد على بناء تيمزكيدا في كل مدشر، وأماكن ذلك مازالت شاخصة.

### رسالة الوعظ والإرشاد من السلطان عام 1300هـ :

ولما رجع السلطان الحسن الأول في رأس السنة 1300هـ وجه رسالة جامعة مشتملة على كثير من المواعظ والأوامر والنواهي والنصائح لجميع بلاد المغرب، هذه وصية مؤسسة على قواعد شرعية، ونصيحة دينية، لولاية الرعية، صدرت من عبد الله، الموفق بفضل الله، المتوكل عليه في سره ونجواه، أمير المؤمنين، ومن تلك الوصية التي يمكن أن نفهم منها ظروف البلاد عامة قوله :

«ونعهد إلى عمالنا وولاة أمرنا أن يلزموا أنفسهم وأهليهم طاعة الله ويدلوا رعيتهم عليها ويعملوا بسنة رسول الله ﷺ ويحضوهم عليها، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَلَأَ ﴾ وأن يلزموا كل قرية ومدشر ودوار مشاركة طالب علم يعلم أولادهم، ويفقههم في دينهم، ويقم لهم الصلوات الخمس في أوقاتها، ويحضهم على الآذان الدال على إيمان الدار، وهو للمؤمنين شعار، وأن ينبهوا على رد البال للطريق ليلا ونهارا...» (199).

### انتشار تيمزكيدويين القرآنية :

نفذت الرسالة السلطانية في كل مدشر بأيت باعمران، وكلها ترجع إلى تلك الظروف، وقد لفت انتباهي أثناء البحث الميداني تلك الكثافة غير الضرورية، حتى ذكر لي أن

(199) إنحاف، ج 2، ص 232.

سلطانا فرض ذلك، وخاصة في عهد السيبة المستمرة طويلا، إلى أن فهمت مغزى هذه الرسالة السلطانية إلى الأمة المغربية.

وهناك ظاهرة المدرجات للزراعة في جبال أيت باعمران، في الوقت الذي لا تتوفر لهم المساحات الواسعة في السهول والهضاب، فلم نجد لذلك سببا إلا في شيئين : أولهما هل وصلت كثافة السكان في السهول إلى حد لم يبق لمن لا يملك إلا استغلال سفوح المرتفعات ؟ فلو كان هذا الافتراض واقعا، لوجدنا ما يناسبه من اتساع العمران والمقبرات ؟ وبما أنه غير موجود، فلم يبق لنا إذن إلا فقدان الأمن في السهول المفتوحة، لذلك بنيت إيغيدار في قمم الجبال، لظروف قاهرة، ولا تكون إلا لغزو أو بقاء عام.

ولما قرأت وصية السلطان الحسن الأول السابقة الذكر، وفيها نص يقول لعماله وولاة أمره : «أن يلزموا كل قرية ومدشر ودوار مشاركة طالب» علمت أن تنفيذ الأوامر عام 1300هـ هي التي نفذت حرفيا بأيت باعمران..

وفي ذلك التاريخ على سبيل المثال : بنيت بجوارنا تيمزكيدا إيضرصار، وفيها بدأ عبد الكريم بعض الحروف، كما قال لي هو نفسه، ثم تيمزكيدا إيكرزّن التي تهددها الضباع ليلا حتى خلت من المشاركة، ثم تيمزكيدا وگندو، ثم تيمزكيدا بتادرات للشرفاء، وأخرى للطلبة بين العليا والسفلى، ثم تيمزكيدا ند مبايريك، ثم تيمزكيدا إيجاوان، كل هذه لم تكن قديمة ولا يخفى أهمية توظيف الطلبة وفرض تعلم الأطفال ... مع أن الأصل هو مسجد الصالح سيدي محند الشيخ بتيتركي الذي يرجع إلى عهد الموحدين.

وقد سبق أن ذكرنا أن ربط إيسيكگ وأگلميم بمرسى البحر رغم بعد المكانين عن البحر من أجل أن يسمّى المشرفون على المراسي بالعمال، امتيازاً لهم عن القائد، وهذا ما فسر لي بعض من استفسرتهم، لأن المخزن لا يمكن أن يخطئ إلى حد هذا التباين، وإن كنت لا أستبعد عدم المعرفة الكافية لذلك الإقليم البعيد عن عاصمة الشمال، مع قلة المواصلات والاتصالات ودور حاكم تيزنيت.



## أقدمية أزرف الأمازيغي وأهميته وتطوره :

لا شك أن العرف من أول القواعد التي تطورت مع الإنسان، وهو من أول مصادر القانون، وهو سابق للشرائع السماوية، بدليل تبنيتها، وتولد الأعراف في المغرب من بيئتها، وتكيف مع مجتمعتها، والذي يهمنا هنا هو العرف المستمر عبر قرون في إيغيدار والقبائل المنيع، ومن أقدمها عرف أكادير وجاريف، يرجع عهده إلى عام 904 هـ/1498م ولما شاع الفقه في أزارييف، والعرف في أجازيف، نسي هذا الأخير. للاهتمام بالفقه في المدرسة العتيقة العامرة بخزانتها وبأساتذتها المتفتحين كثر الله أمثالهم في سوسنا العالمة.

وقد ذكر ذ محمد منيب أصحاب ادعاء السياسة البربرية الفرنسية قائلا : «فإن الأعراف الأمازيغية مغربية أصيلة وضاربة جذورها في أعماق تاريخ البلاد... وقد أقر السلاطين المتعاقبون على الحكم بالبلاد هذه الأعراف، لتيقنهم من أنها لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية. ونذكر من بين هؤلاء السلاطين : أحمد المنصور الذهبي الذي أصدر ظهيرا يحث فيه ولاته على المحافظة على ما عهد لدى القبائل من عوائد وأعراف استمرت جارية عندهم بحيث لا تخرق لهم ولا تغير حالة من أحوالهم في قليل الأشياء وكثيره :

ومولاي سليمان في الرسالة التي بعث بها لأهل فاس في 13 ذي الحجة 1235 هـ والتي جاء فيها ما يأتي : «احفظوا هذه الوصية واحذروا من مثل هذا (...) فالدين النصيحة، اللهم اشهد فإن أردتم أمان أنفسكم يا أهل فاس، فادخلوا في حلف البربر فإن لهم قوانين ومروءة تمنعهم من الظلم ويقنعون بالكفاف» وهكذا فعل السلطان الحسن الأول في أعراف زمور الشلح والأعراف السوسية والباعمرانية<sup>(200)</sup>.

أورد صاحب المعسول عن غيره، أن العرف في سوس عقوبته بالمال «رعيا للمصلحة المرسله، جوزها علماء سوس، بعد إصرارهم على منعها، وبعد ملاقاتهم الصعوبات الكثيرة، والعقوبات الشديدة في الشؤون الداخلية والمسائل القضائية، فلما خافوا من اختلال أمور مصالحهم الأدبية والمادية، أو عزوا إلى عوامهم وأعيان قبائلهم بالعقوبة بالمال،

(200) الظهير البربري محمد منيب ص 36 بتصرف.

ساكتين عن الجواز وعدمه<sup>(201)</sup> وهذا الإعدام هو الذي رفضته ژناكة لعبد الله بن ياسين فطردوه. وعن أحمد الحبيب اللمطي المتوفى عام 1165 هـ أهمية العرف : ما كل عرف يراعى عند العلماء في الأحكام، ولا كل الأحكام تراعى فيها الأعراف، وفي تحفة القضاء قوله :

والعرف ما يعرف بين الناس، ومثله العادات دون ناس  
ومقتضاها معا مشروع، في غير ما خالفه مشروع  
والعرف في الشرع له اعتبار، لذا عليه الحكم قد يدار

وهذا النظم هو عين حقيقة العرف، والفرق الوحيد بينهما اللغة، فالعرف يستعمل اللغة الأمازيغية التي يعرفها الجميع تلقائيا بدون مدرسة، بينما الفقه يعلم بالعربية في المدرسة بعد جهد جهيد، وبنوع من التعليق، وإلا فالعرف هو عين الشرع، وهو شريعة المتعاقدين بأية لغة كانت، وورد في فتح الباري تفسير العرف عن عائشة أم المؤمنين لقوله تعالى : ﴿ومن كان غنيا فليستعفف، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف﴾ والرسول ﷺ يقول : «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميرة» ونلخص ذلك فيما يأتي :

1- فقد تطور العرف في سوس في القرن العاشر الهجري، وفي أول السعديين في حدود عام 933 هـ بشكل كبير، فغرامة مثقال أو مثقالين لمن تعرض بسوء لعالم أو طالب أو امرأة أو غريب أو يهودي أو لمن سرق في مواسم الحرمه أو الحصون والمخزون فيها إلى عهد السلطان أحمد المنصور السعدي، صار قدر العقوبة عشرة مثاقيل، ثم في بداية الدولة العلوية في عهد السلطان مولاي رشيد عام 1078 هـ صارت العقوبة 22 مثقالا، ثم تطورت إلى خمسين مثقالا، ثم تفاقمت في قبائل جزولة إلى 400 مثقال، وفي أيت باعمران ومن والاهم 100 مثقال، إلى أن توقفت بدخول الحماية لرجوع الأمن المخزني.

2- ومن مميزات أزرف الأمازيغي، التكيف والتأقلم في بيئته، ففي الأطلس المتوسط مثلا، نجد نفس عقوبة في إقليم آخر، تخضع لمستوى الاقتصاد المحلي، فقيمة البقرة في أيت باعمران، ليست كمثلها في عرف أسيف ندادس : (وادي دادس) فإذا فرضنا أن

(201) المعسول ج 3 ص 276.



ثمن البقرة في الماضي هو عشرة مثاقيل، فحكم على الجاني بعشرة مثاقيل، معناه بيع بقرة واحدة، لكن إذا حكم عليه بمائة مثقال، فمعناه بيع عشر بقرات، ونادرا من يملك ذلك في أيت باعمران.

وقد لاحظت هذا التفاوت في دية القتل بين أيت باعمران، والعرف في الأطلس المتوسط، ففهمت أن عقوبة العرف مرنة، تميل إلى الإصلاح، أكثر منه إلى الانتقام، بينما الشريعة نادرا ما تتبنى هذه المرونة - رغم فعل عمر في عام المجاعة، مع وجود النص - وذلك ما يدفع أهل الجاني إلى القبض على المذنب منهم كلما عجزوا عن دفع دية المقتول بسبب واحد منهم، فيسلمونه لأهل الدية، لينال جزاءه من المطالبين بحقهم، أو يعفون عنه فيسجل في العرف.

3 - يهدف العرف والقانون والشرع كلها إلى صون حريات الأفراد ومصالحهم الخاصة، بالإضافة إلى حفظ المجتمع، ومعلوم أن أزرف (العرف) هو «أول مصدر من مصادر القانون، وهو قديم بقدم الإنسان، وهو ملزم لمن وضعه، والعرف يسد نقصا في التشريع الوضعي، ولا مفر منه، إذ يُولَدُ القواعد التي تنظم الأمور»<sup>(202)</sup>.

4 - أما أركان العرف فاثنتان: الأول ركن معنوي، وهو اعتقاد الناس بأن العرف ملزم لهم، والثاني ركن مادي، وهو اعتياد الناس على سلوك معين لمدة طويلة، إذ الحاجة أم الاختراع كما يقولون، وهنا يبدأ الوعي، ويتبعه الرأي، وكلما ازدادت المعرفة عند الشخص، كلما أصبح رأيه أفضل، وهكذا ينتقل الرأي إلى الجماهير «وذلك قديم في حضارة الإغريق حوالي سنة 515 ق. م»<sup>(203)</sup>.

#### من أسباب إنشاء العرف :

- 1 - عندما تحدث للناس أفضية فاختلّفوا في احتمالات التصرف تجاهها.
- 2 - إذا كانت الحلول المقترحة غير كافية ولا مناسبة في نظر المجتمع.
- 3 - إذا كانت نية المقترحين غير صالحة للمجتمع، كأن تكون سيئة أكثر.

(202) أصول القانون إدريس العلوي العبلوي، ج 1، ص 573.

(203) الديمقراطية والجماهير تأليف يانكوفيتش، ص 76.

4 - اختلاف الأسس القانونية والاجتماعية لكل من العرف والشرع، لأن الشرع له صبغة سماوية، والعرف اتخذ صبغة وضعية عن طريق المتعاقدين كالجماعات الأمازيغية في المغرب، وهذا هو السائد في أيت باعمران.

#### مصطلحات متكاملة :

1 - يظهر أن أصل الكلمة الأمازيغية العريقة في القدم، هي أزرف، وتعريبها العرف، أي ما تعارف عليه الناس، ومصطلح أزرف هو المستعمل حتى الآن عند إزناكن بالأطلس المتوسط، ويمتاز بتحاشي الإعدام مطلقا، بينما عُرِبَ بالعرف عند إمصمودن، لكن إعدام المجرم عندهم منحصر في جمع تعدد كل من «القتل العمد، والسرقه، وقطع الطريق، وتهديد الأمن العام» ويعدم حتى لا يعود إلى الشر، وقبل الإعدام: «يخير أهل المجرم بين أداء قيمة جميع جرائمه المذكورة، ثم يضمونه بعد فك أسره، حتى لا يعود، أو أن يشرع أهله في بداية رجمه أمام الحضور العام إذا تبرأوا منه، ثم يتبعهم كافة الحضور» آخر رجم نفذ في أيت باعمران عام 1315هـ / 1897م بحضور القبيلة وسط سوق بإيجاون (تنفيذ العرف بمحضر عام).

2 - تافرْكَانت : ويقصد بها أفراگ ومشتقاته كالحراسة والسياح لمكان منصوص عليه كمحلة السلطان، أو حائط لمكان معين كالحبس المعروف بأكدال المشاع بالمغرب.

3 - أزواگ : اللجوء : ويقصد به لجوء مضطر إلى قوم ينال حماهم، فإذا قبل يندمج فيهم، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وهم مسؤولون عن حمايته، وما أكثر هذا النوع في أيت باعمران، ولا يعني ذلك التنقيص من شخصية المنتمي، ولا ينعت به، على عكس إمزي أي الطارئ على البلاد بدون انتماء، ولذلك فننوا مرتبة هذا الأخير بقولهم :

إمزي أيگ موتابع كافلاس إيلان

إننا إرا وُتمازيرت وُكان إيلان (6)

(قاعدة عرفية مخلدة في النظم)

4 - أسوف : ويقصد به معالجة مشاكل عائلية بين الآباء والأبناء والأجداد. واللف : غالبا تعريب لمصطلح أگدود، وحسب ذ. محمد شفيق تعني الحلف بين القبائل المتحالفة لتقاتل تحت راية واحدة. بل تحت جماعة منفذة.



5 - أمزراگ : ويقصد بها حمى غيره كمغلوب لاجئ إلى من يحميه، وقد يكلف ذلك الدفاع عن اللاجئ كثيرا، إلى حد التضحية بحياة الحامي، ولدينا نموذج في نازلة سوق إمي وُزرگ نـ وامن بأيت إخلف، فاستلزم ذلك سقوط أرواح دفاعا عن العار.

6 - طاضا : والكلمة مشتقة من أوضوض، ومعناها الرضاع، وتعني الأخوة والصدقة والعهد إلى حد التقديس. وهذه العادة قديمة في المجتمع الأمازيغي، كما فعلت الملكة الأمازيغية الداهية، عندما أختت بين ولديها مع شاب عربي برضاع تدييها ولو شكليا منذ عام 69 هـ/187م. وذلك الشاب هو خالد بن يزيد القيسي، إلا أنه خان العهد، وضرب بطاضا المقدسة عرض الحائط، «المثل الأمازيغي والتاريخ عرض لجهادي في كلية عين الشق بالدار البيضاء» (نشر في مجلة الفكر. عدد 12).

7 - أمقون : وهو الحلف، ويعد أكبر تجمع في النظام القبلي، ويتخذ غالبا بين القبائل من أجل التوازن بين الأحلاف المضادة، إلا أنه كثيرا ما ينفصم عندما ينتهي سبب عقده، لتنتقل كل قبيلة إلى أمقون آخر حسب الحاجة، وذلك وقع مرارا في أيت باعمران.

#### خصوصيات العرف الأمازيغي :

1 - يتكون العرف الأمازيغي عامة من وثائق يكمل بعضها بعضا، مما جعله يشبه الدستور البريطاني الذي ابتدأ بوثيقة المكانا كارتا...

2 - يمتاز العرف الأمازيغي بالتكيف مع ظروف بيئته، وخاصة في تقدير العقوبة، فمثلا قد تكون دية المقتول قنطارا من الفضة في جهة، بينما تكون أقل من ذلك في جهة أخرى، حسب الظروف الاقتصادية، وقيمة العملة، كما في جهة إقليم وارسدادسات (وارزازات) معناه الاتجاه إلى فروع وادي دادس..

3 - يتحتم على أهل العرف معرفة مغزاه بدقة، حتى لا يخطئ الناطق بالحكم فيتعرض لإنصاف القبيلة، لأن إصدار الحكم في العرف، يكون في أجموع بأيت باعمران، ويمتاز بسرعة التنفيذ متى ثبت ما ينص عليه.

4 - يعد العرف من إنشاء مجتمعه، إلى حد قبوله من طرف كبار الفقهاء الذين أووه ونصروه، بل تبناوا الدفاع عنه ضد أقلية من فقهاء المدن الذين لا علم لهم بعادات

المجتمع البدوي غالبا، أو لأنهم ملغمون بالتشدد بدعوى «لا احتهاج مع وجود النص». مع أن هذه القولة ليست حديثا ولا قول صحابي، وإنما هي لإمام الشرق أحمد بن حنبل، والمغاربة يعملون بمذهب الإمام مالك، والعرف من باب الاجتهاد بشروطه. «وأن واضعي هذا العرف لم يريدوا المساس بأحكام الحدود التي لا يجوز الخروج عنها على حد رأي علال الفاسي..» وقد رد الفقهاء المستنيرون على مسألة كسب الكلاب كرد ابن أبي زيد «لو أدرك مالك زماننا لاتخذ أسدا ضاريا».

5 - يمتاز العرف بحل مجموعة من القضايا بقاعدة ما جرى به العمل (العرف) مثل تامازالت (عربوها بالكد) التي يتبناها القانون المعاصر بهذا الحل العرفي تجاه المرأة، مع العلم أن العرف لا يعارض القانون ولا يقدر في العقيدة، والعادة محكمة.

#### كيفية إنشاء العرف الخاص والعام :

1 - العرف الخاص : يتم إنشاؤه من طرف جماعة خاصة لمصلحة خاصة بهم، وهذا النوع كثير ومنتشر في المغرب الكبير كله (وطن تامازغا) كعرف تقسيم مياه السقي كما في وبيجان، وأفيلال، وأملن، وحيثما كانت المياه نادرة، أو عرف رعي للماشية في ماست، أو عرف البحر في أيت باعمران. وخاصة عندما تكون فيه تسيكري، أي الإعلان عن جمع فواكه البحر في المكان المسمى، ولو كان امتدادا لملك خاص تابع للعقار البري، فهو مشترك موقت.

2 - العرف العام : وهو الذي تقوم القبيلة كلها مشخصة في أهل الحل والعقد من إنفلاس وأمغارهم، وكذلك من أيت أربعين، ومن حضور أمقون أو أجموع، وهذا النوع من الأعراف يهم الجميع، كما يمتد مفعوله إلى أحلاف أخرى، لأمر نجلها في الدفاع والتعاون لغاية نشر السلم والاستقرار..

#### كيف يحزر العرف أو اللوح أو أزرف ؟

1 - مصطلح أزرف بمعنى الشرع : فهو لغة ما تعارف عليه الناس، وأما اللوح، فيما أنه يعني ما ذكر في التوراة، كما حكى القرآن الكريم : ﴿وكتبنا له في الألواح﴾. ومن



قوله تعالى : ﴿ ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ﴾ . وإما أنه يعني الألواح التي يكتب عليها، أو مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ في لوح محفوظ ﴾ مع العلم أن روما وضعت « قانون الألواح الإثني عشر » منذ القرن الخامس ق. م . ويضيف ذ محند العثماني « فيدل ذلك على أن ألواح جزولة قديمة قدم التاريخ » .

2- أما كيف تحرر الأعراف، فذلك حسب ظروف الحاجة، لأن العرف قانون ملزم لمن أنشأه أو بلغ إليه واقنع به في إطار الجماعة، بعد توفره على شروط منها :

\* أن يححر تحت إشراف جماعة مباشرة، تتمثل في أهل الحل والعقد، مثل إنفلاس، أو أيت أربعين، في أفراگهم : أي أجموعهم الذي هو أكدود من كلمة گيگان ..

\* وأن يححر العرف في مكان معين معروف لاجتماع عام .

\* لا بد من إخبار الحضور العام بالهدف من هذا العرف الحالي مثل إنشائه من جديد، أو تعديل القديم، أو تقنينه، أو الزيادة فيه أو النقصان، أو الاقتباس من عرف متطور آخر، لمعالجة الوقائع الطارئة، وهذا بالنسبة للعرف المحلي، لكي يتسع ويتطور، ويجري به العمل ..

\* يقع التنصيب على أسماء أهل الحل والعقد المشرفين على كتابة العرف .

\* كاتب العرف من اختيار إنفلاس المعروف بينهم غالبا، ويححر العرف بلغته البسيطة إلى حد استعمال الكلمات الأمازيغية المتداولة، مثل إنيغي : المقبول ...

\* بعد تحرير العرف يفسر للحضور بالأمازيغية كلمة، كلمة، ليعمّ الفهم ويلتزم به الجميع، ويقع التبليغ بهذا العرف الذي ينتجه المجتمع في أماكن عامة كالسوق والمسجد وأجموع، وذلك بوسائل الإعلام المتداولة كالبراح مثلا، أما العرف المطلوب من القبائل، فيقوم به علماء أكفاء كدستور عام يعمل به لمصلحته ..

3- نماذج من الأعراف :

ليس هناك فراغ في أيت باعمران خال من العرف، فكل نازلة من النوازل، تعرض أولا على العرف، فإذا رضي المعني بالأمر منذ البداية بحكم العرف، فمعناه قبل أن

تجري عليه مسطرة العرف الذي التزم به، لكن إذا رفض منذ البداية وقال : « أنا بالله وبالشرع » . فإن أهل العرف يرسلونه إلى الشرع عند القاضي، فإذا حكم القاضي له أو عليه، يرجع وجوبا إلى العرف لينفذ الحكم بسرعة كبيرة، لا تتوفر في حكم القضاء، ومن أمثالهم : « أصرود وُر گيس بلا ياي نغ وُهو : ۱۲ ۸۰ ۶۰۶ ۱۱۰ ۸۰ ۸۰ ۸۰ ۸۰ » .  
تعريبه : حكم العرف في ساعة، وحكم الشرع في سنة . ومن أقوالهم : « العرف في أجاريف، والشرع في أزاريف » أجاريف هو أكادير قديم بجانب مدرسة أزاريف المدرسة العلمية العتيقة في أيت حامد في القرن الثامن الهجري، بها خزانة عتيقة تذكر، ولا زالت محفوظة « عمرها علماء أكفاء .

### عرف الشيخ هم الخلفاوي الباعمراني :

« الحمد لله وحده . يشهد الشيخ هم البوبكري، والفقير سعيد بن محمد، من آل إيسيك، والفقير الحسين بن صالح، والفقير بريك أهم أمبارك، من أيت إعزا، الكل من أيت باعمران، أنهم وافقوا على أن كل من أوى غريبا في بيته أو في أرضه، فاقترف هذا الغريب ذنبا أو تسبب في خسارة، فإن صاحب الدار أو الأرض هو الذي يؤدي عنه وعلى هذا صادقت كل قبائل إيگزولن بدون استثناء وأن الجماعة غير ملزمة بإعطاء ماء ولا ملح ولا دقيق، وأن الوزر يقع على المؤوي . وهذا ما شهدوا به لدى الفقير علي بن عبد الملك في شهر رجب عام 1250هـ/1834م . عبد ربه علي بن عبد الملك . توقيع » (النص في حوزتنا) .

أصل هذه الشخصية :

ومن هو صاحب هذا العرف العام ؟ إنه هو الشيخ هم : محند . اشتهرت به عائلته لسمعته ولمكانته حتى غطت تسميته من تقدم ومن تأخر من عائلته، فهو واسطة العقد، وله دور كبير في وسط أيت باعمران، كما تصفه ظهائر الملوك، وخاصة علاقته بالسلطان مولاي عبد الرحمان الذي يخاطبه « بمحبنا الأرضي » . وبما أنه هو جد والدي المباشر فأنا جهادي الحسين بن الشيخ البشير (ت 1961م) بن القائد أحمد (ت 1898م) بن



الشيخ هم : محند هذا، بن الشيخ الحاج محمد (ت 1218هـ) بن سعيد بن الشيخ  
علال بن سعيد بن سعيد (مكررا) بن الشيخ علي بن علي (مكررا) بن عبد المؤمن بن  
محند بن إبراهيم بن علي بن الشيخ بها بن يحيى بن أييس أو يوسف في بعض الوثائق.  
الخلفاوي البوبكري الباعمراني. هكذا نسخته من مذكرات القاضي جهادي محند  
(ت 1964م) بن محمد بن الشيخ هم.

ثم أضاف عمنا : كان علال بن عبد المؤمن يسكن في تيمولاي بالعين المنسوبة إليه  
بجبل تاموشا، بتاگراگرا، كما له أملاك منها داره بإيجاوان ن بورمضان بأيت إخلف،  
وله دار أخرى في ملك يسمى تيويغت بأيت إخلف، وأخرى بتابلوكوت، وفي عهد  
والده الشيخ عبد المؤمن، وقعت قسمة تابلوكوت، فورث منها الربع، في بداية القرن  
الحادي عشر حوالي 1010هـ/1601م ولما توفي ترك ثلاثة ذكور وهم :

- 1- مبارك بن عبد المؤمن وورثته إدا الضيع بتاگراگرا كما في عقودهم حتى الآن.
  - 2- لحسن بن عبد المؤمن وورثته إدا الضيع كذلك مثل الأول.
  - 3- علال بن عبد المؤمن وورثته إدا الشيخ هم ومن والاهم من إدعلي منهم.
- وأصل ملك تابلوكوت هذا كان للشيخ علي بن باها يشاع أنه اشتراه من أبوزيا  
الخلفي، ولما توفي ترك حسب القسمة ثلاثة ذكور وبنات وهم :
- 1- بلقاسم بن علي بن الشيخ باها الخلفي وورثته فخذة إدا بلقاسم من أيت إخلف.
  - 2- أخوه جد فخذة إدا علي أبراهيم من أيت إخلف سقط اسم جدهم المكتوب
  - 3- علي بن علي بن الشيخ باها بن يحيى وورثته إدا الشيخ هم ومن والاهم من إدعلي.
- ومن الجد يحيى الأخير هذا، انفصل أهل الركن من أيت الخمس عن إدعلي الخلفيين،  
فوقعت المبادلة بينهما حول أملاك تابلوكوت وأملاك إيگيسل جهة بويزاكارن.

ومن أقدم قبيلة أيت إخلف ثلاثة أفخاذ :

- 1- فخذة إدا بويزا، ولهم أملاك في جبل أيت إخلف قرب الساحل وفي تاگراگرا.

- 2- فخذة إرجدن، ويشملون الضلعين، ولهم أملاك في جبل أيت إخلف.
- 3- فخذة أدبوميًا وأغلب أملاكهم في تاگراگرا من العين إلى إصابرن إلى إيگيسيون  
وجبل تاژايفت والركونت.

4- أما أملاك كل من ميرلفت والمجامع وإدكوجا وأبارتيح وبوتاسرا وتاعنديت  
وتانامرت، فقد كانت أصلا من ملك بوميًا إلى أن قدم إلى ميرلفت الصالح سيدي  
محند بن يوسف من مليانة بالجزائر، ثم تلاه الأمير بودميعة التازروالت في بداية ظهوره،  
فعمرت الأملاك بعد وباء خطير ؟. كل هذا مستخرج من القسمات العقارية.

ويظهر أن عقود أملاك هذا الساحل، قد تعرف هذا القاضي على أصلها من عقودها  
القديمة، عندما شارط في ميرلفت سنة 1318هـ كما كلف بالقضاء من طرف القبيلة،  
حيث اطلع على أصل أملاك جهة ميرلفت، فأصدر أول حكم مازال طنينه هناك حتى  
الآن، وذكر بوزلماض محمد وجوده كوثيقة مهمة لم أتوصل بها.

ونورد هنا جواب هذا الفقيه عن سؤالين من العامة : وذلك أن قارب الرئيس ابن  
الدّاج من ميرلفت، كاد يغرق أمام الجميع في البحر، لأنه رفض أن أن يسلم من سمكه  
جزءا لشريف طارئ من أبناء الصالح سيدي أحمد أموسى، فأجاب الفقيه : « قولوا  
لي إذا كان سيدي أحمد أموسى يصيب الناس بمثل هذه المصائب، فلماذا لم يستطع  
أن ينجو بنفسه من مصيبة الموت التي ألزمته قبره بتازروالت ؟ أفلا تعقلون ؟ فهل  
الصالحون يضررون الناس ؟ فما تقولون باطل، وعلى الشريف أن يصنع زورقه ويدخل  
البحر. ويسترزق الله، بدلا من أن يبيع ماء وجهه، أعطوه أم منعهوه.

والجواب الثاني عن سيدي أحمد أموسى من إنجبدان ن تافوكت ! مع الأولياء الذين  
كلفوا بإطلاع الشمس وتغريبها، إذن لولا هم لبقينا في الظلام، لبقاء الشمس بدون سير،  
لكن قولوا لي : من الذين كلفوا بالشمس قبل أن يخلق صالح تازروالت ومن معه ؟  
وهذا هو الفقيه الذي وصفه صاحب المعسول بقوله : « فقيه يصول ويجول في النوازل،  
كما كاتب له أي للسوسي عن حوادث القرن ؟ أخذ عن سيدي مبارك أبعقيل بمدرسة  
أخريب بأشتوكن، وشيخه الثاني خزانة العائلة بالمطالعة.



وعندما شارط في مدرسة أيت بوبكر للمرة الثانية 1945 - 1946 - 1947م جمع بين التدريس والقضاء، فاطلع كذلك على العقود القديمة لقبيلة أيت إخلف، مع العلم أن مشاركته الأولى في تلك المدرسة ابتداء من 1936م اشتغل بالتدريس فقط. وفي تلك المراحل كان يسجل مفرقا ما نقلناه هنا، وهي معلومات تاريخية مهمة.

وبما يتصل بالموضوع ما سجلته عن والدي البشير قال : «حضرت إلى جانب والدي القائد أحمد يوم نزول محلة السلطان مولاي الحسن الأول حول قصبتنا بتغزي أربعة أيام، وكان عدد جيوش السلطان قد غطت السهل المحيط هناك، كما كانت جميع قبائل أيت باعمران حاضرة محيطة بمحلة السلطان بما لم نر مثله من عدد البشر، والجميع يريد أن يرى السلطان كيف هو ؟ لأن الجميع كانوا يسمعون بأكليد فقط دون أن يعرفوا صفاته ولا كيف حاله، وكنت شابا مع عمي القاضي سيدي علي في الصف الأول وراء القائد وهو راكب على فرسه الأشهب، يتقدم الجميع نحو هيئة السلطان، ولما اقترب منه، ففز من علا فرسه إلى الأرض، فجمع رجليه ووثب ثلاث وثبات حتى اقترب من السلطان، فبايعه واستقام مركزا بصره في وجه السلطان. فأشار إليه السلطان برأسه بأنه مقبول، فصاح الجميع صيحة فرح اهتزت بها الأرض لكثرة من أحاط بمحلة السلطان من جميع النواحي» (شفويا عنه).

قال : والدي : أخذت جزءا من القرآن الكريم على يد عمي القاضي علي، ثم صرت تلميذا في مسجد الصالح سيدي محند الشيخ، فإذا بفرسان سرقني مع عيسى بن أنفلوس سيدي محمد بن عثمان ليلا بمسجدنا، فسجنا معا في أدار بقبيلة أيت يعزي يطلبون من والدي القائد أن يفدينا، فكتب إليهم : «لا فدية أبدا، فإذا لم يكفكم البشير أرسل لكم أخاه الآخر» فمكثنا هناك في القيد سنة كاملة، لا ينقصنا أي شيء، إلى أن اعتذروا وأطلقوا سراحنا، وكان ذلك عهدي بالتلمذة، فبنى لنا والدي مسجدا صغيرا بجانب الدار يسمي أكرور بتامگرت، نقرأ فيه عند عمنا سيدي علي ذكورا وإناثا وخدماء عبيدا من ذكور وإناث..

ثم صرت مولعا بركوب الخيل واللعب بالبارود مثل أعيان القبيلة، وعمري 16 سنة. إلى أن أصبت برصاصة في رجلي، تأثرت بها كثيرا، ثم توفي والدي بمراكش، 1316هـ.

بعد أحداث موت الحسن الأول، فانتشر ظلم الوزير بآ أحمد الوصي على السلطان عبد العزيز، فاصطدمت عائلتنا بأحداث السبية مثل جميع قادة الحسن الأول، فتعرضت دار القائد للغزو القبلي مرتين، فتفرقت العائلة، وصدمت البلاد بالجفاف والسبية والحروب القبيلة وفقدان الأمن، إلى أن اجتمعت العائلة من جديد، ورجعت مشيخة القبيلة واستمرت الحياة توفي والدي في غشت سنة 1960م. وعمره 105. وترك ولدين وبنيتين فقط. انتهى منه رحمه الله، وهو رجل متدين مسالم، قضى حياته كلها في راحة البال، يكثر من الشكر كلما تذكر الماضي.

أما الشيخ أحمد بن همّ والده فقد ورث عن والده مشيخة القبيلة المعروفة بنصف أيت باعمران الشمالي باسم قبيلة أيت بوبكر أويحيا. إلى أن قدمت محلة السلطان مولاي الحسن إلى سوس عام 1299هـ فرحبت به قبائل أيت باعمران ومن إليهم، حيث قسم هذا السلطان أيت باعمران إلى ست قيادات، فعينه على نصف قبيلة مشيخته الكبرى أيت إخلف، وكلفه باسم العامل ببناء برج بإفني لحراسة الشواطي من الأجنبي، ولما توفي هذا السلطان 1311هـ وكل الأمر من طرف الوزير الوصي بآ أحمد الفقيه إلى القائد سعيد الكلوي بإزالة قواد الحسن الأول بسوس، فقبض أولاعلى قائد السلطان عبد العزيز ثم على أحمد بن القائد الحسن الأمراغي من أكلو، فسجنه بمراكش حتى مات، ثم لما قبض على مبارك ند ياكو من قبيلة إصنبويا بسبب متاجرته مع التاجر الإنجليزي كورطيس في مجاعة خطيرة، جر معه هذا قائد السلطان الحسن الأول أحمد بن الشيخ همّ الخلفاوي كشاهد، وهو مسن، فمرض ومات بمراكش، ودفن في مقبرة سيدي بالعباس سنة 1316هـ/1898م كما في رسالته الأخيرة إلى عائلته. (معلمة المغرب رقم 3796) ومعلوم أن معظم قواد السلطان الحسن الأول قضى عليهم من طرف الوصي مباشرة بعد تولية السلطان عبد العزيز.

أما الشيخ همّ : فكان أمغارا على 24 أنفوس يمثلون القسم الشمالي لأيت بوبكر أويحيا المكون من أربعة أقسام القبيلة الكبرى : أيت إخلف، وأيت أنص، وإداوسوكم وإمستين، وفي عهده أسس أيت بوبكر أنموگتار للصالح سيدي محمد بن عبد الله، ونستدل على مستواه الثقافي بالعرف المسمى باسمه «وعلى هذا صادقت كل قبائل



إيگزولن بدون استثناء في شهر رجب 1250هـ / 1834م وبهذه السمعة عرفت العائلة كلها بأل الشيخ هم<sup>(204)</sup>.

أما الشيخ محمد بن سعيد الخلفاوي : فقد توفي حوالي 1255هـ كان هذا الشيخ على قبيلة أيت بوبكر بكاملها، وكانت قافلة الحجاج تمر بجوار منزله في تابلوكوك، وكان رجلا مضيافا متدينا ملازما للفقهاء والصالحين، فنبهه بعضهم إلى الزواج المبكر، وكان بجواره فقيه سباعي له بنت واحدة متمكنة من الفقهيات على يد والدها، فتقدم إليها شيخ القبيلة هذا بواسطة أصحابه من الفقهاء، راغبا في الزواج منها، لكن هذا السباعي رفضه لشروط لم تتوفر فيه، فهو ليس شريفا ولا فقيها ولا حاجا. ولم يكن من استطاعة استدراك تلك الشروط، إلا أداء فريضة الحج.

وتقول العائلة : إنه أقسم على أن يذهب لأداء هذه الفريضة صحبة قافلة الحجاج التي وصلت نزلة بجواره تسمى، (أتبان) فأسند في الحين أمور قبيلة أيت بوبكر كلها إلى شخصية مهمة من آل بوشاني بجواره ؟ كما أورد ذلك القاضي بيمينصورن، فالتحق بالحجاج، بقليل من المال، ولما وصل مع القافلة إلى تاراست على وادي سوس، نودي هناك من مزار باسمه من طرف سيدة «ليأخذ هدية ليحج بها» فكان ذلك أكبر زاد له من الدراهم، فصارت العائلة تزور كل سنة تلك المزاراة بتاراست حتى احتلت فرنسا أكاديير سنة 1913م. فانقطعت تلك الزيارة. وذلك واقع.

وبعد رجوعه من الحج عين من جديد شيخا باسم الحاج محمد، فتزوج تلك الفتاة السباعية، فولدت له سيدي محمد بن محمد والشيخ هم المذكور الذي عرفت بها العائلة عامة، وهو الذي نسب إليه العرف القبلي العام لجزولة كلها

وأما قصة الصالحة بتاراست فهي مشهورة هناك «وقد زرنا في مقبرة الدشيرة ضريح سيدة تسمى تعزى لعلها قريبة العهد يآلف أهل تلك الجهة أن يطرقها الحجاج عقب تهيئهم للحج»<sup>(205)</sup>، وقول المؤلف : «لعلها قريبة العهد» يزكي عهد أداء فريضة الحاج محمد عام 1160هـ بعد وفاة والده.

(204) معلمة المغرب، ج 11، رقم 3796.

(205) خلال جزولة، ج 1، ص 51.

«والذي عثرنا عليه أن الشيخ سعيد الخلفاوي جده عاش حتى سنة 1159هـ ولما رجع الحاج محمد سنة 1206هـ. صادف في أيت باعمران نائرا يزعم أنه السلطان يزيد العلوي، بينما هو الساحر بحلاس الصغير، فانحرف مترجمنا مع هذا النائر إلى أن انفض أيت باعمران من حوله، فصار يردد : الحمد لله الذي نجانا من أتباع الظالمين» (معلمة المغرب ج 11 رقم 3799).

ومنذ ذلك، كثر الحجاج في هذه العائلة، حوالي 30 حاليا كما تفتح فكرهم على مطالبة العلم، فأرسل هذا الشيخ ولده محمدا إلى الحج وإلى الاعتكاف هناك على الفقه، لكنه مات هنالك، فأرسل القائد أحمد أخاه إلى الحج كذلك وألزمه التدريس حتى تخرج على يد الفقيهين الكوشتميين عبد الرحمان وابنه الحاج أحمد فحج راجلا مع شيخه الأخير صاحب ضريح تاليوين جهة تارودانت، ولما رجع عينه شيخه قاضيا على قبيلة أيت إخلف، وعرف في الوثائق بسيدي علي أومغار الخلفاوي. وهو أول من كون خزانة مهمة من المخطوطات لدى عائلة آل الشيخ هم. وبعد وفاته عينت القبيلة ابن عمه الفقيه الروائي المجاهد جهادي محند قاضيا للقبيلة سنة 1318هـ وهو الذي كون جيلا من الطلبة عمروا قرنا بكامله بتعليم القرآن، إلى أن توفي مسنا سنة 1964م وضريحه مشهور بمقبرة الصالح سيدي محمد بن عبد الله. شهره القائد أگوداد تقبل الله منه، وقد أخذ الروايات عن عميه لحسن أوضرصور وعلي الأخذين بدورهما من جباله، والعلميات بالمطالعة وعن شيخه الوحيد سيدي مبارك البعقيلي. (معلمة المغرب ج 11 رقم 37799) وهو أول من بدأ لي الجرومية حفظا فقط. دون أن أدرك أي شيء من المراد بها.

أما الشيخ الحسن بن القاضي علي بن الشيخ هم، فقد تولى مشيخة القبيلة بعد وفاة عمه القائد أحمد بن هم، وشارك في حركة الشيخ أحمد الهيبة ضد الزحف الفرنسي، إلى جانب أخيه القائد محند بن علي، فتفرغ الشيخ الحسن بمقارعة الخصوم، وقهر الظالمين في عهد السبيبة، إلى أن تخلصوا منه بالسهم، فاستمر أخوه المجاهد القائد محند بن علي ضد زحف حملة حيدة بن مايس، وضد الجنرال دولاموط، إلى أن استشهد في 1917م مع 600 من أبطال أيت باعمران، وأكثر من الصحراويين.

وهذه رسالة إليه هكذا : «أخانا الأرضي القائد محمد من آل الشيخ هم الخلفي السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، هذا فالأحوال بخير والحمد لله، وإن المقصود



أن تتهيأ للملاقات معنا إن شاء الله، بالموسم السريري للمشاورة على أمر سيدنا نصره الله الذي حملني على القدوم إليه أنت وأعيان أيت باعمران، وإني بدار القائد المدني الأخصاصي، أنتظر أيام الموسم، لأقدم معه إليه، لملاقاتكم، ولا تقصروا ولا تبخلوا ببارك الله فيكم، وعلى المحبة والسلام في 14 من رجب الفرد سنة 1333هـ/1914م أخوكم الشريف مولاي محمد يرعاه السباعي آمنه الله» (في حوزتنا).

أما القائد مبارك بن القائد أحمد بن الشيخ همّ : فقد نال القيادة من السلطان مولاي يوسف ومن مولاي أحمد الهيبة، فاستمر في مقاومة زحف سلطة الحماية إلى أن قتل بالسلم من طرف شريف مدسوس في أجموع القبيلة بمقام لمسيّت بالسيحل، ودفن في المجمع، ثم تولى مشيخة القبيلة أخوه الشيخ محمد بن القائد أحمد حتى تخلص منه خصومه بالسلم كذلك، قيل من طرف القائد المدني الأخصاصي. (مذكرات القاضي جهادي محند) وبدخول الاستعمار، تولى الشاب عبد الكريم زمام قبيلة أيت إخلف، فكان من الموقعين على صلح الهناء بثلاثاء الأخصاص سنة 1934م فاستمر حكمه مع الإسبان، فشارك في ثورة أيت باعمران ضد الصبرانية، ونجا بدوره من مؤامرات إلى أن مات حتف أنفه 2002م وترك تسعة عشر بين ذكور وإناث، ولا تنقصهم النجاة في ميادينهم، وما زالت عائلة آل الشيخ همّ محافظة على مكائنها وعلى سمعتها الطيبة مع استمرار القيادة فيها، ولها دورها في الوظيفة العمومية، وخاصة في المعرفة والثقافة، والأصل تتبعه الفروع.

### السلطان مولاي يزيد :

رجع وانعطاف، كان الشيخ الحاج محمد بن سعيد الخلفاوي هذا قاد جماعة وافرة من أعيان قبيلة أيت بوبكر في بداية بيعة السلطان يزيد بن سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل، إلى أن وقع الخلاف بين الأمراء بشمال المغرب، فكانت نتيجة موت يزيد هذا، حول مراكش، «بمعركة تاسكورت».

فإذا بشخصية غامضة تسربت باسم السلطان مولاي يزيد إلى أيت باعمران طالبا منهم أن يردوا له حكمه، فكان من أعيان أيت باعمران الحاج محمد الخلفي مع أعيان

ناكنا ورؤساء القبائل الذين ناصروا هذا المدعي، فحدثت فتنة هذا المتمهدي الكذاب، إلى أن تحقق أيت باعمران من غوايته، فتخلى عنه الحاج محمد هذا في قرية العوينة حيث قتل ذلك المدعي عام 1207هـ.

وقد اطلعت على قسمة للفقير سعيد بن علي بن الحسن من بني علي أبراهيم الخلفي بوراس، عاش حتى عام 1208هـ والقسمة لعائلة الحسن بن عبد المؤمن الخلفي بتاريخ 1206هـ ورد بخطه في مخطوط حول مقتل الساحر بوحلاس هذا عام 1207هـ جمع فيه الفقيه المذكور معلومات عامة كان العهد به عند الطالب محمد بن الحسين فالأبأكادير، وقد اطلع عليه عمنا القاضي جهادي محند، فتأسف على نصر أيت باعمران للساحر بوحلاس، وذكر أن عذر أيت باعمران الوحيد هو عدم فطنتهم إلى أن خذعهم باسم السلطان يزيد العلوي، إلى أن اكتشفوا سحره فتخلوا عنه.

### حدوث الفتنة بالمغرب لظروف خاصة :

1 - لانعدام نص الدستور في ذلك العهد، تنافس أولياء العهد بعد موت محمد بن عبد الله في شمال المغرب، إذ تسابقت مراكش إلى التمسك بالأمير هشام بالحوز، ونافستها فاس بالمولى سليمان في الشمال، فثار المولى مسلمة في الجبال.

2 - أما في سوس عامة، فقد ادعى فيه الساحر بوحلاس أنه المهدي المنتظر ! وأنه السلطان مولاي يزيد، فنصره أيت باعمران والتكنة ومن معهم، فانقسمت سوس في حروب يشيب لها الطفل، إلى أن اكتشف أيت باعمران أنه ساحر، فتخلوا عنه، وبسبب تلك الفتنة، صار تأثير بيعة السلطان مولاي سليمان عام 1206هـ خافتة بسوس، رغم الاعتراف ببيعته الشرعية، وهذا ما يعنيه السلطان مولاي الحسن بقوله : «إن هذه القبائل لم تنكح بالمخزن لمدة تفوق ستين سنة ..» والعجيب أننا لاحظنا قلة رواج عملة مولاي سليمان في عقود سوس، إلى حد أنني لم أعثر إلا على ذكرها مرة واحدة، وسبب ذلك أن «بيت المال في عهده كانت أنقى من راحة اليد»<sup>(206)</sup>، وهكذا نفهم أن المملكة المغربية كجسد واحد، إذا اشتكى منه إقليم تداعت له سائر الجهات بالضعف. وعلى المغاربة فهم ذلك.

(206) الاستقصا، ج 9، ص 9.



## علاقة الشيخ هَمُّ كبير القوم بالسلطان العلوي :

« الحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . محبنا الأرضي الشيخ مُحَمَّد (هَمُّ) البعمراني وكافة أيت بو عمران وفقكم الله وأرشدكم وسددكم سلام عليكم ورحمت الله تعالى وبركاته وبعد : فإنكم أهل محبة وخدمة لدارنا الشريفة، ولكم من الفضل في ذلك ما ليس لغيركم، وقد ولانا الله هذا الأمر وألانا نصره يجب عليكم أن تكونوا أسبق الناس لخدمتنا، وأسرعهم لإجابتنا بما لنا لكم من المحبة وكمال الانجاش قديما وحديثا، فبوصول كتابنا هذا إليكم أقدموا لحضرتنا العالية بالله في جماعة وافرة من أعيانكم، ولكم عندنا من المبرة والإكرام ما ترضون إن شاء الله تعالى والسلام في 5 محرم الحرام فاتح عام 1240هـ / (1824م) وفوقه الطابع الكبير، للسلطان عبد الرحمن . ولدي عائلتنا ظهائر ورسائل تقدير واحترام نعز بها ونحمد الله على ذلك .

### أهمية العرف في معالجة الأحداث :

وقد كان العرف في أيت باعمران يشمل كل نازلة طارئة حتى موازين الكيل مثلا، ففي عرف سوق خميس أيت بوبكر «حفر قياس النعلة من جلد الجاموس في شجرة من أركان هناك لقياس ذلك الجلد، فإذا نقص يعاقب البائع، وكذلك مقياس لمراقبة أواني الحبوب، بتالفطرت من النحاس جاء بها الحاج محمد أسعيد أوعلال الخلفاوي من الحج قديما، وهناك أخرى فيما بعد للقاضي سيدي الزبير التدرارتي الباعمراني المعين بظهير عام 1299هـ، وبها يباغت إنفلاس آلات الكيل من حين إلى آخر، وهناك وسائل أخرى . في أواني الإدام، إذ لكل سلعة أمينها مسؤول أمام إنفلاس بإشراف أمغارهم، وكذلك أنواع الديات»<sup>(207)</sup>، «وهناك أعراف خاصة بالبحر كمراقبة أغرابو : زورق للصيد البحري، والسفينة تاناوت، وهناك عرف عند الرايس محمد بوكلأ وآخر عند الرايس أشتوك بمرلفت، وثالث بالركونت عند الرايس مسعود، وفي هذا الأخير قانون صارم منه عدم دخول البحر في «سبع ليال وثمانية أيام حسوما لتقلبات البحر عدة مرات فجأة، ومن دخله عليه غرامة وهناك مصطلحات معروفة «كما في شروط تامغرا وُغرابو، وقد نشرت ذلك في مجلة كلية الآداب بالرباط تحت عنوان المغاربة والبحر» (جهادي

(207) عرف أكادير بوفردو بتيوت تاكراگرا .

الحسين) وهناك عرف يتعلق بتنازل إنفلاس عن الأحكام للطلبة في أيام «النزاهت»، وحكمهم لا يقبل الاستئناف، لكن التنفيذ في يد إنفلاس، وأشهره عرف اتفاق أعيان طلبة قبيلة أيت بوبكر وشرفاتهم اليوسفيين والبوجرفاويين ووافقهم بعض أعيان قبيلتهم أن لهم التكلم في أمورهم وأعرافهم طيلة النزاهت عام 1334هـ / 1915م، وعدد المؤسسين للعرف 24 طالب». (وثيقة في حوزتنا).

وقد يعالج العرف قضايا معقدة مثال ذلك، أن شخصا حفر نطفية لجمع مياه المطر في مرتفع لا يملك أي مجرى لمياه المطر، إلا في ملك غيره الذي رفض أن يحفر مجرى الماء إلى نطفيته في ملكه، مما أدى إلى حرمانها من ماء المطر، فتدخل العرف بالسماح لصاحب النطفية لمد المجرى بدعوى أن مياه النطفية ستجمع وتدخر للمستقبل، بينما مطر الحقل سيحفر ويضيع بعد حين.

وفي العرف أحكام قاسية منها : أن السارق لدار أمغار - لما فيه من إهانة للقبيلة - والسارق لدار القاضي لضياح وثائق المتقاضين - والسارق لدار أمزيل الحداد - لأنه يصلح السلاح وآلات الحرث والحصاد، وأنه يشارط في القبيلة مثل الطالب في تيمزگيدا. وسراق دور هؤلاء المذكورين تهدم دورهم وينفوا من البلاد. ولدينا ثلاثة أحكام نفذت تكفي الإشارة إليها، وبمثل هذه الأعراف قد حلت الحكومة مائات القضايا بفضل حكام الجماعات، ولا أدري لماذا توقف ذلك؟ وسمعت أنه حتى لا ينتعش العرف من جديد، كما أنه يضر وينافس المحاماة.

### انتشار ظاهرة العرف في أيت باعمرات :

في عهد ما يعرف (بالسيبة) بظاهرة الدفاع عن النفس، كلما عجزت السلطة المركزية، وخاصة أعراف المساجد، تيمزگيدا ٤٤٨٠+ اطلعت على عدد مهم من أعراف المساجد من حيث الزمان والمكان والنظام والإمام واستمرار المرافق العمومية، والنص على عقوبات ملزمة ينفذها إنفلاس منتخبون من الجماعة العامة.

وتنص هذه الأعراف المحلية على انتخاب المكلفين غالبا ستة أفراد لتنفيذ الأحكام بسرعة لمصلحة استمرار المرفق العمومي، وأستشهد هنا بعرف منكب القطط، على أحكام مسجدهم ثم عمموه على الجماعة بكاملها، بل حتى حدودها مع الجماعات الأخرى،



والعرف دقيق وطويل، بخط عجيب بتاريخ آخر شوال عام 1286هـ عبد ربه أحمد بن محمد بن عمر شَطْبَ لُقْبَهُ البوبكري الخلفي الضلعي، وزكاه ثلاثة فقهاء (الأصل عند أمغار أحمد أخبريش) ومن هذه العائلة كان أمغار أحمد بن لشكر البوبكري المشهور بأحكام العرف ومحاربة الفساد، ومقاومة السببية وعصابات المفسدين، منهم القائد باقا بمحلة تيغزي الذي يستعمل عساكره لسرقة بهائم الناس حتى استفحل ذلك وفقد الأمن، إلى أن تمكن إنفلاس في فضح ذلك، فطرد باقا ومن معه بقوة السلاح، بدعوى أن المخزن لا يسرق بل يحافظ على الأمن.

للعرف خصومه قديما وحديثا منهم :

1- لما دخل الاستعمار في بداية القرن الماضي أوقع فتنة بإخضاع العرف الأمازيغي للمحاكم المحلية والمركزية، حسب نوع القضية، مما جعل الثقافة التقليدية تعلن محاربة العرف الأمازيغي بدعوى أن الدين في خطر، والواقع أن وظائف المتخرجين من القرويين هي المهتدة بتكوين الأطر الحديثة.

2- انطلاقا من الظواهر التي تنظم تلك القضايا في البوادي المغربية، سمى البعض ذلك الظهير المنظم باسم مثير للفتنة وهو (الظهير البربري) الذي لا وجود له بها الاسم، وأنه سيخرج المغاربة من الإسلام، ومصطلح الظهير هو النص الذي يحمل طابع الملك، والبربر لا يطبعون ظهائر. ومع ذلك صار الزور يدرس في المدارس، كما اتخذته الحركة الوطنية السياسية كوثيقة بهذا الاسم، يلجم به كل من تساءل عن الحقيقة، وكان أبو بكر القادري، هو الذي اعترف أخيرا بهذه الأكذوبة لكي لا تقنن أعراف الأمازيغ من طرف سلطة الملك في عهد الحماية، وكانت الجرائد الاستقلالية والاشتراكية، تحتفل بالظهير البربري، إلى أن وسمه محمد منيب «بأكبر أكذوبة في التاريخ المعاصر» فزهق الباطل، باعتراف من تولى وزره غفر الله لهم.

**استقبال أيت باعمران السلطان بتيغزي 1303هـ :**

هكذا أيت باعمران مع ملوكهم قديما وحديثا، حاليا واستمرارا، «فإنهم دائما على سنن الاهتداء، مقيمين على إجابة الدعاء»<sup>(208)</sup>، كما يقول المثل الأمازيغي: [أَيْتَائِلَانْ غ يَخْسُ (208) إتحاف أعلام الناس، ج 2، ص 214.

ورأت سيريدن وامان] (ما كان أصيلا في العظم، لا يُغسل بالماء) هكذا المحبة والعهد بين الأمة المغربية وملوكها، فكيف لا ورسالة السلطان هذه بشرى من أيت باعمران للمملكة كلها، بشرى من بحبوحة مجامع قبائل سوس بعمارنة القساملة الساحلية، عمدة المقاومة في كل آن وزمان.

وبما نعتهم به مؤرخ الدولة العلوية الشريف مولاي عبد الرحمن بن زيدان «وقبائل أيت باعمران هذه كثيرة تفوق الحصر، يتكلمون بالعربية وبالسوسية (الأمازيغية) وبكل قبيلة مدرسة يدرس فيها العلم... ولأيت باعمران كرم زائد، وشجاعة وهم أباة الضيم، أهل شمم ونخوة، يحبون الغريب النازل بهم، ويكرمون الضيف، لاسيما رؤساؤهم، فإنهم يحبون العلماء ويجلونهم غاية... وكذلك تلك القبائل بحيث يذهل الداخل لبلادهم ما يرى من أنواع الأدب». هكذا أيت باعمران كثر الله أمثالهم، وعمم أخلاقهم الحميدة في الأمة المغربية، ورسخ تعلقهم بالوحدة.

تاگلدیت د وگلید ایمان ن تاسوتین

تامتی تکا تفریگ د وسمون نناغ لآن

المملكة والمُلك هما روح الاستمرار، وتوحيد الأمة هو سر الدوام.

رجع السلطان «من أمزور من بلاد أهل آكلو، وهو الطرف الموالي لأيت باعمران الذي يسمّى بالساحل، بينه وبين المرسى المقدر الذي تقدم أنفاً حسبما قدره الميقاتيون، كما أن الأهمية أيضا اقتضت نصب قائد من قواد جيشنا السعيد، مختارا من أمثالهم ذا رأي مصيب وتسديد يكون بتزنيته، محل المخزن في القديم، إعانة وردء لسائر عمال القطرين بالشار من قطع وادي والغاس إلى منتهى وادي نون (نول) وأكلميم، يتفاوضون معه فيما عسى أن يعرض لهم من المهمات، ولا سيما إذا كان المخزن بعيدا عن هذه الشرفات، واشترطنا على السادة منهم والأعيان والحكام المعينين عندهم لربط الأمور ربط إتقان وإحكام، أن يضربوا على أيدي أهل الجرائم، وأن ينصفوا للمظلوم من الظالم، وألا يخرجوا في ذلك على ما تقرر لديهم من الأعراف، والحد المحدود لهم عند الانتصاف، وعليه أن يكون يعلم بالشاذة والفاذة، لا يترامى لعين لائمه ولا



لحيه، ولا يتوارى عن الحق في مغابن نواحيه، لنكون على بصيرة فيما قصدناه من فتح تلك المرسى ومؤاخاة لإثارة النعمة، ودفاعا للبؤسى فنصبناه، وبما هو من شأنه كلفناه، وحضر العمال المشار إليهم معه، وبعد ما عرفوا بذلك كله وعرفوه، أشهدوا بأجمعهم أنهم التزموه، وأنهم عند السمع والطاعة يقومون به جهد الاستطاعة، بل لأجل تمكن المعني منهم أتم إمكان، على وجه الإذعان والاستحسان.

ختم العمال منهم بخواتم عمالاتهم على عقد الإشهاد، تأكيدا للقصد وتأسيسا للمراد، كما أشهد أهل السواحل منهم بالتزام جعل العسات في مراسي سواحلهم، كفتا للضرائر، وحسما لمادة النزاع والجرائر، وإرشادا للضليل، وفرارا من كثرة القال والقيل، وبالجملة، فقد أطلقنا لكم بالخبر اللسان، ليصير هذا الغيب عندكم كالعيان، شارحين لكم الوجه الذي صرفنا إليه الآمال، واستعملنا في أسنته اليمين وفي أعنته الشمال، وحثنا على تمكينكم من حظكم من الفرح بما سنى الله لنا من العز والإجلال، واجتلاء وجوه التهاني ووفود الآمال، ونحن على نية الأوبة بحول الله المتعال، فنسأله تعالى أن يتم ذلك برد الجميع سالمين غانمين، وييسر لنا ما فيه رضاه ولكافة المسلمين، آمين. والسلام. فاتح رمضان المعظم عام 1299هـ.

وفي يوم الخميس من رابع رمضان من نفس التاريخ، نهض نصره الله إلى العاصمة المراكشية.

### كتاب السلطان من أيت باعمران إلى باشا مكناس :

«وصيفنا الأَرْضِي القائد حَمُو بن الجلاني، وفقك الله وسلام عليك ورحمت الله وبعد : فإننا بحول الله الملك القوي المعين، الفاتح لما أغلق كما يشاء في الحين، أو بعد الحين، المؤيد بعنايته عبده في كل مصدر ومورد وتحريك وتسكين.

كتبنا لك هذا يوم حلولنا وسط خدامنا قبائل أيت بو عمران، بجبوحه مجامع قبائل سوس الأقصا، ومناخ الأعيان، نعلمكم بما واجهنا المولى سبحانه في هذه الحركة المباركة من تعاقب المن والأيدي وابتسام ثغر الزمان، بما أملناه من العلي المنان، في هذا النادي،

لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، ويده مقاليد السماوات والأرض، وهو الولي والنصير، والسميع والبصير.

فكان من أمر هذه القبائل السوسية، والقساملة الساحلية (القسمل ولد الأسد) أن تلقوا ركابنا السعيدة أفواجا أفواجا، ناشرين أعلام الفرح تجاه جيوش الله المظفرة ضحى وإدلاجاً، حاشدين حروكهم مصحوبة بأعيانهم ومن يعتد به من فقهاءهم وشرفائهم ومرابطيهم من غير أن يكون جمعهم خداجاً، مستنتجين للفوز بخاطرنا الشريف مقدمات الامتثال والسمع والطاعة لله ورسوله، مقدمين بين يديهم هداياهم مترسين بإخوانهم وسراياهم مادين أعناق الامتثال، عاضين بالنواجذ على الخدمة وصالح الأعمال، ونحن في كل ذلك نعاملهم بالبرور، ونبسط البشر إليهم ونقابلهم بما ارتسم فيهم من السرور.

وها نحن بحول الله جادون في الخلوص إلى المقصد الذي لأجله نقلنا هذه الخطوات، واستعملنا فيه الفكر، وأسهرنا أحذاق الاعتبار من صرف النظر لفتح مرسى أساكي مركز سواحل وادي نون (نون) ومجمع القبائل الأعرابية والبربرية ومنتهى ذلك المسكون، ولا سيما من جاءت بينهما كالألم والعنصر، وهما كالتوأمن لها يستمدان منها ويرضعان خلاصة لبن ثديها، وهما القبيلتان بو عمران والتكنة ومن تراكم عليهما وارتدفا من قبائل البربر والأعراب، أو كان على حكمهما فيما ارتضع وارتشف، هذا إن كانت تصلح لذلك وتعود منفعتها على المسلمين والإسلام بعد الاستخارة مرارا في اختطاتها وفتحها وتحقق بصلاحياتها كشفا واستبصارا، وتوخي في الإقدام على ذلك بحول الله الأحد من الأنظار، والمنهاج القويم الجاري على أعراف هاتيك الأقطار، ثم إن كانت موافقة للأصلح أقدمنا، وإن لم يظهر وجه المصلحة أعرضنا عنها إلى غيرها، قال الله العظيم ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ وما آل إليه الأمر نعلمكم به ونشنف أذانكم بما سنح من سره، فإنه لكل عمل نتيجة بعد العنوان والله ولي المستعان، والهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل. والسلام في 9 شعبان الأبرك عام 1303هـ<sup>(209)</sup>.

(209) إتخاف أعلام الناس، ج 2، ص 246.



وصف القاضي جهادي محند في مذكراته ما ملخصه فيما يأتي : «نزلت محلة السلطان الحسن الأول عندما استقبلته قبائل أيت باعمران بتيغزى، بقيادة عمنا القائد أحمد بن الشيخ هم الخلفاوي، عام 1303هـ فتأثر الجميع بذلك المنظر العظيم المبارك، وكنا نعتز بذلك الاستقبال، والجميع يفتخر بفرح القبائل، وبإشادة السلطان بقيمة أيت باعمران، إذ سُمّاهم «بجوحة القبائل السوسية أي وسطها ومركزها» وكان هذا الفقيه يكرر دائما تلك المناسبة السلطانية شفويا حيثما حضر، وهدفه أن يذكر الناس بأن هذه البلاد الباعمرانية ليست للنصارى الإسبان، وقد استعرض السلطان حملة الروايات القرآنية»، ومنهم عمّاي الحمزويان سيدي لحسن أو ضرصور بن محمّد بن محمّد (مكررا) بن سعيد بن علال بن عبد المؤمن بن محند بن علي بن علي (مكررا) بن بها الخلفاوي ولد هذا الحمزوي 1213هـ من عائلة آل الشيخ هم، توفي 1303هـ مسنا. تقدم للسلطان أصحاب الروايات السبع فقط، يتقدمهم من عائلتنا الروائيان لحسن أو ضرصور وعلي، فأمر العلماء هذا الأخير بقراءة (الربع الأخير من الحزب) ﴿قال فما خبصكم أيها المرسلون﴾ في سورة «ص» برواية حمزة، ثم تقدم شيخه المذكور مسنا، فطلب منه الجواب عن سؤال في الآية ﴿ما لهما من فواق﴾ بفتح الفاء، فرد المقرئ بضم الفاء، فقيل له ما هو دليلك على الضم؟ فأجاب بالشاطبية المنظومة :

« وضمّ فُواقٍ (ش) أعْ خالِصَةٌ أضِفْ، (ل) هُ الرُّحْبُ وَحَدَّ عَبدُنا قَبْلَ (د) خُلُلا.. »

فقال له السلطان : كفى، قد عرفنا مستواك من تلميذك السابق، فحررهما من جميع الكلف المخزنية مع توقيير واحترام، كما حرر عددا من القراء» (مذكرات جهادي محند) والحروف بين قوسين أعلاه : الشين واللام والبدال تعني القراء.

ومن نماذج الحمزاويين المحررين : الطالب الأنجب سيدي سعيد بن إبراهيم بن حميدا الخلفي العيني، حررته القبيلة أولا هكذا «الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وبعد : فقد أشهدني الشيخ أحمد بن الشيخ هم الخلفي، وسيدي محمد ابن عثمان الضلعي الخلفي، والشيخ إبراهيم بن الشيخ هم الخلفي، والمقدم أحمد بن

لحسن الجُماري الخلفي، أن الطالب الأنجب خبير القراء في قراءة حمزة سدده الله، وهو سيدي سعيد بن إبراهيم بن حميدا الخلفي العيني أسعده الله وسلك به مسلك الأولين والآخرين، قد حررناه تحريرا مؤبدا من جميع كلفة القبيلة من تسريح الرماة وفريضة القبيلة وجميع ما يطلب من العوام وطلبة القرآن الذين لم يحفظوا تلك القراءة المذكورة. قد حررناه كما حرر أمثاله في قبيلة بني بوبكر والسلطان في أيتله، بحيث لا يطلب بذلك حضورا وغيبة عزيبا ومتزوجا، اشترط والتزم التعليم والتعلم أو لم يشترط، أو عدم الالتزام كما ذكر، ومن طلب منه ذلك أو كاد أن يطلبه، فعليه إنصاف القبيلة، وسلط الله عليه الفقر والجذام والبرص، لأنه مقبل على ما يعنيه، تاركا ما لا يعنيه، إسهادا طوعيا منهم والرضى، طالبا منه الأجر والنفعة بالدعاء عند ختم القرآن، واجتماع الطلبة في كل مكان، وشاكرانهم وإحسانهم وأعانهم الله على أعدائهم، ورغم الله أنف حسادهم، وأثابهم الله برضاه التام في كل الأمور بتقواه. قيده من أشهدوه لذلك واستوعب شهادتهم بدءا وانتهاء في أواسط جاد الأولى سنة 1294هـ عبد ربه أحمد بن محند بن محمّد بن صالح الخلفي وفقه الله أمين». (نسخة في حوزتنا) والكاتب هو القاضي أحمد ذو مستوى عال من تيزكي، ضاع مع خزائنه في مجاعة 1295هـ وكان معاصرا للشيخ هم، ولم أجد له إلا نعتة بالكرامات» أنه استشاره صديقه الشيخ هم بأن يزرع الحقلة المحبسة على مسجد الصالح سيدي محند الشيخ بتيزكي، فإذا بطائر يحط أمامهما، وقبل أن يجيب، انقضت الحذاءة (تاينونا) فاختطفت الطائر، فقال القاضي لعل هذا الطائر أكل من زرع الحبس، فاكتفى الشيخ هم بالعبرة من ذلك ومن تحذير القاضي له».

أما الطالب الأنجب المذكور، فقد أتقن رواية الشيخ حمزة عن شيخه سيدي علي ابن محمد تابوكاط من آل الشيخ هم، فشارط في مدرسة أيت بوبكر مدة طويلة، كما شارط في مدرسة أسا بالصحراء، ثم انتقل منها إلى مدرسة أنزامر في قبيلة إنتوكتا، حيث تخرج على يده الكثير هناك، وهو الذي صلى على القائد عبد الملك المتوكتي، وهناك توفي هو كذلك حوالي 1343هـ ودفن في مقبرة كوزمست، وذلك بإذن من صاحبه قاضي تلك الناحية الذي كان قاضيا للقائد أوتيجتي، وكان هذا الروائي مشهورا في



أيت باعمران، وكان من القراء الذين استعرضهم وحررهم السلطان الحسن الأول بتيغزى عام 1303هـ.

ولأول مرة عثرت على أن القبيلة تحرر من يستحق ذلك، ثم زكاهم السلطان بظواهره. وسيدي سعيد هذا، هو صهر القائد أحمد، وهو والد مبارك أوسعيد العيني قاضي الجماعة بتاكران، وحفيد القائد أحمد، وهو الذي مكنتني من ظهير تحرير العائلة، عندما أحيت صلة الرحم بوالدته شقيقة والدي البشير بن القائد أحمد، وعنه استكملت المعلومات المذكورة ولعل هذا الحفيد توفي حوالي 1983م.

وموضع العين هذه بجبل تاموشا عرفت عائلة أخرى اشتهرت بالعيني كذلك بالمسكن، ومنهم الزاهد الطيب بن محمد بن مبارك بن الفقيه الطيب المعروف بالعيني بتيغزى، توفي الطالب الحافظ محمد بن مبارك سنة 1974م وهو أخ لفقيه جيد اشتغل بالعدالة الرسمية في عهد الإسبان، وهو من تلامذة القاضي سيدي محمد أبلوش العبلوي، إلى أن توفي سنة 1960م والمشهور من هذه العائلة أكثر هو مبارك أو الطيب، وإلى هذا الأخير، ينسب الكل حتى الآن، وذكر حفيده أن له حظا مهما من العلم، ولم اطلع بعد على ما ذكر. والمشهور أنه لم يكن ممن استعرضهم السلطان الحسن الأول بتيغزى عندما حلت محله هناك عام 1303هـ.

ويذكر البعض أن هذه العائلة من سملالة، أو من إفران في موضع يسمى أگوماض، ولفقيه الطيب الجد عائلة في مراکش، وطرق سمعي وجود وثائق عند العائلة، وعدني السيد الزاهد بالاطلاع عليها وليته فعل، ومن الفقهاء المشاركين في المدرسة العتيقة أيت بوبكر منهم سيدي أحمد بن مبارك بن الطيب العدل المذكور، ولا يشارط فيها إلا من كان كفتا للتدريس، كما شارط في المدرسة العتيقة قي قبيلة إصبويا لمدة طويلة، ومهنة المستجوب هذا حاليا مراقبة الكتاتيب القرآنية، ولديه بعض الوثائق العقارية القديمة، وبما يتعلق بما سجله العدل السابق في عهد الإسبان، منها ما يمكن أن يلقي الضوء على ما مر هناك» (سجلته في 18 يوليوز 1996م).

وهناك «تحرير من فقيه تيمگيدشت محمد بن محمد ألهاشم صدر من منوزة حرر عائلة من جميع التكاليف المخزانية والوظائف السلطانية ولوازم العامة رعا لجانب أبيهم العظيم عام 1352هـ ؟!» (في حوزتنا).

«ثم بدأ السلطان باستعراض شجرات أنساب الشرفاء الثلاثة هكذا : «بماذا تعرفون أيها الشرفاء ؟ فقالوا : نحن أيت أغرابو، وجدنا ابن رشد الأكبر، فقال السلطان الزورق جمد لا يلد، والجد ابن رشد لا يصح، فرفض هديتهم، فتقدم البوجرفاويون في هيئة عظيمة على بغال مسرجة كتجار. فقال بماذا تعرفون أيها الشرفاء ؟ فقالوا : نحن شرفاء بوجرفة من أبناء إدريس الأول، فقال لهم : لم يترك إلا جنينا في بطن أمه فانسحبوا. فتقدم الوزانيون أبناء سيدي محند بن يوسف بن سيدان (زيدان) في هيئة فقيرة فانتسبوا إلى لوزان، فقال مرحبا بالشرفاء الوزانيين، هديتكم مقبولة عندنا وهي ناقة صغيرة» (القاضي جهادي محند) وجدهم محند بن يوسف بن سيدان بن يحيى بن عبد الله إلخ بخط العدل محمد المعدري المشهور. وهكذا زكى البعض، ورفض البعض الآخر، كما اعترف بمكانة أيت باعمران وبأعرافهم وتقاليدهم وكرم ضيافتهم ثلاثة أيام في رواية. ثم مر بحملته نحو الصحراء المغربية» (نفس المذكرات).

ومن ارتسامات والدي البشير بن القائد أحمد حاضرا : «حضرت إلى جانب والدي يوم نزول محلة السلطان حول قصبتنا بتغزى، وكان عدد جيوش السلطان قد غطت سهل ألوزاض، كما كانت جميع قبائل أيت باعمران حاضرة محيطة بمحلة السلطان، بما لم نر مثله من عدد البشر، والجميع يريد أن يرى السلطان كيف هو ؟ لأن الجميع يسمع بأكليد دون أن يعرفوا صفاته، ولا كيف حاله، وكنت شابا مع عمي القاضي سيدي على في الصف الأول وراء والدي القائد على فرسه الأشهب، يتقدم راكبا نحو هيئة السلطان، ولما اقترب منه، قفز من علا فرسه إلى الأرض، فجمع رجليه ووثب ثلاث وثبات، حتى اقترب من السلطان، فبايعه واستقام مركزا بصره في وجه السلطان، فأشار إليه السلطان برأسه بأنه مقبول، فصاح الجميع صيحة فرح واحدة اهتزت بها الأرض لكثرة من أحاط بمحلة السلطان من جميع النواحي» (شاهد عيان).



## تأثير الجفاف و متاجرة الأجانب بسوس :

تعرض سوس لفترة جفاف مستمر، فانتشرت المجاعة، ففقد الأمن، فاختلف الاستقرار بين القبائل بالترحال، فقبل الكثير عن تلك الظروف القاسية شعرا ونثرا منها بأمازيغية بليغة دالة على الواقع منها :

أرومي أيگًا لاژ يگوت ما يوي ساكال  
شان ميذن ويياض غ ومضال ولا اغاراس  
تبا تالكوضا ديژوران نو اينري  
سين أن كاتجنجمن گيگان وريوت  
نكي ديتك أ - بوتانگانت شرك لعاولت  
متاد ورد اينري د وكناري ساك نزوگ

وفي مثل هذه الظروف القاسية ذكر المختار السوسي أن امرأة بدينة توغلت في تلك الجهات فأكلها الجائعون، فإذا وصلت الحالة إلى هذا المستوى، فإن الضرورات تبيح المحظورات، ولذلك التمس البعض عدرا للذين يتاجرون مع الأجانب ولو كانوا ممن يخاف شرهم. من النصارى، وفي الحديث «كاد الفقر أن يكون كفرا» وكثيرا ما أسرع السلطان مولاي الحسن الأول، فأغاث المضطرين وسد تلك الثغور، فجدد لمن هناك ظهائر أجداده وظهائر من سبق من الملوك، كما جدد الأعراف القبلية، وما في أيدي الناس من التعظيم والتوقير، وعين من يحرس تلك الشواطئ حتى لا يتسع الخرق على الرافع، وتلك منتهى الغيرة الوطنية.

والحق أن تجديد الأعراف الأمازيغية في آيت باعمران من طرف هذا السلطان، كان من أهم ما قوى عضد عماله هناك لتطبيق ما ورد من توجيهات السلطان، لأن من شب على شيء شاب عليه، فالقبائل كانت تقبل الأعراف التي قامت بإنشائها، وسهرت على تطبيقها، والعجيب أن المغفور له الحسن الثاني لما أصدر قانون حكام الجماعة، فرح الناس بذلك، وحلت آلاف القضايا بكل سهولة ويسر، حتى إن البعض خاف من انصراف الناس عن المحاكم لطول المسطرة.

ومنذ القرن التاسع عشر، سجل الباحث الفرنسي : ernest renan قال : «إن البربر توصلوا إلى نموذج ديمقراطي من النوع الذي تحكم به البشرية، ولهم كتابة متميزة تدل على أنهم من الشعوب القدماء في الحضارة» Tifinag .

ثم أمر السلطان من يتقدم ممن يشتغلون بالكنوز وبالفضة، فلم يتقدم أحد ثم قال : «إن السلطان بحث عن مكان في تيغزي ليبنى فيه محلة للمخزن، فقدم إليه القائد أحمد أرضا كافية لذلك هدية، لكنه أبى إلا أن يشتريها، فعلا اشتراها من عائلتنا، وكتب عقد الشراء القاضي سيدي أحمد بن القاضي سيدي لحسن بن بلعيد المرسي الباعمراني، فظلت تلك الأرض محترمة حتى أفسد سمعتها قائد المحلة باقا الذي استعمل جنوده في سرقة بهائم السكان في عهد السببة والمجاعة والإهمال بعد موت السلطان، فتبث ذلك عليه بدليل قاطع، فطرد منها، والأرض ما زالت معروفة بمحلة المخزن حتى الآن، بل حتى إسبانيا احترمتها واشترت مساحة أخرى لبناء مكاتبها. من نفس عائلتنا، وما أحوج جماعة تيغزي إلى استغلال ما بقي منها..

والحق أن الامبراطورية المغربية كانت مهددة، من طرف أطماع الغرب المتفق على غزو أفريقيا، انطلاقا من بابها المجاور : المغرب، والحالة هذه أن السلطان الحسن الأول، مازال في مرحلة توحيد البلاد، وإطفاء الفتن في جهات متعددة، ومنها ما ورثه عن اتفاقية شروط للا مغنية مع فرنسا في شرق المغرب حوالي 1845م ثم ظلم معاهدة تطوان مع إسبانيا في عهد والده السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان. ومنها ثقل غرامة حرب تطوان وأشدها الشرط الثامن المتعلق «بسنكروز ديمار بيكينيا» santa cruz la pequena : الصليب المقدس للبحر الصغير، وتقصد به إسبانيا نقطة مجهولة الموقع على سواحل المحيط الأطلسي ؟ وأخيرا تزعم أنها في إفني ؟

وعند شفوي بقطعة أرض بسوس :

1 - كان الإسبان في أيام السلطان المنصور سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله في غاية الاعتناء بالإسبان دون غيرهم من الأجناس، وكان يباهي بهم الأجناس في جل الأمور، وقيل وعدهم بمرسى لصيد السمك في سواحل سوس دون تعيين ؟ ثم فرضوا



مزاعمهم في المادة الثامنة التي رفضها مولاي الحسن الأول، وربما كانت إكرامية فقط على حد المؤرخ عبد الوهاب بن منصور.

2 - ولما مات هذا السلطان، انهدمت تلك القواعد التي بناها معهم بولاية غيره كمولاي يزيد الذي حاربهم وحاصر سبتة، لكنه بقوة ضعيفة، أغرت الإسبان على أن يهاجموا المغرب، وعندما تولى مولاي سليمان، هادن الإسبان بدوره دون إثارتهم، ثم سلك السلطان عبد الرحمان بعده مسلك عمه سليمان، إلى أن انشغل المغرب بموت عبد الرحمان وتولية السلطان الجديد سيدي محمد القائم بوظائف الخلافة، فانتبه الإسبان تلك الظروف، بإعلان الحرب على المغرب في باب سبتة المغربية المحتلة بما فيها سبعة عيون بليونيش الغزيرة المستعمرة فيما بعد.

3 - لم يعرف المغرب حتى تلك الحرب، جيشا منظما في المستوى، وإنما يعتمد عند الضرورة على الشعور الوطني، والفكر الصوفي، والخطب الرنانة لا تبرح المساجد، كل ذلك، على عكس الجيش الرسمي الأوروبي، فكانت النتيجة، فرض شروطهم على جارهم المغرب المسالم لظروف قاهرة، كالجفاف والجوع والأوبئة والضعف العام، وانعدام جيش منظم على شكل أوروبا الناهضة.

4 - الشرط الثاني : «يسلم على الدوام صنط كروز في ساحل البحر الكبير، ولعلها هي أكادير الأرض الذي يكفي باش يجعلوا في الصيادة الحوت، كما كانت الصبنيول هناك قبل» لاحظ الداريجة<sup>(210)</sup>.

5 - رفض مولاي العباس وأجاب «بأن هذه البلاد : أيت باعمران ؟ أهلها أصعب من أهل الريف، وإذا حصلت هذه المسألة لا تبقى مدة إلا وتقع الكيرة (الحرب) ثانيا، ويبقى العيب على الدوام، فأجاب ممثل الإسبان، إنه يترك ذلك في هذه الأيام».

6 - المادة الثانية لعقد معاهدة صلح : «ويلتزم جلالة ملك المغرب بالتخلي كذلك إلى الأبد ! عن قطعة كافية بسانطا كروز لا بيكينيا على ساحل المحيط الأطلسي، قصد إنشاء مركز مائل لما كانت تملكه إسبانيا هناك سابقا» ؟

(210) محمد داود تاريخ تطوان، ج 4، ص 254.

7 - مجهودات السلطان الحسن الأول : قد راوغ المغرب وماطل كثيرا حول مطلب الإسبان في إفني، بل دافع بجميع الوسائل، كالصدقة والمرونة وقبول التعاون في البحث عما يثبت مزاعم إسبانيا مثل برج أورومي في إفني وغيره من ذلك الشاطي المغربي الممتد حتى إخفنيير (رأس الحافة) وأخيرا، قرر هذا السلطان، رحلته إلى أيت باعمران، قصد تأسيس مرسى أساكا هناك، قطعاً لما أحدثه ماكينزي الإنجليزي، وخاصة لما دفعت ظروف قاسية السكان تحت تأثير المسغبة، بأن يتعاملوا مع ذلك التاجر المغامر هناك بدون إذن من سلطة المغرب المركزية، ولا أن يدفع الأعراس حسب الاتفاقية الدولية، كما أن المخزن المغربي لم يتوفر هناك على مواصلات كافية، تحل محل تلك الأطماع، الأمر الذي جعل بدعة ماكينزي هذه ستفتح المغرب بكامله أمام الغرب كله، لذلك عزم السلطان على تأسيس مرسى هناك، كما احتج المغرب على خرق القانون التجاري الدولي الذي أحدثه التاجر ماكينزي.

### تجاوز السلطان سوس الأقصى إلى صحرائه :

دشن السلطان مولاي الحسن الأول سور قرية تلعينت وبدأ سورها عام 1319 هـ «فجاز بحاله إلى وادي نول، فصام فيه رمضان، ذلك العام، ثم رجع فنزل العسكر في خميس أيت باعمران، فذهب إلى أن وصل إلى هوارة». (روضة الأفنان ص 69).

اختلط الأمر على الإكراري، في تتبع محلات هذا السلطان، كما أن محقق مؤلفه وقع في تهافة الشفويات، تبعا لهامش إيلغ رقم 559، والصحيح أن حسين بن محمد بن علي بن شرحبيل الناصري الطريقة قام برحلة مع مجموعة من الطلبة لاسترجاع أسواق سوس بعد الوباء الجارف فنزل في مدرسة أيت بوبكر القديمة في رمضان 1141 هـ وبعد رجوعه توفي 1142 هـ، كما أهمل الإكراري نزول السلطان بمحلاته الأربع : تيغزي، وتانگارف، وإيگيسل، وأكلميم، بأيت باعمران. كما هو معروف ومذكور ومسجل. كما لخصناه هكذا :

«انطلقت حركة السلطان من تيغزي وسط أيت باعمران، إلى تانگارف، ومنها إلى قسبة إيگيسل، ثم إلى صحراء كلميم، فوفدت عليه هناك أشياخ عرب معقل وكبراؤها خاضعين مطيعين، وفرحوا بمقدم السلطان ووطئه بلادهم غاية الفرح، ومن هناك وجه



السلطان كتيبة من جيشه إلى مرسى طرفاية، فغيروا ما كان أحدثه أولئك التجار من التجليز بها، وطمسوا أعلامه، وفر من كان بها من النصارى إلى بابوراتهم التي كانت على ذلك الساحل»<sup>(211)</sup>.

#### بناء مرسى أساكا :

« أمر - أيده الله - ببناء مرسى أساكا، واتخاذها محل السوق والوضع هناك، ورتب الحامية والعسات بتلك السواحل من أكادير إلى كلميم، وكتب بذلك كله إلى ولاية المغرب». (نفس المرجع) لكن الآية نسخت تأسيس مرسى أساكا، في انتظار اقتراحات أخرى في شاطئ أيت باعمران، من أكلو إلى أساكا، داخلا في قوله تعالى «**نأت فنيبر منها أو مثلها**» «وكل هذا كان اتقاء من السلطان لما يؤدي إليه ذلك من التداخل الأجنبي، والتنافس الدولي، وكان هذا دأبه معهم دائما في كل أمر له مندوحة عنه، رأي فيه ماسا باستقلال المغرب وسيادة سلطانه وشريعته»<sup>(212)</sup>.

وما أكثر المراسلات السلطانية حول سواحل أيت باعمران؟ منها التي سلمها عمنا جهادي محند لعبد الكريم، فقدمها مع عقمان بلا توصيل في الرباط في 1956م لشخصية قيل هو عواد فضاعت، ومنها: «خدينا الأرضى الطالب محمد برگاش. وبعد: وصل كتابك ويطيه كتاب باشادور التجليز لك بما أشار به من استخدام آلة الشمس التي بجانبنا الشريف بطنجة للناس بالخلاص كما بينه في تقييد صحبة كتابه المذكور، وصار بالبال، فدافعه عن ذلك بما أمكنك، فإنه لا يخفك ما ينشأ عن ذلك من تشوف الغير، سيما والصينيول يطلب جعل الطلگراف من طنجة لطريف بحرا، وحتى إن كان لا بد من استخدام الآلة المذكورة، فيكون بداخل أياالتنا وخدمتها من رعيتنا والسلام. في 23 شوال الأول عام 1300هـ» (نفسه ص 500).

قد يتعجب شباب اليوم من التخوف من تلك المشاريع الحضارية! إذ لو قبل المغرب إدخال تلك التطورات لتبدلت أوضاع المغرب؟ لكن إلى كيف؟ وهنا يأتي دور المستوى الثقافي السائد في المغرب، ومنه هاجس الفقهاء على الدين، والتسمية الشعبية للقطار

(211) الاستقصا، ج 9، ص 181.

(212) إتحاف، ج 2، ص 501.

ببابور البر، والدراجة بعوود الریح، ومفهوم أرومي ودينه ولغته. ونفس المستوى مرت فيه أوروبا، فهذا شارلمان الإمبراطر في أوروبا كلها قد تعجب من هدية آلة الساعة أهديت له فظنها جانا. ذلك كله نتيجة جمود وجحود..

#### الحذر من تدخل الأجنبي في المغرب :

ولو كان من باب نصائح الأوربيين: «فهذه إنجلترا قد طلبت من الحضرة الشريفة جعل بابور البر، ومد السكك الحديدية ببعض النواحي المغربية، كما طلب غيرها إدخال غير ذلك من الاختراعات العصرية، فكان السلطان يجيبهم بالشكر لهم على الاقتراح مع إرجاء تنفيذه ببعض الأعذار» (نفس المرجع).

فما الداعي إلى كل هذا الحذر؟ هناك أسباب كثيرة، يمكن تلخيصها في الاختلاف الثقافي، والعقدي ومستوى فكر أهل الحل والعقد، والخوف منهم على مصالحهم التقليدية المتجددة المحيطة بمركز سلطة القرار، مع العلم أن السلطان الحسن الأول تجاوزهم إذ أرسل أطرا من كل فن إلى أوروبا، في الوقت الذي أرسلت مثلهم كل من الصين واليابان، فاستفادتا منهم بعد الرجوع، بينما صار حظ المغرب من ذلك مسكوتا عنه! نكتفي هنا بإشارة إلى المؤرخ مبيج.

من حق المملكة المغربية أن تمد مراسيها حول شواطئها، وقد استبشر أيت باعمران والجنوب عامة بظهير السلطان الحسن الأول حول تأسيس عدة مراسي هناك منذ عام 1299هـ واستبشر الجنوب كله بعزيمة السلطان، فاستقبل أيت باعمران مولاي رشيد منذ بداية أمر هذه الدولة العلوية في موضع بيفورنا، واستقبلوا مولاي إسماعيل في رحلته إلى مشارف الصحراء، وذلك شأنهم في الفرح والترحيب والاعتزاز بالوطنية مع جلالة الملك الحسن الثاني مؤسس مرسى سيدي إفني، وهكذا مع جلالة الملك محمد السادس، مؤسس التنمية الشاملة، وناشر الحقوق العامة، والفكر المستنير، والساھر على تنمية صارت مضرب الأمثال في الداخل والخارج، وأيت باعمران دائما يقدر على مجهودات الدولة العلوية وباركون أعمالها. ومحافظتها على مميزات المملكة وخصوصياتها.



ومن أعظم تلك الأعمال، نعمة مد مياه سد يوسف بن تاشفين على وادي الغاس إلى مدينة سيدي إفني، على بعد حوالي 110 كلم. وها هي الكهراء الممتدة من شمال المغرب تنتشر في البادية الباعمرانية وفي كل مدشر، وها هي الطرق المعبدة تفك الحصار على آيت باعمران، وتربط بين الأقارب والأبعد، والناس يحمدون ويشكرون، فكيف لا؟ فمن كان في نعمة لم يشكر، خرج منها ولم يشعر.

كل ذلك وغيره من الإيجابيات لا ينكرها آيت باعمران، ومن حقهم أن يطلبوا من الدولة مزيدا من الخيرات، مراعاة للجفاف الذي تسلط على هذا الإقليم لعدة سنوات، كما أنه ليس من العيب أن يشارك آيت باعمران غيرهم في خيرات مرسى سيدي إفني، وكذلك الأملاك العقارية المطلة على الشاطئ من أكلو حتى أساكا، وهي مجال واسع للسياحة في المستقبل القريب، وحذار من التراخي على عقارات السكان بغير حق، وقديما سجل مؤرخ المملكة الشريف ابن زيدان قائلا «فأيت باعمران أباة الضميم» والظلم ظلمات يوم القيامة. وبداية الفتن.

وهناك عدة عوامل، لها تأثير كبير على إقليم آيت باعمران، إن صح هذا التعبير، أولها أن الاستعمار الإسباني كان ضعيفا في جميع المستويات، مما جعله لم يساهم في مستعمراته بأي تقدم يذكر، مما جعل آيت باعمران والصحراء في غاية من الضعف، وهذه إفني كعاصمة لهم، شاهد على تأثير الأسبان الضعيف.

والعامل الثاني هجرة معظم السكان أثناء ثورة آيت باعمران التحررية، وهنا وقفة لا بد منها: إن ثورة آيت باعمران التحريرية من سنة 1957 - 1969م قد كلفت السكان كثيرا في سبيل الوطن، فقد حدثت فجأة بالنسبة للمجتمع وللأسبان على السواء، إذ ما كاد يصبح ذلك النهار في جميع إقليم آيت باعمران، حتى قامت الحرب في جميع الجهات، فكانت قوة الإسبان في إفني تدافع بالطائرات في السماء، وبالباخرة من البحر، وبالمدافع ورشاشات الجنود حول مدينة سيدي إفني والكل في رعب مستمر لا يدري ما ذا وقع؟.

أما السكان فالرجال يقاومون شبرا شبرا ضمن جيش التحرير والمقاومين، أما العائلات بأولادهم فقد غادرت مساكنها تاركين بيوتهم وزادهم وماشيتهم وبساتينهم في حالة لا يحس بها إلا من عايشها ما بقي من حياته.

فقد هاجرت العائلات بلا ورقة تعريف ولا حالتها المدنية ولا عقود ممتلكاتهم الكل يلتمس النجاة والمبيت والماكل والمشرب عند القبائل المجاورة، ومنهم من لم يقف إلا في أكادير وغيره، إذ منع أولئك المهاجرون من الرجوع إلى مساكنهم، وخاصة قبيلة آيت إخلف ومستتي جيران إفني المحتلة.

وحتى بعد رجوعهم بعد اتفاقية فاس سنة 1969م. وجدوا كل شيء قد تغير، فبدأ السكان يسجلون عقود ازديادهم بتواريخ غريبة، منها أن البنت أكبر عمرا في الحالة المدنية من أمها، ومن الموظفين حسب عقد ولادته عمل حتى شاخ في العمل قبل أجل التقاعد، هذا كله شاهدناه وعاشناه، ولهذه العوامل كلها ينبغي مراعاة إقليم عمالة سيدي إفني، لكي يستقر السكان في مواطنهم، وينالون مزيدا من التنمية أكثر، كما نالت الصحراء المغربية والمناطق الشمالية التي كانت كلها في عهد الاستعمار الإسباني في مستوى واحد، ذلك ما نتمنا، فهل من مجيب؟.

وقد لامني كثيرا ما راج حول أحداث سيدي إفني المختلفة التي روج لها الإعلام في الداخل والخارج، بشكل لا يخلو من المبالغة ومن تشويه الحقيقة [وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، والله يعلم، وأنتم لا تعلمون].

وقد سلكت فيما ذكر تطبيق قول الفقهاء: «وقدم ما يخشى فواته» لنكون متفائلين ومستبشرين بما سمعناه من وعود الدولة لآيت باعمران، وفعلا سررنا باستجابة الحكومة بإعلان عمالة إقليم سيدي إفني، وبهذا العنوان سيستمر نسيان مصطلح آيت باعمران، التي كانت عنوانا لهذا الإقليم لقرون عديدة والله أعلم.

وأيت باعمران عنوان كبير، وهو مركب من «آيت» التي تعني أهل المكان، شاملا لمن كان هناك أرضا وبشرا، كما تقول آيت أوزاغار، ولا تعني العرقية، وإنما تعني الانتماء إلى علم مشهور، أما كلمة إدفولان فتعني الانتماء إلى شخص معين غالبا، كالجد الأعلى، ولو كان من مظان القوم، وما سوى ذلك، فهو خلط في اللغة الأمازيغية التي بدأت تلفظ ما ليس منها، وهي الهوية الأصلية.

أما أبا عمران ومشتقاته فالمصطلح يدل - ولا شك - على شخصية أو على كنية لموسى استطاعت سمعته أن تستمر مع الزمان، «فأيت باعمران التي كانت في الأصل



تسمية لحلف سياسي، غدت تحمل دلالة جغرافية باعتبارها رمزا لرقعة ترابية، ينسحب اسمها على قاطنيها المتجددين بحكم اعتمادها وحدة إدارية من طرف المخزن» (د علي المحمدي ص 20) وهذه النظرة هي التي تمدنا بها الوثائق الرسمية منذ الدولة السعدية، فاستمر ذلك إلى عهد قريب، فهل نكتفي بهذا التقرير، ونلغي استمرار تاريخ الإقليم والأرض ومن عليها؟ هذا ليس مذهبا، ولا نميل إليه، وصاحب المعسول يؤكد أن بوعمرانة هي لمطة، فلنبحث إذن عن الأصل، ونحن نعرف أن «بوعمرانة حلت محل قبيلة لمطة منذ عهد السعديين على الأقل، وكانت هذه الجهة قديما تسمى نوميديا قديما، وتمتد من المحيط الأطلسي جنوب سلسلة الأطلس الكبير نحو الشرق، كان الإغريق يسمون شعبها النوميديين، ومنهم المصامدة والتولتيين والثناكيين، ويطلق على الجهة الغربية من نوميديا الموازية للمحيط من رأس إغير (إخفيغير) قرب أكادير شمالا، إلى رأس نول جنوبا، سوس الأقصى، وينتمي برابرة المنطقة إلى قبائل مصمودة، ويسكنون كلهم بالقصور، وأهم المدن والقصور توجد لدى إيدونزال، وإداويعاقيل، والرسوموكة، وإالسن، وهي أقوى قبائل المنطقة» (مرمول ج 3 ص 140) ورغم ذكر بعاقيلة، فلم نثر على ذكر ولتيتة ولمطة، وهما من أقدم من هناك، كما أن بوعمرانة، ذكرت في ديوان المنصور السعدي، وهي لمطة. التي نقل جزء منها إلى فاس، ومارمول كازباخال يعاصر السعديين، فلنبحث إذن عن لمطة التي هي الأصل، قبل أن نتفرغ للفرع الذي حل محلها وهي بوعمرانة حسب ما توفر لدينا من مراجع:

1- الصحراء التي يسكنها شعب لمطة : وهي الصحراء الرابعة الممتدة من قفر إيگيدي، وتمتد إلى تخوم القفر الذي يسكنه شعب برداوة، إن بلاد لمطة في الواقع هو بلاد تارگا، تناسب أراضي مرور كل الهوكتار، فكان لمطة الحقيقيين هم كل الهوكتار يذهبون حتى إلى إيگيدي».

2- وقد ذكر المؤلفون العرب لمطة منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ويجعلهم اليعقوبي الذي كان يكتب عام 276هـ/889م يقول ابن خلدون إنهم إخوة لصنهاجة وأوربة وجزولة وأزداكة، ويضيف، أن البعض منهم كان يسكن في جوار صنهاجة المثلثين، وبيدوا أنهم ساهموا في أول تعمير الهوكتار، قبل وصول هوارة، وكان

النبلاء العريقون عند كل هوكتار يحمل اسم لوميت» وهو من نفس أصل إلميتين، (أو إلميتن) الأمر الذي يبرر وجود لمطة قديما في هذا الوطن.

3- ومن الممكن أن عناصر من هذه القبيلة دخلوا من بعد إلى السودان الغربي، حيث أطلق عليهم اسم لمطة.

4- «إن مؤلف كتاب تاريخ السودان الغربي، يذكر في صفحة اثنين وأربعين أنهم أتوا من المغرب في القرن الحادي عشر الهجري» (نفس المؤلف).

5- أما لمطة المغرب، فقد أشار إليهم الجغرافي ابن حوقل، إذ ذكرها عدة مرات في جملة المدن المشهورة، ووصفها بقوله : «ومدن متصلة الرساتيق والمزارع والشياح والمياه والولاية والسلطين والملوك والحكام والفقهاء، وكل ذلك في جملة صاحب المغرب وحوزته وقبضته أو في يد خليفته، وما عداه أوغل في براري سجلماسة وأدغست ونواحي لمطة وتادمكة إلى الجنوب ونواحي فزان»<sup>(213)</sup>.

6- وعنه أيضا عند تعرضه للمسافات إذ قال : «ومن أوليل إلى لمطة معدن الدرقي، (والدرقي جلد حيوان خاص) خمسة وعشون ميلا. ومدن لمطة من بلاد المغرب تأمدت وعلى جنوبها أودغوست». (ابن حوقل نفسه).

7- وعن كتاب الاستبصار «ومن وادي سوس إلى مدينة نول، ثلاث مراحل في عمارة متصلة، يسكنها جزولة ولمطة، وهم أم كثيرة» (كتاب الاستبصار ص 212) لكن أين ذهب كل ذلك العمران؟ فهل ذهب بسبب الأوبئة التي ضربت المغرب الشمالي، ثم عمت الجنوب بما فيه سوس؟ أو بسبب الأعراب الذين احتلوا أزاغار في عهد ضعف السلطة المركزية لفترات الفتن، وتدخّل الاستعمار في شواطئ الامبراطورية المغربية؟ وما يثير العجب صعوبة العثور على بقايا ما شخص من أثر الديار، في أماكن تشير إليها الروايات المذكورة، والشفوية المتداولة، وإلا، فذلك من مبالغة ابن حوقل، لتشجيع الغزاة وتطميعهم في خيرات تلك الأقاليم، ذات مناخ مناسب، وتضاريس سهلة مناسبة للغزو، شأن ذلك شأن الكتاب في بداية الفتوحات الأولى، وهو نفس ما استعمله المكتشفون الغربيون المغامرون.

(213) بن حوقل، ص 81.



8 - وعنه أيضا «ومن بلاد السوس مدينة نول لمطة، وهي مدينة كبيرة، في أول الصحراء على نهر كبير، يصب في البحر المحيط، ومن مدينة نول إلى وادي درعة نحو ثلاث مراحل، وإنما سميت نول لمطة لأن قبيلة لمطة يسكنونها وما وراءها، وهي آخر بلاد السوس» (الاستبصار ص 213) «ومنها تجلب الدرق الخفيفة الجياد، فإن اللط بأرض أودغوست كثير جدا» (الاستبصار ص 216) يذكر المؤرخ هنا أن نول على «نهر كبير»: مع أن جنوب المغرب لا توجد فيه إلا وديان حتى إلى نهري السنغال والنيجير، ثم ذكر وادي درعة، وهو أكبر وأطول مجرى، معنى ذلك أنه كان يفرق بين مصطلح النهر، والوادي، والوادي.

9 - ومن آلات الحرب عند المغاربة «الدرق اللمطية التي كانت تصنع في لمطة، ولمطة إحدى قبائل الملتمين التي كانت تقطن بين مسوفة غربا، وترغة شرقا، (تارغا) وامتدت جنوبا حتى نهر النيجير، وكان منهم قسم بمنطقة السوس عند مصب وادي نول، حيث بنيت مدينتهم المشهورة نول لمطة، التي ينتسب إليها وگاگ بن زلو اللمطي، وفيها كانت تصنع الجلود والدرق الحربية التي تجاوزت شهرتها المغرب» (النظام السياسي والحربي إبراهيم حركات ص 179).

10 - ومن جواب ابن عبّاد لخلاء الفنسو الإسباني «قرأت كتابك، وفهمت خيلاءك وإعجابك، وسأنتظر لك في مراوح من الجلود اللمطية، تريح منك لا تروح عليك، على أن الدرق اللمطي تنسب في الواقع إلى حيوان اللط الذي كان يعيش في الصحراء.. وقد اشترك في حرب الزلاقة وحدها أربعة آلاف من السودان بدرقهم اللمطية» (حركات ص 180) وها نحن عرفنا نسبيا بقبيلة لمطة الموغلة في القدم، لكن علينا أن نتبع ورود ذكرها في المراجع، ما دامت هي بعمرانة فيما بعد، كما أكد ذلك مؤرخ سوس سيدي محمد المختار السوسي صاحب المعسول.

وبما أن كلمة بوعمرانة هذه قديمة في التاريخ، فإننا لا نستطيع أن نحدد الموقع من حيث المساحة، وإن كنا نعرف من بعض الوثائق، أن إقليم أيت باعمران، كان يتسع أحيانا ليشمل معظم جبال جزولة الغربية إلى المحيط الأطلسي، ممتدا إلى طرفاية، بل إلى نهر

النيجير كما سبق ذكره، وذلك ما يسمى قديما بتاسيريت البيضاء غربا، وتاسيريت الحمراء بالوسط: لخس كما عند ابن خلدون (ابن خلدون ج 6 ص 70): «والكلمة إما أخصاص من فروع الشجر تميل إلى الطول، أو أكواخ مربعة من حجر أو طين جاف» (أندري جوليان ص 75) وتسمى ضُهر (مركز الأعضاء في جسم الإنسان، أي الفقر الظهرية أو وسط تلك القبائل التي بمعنى أعضاء أو إفاسن حول الجسم المعربة بفخذات القبيلة المقسومة غالبا إلى أربع وإلى أخماس عندما يلحق بالأصل جزء آخر لوصول العدد المطلوب إلى الرقم الذي يستطيع أن يؤدي المطوب من كلف المخزن، مع ذكر إخف المسير. أي الرأس المدبر المشرف على إنجاز العملية، هكذا تقسم القبيلة كجسم للإنسان.

أما تاسيريت بالأمازيغية فهي الهضبة، وما زالت هذه المصطلحات في أيت باعمران مستعملة، إلى أن دخل التقسيم الانتخابي للجماعات، فوقع الإدماج الإداري، وهدف السياسة هو أن يحل انتماء الجماعة محل انتماء القبيلة، وقبيلة لأخصاص «إخس» ما زالت تسمى ضُهر، وهذه الكلمة منتشرة في شمال أفريقيا، وتطلق على الهضبة المرتفعة، ولا تعني العربية، وما زالت قبيلة أيت إخلف تعرف بأربع فخذات. وأيت أيوب بخمسة فسميت أيت الخمس..

أما من حيث الجغرافية، فالإسم هو تاسيريت أي الهضبة، فتميزت حسب لون التربة تاسيريت توميليت (تافزا البيضاء) في الغرب المحادية للمحيط، وتاسيريت تاؤوگاغت (الحمراء في الوسط لأخصاص لوجود التربة الحمراء) وتاسيريت تاسوگانت (السوداء شرقا لغلبة صخور البازلت والگرانيت المميزة، كما في تافراوت ن واملن، وتاسيريت المطلة على أمانوز)..

وكثيرا ما تتحد كل هذه الجهات باسم أيت باعمران حسب لف أو عرف أو انتماء إلى أصل في ظروف المقاومة، أو لضرورة إدماج لتكوين قوة مخزنية أو ضدها، أو لجباية مفروضة كما في عهد أحمد المنصور الذهبي، لإحصاء السكان في عهده (ديوان القبائل)، أو لاتحاد قبلي، لدفع خطر مرتقب، كما عند زحف سلطة الحماية حيث اتحد الجنوب كله بصحرائه حتى سنة 1934م.



كان لف أيت باعمران عبارة عن ثكنة مقاومة مستعدة دائما لإغاثة مستعجلة. أو لجهة مقاومة لهجوم منتظر، آخرها مقاومة جزولة كلها جنوب أسيف ن سوس ضد زحف سلطة الحماية من 1912م إلى 1934م فكان أيت باعمران، آخر من خضع للإسبان، بعدما استولت سلطة الحماية على المغرب المحمي بكامله.

وفي جميع الحالات، فقد كانت قبيلة لمطة الأمازيغية هي الأصل الساكن في الشريط الغربي لجزولة، الممتد من أسيف ن والغاس بماست، حتى طرفاية، كما هو مسجل في غير ما مرجع، لكن هذا الموقع تعرض للتقلص من أطرافه حسب الأحداث والوقائع، وخاصة عندما طرد الجفاف بني معقيل من الصحراء، فسرحوا في أزغار يتاجرون مع البورتغال في الساحل حول تيزنيت ومعهم أيت جرار، لذلك انتقم منهم أمير تازروالت شر انتقام.

ولهذا التقلص أو التمدد نجد قبيلة لمطة هذه (أيت باعمران) تارة تعد من زنكاة، مع كل من لتونة، وگودالة ومسوفة، كأساس لتأسيس الدولة المرابطية، وهو المعتمد، لكن في أولية وصول المرابطين الصحراويين إلى مراكش، نجد نزول ذكر قبيلتين فقط: لتونة ومسوفة حول مراكش وهما «قبيلتان عظيمتان من البربر» (المعجب ص 148) فهل تركت هناك لمطة المستقرة في مشارف الصحراء كمجتمع مرتبط بالأرض؟ محافظة على خط الرجعة؟ أو كهزمة وصل بين الشمال والجنوب؟ الأمر مازال في بدايته؟

نعم انتظرنا طويلا إلى أن عثرنا على ذكر وجود لمطة هذه في حوز مراكش الموالي لبرغواطة، عندما هاجمها عبد المؤمن الموحي عند رجوعه من شمال المغرب، ويظهر أنها فخذة صغيرة هناك باغتها جيش الموحيين، فأزاحها في طريقه إلى حصار قوة المرابطين المحاصرة في مراكش، فتم له ذلك كجزء من المصامدة، إذ لدينا مكتوبا في ديوان القبائل في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي.

### بُعمرانة في عهد السعديين :

لاشك أن أيت باعمران بهذا الاسم كانوا على الأقل في عين المكان منذ ما قبل بداية الدولة السعدية التي أسست بسوس للدفاع عن الوطن ضد الزحف الأوروبي

عندما ضعفت الدولة الوطاسية، وهناك مركز تدريب المجاهدين بتيزنيت، قبل أن يلتحقوا بمحاصرة البرتغال في أكادير، كما يتدرب الآخرون في تيديسي وتارودانت في رأس الوادي، ولا نتصور خلو أيت باعمران وجبال جزولة وأهل الصحراء من يتدرب في تيزنيت، التي لم نجد فيه حاليا سوى أقدم آثار يسمى سيدي بادوز والعين الزرقاء المنسوبة إلى أميرة أمازيغية ملحقة بديوان المنصور، وبادوز هو ركام من التراب تزوره العجائز قرب العين حاليا !.

ولما غزا المنصور الذهبي سوس، وجدنا في ديوانه ما يأتي : «.. ويليه حساب بُعمرانة بألف سرجة سنة 988هـ» في عهد السلطان أحمد المنصور السعدي، من أجل محاربة من لم يخضع له في جبال جزولة، وهم على حد تسميته لهم : «البرابر الذين سدوا علينا طريقهم، وطلعوا إلى قرون الجبال» (الديوان ص 12).

فمن الذين طلعوا إلى قرون الجبال؟ قال مؤلف الديوان : «فلما أصبح الله بخيره هرب منه أهل جبل الصوابيين : هرب أشياخهم بخمسائة سرجة الصوابيين ومن معهم في الكوست ..» (الديوان ص 25).

أما أيت باعمران، فقد ذكرهم ديوان المنصور السعدي في رأس اللائحة بدفع ألف سرجة، وهم أكثر من اندرج تحت لائحتهم، مثل وادي إفران بمائتي سرجة، وفروع تيزلمي بخمسائة سرجة، وأهل وأفقا بمائتي سرجة، وأهل أغشتا مع أهل إيغشان بمائتي سرجة، وأهل حربيل بمائتي سرجة، وإداؤبلال أيضا بسبعين سرجة، ومجموع السرجات المحسوبة على هذه اللائحة المعنونة ببُعمرانة 2370 سرجة. وفرض السلطان الذهبي على القبائل ضريبة أعلى القائد، وهكذا في لائحة أشتوكن (هشتوكة) ومن معها، ولائحة أهل أمانوز ومن معها، ولائحة إيلالن (هلاله) ومن معها. (نفس المصدر).

وجعل كل خمسة عشر كانونا بسرجة، وبضرب مجموع عدد السرجات فيما يخص لائحة أيت باعمران ومن معهم في خمسة عشر كانونا، نحصل على عدد الكوانين، وإذا قدرنا عدد أفراد كل كانون بخمسة أشخاص أو ستة أشخاص، نحصل تقريبا على إحصاء السكان، وتطبيق نفس العملية الحسابية في باقي اللوائح الأخرى، نصل إلى إحصاء لسكان مجموع القبائل المذكورة في هذا الديوان، وذلك مهم جدا لتقدير عام.



كما أن السلطان أحمد المنصور الذهبي، فرض على القبائل ثمان موزونات لكل سرجة عاما بعام، وباستعمال نفس العملية نحصل على مجموع الأموال، وذلك تقدم كبير في عملية إحصاء السكنى والسكان، كما استعمل مصطلح أمازيغي «الكانون» أي التنور المبني المرتبط بالعميران المستقر، على عكس الخيمة المتنقلة المتعلقة بالسكنى فوق الجمل، ومن الألبان: كراض، كراض أر إباحان، ويقصدون بذلك الأتافي المبنية في كل دار.

#### علاقة أيت باعمران بتازروالت :

وقد ورد في كتاب السلطة والمجتمع : نموذج أيت باعمران في الوثائق المخزنية، وفي الوثائق الخصوصية، وفي وثائق الجماعات، ويا حبذا لو توسع الأستاذ على المحمدي في التوضيح أكثر. في رسالته الجامعية (ص 15) أما كثافة السكان قديما في الجنوب، فيمكن أن نستنتجها مما يأتي :

1 - كثرة المدرجات في معظم الجبال من أجل الفلاحة في أيت باعمران، ومعنى ذلك، أن السهول الواسعة لم تعد كافية للحث لكثرة السكان، وهذه الظاهرة قديمة جدا، فهل ترجع إلى تغيير المناخ تدريجيا ؟ أو لهروب السكان من الحواضر إلى الجبال بسبب الأوبئة المنتشرة في القرى والمدن ؟ كما في رسالة إلى مراکش.

2 - كثرة المقابر المنتشرة في عدة أماكن، بعيدا عن آثار لكثافة السكان، في حين أننا لا نجد عمرا يناسب تلك المقابر، ويصعب علينا في غياب البحث العلمي تفسير ذلك، في انتظار a d n لمعرفة عهد وسبب تلك الكثافة.

3 - ما يعرف بالأرجام حتى الآن : وهي بداية لمقابر في عدة أماكن في جنوب المغرب المعروفة (بأغرام) أو أهرام، وأكثرها مكثفة في فم الشنة في جنوب الأطلس الكبير، ومن هناك «ورد جد فخذة إدبوشني الخامس عشر، واسمه فارس، كما في مخطوطة القاضي الطيب البوشناوي ببيمنصورن» (معلمة المغرب ج 6 رقم 1966 جهادي) وفي شمال أيت باعمران في قبيلة أيت برايم، هناك قرية تسمى بالأرجام حتى الآن، ولم يعرف معظم الناس معنى ذلك.

4 - أما الأرجام في أيت باعمران فهي أرجام متفرقة في عدة أماكن تسمى تاكر كورت في جانب الطريق، يضيف إليها كل من مر عليها حجرا تبركا، لكن كرمز محترم ؟ وعندما يسأل عن ذلك يكون الجواب دعاء بعد الاستراحة بعين المكان ؟. وينبغي للمار هناك أن يأتي بحجر ثقيل يضيفه إلى ذلك التراكم الذي يرمز إلى شيء محترم، وما زلت أعرف بعضها، ومنها المطل من قمم المرتفعات تشاهد من بعيد.

5 - مجموعة إيگيدار، لم يبق في معظمها حاليا في أيت باعمران إلا ما شخص من أثر الديار، مع العلم أن هناك مصطلحات يجب التمعن فيها بين أكادير وبين إغرم، ثم القصة، ثم القلعة، ثم المحلة، ثم البرج (بورگ كلمة رومانية) ولكل منها مواصفاتها الخاصة، وهي تحصينات قديمة، منها ما يرجع إلى عهد المرابطين، ومنها ما يرجع إلى عهد الموحدين، لكن أكثر القصبات في عهد مولاي إسماعيل العلوي، وصل عددها إلى 80 قصة أو قلعة أو محلة في المغرب كله، منها محلة السلطان بتيغزي. بأيت باعمران.

6 - ويجب الانتباه إلى تركيز القصبات الخاصة في السهول المفتوحة، وهي موجودة بأيت باعمران، مثل لاكصابي، وقصة خميس أيت بوبكر للمولى إسماعيل حسب الرواية الشفوية على مرتفع مكفاف، ومحلة قريبة منها للسلطان مولاي الحسن الأول، وقصة القائد أحمد الخلفاوي بتيغزي، وقصة بتيدلي بأيت يعزى، وقصة تاييرت بميرلفت لأيت عبّ حوالي عام 1250هـ وقصة إدمبارك أويحيى بأخريب على حدود أيت الخمس، وقصة قرى إيگيسل للمرابطين، ثم جدها مولاي إسماعيل في جهة تاكانت ن توتال، ولم يبق حاليا من نماذج تلك القصبات الشخصية إلا دار المرحوم أنفلوس حمايدوس ند السّي ياسيگت قرب الصالح سيدي بوؤبراهيم، لعدم قدمها، ولتغيير الظروف بدخول المخزن، وقد بنيت بالضبط في مكان محلة السلطان الحسن الأول سنة 1303هـ (معلمة المغرب جهادي رقم 3578).

أما إيگيدار، فهناك أكادير ن دابوزيا، وأكادير بواغاض، (فران تدويب المعادن) بأيت إخلف، وأكادير بوفردو بتيويوت خرب بحكم عرني عام 1218هـ، وأكادير ند شهايب بمستي، تعرض للدمار في مجاعة 1245هـ، وأكادير ند موران، وأكادير ن أيت وادار بأيت



يغزى به انعقد انتخاب أعيان أيت باعمران الذين وقعوا مع فرنسا اتفاقية ثلاثاء لخصاص سنة 1934م، وتاكديرت ند واگمار بجبل تاموشا وهي قديمة جدا، وأهلها فخدة من أيت إخلف، وللمرابطين أكادير فوق مرتفع تانگارفا المطل من جنوب العين، حسب بحثي الميداني في عين المكان، وحسب ما أكد لي فقيه المدرسة العتيقة سيدي إبراهيم الخبير هناك، والمشارط في تلك المدرسة لمدة خمسين سنة، استجوبته في غشت سنة 1980م واستفدت منه نظرة شاملة لتلك الجهة.

أما مصطلح إغرم، فيطلق في خارج أيت باعمران شرق الأطلس الصغير، وله مواصفاته الخاصة، والمصطلح مشتق من تاغرا ما أي الحضارة، وجمعه ثغرمان، ولذلك غالبا ما كان ثغرم محصنا بالسكنى والحضر، لا يوصل إليه بسهولة، بينما أكادير محصن طبيعيا غالبا في قمة مرتفعة، ولهذا الجانب عارفون بميزات تلك التقنيات المرتبطة بيئة كل موقع وأهمية التحصين، كخزانة للقبيلة. وعهدي بمجهود محترم في تصوير ما بقي من إيگيدار بسوس، «وتنتهي برابرة المنطقة إلى قبائل مصمودة، ويسكنون كلهم بالقصور، وأهم هذه القصور، توجد بإيدونزال، وإداؤبعاقيل، والرسموكة، وهلاله، وهي أقوى قبائل المنطقة»<sup>(214)</sup>.

7- تابریدا : ومعناها الطريق الرئيسية للقوافل، وفي المغرب نوعان مهمان من الجنوب إلى الشمال، الأولى الداخلية من نهر نيجريا عبر سجلماسة، والثانية عبر الساحل الأطلسي غالبا من نهر السينغال عبر موريتانيا إلى نول لمطة إلى أغمات ومنها ما يرجع إلى أقدم العصور، ونزلاتها معروفة حتى الآن في أيت باعمران، ومنها أتبان بتابلكوكت، وقصبة ميرلفت حتى عهد بودميعة.

8- علاقة السكان بالبحر، وخاصة المصطلحات البحرية، وما يتعلق بذلك، لكن كل هذا وغيره يحتاج إلى بحث علمي تاريخي دقيق، وقد خصصت له مقالا نشر في مجلة كلية الآداب بالرباط، سنة 2008م.

9 - أما علاقة دفاع أيت باعمران عن هذه الشواطئ، فهناك قصة غريبة في عهد التازروالتي سيدي هاشم الذي مكر به البحارة الأرييون في مرسى أكولو، وذهبوا بكل (214) مارمول كارباخال، ج 2، ص 440.

ما أخذوا منه بدون مقابل «مثل الزيت والسمن والقمح والأبقار والأكباش والدجاج» (أخبار سيدي إبراهيم ص 63).

فقال هاشم للتاجر الأوروبي : «ها أنذا أرضيتك، وأمددتك بكل ما تطلبه من بلادنا، وعليه، فأنت إذا ذهبت لبلادكم فلا بد أن تشتري لي عندكم خمسين مدفعا، وعشرة مهارز، فقال له النصراني فيه خير كثير» (نفسه ص 65).

ورد في هذا النص معلومات تبرز لنا جوانب وظروفا لا تقل خطورة عن تهافت الغرب على شمال أفريقيا نلخصها في النقاط الآتية :

1- تنصب معلومات هذا النص على معلومات عند وفاة السلطان سليمان، وقبيل مبايعة السلطان عبد الرحمان سنة 1238هـ الذي اصطدم بهجوم قوة فرنسا في إيسلي شرق المغرب لدفاعه عن الجزائر، وبشروع إسبانيا في الهجوم على الشمال، مصطنعة الأسباب في باب جزيرة سبتة المغربية.

2- وفي سوس ظهرت أطماع الأمير هاشم بتازروالت الذي استغاثت به قبائل سوس المحاصرة لمرسى أكولو، فانتهز ذلك اللقاء مع تاجر مغامر ليقايض معه سلعة البلاد، مقابل الأسلحة، لكن التاجر مكر بهاشم مكرًا كُبارًا.

3- ورد في هذا النص أن وعي القبائل وتمسكهم بالسلطان عبد الرحمان وما يمكن أن تلحقه تلك التجارة بسوس - أعمق من طموحات هاشم - إذ قال هاشم للتاجر بصيغة المفرد «إن مرادي هو أن أبيع معكم وأشتري».. وحينئذ قام شيوخ المناطق التي لا تدخل تحت أحكام هاشم، فتجمعوا وتداولوا فيما بينهم، فقالوا له : إن هذا الأمر ليس في صالحنا، وهو غير لائق فيما بيننا وبين مولاي عبد الرحمان، فقال لهم هاشم : أنا صاحب هذا الرأي، ولا دخل لكم بيني وبين مولاي عبد الرحمان، ويفهم من ذلك أنه يمثل السلطان، فتحدثوا قائلين : فيه خير كثير، وكتبوا عليه ذلك بالعدل». (نفس المرجع ص 63).

4 - لا يخلو فعل هاشم التازروالتي هذا من عدة أمور منها : أنه على علم بضعف السلطة المركزية في شمال المغرب، بسبب ما وقع بين مولاي سليمان والقبائل في الأطلس



المتوسط، وفي تلك الظروف، تكالب الغرب كله على شمال أفريقيا، وخاصة لما انتشر المغامرون في شواطئ المغرب، وقد يكون هاشم تاززولت يود أن يسترجع جزءاً مما كان في عهد قوة إيلينغ، وخاصة عندما تكلم مع النصراني كزعيم لبعض القبائل الحاضرة بمرسى أكلو، وفيها ولا شك أيت باعمران اللمطين الجزوليين الذين حضروا في مقام صالحهم واگاگ اللمطي بأكلو.

5- إن المبادرة التي انتهزها هاشم كأمير في خضم من القبائل الموالية له وغير الموالية، ليست إلا ارتكاب أخف الضررين أمام أجنبي - حتى لا يقال بأن لا يمثل للسلطة المركزية بسوس - بدليل اجتماع أعيان القبائل دون هاشم، مستفهمين عن تأثير تجارة هاشم نفسه من جهة؟ وموقفهم تجاه السلطان الرسمي في شمال المغرب من جهة أخرى، فرد عليهم بتحمل المسؤولية وحده، فسجلوها عليه بالعدول، ومعنى ذلك، أنهم لا يشاركونه في عواقب المسؤولية.

6- ومن أعجب الأمور، أن التجار الغربيين أعادوا الكرة في السنة المقبلة، وأرادوا أن يكرروا بأيت باعمران في مرسى سيدي إفني، لكن هيهات أن يكر الثعلب بالأسد، فقد انتقم أيت باعمران لهاشم من لا عهد له في قضية مرسى أكلو، فصادروا سفينتهم، وباعوا من لم يقتل من أولئك المغامرين كالأسارى مع سفينتهم، ومنهم الشاب الذي أسلم على يد شيخ أهل أكلو، وهو الشيخ علي الذي تولى تربيته حتى حفظ القرآن يُنادى بسيدي محمد بن علي. والقصة طريفة وطويلة. والبادئ أظلم. (أخبار سيدي إبراهيم الماسي ص 65 تأليفه سنة 1834م).

هذا وقد تدخل القنصل الأجنبي في الصويرة في أيت باعمران لشراء الأسرى النصراني بإفني، فبدأت الاتصالات والمساومات فافتدي من لم يمت ما عدا اثنين الذي في أكلو، ويشاع أن زرق العيون بأكلو أصلهم من ذلك الطفل العالم المسلم. والثاني في أيت بوبكر رفض أسيره بيعه، ولم نعثر بعد على مالكة، وهنا نجد أصل رجل مكلف بأولئك النصراني: إيرومين في موضع تيغيت نـ بويرومين، ويراجع عرف قبيلتهم، وهناك دفنت حجرة سجل عليها ما يتصل بذلك، فبحث عنها الضابط الإسباني صحبة أعيان

أيت باعمران حسب الخريطة التي تدل على ذلك المكان، لكنه لم يعثر على شيء، ومنذ ذلك التاريخ سمي الموضع بويرومين أي المكلف بالنصراني المقبوضين. في إفني ليبيهم لقنصلتهم بالصويرة، وبما أن تلك الحجرة بجوار البئر التي أخذ منها الجنرال دولاموط تلك المدافع، فلا يبعد أنه حمل معها تلك الحجرة حتى لا تكون دليلاً لأوصول الإسبان إلى عين المكان. وقد كررت البحث بدون أي شيء.

#### ملاحظة لا بد منها :

إن الفكر الغربي غالباً ما يستغل التاريخ، فهل هناك شماتة سابقة في مستوى سداجة هاشم بأكلو؟ نعم : هناك سداجة أكبر ! منها سرقة وخيانة ومكر لا تليق بفاعلها في أوروبا، وهي : «لما انهزم مولاي زيدان السعدي أمام أبي محلي براكش، التجأ إلى أسفي، فاكرى باخرة أوروبية لتحمل أمواله وأمتعته، إلى أكادير بدون حراسة مغربية، ومنها ما لا يقل عن خمسة وعشرين قنطاراً من الذهب، وأهم من ذلك الخزانة الملوكية السعدية التي أهدت لخزانة الأسكوريال بإسبانيا حتى الآن، وهذه الواقعة في عام 1020هـ / 1611م (إيلينغ ص 164) وهذه الخيانة بين الدول وبهذا الحجم - وإن انطلت على زيدان السعدي وعلى هاشم التازرولتي في أكلو - فإن أيت باعمران لها بالمرصاد في مرسى سيدي إفني. كما سجل أعلاه.

بقي أن نعرف متى حدثت هذه القضية بأكلو؟ تشير الدلائل كلها إلى أنها بعد رجوع هاشم من وادي نول إثر فراره أمام محمد بن يحيى أغناج الحاحي، وبعد انصراف هذا الأخير، إثر وقائع مشهورة، فاسترد هاشم مركزه بمظهر القوي الفاتك الجامع للأموال. وذلك عام 1232هـ، وقد سبق له أن حاصر تيزنيت بسورها البسيط 1226هـ ثم 1236 ثم 1240هـ ففشل، لذلك لم تكن مرسى أكلو من أحكامه بدليل مراسلة من أهل أكلو قائلين له : «لا بد أن تُقبل إلينا إذا كنت ما تزال تهتم بأمرنا» (أخبار الماسي ص 61).

أما مصادرة أيت باعمران لسفينة تاجر نصراني أوروبي بمرسى سيدي إفني وبيعها، وبيع أسراها ببلدة أيت بوبكر عند شيخها عبد الله بن بوبكر؟ وذلك بعد أكلو لقول النصراني : سأعود من العام المقبل، وذلك انتقاماً منهم لقضية أكلو.



هنا ملاحظتان : الأولى أن أيت باعمران لم يخضعوا لهاشم تازروالت بالذات في هذا الوقت، ولعل ذلك منذ حصاره لتزنت إلى أن فشل، ثم إن طلبه لتلك المدافع تعني شيئاً آخر لا ترصاه القبائل، لذلك حلفته بأكلو كشخص عادي.

والثانية فإن عبد الله بن بوبكر المذكور في ذلك التاريخ ليس بهذا الاسم على أيت بوبكر، بل هو الشيخ هم صاحب العرف المطبق في جزولة كلها، ومعه أربع وعشرون أنفلوس، وعبد الله هذا غير موجود في تلك القضية، وذلك مؤكد، ما عدا إذا غير اسم شيخ قبيلة أيت بوبكر، عمداً وتضليلاً للغير من الشيخ هم إلى عبد الله، وكان هذا الأخير هو عمدة السلطان مولاي عبد الرحمان عند بيعته حسب مراسلاته ومصطلح «محبنا الأرضى قبل أن يعين بنخدينا الأرضى».

أما دفاع السلطان الحسن الأول عن شواطئ أيت باعمران والجنوب عامة، فقد ملأت مراسلاته الرسمية : العامة منها والخاصة، الداخل والخارج، ولا سيما قضية سيدي إفني التي تسميها إسبانيا بوج أورومي تحت عنوان : سانتا كروز دي مار بيكينيا (الصليب المقدس للبحر الصغير).

### قصة بُرج أورومي المزعومة في أيت باعمران :

«وبعد : فحيث كنا في القطر السوسى، أمرنا المهندسين بالتوجه من أكادير إلى أصكا (أساكا) مع سواحل القطر المذكور، وتقييد ما فيها من البناء القديم والحديث، والعربي منه والعجمي ؟ فرجعوا وذكروا أنهم لم يجدوا بناء قديماً منسوباً للنصارى عدا محل لا بناء فيه أصلاً فوق وادي أساكا، بينه وبين البحر خمس دقائق، يسمى برج الرومي، وآخر فوق برج الرومي المذكور بناحية الجبل داخل في البر، بينه وبين برج الرومي المشار إليه ساعة وربع، وبين البحر نصف ساعة، يسمى سوق الرومي، فيه طلل بناء عفا بعض أثر تحويطه، وبقي بعضه مع بعض أثر برج، وأتوا بصورة الجميع، وها هي تصلك صحبة أحد من باشر ذلك بنفسه وعينه زيادة في البيان، فعرف الباشادور بذلك وأطلع على الصورة المذكورة، وإذا سلم ذلك فأعلمنا، وكذلك إن لم يسلمه، ليوجه من يجدد البحث عن المحل المقصود عندهم بما وراء أساكا إلى رأس

جوبي : (كوتيا = ذو تل) إن لم يسلم الباشادور ذلك. والسلام. في 4 ذي القعدة عام 1299هـ<sup>(215)</sup>.

ومن القادة المعينين في هذا التاريخ، القائد علي بن الشيخ مسعود الاسحاقي العليوي الخصاصي، اختاره رؤساء القبيلة 1299هـ وهو مسن مستضعف ليتولى القيادة عليهم يوم يولي السلطان القواد على كل القبائل السوسية على اختيارهم، فاستولى على لبة صهره بيهي، فلم يزل به حتى قدمه إلى السلطان الحسن 1303هـ. فطلب منه التخلي عن القيادة، وأن يتولى مكانه صهره بيهي، ولما تولى هذا نبذه نبذ النواة، وما في بيته نبذ ولا سبب، وإن كان القائد بيهي نفسه لم يسعد كثيراً بالقيادة لعداوة الكيلولي له، ولمنافسة القائد المدني المعين على فخذة أيت بيفولن، فانقسمت لخصاص بدورها، فرجعت الفوضى جذعة، فأجلى الناس القواد أيضاً، وذلك في سنة 1323هـ ثم خاض بيهي حروباً إلى أن قتل في 25 صفر سنة 1329هـ (المعسول ج 20 ص 182) وبما وجدته في رسالة بين عقودنا «أن الشيخ الحسن بن علي وأخويه القائد محند ومحمد من آل الشيخ هم، قد لجأوا إلى القائد بيهي الخصاصي سنة 1911م / 1329هـ عندما تعرضت دار عمهما القائد أحمد لغزو أيت النص بقيادة القائد محمد الوجداري، الذي غدر بأعيان أيت إخلف، وقتلهم في داره بايسيك، وعددهم ستة، ولما رجع المذكورون دبروا قتله بدورهم عندما ترصده أهل الدم بشعبة تالات إيماكرن يوم السوق، فوقع البريح في السوق، بأن أيت إخلف أخذوا بثأرهم وانتهى الخلاف» (نفس الرسالة) وسبب تسمية الشعبة للسراق لعرف قبلي نفذ فيها لسرقة بقرة.

أما قبيل أيت باها أويحيا، فمنهم أيت عبلاً، ومنهم أيت يعزى، وأيت بوياسين، وأيت أيوب، وأيت الخومس، وإصبويا، وكلهم كأفخاذ لقبيلة كبرى تسمى أيت باها أويحيا في العرف القديم، وكانت أرضهم قبل الحماية تمتد إلى الصخرة التي توجد في وسط سوق الاثنين بقية أكلميم، كحد لمجال باعمراني قبيل الاستعمار، وتوضيح هذا العرف العتيق عند الفقيه البصير أحمد بأينو الباعمراني المتوفي عن سن عالية في فاتح يناير 2010م ودفن في مقبرة الصالح سيدي سليمان ؟ بأباينو، وفيه أن إيگيسل وتاگانن وأباينو من أيت باعمران...

(215) إنحاف، ج 2، ص 336.



وفي سنة 1299هـ أحدث المخزن المغربي تجزئة القبيلة الكبرى بتعيين قادة جدد، لكن سرعان ما انهاروا كلهم بموت السلطان الحسن الأول سنة 1311هـ. هذا ملخص ما ذكرته الأعراف القبلية، وما سجله المؤرخون، مع العلم أن حدود أيت باعمران مطاطة إلى أكثر من ذلك، وأحيانا أقل بكثير مما هو معروف، وذلك حسب المد والجزر، والأحلاف بين القبائل، وبتعيين قواد السلطان في التاريخ المذكور، عرفت كل قبيلة منتهى حدودها، وعدد كواينها لأداء ما فرض عليها، ولو سكن شخص منها في وسط قبيلة أخرى لا يعد منها، لكنه يخضع للعرف المحلي. كمشاركة السيد وتموين المدرسة والدفاع عند الضرورة.

وبتعميم الحماية، صار الجنوب كله تابعا لأكادير، بينما استمر الإسبان في أيت باعمران مع النظام القبلي بعرفه مستمرا إلى أن ظهر تقسيم الجماعات والعمالات الحالية، قصد نسخ النظام القبلي في المجتمع، لتنفيذ تقريب الإدارة من المواطنين. مع مراعاة عدد السكان حسب الانتخابات الجماعية والقيادية.

وفيما يخص إطلاق أيت باعمران على معظم جزولة، فقد مر علينا إحصاء السلطان السعدي، وهذه رسالة السلطان عبد الرحمن تنص كدليل مخزني على اتساع مجال أيت باعمران في عهده :

«واعلم أن الله تعالى سبحانه قد فتح علينا الزاوية الشراذية، وأهلك أهلها الظالمين... وفي خبر انهزام المهدي الشراذية أمام هذا السلطان ورد . أن المهدي ذهب إلى السوس، وانتهى إلى أيت باعمران، من ولتية، فنزل على مرابطها أبي عبد الله محمد أعجلي الباعمراني» سنة 1244هـ. (الاستقصا ج 9 ص 21) وقد رسخ في ذهني أن سيدي محمد أعجلي الروائي هذا، كان مدرسا بمدرسة بوغارف، كما رأيت ذلك في تلك المدرسة في مصحف بحمزة للروائي محمد الضحاكي وأنا طالب عند سيدي الحسين بن أمغار البوجرفاوي هناك نهاية 1952م. والسؤال هل نزل المهدي الشراذية في أيت باعمران عند أعجلي في قبيلة ولتية التي تعد من بعمرانة قبل انفصالهما؟ أو نزل عنده في بوغرفا إلى أن أعفي عنه وتقلبت به الأحوال وتأخرت وفاته إلى 1293هـ (الاستقصا ج 9 ص 21) والمهم هنا هو إطلاق أيت باعمران على معظم الأطلس الصغير.

ونضيف هنا إلى أن الروائي سيدي محمد أعجلي قد اشتهر بالبروز في الروايات القرآنية، ثم اشتهر بنزول المهدي الشراذية عنده المتوفى 1293هـ في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن، حين نزل عنده عام 1244هـ بقبيلة بعقيلة لا بعمرانة عكس قول الناصري في الاستقصا، وأعجلي مشهور بإصلاح ذات البين، وبالسياحات، وبكثرة الأخذين عنه، ولشهرته قال البعض : ينتحل الغيوب، وهتك السجوف بالجفرية «بينما قيل فيه «رجل مسكين، فارغ من الدعوى، مقبل على شأنه، مؤد حق ربه» فهو كقرنه أحمد أنجار البوجرفاوي الباعمراني المتوفى 1286هـ بأكلو حيث دفن. كما توفي أعجلي ببعقيلة عليه قبة ومشهد يزار، وقيل بأنه قتل بالسم من حاكم تازروالت؟ والمشهور عن أصحاب الروايات أن لهم كرامات بفضل اشتغالهم بالقرآن الكريم، والمحافظة على تلقين السبع والعشر حتى لا يشك الغير في صحتها، وخاصة في زمن المخطوطات المعرضة لسبق القلم وصعوبة الضبط، وتنوع خط الناسخين، ولهم أجر عظيم، وهذا كله لا ينفي ما رأيت في مصحف بمدرسة بوغارف. (وإن ركز السوسي في مشاركته على أربع مدارس فقط بجزولة وهي إيگضي، وموژايت، وأفازور، وتازروالت<sup>(216)</sup>، وهنا ملاحظة : وهي كلمة أعجلي، فهل هي من العجلة وذلك بعيد؟ أو من العجول، المصطلح الذي أطلق على شخصيات عظيمة أصلها من نصارى الأندلس أسلمت وحسن إسلامها، ولعبت دورا كبيرا في تاريخ المغرب، ولا يبعد استلحاقه بنسب شريف يستحقه من إخفاء ما يشتم من هذا اللقب، كما أن الهمزات المتناثرة حوله إلى حد اتهامه بالجفرة والتكهن بالمستقبل، وسيدي محمد أعجلي، علم من أصحاب الروايات القرآنية، وأمثاله يغمزون دائما من طرف المنافسين. وخاصة عندما أوى المهدي الشراذية المدعي المهديوية إلى أن انهزم.

والمهم هنا أن قبيلة إداولتية، تعد من أيت باعمران في رسالة هذا السلطان، مع أنها بجوار بعقيلة بل هي منها، وتشمل ويجان ومعظم أزاغار، وهي من أقدم سكان سوس، وفي كتاب إيلينغ، أيضا، كانت جزولة أحد أفخاذ البربر القديمة، وقد عرفت بهذا الاسم من قديم جدا، وكانت كل هذه الجبال التي نسميها إداولتية اليوم مواطنها إلى أيت باعمران التي تسمى مواطنهم قديما ببلاد لمطة، وهي من الجزوليين، وقد ذكرت هذه

(216) المسول، ج 5، ص 294.



البلاد في التاريخ ببلاد جزولة أعني جبال ولتيتة، وذلك في أواسط القرن الخامس (445هـ/1062م) حين دخل اللمتونيون إلى سوس، فكل من كان من هذا الفخذ الجزولي فهو جزولي (217).

وهذا تأكيد مركز من المؤرخ السوسي، وما يعزز هذا الاتساع أن يعد المقرئ الحمزاوي الباعقلي المشهور سيدي محمد أعجلي من أيت باعمران حسب رسالة السلطان عبد الرحمن العلوي.

نحن لانكر الأصل القديم لبوعمرانة الذي هو قبيلة لمطة الأمازيغية، ولكن من حقنا أن ننبه إلى استمرار مفعول المقاومة الفريدة في ذلك الإقليم؟ فقد سجل التاريخ سمعة بعمرانة ودورها الإيجابي الفعال، كقبيلة ثالثة في تكوين الدولة المرابطية، وكونها زاعمة لجبال جزولة الكبرى من المحيط إلى قمة الأطلس الصغير، مما جعل السلطان أحمد المنصور الذهبي يسند إليها القيام بجمع الكلف المخزنية في تلك الجهة الواسعة، ودور بعمرانة هذه لا ينكر في مقاومة زحف سلطة الحماية الفرنسية القريبة منا من 1912م إلى 1934م. منها:

#### معركة إيغالض المشهورة :

نبدأ برواية ماء العينين كاتب القائد المدني الأخصاصي إذ قال : «وأول ما حضرته معه حرب حيدة يوم قتل في 13 من ربيع الأول 1335هـ وقد خرجنا من بويزاكارن واجتمع الناس فنزلنا مع القائد في دار بقرية إزاء إسيگ، وقد كان القائد أرسل جاسوسا، فاتصل بالقائد العربي الضرضوري من جيش حيدة؟ يطلب منه أن يعين له الطريق الذي سيسلكه حيدة... فتقدم القائد وهو على فرسه، فنادى في الناس، إن حيدة قد أتى على طريق أيت برايم، فإذا أردتم أن تقاوموه فتنظموا أنفسكم كراديس، وإن أردتم الفرار فدوونكم وما تريدون، فنادى الناس كلهم بالعزم على المقاومة، فتقدم الإصبويانيون خيلا ورجلا، وتبعهم أيت بوبكر كذلك، ثم لخصاصيون، ثم أيت الخمس، ثم أيت الجمل الودنونيون، ثم أيت بلا قبائل تكنا، ثم أيت عبلا، وأيت يعزى البعمرانيون، والكل كراديس متتابعة. فكان الأولون الاصبويانيون أول من تلقى الصدمة، فكان فيهم

(217) يبلغ قديما وحديثا، ص 238.

القتلى والجرحى؟ فانهزموا، إذ ذاك نادى القائد المدني في الناس أن يدفعوا جميعا دفعة واحدة، فوصلت الحملة مواقع المدافع، فقتل الطبجيون، فقتل حيدة برصاصة من حيث لا يعرف راميتها» (المعسول ج 20 ص 193).

ملاحظات حول هذا النص منها :

1- كانت هيبة القائد المدني في هذا التاريخ ناقصة بسبب فراره أمام حملة الباشا حيدة، حتى إنه لم يدافع عن داره ولو برصاصة واحدة، بل فر بروحه إلى قرية بويزاكارن، مشمرا على الفرار إلى الصحراء، كما أن علاقته بالكيلولي عدو السوسيين كلهم لم تترك له أدنى ثقة من طرف القبائل.

2- إن القائد المدني قد فر أمام حملة حيدة في قبيلته إذحايوتوف، وفي سهل إيسيج حضر «أيت الخمس من الباعمرانيين وأيت الجمل من الودنونيين، وأيت عبلا وأيت يعزى وكلهم أعداؤه، أما أيت بوبكر الذين وقع حلف تلك القبائل كلها في موقعهم، فالعرف على الأقل، لا يسمح لغير المحلي أن يخطب في تلك القبائل، ولدينا نص خطاب القائد محند من آل الشيخ هم الخلقاوي في الموضوع، وكله بالشلحة وباختصار مركز» منه كل فرد من المجاهدين يصاحب من عرفه حتى لا يختلط معنا العدو، ولا يبدأ أحد بإطلاق الرصاص إلا عندما يبدأ به الفرسان، وكل من حصل على غنيمة فهي له وحده». (عن شاهد محمد بن عبيد بإضرصار)

3- إن قاعدة العرف - وخاصة في أيت باعمران - لا تسمح مطلقا لأجنبي عن القبيلة أن يخاطب القوم، وقادة عين المكان حاضرون، وهم أعرف بتضاريس الموقع، وهم خبراء في الحروب ومكائدها في الجبال وفي السهول. نعم : كان للقائد المدني الأخصاصي مكانته قبل أن يفقدها، فقد زور حتى الشهود الذين قدمهم للجنرال دولاموط مع هديته واستسلامه في ميرغت. والجميع على علم بذلك..

4- كانت محلة حيدة نزلت قرب قصبة تيغانيمين أولا بسهل يسمى تامگرت ن تاژاط، بجوار قبيلة إفردا التي هاجمها أفراد من محلته قبيل عيد المولد، فقتل وجرح المدافعون، ففر معظمها إلى جهة أيت باعمران، وبينهما جبل فقط، (معلمة المغرب ج



2 جهادي رقم 552) - هناك مراقبون لحركات محلة حيدة، وتتفق الروايات على أن الداهية حماد نبيهي الباعمراني، هو الذي اتصل بحيدة، وأغراه إلى مسلك أسيف إيگالفن، ثم أخبر أجموع بإيسيك قاتلا: [ها أنذا جئتكم بحيدة في أفردو لا تفلتوه] بينما لم يصل القائد المدني من بويزكارن إلا مؤخرًا ليشتري الغنائم، ومنها بغلة حيدة لدى الشيخ سعيد الخمسي من الفرسان المهاجمين الأولين، - هذا ينقص من صحة رواية كاتب المدني المتأخر عن بداية المعركة، لكنه السباق إلى شراء الغنائم، وهذا هو المشاع - . والمعتمد هو أن الذين أسقطوا مقدمة حملة حيدة بوابل من الرصاص، هم الجماعة الأولى من فيهم الشيخ سعيد، فانتهدت المعركة وبقي السلب لمن يرغب في جمعه بلا مقاومة من محلة حيدا.

6- أجمع من كتب عن هذه المعركة على ندرة القتلى من المهاجمين، وفي آيت بوبكر أجمعين ثلاثة قتلى فقط، فمن أين كثرة ما ذكره كاتب المدني حول إصوبيا وانهمامهم؟ وهم أسود الوغى، ورجال حرب، شبوا في المعارك وشاخوا فيها، لا أبالغ إذا قلت: إن بعض الصحراويين يزيدون في التاريخ ما ليس فيه، ويوظفون أحداثًا في غير محلها، كأن غيرهم لا يسجل الأحداث، أو لا يسمي الأشياء بأسمائها؟

ومن المخبرين عن آيت باعمران منذ 1327هـ/1909م السيد الحسين الإفرائي كمستشار رسمي فيما يخص قبائل سوس، وذلك عندما حل محل سيدي الحسين أوهاشم الإيلغي بتازروالت، والفرق بينهما أن هذا الأخير، كان يرفع الأخبار مباشرة إلى السلطان، بينما الإفرائي بواسطة المدني الكلاوي «لينفذ اقتراحه حول تعيين القائد صالح الشاوي وجمع العسكر... لأن بعضًا من قبيلة هصباوة هي التي أثارت تخوفات الحكومة، واتصلت بالأجانب، وأن نارهم لا تخمد إلا بتخيم مدد شريف بتيزنيت، يتولى قيادته القائد صالح الشاوي، وأن باقي آيت باعمران باستثناء فرقة من هصباوة على أحسن ما تريده الحكومة» (الحاج الحسين الإفرائي).

فإذا كانت عائلة إدياكو تتاجر في عهد المجاعة مع الأجانب في عهد الوزير بآحمد، فمن هي الفرقة الهصباوية المتهمه؟ ولماذا قامت وحدها بهذا الفعل دون سائر آيت باعمران؟ مع العلم أن المجاعة أفقدت للناس صوابهم.

ولا شك أن هذه الرسالة إنما تلقي ضوءًا على نوعية الرسائل الإخبارية حول آيت باعمران التي يرفعها الحاج الحسين الإفرائي هذا، ويجوز له أن يصوغها كيف يشاء، أو حسب ما ينقله له أعوانه المكلفون بتتبع أخبار آيت باعمران، ولدينا نماذج من رسائل بعض الفقهاء من هذا النوع، إلى حد أن بعضهم يقترح نفسه على السلطة المركزية كقادر على تسوية الأوضاع في تلك الظروف!

7- ولنرجع إلى الحوار الذي دار في أجموع القبائل في إيسيك، فقد دار كله بالشلحة التي يفهمها الجميع، وليس للكراديس والعزم خيلا ورجلا مجال في خطبة الحماسة في آيت باعمران، حتى القائد المدني لا يخطب دائما إلا بالشلحة، وهي خطاب الجميع قبل أية معركة، وفعلهم هو تفحص كل جماعة سلاح أفرادها، واختيار أبطالها، وتوزيع المهام، وويل لمن فرط أو هرب أو خالف الاتفاق العام، كأن يخرج البندقية قبل الإعلام، ورحم الله المختر السوسي الذي لا يغفل ما لا بد منه كقوله: «وفي بحبوحة سوس، فلا يتكلم فيها بالعربية إلا في أولاد جرار بصواحي تيزنيت» (إيلغ ص 10) فأين هنا ما زعمه كاتب المدني؟ بل هنا ما يؤكد تأخره مع المدني، وفيما يخص آيت جرار، فهم يخطون حتى الآن الدارجة ولو في أحواشهم، وقد زرتهم، وتأكدت من ذلك، لكن معظمهم يتقن اللغتين مع امتى أراد ذلك.

8- أما ترتيب تقدم كل قبيلة على الشكل المذكور، فليس إلا من خيال الكاتب، لأن آيت باعمران، أدرى بشعاب أكني إيگالفن العميق الممتد حوالي 10 كلم كما سلكته برجلي، وأحيانا أضيق من الشارع، مما جعل قافلة حيدة كالدجاج في السلة.

9- وقبيلة إفاردا باتت كلها في تلك الليلة في مرتفعات «تامگرت نتلو» إلى جانب جبل إوزيغ (الجبل الأصفر) والقوم عارفون بمنحدر بوتاتن، كما أن آيت برايم ليسوا كلهم قد صالحوا حيدة، وخاصة منهم الجبليين مكان المعركة.

10- تأكد أن آيت الخمس الباعمرانيين هم السابقون، وهم أول من لقي مقدمة محلة حيدة بخيلهم، فأمطروها بطلقاتهم قبل أن تركب المدافع، فانكسرت المحلة، فقتل الكثير من جانب المحلة، فالتمس الباقون النجاة في اتجاه تيزنيت، فاشتغلت القبائل بجمع



الغنائم، منها بغلة القائد حيدة التي فاز بها الشيخ سعيد، والتي باعها للقائد المدني الخصاصي فيما بعد، لاجتماع أجموع في أكادير ژوگاغن، قريبا من مقتل حيدة، لمدة أسبوع كامل، والحق أن القتلى كانت كثيرة في كبار محلة حيدة، وخاصة ممن لا يريد أن يتنازل عما في يده من متاع أو بندقية أو كيس مال، أو سلهم الملقب، أو فرس، وخاصة الأعيان الذين كانوا معه في المقدمة، كقواد أشتوكن حتى إن القائد الجراري لم يفلته إلا عبده الذي حملة على ظهره.

#### شخصية الباشا حيدة بن مائيس :

ليس من السهل أن تُنسى شخصية مثل نموذج حيدة بن مائيس، مهما اختلفت الروايات، وكثرت الأقاويل، فأفعاله وأعماله ملأت الفراغ طويلا، الإيجابية منها والسلبية على السواء، وعند ربكم تختصمون، وقد تناولت هذه الشخصية ألسنة لا عظم فيها، وأقلام مشحونة بالكرهية، لا مجال للرحمة فيها، فقد ملأ الغضب عليه سوس بكاملها، فكان انسحابه من طائفة الهيبة أول سمار دق في نعش أهداف الطائفة الملعنة في تيزنيت، وفي ظروف خالية من التمييز، ظروف اشتعال نار جهنم في أوروبا، والحرب العالمية الأولى على أشدها، فزحفت سلطة الحماية بكلكلها على سوس بكاملها، وغواصات الألمان تطل على سواحلها، وثورات القبائل في جهات المملكة وأقاليمها تتقاتل - والعدو باب الدار - وتلك والله قيام الساعة على سوس منذ انقسام عروتها الوثقى.

في مثل تلك الظروف، تقلُّ الرجال، وتصول ربات الحجال، في مثل تلك الظروف، تضرب الداهية بأعظم منها، وهنا أعطي القوس باريها، إنه الباشا حيدة بن مائيس، رجل وقته بلا نزاع، يفتك بالخصوم كالذئب في الغنم، قوته في التخطيط والتنفيذ، وفي التنظيم أحكم من العنكبوت في نسيجها، انطلاقا من تأييد الحكم المركزي له بلا حدود، وخاصة اعتماد قوة الحماية المنهزمة في عقر دارها بايز، حيث أسقطت الراية الفرنسية وأهين بها كل فرنسي لأربع سنوات..

ولذلك اعتمد ضباطها في المغرب على حيدا المغامر، ذلك الشيخ الذي شب في المعارك حتى شاخ فيها، فتجاوزت سنه الثمانين، حتى نبت الشعر في أذنيه، والبندقية

لا تفارق بين يديه، يحرض محلته وليس في فمه إلا سن واحدة، شخصية قَدَّت من حجر، قرأت عنه الكثير، لعلني أجد له مفتاحا لينا إلى تحرير مادة «حيدة» في معلمة المغرب (ج 11 رقم 4646). لكنني صدمت بسهام من تناوله بنعوت لا يمكن أن تنبعث كلها من لا شيء، وإن كان سلاح المنتقدين البعيدين عن المعارك كثيرا ما تتأثر بالمرجوحات، أكثر منها من الراجحات، وعليه، فما العيب في المزوجة بين النقد والانتقاد؟ وخاصة في مستوى شخصيات لها حظ من الهالة كأمثال الباشا حيدا مرت كلها في تاريخ هذا الوطن؟.

وبعد بحث طويل وتريث، عثرت على صورة حيدة وصورة حرمه إزا بنت بايروك، فنشرت الأولى في معلمة المغرب، واحتفظت بالثانية احتراما لمن لا دخل له في المعارك ولا في غمزات الأقلام، وقد قربت لي صورته الشخصية عظمة ضابط خلق لقراع الخطوب، فهو ابن مائيس الصحراوي الخبير في تربية الجمال، وأصل أسرته من أولاد الدليم الصحراويين، ترقى في عدة مناصب، وحارب بجيشه الثائر بوحمارة الزرهوني في تازة بعدما عجز قواد المركز بفاس.

وبانضمام باشا تارودانت حيدا هذا، كملت حملة الشيخ أحمد الهيبة في تيزنيت 1912م فأسند إليه أوامره كاملة حتى أشرف على مراكش، وهناك نصح الداهية حيدة أميره بعدم دخوله إلى عاصمة مراكش، كما نبهه إلى أن كل من معه ليس مخلصا له في تلك الظروف، نعم : للسياسة رجالها، وللمحارب أئمتها.

وبمراكش، نفخ حيدة السياسي يده من طقوس المحيطين بالهبية، فانسل إلى تارودانت، فتحول إلى رأس حربة لسلطة الحماية، فتقدم نحو الجنوب لا يبقي ولا يدر، فحل محل حكام كانوا بتيزنيت، لم تحمد لهم قبيلة من سوس منقبة يشكرون عليها، ومعظمهم من أصل سوس نفسه، لكنهم لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة، بل فعلوا بهم أكثر مما تفعله الحدأة بالدجاج، (تاسؤانت) فورث عنهم حيدا بدوره فعل الأرضة في الجذوع والأغصان، فصارت جزولة كهشيم تذرره الرياح.

فبدأ الداهية حيدا خطته بعزل قبائل الأطلس الصغير عن أيت باعمران، مبتدئا بالأخصاص وأيت الرخا، فقارعته ويجان أكثر من غيرها، فإذا بإطلالة قوة ألمانية ظهرت



في سواحل أيت باعمران في مرسى أركسيس، فكان المر بينه وبين ذلك، عبر قنطرة أيت باعمران المنصوبة على أتون جهنم بعد تهديدهم.

«أنطلق حيدا بحملته الأولى انطلاقا من بونعمان إلى موضع تاجاريفت بين لخصاص وأيت برايم، وهناك وقع انكسار من تلقاه من حراسة هناك، فبات بمحلته تلك، وفي الغد قصد بلاد لخصاص، فمر على قبيلة أيت علي وأيت بوياسين ولم يكلمه أحد، ثم قصد أيت عبلا بأيت باعمران، وهناك نزل ليلة واحدة، وفي الغد، انتقل إلى أيت حائتوف في وسط قبيلة أيت بييقولن حيث دار القائد المدني، ولم يسأله أحد، وبات هناك ليلة واحدة، ثم رجع عبر ميرغت ذات الماء المالح إلى أيت جرار، وهناك أنذر أيت باعمران. بعد عزلهم عن جزولة.

وبعد ذلك جاء بالمعدّات أكثر من ذلك، وهذه الحركة الأولى حدثت في فصل الخريف، لسنة 1334هـ. وبعد ذلك جاء لغزو أيت باعمران معتقدا أن غزوه سهل مادام جال في بلاد لخصاص ورجع سالما، فيمكنه فعل ذلك معهم، وكان يردد القولة المأثورة عنه «نسنسان تامورغي، أندو أست يد نامز» (nssnsann tammuorkhi andduo ast id namz) معناه: بيتنا الجراد، سنذهب للقبض عليه، لكن أيت باعمران جعلوا منه جرادا «فكأنا خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق» بوادي إيغالفن، فقتل هو ومعظم من معه بعين المكان، فغنم المنتصرون كل ما في محلته حتى المدافع.

وفي سنة 1933م قدمت حملة للحماية قاصدة تيزي على مشرف أيت باعمران، وهناك وقعت معركة حتى بالسلاح الأبيض، وقتل فيها خلق كثير، وبعد ستة أيام يوم السبت لهذا التاريخ، هاجمت فرنسا أيت باعمران في إحدى تجمعاتهم بالطائرة وذلك في معركة تيزي الأولى.

أما المعركة الثانية والأخيرة، فقد حضر فيها الجندي محمد بوژناري الورزازي المنخرط وجوبا في جيش الحماية مع أقرانه في وارزازات وعمره 18 سنة، إلى جانب أخيه الكبير المجند، قال: «تعلمت الفرنسية بسرعة، وعملي هو كوزيني أصنع كل ما يأكله الضباط الكبار وحدهم، وقد قطعنا المسافة راجلين من وارزازات إلى أيت باعمران في 15 يوما،

ونزلت محلتنا في الأرقام بقبيلة أيت برايم، وكان الجميع يخاف من أيت باعمران، وقد أرسل ضابطنا جماعة لتحتل المرتفع هناك، فقتل منهم بعد الفجر تسعة، ورجع الباقون، كما تدخل لخصاص ضد فرنسا قرب بونعمان، لكنهم انهزموا، فتقدم المخزن نحو ثلاثاء لخصاص، حيث التقى كبراء أيت باعمران بالمخزن لعقد الهدنة، فصار جلهم في حكم إسبانيا، وشاع في ذلك الوقت، أن أيت باعمران، قبلوا إسبانيا بدل الحكم الفرنسي المخزني، خوفا من أن يتحكم فيهم الغير، ومن هناك وصلنا الأخبار بانتهاء الحرب، فصرنا كأننا ولدنا من جديد، خوفا من سمعة أيت باعمران في الحرب» (عن محمد بوژناري توفي في 7 مارس 2013م بحثت عنه كثيرا فاستجوبته وأهدى لي صورته كجندي شاب..).

الذاكرة: الهادي أبو القاسم لخصاصي: وهذه رواية أخرى من عين المكان، وفي أثناء البحث الميداني قصدت الطالب المتفتح الذاكرة الدرقاوي الطريقة، العارف بكثير ممن مر هناك من الشخصيات والأحداث، وهو متجول كثيرا في تلك القبائل، وكان واثقا بما يحكي عن ظهر قلب، كما أن ذلك يؤكد ما عندي من الوثائق وشهادات الآخرين، ولذلك نقلت عنه من فمه لقلمي كثيرا من المعلومات، ولولاه لضاع الكثير، كما أنني أنقل عنه مجموع ما قال، وليس جميع ما قيل، وهذا السيد هو الهادي أبو القاسم بلقاسم بن الحسن بن أحمد من قبيلة أيت بوياسين في موضع إدبناشاول لخصاصي، ولد 1318هـ/1900م وتوفي يوم 16 من سبتمبر سنة 1983م. وترك عائلة محترمة بعلمها وتقواها وبعملها وتعاونها، عرفناهم بالمخالطة والمعاملة، وسمعتهم طيبة، والأصل تتبعه الفروع.

فلنترك هذه الذاكرة يقول: «حفظت القرآن على يد الطالب سعيد بن أحمد من تانكرت بإفران بجزولة، عندما كان مشارطا في مسيد إدبلقاسم بموضع إدبوياسين، لمدة 12 سنة، ولما توفي شيعي هذا، توليت أنا مكانه في المشاركة، وعن ذلك المرحوم، أخذت رواية ورش ثم رواية قالون، ثم شرعت في رواية ابن كثير، وكان لسيدي سعيد مخطوطات هامة، أعقل منها تحفة المنافع، على قراءة القرآن لصاحبها ميمون الفخار؟.



ومن هناك انتقلت إلى مدرسة سيدي محمد أولحسن في موضع أيت العربا بالأخصاص عند الروائي الحمزاوي المشهور، سيدي محمد بن عبد الكريم العرباوي الأخصاصي، وعنه استكملت رواية المكّي (ابن كثير) وفي تلك المدرسة العتيقة، توفي شيخنا الحمزاوي هذا بعدما لازمها لمدة ست وخمسين سنة، ودفن في مقبرة سيدي محمد أولحسن، والحمزاوي هذا بدوره أخذ الروايات عن شيوخه في قبيلة إباحان، وإيرازان، وفي أضرار أوامان، ثم صار مساعدا لسيدي محمد بن الحسن الماسي في أغبالو بماس، إلى أن أصيب هذا الأخير بالعمى لكبر سنه، فتولى مكانه في التدريس شيخنا هذا أو عبد الكريم الذي توفي بعد الاستقلال حوالي سنة 1960م.

ثم قال الهادي هذا : أما المبادئ العربية، فقد بدأتها عند الفقيه العلامة الحيسوبي السيد الحسين بن عمر بيبس، وهو عالم كبير، أصله من موضع أيت علي بالأخصاص، في مدرسة سيدي محمد الشريف بالأخصاص كذلك، إلى أن توفي سنة 1339هـ ودفن في داخل مقبرة الصالح هناك، وهو الذي قال عنه سيدي الحاج محمد أباراغ المعاصر له : «متاد إيس أسگمئمن ميدن العلماء أسار نسگمئم سيدي الحسين بيبس» معناه (فلو أن الناس يشحدون ذاكرة العلماء كما تشحد السيوف لفعلناه مع عالمنا بيبس هذا).

وقال عنه الصوفي سيدي أحمد أمجوض الذي توفي عام 1380هـ وهو فقيه مدرسة الكريمة بالسجل : «متادئس أر رطلن ميدن تودرت أسارت نرضل ئ سيدي الحسين بيبس» (فلو أمكن سلف الأعمار لقمنا بذلك لسيدي الحسين بيبس لأنه كان بارعا في علم الحساب).

وقد وصفه الإكراري كعادته بقوله : «يلازم التدريس، ولا يفارق الشيخ خليل والألفية وابن عاصم والسملالية والأمهات الصغار، ولا يحوم حول علم الأصول والمعاني والعروض والمنطق، ولا يُعرف في أي قبيل هو ! هل هو تناني ؟ أو هواري ؟» (روضة الأفنان تحقيق أحمد أنوش ص 248) لاحظ ما ذكره تلميذه الهادي الذي تخرج على يده أناس لا بأس بهم، ومنهم أبو القاسم الهادي هذا.

ولما كان الحديث ذا شجون، فلنسترسل في شهادة الهادي هذا عن الحاج محمد أباراغ الباعمراني الذي وصفه الإكراري «بأنه واحد العصر وقتئذ» ثم قال الهادي :

حكى أنه رأى في منامه، أن جميع قبيلة أيت بوبكر الباعمرانية، دخلوا بستانا فيه كل ما تشتهيهِ الأنفس وتلد الأعين، لكنهم لما دخلوا كلهم أفلوا الباب دون أباراغ سيدي محمد بناني الزاوية بالمسيد الأحمر، فقال : «قد هالني ذلك» فسافرت إلى فقيه زاوية تيمگيدشت، سيدي لحسن بن أحمد بن محمد اليموني أشتوكي أصلا، فعرضت عليه تلك الرؤية، فأجابني الفقيه بقوله : [إس أتسكارت تيرمت ن تمزكيدا ؟ تيغ اس أوهو، أشكو لجماعت تکیس يي غ تيرمت، غيكان د توالا ن لمدرست] معناه (هل تقوم بنوبة المسجد ؟ فقلت له لا، لأن الجماعة المشاركة أعفنتني عن نوبة المسيد وكذلك من نوبة المدرسة العلمية) فقال لي : لا بد لك من الدخول في الجماعة، ففعلت ذلك، وانخرطت في أعمال القبيلة كلها، ثم رأيت نفس الرؤية فيما بعد، مع جميع نفس القبيلة، ولما وصلوا إلى باب البستان، رفضوا أن يدخلوا إلا بعد أن يقدموني أمامهم أولا، تلك رؤية ؟ وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين، وللصوفيين مذهبهم ومجالهم المحترم.

وذكر الهادي قصة أخرى وقعت لأباراغ هذا، وهي : «ذهب أباراغ محمد هذا صحبة مريديه لزيارة إدبئشاؤل عند صديقه الفقير لحسن بن أحمد بالأخصاص، فتلقى في الطريق إليه شيئا مسنا، فاستفسر ذلك المسن أباراغ عن قصده، فذكر له صديقه المقصود، فقال له : إن صديقك قد لذغ ومات، فارجع إلى غير قصدك، وهو الآن يدفن في المقبرة الفلانية، فتأسف أباراغ، ثم أمر مريديه الذين معه أن يسرعوا الخطى، لعلهم يدركون الصلاة عليه، ولما وصلوا المقبرة لم يجدوا أثرا لما ذكره ذلك المسن، فقال لهم أباراغ : ذلك الشخص هو الشيطان بعينه» (عن الهادي نفسه).

والعجيب أن مثل هذه القصص لا تكثر إلا في البوادي، وفي مجتمع المريدين، وأعجب من ذلك إذا أسندت تلك القصص إلى كبار القوم وأئمة الجمهور، وأنا ما علي إلا نقل ما سمعته والعهد على الرواة، وللصوفيين مجتمعهم الخاص.

ثم أضاف الهادي : إن السلطان لما انتقلت محلته من تيغزي إلى تانگارف، حيث سيودعه أيت بوبكر أويحيا، لتتولى قبيلة أيت باها أويحيا قيادة محلة السلطان كما جرى بذلك العرف، صار أعيان أيت بوبكر يرون أمام مجلس السلطان، فإذا بالسلطان يأمر



بتوقيف الفقير الصوفي سعيد الوجداري بإيسينغ، وهو والد القائد إبراهيم بن سعيد، فقدم أهله الشيخ الروائي الحمزاوي اليوسفي سيدي محمد أَوْضَحَاك، ليشفع له عند السلطان، ملتزماً بأداء ما يلزمه، مقابل إطلاق سراحه، فقال له السلطان: «إن صاحبك هذا ليست عليه غرامة، ولكنه أساء الأدب، إذ كيف يُجري تسايحه وهو يجمع في أن واحد، بين أدب السلطان الأكبر، وهو الله تعالى؟ وبين السلطان الأصغر وهو أنا أمامه؟ كما بلغني أنه كان يطلق لسانه في العلماء والطلبة، فيقول هذا عالم، وذاك جاهل، ولذلك يستحق التأديب» (عن الهادي بلقاسم الخصاصي) وفعلاً أطلق السلطان هذا الفقير المتصوف، احتراماً لمكانة سيدي محمد أَوْضَحَاك اليوسفي من آل ميرلفت. وفي حضور الضحاكي نظر، كما استبعده الكثيرون.

ثم قال: وصلت حركة باشا حيدا بن مائيس إلى أيت باعمران يوم 13 من ربيع الأول عام 1335هـ/1917م بعد العيد النبوي بيوم واحد، وقال إن الشيخ اليزيد الخمسي وهو أمغار أيت إلسيمور الباعمراني عندما التقى مع شيخ الطريقة الدرقاوية مولاي أحمد بن الحسين في ثلاث نترات، قال له الشيخ اليزيد: «إن الشيطان قد قتل» ويقصد بذلك الباشا حيدا بن مائيس، فقال له مولاي أحمد: ومن قتله؟ فقال اليزيد: قتل بهذه اليد، ماداً يده اليمنى، والمعلوم أن بغلة حيدة من نصيب الشيخ اليزيد؟. وذكروا أن الشيخ سعيد هو الذي اشتراها من غانها. في تلك المعركة، ولم يذكر أحد الشيخ اليزيد في معركة إيغالفن ولو حتى بالحضور، والحق أن حيدا أصيب بالرصاص الذي أطلق عند اللقاء الأول، ولم يدر أحد أنه قتل حتى عثر عليه في اليوم الثاني عندما يجمع الناس المقتولين. ومثل هذه التنبأت وردت عن فقيه تيمكيدشت ومن سيدة من إلغ، حسب ما في المعسول، كما تعددت رواية من احتز رأسه..

وقال الهادي أيضا: «إن الفقيه القاضي سيدي محند بن محمد بن الشيخ همو الخلفاوي، كان ديدنه النصيحة والتربية والتعليم والتصريح ضد الإسبان، وهو الذي حرم التصوير من طرف الإسبان، ورفض قبض السكر مجاناً منهم. ومن ذلك أنه وجد الطالب السيد جامع بن إبراهيم من أيت يعزى المشهور برواية ابن كثير، وجدته في موسم الصالح سيدي محمد بن عبلا، يبيع الصابون التقليدي، فوقع ذلك في خاطر

الفقيه جهادي سيدي محند هذا، فقال له: «الله أكبر، لماذا يا سيدي جامع أنت في هذه الحالة ملطخ اليدين؟ لماذا غيرت مهنتك الشريفة وهي التعليم؟ ألم تكن حاملاً للقرآن الكريم؟ ولك حظ من العلم، فصرت تشتغل بهذه السفاسف الدنيوية التي لم تخلق لها».

وقال سيدي جامع هذا: من تلك اللحظة رفع الله تلك المهنة في عقلي، فانخرطت في التعليم، ثم تاعدلت، ثم قال الهادي «هكذا كانت التربية لدى شيوخنا بالنصيحة للمجتمع»، ثم قال: إن قبيلة أيت بوياسين كانت من صميم أيت باعمران، وخاصة في الحلف القديم (أمقون) وذلك مسجل في العرف القبلي المعروف باللف (الحلف)، وذلك ما نظمه الشاعر مبارك أموسى عند ذكره قبائل سوس:

أرأؤ نـ وُصبايؤ د وُبوئكر د وُبوياسين  
كان نيت ما إترزاف يان نغ يلا شُر  
أرخا د وُصبايؤ د وُبوئكر د وُبوياسين  
أئتماتن أ - كولو كان أيت باعمران

معناه أبطال قبيلة أيت الرخا وإصبويا وقبيلة أيت بوئكر وقبيلة إدبوياسين، هم أهل الإغاثة في وقت الشدة، وهم كذلك رجال حرب وأبأة الضيم، ويعد أيت رخا منهم. وقدما قيل:

إن الأسود أسود الغاب همتهما يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

وأضاف المستجوب، ذلك هو سبب عداوة المدني لأيت باعمران، وقد أكد لي هذا الأتحاد، الفقيه إبراهيم بن زعبون اليوسفي بالضحك كذلك، وأضاف أن المدني ضمهم، لذلك احتلتهم فرنسا لخروجهم من لف أيت باعمران سنة 1934م. أما كيف انتقمت القبائل من قادتهم بعد موت السلطان الحسن الأول، فذلك يرجع إلى ضعف سلطة المخزن بسوس، فكانت قبيلة أيت يعزى الباعمرانية، أول من بدأ بالانتقام من قائدها أحمد أصواب الظالم، فأيدتها جارتها قبيلة أيت عبلا لأنها منهم أصلا، بزعامة السيد



أحمد بن الطالب، فخرىوا دار قائلهم أحمد أصواب، ونفى من أيت باعمران، فارا بحياته إلى الشَّرْكَ في تامانارت، حيث مات هناك عند القائد البشير، ولم أذكر وفاته.

وقال فيه الإكراري : «أبخل الناس وأختلهم وأغدرهم، جمع عقود قبيلة أيت يعزى، أيام ولايته، وقتل الشريعة في أحكامه، إذا ورد. عليه الخصمان، قبض عقودهما فتركهما يترددان إليه، فلا يفصل أحدا منذ ثلاثة أعوام، فلما أعياهم أمره قاموا إليه، فخرىوا داره، وأكلوا ما فيها.. فتوفي في انتصاف جمادى الأولى عام 1346هـ/1927م»<sup>(218)</sup>.

تمثل قبيلة أيت يعزى ثلث قبيلة أيت عبلاً، وهي فخذة منها وإليها، إلى أن عين عليها القائد البودراري أحمد أصواب المذكور، عام 1299هـ إلى أن رفضته قبيلته لظلمه، فانضمت من جديد إلى أصلها العبلأوي تحت إشراف أحمد بن الطالب إلى أن تغلب عليه خصمه العنيد القائد المدني بن الطالب أحمد الخصاصي بعد حروب قبيلة فانتخبت قبيلة أيت يعزى مسيربها الستة هكذا :

1- أنفلوس الحسين بن محند الگودايل في موضع أدار.

2- أنفلوس مبارك بن محمد البركاوي بأدار كذلك.

3- أنفلوس الحسين بن محمد في موضع تاكنزا الملعب بإفيس.

4- أنفلوس الحسين بن عبلاً في موضع إدلعسري.

5- أنفلوس إبراهيم بن حسن في موضع إدبوشوايشا.

6- أنفلوس سالم بن بلقاسم في موضع القصبه.

لكن القائد المدني بدأ يتوسع، فاستولى أولاً على قبيلة إدبواسين الباعمرانية، ثم احتل أيت عبلاً بكاملها، فأضاف لهم أيت يعزى، فحاول أن يمد نفوذه في قبيلة أيت النص، فتصدي لنفوذه شيخ القبيلة الشيخ بلعيد المارسي بتاكرأكر، فانهمز القائد المدني، فتكتلت القبائل الباعمرانية من جديد، ضد غزو الحماية إلى استدعاء أيت

(218) روضة الأفنان، ص 119.

باعمران لعقد اتفاقية الهناء بثلاثاء الأخصاص 1934م. فرشحت قبيلة أيت يعزى الشيخ الحسين ممثلهم، ثم عين أمغارهم المستمر حتى ثورة أيت باعمران 1947م فلجأ إلى سلطة الحماية، فباعت إسبانيا ماشيته بموسم السيد الأحمر بالمزاد العلني.

وعن الذاكرة تيدلي ابن إسماعيل اليعزوي، وهو ذاكرة عجيبة، وتاجر ماهر، أصل عائلته القديمة من الأخصاص، ولد سنة 1340هـ/1921م. من أسرة كبيرة من قبيلة أيت يعزى، وهي قبيلة صغيرة تمثل الثلث من القبيلة الكبيرة أيت عبلاً الباعمرانية، ولما قدم السلطان الحسن الأول سنة 1299هـ/1881م. قسم قبيلة أيت عبلاً هذه إلى قسمين : الأصل يمثل الثلثين، والباقي يسمى أيت يعزى فعين عليها القائد أحمد أصواب، لأن أصله من قبيلة أيت أصواب في قمة جزولة، شأنه شأن القائد إبراهيم الوجداري الذي أصله كذلك من البودرارين، وكان أصواب هذا يرهق قبيلته ليرضي حكام تيزنيت، فهاجمت القبيلة على داره فهدموها عن آخرها، ففر هو بحياته إلى تيزنيت، وكان الهجوم بتحريض من أحمد بن الطالب العبلأوي.

والحق ما ذكره الإكراري إذ قال : «ومنهم الفقيه سيدي أحمد بن سيدي الحسين العبلأوي كان قائدا على أيت عبلاً، ثم على أيت يعزى (إيلغ ص 267 فحدث أن حبسه القائد الخزار في تيزنيت عاماً أو عامين، فلما أطلق أسرج جواد عزمه إلى الحين، فكان من تسبب في تخريب القيادة» أونوش ص 248).

والحق أن معظم القادة المحدثين سنة 1299هـ قد تعرضوا كلهم للهجوم من طرف قبائلهم، لأنها لم ترض بذلك التقسيم المجحف الذي أحدثه المخزن، ولأن القصد منه هو جمع الضرائب، وتمزيق القبيلة الكبرى، وتغيير النظام العرفي إلى الحكم القاندي، فكان ذلك مصيبة على البلاد والعباد، وبطرده انضمت أحكامه من جديد إلى أمها الأصلية أيت عبلاً، تحت إشراف الفقيه السيد أحمد ن الطالب المذكور إلى أن قتل هو كذلك بتحريض من القائد المدني الأخصاصي الذي ضم بدوره أيت عبلاً بما فيهم أيت يعزى، إلى أن أدرك أيت باعمران خطورة توسع المدني بن الطالب أحمد بمد نفوذه نحو أيت النص، فقام أيت بوبكر ضده، فحرروا أيت عبلاً وأيت يعزى من نفوذه، فانحصر في الأخصاص إلى موته سنة 1934م» (الذاكرة ابن إسماعيل).



وهكذا فعلت قبيلة الأخصاص مع قائدها بوهي (إبراهيم) الخصاصي الذي جرح وانهزم ولجأ إلى أيت السيمور بأيت باعمران عند أصهاره، حيث مات هناك في خبر طويل، وهكذا قضى على القائد إبراهيم الوجداري قبل ذلك في أيت النص، وتبعه ابنه القائد محمد ياسيك كلاهما في أيت باعمران، لما فعلوا بإخوانهم الخلفاوين غدرا، فضاع كثيرون من رجالات سوس.

وقال : إن الذي قتل هذا القائد هو أحمد بن مولود بن عمر ن بولهمز من أيت بوياسين الخصاصي منافس المدني، صحبة السيد مبارك أوحمد الخلفاوي، لأن القائد محمد بن القائد إبراهيم الوجداري، قتل والد هذا الأخير ظلما وغدرا مع جماعة من أعيان أيت إخلف، فقد استدعاهم للمذاكرة فقتلهم. لكن المدني قبض على أحمد هذا وأوثقه لخطورته، ثم أدلوه في نظفية مملوءة بالماء، ثم أمروا والده بأن يقطع الحبل أو يؤدي جميع ما فعله ابنه، فقال لهم : إن ولدي - ولو أديت كل ما عليه - فإن المدني قاتله، لأنه يخاف منه، فافعلوا به ما شئتم.

لكن العرف يفرض على والده فكّه بما حكم به عليه، أو البدء في قتله، لذلك قبضوا يده وربطوها بشاقور، فضربوا به الحبل الذي علق به ولده، فغرق ولده أحمد إلى أن تأكدوا من موته بعد حين، فاستخرجوه، وصلوا عليه، ودفعوه لوالده ليدفنه، ونورد هنا قصيدة بالأمازيغية في مدح شجاعة هذا الخصاصي المقتول، وفيها هجو للذين سلموه للمدني، وهي أبيات أمازيغية مؤثرة لشاعرة القبيلة فاضمة تاسركوكوت الخلفاوية. توفيت 1946م وقبرها مشهور شمال أخوربيش مسجد سيدي محند الشيخ بتيزكي، وتعد من ركائز الشاعرات في الدرست.

- 1- أحمد بولهمز نرا أداك نرحم ربي روج
- 2- نرحم اك تيفيي دئحسان لي موئين
- 3- توركزانك أبو لهمز أشبارنك نئوسان
- 4- أناونك غ وؤمز اد ندروس وؤر أك لين
- 5- غيكاد سيمال راد أحلنت تماريويين

- 6- مبارك وحماد نكا اسمونك أرموت
- 7- غ اس ليغ تنغام يزيمرأماس نتالات
- 8- نؤس لقائد إبراهيم عاقدات نمداد تسكرم
- 9- توكلت ف وؤلگماض غ ليالي ماكن ران
- 10- نغ ياد يزري مايوه أس ريغ اتن تاكولت

كل هذه الروايات الدقيقة التي سجلها المؤرخون، هي التي سجلتها بدوري من هذه الذاكرة، لكن هل له مذكرات في الموضوع أم لا ؟ لا أدري. وفيما يخص «الضحاحي لم يذكر من الذين استعرضهم السلطان بتيغزي، ولا كان بمن حظي بتحرير السلطان سنة 1303هـ ولا كان بمن قدم الهدية من آل وازان اليوسفيين. إما لأنه مازال صغيرا وهو المعتمد، كما أنني قد اطلعت على رسائله وليس فيها ولا في استجوابي لتلميذه ابن عمه سيدي إبراهيم بن زعبون الضحاحي ولا في استجواب تلميذه الآخر سيدي أجمد أروهاال اليوسفي، ولم يسمعا بتدخل الضحاحي عند نزول السلطان بتيغزي ولا في تدخله المذكور»<sup>(219)</sup>.

وبما أننا تعرضنا هنا لحملة الباشا حيدا بن مائيس، فلا بأس من إضافة رواية تقر بنا من مزاج هذه الداهية وملخصها «في سنة 1917م نزل حيدا بن مائيس إلى جهة أيت باعمران، وعندما أراد الخروج من داره في أولاد برحيل بأسيف ن سوس، استدعى عددا كبيرا من الأعيان، وكان السكر وأتاي في ذلك الوقت نادرا، ماعدا في دار الباشا حيدا، إذ أمدته الحماية الفرنسية بهذه المادة وبالمال والسلاح ضد الشيخ أحمد الهيبة الذي أيده بالأمس، وهو عارف بمواضع ضعفه وخاصة في السياسة التي لا ترحم، ولا تأخذ بالعهود والمواثيق، وفي يوم خروجه من داره، أسند إدارة الشاي لرجل أنيق، وهو فقيه من أعيان بلاد تافنگولت شمال تارودانت، وأمره بإدارة الشاي، وويل له إن لم يصب الهدف، أولم يتقن الشاي كما يريد الباشا حيدا، لأنه يمكن أن يبطش به لأتفه الأشياء، بما في ذلك خلق أعذار للفتك بمن شك فيه.

وذلك الرجل المقيم للشاي، هو الفقيه سيدي حسين من تافنگولت ؟ ولكي ينجو هذا المقيم من بطش هذا الباشا، صار يداعبه بقوله : [ياسيدي الباشا : إن غسل أيت

(219) معلمة المغرب ج 17 ص 5654 جهادي.



باعمران حار جدا، وعسل تارودانت حلو جدا، فأيهما تفضل؟ فرد الباشا بينهما] ففهم المقيم ذوق الباشا في الشاي.

لكن فيما بعد، أول الناس ذلك الحوار بلسان القدر، لأن حيدا ومحلته خرجت من داره متجهة إلى أيت باعمران، فكان من قدر الله أن يقتل بين تارودانت وأيت باعمران، ونستفيد من رغبة الناس هذه، أن الباشا حيدا، كان الجميع يود التخلص منه منذ انفصاله عن الأمير الهيبية في مراكش، موليا وجهه شطرا الحماية». (الفقيه الحسين الزواگي) ونقلت عنه أيضا: «كنا تلاميذ عند فقيها عندنا عندما وصلتنا حملة حيدا في جهة هوارة، فقال لنا فقيها: اذهبوا بالواحكم للملاقة الباشا حيدا بقراءة القرآن، ثم ايتوني بكل ما رأيتم منه، ولما تلاقينا بالألواح وقراءة القرآن ونحن محلقون حول بغلته، أظهر لنا إهمالا واحتقارا، لكننا رافقناه في سيره، وأخيرا أخرج من جيبه كمشة من النقود الفضية (الدراهم الحسنية) فرمانا بها بعد نزوله من بغلته، وبعد خطوات، تعثر وسقط أرضا، ولما رجعنا حكينا لفقيها في المسيد ذلك فقال: «لن يرجع إن شاء الله من هذه الرحلة» (الزواگي من عائلة فقيه تانالت استجوبته 1981م).

ومثال ذلك عن صاحب المعسول، كقصة تبييض تازلافت من طرف الصانع بأمر من أمير تازروالت، ولما لم يمكن ذلك، فهم من الأمر ملؤها بالدراهم، أو ما في معنى الرواية، لأن تازلافت من العود لا يمكن أن تبيض.

وكثيرا ما ينتقم بعض القادة الجبارين من خصومهم بواسطة الشاي، ومن المتداول أن غنيا من قبيلة الشياظمة كان يسكن في مرتفع هناك قرب سبتة الكريمت، غير بعيد عن القائد سعيد الشياظمي المتوفى حوالي 1956م.

وكان ذلك الرجل الغني العاشق للشاي، كلما تذوق الشاي في منزله فوق ذلك المرتفع، أخرج في الهواء عمارة بندقيته، مع إطلاق عيطة كأنه الفارس في حلبة السباق أيام اللعب بالبارود، فإذا بالحساد يبلغون خبره للقائد المذكور، فأرسل إليه شيخ القبيلة وهو مبارك بوسنة، (سمي بذلك لوجود ستة أصابع في يده) ليأتي بالرجل، ولما امتثل أمام القائد سعيد، قال له: ما حملك على إخراج البارود، فأجاب ذلك الرجل، إنني

لم اعتد على أحد، وإنني أشتري البارود من مالي وأخرج البندقية نهارا، وأوجه فمها إلى السماء، ولم أصب أحدا قط، كما أنني أجد عند شرب الشاي لذة لا مثيل لها عندي، لكن متى توفرت جميع شروط الشاي؟

فقال له القائد سعيد: إذن أنت تحسن إدارة الشاي، فأجاب الرجل نعم - ياسيدي القائد - فقال له القائد: سنجربك حالا، فإما أن تنجح فيما تدعي - والناس شهود - وإما أن تفشل فتعاقب، فقال الرجل: أمر القائد ينفذ، وفي الحين، أمر القائد بإحضار مواعين الشاي كلها، فوضعت أمام ذلك الرجل، هنا شرط ذلك الرجل ألا يغلى الماء بالتبن في الدار، كي لا يتسرب إليه الدخان، ومع ذلك لما تذوق الماء وجد فيه رائحة التبن، فقال للقائد: هذا الماء لا يخلو من رائحة التبن، فأظهر القائد غضبه الاضطناعي على الخدم، وأمر بماء آخر، لكن المقيم وجد فيه بلسانه رائحة روث البقر الذي يستعان به في إشعال النار.

وهنا أعلن من جديد، أن الماء غير صالح للشاي في مستوى القائد سعيد، ثم أوتي بالماء والجمر ليقوم هو بكل شيء أمام الحضور، وفعلا أدار الشاي كما ينبغي ولما تذوق الشربة الأولى، أطلق صيحة كعادته، فقال له القائد: لماذا هذه العيطة؟

فأجاب: لأنني حصلت على تلك النشوة، وتذوقت تلك النكهة، ولو كانت معي بندقيتي لأطلقت الرصاص في الهواء، ثم وضع مائة ريال حسني (100) في الصينية، ثم دفعها للذي يليه من القوم فقال: هذا ثمن الشاي عند القائد سعيد، فليدفع كل حاضر هنا مقدار ذلك، ثم شرع في إغرام جميع الحاضرين، فقال لهم القائد: هذا هو الحكيم الذي سن لنا سنة في شراء الشاي، وليس الذي يستهلكه، ولا شك أن هذه القصة من باب المثل [أمر تدبر بليل]. أوردنا هذه الحكايات لكي لا تضيع أولا، ولكي نفهم منها جزءا من حياة مجتمعنا المغربي ثانيا، وهناك أعجب من هاتين بين أعيان أيت باعمران والقائد المدني، وهناك أساليب أخرى..

مساهمة جهادي في ندوة بونعمان سنة 1996م تحت إشراف تعاون الجمعيات البونعمانية والمجلس القروي بتنسيق مع المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش



التحرير تيزنيت النياية الجهوية ساهمت بهذا الموضوع هكذا : إن هذا الموضوع يفرض تعريفا ضروريا لظروف هذه المعركة التي نسي جيلنا مفعولها وتأثيرها، لذلك ركزت في محاضرتي على أنها جانب من مقاومة أيت باعمران المستمرة والمناسبة لذكرى المقاومة وجيش التحرير في عشرين غشت في بونعمان هذه، فكان الحضور رائعا في إغناء الموضوع، فقلت :

إن مقاومة أيت باعمران هي من صميم مقاومة الشعب المغربي ضد الغزو الأجنبي، إذ قل أن نجد معركة وطنية ضد الأجنبي في المغرب، إلا ونجد أيت باعمران ولو فرادي فيها، لما جبلوا عليه من شجاعة وغيره وطنية.

والإشادة بمقاومة أيت باعمران الوطنية، ليست من قبيل المجاملة، بل من صميم الواقع، وبما أن الدفاع عن الوطن واجب وطني، إذن لسنا بحاجة إلى إعادة ذكر ما هو معلوم لدى المغاربة أجمعين، وعليه، فهذه المساهمة من باب إلقاء ضوء على جانب مهم من مقاومة أيت باعمران الذي يكاد يصير نسيا منسيا، وقعت هذه المعركة في بداية هذا القرن سنة 1917م. بين جيش نظامي قبلي كامل العدة والعدد، وبين مقاومة شعبية ذات إمكانيات محدودة، ومع ذلك حققت انتصارا ساحقا لا يقل عن انتصار عبد الكريم الخطابي في الريف سواء بسواء، ومثله في بوجاfer ..

فمعركة أنوال بشمال المغرب، توازيها معركة إيغالفن (Iqalfne) في جنوب المغرب، إلا أن تلك وجدت من ينفث الغبار عنها نسبيا، بقدر ما تكاثف الضباب على معركة (iqalfne) الباعمرانية، وهذا ما دفعني إلى المساهمة بهذا العرض، انطلاقا من البحث الميداني، وبما لدينا من الوثائق والمراجع، لعلنا نستدرك النقص الذي يعترينا في الموضوع، وهذا المشكل عام، لولا ما أنقذه مؤرخ سوس سيدي محمد المختار السوسي، ذلك الكبريت الأحمر، رحمة الله عليه.

#### التعريف بموقع المعركة :

إنه موقع إيغالفن. إيغيف إيغالفن. وهذا هو المصطلح الشعبي، وأغلب ما قيل فيه بالأمازيغية، وهو كثير، لكن بسبب اللغة الأمازيغية أهمل قسرا لعله ينسى لتأثيره

المستمر ضد الحمائيتين : الإسبانية والفرنسية، وكلمة إيغالفن بالأمازيغية القديمة، تعني موضع قطاع الطريق، أو نبات معروف في الوديان، ويطلق حاليا على دوار يقع في واد سحيق، جوانبه شديدة الانحدار، على شكل أخدود، ويسمى هذا الوادي حتى الآن «أسيف ن تگينيت : assif n tqunit» (1 خريطة تيزنيت الطبوغرافية) ويحتوي على دوار إيغالفن، ودوار أيت واوسار، ثم أكادير زوكتاغن. وهذا الوادي تتميم لوداي بوتزوكتارت الخارج من سوق ثلاثاء لخصاص الحالية، الذي نصت عليه اتفاقية الحدود بين الحمائيتين الفرنسية والإسبانية، ممتدا إلى أربعاء السيجل الجديدة الحالية - بدلا من أربعاء تاسوليت - متجها نحو الغرب إلى أن يصب في أفتاس كترائيزم في المحيط الأطلسي، لكن فرنسا لم تحترم هذه الحدود.

ويقع هذا الوادي في قبيلة أيت برايم، عند مدخل إقليم أيت باعمران الشمالي، وطول هذا الوادي عشر كلمترات تقريبا، كلها عبارة عن شارع طبيعي من منحدرات الصخور، ولعل اختيار أيت باعمران جر حملة حيدا إلى هذا الممر، يدل على مدى معرفتهم للحروب، والاستفادة من الظروف الطبيعية في السهل والجبل.

#### ملتقى الجمعان :

«في هذا الوادي التقى أيت باعمران دفاعا عن إقليمهم ضد الحملة الكبيرة التي جهزتها سلطة الحماية الفرنسية، تحت القيادة العامة للباشا حيدة بن مآيس قصد غزو أيت باعمران، وقد ملكوا عليه المخرم» (المعسول ج 4 ص 203 ويقصد بالمخرم منقطع أنف الجبل).

فأبى الله والسعد إلا أن يلقي موته (رسالة طالب باعمراني إلى شيخه) ولشساعة الموضوع نختصره بقطع النظر عن تتبع تسلسل بداية الضعف المغربي منذ وقعة إيسلي بالمغرب الشرقي ضد فرنسا سنة 1944م وما فرضته معاهدة اتفاقية للأمازيغية، ومعركة تطوان بعدها ونتائجها القاسية مع الإسبان سنة 1860م، فاستمر الضعف إلى عقد معاهدة فاس للحماية سنة 1912م لكن الشعب المغربي أعلن عن مقاومته التلقائية ضد الاستعمار، بإمكانياته المحدودة، إلا أن هذه المقاومات، كانت تتسم بالإقليمية، من



معركة مديونة جنوب الدار البيضاء، منذ سنة 1905م حيث شارك فيها رجال من أيت باعمران، منهم عيسى وبابحًا البلوكويان إلى جانب فرسان الأطلس المتوسط، إلى معركة سيدي بوعثمان بالرحامنة، إلى معركة الهري بالأطلس المتوسط، إلى معركة بوغافر، بما في ذلك سوس الذي التفّ بكامله، حول الأمير المجاهد الشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين الصحراوي، المعلن كقائد للجهاد بمدينة تيزنيت، منذ سماع عقد الحماية الفرنسية على المغرب.

وقد جر هذا التيار أيت باعمران ضمن قبائل سوس بكاملها، حتى احتل هذا الزحف مدينة مراكش، تحيط به هتافات الشعب وترحيب الجماهير، لكنه سرعان ما انهزم في أول لقاء مع الجنرال مانجان، في معركة سيدي بوعثمان، شمال مراكش بحوالي 36 كلم. وكانت خسائر السوسيين في الأرواح حوالي ألفين (2000) شهيد. ثم تابعت الهزائم على قوة الأمير الهيبة، فاضطر إلى خوض معارك مستمرة ومستميتة أحيانا، إلا أن الرجحان منذ البداية، كان لصالح سلطة الحماية الفرنسية.

وقد كان أيت باعمران من جل من اصطلى بهذه المعارك، سواء في سيدي بوعثمان، أو حول تارودانت، أو في أشتوكن، أو أزغار عموما، لكن ضمن المقاومة السوسية عامة، وخاصة فرسانهم بقيادة القائد الناجم لخصاصي، لكن بمرور الوقت، اضطرت القبائل في أزغار إلى الخضوع، بعد استنفاذ كل ما لديها من إمكانيات، بينما اعتصم الهيبة في أجراف جبال بعاقيلة ينتظر الزكوات والأعشار واستقبال الوفود! وتقدم القوة الفرنسية نحو الجنوب، تصبح المقاومة منحصرة في مرتفعات الأطلس الصغير، لكنها أخذت في التلاشي، وهنا برزت مقاومة أيت باعمران، كسد منيع أمام الزحف الذي يقوده الباشا حيدا بن مائيس ضد سوس بكاملها، بعدما تخلى عن لف الهيبة وانضم إلى سلطة الحماية.

من هو حيدا بن مائيس :

إنه صحراوي الأصل، تربى في عائلة تشتغل في عهد ما يسمّى بالسبية، بقطع الطرقات، فقد في ذلك خمسة من عائلته، لذلك برزت شخصيته كرجل شجاع،

حنكته التجارب والمصائب، وكلاهما محك الرجال، ثم «كان قائدا للقبائل التي أنزلها الملوك العلويون حول تارودانت، في أولاد برحيل» ثم ارتقى إلى القائد المخزني، ثم برزت شخصيته في أزغار يوم زحف مع القائد أنفلوس سنة 1318هـ «إلى الجنوب، وبعد ذلك باثنتي عشرة سنة، كان آخر من وفد من القادة الكبار على أحمد الهيبة بتيزنيت سنة 1330هـ/1912م»<sup>(220)</sup>، «فجلس له الأمير أحمد الهيبة في العشية مجلسا احتفل له» (نفس المرجع).

وهكذا كان القائد حيدا آخر من اتصل بالتيار السياسي بمن يعتد بمكانتهم من رؤساء سوس، ولا عجب في ذلك مادام الهدف الأسمى وراء أحمد الهيبة هو الدفاع عن الوطن، فقد رَوَى للتاريخ المؤرخ محمد المختار السوسي عن ابن يعيش الحاجب ما معناه : «إن السلطان عبد الحفيظ، وصل إذنه إلى أحمد الهيبة برسول خاص ينهي إليه أنه مغلوب على أمره في فاس، فليفلح هو وأهله ما يقدرون عليه...» فإذا كان هذا هو الموقف الرسمي للسلطان الرسمي، فكيف يكون موقف القادة المخزنيين ومن دونهم؟ ومع ذلك يلفت انتباهنا تصلب القائد حيدا الذي كان آخر من التحق بركب الهيبة، ومهما كانت الأحوال، فإن الشعراء قاموا بتسجيل انضمام حيدا، ولعل الشاعر هو الحبيب الجراري يخاطب الهيبة في تيزنيت بهذه القصيدة :

ليهنيك يا مولاي نصر مؤزر، وفوز بكل القائدين معزّر  
تواردت القواد حتى أتاك من، إذا لم يجئ فالملك أجدم أبتّر  
أتى الضرصري مع كبا لكن حيدا، به وحده النصر العظيم المؤزر  
فحيدة رأس الكل والغير أرجل، وحيدة قاموس وغيره أنهر  
له الرأي حقا والسياسة لا يرى، سوى ما اللبيب الحاذق العقل يبصر  
ألا أيها المولى الذي ثم أمره، ولما يجعل رأي ولا جال عسكر  
لقد نلت هذا اليوم عزا ومنعة، وملكا عظيما شأنه لا يسطر  
فقم لترى مراكش منك ضيغما، من المغرب الأقصى جميعه يزأر  
فأنت لنا المهدي لا شك ويح من، لذلك من بعد البراهين ينكر

(220) المعسول، ج 4، ص 122.



وما يذكري كلمة مغلوب من السلطان المذكورة «توظيفه الجند على القبائل عام 1326هـ فدفعت حاحة 400 جندي ومسفيوة والحوز 400 فصار المجموع 800 جندي وقائدهم مبارك الباعمراني؟ وبهؤلاء قبض على يوحمارة بالريف»<sup>(221)</sup>، هذا ما يخص سمعة حيدا عامة، أما مكانته العسكرية فتتجلى في إسناد أحمد الهيبة أمره كله لهذا القائد، مخاطبا إياه عند الدخول عليه بتيزنيت «مرحبا بك يا حيدا فإنك منذ الآن والدي وأمرى كله بيدك» (نفس المرجع أعلاه ص 124) وهكذا عين القائد حيدا أكبر المحلة الأميرية من تيزنيت سنة 1330هـ/1912م.

وقد برهنت الأيام، على أن هذا القائد، كان سياسيا في المستوى المطلوب، بقدر ما كان الأمير أحمد الهيبة «على حد تعبير القائد الناجم لخصاصي وقد يظن حيدا منذ البداية لدساتس قواد الحوز، فأوضح لأحمد الهيبة، أن مهمة السوسيين قد انتهت بإيصالهم له إلى مراکش»، (المعسول ج 20 ص 103) وأنهم أمام أهل الحوز كالدجاج في السلّة! فإذا أردت تمام أمرك، فعليك الآن بأمر هؤلاء الذين رأيتهم، «فتغذ بهم قبل أن يتعشوا بك» (المعسول ج 20 ص 103) وهذه رواية فقيه تانالت سيدي الحاج الحبيب رفيق الهيبة ووزير عدله كما ورد في المعسول<sup>(222)</sup>.

لكن الهيبة رد على وزيره بقراءة الحديث «لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة أو ما في معناه» كما زعم الهيبة أنه بتسايحه سيفتح القاهرة ودمشق، (هكذا أجاب في حوار مع الشيخ شعيب الدكالي) وقد روي عن بعض عائلة الشيخ ماء العينين قوله: إنا لا نشك في أن هذا السيد هو المهدي المنتظر، وأن الدنيا برمتها ستفتح له أبوابها عن رضا انتهى من المعسول؟

ولو سئل عن موقع المدينتين جغرافيا لعجز عن إثباته (تقع القاهرة على درجة عرض 30 ودمشق على 33 تقريبا شمال خط الاستواء) وأمام هذه السداجة يتراءى لنا حيدا ينفذ نهائيا أمر الهيبة، فالتحق بمقر قيادته بوادي سوس، ينتظر المفاجآت، فإذا بفرنسا تغفر له ما تقدم من ذنبه، وتعلنه قائدا عسكريا ليتولى تصفية أمر صاحبه الهيبة المجاهد، فارتقى إلى مرتبة الباشا، وأصبح يطبق أوامر فرنسا التي أمدته بمال وعتاد ورجال، فأصبح لها رمحا أو ثورا يطعن العباد، وينطح البلاد، فلم يسلم منه أبناء حام ولا أحفاد عاد.

(221) خلال جزولة، ص 79، والمعسول، ج 4، ص 122.

(222) ج 4، ص 134 + 135.

وبما سهل عليه القيام بهذا الدور، ما كان قد تعرف عليه سابقا من مواطن الضعف والقوة لدى الهيبة، وهكذا أخرجته من تارودانت، ثم من أشتوكن، ثم من أزغار، بعد معارك كان فيها لأيت باعمران اليد الطولى، بقيادة القائد الناجم لخصاصي، الذي كان يشيد دائما بشجاعة فرسان أيت باعمران، «وكلما زحف حيدا نحو الجنوب، إلا ورحل الناس مجفلين أمامه، وقد كان الجنوب كله مهتزا بزحفه». (المعسول ج 20 ص 125) وقد استطاع حيدا فعلا أن يوطد أمن أزغار كله، وأن يضم مقر المخزن تيزنيت، حيث الضابط الفرنسي جوستينار المعروف بقبطان الشلح في سوس، ولم يبق له إلا الجبال الوعرة، ومنها أيت باعمران، فخاض معركة ضد القائد المدني بن الطالب أحمد لخصاصي الذي فر أمامه كالنعامة، فاستسلم أمامه أيت الرخا، مما أعطى الفرصة لحيدا ليتقدم إلى مشارف أيت باعمران. عرج إلى جهة القبلة حيث لخصاص وأيت الرخا ومجاط، مما أدى بهم أمام انهزام القائد المدني إلى تقديم الهدى والطاعة عن يد وهم صاغرون أمام قوة حيدة ومدافعه.

وبعد ذلك جاء لغزو أيت باعمران، معتقدا أن غزوه سهل، مادام جال في بلاد لخصاص، ورجع سالما، فيمكنه فعل ذلك معهم، وكان يردد القولة المأثورة عنه «نسنسان تامورغي، أندو أست يد نامز» (nssnsann tammuorkhi andduo astt id namz) معناه: بيتنا الجراد، سنذهب للقبض عليه، لكن أيت باعمران، جعلوا منه جرادا فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق» فقتل هو ومعظم من معه في أكني إيگالفن، وغنموا كل ما تملك محلته.

وهناك حملة القائد بوناصر في ميرغت، وقد جاء بعد انهزام الجنرال دولاموط في أيت باعمران، فقصده هذا القائد بمحلته ميرغت نحو لخصاص، ف وقعت معركة بين لخصاص من جهة، وبين أيت جرار الموالين للقائد بوناصر من جهة أخرى، فكانت الخسائر فادحة في الأرواح بين الطرفين، وحدث أن أقام هذا القائد خزائنه في أنرار في المكان المعروف بتالات ن تيضاف (محل الحراسة قديما).

ولما عرف بعض الشجعان بوجوده هناك قصدوه، وهو في غفلة منهم، فقتلوه فيها وذلك سنة 1339هـ/1929م. في يوم السبت، فانهزمت محلته، وقتل من لخصاص كثير



- 2- القائد مبارك بن الباكور على أيت تيزنيت.
- 3- القائد عياد على قبيلة أيت جرار.
- 4- الشيخ المحفوظ على أيت ويجان.
- 5- القائد لحسن بن الحاج الرامي على قبيلته بأشتوكن.
- 6- القائد همّو من آل سعيد العزاوي على قبيلته بأشتوكن.
- 7- القائد بوهوش ن بولفرا بأشتوكن.
- 8- القائد مسعود الخربا على قبيلته في إداؤمنو.
- 9- سعيد بن لحسن المزيالي على فرسانه.
- 10- الشيخ أحمد بن على أشتوكي على قبيلة بلفاع.
- 11 القائد عبد الله بن بلقاسم على ماست. صاحب سورها سنة 1333هـ وفي تلك المعركة وعمره حوالي 75 سنة (خلال جزولة ج 2 ص 193).
- 12- القائد بوشعيب الهواري على قبيلة هواره.
- 13- القائد الضرصوري على أهل تارودانت.
- 14- القائد التيبوتي على قبيلته كذلك (وقع محو الاسم في المکتوب).
- 15- القائد العيادي الرحماني على فرسان قبيلته الرحامنة.
- 16- القائد المتوگي على قبيلته.
- 17- القائد التهامي الكلاوي على قوته.
- 18- القائد العام الباشا حيدا بن مایس إلى غير ذلك من كبار القوم (جُمعت أسماء هؤلاء القواد وقبائلهم من المسنين المشاركين).

ولعل في ذكر هذه السلسلة من القواد الكبار، ومن شارك في هذه الحملة من القبائل ومن أعيان الاستعمار الفجار، من أجل غزو أيت باعمران، ما يغني عن التذكير ولفت الأنظار، إلى ثقل هذه الحملة من جهة، وإلى طبيعتها العدوانية من جهة أخرى، وللقارئ الكريم، أن يتصور لو نجحت هذه الحملة، ماذا يمكن أن تبقى من أيت باعمران من الحرث

من الرجال، منهم الطالب السيد عبد الله بن صالح، وهو ابن عم الروائي محمد بن عبد الكريم الحمزاوي المعروف، وبعد ذلك بدأت المفاوضات بين حاكم المخزن بتيزنيت، وبين قواد الجنوب، بما فيهم القائد المدني لخصاصي، وكان الوساطة بين الطرفين، هو القائد المخزني قدور الرحماني، وهو صديق للقائد المدني، وقد أدت هذه المفاوضات إلى هدنة استمرت سبع سنين، وبعدها ستقبل القبائل سلطة المخزن، أو القيام بالحرب من جديد، لكن مات المدني يوم الاثنين ثمانية أيام من رمضان سنة 1352هـ / 1933م. ففرح المخزن كله بموت المدني، وهو قائد لمولاي حفيظ ثم للهبة فيما بعد». (الذاكرة أبو القاسم الهادي لخصاصي).

وأضيف إلى هذه الرواية، أن الذي نعرفه من قواد الجنوب بهذه النسبة هو ما ذكره الأستاذ محمد حجي إذ قال : «البربوشي أحمد بن البشير الرحماني باشا تيزنيت، ولد 1293هـ / 1876م .. فانخرط صغيرا في جيش المخزن، فرقي إلى قائد مائة، وشارك في ما يسمى بعملية «التهدئة» وفي سنة 1340هـ / 1921م عين باشا بمدينة تيزنيت، وظل بها مدة طويلة من كبار قواد الجنوب» (معلمة المغرب رقم 1134) ثم رجع حيدا بمحلته إلى تيزنيت، زاعما أن كل شيء قد انتهى، ما دام القائد المدني قد انهزم، ولم يبق له إلا أيت باعمران.

#### إمكانات حيدة لغزو أيت باعمران :

استعد حيدا كل الاستعداد، إذ أمدته سلطة الحماية الفرنسية بكل ما يحتاج إليه، من أسلحة مختلفة، ومؤن وجر معه القواد الكبار (قادة حوز مراكش وشمال أهل تيزنيت) كل واحد على شجعان قبيلته، فخرجت هذه العساكير الجرارة من مدينة تيزنيت، قاصدة أيت باعمران، عن طريق أربعاء السيجل القديمة (أربعاء ن تسوليلت) ببضع كلمترات شمال الحالية، حتى نزلت محلته في موضع يسمى تيغانيمين بأيت باعمران، وليست المحدث في إداؤتانان بنفس الاسم، وهي بداية أرض أيت باعمران من ناحية الشمال، قبل أن تضمه فرنسا فيما بعد، فأنزل هناك محلته، فبدت للعيون كمدينة كبيرة من الخيام، منقسمة إلى قيادات هكذا :

1- القائد لحسن على قبيلة أگلو.



والنسل، أقل ما يمكن فعله تصفية الجميع، بعدما لم يبق أمام هذه الحملة إلا قبائل أيت باعمران، بعد استسلام من حولهم بعد إفناء معظم أبطالهم في معركة ويجان، ولذلك لا اختيار لهم إلا الدفاع حتى النصر، أو الفناء المحقق بلا حصر، علمنا التاريخ، أن أحفاد لمطة بوعمرانة الجزولية لا تعرف الاستسلام، وهذا ما وقع عليه الاتفاق تحت شجرة أركان بايسيغت. حسب خطبة القائد محند الخلفاوي باسم أيت بوبكرومن معه.

وبما أننا أشرفنا على حدود أيت باعمران، فلا بأس باستعمال مثل هذه الوثائق التي هي من صميم الشعب، ومن ثقته بنفسه بلغته وبفهم ما هو مقبل عليه، فكم ضاع من قصائد حول هذا الموضوع؟ ومعظم هذه القصائد بالشعر الأمازيغي الذي واكب الأحداث، وصورها في إبانها أحسن تصوير، فحفظها الناس على حد الشياخ، ووصلت إلينا على حد التواتر، نقلتها جماعة عن جماعة مستفيضة، عن جماعة أخرى يستحيل تواطؤهم على الكذب، أدركنا منهم من حضر الأحداث وعقلها كما هي. ولا ينقصها أحيانا إلا منشؤها الأول، وذلك لكثرة ترددها بين الناس، حتى أصبحت كمثل يستغنى بحكمته عن قائله، وقد وصف أمدياز مبارك وموسى الباعمراني حملة حيدا فقال :

- 1- ئدًا حايديا يايوي درواستغانيمين
- 2- أسين اس كولو تيزار فلن اس انطار
- 3- ثويد يزيز سترگا يايويديكونطار
- 4- ثميل يرز اس وگوگ ورتائلكيم الآل
- 5- تيغانيمين أغ يگاؤرتان يمال اس
- 6- ينكر كيس ياي سيكالفن غين أغ يموت
- 7- بين اس أگايوزوند وكان أنگور
- 8- وامون اد كولو أيضان ووسول يزان
- 9- غ مرز يغويال أگيس تافيم لكيميت
- 10- ثمغارن أشتوكن غين اغ كولو لان أمان
- 11- ولا حايديا يلا كيس لا مات يتاسين

- 12- ئفيس ورت يري يكزاس اتن كا كوطان
- 13- ولا وشن ولا أغردا ولا أروش ولا أووك
- 14- ئكأتين بايوض يهراي كاف يميل يطار
- 15- يميل أگوما غاساد أمغار أموصاحان
- 16- ئوس نحايديا وريد أن تاويت أيتماك
- 17- ورموتن ورتياگاسن أنوكاغ لأن
- 18- أگايو ن باباك يزيكر أغ وكان وگلن
- 19- يوگل غ ركاب يدا دارك أمولاي أحمد

هذه وثيقة تاريخية تناولت معركة إيگلن الفظيعة، ويعلم الله كم من القصائد والمنظومات قيلت في الموضوع، بالعربية والأمازيغية، لكنها ضاعت تحت شعار : «شلحا ما هي كلام، والعسل ما هو إدام» ! كما تروجه العنصرية.

ونحن هنا لا نكرس الأحقاد والضغائن، ولا نتقب عن هفوات الرجال وعشرات الأبطال، ولكننا نسعى لمعالجة الأحداث بمنظار ظروف الزمان والمكان، وغايتنا ألا يعيد التاريخ مصائبه، ﴿ كل امرئ بما كسب رهين ﴾ (سورة الطور الآية 21).

أليس في هجاء الشاعر الباعمراني حقيقة تاريخية في حق القائد الحاحي ؟ :

- 1- و لله أر كولو كورهيف تاناغ ئلا حَا \*
- 2- إيگيت أحواش نغ يگا أمحاس نغ أحرמוש \*
- 3- ئحيحي زود لوابا كراف ئكا يوسيت \*
- 4- ئغ ئلا ئحيحي غ لجننت نفاغ اسنت أك \*
- 5- ئغ ئلاغ تيمزگيدا ناکر تازاليت \*
- 1- أقسم بالله أنني أكره كل كلمة فيها حرف الحاء
- 2- سواء في الأفراح أو في المكتوب أو في التمور



- 3- صار سعيد الحاحي كالسواباء جرف كل شيء  
4- إذا قدر للحاحي هذا أن يدخل الجنة نخرج منها  
5- إذا دخل المسجد للصلاة بعد تلك الأفعال ننكرها

هذه وجهة نظر الشاعر، لنستمع إلى هذا النص :

«نزل القائد سعيد الكيلولي في تيزنيت 1315هـ فأخذ الناس من وادي سوس إلى وادي نول بالغرم الشديد، والمؤن التي لا حد لها... وبعد أن هزموه ورد عليهم بفرض على كل قبيلة عشرة آلاف ريال حسني، فاستمر عليهم الوظيف إلى انتصاف عام 1318هـ فأرجعه السلطان مولاي عبد العزيز إلى بلده حاحة لشكاية أهل سوس»<sup>(223)</sup>.

وما يزيكي الشاعر الباعمراني أيضا، ما ورد من فتن القواد كما يأتي : «قدر الله على بلاد ولتيته الفتن العجيبة بكثرة أهوال القواد، وهم عبد المالك الحاحي، ومحمد أغناج، فقد نزلا على وادي ألعاس بأقوام كثيرة، كالجراد المنتشر، فأفسدوا أزاغرا بكامله، ورحلت قبائله... وأغناج الحاحي هذا هو خليفة للقائد عبد الملك الحاحي الشهير، خاض في سوس إلى عام 1232هـ كما ورد في تاريخ تبرئة منه لبعض العلماء في إيلالن»<sup>(224)</sup>.

وقد لعب القواد الحاحيون الكبار، دورا كبيرا لتطويع سوس، وفرض أوامر المخزن المركزي بقوة، وذلك في ظروف أطلت منها أطماع أوروبا على المغرب كله، ولا شك أن القبائل لم تعرف في ذلك الوقت الخطر الذي أدركته السلطة المركزية، وخاصة دفاع السلطان مولاي الحسن الأول عن الجنوب كله.

ولما توفي تولى مولاي عبد العزيز صغيرا بوصية الوزير الفقيه أحمد بن موسى، فاستبد قواد الحوز بأحكامهم، وقلدهم قواد سوس بدورهم، «فطلب القائد سعيد الكيلولي الحاحي هذا غزو سوس، وإضافته لآياله حاحة... ودخل سوس بعساكر جرارة تفوق الحصر والحصى، ووصل إلى تيزنيت، وبعث إلى رؤوس سهول سوس، وغمرهم بالأموال

(223) روضة الأفنان، ص 64.

(224) المختار اليوسي خلال جزولة، ج 2، ص 126.

المخزنية وشكروه وأذعنوا له وهم أكثر من أربعين قائدا، فطلب الإعانة، فساعده، فقسم عساكره إلى ثلاثة أقسام :

- 1- قسم يقاتل مجاط وباعمرانة إلى مانوزة.  
2- قسم يقاتل ولتيته وباعقيلة ورسومكة وسملالة إلى وادي أملن.  
3- قسم يقاتل هيلانة إلى جبال صوابة»، (المعسول ج 3 ص 258).

هذا كله في عهد السلطان مولاي عبد العزيز. ووزيره با أحمد بن موسى الفقيه «فأخضع مجاط بفقهاءهم، وولى عليهم الظالم القائد سعيد المجاطي الذي يسقط الناس في جرف تاكجگالت، وتتبع رجالهم حتى أفناهم» (المعسول ج 3 ص 261) وقد دامت هذه الحروب من 1314 إلى 1320هـ.

وما ورد في رسالة فقيه باعمراني قوله : «ولا شك أن أميرنا مولانا الحسن صار إلى عفو الله أواخر ذي الحجة سنة 1311هـ ثم انتصر بعده مولانا عبد العزيز، وبعده إلى آخر عام 1313هـ قدم القائد سعيد الكيلولي لسوس، وتقاتل مع هشتوكا وهتكوا محلته بتابوحنياگت (أيت بو الطيب) ثم بعد الهتك رجع عليهم بالاستيلاء، وقدم لسوس، وقبض على مبارك بن أحمد ند ياگو، والقائد أحمد الخلفاوي كشاهد عام 1314هـ وطلع لمجاطة، وقاتل تنكرت بإفران عام 1314هـ ومات فيها السي البشير ندعدي البوبكري الباعمراني، ودخل ورجع البارود للبدرارين عامين، ثم طلع لبلدهم (حاحة) وقيده للبيان محمد بن محمد أسلام المفقودي الغابي لطف الله به» (محمد أسلام الباعمراني أدركناه).

وتوضح لنا الرسالة الآتية درجة الكيلولي لدى المخزن المركزي في نهاية فشله في سوس هكذا : بعد الحمدلة والتصلية «خدينا الأرضي القائد البشير الصبوي وفقك الله وسلام علك، ورحمت الله وبعد : فإن إخوانك نهبوا لأصحاب الشيخ سيدي ماء العينين حوائج وبهائم في طريق مرورهم عليهم. وعليه فنامرك بالزام الفعّال من إخوانك رد ما نهبوه لهم، وتدفعه للخديم القائد سعيد الكيلولي، وتكف إخوانك عن العود لمثل



ما أوقعوه بهم ويحترمون من ير عليهم من جانب الشيخ المذكور ويوقرونهم رعيًا لمقامه عندنا والسلام. في 23 جمادى الثانية عام 1316هـ» (الرسالة في حوزتنا).

لأن القائد الكيلوي استعمل سياسة العنف، فرفضه الجميع، فخلفه بتزنيته القائد أحمد أنفلوس إلى أن مات فيها، ثم أسس أهل سوس قواعد عرفهم وحتموا اعتبارها وقوانين أيدوا أعمالها وإقرارها، ورتبوا جنائيات الأموال، والحق أن هذه الأعراف قديمة في سوس، وإنما صارت تنفذ بشكل عام بواسطة إنفلاس أهل العقد والحل، ولا أدري كيف أغفل الإكراري طفرة الأعراف وأهميتها وهو حاضر..

ومن مآسي تلك الحروب، حق لعلماء سوس إصدار فتاويهم لرفع الضرر، ومن هذه الفتاوي استنبط الشاعر مبارك أموسى الباعمراني حكمه على الحاحي القائد وحده لظلمه، وليس جميع الحاحيين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ «لأن الكنتافي معتز بنفسه وبعقله وبسياسته وبعلمه، فلا يحتاج إلى فقهاء السليهمات الذين لا يكاد يسلم من يعامله من غضبه إلى أن عزل عن تزنيته أواخر 1339هـ» (225) غفر الله للجميع.

أما الشاعر الأمازيغي لسان قبائل سوس، فهو من نوع أمدياز القديم، كجريدة في عهدنا هذا: إنه مبارك وموسى بن أزرؤ الخلفاوي، لا يشبهه في عهده إلا جامع بن إيغيل بالشرك، وهو حافظ للقرآن الكريم، يتنزه مع الطلبة، ويطبق الحلقات، قصاص وصاحب الحكايات، فصيح بالأمازيغية، يصاحب العلماء وكبار القوم، عارف بالقبائل وما اشتهرت به من مدح وذم، له قصيدة طويلة في أوصاف قبائل سوس، جوال من أيت باعمران حتى وارزازات، تزوج بيهودية حتى اكتشفت إسلامه فافتدت منه تطليقها بعوض، يقاوم الظلم بشعره وحاضر بأجموع قبيلته على الدوام، شعره أخطر من الرصاص، لا يقصد إلا البيوتات الكبرى، لا يخلوا شعره من حكم بليغة بلغة أمازيغية أصيلة.

هجا القائد الحاحي حاكم تيزنيت لظلمه لسوس بكاملها، هجاء دخل معه في قبره، وكان الشاعر ضد الحكام الظالمين ومن الأهم مهما كانت مراتبهم، تفرق شعره بين الناس بطبقاتهم، يقبله الفقهاء وبه يحترمونه، ويتقي شره الأعيان فيكرمونه، وهو لا يظلم

(225) المسول، ج 13، ص 216.

ولا يمدح إلا من يستحق ذلك، سئل يوما في أجموع قبيلة أيت الخمس: لماذا لا تمدحنا ولا تهجوننا دون من حولنا من القبائل؟ فقال: «ور تكيم تاركأنت تئو، ولا كيغ أنزيض تون» معناه لستم شجرتي ولست تمسكم الذي يتغذى من إنتاجها، فصار مثلا. قصد يوما صديقه القاضي أحمد الدريوش بتادرات، فدق الباب - والحرارة على أشدها - وكان عند القاضي جماعة من الفقهاء الكبار، وبينهم فقيه يكره الشاعر ويعادي الشعر بالأمازيغية، ولما أخبر القاضي بالشاعر بباب الدار، أخبر الفقهاء الذين معه، فقال ذلك المكره «أف وتبا لهذا المنحوس! لا تدخله علينا» والقاضي رب الدار، يخاف على نفسه من الشاعر، فهو جريدة الأخبار، فطلب من الحضور أن يسمحوا له بالدخول، فوافقوا كلهم رغم ذلك المكره.

ولما دخل الشاعر، سلم، وجلس على عتبة البيت، حيث يقف الكلب المراقب لمن يأكل في الداخل، فقال: كأنه سمع كراهية ذلك المكره:

أَكْ وَصَوَّغْ ف لِكَيْبِرْ هَانَ وَأَنَاغْ أَتِيلِينَ  
مَقَارِئِ سَكِي تَاكَادِيرْتْ نَمِيَا نَلْمَرْسْ  
تَاكَاسْ تَاشْرَافِينَ هَانَ أَيْتْ رَبِّي أَتْ يَخُولَانَ

فقام إليه القاضي واستقدمه إلى مجلس الفقهاء، ففهم المكره أن جن الشاعر هو الذي أوحى له بنفسية المخطئ، فقام واعتذر، فقبل الشاعر عذره في أبيات ضاعت كما سكت الراوي عن اسم ذلك المكره. (الدريوش معلمة المغرب ص 4027 جهادي) أما قصيدته في وصف القبائل، فهي طبوغرافية ووصفية غريبة في بابها، ترجمة النص:

ذهب حيدا فجمع خليطا في معسكره قاصدا تيغانيمين  
فحكمت تلك الجموع ماشية الدراسات في الأندار  
فانقض المجاهدون فغنموا البنادق وتركوا له القتلى  
جاء حيدا بسرعة ومعه عجوله لينهل في السواقي  
فإذا بانهبان معسكره قبل أن يصل حتى إلى حمى هدفه



ولعل ما أوجزناه من الأحداث كاف في إعطاء نظرة شاملة عن ظروف وملابسات ما أعدته سلطة الحماية لقمع مقاومة أيت باعمران - والحالة هذه - هي نفسها منهزمة في الحرب العالمية، فاحتل خصومها باريس عاصمة العطور، فإذا منها تفوح برائحة القتلى وخسارة العمران، فهلا تذكرت فرنسا مأسيتها بدل الفتك بمستعمراتها؟ فأين حقوق الإنسان يا ورثة الثورة الفرنسية؟

ولنحاول الآن إبراز ما أمكن من المقومات الأساسية لأيت باعمران، وما مدى استعدادهم لهذه المعركة الفاصلة، وقد سردنا عددا من القواد الكبار في حملة حيدا ولكل قبيلته وشجاعته، فماذا عسى يمكن أن نورد في جانب أيت باعمران؟

إنذار الباشا حيدة أيت باعمران :

لا شك أن أيت باعمران لم يكونوا دائما متحدين متماسكين، شأنهم شأن باقي المغرب في فترات ضعف السلطة المركزية، ومع ذلك فإن أيت باعمران عندما يحسون بالظلم يكونون في غاية من التماسك والتعاضد وقت الشدة والمحنة، وذلك بفضل عدة مقومات منها :

- 1- يعتقدون أنهم إخوة أشقاء، ينحدرون من جد واحد يسمّى يحييا حسب الأعراف التي لدينا، موثقة بخطوط الفقهاء الكبار، باتفاق أهل الحل والعقد وحضور أجموع.
- 2- وحدة الإقليم : إذ هناك عامل سلالي وعامل أرضي زيادة على انتمائهم إلى نحلة تاكيزولت التي لا ييغون بها بديلا، ولا نعرف أصل ولا متى ظهر ذلك.
- 3- لا تنازل عن أعرافهم أو عن اللف الذي يربطهم بالقبائل الأخرى عند الشدة.
- 4- كل شاب وصل حد الصوم وجب عليه أن يتقلد سلاحه على الدوام، ومن أمثالهم أن لا فرق بين المرأة والرجل المسافر بلا سلاح، مما جعلهم يحسنون استعمال السلاح والرمية والتنافس في شراء السلاح الحيد، والتدريب على ركوب الخيل واختيار المرافقين في المعارك، إلى غير ذلك. مما نص عليه عرف القبيلة، إلى حد أن الرجل كان يشتري البندقية الرباعية بمائة ريال حسني في حدود الجزائر، وقد أفتى باعمراني لرجل بعقلي بأن لا يطمعوا في انتصارهم بدون خيل، كما أورد ذلك صاحب المعسول.

أما العوامل الأخرى التي ساهمت في تحقيق انتصارهم في معركة إيگالفن فمنها :

1- طبيعة مكان المعركة : ولما قمت ببحث ميداني في عين المكان، تبين لي أنه عبارة عن شارع طبيعي بين صخور منحدرية يصعب تسلقها، ويطلق عليه السكان «مزر إيغويال» أي مكسر الحمير التي ترعى فيه فتسقط لشدة انحداره، كما أطلق حماد نبيهي على هذا الوادي «أفاردو» أي الهون أو جعبة، عندما قال لأجموع في موضع إييسگ «ها أنا أتيت لكم بحيدا في أفاردو إياكم أن يفلت منكم».

2- تقارب الأسلحة المستعملة بين الطرفين : باستثناء وجود المدافع عند حملة حيدا لكن أيت باعمران، باغثوا المحلة قبل أن تتمكن من توجيه المدافع نحو المهاجمين، بل لم يترك لهم حتى استعمال البنادق لمفاجأة الهجوم في مدخل الوادي.

3- التنظيم وتوزيع الأدوار في الزمان والمكان، بحيث لا تطلق ولو رصاصة واحدة قبل هجوم الخيل على مقدمة الحملة التي بها الباشا وكبار القوم، وهكذا أصيب حيدا نفسه بالطلقات الأولى ومعظم القادة الكبار معه بسبب المفاجأة.

4- شارك فرسان أيت باعمران بقيادة القائد الناجم في جميع المعارك - لكنه لم يحضر في معركة إيگالفن - ضد حملة حيدا والناجم مقاوم منذ أن خرج أحمد الهيبة من تارودانت، وخاصة في أشتوكن وأزاغار، فمعه طبقت حرب العصابات واغتنام المفاجآت، ومساهمة السكان ولو بإخبار المجاهدين.

5- مساهمة فرسان القبائل المجاورة لأيت باعمران مثل لخصاص وأيت الرخا ومجاط وأيت الساحل رغم قبولهم للهدنة مع حيدا كما ذكر، ومع ذلك قاموا بدور كبير في هذه المعركة، بل كانوا من الذين فازوا بالغنائم في الوقت الذي انقض أيت باعمران على المسلوب لا السلب، إذ لم تترك لهم حرية الاختيار، فإما العز والانتصار، أو الانهزام والدمار.

6- دور القيادة الباعمرانية : ونقصد بها هنا الأمر شوري بينهم، وتسيير المجتمع بالعرف وبشكل ديمقراطي، فهناك إنفلاس، وإمغارن، والقياد، لكن الأمور كلها تناقش



علانية في أجموع، يحضره الخاص والعام، وعندما يتم الاتفاق على رأي واضح، يعلنه القائد على الجمع العام، محاطا بجماعة إنفلاس، وبعد ذلك يلتزم به الجميع، وويل لمن تهرم أو عارض بعد ذلك.

7 - جرى العرف في أيت باعمران على أن يتأسس الرأي العام في أجموع القائد الذي انعقد أجموع في أرض قبيلته، وكان في ذلك الوقت قائد أيت بوبكر أجمعين القائد محند بن علي الخلفاوي، الذي استشهد في المعركة الثانية بعد ثلاثة شهور.

8 - لا شك أن مجتمعا منضبطا مثل هذا، لا بد أن ينجح في أعماله، إلا أنه في حالة الطوارئ، تسند الأمور إلى إنفلاس وكبار القوم، للبت في الأمور بسرعة، بشرط إخبار الجمع العام بالرأي الأخير، وهذا ما وقع فعلا، عندما انعقد أجموع في موضع إيسينج، ورغم حضور القادة الكبار، فقد أسند الرأي إلى القائد المحلي الذي كسب تجارب هامة، وهو قائد شجاع لا يرضى باحتلال بلاده بالقوة قائلا :

أقسم بالله ألا يلتقي وجهي مع وجه النصراري، إلا على سروج الخيل، ونار البارود مشتعلة حتى نحترق، فاستشهد مع مجموعة من الأبطال في معركة تيزي ...

9 - كان هذا القائد مصمما على أن يكون على علم بجميع معلومات حملة حيدا، العدو اللدود لأيت باعمران، لمقاومتهم منذ خروجه من تارودانت، ولذلك استعمل القائد محند ثلاث شخصيات باعمرانية، لتتصل بمحلة حيدا، وتستقصي عنه كل ما أمكن من المعلومات، وهؤلاء الثلاثة تجار متنقلون بين الصويرة وبعمرانة وهم :

- الفقير حماد ن بيهي البوبكري الباعمراني في موضع المسيدرة، ويلقب بالحكيم وبالداهية، فهو لا يحمل السلاح، وإنما يحمل عصا خاصة به يشير بها إلى من يقصده وهو الذي يفصل بالعرف أحيانا في أجموع، ويقطع النزاع بين المتخاصمين، وله توفير وتعظيم من طرف الجميع.

- الحاج محمد مسنهو البوجرفاوي البوبكري في دوار إذ سيدي يوسف، وهو تاجر معروف محليا ومع القوافل، حتى إلى الصويرة، وهو ثقة عند القائد محند لأنه من أحفاده وخبير في الأمور.

- الفقيه مولاي التهامي البوجرفاوي في موضع دوتويرت تاجر مع القوافل.

وقد لعب هؤلاء الثلاثة دورا كبيرا في الإيقاع بحملة حيدا وتضليلها، وخاصة حماد ن بيهي الذي استطاع أن يصل إلى الباشا حيدا مباشرة في نزله «بتامكرت ن تاژاط عند مدخل قبيلة إفاردا، ومن المشاع أنه كان يوصل الأخبار بين الطرفين، أي أنه يأخذ ويخبر. لكن تتفق أغلبية الرواة على أهمية الداهية حماد ن بيهي هذا، هو الذي ماطل حملة حيدا في موضع تيغانيمين لمدة أسبوع، ريثما يستعد أيت باعمران، ولكي تجتمع القبائل المجاورة، وخاصة التي سبق أن غزاها حيدا، مثل لخصاص وأيت الرخا ومجاط، وفعلا لبي بعض فرسانهم فقط النداء، دون أن يعرف حيدا بذلك.

كما وقع الاختيار على جر حملة حيدا لتسلك خندق إيگالفن القريب، بدلا من تامكرت وضمرا المفتوحة والمناسبة لجر المدافع، كما سهّل هذا الداهية لحيدا احتلال أيت باعمران يوم عيد المولد، بدعوى أنهم يتفرقون في أفراحهم وأعراسهم، وقال له : ليس بينك وبين الاستيلاء عليهم، إلا أن تركب المدافع على هذا المرتفع يوم العيد هذا ما اتفقت عليه الروايات، فصدق حيدا هذه الفكرة مستعجلا، لأن الحرب العالمية على أشدها، (1917م) وفرنسا ممزقة الأوصال في عقر دارها، ولم يبق لها إلا المستعمرات لرد الاعتبار.

وفي هذه المدة، ظهرت غواصة ألمانية في شواطئ أيت باعمران، ومنها خرج ضابط ألماني وتركي، ومن هناك التحقوا بكاردوس في الأطلس الصغير، حيث مقر الشيخ أحمد الهيبة، وكان الهدف هو ربط الصلة بأحمد الهيبة (المعسول ج 4 ص) ولذلك أسرع حملة حيدا لتحويل بينها وبين أيت باعمران، لأن ألمانيا تتكفل بتسليح سوس بشرط الوصول إلى المحيط، وشاع أن حيدا قبل اقتراح حماد ن بيهي عبر طريق أسيف ن تگينيت مكيدة باتفاق مع أيت باعمران كما حكى لي حفيده العربي بن إبراهيم من فمه لقلمي، كما حكى حماد أيضا، أن القادة الكبار الذين في محلة الباشا حيدا، منعوا الاتصال به، إلا أنه أي حماد اتصل بالتهامي الغلاوي، وأكد له أن فتح أيت باعمران، يفضل أن يكون على يده، وتكون له المزية العليا، إذا قام بإدخال حماد على



الباشا حيدا «وإلا فسوف أتصل به عن طريق قواد الغرب» (عن العربي بن إبراهيم الحفيد المسيدري).

ولما مثل حماد هذا أمام الباشا حيدا قال أحد الحاضرين يخاطب حيدا : «إن أيت باعمران لا يملكون إلا وجهها واحدا، وهو وجه حماد نبيهي» (نفس الراوي).

وما كاد حيدا يبدي ارتياحه لاقتراح وادي إيغالفن، حتى اتصل حماد نبيهي بأجموع، وأخبره بالتفصيل والمسافة ليست بعيدة، وقد كانت المعلومات الأولية تشير إلى أن الحملة ستدخل أيت باعمران عبر أحد المرين :

1 - طريق المسيدرة، وهي سهلة مفتوحة بالنسبة لجر الأثقال لاستعمال المدافع باستمرار، وهذا ما كان يخشاه القائد محند، كما أن المسيدرة هي موطن الداهية حماد نبيهي، والحق أن الحملة لو سلكت هذا المدخل لاخرقت سهل تاكراگرا .

2 - طريق تامگرت ن تلو، عبر قبيلة إفاردا، وهي أقرب مسافة بين الطرفين، كما أن هذه القبيلة عقدت هدنة مع حملة حيدا، لكن المر صعب المسلك لشدة ارتفاعه، كما أن أيت باعمران حركوا قبيلة إفاردا ضد حملة حيدا، وخاصة عندما «قام شجاع من إفاردا واسمه صالح بن فارس، فانقض على جندي من حملة حيدا، وهو يتجسس خلال الديار، فأسره وساقه مع عدد من شباب قبيلة إفاردا، فقدموه لأجموع أيت باعمران المنتقد في موضع هارواش المتداول في قضية خيانة الهدنة بين إفاردا ومحلة حيدا حسب العرف.

فإذا بهذه الحادثة، تثير غضب حيدا، فأمر بغزو قبيلة إفاردا المجاورة لمحلته، ففرت القبيلة كلها معتممة بقمم الجبال، فسدت طريق تامگرت ن تلو، وبذلك نجحت خطة أيت باعمران في سد هذا المر، ولم يبق إذن إلا مر خندق إيغالفن الذي نجحت فيه مكيدة الداهية حماد نبيهي.

حماد نبيهي يخطب في أجموع الذي انعقد في موضع إيسیگ فقال : «وا ياي باعمران، هان سفلدغ إونان آر تينين، هان حماد نبيهي يتوسغا يومر أتيگ، غ دار

الباشا حيدا، أوا هائي تبراغ غ اونان، فاد أد تسنم أتيگ ن تمازيرت ينوغ داري هائي إيويغ اون د يحاركان ن حيدا كراگان، سد وفاردو زعما أسيف إيغالفن هان أد اون ورنجم». (عن الذاكرة الحسين بالخلفاوي).

تعريب النص : «يا أهل بعمرانة ؟ إنني سمعت لإشاعات ترد أن حماد نبيهي اشتري بالرشوة، فتوصل بالقيمة من عند الباشا حيدا، وها أنذا أعلن براءتي من تلك التقلات، ولكي تعرفوا صدق مودة بلادي، فها أنذا قد أتيت لكم بجيوش حيدا أجمعين كالذجاج في السلة، وإياكم أن يفلت من بين أيديكم».

وبعد المداولة في موضع إيسیگ، قام البراح كما نص عليه العرف، يعلن في أجموع ما يمليه عليه القائد محند، وبجانبه القائد المدني لخصاصي والقائد لحسن بن عليات أصبايو وكبار أيت باعمران وجميع إنفلاس، وحسب هذه الرواية فإن القائد المدني حضر في إيسیگ ولم يخطب كما زعم كاتبه ما العينين. والأغلبية مع عدم حضوره.

### خطبة الاتفاق :

«سفلدات أ ماد إسمون ربي إمر تيمگيرال (الجهاد) د أد إمت ف تمازيرت نس، كرايگات تاقبيلت أد تستي إرگازن نس، كرايگات أركاز أد يمون د وأنا إيسن، كرايگات تاريوت أد تامر أشبار نس، كرايگات يان أد وريوت أر ديغ وثن يمينين زوارنين، إقاند أد تسنم إس لان إفاردا (المدافع) غ دار حيدا، ماش وراكتن بلا وانان ياكوگن، هان وأنا تزيين كراغ إميغ اد هان إيگاوي نس، لا إله إلا الله وعليها» (رواية با الشيخ).

«اسمعوا يا من جمع الله في هذا المكان، يتمنى الجهاد وأراد أن يموت في سبيل وطنه، فعلى كل قبيلة أن تختار شجعانها، وعلى كل رجل أن يصاحب من عرفه، وعلى كل جماعة أن تختار موقعها المحصن، وعلى كل مشارك في الحرب ألا يطلق الرصاص إلا إذا بدأ به الفرسان الأماميون. واعلموا أن كل من غنم شيئا في هذه المعركة، فهي له. لا إله إلا الله عليه». (تعريب النص).



قال محمد بن عبيد الخلفاوي في موضع إضرصار، وهو شاهد عيان، ومرافق للقائد معند الخلفاوي حتى في الجوار (امتد به العمر إلى سنة 1983م) قال: «ولا تسأل عن شعور الناس، فهناك من يود أن تبدأ المعركة في نفس اللحظة، وخاصة الشبان، وهناك من يفكر في عواقب الأمور، فإذا برجل بوهاالي يجر سمكة كبيرة أمام الجميع بسهل إيسينغ، وهو يقول: هلك حيدا! هلك حيد! ثم عمد أمام أجموع إلى قطع رأس تلك السمكة، بخنجره، فاستبشر الناس بذلك خيرا» (نفسه عاش 96 سنة).

وحول هذه المكاشفة، أورد صاحب المعسول: «إن الفقيرة فاضمة التاكرامية من صواحب الشيخ الإليغي، وكانت تكاشف، أخبرتنا نحو العاشرة في اليوم الثالث عشر من ربيع الأول سنة 1335هـ، بأن القائد حيدة، قتله المجاهدون الآن، ثم جاء الخبر بصحة ذلك في الوقت نفسه، وبيننا مسيرة يومين». (المختار السوسني خلال جزولة ج 4 ص 192) وللقارئ الكريم واسع النظر، والتصوف ألوان وأشكال، صنوان وغير صنوان، وأزهار مختلفة الألوان، وإن كانت تسقى من ماء واحد.

فوقعت تاشتائت (انفراد كل قبيلة بمكان) أي عقد كل قبيلة اجتماعها لترشيح أمهر فرسانها ورماتها الشجعان، وتفحص أجود سلاحها كما جرت العادة في الحروب الخطيرة، كما لا يقبل في المشاركة من ليس أهلا لمستوى سمعة القبيلة.

ثم بات الناس ليلتهم تلك على أحر من الجمر «وماكادت صلاة الفجر تصل حتى تسلق المجاهدون جبل إوريغ، وتامگرت نتلو، كل حسب ما عين له في أجموع، كما سد الرماة بشكل كثيف باب الوادي الذي ستخرج منه محلة حيدا».

وقد أضاف لي الخبير بحروب حيدا وهو محمد بن حرتا الخلفاوي ملازم القائد الناجم الحصاصي، فقال: «وكننت مع ستمائة رجل من أمهر الرماة الذين خضنا مع حيدا معارك طاحنة حول أزغار وأشتوكن، وعرفنا كيف نباغت حملة حيدا في تلك المعارك، لكن معركة إيگالفن ليس معنا القائد الناجم الحصاصي وأنا الذي نقلت عائلته من الريف ضد بوحمارة إلى أيت باعمران».

قال كنا في أشبار واحد (خندق) فإذا بتيماتارين تطلق من الغرب إلى الشرق بمجرد انطلاقة حملة حيدا من مقرها، فعلمنا حسب اتجاه الطلقات النارية لحراستنا الأمامية أن حيدا سلك أسيف ن تگينيت (assif n tguinit).

ثم أضاف وقد طبقت الأوامر بحدافرها، فأخذ الناس أماكنهم وراء الصخور، ولا تكاد ترى إنسانا، فإذا بحملة حيدا تتوغل في هذا الوادي وهي على شكل قافلة (أكابار) على حد تعبيره لضيق الممر، وصعوبة المسلك، والمحلة مثقلة بالعتاد الحربي والزاد، محمولة على ظهور الجمال والبغال والخيول، وتتقدمها المدافع، وعلى رأس القافلة القائد العام الباشا حيدا بن ميس، يحيط به حوالي عشرين قائدا من كبار قواد محلته، كالتهامي الكلاوي، والجراري، والمتوگي وغيرهم.

وما كادت مؤخرة الحملة تتوغل في الوادي حتى أشرفت مقدمتها على باب الوادي على طول عشر كلم تقريبا، وكلها أمام بناقدنا وتحت بصرنا، ثم أمر حيدا بتركيب المدافع على مرتفع بسيط هناك يطل على سهل، فإذا بكثيية من الفرسان الباعمرانيين أعرف منهم الشيخ سعيد الخمسي، وحمایدوش البوبكري الذي غنم فرس همونايت سعيد، وهي أي الكثيية تنقض فجأة على مقدمة حملة حيدا، حيث القيادة العامة، فطلقت عليه النار، ثم انطلق الرصاص من جميع الجهات على القافلة «زوند أنزار» (مثل المطر) فأجفل من في المحلة كلها، فانقض عليهم أيت باعمران بالسلاح الأبيض، وما كاد إلا نصف ساعة حتى انتهت المعركة، وقتل من قتل، وفر من استطاع الفرار بروحه فقط. فإذا بفرسان لخصاص ومجاط وأيت الرخا يهاجمون من جهة الشرق، لأن أيت باعمران، هاجموا من جهة الجنوب والغرب، وحيدا دخلت محلته من الشمال، واشتغل الناس بالغنائم، تاركين الهرب لمن لا يقاوم، ولولا تلك الغنائم، لما نجا واحد من حملة حيدا، وكان الوقت وقت الضحاء العالي» (ابن حارثا الجندي مع الناجم).

#### مخطوطة شائلاه الباعمراني :

«ففي يوم الجمعة الذي هو ثلاثة أيام من شهر الله ربيع النبوي عام 1335هـ دخل حيدا مدينة تيزنيت بالجيوش الكثيرة، ومكث فيها ثلاثة أيام، ثم خرج يوم الاثنين سادس أيام الشهر لبلدة الساحل : السيجل ند الحاج علي الذي هو جزء من أيت باعمران، ومكث فيها أيضا في موضع يقال له تيغانيمين، إلى يوم عيد المولد، ثم خرج يوم الأحد للصوگة قاصدا بلدة أيت برايم، حتى وصل موضعا يقال له إيگالفن، والتقى فيها



مع حركة آل بعمرانة، وغيرهم من القبائل : مجاط والرخاوة وخصاصة الذين أَلَفَ اللهُ تعالى بين قلوبهم، فتضاربوا معه فيه، ثم منَّ اللهُ عليهم بالنصر، بأن كسروا محلته، وقتل هو : أي حيدا بذلك الموضع الذي يقال له أيت وأوسار : دوار في أسيف نـ تـ كـ نـ يـ تـ، وقطعوا رأسه، وهربت عساكره وجيوشه<sup>(226)</sup>. وبعد هذه المعركة قام شاعر باعمراني بنظم أحداث هذه المعركة متهمًا على قادة هذه الحملة فقال :

- 1- حيدا دئيفيس أينسانغ نـ كـ الفـ نـ ا \*
- 2- وْلا أْگوما هامونایت ساعيد وْلا نـ تـ ا \*
- 3- د عابد سَلام نـ د الحاج الرامي وْلا نـ تـ ا \*
- 4- بن لباهباژ أداس نـ تـ ان أي أـ نـ مانو \*
- 5- ماني ريغ نـ دواووسار أـ نـ مانو \*

مفهوم النص :

- 1- بات الباشا حيدا مع الضبع في وادي إيگالفن
- 2- ومعه يا أخي هامونایت ساعيد هناك كذلك
- 3- ومعهما عبد السلام ند الحاج رامي هناك كذلك
- 4- وهناك صاح بلهباژ باكيا وا حرق قلبه يا أمّاه
- 5- ما الذي دفعني إلى مصيري في ندواوسار يا أمّاه

ولولا المنظومات المذكورة، لما عرفنا القادة الذين هلكوا في هذه المعركة . وخاصة الشاعر مبارك وموسى، الذي يخاطب ويتهم على الباشا الحاج حمّاد بن الباشا حيدا المقتول نقلا عن مصدر آخر، المقصود بمولاي أحمد الهيبة الأمير المجاهد في قرية أغبالو بكاردوس بمرتفعات قبيلة بعاقيلة ينتظر زحف قوة الحماية، لكن أدركه أجله المحتوم هناك . بعد أن أدى ما استطاع من الواجب، وفي سبب موته روايات ..

ومعلوم أن الباشا حيدا وجد صدفة بين القتلى، وزعم أن مولاي محمد بن بهي بن العسري البوجرفاوي هو الذي قطع رأسه بشاقور، فعلمت في مسجد أگادير ژوگناغن : الحصن

(226) تاريخ وفاة الأعلام، وهم مصابيح الأنام.

الأحمر بأيت برايم، حيث الجمع العام، وكان لا يملك إلا سنا واحدة، وله لحية طويلة تلاعب بها الصبيان، ومن ثم نقلت رأسه إلى أحمد الهيبة بأغبالو نـ كـ اـ رـ دـ وـ سـ بالأطلس الصغير، وهناك روايات أخرى حول قطع الرأس منها ما ذكر الكاتب ما العينين وبو الطعم، كما كان وْشايلاه يمد ذراعه للناس قائلا : «هذا الذراع هو الذي قطع رأس حيدا وكما ذكر عن الشيخ اليزيد الذي لم يحضر المعركة». فصدق على ذلك المثل : «نغ نـ رـ ژـ اـ وـ رـ ا م نـ كـ وـ تـ نـ نـ جـ نـ وـ يـ نـ».

وبقدر ما كان عدد القتلى كبيرا في جانب محلة حيدا، بقدر ما كان ناذرا في جانب أيت باعمران، وقد يستغرب السامع هذه الظاهرة لضخامة عدد المشاركين في هذه المعركة، ومع ذلك لم يقتل فيها حسب بحث طويل إلا ثلاثة رجال من جانب أيت بوبكر على كثرتهم . وهم :

- 1- محمد بن عبد بن عبلا البايهي البوبكري .
- 2- مبارك بن الحاج علي الواحلاوتي البوبكري .
- 3- الفقيه سيدي أحمد بن مبارك السكّال التادراتي البوبكري .

إلا أن الجرحى والخسائر في الخيل كانت مرتفعة جدا، حتى في جانب أيت باعمران، والغريب في الأمر، أن أحدا لم يتم بدفن القتلى في جانب حيدا، بل صار الشبان يعبثون بجثث القتلى ويمثلون بها، ثم تركت هناك للوحوش والطيور والذئب، وقليل من تعرف على قتلاه فنقله.

ويشير الشاعر هنا إلى بعض قادة أشتوكن الذين هلكوا كلهم في هذه المعركة، منهم من لا يستحق أن ينال هذا المصير، ومنهم من دُفع مكرها على نية إما قاتل أو مقتول، كما أن الباعمراني الذي يستميت في الدفاع عن باب داره وشرفه، كان مرغما على خوض مثل هذه المعارك ضد قيادة سلطة الحماية وأسلحتها الجهنمية تهز الجبال، وتفتك بالطاقة البشرية في وقت لم تعد سمعة وادي المخازن تشير هيبة المغرب في الآفاق، فغزي المغرب في ظروف يصعب فيها تحميل المسؤولية لجانب دون الآخر، وإن كان البادئ أظلم، ولعل حمولة هذه النصوص القاسية، تذكر وتنبه إلى ألا يعيد التاريخ تلك المآسي



بين الإخوة في وطنهم أجمعين. ومن تلك الشخصيات المعروفة في أشتوكن على سبيل  
الحصر :

- 1- القائد همّو من أيت سعيد العزاوي من أشتوكن.
- 2- القائد بوهوش ن بولفرا من أشتوكن.
- 3- القائد مسعود الخربا في إداؤمّنو.
- 4- القائد سعيد بن لحسن الأمّزالي. (المعسول ج 20 ص 134)

#### غنيمة معركة إيگالضن :

أفاض الناس في ذكر كثرة الغنائم حتى التخمة، فقد يظنها البعض من المبالغات  
الشعبية، ولكن الواقع يثبت ما وقع، فقد واجهنا كثير من المسنين الذين خاضوا تلك  
الواقعة بمثل هذه العبارات «إن معظم أيت باعمران أصبحوا أغنياء بغنائم هذه المعركة،  
والبعض يقول : لا توجد دار في أيت باعمران، لم يدخلها قليل أو كثير من غنائم  
حملة حيدا، وفريق ثالث يؤكد أن هناك من ساق بغلا على ظهره من المعركة إلى داره  
وهو لا يدري ما فيه، ولما أوصله إلى منزله وجده مملوءا بالدرهم الحسنية»، كما وقع  
للسيد حمايدوش ند السّي بإيسيكّ البوبكري (بالشيخ الحسين الخلفاوي شاهد  
الأحداث).

ومن الذين غنموا كذلك أخبريش أمغار أحمد ن لشگر البوبكري، ومنهم من  
وجد فيما غنمه حملا من الرصاص أو من صفائح نعال الخيل والبغال، وهكذا أجمع  
الناس على أن الغنائم لا تعد ولا تحصى، هذه روايات شفوية. فماذا تقول الوثائق  
المكتوبة إبان هذه المعركة ويقلم من حضر ؟ :

ومن حسن الحظ أنني تمكنت مبكرا مما كتبه هذا الدرقاوي محمد شايلاه، بفضل  
قرايتي العائلية، إذ هو زوج ابنة عمتي رقية بنت الشيخ محمد الكبير بن القائد أحمد،  
التي تزوجها الفقيه التادراتي سيدي محمد بن صالح الفقيه المشهور، فولدت له بنتا  
واحدة تزوجها صاحب هذه المخطوطة محمد شايلاه بن الفقيه سيدي أحمد المعروف

بأمجوض بالكريمة بالسيحل، أما صاحب هذه المذكرات، فاسمه محمد ولقبه شايلاه،  
المعروف بالدرقاوي الطريقة التادراتي، جوال في الأفاق، صوام ومؤذن في أوقات  
الصلوات الخمس، يقصد زيارة الأعيان والفقهاء والمزارات، يسجل كل ما صادفه من  
الأحداث، أو سمعه كما هو بدون روية، وخاصة وفيات الأعيان، وذلك واضح لنا في قلة  
الضبط في بعض التواريخ وذلك لا يضر قيمة مخطوته هذا.

قال : «وهربت عساكره (حيدا) وجيوشه، وتركوا ما بين الخيل والبغال والجمال  
سبعمئة وخمس وخمسين 755. ومن المواعين والبسط والقرطاص وأنواع الأمتعة  
الجيدة ما لا عين رأت، ولا اذن سمعت، وأما الأخبية فعددها أربعمئة وثمانين 480.  
وثلاثة أنفاض (المدافع) ... فوجد في موضع المعركة بين القتلى الباشا حيدا كالزرق  
المطروح بين هؤلاء القتلى». (مخطوطة شايلاه في جوزتنا).

كما نجد في رسالة طالب باعمراني ضاع اسمه في نهاية رسالته إلى شيخه سيدي  
محمد بن عبد الله الصوابي ما يأتي :

«شيخنا الذي ببركته تتجلى البهائر والأبصار، ... ثم إنني أرفّ إلى سيدي بشري  
النصر العظيم، والفرج الجسيم، والنعيم المقيم، حين هلك عدو الله حيدة، بعدما أحاط  
بالمسلمين كيده، فرد الله كيده في نحره، وموجه في بحره، فقد جاء على نية ألا يبقى  
في الناس مالا ولا رجلا، وأوسع بإيعاده جميع هذه النواحي وجلا، فأبى الله والسعد،  
إلا أن يلقي موته في أكادير الأحمر، فتشتت كل ما معه من الجيش والماعون والأثاث  
وتبعثر، فاستولى المسلمون من الخيل والبغال والجمال والأخبية والدرهم والكسوة  
والمكاحل (البنادق) والقرطاس، على ما لم يره الراؤون قط، فقد ملأ كل واحد يده  
حتى انتهج واغتبط، وقد قطع رأس حيدة ووجه إلى السلطان أحمد الهيبة» (بكاردوس  
في قبيلة بعاقيلة) «... حيدا بن مايس الصحراوي، فهو من أولاد دليم الجلال المنابهي  
البرحيلي، باشا تارودانت... الطاغية الجبار الغاشم، أشيب حتى خرج الشعر الأشيب  
من أذنيه، تولى القيادة العامة لإخضاع ما وراء تيزنيت، ومن قساوته أن ترجاه القائد  
أحمد الغرابي عندما دخل عنده لابساً جبته في دار حيدا وبين يدي الغرابي طفله بين يديه في



المجلس، فقال لحيدا أرجوك إخراج ولدي حتى لا يرى شيئا، فقال له حيدا : فلنقدمه إذن قبلك، لثلا يراك، فذبحه مساعده في حجر والده، ثم ألحق به والده، فاستحق الباشا حيدا ما وصفه به قلم المؤرخين من قساوة استحق مثلها بقطع رأسه في غزوه لأيت باعمران، «هكذا هلك أعظم رجل في سوس إذ ذاك ثروة وسمعة وإيالة، ودفن بتيزنيت»<sup>(227)</sup>.

«وما غنم من متاعه مدفعان اثنان. والسبب في اختلاف عدد المدافع بين 2 إلى 3 أن الثالث قد فسد، فترك في عين المكان، إلى أن نقل إلى تيزنيت، بينما أسقط اثنان في بئر بوطرات في تيغيت ن بويرومين، إلى أن استخرجهما الجنرال دولاموط أثناء نزوله في حوض إيسيك : .. وقد اختلط الحابل بالنابل، من كثرة الفرح الشامل، والناس في نزهة عظيمة جدا، حتى إن بعضهم تجاوز في ذلك حدا، وقد حسب أن كل شيء قد انقضى، ولا يعلم إلا الله ما بقي مما مضى (نفس الرسالة باختصار).

وهناك قصيدة لتهنئة الهيئة بنصر أيت باعمران على حيدا عددها 12 بيتا منها :

ساق الظلوم حيدة جيشه سوق عنيد مستشيط غضوب  
إذا به وبهم بين مقتول ممزق الحشا وسليب

وفعلا قامت سلطة الحماية بحملة أخرى أعظم من هذه للانتقام، تسمى بمعركة موقعها تيزي الأولى، على مسافة قريبة من موقع مقتل الباشا حيدا بحوالي عشر كلم، وهذه بقيادة الجنرال دولاموط. سنة 1917م.

حملة الجنرال دولاموط : عبر الشاعر مبارك أموسى عن قوة هذه الحملة في قصيدة بليغة بالأمازيغية منها :

- 1- زغ تازا أر تيزنيت نكاد كولو سرنغ يان
- 2- نرائمىل ورومي أداس ناكاتفريات
- 3- ولا تيگلاي دودي ولا تيفولوسين
- 4- ولاه ورائمىل باباس أمرتاقموت

(227) خلال جزولة، ج 4، ص 155.

مفهوم النص :

- 1- من تازا إلى تيزنيت اتفق الجميع ضدنا
- 2- أراد النصراني أن ندفع له الغرامات
- 3- ونجمع له البيض والسمن والدجاجات
- 4- والله لا ندفع لمنحوسه إلا الرصاص

### حملة الجنرال دولاموط :

«وصلت حملة الجنرال دولاموط إلى تيزنيت، التي حشر فيها القواد الكبار من الحوز وحاجة ورأس الوادي وأزاغار حشرا، فبقوا في ويجان حين أخرج منها الشيخ النعمة، وقد احتله الكونتافي، ثم جاء رسول خاص من عند الحاج التهامي إلى القائد المدني، يقول له : إن الحاج التهامي يقول لكم : إننا جئنا رغم أنوفنا ! وأريد أن نتلقى قبل الحرب، فإن اتفقنا فذاك، وإلا فالحرب، فأجابه القائد بالمساعدة، فجمع الفقهاء والرؤساء للمشاورة، فوقع الاتفاق على ذلك، فتكلم الكلاوي وقال : إن المقصود حقن الدماء، ولا سبيل لذلك إلا برد تلك المدافع المخزنية التي بقيت عندكم يوم موت حيدة، فقال له المدني : إن جميع آلات المدافع متوزعة، وتشتت في الأيدي، ولم يبق إلا سلات المدافع، فقال الكلاوي : أعطونا هذه السلال، فإننا نكتفي بها، فأبى الناس من رد المدافع بلسان واحد، ثم زحف الجنرال ومن معه، فطلعوا في تيزي ... ووصلوا ليلا إلى إيسيك، واستخرجوا المدافع بعد أسبوع، ورحلوا قبيل الفجر، وبجميع أنواع الأسلحة الفتاكة استشهد عدد كثير من قادة أيت باعمران وأبطال الحرب الصحراويين»<sup>(228)</sup>.

والحق أن الجنرال دولاموط، قد خطط لعزل قبائل جبال جزولة عن أيت باعمران، فقام أولا بكبح جماح قبائل إداويعاويل ووالتيته ومجاط في معركة ويجان، فانشغلت تلك القبائل بحدودها منفصلة عن أيت باعمران. ملاحظات حول هذا النص منها :

- ما ذكر عن دور القائد المدني لخصاصي فيه خلط كبير مع الجنرال دولاموط قبل معركة تيزي وبعدها، فقبل المعركة كانت هيئة القائد المدني في هذا التاريخ ناقصة بفراره أمام حملة الباشا حيدة، حتى إنه لم يدافع عن داره ولو برصاصة واحدة، بل فر بروحه

(228) المسول بتصرف، ج 20، ص 193.



إلى قرية بويزاكارن، مشمرا عن الفرار إلى الصحراء، كما أن علاقته بالكيلولي عدوسوس كلها، لم تترك له ثقة القبائل فيه، فكيف يسترجع كل هذه الزعامة في أقل من ثلاثة شهور؟ وداره مازالت مهدمة متراكمة؟

- ثم إن قادة أيت باعمران بعد انتصارهم على حملة حيدة بدون خسائر، قد استفزتهم حمية الانتصار، فتطلعوا من جديد إلى انتصار آخر ضد الغزاة، دون أن يحسبوا أي حساب لتجهيزات الجنرال دولاموط التي تستعمل حتى الطائرات في القذف، وفي إخبار الحملة بتجمعات أيت باعمران حيثما اجتمعوا.

- وهذا كاتب المدني ييوج أخيرا بالحقيقة قائلا: «أرسل المدني عشرة من وجهاء الخصاص بجمل وبقرة فقدم ذلك للجنرال في يوم مشهود، على أنه هدية جميع القبائل المحاربة من بعمران وغيرها! وقد قيد أسماء العشرة على أن كل واحد منهم من قبيلة من القبائل، فعل ذلك تعمية لأن هذه القبائل لو طلب منها أن يمثّلوا ذلك الدور لأبوا كل الإباء»<sup>(229)</sup>. هكذا المدني، قنّاص للفرص، سياسي بكل المقاييس، مولع بالزعامة على حساب أهلها إذا لم يحضروا، ثعلب ماكر مناسب لتلك الظروف، ومع ذلك فهو ماهر في كسب الأصوات رغبة أو رهبة، رجل وقته بلا منازع، فمن لم يكن ذنباً أكلته الذئاب، فقد شبّ في ظروف لا رحمة فيها ولا معين له. أيوز لهذه الشخصية البارزة من بين المطرقة والسندان، هكذا فهمته فقلت له %٢٢٢ مع العلم أن مثل هذه الشخصيات من نتاج ظروفها، اعترف به العدو قبل الصديق، ولا عجب من أن تنتج قساوة تلك الجبال مثل القائد المدني الخصاصي، وها هو العبد المسكين المتداول كبضاعة القائد الناجم الخصاصي ملأت شجاعته الأفاق، أسود البشرة وهو أبيض الأفعال في الأحداق والأعماق..

ظروف معركة تاغولت 1917م :

يقال : كان هدف حملة الجنرال دولاموط، هو استرجاع المدافع الثلاثة التي غنمها أيت باعمران من حملة الباشا حيدا بن مايس سنة 1917م لأنهم رفضوا ردها، هذا وقد وقع أجموع أيت باعمران تحت شجرة أركان التي في رحبة سوق إيسينغ المعروفة

(229) المعسول، ج 20، ص 190.

بشجرة بيع العبيد، للمذاكرة حول رد المدافع، فقال كبار القوم نردها، ونعقد الصلح على يد الكلاوي، لأننا لا نعرف استخدام هذه السلّات!؟ وليس عندنا سلاحها، فقال الشباب : والله لا نردها، فأسقطوها في بئر بوطرّات بموضع تيغيت وليس في بئر قرب بوتاتين قريبا من إيسينغ خطأ، إلى أن استخرجها الجنرال دولاموط». (مذكرة محمد شايلاه التادرارتي).

ولما رفضوا، أصرت الحملة على رد المدافع، بدعوى أن امتلاك أيت باعمران لها سيتفوقون في الميدان، والحالة هذه أن فرنسا نفسها انهزمت في بلادها، ولم يبق لها وجود إلا في مستعمراتها كشمال أفريقيا. ولبنان وسوريا.

بنفس التاريخ، أطلقت غواصة ألمانية في أيت باعمران يوم حلت محلة الجنرال دولاموط بإيسينغ، إذ خرج منها ثلاثة ضباط من الركوت قرب إفني، لكنهم قتلوا من طرف أيت إخلف في جبل بوزگاؤ، قرب مغارة تسمى [إفري وكرزام] كما خرج ضابطان في أركسيس، ألماني وتركي، فوصلهما البلوكيان الباعمرانيان عيسى والقائد بابحّا إلى كاردوس. (معلمة المغرب ج 13 رقم 4290 جهادي) وفي شمال المغرب «استغلت الحماية الفرنسية الأمريكيين إلى النهاية في ربيع 1943م ما ظهر عن عدد من المغاربة من المنطقة الفرنسية عندما كانوا يتبادلون الرسائل مع إبراهيم الوزاني الذي أزرّ نشاط الألمان بالمنطقة الإسبانية عن طريق مكتبه للدفاع الوطني»<sup>(230)</sup>.

وعن محمد شايلاه كذلك، أن حملة الجنرال دولاموط، لما طردها أيت باعمران من بلادهم، تراجعت إلى بونعمان، فأقامت فيه ليلا، لكن تعرضت في تلك الليلة للخسائر، إذ قتل منها عدد من الجنود، وشاع أن الجنّ هو الذي فعل بهم ذلك. أو أرواح المجاهدين الذين قتلوا هناك بالمئات هم الذين انتقموا من الأعداء، والواقع هو أن جماعة قليلة من قناصي أيت باعمران العارفين بعين المكان، هم الذين أغاروا على محلة الجنرال ليلا، فقتلوا منهم حراس المحلة، فرجعوا مختفين، ولذلك أطلق على تلك العملية المعروفة بحرب العصابات، هجوم الجن على المحلة.

وبعد البحث عن تفسير ذلك في مظانّه، ذكر لي أحد الباعمرانيين واسمه أخصاصي في موضع عركوب الخلفي أن سبب ذلك القتل، هو أن جماعة من أيت باعمران، مع

(230) شارل أندري جوليان، ص 378.



جماعة أخرى من الركييات الصحراويين، انسلوا ليلا إلى تلك الحملة من جهات مختلفة، فأطلقوا الرصاص على الجنود، مما جعل بعضهم يطلق الرصاص فيما بينهم، والحالة هذه في ليلة شديدة الرياح والزوايح، مما شاع أن بلاد أيت باعمران، يحميها الجن وأرواح المجاهدين وبركة الصالحين، والحقيقة ليس هناك إلا مكيدة حرب، كما أكد ذلك الحاج همّوش محمد الخلفي بدوره.

لأن مثل هذا الرواج، يشجع ويرد الاعتبار، ويخفف من فقدان أبطال أيت باعمران، ولذلك استمروا في مقاومتهم، مع العلم أن معركة تيزي حصدت معظم شجعان أيت باعمران والصحراويين معا، وخاصة أهل الحل والعقد، فتركت فراغا في السياسة والتنظيم، وخسارة كبيرة في الخيل والسلاح، فظهر بعض الأعراب الصحراويين المحيطين بالشيخ أحمد الهيبة في كاردوس بالأطلس الصغير بمظهر مُنفر، كما حلت شخصيات طموحة في أيت باعمران، محل القادة المقتولين في تيزي، فانتهاز القائد المدني الخاصي تصفية باقي منافسيه بالسهم، فإن لم يجد يستعمل فرق تسد، فإن لم يفلح، استعبدتهم بالدرهم، إلى أن بقي منفردا بعد انتهاء أمر الشيخ الهيبة.

#### نتائج معركة تاغولت عن دوغارد بالتفصيل :

لا بد من مقدمة استراتيجية لتوضيح الفرق بين حملة الباشا حيدا، وبين حملة الجنرال دولاموط منها :

1 - اختيار حيدا طريق السيجل، انطلاقا من تيزنيت إلى نزلة السلطان الحسن الأول عام 1299هـ، وربما تفاؤلا وتذكيرا لأيت باعمران بتعيين قوادهم في عين المكان، ثم عبر جبهة أختور إلى تيغانمين، حيث مزار سيدي إبراهيم أعلي..

2 - يوحي هذا الاتجاه إلى أن حيدا سيسلك طريق تامغرط ووضرا إلى بيفورنا، وأغلب الظن أن مولاي رشيد سلك تابريدا هذه إلى بيفورنا، لأن تامغرط نلوا لا يمكن أن تمر فيها المحلة، أما الأولى فهي واضحة قبل أن يضلله حماد نبيهي ليسلك إيغالفن القريبة.

3 - إن حملة حيدا أغلبها من القواد المدنيين، وحتى من معه من العسكريين لا علم لهم بتلك التضاريس، وكذلك لم نسمع عنهم بذكر الخرائط لتوضيح المرتفعات على مستوى البحر، ولا الاستعانة بالطائرات، كما عند الجنرال دولاموط.

4 - سلك الجنرال دولاموط أقصر المسافة عبر تابريدا في وسط قبيلة أيت برايم المسالمة، مستعملا الوسائل الحديثة من الاستعلامات الجوية والخرائط والجواسيس العارفين بالطريق عبر أضيق مكان يسمّى أصدر (الخائق) ثم قطعوا تلك الكلمات ليلا، فاحتلوا أشبار أيت باعمران، بعد قتلهم الحراس، كما أن المجاهدين باتوا متفرقين في الديار على موعد بعد الفجر، فإذا بحملة الجنرال احتلت حوض إيسيك مبكرا. واحتلت أشبارهم فاختل توازن المدافعين.

لننقل عن الصحفي هنري دوغارد : Henry dugard ما يأتي مترجما قدر الإمكان :  
«غزا المغرب فيلق سوس في يناير يونيو 1917م، أكاديمية تيران وشركاؤه، ط 1918م. الوصول إلى تيزنيت في 16 مارس 1917م. ويتكون هذا الفيلق الغازي من قسمين :

1 - الجنود الفرنسيون، وتحت قيادتهم الجنود السينغاليون والجزائريون، والكل بقيادة الجنرال دو لاموط.

2 - أما الحركة فكانت بقيادة كل من القائد الطيب الكونتافي، ومحمد المتوكتي ولد القائد عبد المالك، والقائد مبارك، والكل مغاربة تحت الحماية الفرنسية. انطلق هذا الغزو من مدينة أكادير إلى تيزنيت، ولم يتعرضوا لطلقة واحدة في طريقهم، وفي تيزنيت، وجدوا كذلك جنود الباشا، وجنود حماد ولد الباشا حيدا بن مائس، الذي قضى عليه وعلى حملته في معركة إيغالفن، ضد أيت باعمران سنة 1917م.

#### معركة ويجان ضد الجنرال دولاموط :

وقعت في 24 مارس 1917م. انطلقت الحملة من تيزنيت نحو ويجان في الساعة 11 ليلا، والهدف هو القضاء على الشيخ النعمة بن ماء العينين الذي كون جبهة في ويجان،



بعدها طرد من تيزنيت، وكانت هناك جبهتان من المقاومة الوطنية، الأولى جبهة ويجان، ومن والاه من القبائل حتى قمة الأطلس الصغير باسم الجهاد، والجبهة الثانية هي أيت باعمران في جنوب أزغار تيزنيت، وكل من معهم في حلفهم من قبائل الصحراء حتى واد نون (نول لمطة) ضد الغزو الفرنسي باسم الحماية المفروضة، لذلك قرر الجنرال دو لاموط، قهر مقاومة جبهة ويجان، لكي يتفرغ لجبهة أيت باعمران الخطيرة، لأن الجبهة الشرقية والجنوبية يمكن أن تحاصرا غزو الجنرال هناك، وكان هذا الفصل بين المقاومين (يطلق عليهم المتمردون) الصعوبة الأولى، والثانية تعرض الجيش للطقس البارد رغم شهر مارس، بالإضافة إلى خروج الجيش ليلا نحو المعارك، وهم لا يعرفون نوع التضاريس ليلا.

وبعد معركة ويجان، اتجهت الحملة إلى أيت باعمران، وفي الطريق، وصلت إليها حركتان : الأولى للقائد الكونتافي، والثانية للحاج حماد ولد حيدا، ليعطوا لجملة الجنرال ما جدد من المعلومات خلفهم.

خطة الهجوم على جبهة أيت باعمران : انقسمت الصوغة إلى ثلاثة فيالق : في الميمنة حركة الحاج حماد، وفي الميسرة حركة القائد الكونتافي، وبينهما في الوسط حملة النصرى، وفي المؤخرة حملة التوكي لحراسة الخلف، وبين كل فيلق مسافة كلم واحد.

هذا وقد سبق غزو أيت باعمران عقد اجتماع بينهم وبين هذه الحملة في موقع ميرغت، وهذا لقاء أول بقيادة القائد محند الخلفاوي، فجرت مفاوضات بين الطرفين على حد عبارة هذا المؤرخ، طلب المتمردون كثيرا من الشروط.

وهناك قرر الجنرال دولاموط، إقهار أيت باعمران بالحرب، ثم رجعت الحملة من ويجان إلى تيزنيت، إلى 10 أبريل 1917م، فخرجت الحملة من تيزنيت إلى محطة خيامها في بونعمان، المرتفع على مستوى سطح البحر (715م) على بعد كلم واحد من الجبل، وهناك توصلت الحملة من طرف الجواسيس، بأن أيت باعمران قد تجمعوا وتكتلوا ضد الحملة الغازية.

وهناك وصلت إليهم الطائرات المنطلقة من الدار البيضاء، فصارت تحلق فوق المجاهدين، وترسل للغزاة معلومات حول المقاومة، وبالخصوص التضاريس التي يجب أي يسلكها الجيش في اتجاه أيت باعمران.

فتقرر عبر جبل أيت برايم، لا بد من احتلال تيزي ندوحمو (فج تيزي) المرتفعة عن مستوى سطح البحر (1089م) في الجنوب يقع أمالو تيزي، وفي الغرب يقع أدرار إوريغ (الجبل الأصفر) المرتفع ب (1150م).

ولكي يحتلوا تيزي، خرجوا ليلا بين الساعة (10 - 11) فأرسلوا من جند الكلاوي مائتين لاحتلال جبل إوريغ، ومع الكونتافي مائتين لاحتلال أمالو تيزي، وقد كان أيت باعمران، قد بنوا هناك أشبارا من الأحجار الكبيرة، لكنهم تركوا ذلك الحائط بدون حراسة، فذهبوا إلى المبيت في ديارهم ليأتوا مبكرين للمقاومة وراء أشبارهم، لكن سبقهم إليه النصرى ومن معهم.

ولما قدم المجاهدون الباعمرانيون، وجدوا أشبارهم محتلا، فكان ذلك خطأ منهم، لأنهم لم يخطر ببالهم، أن العدو سيقطع المسافة الكبيرة بين بونعمان وتيزي ليلا في تلك الجبال المغطاة بشجرة أركان، وكان ذلك خطأ فادحا لا يقبل مثله في الحرب، كما أن خطأ آخر، وقع ارتكبته محلة الكونتافي، لأنه نزل بقوته من الجبل قبل أن يؤمر، وقبل أن تصل قوة الجنرال، بدعوى أن أشبار أيت باعمران قد تم احتلاله.

لكن حملته تعرضت لهجوم أيت باعمران، فكبدوهم خسائر فادحة، ولما رأى الحاج التهامي الكلاوي هجوم أيت باعمران على الكنتافي، انتهز فرصة تلك المعركة، فهاجم المجاهدين من جهة أخرى أي جاء من خلفهم.

ويتكون المجاهدون من أيت باعمران إيمازيغن، ومن الأعراب ومن الفرسان وأهل الجمال، وقد استمر الهجوم على الكونتافي من الساعة الثامنة وخمسة عشر دقيقة إلى الساعة الثامنة وثلاثين دقيقة، حيث وصلت المدافع الرشاشة من تيزي فقتل عدد كبير من الرجال والخيل.



ثم تابع الضابط Ioustal زحفه فاحتل أكادير روكتاغن (الحصن الأحمر) فاستمر إطلاق النار من الساعة الثامنة وخمسين دقيقة، إلى العاشرة، فتراجع أيت باعمران، في الوقت الذي وصل فيه (باطايون) الصوغة إلى المكان الذي قتل فيه الباشا حيدا في المعركة قبل ثلاثة شهور تقريبا.

كما وصلت إغاثة عسكرية أخرى من أكادير، في الساعة الحادية عشر من نفس اليوم، وفي نفس الوقت احتل الباشا الكلاوي أكادير روكتاغن، ثم وصلت الطائرات لتقصف كل شيء في جهة المجاهدين.

أما الحملة التي يقودها الجنرال دولاموط، فقد كانت متأخرة، إذ لم تصل إلى أكادير روكتاغن، حتى الساعة الثالثة بعد الزوال، نظرا لوعورة الجبل بأيت برايم، كما عجزت البغال عن تسلق ذلك المرتفع، لما تحمله من الأثقال، وبصعوبة اجتازت أسيف ن تگينيت (tiquinet) قصد الوصول إلى سهل أوتغوس في سفح المرتفع : outghous.

وفيه مرتفع (850 م) عن مستوى سطح البحر، حيث قبر صالح هناك، ومنظر ذلك الجبل مسنن على شكل منشار، وهناك نزول من تامگرت ن إسماعيل، حيث تسلط النحل على الجيش الغازي بشكل غريب، وهناك تم الوصول إلى واد فيه ماء فنزلت المحلة في أوتغوس، ونام الجيش تحت أشجار أركان، حيث قضى ليلة هادئة نظرا لما مر عليه من الصعوبات.

وفي الصباح، انطلق الجيش لاحتلال إيسیگ (issiqqu) وبعد وصول المحلة إليه رجع سكان أيت برايم (الذين مرت الحملات في بلادهم) إلى ديارهم، بعد أن استسلموا وطلبوا الأمان، فأعطي لهم في الحين. أي قبيلة أيت برايم.

وبما أن مؤخرة الجيش الغازي مؤمنة ما بين تيزنيت إلى إيسیگ، فقد مكثت هناك من (12 إلى 17) من أبريل، وفي هذه الفترة استغلوا انشغال أيت باعمران في تكوين قوة أكثر، استغلت الحملة البحث عن المدافع التي غنمها أيت باعمران من حملة حيدا السابقة، والتي اسقطوها في تانوت ن بوطرات (boutzat) في موضع تيغت (tikhet) وفيها خمسة أمتار من الماء.

وفي ذلك الأسبوع، شرعت حملات الجيش لكل من القادة، يفسدون الزرع في شهر مارس، والصابا على أشدها، حتى لا يتركوا لأيت باعمران ما يعتمدون عليه في معاشهم، ثم استمرت المناوشات بين الطرفين، فاحتلت تيزي لوجود مقاومة فيها يوم (11) من أبريل. ففي الفترة التي استقر الجيش في إيسیگ، جاءت المعلومات، بأن المجاهدين قد اجتمعوا في أخرب، على بعد (15 كلم) من إيسیگ، وعدد المجتمعين ما بين (100 إلى 150) ولكن ذلك العدد لا يخوفنا يقول المؤرخ.

وفي (16) من أبريل 1917م، جاءت الأخبار بأنه وصل إلى أخرب، الأعراب الرحالة وسكان واد نون، الذين دعوتهم أيت باعمران إلى الجهاد، وفعلا لبى دعوتهم كل من وصلت سنه حد الصوم، حسب عرف أيت باعمران.

ومن جهة الشرق، جاءت معلومات أخرى، بأن لخصاص قد اجتمعوا في دار أحمد ن الطالب، بقبيلة أيت عبلا الباعمرانية، كما بدأ المجاهدون يخوفون كل من أراد أن يقبل الصلح من تلك القبائل، لأن ذلك يؤدي إلى التفرقة.

وهنا وقع الجنرال دولاموط في مشكلة، هل سيقوم بالهجوم على من اجتمع في أخرب؟ فإن فعل فسيتك فراغا في محلة إيسیگ، ومن جهة أخرى، فإذا اختار البقاء في إيسیگ فسيتعرض للهجوم، وأخيرا، قرر ألا يتقدم للهجوم على المجاهدين في أماكن تجمعاتهم.

وفي ليلة (16 + 17) من أبريل، سمعت المحلة إلى تيماتارين : (timatarine) وهي علامات التجمع للحرب، وذكر هذا المؤرخ ثلاث طلقات «مع أن العرف في أيت باعمران ينص على اثنتين فقط، وقد يرجع هذا التثليث إلى اختلاط من لا يعرف العرف كالصحراويين مثلا».

انسحاب الغزاة من إيسیگ: كانت الطائرات الاستطلاعية تخبر المحلات بالجموع من المجاهدين، وكانت تطلق دخانا في الجو على أماكن تلك الجموع، ليعرف الجنرال أماكن الخصوم، لذلك قرر في صباح 17 من أبريل 1917م تحرك الحملة نحو تيزنيت على شكل هندسي مُضلع.



وسلكت الجيوش في شرق إيسينغ سهلا ارتفاعه (200م) فوق مستوى سطح البحر،  
يسمى تاكنزا (taqnza) وحسب المرور إلى تيزي (6 كلم) تسمى تالات أو خانتور:  
okhantouri talat مرتفع 1137م، ومن تيزي إلى سهل بونعمان.

لكن لكي يتم ذلك، يجب قبل كل شيء احتلال تاكنزا، التي أرسل إليها  
الفرسان، لكنهم وجدوا فيها حراسة المجاهدين، فقتلهم، وفي تاكنزا هذه قتل من أيت  
باعمران أربعمئة (400) حيث جرت هناك معركة شديدة، لكن المجاهدين غلبوا لقوة  
العدو، فاحتلت تاكنزا، وهذه المعركة جرت بين المحلات المغربية والسنغاليين ضد  
أيت باعمرات، ولم يشارك فيها النصارى.

وترجع تلك الخسائر في المجاهدين إلى قوة ونوعية السلاح المتطور ضدهم، وهناك  
معركة أخرى جرت في مكان يسمى تاغولت (taguolt) نتمزگيدا، وفيه قتل أو  
استشهد عدد كبير من أيت باعمران، منهم القائد محند الخلفاوي. وأخوه الشيخ محمد بن  
علي، وشارابات وعدد من رجال الحرب.

ثم اجتمع المجاهدون في تافراوت ن أيت داود، لمتابعة انسحاب حملة الجنرال، فإذا  
بالطائرات تقصف المجتمع كله، فذكرت الرواية الباعمرانية أنه استشهد من المجاهدين  
ستمائة شهيد، (600) بينما ذكر مؤرخ الجانب الآخر، أنه قتل أكثر من ألف، لكنه  
قلل من قتلى النصارى كما سيأتي، والحالة هذه ظروف الحماية وظروف الحرب العالمية  
الأولى، وفرنسا نفسها محتلة فقللت من خسائرها.

وذكر الكاتب هينري قتل حيدا بن مائيس في 7 يناير 1917م على بعد 24 كلم من  
غرب تيزنيت، ثم قال: وبعد معركة تاغولت نتمزگيدا الأخيرة، هاجمنا المجاهدون  
أيت باعمران فجأة من جديد، (لأول مرة استعمل الكاتب كلمة المجاهدين، بينما كان  
يستعمل كلمة المتمردين) وكان هجومهم لنا فجأة، لأننا لم نتصور أنهم قادرون على لم  
الشمم رغم ما وقع فيهم من الخسائر.

ورغم قوتهم بفضل استغلالهم التضاريس والغابة والأحجار، فقد رددناهم وقتلنا  
منهم خمسين مجاهدا (50) باستعمالنا المدافع والرشاشات، كما كانوا يهجمون علينا

دون أن نراهم، وبعد رجوعهم بمدة قليلة، أعادوا كرة علينا، ومعظمهم من الرحّالين، يعني  
أعراب الصحراء، تلك المعركة الثانية في تافراوت ن أيت داود، لكن هجوم الأعراب ليس  
كهجوم أيت باعمران، ومع ذلك فقد استعملنا ضدهم جميع أنواع الأسلحة الثقيلة من  
مدافع ورشاشات ..

كما أن الطائرات الحربية مستمرة في قصفهم، فاستغرقت تلك المعركة من العاشرة  
صباحا إلى الثالثة زوالا، ومع ذلك استمر المجاهدون في مطاردتنا حتى وصلنا إلى  
بونعمان، حيث وصلت حملتنا كلها إلى عين المكان، وذلك في السهل المكشوف  
الذي لا يساعدهم على استمرار الهجوم، وإلى حد هذا الوقت، حسب الاستعلامات  
الفرنسية، قتل من جميع أولئك أكثر من ألف (1000) وقتل اثنان فقط من العسكر  
الفرنسي، ثم ستة عشر من رجال المحلات المخزنية. ! ؟

ومن بونعمان، انتقلنا إلى تالعينت بأيت جرار، لكن الطائرات استمرت في قصف كل  
شيء، وخاصة بعدما اكتشفنا مكان محلة الهيبة في كاردوس، وبعد ذلك بدأت القبائل  
في تلك الجبال تطلب السلم تدريجيا !.

وفي محطتنا بتالعينت، فهمنا كيف يعيش السكان، وكيف يتعاملون، ومن أين وإلى  
أين يتبادلون، ومن هناك أدركنا أهمية سوس بالنسبة لموريتانيا في العلاقة التجارية، وقد  
مكثنا في تالعينت من 19 إلى 28 أبريل 1917م وهناك بحثنا الظروف التي تفرض علينا  
نفسها عندما نريد غزو موريتانيا.

أما عدد السكان في تالعينت فهو 150 كانوا، منهم 40 كانوا من اليهود، وقائد أيت  
جرار هو عياد المنتمي إلى المخزن، وعمره 40 سنة، وفي 28 أبريل رجعت المحلة كلها إلى  
أكادير، وقطعت تلك المسافة في ثلاثة أيام، بينما الجنرال دولاموط ذهب إلى تارودانت،  
مارا بماست وبييگگورا عن طريق تيفغلال.

ثم لخص هذا الصحفي كلامه بالنتائج منها:

خضوع ما بين الأطلسين الكبير والصغير لسلطة الحماية، كما أدركنا أهمية القادة الكبار  
ودورهم في المعلومات والمعارك، إذ لولاهم لما وصلنا حتى إلى بلاد أيت باعمران، فكيف



بالطمع في الانتصارات؟ وأشار إلى علاقة أيت باعمران بألمانيا، حيث خرج من بلادهم ضباط برئاسة القنصل الألماني في الصويرة واسمه Propster فاتصلوا بالهبة. كما ورد في المعسول. ومن كتاب «henry dugard laconquete du maroc cogonne du sous janvhe juin» وفي أثناء الحرب العالمية الأولى، ظهرت الغواصة الألمانية في ساحل أيت باعمران، في الركوت بأيت إخلف شمال إفني بعدد كلمترات فقط قبل ذلك، وهناك أهدي للشيخ الحسن الخلفاوي المنظار المكبر المقرب للأبعاد طوله نصف متر حسب تقديري، كله من النحاس، بالإضافة إلى خيمة من الملف، ضاعت منه في معركة سيدي بوعثمان، لكن رفض أيت إخلف التعامل مع الألمان في لقاء الركوت، فظهرت الغواصة بعد ذلك في مرسى أركسيس جنوب إفني، فوقع اتصال بالشيخ أحمد الهبة في كاردوس بقبيلة بعاقيلة، فطلب منه الوصول إلى إحدى المراسي في أيت باعمران، لتمده ألمانيا بقوة كافية.

وهنا ظهر القائد المدني الخصاصي ليقوم بمحاولة ربط الصلة بالألمان عبر البحر في عهد الأمير المجاهد أحمد الهبة، الذي عينه قائدا له، وبما أن قبيلة هذا المدني بعيدة عن المحيط وبين ذلك سد باعمراني، هاجم على أصغر قبيلة بحدود قبيلته، وهي أيت عبلا، لكن القائد أحمد بن الطالب قام ضده، فقامت الحرب بين القبيلتين، فتم قتل هذا الأخير، فاستمر المدني في الاستيلاء على جزء من تلك القبيلة أيت يعزى، وهي فخذة صغيرة من الأولى، عين عليها القائد أحمد أصواب، إلى أن طرد، لكن أيت بوبكر، هزموا المدني، ثم حاول غزو قبيلة أيت برايم المكونة من فخذات غير متجانسة، مثل إدو بلال (بالعوية) وأيت بونوح الأمانوزيين، وأبناء إبراهيم البونعمانيين القدماء هناك منذ عهد المنصور الذهبي، كما ذكرهم ابن خلدون باسم «بني نعمان في عين المكان» منذ عهد المرينيين، ثم أطلق عليهم أيت خلوف، وأيت داود، إلى أن قسمتهم القبائل المجاورة رغما عن أنف قائدهم يحيى البريمي المعين عام 1299هـ، «بانضمام مائة كانون منهم إلى قيادة الساحل، ومائة كانون أخرى إلى قيادة علي بن مسعود الخصاصي، ومائة كانون ثالثة إلى قبيلة أيت النص بقيادة إبراهيم بن سعيد الباعمراني» كما ورد في رسالة توبيخ من السلطان نفسه لعجز قائد القبيلة المذكور (231).

(231) رسالة مولاي الحسن الأول بتاريخ 21 رجب عام 1301هـ.

وذكر وجود إبراهيم قبيلة بجهة تاغجيجت في بونعمان منذ ابن خلدون، هو الذي تشير إليه كنانيشهم بأنهم أصل أيت باعمران...

أما خسائر المعركة ضد أيت باعمران، فقد كانت كبيرة وكثيرة في الرجال وفي الخيل وفي الاقتصاد وإتلاف المحصول الزراعي وقصف المداشر بالطائرات، وإحداث الرعب في المجتمع كله، وقد قيل في ذلك أشعار كثيرة، تذكر بأولئك الشهداء، إلى حد أن معظم العائلات قد ساهمت بأبطالها بمثنى وثلاث ورباع، في سبيل الدفاع ضد الاستعمار، ونورد هنا نموذجاً من تلك الأشعار:

- 1- أ- يان يثران أ بابا ئيسان تليغ وئيلن
- 2- غ يگي نيوگرفا أزونس ئفي تاغوييت
- 3- تگاد لعفيت أگرض رصاص ئگا أمرؤي
- 4- ئناغان گان ئگودين ترعي تاراميت
- 5- عاقدات ئون أ- يرگازن غاسا كايلان
- 6- يتمالبارود لهنت أست يوالان
- 7- يان ئموتن غاساد أراونس وئرئموت
- 8- أرومي وئر سار أغ ئگي گوماتنغ ولا أناو

#### مفهوم النص

- 1- ليتك يا والدي شاهدت تمزيق الخيل في المعركة
- 2- فوق مرتفع بوگرفا فصاح وبكى جرفه
- 3- أمطرت الطائرات النار والرصاص شواظ
- 4- القتلى في المجاهدين والأبطال من كل نوع
- 5- اصبروا أيها الأبطال فهذا يوم مشهود
- 6- فإذا انتهى البارود فقاتلوا باليد والخناجر
- 7- فمن استشهد فقد خلف أمثاله في العائلة
- 8- واعلموا أن العدو لن يكون منا ولا مثلنا



## ظهور الألمان في سواحل أيت باعمران :

وبما كان يهدد وجود الحماية الفرنسية في المغرب، قوة ألمانيا أثناء الحرب العالمية الأولى، إذ انهزمت فرنسا في عقر دارها، ولم يبق لها وجود إلا في مستعمراتها كالمغرب ولبنان وسوريا، لذلك كان خوف سلطة الحماية في المغرب، أن تجد ألمانيا موضع قدم لها في أيت باعمران، وفعلا ظهرت ألمانيا في سواحل أيت باعمران كما مر بنا

وفي قبيلة السيجل، «أن المتوكل الطالب أحمد بن إبراهيم الساحلي، كان مع أحمد بن عيسى من دوار تاسوليلت الساحلي كذلك، كانا مهاجرين إلى بلاد تونس، وهناك كان أحمد هذا حارسا لمنزل ألماني هناك لمدة طويلة، وعندما أراد الرجوع مع صاحبه الساحلي، دفع لهما الألماني أجرتهما بالعملة اللويز الذهبية، وفيها صورة حاكم ألمانيا، ثم أرسلهما جاسوسين لألمانيا إلى جهة أيت باعمران؟ ورفض أحمد هذا أن يذكر وسيلة النقل برّاً أو بحرا. والحرب العالمية على أشدها، وبمجرد وصولهما ذهب أحمد بن عيسى إلى زيارة أمغار القبيلة أحمد ن بوهوش، ليخبره بالرجوع إلى بلاده، فأهدى له عملة ذهبية، لأنها لا تستعمل بالشراء في المغرب، مما جعل أمغار أحمد ن بوهوش هذا، يدفع منها قطعاً لترجمان الفرنسيين السي المكسي بميرلفت، ولما استخبره عن التوصل بها، أجاب ساذجا بعلاقتهم الألمانية عن حسن نية، وفي الحين، أطلق عليه القبض، بدعوى أنه جاسوس للألمان، ثم أرسلت رسالة مستعجلة للقبض على صاحبه المتوكل الطالب أحمد بن إبراهيم بالحيلة، حتى لا يهرب، وفعلا وصلت رسالة القبض عليه، ومن حسن حظه، أن وجد المتوكل أحمد عند أمغار الذي هو أمي، فأمد الرسالة إلى المتوكل أحمد ليقراها وفيها، يجب القبض حالا على السي أحمد بن إبراهيم، فقال لأمغار، يقول لك الضابط الفرنسي بميرلفت : يجب عليك أن تأتي له بكبشين إلى مكتب ميرلف، وهما حاليا عند الفقير محمد بن عمر، كما روي عنه، وفي رواية أخيه الحسن أن يأتي بالخطب ثم قلت لأمغار : سأهذب حالا لأخبره بأن يأتي لك بكبشين، حسب ما طلبه الضابط الفرنسي، ومن هناك خرجت هاربا إلى منطقة أيت باعمران، فشارطت في مسيد المراح مدة، ثم رجعت وسلمت نفسي لسلطة الحماية، فسجنت في الراشدية لمدة، كما قبض على أخي عمر بسببي، ولما توفي والدي إبراهيم، أطلق السي عمر، كما رجعت بدوري إلى أيت باعمران، وبقيت هناك إلى إعلان استقلال المغرب، فرجعت وعينت أمغارا

على القبيلة» (أحمد بن إبراهيم في 6 يوليوز 2001م) «وأخيرا اعترف بأن ذلك الألماني بتونس، هو الذي نقلهما بطائرة صغيرة إلى ناحية من المغرب، جهة وارزازات، كما أكد لي أخوه محمّد الملقب بالشابي، والأول ينكر علاقته بالغواصة المعلومة في سواحل أيت باعمران حتى لا يتهم بالتجسس». (تحريرات ميدانية بإفاردا معلمة المغرب ج 2 رقم 555 جهادي) ومعلوم «أ، الحلفاء كانوا يخشون هجوما جانبيا على قوات الاحتلال.. وعاد من تونس جنود أمريكيون مؤكدين ميول التونسيين للألمان، فأفضى بهم الأمر إلى الاعتقاد بأن مجموع المغاربة كانوا يرغبون في انتصار الألمان»<sup>(232)</sup>.

## عقد الهدنة بين الطرفين :

حصدت قوة السلاح الجوي والمدافع والرشاشات المتطورة من حملة الجنرال دولاموط قوة أيت باعمران ومن معهم من الصحراويين الرغائب، ولنستمع إلى شاهد عيان إذ قال : «كنت من الأعيان الحاضرين في صلح الهناء بمرغت، وكنا جماعة من الفرسان بسلاحنا على خيولنا على بعد قليل من خيمة الاجتماع التي سينعقد فيها صلح الهناء، وكنت شابا ومعني الشيخ مبارك الخلفاوي بن القائد أحمد بعد استشهاد أبطال أيت باعمران، فقلت لجماعتي : لماذا لا تنتهز الفرصة في هؤلاء الكفرة الذين قتلوا معظم شجعان أيت باعمران فنقتلهم جميعا؟ فقيل لي : إن الغدر لا يليق بأيت باعمران، فقد طردنا الغازي ناقلا موتاه الكثيرة إلى تيزنيت، كما فاضت هناك مئات من دماء المجاهدين أيت باعمران، ومن لفهم الواسع الصحراويين، ولم يشاركنا غيرنا من القبائل المستسلمة، وفي هذا الحلف الباعمراني ضد الجنرال دولاموط، قتل منا في المعارك مئات، وليس بالعشرات، وكذلك في معسكر الغازي، من القبائل التي معه دون النصرى، فدعا إلى عقد الصلح»<sup>(233)</sup>.

انتقمت قوة الجنرال دولاموط من أيت باعمران لحملة الباشا حيدا، فرجعت بعد معركة تاغولت نتمزغيدا، حاملة تلك المدافع الأولى، فابتعدت عن حدود أيت باعمران، إلى ميرغت بين أيت جرار والخصاص، وفي خيمة هناك اجتمع كبير المحلة الحاج التهامي

(232) أندري جوليان، ص 378.

(233) الحج عمر أصبايو 1969م بإفني.



الكلوي، والسّي بوسلام المتوكّي، والحاج الطيب الكوتاني، ففاوضوا القبائل على الهناء، فأبرموه في ميرغت، وفيه أيت باعمران والأعراب ولخصاص ومجاط، فقرأوا الدعاء، فرجع الجنرال إلى تيزنيت سنة 1917 م فاستمرت المناوشات حول أزاغار تيزنيت.

#### وضعية قبائل أيت باعمران وجزولة عامة :

1 - قضت تلك المعركة بتفوق سلاحها على قوة قبائل جزولة بدون استثناء، وفي مقدمتها أيت باعمران، ومن قبلهم معركة ويجان ضد بعقيلة ومجاط...

2 - بعد عقد صلح الهناء بميرغت مع الجانب المخزني المحمي، شغل الاستعمار القبائل الجنوبية كلها بالحروب القبلية فيما بينها حتى انهارت قوة الجميع.

3 - ألحق الجفاف المستمر ضعفا كبيرا بقبائل أيت باعمران إلى عمق الصحراء، وخاصة خسارتهم في الخيل في المعارك، فاستمرت الفتن بين القبائل ما بين 1917 إلى 1934م حتى أكل الناس الجراد والنباتات وتاكناريت لفقدان الزرع عامة. بالإضافة إلى فقدان الرواج التجاري، إذ يصدر إنتاج المغرب إلى فرنسا، وذلك ما يسمى في المغرب بعام البون..

4 - كل هذه المدة استمرت قوة الحماية، تناوش أيت باعمران لاستنفاد قواهم، وإهلاك زرعهم كما تشجع الفتن بين الشخصيات حتى لا تعيد القبائل وحدتها، وخاصة عندما ظهر بعض المغامرين الأوروبيين في سواحل أيت باعمران بتجارتهم كبيع الروز في مرسى أركسيس وأساكا وغيرها.

5 - استغلت قوة الحماية ذلك، فاحتلت الأطلس الصغير، من الشمال والشرق، فحاصرت أيت باعمران بوصول قواتها إلى بويزاكارن (bouyzacarne) من جهة الشرق، كما وصلت قوة أخرى إلى قبيلة أيت برايم في شمال أيت باعمران، حيث استسلمت جميع قبائل تلك الجهات، فلم يبق إلا الأقلية من ذلك الحلف الجزولي المسمى بأيت باها أو يحييا وأيت بوبكر أو يحييا المعروف ببُعمرانة التي تخلت عنهم أطراف من القبائل التي كانت منهم وإليهم.

ومن ذلك قبيلة السيجل وقبيلة إفاردا ومرتفعات قبيلة أيت برايم، وهي فخذة أيت داود، أو ما يسمى بجماعة الصالح سيدي بوعبدلي، وفي الجنوب قبيلة لخصاص وأيت بوياسين وأباينو، ومع ذلك صمم أيت باعمران بقبائلهم الست، على المقاومة حتى الموت، وذلك في انتظار خوض معركة مصيرية وحدهم، ولنرجع إلى تكتل الجنوب كله كما يأتي.

#### عقد الحماية وظهور الهيبة بتيزنيت :

ما كاد عقد الحماية يتم بفاس، حتى انخرطت سوس كلها في تقديم المجاهد أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين بتيزنيت للدفاع ضد الاستعمار الفرنسي الذي دخل في أسفي إلى الدار البيضاء، إلى فاس. فأعلن الجهاد عامة، فلبت كل قبيلة بسوس نداء الوطن، وكان على قبيلة أيت إخلف الشيخ الحسن بن علي بن الشيخ هم بعد موت عمه القائد أحمد، فكلف بالمال الخاص بمصروف قبيلته، مثل جميع القبائل، ومعه في المهمة كبار أعيان القبيلة، منهم أنفلوس السيد محمد بن علي أوهمو المعروف بأعلي والسيد عيسى بن عثمان، ومحمد بن عمر بوسناينا، وشاركوا كلهم في معركة سيدي بوعثمان سنة 1912م.

فتكتل من جديد لف أيت باعمران، كما كان لخصاص وأيت بوياسين، إلى أن فرقهم الكيلولي بتعيين المدني بن الطالب أحمد، بظهير عزيزي هذا نصه :

«خدامنا الأرضين أيت بويقولن، وأيت إدغزال، وإدشاعود، وأيت إغرمان، وأيت إعلاتن، من قبيلة لخصاص، أرشدكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله وبعد : فقد ولينا عليكم أخاكم خدينا الأرضي القائد المدني بن أحمد، وأسندنا إليه النظر في أمركم. فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما ولينا من الأمر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله وأسعده بكم، ووفق الكل لما فيه رضاه والسلام. في 22 جمادى الثانية عام 1317م / 1899م الطابع العزيزي الكبير» (ظهير عزيزي).

وبتشجيع من الكيلولي للمدني «انضمت إليه كافة قبيلة الرخاوين الذين كانوا من ضمن قيادة آل إيليج رسميا، عليهم القائد أحمد بن محمد بن الحسين» (المعسول



ج 20 ص 188) ثم برز المدني أكثر بظهير الشيخ أحمد الهيبة له على الخصاص كلهم عام 1330هـ/1911م إلى أن أنهزم هذا الأخير في مراكش، فرجع يراقب الأحداث، أمام زحف القائد حيدة بطل الحكومة في سوس، الذي طلع إلى خصاص، فوصل إلى دار القائد المدني فنهبها، ففر المدني إلى بويزاكارن، ثم صالح مبارك بو الطعم الرخاوي القائد حيدة بدون حرب. «فرجع وحط الحركة على ويجان، فلم يغن شيئاً» (روضة الأفنان ص 89) هذه وضعية قبيلتي الخصاص والرخاويين اللتين هادنتا الباشا حيدة وروح قائدهما المدني بلغت الحلقوم، ولولا فراره لبلغت التراقية والتقت الساق بالساق، ومع ذلك أدرك شراء توزيع الغنائم بما جمع منه الكثير، وبه اشترى بغلة الباشا حيدة من الشيخ سعيد السيموري، والحق أن الكيلولي بتزيت، هو الذي نفخ في سمعة المدني ليكون ضد خصمه العنيد القائد بوهي الأخصاصي الذي تقوى باستلائه على ثلث أيت برايمم. بعد تقسيم تلك القبيلة وطردها قائدها يحيى البراييمي..

نعم : كان القائد المدني الخصاصي سياسياً ماهراً، بل سياسوياً مأكراً، عمّر فراغا بسبب ما أحدثته قوة الجنرال دولاموط، بعدما حصدت مائات من شهداء تأغولت نتمزگيدا، فرجع الجنرال أدراجه بعد معركة غير متكافئة، ففاضت هناك أرواح مقدسة، ولسان حالها يردد : العار على التالي. وإن لم يسلم جيشه الجنرال بدوره من خسائر مسكوت عنها، رغم كثافة قتلاه في مقبرة النصرى بتزيت على وادي توخسين بالمدينة. ورواية المنوزي بعيدة عن المكان وعن القتلى وعن المعسول. في الجزء الثالث، وفي عهده مهم في التشجيع.

من الظلم أن نبخس القائد المدني الخصاصي من بعض مواقفه، لكن ما بعد تاريخ المعارك الكبرى المذكورة التي كادت تحدث فراغا في زعماء القبائل، منهم القائد المدني الذي يخطط للمعركة ويراقبها من بعيد، فاستمر إلى قبيل اتفاقية ثلاثاء لخصاص 1934م بين أعيان أيت باعمران وسلطة الحماية بحضور ولده الحنفي، ويكفي القائد المدني ما شاع أو أشاعوه عنه أن سلطة الحماية احتفلت بموت القائد المدني، كيف ! وهو نفسه أهدى جملا وبقرة للجنرال دولاموط باسم عشرة دلس بهم على القبائل، فاحتفل الجميع، فلم يبق إلا أيت باعمران للمقاومة حتى جاء أجلها تدريجيا من 1917 إلى 1934م. مع العلم، أن الاستعمار قد قسم كل شيء... .

إن بداية حياة المدني هذا، كانت قاسية، ولكنها حنكته وصاغت منه شخصية قد من حجر، في مجتمع قلت فيه الشفقة ووضعته لا ترحم، فقاوم تلك الظروف بذكاء مستعينا بتلونات لا تقل عن تلون الحرباء بين الأفاعي، إلى أن «صار بعد زمان ذلك القائد المدني المشهور، الذي ترتعد الفرائص من ذكره، وتزخر المخازن بأمواله، وتنحني له الرؤوس إجلالا وهيبة، وكتب إليه السلطان مولاي عبد الحفيظ مثل قواد سوس كلهم، ليتوجه إلى حضرة السلطان صحبة أعيانه وكبراء أحكامه، فهو إذن من القواد المخزنيين مهما قيل فيه، فهو رجل وقته، وكبير قومه، وبارز بين أقرانه. سجل التاريخ مكاتته بلسان الحال، ومع ذلك مازال ضريحه نكرة حتى الآن !.

وأما ما ذكر جزافا فإن قبيلة الخصاص، قد هادنت في مرغت، وأما مجاط وإدباقييل، فقد فقدت الكثير من رجالها في معركة ويجان، فاشتغلت تلك القبائل بحدودها، بعد تلك الخسائر، منفصلة عن معركة تيزي الباعمرانية، إلا بعض الفرسان الوطنيين من تلك القبائل، لانعدام ذكر قتلاهم في تيزي ولو واحدا منهم، حيث اتجهت حملة الجنرال دولاموط إلى أيت باعمران، بعد انفصام عقد حلف تاگيزولت العريق، من بين كتلة الأطلس الصغير، ففي معركة ويجان، «مات من مجاط ما يناهز الثمانين، ومن ولتيته مثل ذلك» (روضة الأفنان ص 101).

لذلك كانت كثافة قتلى المجاهدين من أيت باعمران والصحراويين كبيرة جدا في معركة تاغولت نتمزگيدا، أو معركة تيزي الأولى. 1917م إذ تجاوز عدد الشهداء المئات، كما سنرى، وإلى مشاركة ذلك البعض أشاد المؤرخ محمد بووژگر بمن فيهم فرسان من مجاط وخصاص ومن غيرهم، لكن لم يذكر منهم الصحفي الفرنسي ولو شخصا واحدا في المعركة ضد دولاموط. لانحصارهم بعد معركة ويجان، التي قضت على معظم أبطالهم.

#### استمرار العلاقة الجهادية بأحمد الهيبة :

بقدر السرعة التي اجتمع فيها الجنوب كله وراء الهيبة، بنفس السرعة تقريبا، انفصلت عنه معظم القبائل تدريجيا، ونشيد هنا بدور القائد الناجم الخصاصي كما



وصفه لي من عايشه قائلاً : «إنه جميل الصورة، له لحية قليلة، متوسط القامة، ومتوسط الجسم، لا يفارق الدائرة، ليس فيه من صفات العبيد إلا لون السواد، وهو ديان لا يفارق تساييه، ساهرا على أداء صلاة الفجر، ومن أقبح ما أشاعه عنه خصومه مشاركته في قتل الفقيه محمد أوعبُو بأشتوكن، لأنه مع الحماية الفرنسية في أشتوكن، وهناك مزاعم لتشويه سمعة الناجم، ؟ وأنه أمر الحسين أفخار الوساعدي بأسيف نهان البعمراني الجزائر بمحلة الناجم، أن يذبح من أشتوكن أربعين رجلا من وراء رقبتهم، لأنهم مع فرنسا مع الفقيه المذكور، والذي في المعسول قوله : «فتكتك بايت بكو إذ قطعت منهم ستة عشر رأسا»<sup>(234)</sup>، كما انضم إليه مائة وخمسون فارسا من أيت باعمران، وكان لا يثق إلا في محمد بن حارثا الباعمراني المكلف بعائلة الناجم من الريف، حتى أوصلها إلى أيت باعمران» (عيسى بن عثمان الخلفي).

وفعلا نجحت تلك الإشاعات في تنفير المقاومين من قيادته، وإلا فما وصف به من أخلاق وشجاعة ضد بوحمارة بالريف، وما خصه به صاحب المعسول كل ذلك لا تكفي فيه هذه الغمزة، والله أعلم. ولما حكيت للأستاذ أكرور الخصاصي تلك المجزرة أكد لي أن لديه من تلك المجزرة ستة رجال من أشتوكن، ووعدي بمراسلة في الموضوع، وليته فعل ..

ولما انتهى أمر الهيبة، دخل القائد الناجم الأخصاصي بين أعيان أيت باعمران معززا مكرما، لم يعرف عنه إلا شخصية كاملة، ينزل عند أعيان البلاد، مثل الشيخ سعيد، وعبد الكريم، وكان من الذين أدوا فريضة الحج. بتوجيه من الإسبان، أما علاقة أيت باعمران مع الشيخ أحمد الهيبة : فقد بقي محاصرا في قرية كاردوس ببعايلة إلى أن توفي رحمه الله، فتولى أخوه مصطفى مره ربه.

قال أمغار عبد الكريم : «أرسل إلينا الأمير مره ربه بعد أخيه من كاردوس بالأطلس الصغير، فطلب منا أن نجمع الأعشار والزكوات وريالا واحدا من كل كانون، فسهرت أنا على جمع ذلك كله في القبيلة، وهو كثير جدا. ثم ذهبنا إلى أغبالو نكاردوس حيث كان مقر الهيبة، وهو عبارة عن مكان محجر، صحبة أنفلوس مساعددي السيد الحسين بن يوسف

(234) المعسول، ج 20، ص 111.

التغراتيني، على فرسين، وأنا حامل لبندقية الرباعية النادرة، وصاحبي يحمل ساسبو الإنجليزية، فانطلقنا من أيت باعمران إلى ويجان، وبتنا عند عمر بن كارتام الويجاني، لأنه صهر عائلة بأيت إخلف، وهي عائلة إدعمر بموضع المحايرتا، لأنه في ذلك الوقت، لا ثقة في أحد. في الطريق ولا في إطعام السم لكبار القوم.

ثم إن الحماية الفرنسية بتزيت، رغم أنها تحكم هذه المناطق، فإنها مازالت تترك لسكان ويجان سلاحهم، وفي الغد، قصدنا كاردوس عند مره ربه، وهناك اشترت له خنشة كيس من قوالب السكر من سوق ثلاثاء إداكواكمار، حوالي 12 قالبا، وذلك له سمعة كبيرة في ذلك الوقت، بالإضافة إلى هدية أخرى من السكر للفقيه بن عبد العزيز العلامة، وهو فقيه الهيبة، وكان صديقي في أيت باعمران، وهو الذي وصلنا إلى الأمير الجديد، ومعنا ابن كارتام الويجاني، ومهمتي هي إخباره بتبليغ ما جمعناه من الكلف، رغم أن الزرع في تلك السنة كان قليلا.

ولذلك لما رجعت أرسل الأمير مره ربه إلى المكلف بالزرع في أيت إخلف لكي يدفع لي أربع غرارات من الزرع، أي 60 عبرة من الوزن الحالي الكبير، وذلك مهم جدا، وقد قلد النظام في كاردوس العادة المخزنية في المملكة المغربية، وذلك أن استقبلنا المكلفون الذين قدمنا لهم طلبنا الذي هو اللقاء بالأمير مره ربه، وبعد الاستشارة، قبضوا منا سلاحنا، كما أمر بعلف خيلنا، لأن كل قبيلة بسوس لها المكلفون بها، ولها مقامها بكاردوس، إلا أن الدخول على الأمير (هكذا يعبر) كان بكل سهولة، وبفرح كبير، وكان القائد سعيد من عائلة إدعدي أوحاماد، هو القائد الكبير المكلف بأمر السلطان هناك.

كما كان الأمير مره ربه الذي خلف أخاه أحمد الهيبة بعد موته - يخرج غالبا وقت المأكولات، أي عندما تبدأ القبائل في الأكل، كما أن شرب الشاي موجود عندهم بكثرة، وقد بتنا هناك ثلاثة أيام، والذي لفت انتباهنا كثرة الهيللة والتعبد، إلى حد أن أصبحت كاردوس شبه زاوية بدار السلطان، والمكان محجر قليل التربة، لا يصلح حتى للتدريب العسكري، وعدد الوافدين والذاهبين، لا يتجاوزون يوميا خمسين فردا، فلا وجود للجيش هناك ولا مدافع حسب ما رأينا» (أمغار عبد الكريم). وعن الأستاذ ما العينين النعمة هذه الرسالة. وله شكري وتقديري.



«البسمة والتصلية : أحببنا في الله تعالى المرضيين وإخواننا من أجلة كافة قبيلة أيت يخلف عموما نخص محبنا الأرضى الشيخ عبد الكريم، والأحبة والطلبة والفقراء أرشدكم الله ورعاكم. السلام والرحمة والبركة عليكم، نحمد الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد : فعلى عهدكم ومحبتكم وصالح الدعوات لجنايبكم فنوصيكم وأنفسنا بتقوى الله تعالى وإصلاحات بينكم وجلب الراحة لبلدكم والسعي فيما يعود نفعه عليكم وبين القبائل جيرانكم وتعليم لولادكم كتاب الله، ففي الحديث أن الله يطفي غضب الله وحافظوا على الصلوات في أوقاتها (فراغ) والجماعة وطريقة أسلافكم الطريقة الناصرية، فهي سنية ربانية لا ابتداع فيها وفقنا الله وإياكم لما فيه خير الدارين سرا وجهرا وسلك بجمعنا مسالك النجاة دنيا وأخرى أمين، هذا وموجبه مقدمنا أخوكم الفقيه سيدي محمد بن سيدي محمد أبراغ نائبا عنا في مشاكلكم وتجديد عهود محبتكم فهو عيننا عليكم، ولساننا فيكم، فالظنون وافر وبركة الأشياخ أن يرشد به ضالكم ويلم شعنكم نفعه الله ونفع به وأجرى الصالحات على يديه، لسائر الإخوان والمحسنين والله على ما نقول وكيل، وقد نوينا زيارتكم ووصول الأقدام لبلدكم فلم يقدره الله هذه المرة، ونرجو الله تيسيرها في مرة أخرى أبرك وأسعد من هذه إن شاء الله، ونجدكم في حالة الخير والسعادة إن شاء الله، ونذكركم الآن أن زيارة بلدكم هذه مرة وهي منفعة عن محل الأشياخ فأيقنوا من غفلتكم واستعدوا لعمل بأن تجعلوا من كل قبيلة مقدما يطوف على المقدمين في أوقات الخير يرشد الناس ويجمع ما أعطى الله والبركة حبوبا وغيرها ويضع ذلك تحت يده حتى يرى محل إذتنا بها هذا أو ييسر الله الإقدام لمحل الأشياخ. تامگروت عمره الله بدوام ذكره وأعاد بركته وبركة رجاله علينا وعليكم حالا ومثالا، فإنه محل أسس على التقوى وسنة الرسول ﷺ حتى صار مركز الطاعات، وباب الله لكل مسلم يريد الدخول لباب فضله علما وعملا والحمد لله أعاده الله بسيرته الأولى، وأعانتنا على القيام بمصالحه الدينية والدينية أمين، وأصلح به أمين، وعلى محبتكم والسلام في رمضان عام 1355هـ طابعه الصغير» موافق 1936م (بجيازتنا).

والملاحظة هنا أن هذا الأمير يريد من جديد أن يجمع له شيوخ القبائل الأعشار والزكوات، تجديدا لما كان في أيام الأميرالمجاهد أحمد الهيبة، ولما انقضى أمره وطرد

خليفته مصطفى إلى الصحراء، أسندت السلطة الإسبانية الجديدة الأعشار إلى شيوخ القبائل ليتقوا من جهة، ورشما تتمكن من جهة أخرى، ولما تطلع الصحراوي إلى الأعشار وإلى تزكية زاوية أبراغ بأيت باعمران، وربط ذلك بالطريقة الصوفية الناصرية بتامگروت، أسرعت السلطة الإسبانية إلى تحريم إمغارن من جمع الأعشار والزكوات، لصالح السلطة الإسبانية، مما جعل إمغارن ينخرطون كرد فعل في مقاومة الإسبان ضد الصبرانية، التي تعني تجنيس أيت باعمران كما سنرى. ولنرجع إلى تسلسل الأحداث وإلى ربطها التاريخي.

### معركة تيزي الثانية سنة 1934م :

كثيرا ما يخلط الناس بين وجود هذه المعركة، وبين السابقة لوقوعهما في تيزي كذلك، وهذه أخطر على مصير أيت باعمران مما سبق، لأن معركة إيگالفن ومعركة تيزي الأولى، شاركت فيها معظم القبائل كليا أو جزئيا، جماعة أو أفرادا، بينما هذه خاصة بحصار أيت باعمران القبائل الست لاستسلام باقي القبائل المحيطة بهم، وقد وكل أمرهم لحملة من الجنود الفرنسيين قادمة بجنودها من وارزازات. إلى مشارف أيت باعمران، وهناك وقعت معركة حتى بالسلاح الأبيض.

افقدت هناك صورة مجسمة بين بعمراني من موضع إدقاقاس وضابط فرنسي، تصارعا حتى قتل كل واحد منهما الآخر بالسلاح الأبيض، وبعد مدة، نقلت تلك الصورة من ذلك المرتفع، إلى باب مستشفى بتزيت، إلى أن أزيلت باستقلال المغرب.

يقول الجندي محمد بوژناري الوردازي : «وبعد ستة أيام من تلك المعركة يوم السبت، هاجمت فرنسا أيت باعمران في إحدى تجمعاتهم بالطائرة في معركة تيزي الثانية والأخيرة سنة 1934م وهناك رأى الناس لأول مرة، قنبلة أسقطتها الطائرة على عدة جمال فشتتهم، مما أدهش الجميع، بينما نحن نرتعد منهم، لصغر معظمنا، فأنا دخلت الجيش وعمري 18 سنة إلى جانب أخي الكبير الجندي، إذ جندت فرنسا جميع شباب وارزازات، وقد مكنتني من صورته كجندي شاب.



وبواسطة أخي عينت في مهنة كوزيني (بالمطبخ) بعد تدريبي، أطهي كل ما يأكله الضباط الفرنسيون الكبار وحدهم، وكنت قرأت القرآن فتعلمت الفرنسية بسرعة عجيبة، فصرت أنا كواحد بين ضباط المحلة منعزلاً معهم، لخوفهم من الغير، وقد قطعنا المسافة راجلين من ورازات، إلى قرية الأرجام بأيت برايم على مشارف أيت باعمران في 15 يوماً. ولم ترجع قبيلة أيت برايم إلى أيت باعمران حتى رجعت حملة الجنرال دولاموط، وكانت مهمة حملتنا هي احتلال الأماكن التي وصلتها حملة الجنرال دولاموط. سنة 1917م. لكن وجدنا أيت باعمران ومن معهم من أيت برايم الجبلين، قد كونوا هناك أشباراً منيعاً، وعمروه بالرماة، وقد حاول الضباط المسؤول علينا تطبيق خطة الجنرال السابق، فأرسل ليلاً مجموعة لاحتلال أشبار المذكور في المرتفع، وذلك قبل الفجر، لكن المجاهدين قتلوا منهم تسعة قبل الصباح، وتراجع الباقون في حالة من الرعب والله رأيت الجنود الفارين يقفزون لصخور وأشجار لا يمكن أن يقدرُوا على ذلك في حالة السلم فأخذ الخوف محلنا بكاملها، حتى الضباط وأنا بينهم شاهد أسمع كل شيء.

ومما زاد في خوفنا كثرة صغار المجندين غير المدربين، وكذلك سمعة أيت باعمران في المعارك السابقة، إلى حد أن ودعنا كثير من ورازات وداع الفراق النهائي، لما انتشر من سمعة أيت باعمران الحربية، لهذه السمعة، ولما وقعت فيه فرقتنا الاستطلاعية حار الجميع، وفشل المسؤولون، فإذا بجاسوس من عين المكان، يقول للضباط المسؤول وأنا حاضر: [ماذا تريد؟ هل أقودك إلى الاصطدام مع المجاهدين مباشرة؟ أم أن أسلك بك طريقاً لا تراهم؟ فقال له الضابط: «قال رسولكم: من الخير ألا أراهم ولا يرونني»؟] ثم قال: «وفي نفس المدة، تعرضت حراسة من لخصاص للحملة الفرنسية الكبيرة قرب بونعمان، في اتجاه لخصاص، لكنها انهزمت، فتقدم المخزن نحو ثلاثاء لخصاص لعقد الهدنة مع أيت باعمران، لأنهم قبلوا إسبانيا بدل الحكم الفرنسي المخزني، بينما محلنا في حرج ورعب ننتظر الهجوم في كل لحظة، حتى عول الشباب على الهروب. فإذا بإعلام بوقف الحرب، سنة 1934م فصار الجميع يصيح بالفرح وبانتهاء الحرب». (محمد بوژناني الورزازي) توفي في 7 مارس 2013م. بالدار البيضاء.

### الإعلام بالهناء مع أيت باعمران :

أرسل الضابط الحاكم بتزيت سرا إلى شخصيتين باعمرانيتين، وهما السيد بلعيد بن الطيب والسيد محمد بن القائد من إصبويا، كانا في العوينة عند الواسط الحاج موسى بن الطيفور، فسلم لهما طلب حضور أمغارن أيت باعمران، بثلاثاء لخصاص لعقد هناء الصلح بين الطرفين.

بلغ المرسلون أجموع بأدار بأيت يعزى حيث جميع قبائل أيت باعمران بعد انسحاب قبائل الصحراء، وعليهم أن يرسلوا غداً أعيانهم إلى ثلاثاء لخصاص، لعقد صلح الهناء بين الطرفين، وفي الحين، حدث هرج ومرج، إذ وقع الخلاف في من يقوم بهذه المسؤولية، وأخيراً طبق العرف القبلي في إبقاء رأس القبيلة بهذه المهمة، فاجتمعت كل قبيلة وحدها على ذلك الأساس، فانتخبت ممثلها مع نائبه معه كما ورد في لائحة التوقيع :

- 1- القائد أحمد بن القائد البشير مع نائبه الفار البشير بن المحجوب عن قبيلة إصبويا مع توقيعه.
- 2- أمغار عبد الكريم بن الحسن مع نائبه الحسين أويهي با الشيخ عن قبيلة أيت إخلف مع بصمته.
- 3- محمد أوفقيروكني بدل الشيخ سعيد وهو نائب عمه الشيخ سعيد المنسحب عن قبيلة أيت الخمس بصمته.
- 4- السيد بلعيد بن عبد الله مع نائبه حماد نبوگايو عن قبيلة أيت النص مع شكله.
- 5- أمغار بارا بن الحسن العسري ومعه محمد بن عبلا ندبولاييد عن قبيلة أيت عبلا بصمته.
- 6- أمغار الحسين بن عبدلاً إبراهيم ونائبه إبراهيم بن بلقاسم عن قبيلة أيت يعزى بصمته.

سيادة الجنرال كاترو حاكم دائرة مراکش وفي إطاره بالفرنسية :

Region de marrakech affaires andigenes. وبعد المصافحة باليد مع الضابط ومع مثل إسبانيا قال لنا : «هناكم الله أيها الباعمرانيون إرجعوا إلى بلادكم وإن المخزن هو الذي سيتحدث مع الآخر».



ورد في هذه الوثيقة المتعبة بين الأيادي حتى تمزقت، ما يمكن استدراكه من ذلك : أن الشيخ سعيد كان هو الذي قبل مجاهدي الأطلس المتوسط المقاومين لزحف الحماية من معركة بوجافر عبر وادي درعة بالأطلس المتوسط، إلى أن دخلوا أيت باعمران، فأصرت قوة الحماية على إخراجهم من أيت باعمران، لكن رفض الشيخ سعيد، ولهذا انسحب في الطريق رافضا الحضور باتفاقية ثلاثاء الأخصاص، فأرسل ابن عمه محمد أوفقيير نائبه.

أكد الحاج عبد الكريم أن « وثيقة ثلاثاء لخصاص، لا تحمل إلا توقيعات إمغارن، مع توقيع الضابط الفرنسي الذي قال لنا : « هذا حاكمهم الإسباني بعدما قدمه لنا فقال : اذهبوا لحال سبيلكم، حتى يفصل المخزن الإسباني والفرنسي في جميع الأمور» ولم يستغرق اللقاء أكثر من عشرين دقيقة، ولم تذكر أسماء النواب إلا في اتفاقية أجموع بأدار بقبيلة أيت يعزى.

### وثيقة الهناء بين أيت باعمران والمخزن :

أولا : سيشمل هذا الهناء كافة قبائل أيت باعمران، ما عدا أهل الساحل، الذين هم كافة في المنطقة الفرنسية، وحيث إنه بمقتضى الاتفاقيات الواقعة بين الدول ؟ تكون قسمة من أيت باعمران داخلية في المنطقة الفرنسية، فإن الحدود بين المنطقتين الفرنسية والإسبانية، ستعين في المستقبل، وحينئذ يلزم لأيت باعمران الداخلة في المنطقة الفرنسية، أن يدخلوا لطاعة المخزن، ويبقى العمل جاريا بشروط الهناء على بقية القبائل أيت باعمران الداخلة في المنطقة الإسبانية فقط.

ثانيا : وشروط الهناء هو كما سيأتي بيانه :

1 - يلتزمون قبائل أيت باعمران (هكذا العبارة) بتمهيد الهناء والصلح في جميع الأحوال، فيما بينهم وبين المخزن والمصارفة معه بالإحسان.

2 - يُخرجون من بلادهم جميع القبائل التي هي عاصية للمخزن ! وخصوصا أيت حمّو وأيت خباش، ويمنعوهم (هكذا العبارة) من السكنى ببلادهم. «وعدددهم

700 شخص، وهو الأصح، بينما يذكر البعض 4000 شخص»<sup>(235)</sup> نقلنا الوثيقة كما هي.

3 - يلتزمون قبائل أيت باعمران بحفظ جميع الطائرات التي عسى أن تقع في بلادهم وإعانة أهلها فيما عسى أن يتوقفوا عليه، وكذلك المراكب التي تمر بالبحر، ويوصلوا الجميع سالما للمخزن بدون طلب عوض عن ذلك.

4 - والتزم المخزن ألا يدخل بلاد أيت باعمران، التي هي في المنطقة الإسبانية، على حسب الحدود التي ستعين في المستقبل، حسب ما ذكر أعلاه. كما التزم أيضا بالسماح لأيت باعمران بالمرور في منطقتهم، ويتسوقون أسواقه، غير أن السلعة المجلوبة من هذه الأسواق، تكون خاصة بأيت باعمران، ويحرمون منها جميع من هو معاديا للمخزن، وكذلك أيت باعمران، يسمحون لأناس منطقة المخزن بالمرور في بلادها والبيع والشراء في أسواقها. التوقيعات في ظهر الورقة حسب الترتيب. ونلاحظ ضعف أسلوب هذه الوثيقة.

لقبيلة أيت السيمور مكانة في تاريخ أيت باعمران، ولهم علاقة بأل الشيخ هم حوالي أربعة قرون على الأقل حسب العقود، المتبادلة بين إيغيسل وتابلوكوكت، كما يتشبه الطرفان بالنسب الجعفري ؟ كما رأيت بقلم الفقهاء السملالين الساحليين، مع العلم أن ابن خلدون ينكر دخول جعفر الشرقي إلى شمال أفريقيا، لكن الناصري يرد عليه بكتاب يثبت فيه الجعفريين في المغرب. وفي ذلك نظر.

وتتنمي هذه القبيلة إلى أيت يها أيجيا، وأيت أيوب، وأيت الخمس، وأيت السيمور، ومن هذه الأخيرة الشيخ سعيد الخمسي بن الشيخ الحسين بن الشيخ يحيى إلى بني الجزولي، ثم من بني علي، (إدعلي) ومنهم أسرة علمية، طوحت بهم طوائح الزمان إلى مدينة أسفي، حيث قدر الله لقلم محمّد بن أحمد العبدى الكانوني أن يسجلها لمكانتها في التاريخ، وهي من فخذة إدعلي من أيت السيمور التي منهم عائلة الشيخ اليزيد والشيخ سعيد، ومنهم «السيد محمد بن علي الباعمراني المدعو السحيمي من أعيانهم، وهو الفقيه العلامة مفتي الديار الأسفية، وحامل راية العلم بها، المتوفى صدر القرن المنصرم. حوالي 1110هـ/1698م ثم الفقيه العلامة الإمام أبو عبد الله محمد بن

(235) المعسول، ج 4، ص 399.



عبد الله الباعمراني الإيسيموري المتوفى بعد سنة 1214هـ - 1799م ثم ولده الفقيه المفتي الحائز رئاسة الفتوى أبو عبد الله محمد بن محمد الباعمراني المتوفى سنة 1272هـ / 1855م. ثم ولده الفاضل الأمين السيد أحمد بن محمد الباعمراني تولى الأمانة بمرسى أسفي سنة 1273هـ / 1856م. ثم ولده الفاضل العدل الدمث الأخلاق السيد الطيب بن أحمد الباعمراني أحد العدول الفضلاء بارك الله فيه» (236).

هذه العائلة في أسفي، ومن نماذجها في أيت باعمران الشيخ اليزيد من أبطال قبيلة أيت الخمس بلا منازع، وكان شجاعاً لا يهاب الموت، ومعه جماعة من قبيلته كل واحد بمثابة صقر من صقور المعارك، إلى أن أتهمهم مهرولة في معركة إيغير ندجامع بينهم وبين إخوتهم الآخرين يقولون للمعارك هل من مزيد، فأقبروا كلهم بصلاة واحدة. غفر الله للجميع. وكل مقدور فما عنه مر. وبذكرهم نترحم عليهم.

وبعد هذه الظروف الصعبة، هاجر الشيخ سعيد إلى أيت الرخا ليكون حلفاً من جديد لرد الاعتبار لعائلته ولقبيلته، وفعلاً برزت شخصيته بسرعة لم يتوقعها خصومه، فهو الذي ربط علاقته بشمال المغرب، وهو الذي جاء من العوينة برسالة تطلب من أيت باعمران بأدار بايت يعزى أن يرسلوا ممثلهم إلى ثلاثاء الأخصاص لعقد صلح الهناء، فانتخب هو من قبيلته ونائبه ابن عمه محمد أوفقي، لكنه انسحب في الطريق لرفضه طرد «البربر» المحاربين لفرنسا اللاجئين إلى حمايته، فمثلته نائبه في اتفاقية الهناء بثلاثاء الأخصاص سنة 1934م. وهل تعددت الرسائل إلى أدار أو هناك خطأ؟ كما ذكر قبله؟ وذكر عبد الكريم وصول الإخبار شفويًا. وبعد مؤتمر الهناء بمرغت، انقطعت تجارة القوافل عبر تابريدا بأيت باعمران نحو شمال المغرب، فتأثر الشيخ سعيد اقتصادياً لتوقف قوافل التجارة، فاتصل من جديد بالشمال لاستمرار هذا الاتصال الاقتصادي فلم يقبل منه ذلك.

#### الذاكرة الحاج موسى العويني :

قصدت هذه الشخصية بداره في العوينة سنة 1981م، فرحب بي معلنا صداقته مع أيت باعمران، فقدمت له نفسي وكان يعرفني عند حفيدنا الحاج إبراهيم مسنهو بتيزنيت، (236) كتاب أسفي وما إليه الكانوني، ص 124.

كما له علاقة قديمة بأيت باعمران، فاستغرقت المذاكرة نصف تلك الليلة. مقترحاً عليه البدء من تيزنيت والعوينة فقال :

«إن أقدم سكان تيزنيت هم إداوماگنون، ثم أصبح الناس يتوافدون عليهم ويستقرون في أرضهم إما بالهدية أو بالشراء. ثم أطلعني على حياته وعلى ظواهر الملوك له وعلى عملات مختلفة للملوك المغرب كلها فضية.

ثم قال : وقع جمع عام بين أعيان أيت باعمران، مع القائد الكلوي في قرية العوينة، فقال هذا الأخير للشيخ سعيد الخمسي : أين المال الذي دفعته لك لتوزعه على أعيان أيت باعمران ؟ - لم أتذكر العدد هل سبعمائة ريال الحسني أو سبعة آلاف ؟ - ولماذا لم تدفع لكل ذي حق حقه منه ؟ فسكت الشيخ سعيد قليلاً يفكر في جواب مناسب، لكنه لم يرد، وهذا هو السبب الداعي إلى البحث من جديد عن شخصية في مستوى التعامل المطلوب، فوقع الاختيار على الشيخ مبارك بوزاليم من آل الشيخ هم الباعمراني الذي هو منكم، فورث ذلك عنه ابنه الشيخ محمد بن مبارك بوزاليم. صاحب القوافل التجارية الرابطة بين وادي نول والصويرة، فاتفقا معا فكونا حلفاً قليلاً حيث قوة الشيخ سعيد رابضة في برج بوزاليم الخلفاوي بتيغزي، ضد حلف أيت بوبكر أجمعين في المدرسة العتيقة، فتوقف العمل في سوق خميس أيت بوبكر، إلى أن رجع بوزاليم إلى قبيلته بعد حروب، وذلك بعد إقناعه من طرف الشيخ مبارك بن القائد أحمد ومعه الشيخ بلعيد بن عبلاً أبلعيد البوبكري في ليلة بسهل ألوراض بتيغزي للمذاكرة في الهناء، بين القبيلتين، وبعد المذاكرة على ما سبب فيه من تعطيل الأسباب والسلم، ندم وأقسم أن ينهي حراسة السيموريين من داره غدا، وقد استجوبت الشيخ بلعيد فقال : نعم، قد عزمنا على قتله غدرا، وهو لا يدري، وقد وصلنا ليلاً في الموعد وحده بلا سلاح ولا مرافق، فنجانا الله ونجاه من تلك الليلة.

وبعد ذلك الصلح استمرت قافلة التجارة للرجلين معا. إذ كان الشيخ بوزاليم والشيخ سعيد من الذين يحاولون دائماً ضم أيت باعمران إلى الحماية عبر تيزنيت بدلا من الإسبان، لذلك كانت قافلة بوزاليم بمثابة جواز السفر بين الجنوب حتى الصويرة،



إذ يكفي ذكره فتمر العشرات من القوافل . وكثيرا ما قمت بالوساطة» (الحاج موسى العويني).

وفيما يخص تيزنيت فهي قديمة، قدم عينها الزرقاء كواحة لا يمكن لمكانها ولواحتها أن تكون خالية من التعمير، وهناك ما يدعو إلى البحث والتنقيب في عين المكان لربط الحاضر بالماضي، ومن أقدم ذلك أسطورة الأميرة البربرية الزناتية قبيلة بدلا من الزانية الواردة ملصقا بديوان قبائل سوس للمنصور الذهبي، تلك القصة التي ترتبط باستخراج عين تيزنيت، ولعل هذا الاسم موجود في جزولة.

وقد كانت مقر تدريب المجاهدين لهذا الجنوب قبل محاربة البرتغال بأكادير، مثل دور تارودانت في ذلك الجهاد، وقد صارت تيزنيت من إحدى نزلات السلطان السعدي. ومعناه كانت حاضرة قبله، كما كان سورها البسيط يتحدى بشباب تيزنيت سيدي هاشم من تازروالت، «وهناك عقد بيع صحيح ذكرت فيه مدينة تيزنيت بتاريخ ربيع الثاني عام 1186هـ بخط سيدي علي بن محمد بن أحمد الرسموكي نسبا البونعماني» (وثيقة عند مبارك النومري بتيزنيت) وذلك في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي. وعليه فكيف تهمل في عهد الرشيد وإسماعيل وعبد الله، وهي في طريق الجميع؟

لكن الحجر الأساسي لشهرتها وتعميرها انطلقا من عام 1299هـ عندما عينها السلطان الحسن الأول محل المخابرة لسائر عمال القطر السوسي، ولا يبعد أن تقسيم سكانها الحاليين، دليل على استمرار تضامن السوسيين حسب تقسيم تركز الجهات الشرقية إداكثوفا: الجبال، وفي الجنوب إدزكري: أباينو، وفي الغرب إد محند إيسينغ، وما تراكم عليهم فيما بعد، ولا يعقل أن تكون تلك الواحة بعينها قبل أن يقسم بدون السكان، إذ هي جنة في أزغار في نظر القاضي أحمد بن إبراهيم السلمالي الباعمراني، كما قال لي سيدي محمد أوعبلا مؤسس مدرسة دوغادير سنة 1983م:

- انظر إلى تيزنيت في قاعها، كأنها الجوزاء وسط السماء.

وكان هذا القاضي أحمد السلمالي الباعمراني هو الذي قسم لأهل تيزنيت، مراقبا تنفيذ ذلك لمدة ثلاثة أشهر مقابل إكتر وشملال في باب أيت جرار، كما قسم لأيت

محند وهم ثلاثة ذكور، ولهم مخطوط يتحدث عن أصلهم الباعمراني كما رأيت ويوجد عند السيد محمد بن سعيد من إدوعدي من فريق إد محند التزنياتي المتوفى 1966م وهذا القاضي توفي بتزنيات يوم رجوع السلطان الحسن الأول، فنقل إلى مقبرتهم بالسيحل.

ولنرجع إلى الذاكرة الحاج موسى يقول: «لما جاء الحاج عبد الرحمان إلى تيزنيت طرد من الحكم إمغارن وولى بعض الطلبة ومن المطرودين الكبار، السيد مبارك أبو الباكور من أعيان إداكثا، ثم السيد بلعيد ند واعراب، ثم الشيخ محند ند إحيا، ثم محند أعبلا ند لاشكر. وكلهم إمغارن.

وكان القائد هو مبارك بن القائد هم، إذ كان أخوه قائدا للحسن الأول، إلى أن مات، فتولى بعده. ولما خرج القائد ابن دحان، صاحبه أهل تيزنيت لوداعه إلى أتبان وهم سيكون لفراره عام 1333هـ / 1914م. وقال لهم: اختاروا واحدا منكم ليتولى عليكم، أما أنا فإني ذاهب، فعينوا القائد مبارك، وبعد ابن دحان خلفه الحاج عبد الرحمان الحاحي أرسله النصاري من أكادير، وخرج القبطان الشلح من مرسى أكلو.

ولما وصل القائد عبد الرحمان طرد هؤلاء الكبراء، وجعل مكانهم بعض الطلبة، وبعد مدة قدم الباشا حيدا بن ميس، وكنا نحن آل الطيفور من هؤلاء الأعيان، المطرودين، فذهبت عائلتنا إلى أيت باعمران، الذين كانوا سرًا مرعبا مخيفا أمام فرنسا ومن معها، وخاصة لما انهزم حيدا ورجع ابنه إلى دار الشياظمة التجار الكبار مثل السي علال وعبلا، وسكن دارهم ثلاثة شهور، حتى جاء الكولون من جديد، وفيه الحاج التهامي وجميع قواد الغرب.

ومن القواد المقتولين مع حيدا في معركة إكالفن من طرف أيت اعران، كل من عبد السلام بن الحاج الرامي، وبوهوش ن بولفرا، وهمو نايث سعيد، فغنم حميدوش الباعمراني فرسه، والشيخ مسعود ن أوامنو، والقائد العام للجيش، بومزوغ الحاحي، والقائد السي بلعيد مع فرسه، بالإضافة إلى الباشا حيدا بن ميس. ومن الجرحى خليفة حيدا البهناز الذي هو صهر حيدا إذ تزوج حيدا أخته، ثم قائد الراحة أحمد البربوشي الرحماني، وفر عياد الجراري تاركا فرسه.



ولم يكن الغلاوي مع حيدا في محلته هذه، وكان أولئك القواد لابسين الدوائر الملقية والجلباب كأنهم ذهبوا إلى أفخم عرس، وكان حيدا لا يحمل إلا العصا والخنجر، وهو شيخ كبير. وكان الحاج حماد عندما كان في تيزنيت يستعين بالرائس المغني الحاج بلعيد ليزيل عنه الهموم، في انتظار القوة التي ستأتي من الغرب، وكان الحاج علي أوتمايأت أمين ألمانيا بالصويرة ومعه الحاج محمد غوغبالو بإيفران والحاج الحسين بأكلو، وهم الذين دفعوا له البغال لحمل أمتعته إلى الصويرة، وهناك قام بحلقة من أغانيه استهوت الجميع، في الصويرة، فوصل الخبر إلى ولد أنفلوس في رياضه، وكان حزينا على قتل والده، من طرف عبد له خبان قائد الشياظمة وكان هذا العبد صغيرا.

فإذا بمعركة بين الشياظمة وحاحة، وتقابل القائدان قبيل المعركة : الحاحي وخبان الشياظمي، فقال الحاحي يجب أن نضع بلادنا في الهناء، فقال خبان باستشارة القائد عبد المالك، فانقض عليه الحاحي وخصمه كان ملثفا في عباءة كعادة القدماء، فأطلق الحاحيون الرصاص على الشياظمة فهربوا، تاركين قائدهم أسيرا في يد الحاحي، فإذا بأولئك يتوصلون بالعبد الذي أهده خبان للحاحي، ليقوم بقتل خصمهم عندما يخرج من الحمام، انتقاما للمسجون، فعلا قتله، ولما قبضوا على العبد علقوه في شجرة فصاروا يرمونه بالرصاص حتى تشتت عن آخره، تطبيقا للعرف.

ورغم تولي ابنه محمد بن القائد أحمد الحاحي، فقد بقي حزينا على والده، إلى أن أخبروه بالرائس بلعيد بالصويرة ليزيل عنه حزنه بأغانيه، فعلا جيء به وبفرقة فشرط معه شرطين : ألا يعيد أغنية غناها من قبل، بل عليه أن ينتج أخرى، وألا يغني لأبناء القائد أوتيگي، وإلا قتل.

فإذا بأولئك يطلبون من بلعيد الذهاب إليهم، لكن الاتفاق منعه، فأرسلوا رسالة إلى القائد محمد أكسيم بانزگان بأن يرسل إليهم بلعيد أو أن يقتل، فحبسه أكسيم ليقتله في داره وكان يغني له كل ليلة في انتظار المصير، فإذا بأمة بالقصر توحى له بأن يغني على أم باشا إنزگان فغنى الأغنية المشهورة : [حورمان د بليج ، حورمان ن توكايت] فعفا عنه الكسيمي بتأثير من والدته.

ثم أملى علي الحاج موسى قصيدة للرائس بلعيد في ذم العبيد، وقلة الأمان فيهم ، مالم يكونوا من الأفارقة الأحرار». (الذاكرة الحاج موسى العويني) ياعجبا كيف نفرط في مثل هذه الخزانات التي تمشي على رجلين، وما ذكر هنا أقل بكثير، فالرجل يستحق مؤلفا غنيا، فحياة الرجل مرآة لما مر هناك وهو كثير.

ثم قال : «أما أنا فعندما كنت لاجئا إلى أيت باعمران، كنت أنزل عند كبرائهم وأعيانهم وهم عظماء في السلم والحرب، في السخاوة والكرم، رجال قوة وحرب، ومنهم صديقي التاجر مسنهو، والشيخ بلعيد وحمایدوش والسي محمد بن القائد الوجداري، والشيخ محمد بن القائد أحمد الخلفاوي عمك ياجهادي، وحسي نگرري وهم الذين أثروا على القائد الكونتافي حتى عينني أمغارا على العوينة. وكنا تاجر ونريح بشكل عجيب. والكل دائما مع دارالشيخ محمد بن مبارك بوزاليم، الذي كلمته مقبولة عند القائد الكونتافي الذي كان يتحاور معهم في شؤون أيت باعمران، ويلييه الشيخ سعبد، ثم الشيخ محمد بن القائد أحمد، كل هؤلاء تجار مع القوافل إلى الصويرة..»

وقد دفع الكيلولي لبوزاليم يوما 37 ألف ريال حسني دفعها له الكونتافي لكنه فرقه مع الشيخ سعبد الذي يفرقها بدوره في أيت باعمران، ثم قال : ذهبنا لدار الشيخ سعبد، فوجدناها مثل دار الباشا وأكثر وانتظرنا اللقاء معه 22 يوما لكثرة الناس وأن كل من لم يأت بورقة من عنده لا يمكن له أن يصل إلى أزغار، فعلا جاء معي بوزاليم ليصل بيني وبين قائد تيزنيت الحاج عبد الرحمان ولما وصلنا إلى العوينة قال له عمي أمغار محمد أوبوجمة رقا الحاج عبد الرحمان إلى أمغار.

ثم انتظرت إلى موسم سيدي بوعبدلي فتسوقت ومعني أحمال من السكر وعند البيع وقف علي مخزنيته قائلين كسرت نائبة المخزن، وفعلت وفعلت ! فناولتهم نصف قالب من السكر، وقلت لهم من بعد تتذاكر في هذه الأمور، فعلا ذهبوا فإذا بصديق لي سمع ذلك فذهب إلى أعيان أيت باعمران، وجمعهم وأخبرهم بما يحاول قواد تيزنيت أن يفعلوه بصاحبكم العويني هذا، فإذا بهم تحلقوا حوله ومنهم :

1- الشيخ مبارك بن القائد أحمد الخلفاوي عمك ياجهادي.



2- وأنفلوس السيد عيسى بن عثمان الخلفاوي.

3- والشيخ بلعيد المرسي البوبكري.

4- وأنفلوس أحمد حمايدوش البوبكري.

وفي السوق هذه نادوا على بوزاليم فقالوا له قد قلنا لك يجب أن تحرر موسى العويني بما يفعل هؤلاء، فأجابهم قد فعلت، فقال له عمي يجب أن توصله إلى الباشا، وبينما هم في ذلك الكلام، فإذا بقيادة أشتوكن الذين في تيزنيت، يقبلون على أولئك الباعمرانيين، فتذكروا وقالوا ما الخبر؟ فأخبروهم بما وقع، فقالوا لهم حالا نذهب إلى الخليفة، السي محمد بن إبراهيم، ولد أخي الباشا الكونتافي، وفعلا حرروني ومع ذلك اشتغلت بالتجارة في أيت باعمران، كما طلبوا مني أن أبقى واسطة بينهم وبين أيت باعمران، وهكذا أغاثني الله بأيت باعمران رجال المواقف الصعبة.

«وفيما يخص الكونتافي بتزيت، فقد اشتكى أهل سوس بما فرضه عليهم من الضرائب، ولذلك كتب القائد المدني الأخصاصي إلى جنرال مراكش رسالة ذهب بها الحاج أحمد الضرضوري، ولما وصل إلى مراكش، استدعاه الحاكم، فأخبره برسالة المدني وبمغادرة الناس للبلاد لصعوبة الضرائب، وطلب منك رفع الكونتافي من تيزيت، ومن أجله رفض الناس الخضوع للمخزن، كما نطلب إرسال أحد من عائلة السلطان إلى تيزيت.

وفعلا أرسل الحاكم إلى حاكم أكادير، بأن يسلم للحاج أحمد الضرضوري ثلاث بندقيات ربابية وألف قرطاصة وألف ومائتين من الريال الحسني ليسلمها إلى المدني فتم ذلك كله، ثم أرسل إلى القائد الكونتافي بالإقلاع من تيزيت، فأرسل مولاي الزين بعد خروجه من السجن بعد ثورته بمكناس إلى تيزيت، فاشترى النصارى المرس من الكونتافي بتيزيت، فسلموه لمولاي الزين، ثم فرض فرنكان على كل دار لصالح مولاي الزين بسوس الخاضعة للمخزن، بالإضافة إلى خرفان العيد» (الحاج موسى العويني).

أما الشيخ سعيد الخمسي فقد استرجع مكانته بعد الشيخ اليزيد، وذلك بتروسه على قبيلته بشهادة مجموعة من أفخاذ القبيلة الكبرى بواسطة عدد إنفلاس الخامسة

عشر الآتية عددهم : 2- من أيت أيوب، 2- من إذموساكننا، 2- من إداوسوگم، 4- من أيت إيسيمور، ثم 4- من إغلاويين، 1- من سَمَاهرا. وقد جددت هذه الرئاسة سنة 1946م وبذلك صار يمثل بصفته أمغارا لجميع 10773 نسمة.

سهر الشيخ سعيد على تدوين أعراف القبيلة وعلى تنفيذها باتفاق إنفلاس المذكورين، فانضبط المجتمع، وانتشر الأمن بين القبائل بفضل تطبيق العرف (أزرف)، فأسس سوقا مؤقتة في أداگ ن سيدي حساين، بينما أسس أيت بوبكر سوقهم عند الصالح سيدي علي بوزيد (المسيد الأحمر). كل تلك التفرقة بتدخل السلطة الاستعمارية. وبدخول الإسبان، صار مقدما على جميع إمغارن في أيت باعمران عند الكلام مع الإسبان باتفاقهم على جمع الكلمة، لذلك كان الإسبان يحاربونه على الدوام، لما له من علاقة وطنية بالمخزن المغربي بتيزيت بشكل سري حسب ما لدينا من مراسلات. عن طريق الحاج موسى بالعوينة.

أما سبب عدم حضور الشيخ سعيد في ثلاثاء الأخصاص فلأنه كان يدافع دائما عن المجاهدين الأطلسيين، وخصوصا أيت حمو وأيت خباش، رغم نص اتفاقية ثلاثاء الأخصاص سنة 1934م، وكان يعلم هو والقائد أحمد مضمن تلك الاتفاقية قبل الذهاب إلى عقد الهدنة، كما أكد لي العويني، لذلك يعلن أن تلك الاتفاقية الظالمة، لا تلزمه من دون الستة الباقين من أعيان أيت باعمران، وهكذا صار نموذجا باعمرانيا وطنيا بكل المقاييس.

### اتفاقية أيت الخمس على الشيخ سعيد :

بعد الحمدلة والتصلية : «وبعد فقد اتفقت قبيلة أيت الخمس عمومهم وخصوصهم على متولي أمورهم الشيخ سعيد بن الشيخ الحسين بن الشيخ يحيى الأسماري وابن عمه الشيخ بريك بن يحيى بن يحيى (مكررا)، وإبراهيم بن علي بن بوهي من نسبه، وحسن بن عدي بن أحمد بن داود الأسماري، وسيدي بايرونك بن بريك الأسماري، وأحمد بن لحسن بن حورية الإعلاتني الأسماري، والفقير جامع بن مبارك بن لحسن الأيوبي، والبشير بن محمد بن بلعيد الأيوبي، وعبد الله بن سيدي بلعيد بن سيدي



أحمد بن علي بن حموش الموساكناوي، ومحمد بن علي بن مولود بن بريك بن بائة الموساكناوي، وبائة بن بلقاسم بن حماد الأوكوغي الأعلاوي، ومحمد بن سالم بن العريب التوكتنفي الأعلاوي، وحسن بن إبراهيم بن المؤذن الرمضاني الأعلاوي، وإبراهيم بن مبارك بن علي الأغراني الأعلاوي، وعلي بن بلا، والسبي به الأسماهري، ومولاي علي بن حماد بن محمد الجراري السوگمي، وسيدي الحسين بن حماد بن زاغو السوگمي.

على قطع مادة النزاع والخصام الذي ندب قطعها بين ذوي الأرحام والفضل (التفاضل) في شروط نساء قبيلتهم، وهو غاراتان من الزرع، وصاع من الإدام، وكبشان، فكان بعضهم يقبضونها بعينها، وبعضهم بثمانها، وبعضهم بثمان قليل إلى الآن، فاصطلحوها وقوموها بثمانين ريالاً إسبانية للبكر، وأربعين ريالاً للثيب، وجعلوها حكماً لازماً بينهم في نساء قبيلتهم بينهم دون غيرهم بعد مشاورتهم ذوي علم، فأفتوهم بذلك، صلاحاً وقطعاً لمادة النزاع والخصام بين ذوي الأرحام.

والفضل على قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ردّد «الحكم بين ذوي الأرحام حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يورث الضغائن وذوي الفصل كأنهم إخوة» وبه كتبه بعد الاتفاق والرضى والجواز بين الغلاء والرخص في أول صفر الخير والبركة، عام اثنين وستين وثلاثمائة وألف. (1362هـ/1943م) عبد ربه عبد الله بن الحسين بن سعيد الموسكناوي لطف الله به أمين. وعبد ربه إبراهيم بن عثمان بن محمد الأيوبي وفقه الله. الحمد لله وحده أعلم بثبوت محمد بن حسن بن الحسين الموسكناوي في الزاوية» هكذا قن عرفهم الصداق فانتهى الخلاف.

#### الصراع بين الشيخ سعيد والإسبان :

«بعد الحمدة في 16 محرم عام 1346هـ. من سعادة القبطان دُ بولماز الحاكم الكبير بتيزنيت ونواحيها، إلى الشيخ سعيد الخمسي، السلام التام، وبعد : بلغني كتابك وفهمته، والذي أقوله لك : أن تكتب رسالة لصاحبك الذي اشترى لك الحبوب، مينا المحل الذي هو فيه، تصلني تلك البراءة، وأنا أبعثها لصاحبك مع التسريح، لحمل ما

ذكرت في التموبيل أو الكاميو إلى تيزنيت، فإن الناس كلهم يكترون على حوائجهم إلى تيزنيت، وبه الإعلام. بارك الله فيك والسلام. الطابع والتوقيع. وفي النهاية تقبلوا مني أيها الإخوان تحياتي وتقديري والسلام». (في حوزتنا) واستمرار علاقة الشيخ سعيد بتيزنيت معناها عدم الاعتراف بالإسبان، ولكي يلغي الإسبان علاقة الشيخ سعيد بالمخزن المغربي، أصدر الكولونيل كباص تعييناً ألقى به العرف القبلي الذي يعين إمغارن من جهة القبيلة، وجعلهم معينين من طرف الحاكم الإسباني من جهة أخرى هكذا :

«الحمد لله، إلى جماعة أيت الخمس، وإداوسوگم، والسماهرة، اعلموا أن الحكومة الجمهورية الإسبانية وأناي بكوني صفتي حاكم بهاذه البلد - قد وليت عليكم أمغار سعيد بن الحسين بن يحيى، أن يتخذ ما اشتملته القوانين العرفية التي جرى العمل بها في أيت باعمران، ليعاملكم بالإنصاف، ويسلك بكم طريق الخير، ودمتم بخير والسلام. في 2 ماي 1934م / موافق محرم 1353هـ الطابع بداخله كباص الله وليه» (في حوزتنا).

كان الإسبان لا يثقون بالشيخ سعيد، ولذلك كانوا يشددون عليه، وكان من أول من عينه كباص من إمغارن قانونياً، فعل ذلك للقضاء على العرف الذي عينتهم به قبائلهم في أجموع بأدار بايت يعزى، وفعل ذلك بالقضاة والعدول قال عبد الكريم : كنا نحترم الشيخ سعيد باتفاق، ولا يتكلم أحد منا في المجلس قبله، ولذلك يحاربه الإسبان أو ينافقونه هكذا :

«أسعد الله أيام أمغار سعيد بن الحسين سلاماً تاماً وبعد : توصلت بكتابك مع المكاحل (نزع السلاح) وما ذكرت لنا فيه صار بالبال، ومن أجل الفرنسيين اتركوه على ماكان عليه، ولا يضربهم أحد بسوء، والمقصود عندهم لا تلحقك أدنى مضرة عسكري واحد منهم، واتركوا وصالهم، واعلم أن الدولتين الإسبانية والفرنسوية ينتظرون ذلك. والكلام عليه، وهذا منا إليك، ودمت بخير والسلام. في 8 ماي 1934م / 1353هـ الطابع كباص الله وليه بالعربية». (في حوزتنا)

والحق أن الشيخ سعيد كان دائماً ضد الاستعمارين، فقد أوى مجاهدي الأطلس ضد فرنسا، كما كان دائماً ضد الإسبان حراً وطنياً باعمرانياً قحاً، كما أنه لم يترك فراغاً



من بعده بفضل وجود ولده بعد وفاته، وهو الشيخ محمد بن سعيد الساهر على تكتل قبيلة أيت الخمس التي بدورها احترمت هذه العائلة، فاستمرت سمعة القبيلة ماديا ومعنويا، فعلا وحضوريا، وقد شهد له فعلة على تأدية ما عليه من مسؤولية حتى توفي، فثبتت له. حسب ما بلغني في نهاية يناير (2000م).

وهو رجل كفاء قاد قبيلته مثل والده المقاوم، وحدث أن زرتة في داره صحبة ابن عمي الشيخ مبارك بن مبارك في سنة 1985م وسجلت عنه ما أمكن من ماضي عائلته مباشرة، كما توصلت بنسخ من رسائل إلى والده، وهي كثيرة من العدل أحمد الرموك أحمد سنة 1969 بإفني، ولم يقدر لي أن أحضر يوم وفاته، وبلغني أن شخصيات من أيت باعمران قد حضروا دفنه وأشادوا بمكانته وبمواقف عائلته التي بها مزيد من الشهامة والرجولة الباعمرانية الوطنية أبا عن جد، كثر الله أمثالهم في هذا الوطن، وسبب زيارتي المذكورة لعلمي أجد لديه ما يؤكد الرواية الشفوية التي تربطهم بعائلة إدالشيخ هم الخلفاوية.

#### السم ضد أبطال أيت باعمران :

كان الشيخ سعيد الخمسي هذا، والشيخ الحسن الخلفاوي، والشيخ البشير الأصباوي فسمهم القائد محمد الأغبالوي بماست، وكذلك لحسن بن علايات أصبايو، كما قتل به كذلك القائد لحسن أصبايو والشيخ مبارك بن القائد أحمد الخلفي، وأخوه من بعده الشيخ محمد بن القائد أحمد الخلفي، وكذلك أنفلوس محمد الضبيغ الخلفي واللائحة طويلة. والثلاثة عندما نزلوا عند القائد محمد بأغبلو ماست، فمات الخلفاوي والأصباوي، فمرض الشيخ سعيد طول حياته. وهذه رسالة طبيب بخط عربي جميل هكذا : «أمغار سعيد بن الحسين الخمسي، الأغذية التي يأكلها والتي يمنع من أكلها، فالذي يأكله الحليب والخضرة بجميع أنواعها، وكذلك الحوت الأبيض يأكله والدجاج لا يأكل منه إلا قليلا.

الفلفل يمنع من أكله على أي نوع كان والبيزار، ويمنع من أكله، واللحم لا يأكله سواء كان من البقر والمعز والغنم، وكذلك مخ البقر، وما ذكر معه يمنع من أكله ويمنع من أكل

شواء الكبب، ويمنع من شرب القهوة لا بالحليب ولا بغيره، ويمنع من شرب الأتاي القوي لا الخفيف يؤمر بشربة ما في البوش من الدواء مع ملعقة من الدقيق الأبيض، ويستمر على شربه إلى تمام الشهر، لكن استعماله قبل الأكل وبعد فراغ البوش من الدواء لا يأكله إلا عند شهر آخر. فإن أحس بالوجع، يأكل فنيذة واحدة، وإذا استمر الوجع نحو ساعتين، يأكل واحدة أخرى، وبعد انقضاء الوجع وتماه يضرب الإبرة، الله أكبر ثلاث مرات».

#### شكاية الشيخ سعيد ضد الصبرانية :

بعد البسملة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. في شهر رجب عام 1366هـ الموافق شهر مايه سنة 1947م «سعادة الحاكم الكبير نائب الدولة الإسبانية المفوض له بأيلة سيدي إفني والصحراء كرونيل خوسي برمخوا، بعد إهداء ما يجب لمرتبك الفخيمة من مراسم التحية والتسليم، فإن جميع المسلمين أيت باعمران وجهوا لك هذه الشكاية، لتعلم أن أيت باعمران لما اتفق أمرهم على أن يتكلموا مع الدولة الإسبانية في تاريخ افتتاح 1353هـ الموافق لسنة 1934م ليكونوا معها وتحت حمايتها بعدما أخبروا أن بعض مراكب إسبانيا ستظهر بمرسى سيدي إفني، فتشوفوا إليها وانتظروها 45 يوما، ولما ظهرت وتحققوا مجيئها ابتدروا إليها وتسارعوا نحوها وأشاروا إليها (بالرموز) بعد أن أدخلوا زوارقهم وأخرجوا منها ذلك الرجل الكبير الموصوف بالذكاء وحسن السياسة كباص، واجتمع معه أعيان أيت باعمران وأشياخهم وبعض من رعاياهم، وأظهروا له من الفرح والسرور والحبور وما لا مزيد عليه، وأنزلوه ضيفا من بعض دور أمزدوغ، وأكرموا نزله، وفعلوا عليه حرسا من أنفسهم بحيث لا يصل إليه أي شي، ولما استقر به الثوى، أخرج شردمة من العسكر، ودار بهم في جميع بلاد بعمرانة، ورجع لسيدي إفني، ثم خرج ثانيا لجهة الساحل، ولما رجع طلب من جميع أيت باعمران سلاحهم، ودفعه له من غير إكراه ولا ممانعة من أحد، ثم اجتمعوا معه أيضا في أمزدوغ، فاتفقوا معه في مهماتهم من شرعهم المحمدي وقانوناتهم العرفية، وعقدوا معه عقدا يتضمن إبقاءهم على شرعهم المحمدي وأعرافهم، وأعطاهم خط يده على ذلك .... تلك المدة المديدة إلى نحو عامين من هذا التاريخ أعني 6 أبريل سنة 1947م .... فأظهرت الدولة الإسبانية لأيت باعمران،



غير ما هو الظن من الغش والخديعة للمسلمين، حيث أرادوا أن يجعلوهم سبرانيين (مسيحيين) من غير علم من المسلمين، ولا رضوا أن يبدلوا شرعنا المحمدي الحنيفي بشرعهم القانوني المنداس؟ وتنسبون بلدنا المغربي الإسلامي لبلدكم الإسباني في جرائمكم وكنائشكم، خيانة بالمسلمين، مع أن الدولة الإسبانية لم تستول علينا بالقهر والغلبة، ونحن الذين طلبناها وأخرجناها ومكناها من أسلحتنا وبلادنا، تبني فيها حيث أرادت بلا معارض يعارضها، حبا لها منا حتى مكنت مخالبيها في نحورنا، وصارت تجذبنا شيئا فشيئا إلى أمر منكر فظيع، ليس من الإسلام في شيء، وهو الصبرانية، وهو الخروج من الدين والعباد بالله تدريجيا وخداعا، والمسلمون يأبون هذا ويكرهونه، وليس من القانون الشرعي المحمدي أن يدخل المسلم في دين من الأديان الباطلة بلا إذن السلطان، لأنه هو الأخذ بزمة المسلمين حيث كانوا، وهو المتكلم عليهم، والمكلف بأمرهم، وقد حكمت الدول الآخرة على المسلمين في كل ناحية من هذه البسيطة، أزيد من مائة عام، ولم يظهر منهم ما يخرج المسلمين من دينهم الحنيفي من قول أو فعل أو إشارة من أمور الحكومة، كرفع أعلامها دون أعلام المسلمين، كما فعلت الدولة الإسبانية معنا، أعني قبائلنا أيت بعمران، حيث رفعوا بندرتهم الإسبانية، وأخفوا بندرة المسلمين بغضا لهم وإخفاء لحقوقهم الإسلامية، وليس هذا من حسن المعاملة وصدق المصادقة بين أيت بعمران والدولة الإسبانية الفخيمة، وقد كنا نعد الدولة تعين على الدين الإسلامي، فإذا بها برزت في استئصاله بغضا للمسلمين، مع أن أيت بعمران يحبون الدولة الإسبانية حبا خالصا صادقا يصيبهم ما أصابها في الشدة والرخاء، وقد أراق المسلمون على تحرير إسبانيا دمهم أعز نفوسهم كل هذا في علم دولتنا الإسبانية، ومن الخدع البينة والدسائس الشيطانية، ما أظهرته الدولة الإسبانية من تغيير مساجد المسلمين في كنائشهم كنائشها من غير سبب يوجب ذلك، وهل لكم مدخل في مساجد المسلمين ومحال تعليمهم؟ لا نقبل هذا أبدا، ومن حيث تقييد التصويرة لجميع رجال الحكومة وتنميرهم كالأجناد (يعرفون بالرقم فقط) وتعدى هذا الأمر الفظيع إلى تصور النساء وتنميرهن (ترقيمنهن) وهل للنساء تدخل بين الرجال في الحكومة الإسبانية، وفي علمنا... أن الله تعالى مولانا جل ثناؤه، فضل الرجال على النساء الآية، ولم تظهر لنا الخديعة إلا من حيث... أمر الناس ليضعوا خط أيديهم على كاغيط

التصور من غير المعرفة ما بداخله، وما يشعرا لعله كفر، لأنه مكتوب بالعجمي لغة قومهم الإسبانية، خال من العربي المعروف عند المسلمين المخدوعين، لأن كل من وضع يده على شيء لم يعرفه فلا يلزمه في شريعتنا السمحاء، ومن الخدع في الدين ما تعلمون لصبيان المسلمين الصغار من أن المسلمين لا دين لهم، ولا رأس ولا أدب، وأن المسلمين همج، ويجبر المعلم الصبيان أن يفصحوا بمثل هذه المقالات الشنيعة التي لا يرضى بها أحد من المسلمين، ولو كان يؤدي إلى إتلاف الأنفس والأموال وأن يبقى أولاد المسلمين بلا أدب، خير من هذه الآداب المؤدية إلى إفساد عقولهم وقرائحهم وعقائدهم الإسلامية، وهو أكبر داء أصيب به المسلمون المخدوعون البؤساء، إذ الواجب على أولاد المسلمين أولا أن يتعلموا أحكام الدين والتوحيد حتى يكون لهم التمييز التام، وحينئذ لا يضرهم تعليم شيء آخر من علم الصنائع وغيرها من العلوم، وتحت طاعة سلطان المغرب يصيبنا ما أصابه، والمطلوب من جانب حاكمنا كرونيل برمخوا أن يزيل علينا ما يضرنا في ديننا الإسلامي من الكتب بالعجمي إلى لغة العربية المعروفة عند المسلمين ليعرف ويطلع عليه وفق المعهود عند المسلمين شرقا وغربا وأبقنا محميين كما كنا أولا من هذه الأعوام الماضية. لكم دينكم ولنا ديننا الحنيفي المحمدي، لا تتكلموا في الدين الإسلامي لا في مساجدنا ولا في أولادنا الصغار، وقد رفع المسلمون إليك هذه الشكاية، لتكون على بصيرة في أمرهم، لأنهم مظلومون ومخدوعون، وليكن في علمك أيها الرئيس كرونيل برمخوا، أنك إن لم تساعد المسلمين على ما طلبوا منك من هذا الأمر الشنيع، فإنهم يرفعون شكواهم إلى برميل خيف سلطان الدولة الإسبانية وكاهلها سنيور فرانكوا، هذا ما به الإعلام كما نقول وليحي الإسلام، وملكننا ولتحي إسبانيا وملكنها على لسان جميع أيت بعمران، كبيرا وصغيرا، ذكورا وإناثا. والسلام» (وثائق الاحتجاج ضد الصبرانية) هذا نموذج من رجالك يا بعمرانة، وتلك رد فعلهم بكل قوة باسم أيت بعمران أجمعين.

#### شخصيات موازية في جهة إصبويا :

ومن تلك الشخصيات نذكر من قبيلة إصبويا عائلة القائد البشير بن القائد لحسن أصبايو فقد «كان رجلا عاقلا ينظر لعاقبة الأمور، فسليم من الخلاء، فلما رأى الناس قاموا



لتخريب القيادة، كان أول من قام وأظهر ما في خاطر العامة، فرأس وفي الحقيقة لم يرض فعلهم كما قيل، من عام 1321 إلى عام 1333هـ فأدرکه الأجل في ماسة، وقيل بالسم كذلك، كما اشتهر ذلك في قتل القائد لحسن بن عليات بماسة كذلك» (روضة الأفتان ص 117) كما سممت مجموعة من أعيان البلاد غيرهم...

وهذه رسالة من السلطان مولاي الحسن الأول منها :

«خدينا الأرضى القائد لحسن بن عليات الصبوي، وفقك الله وسلام عليك ورحمت الله وبعد : فقد حللنا يوم تاريخه حذو قصبه تزيت، حلول يمن وإسعاد وأيادي الله متواليه بحمد الله في الإصرار والإيراد، ومقامنا فيه بعض الأيام بقصد الاستراحة وأعلمناك لتكون على أهبة واستعداد للقي ركابنا السعيد، في المحل الذي عيناه لك قبل بحركة معتبرة، وفي ما قدمناه لك والسلام. في 25 رجب الفرد الحرام عام 1303هـ.

وهذه رسالة عتاب إلى هذا القائد منها : «خدينا الأرضى القائد لحسن ألبصوي البعمراني وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد : فقد بلغ علمنا الشريف، أن ما أنتم مكلفون به من عسة السواحل في المراسي المعينة لكم وقع منكم بها تساهل وانحلال حتى كاد أمرها إلى اضمحلال، وعليه فنامرك أن تجعل أمر القيام بها من أهم أمورك ومن جملة فرضك ونفلك بمعاهدتها بنفسك كل حين. ولا بد والسلام في 15 رمضان المعظم عام 1310هـ».

وهذه تولية القائد أحمد أصبايو منها : «يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره، وجعل في الصالحات طيه ونشره، أننا بحول الله وقوته وشامل لطفه ومنتته، ولينا خدينا الأرضى القائد أحمد بن القائد البشير بن الحسن ابن غعليات على جماعة هصباوة وكافة الدياهرة وإداوتنعم من مسبت وأهل أموالو وأهل بيگرا، وقد وصيناه عليهم، كما وصينا عليهم والده المرحوم بالله القائد البشير، ليعم عدله جميعهم... في ربيع الثاني عام ...؟ وهكذا نلاحظ أهمية قبيلة إصبويا لموقعهم في ساحل أركسيس الذي اقتحمه المغامرون من تجار أوروبا في تلك المجاعة.

### مجهودات السلطان الحسن الأول بسوس :

استطاع هذا السلطان أن يواجه الزحف الأوروبي رغم اتفاقيات برلين، ومؤتمر الخوزيرات 1906م ومعاناة حرب تطوان المفروضة سنة 1860م إلى أن انتعش المغرب من جديد، فبدأت نهضته تدريجيا، تحدى بها هذا السلطان تخطيط أوروبا المعول على انهيار المغرب في أقل الأجال، لكن السلطان الحسن الأول، كذب آمالهم، بدفع ما عليه من غرامة حرب تطوان، بدون انهيار المغرب، واسترجع ضرائب المراسي من الإسبان قبل أجلها المحدد، وأرسل مجموعة من الطلبة إلى أوروبا للتخصص في صناعات، كما فعلت الصين واليابان، وضرب عملته من الفضة رغم ما جرفته إسبانيا من عملات وتحف مغربية تاريخية لأداء تلك الغرامة الظالمة، ومع ذلك، سرعان ما امتلأت خزانة المغرب وتحدث السلف من خصومها الأوروبيين فتحررت عملة المغرب في أجل غير منتظر.

تكونت لدى المخزن المغربي في عهد مولاي الحسن الأول، ترسانة قوية من القوانين الدولية المتقدمة، دون أن يفرض في الثقافة المغربية الأصيلة في المجتمع المغربي، وخاصة رابطة البيعة التي لا ينال منها التقادم، وهذه الرابطة مستمرة ولو كانت القبائل رافضة لظلم ولاية السلطة المركزية، لأنها من صميم الدين وكذلك رابطة العملة والظواهر العرفية والسلطانية المستمرة.

مواجهة الأجنبي في الجنوب عامة : وما ورد ملخصا في رسالة مخزنية في شأن إصرار الأوروبيين على تأسيس مرسى للتجارة بسوس، جاء فيها «والمقصود عندهم أن يكون المحل وسط سوس، كأيت باعمران، أو أگلو، وأما إفني فهو الباب الذي يقبض فيه المستفاد، وهو طرفا الجبل والبحر...» (إتحاف أعلام الناس ج 2 ص 335) وهانحن نرى أن مفهوم سوس الأدنى والأقصى في نظر المخزن يمتد من قمم الأطلس الكبير الجنوبية حتى تخوم الصحراء، ليكون أيت باعمران في وسطهما. فالمخزن إذن عارف بطوبوغرافية المغرب ومراسيه الطبيعية وأسمائها الأمازيغية إلى عمق الصحراء.

وهذه رسالة أخرى من السلطان نفسه، في شأن المحل المعين للمرسى : «خدينا الأرضى الطالب محمد برگاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد : وصل



كتابك وبطيه كتاب باشادور إسبانيا لك، وعلمنا ما تضمنه من طلبه تحديد المحل المعين لهم بإفني لصيادة الحوت، عوضاً . عن السانطا كروز، وأن يكون الموجهون لذلك من طرف المخزن، كالخديم ابن البغدادي... فالأولى هو تأخير ذلك إلى أن نكون بالحوز بحول الله، لكونه الآن متعذراً بما هو واقع بين قبائل تلك الناحية من الفتنة والهرج، حتى إنهم هجموا على عمالهم، وأكلوا دورهم، وعليه فعرف الباشادور بذلك. في 14 قعدة عام 1301هـ/1883م. (إتحاف أعلام الناس ج 2 ص 337) وما نحن الآن نلاحظ اتساع مدلول أيت باعمران، كما نعرف أن الفتنة والهرج سببهما تدخل الأجنبي في سوس ضد القواد الذين عينهم السلطان نفسه عام 1299هـ. كما أن هؤلاء أجهضوا في الضرائب في فترة الجفاف التي لم تبق ولم تدر، فانتهزها المغامرون الأجانب.

#### رحلة السلطان لمعالجة مرسى إفني :

حدث أن مات الملك الفونس الثاني عشر الإسباني، فتولت زوجته، فقام السلطان مولاي الحسن الأول بتعزية إنسانية، وشعور يفرضه الجوار وأصالة الحضارة المغربية المسالمة والمساهمة في بناء حضارة حوض البحر الأبيض المتوسط كما يأتي : «إلى المحبة المعظمة، المحترمة المفخمة، سلطنة دولة إسبانيا الفخيمة، السلطنة دني مرية كريستينية، أما بعد : حمدا لله الذي لا يروعه الحما المرقوب، ولا يبغته الأجل المكتوب، فقد بلغ لشريف علمنا، بأن المحب المعظم صاحب المحترم، سلطان إسبانيا الفونس الثاني عشر، مات وانتقل من هذه الدار، إلى دار المقام والقرار، فحصل لنا من الأسف على مصابه ما الله أدرى به، لأنكم أحباؤنا وجيراننا، فما يسركم يسرنا، وما يكدركم يكدرنا، ونحب الخير التام لكم، ودوام صلاح نظامكم، وبمجرد بلوغ ذلك لشريف علمنا قبل سماعنا بتوليتك في محله، طيرنا الكتب لدولتكم على العموم بالتعزية في مصابه والتسلية، وأشرنا عليهم بالثبوت في هذا الأمر العظيم، حتى يسند الأمر فيه لأهله، ويجري على السنن المستقيم، والمقصود عندنا بذلك هو بقاء الملك في داركم، وانتظامه وتشديد فخاره بكم، لأنكم أهله ومستحقون له ومحله، وقد تحقق ذلك القصد والحمد لله، وهان علينا بعض مصابه، وما بلغنا من حيازتكم لمكانته ورتبته، وجلوسكم على سرير مملكتكم،

فطيرنا لكم هذا المسطور، على الخصوص في مصيبته، ودمتم محفوظين في سربكم، ممتعين بحزبكم، وختم في 17 من ربيع الأول عام 1303هـ<sup>(237)</sup>.

ونستفيد من هذه التعزية الحارة، عودة العلاقة بين المغرب وإسبانيا، أو على الأقل تخفيف الحدة من الضغط المستمر منذ صلح تطوان، ويتجلى ذلك في انسحاب أمناء المراسي الإسبان قبل استكمال مفروض الغرامة، فحمد المغرب لهم ذلك، كما فشل الإسبان عن إثبات موقع مرسى السمك في الجنوب المغربي كله، وليس ذلك رحمة منهم بالمغرب، بل لأن سلطان المغرب الحسن الأول استرجع قوة الجيش المغربي، وتمكن من جباية لوازم الدولة، وأنهى ما عليه من ديون دون أن ينهار كما كانت أوروبا تتمنى وتنتظر !.

ففي تلك الظروف، انشغلت إسبانيا بوفاة ملكها، تاركا عرشه بدون وارث ذكر إلا زوجه الأميرة، فانتهز المغرب تشجيع تولية السلطنة دنيا مرية، في 17 ربيع 1303هـ وبعد ثلاثة أشهر في شعبان 1303هـ جدد السلطان برحلته الثانية أصالة المغرب في أيت باعمران حتى أعماق الصحراء، وذلك ما نسخ من جديد كل ما تزعمه إسبانيا هناك منذ السلطان محمد بن عبد الله. ولا شك في تأثير تعزية السلطان على الملكة الجديدة، بما فيها تقريب حسن الجوار، وفي رسائل الملوك أسرار عظيمة، والله يقول : «كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله».

ونفهم من رسالة السلطان إلى محمد برگاش «وصل كتابك وبطيه كتاب باشادور إسبانيا لك، وعلمنا ما تضمنه من طلبه تحديد المحل المعين لهم بإفني لصيادة الحوت عوضاً عن السانطا كروز» (الإتحاف ج 2 ص 237) مع أن إسبانيا كانت لا تقبل التنازل بأي وجه من الوجوه عن أخذ سانطا كروز، عوض صيد الحوت، لولا ظروف وفاة ملكها وضباط جيشها ما زالوا يفتخرون بما حققوه في حرب تطوان، وما زالوا يتأسفون على اقتناعهم بالغرامة، بدل تمسيح المغرب كله على حد قول فيگيراس. الإسباني.

#### أهمية النصوص القانونية في هذا العهد :

قننت المملكة المغربية في عهد السلطان الحسن الأول، مجموعة من النصوص القانونية، بلغ عددها خمسة عشر نصاً، صارت مرجعاً أحاطت بالأحداث الطارئة بسبب (237) ابن زيدان إتحاف أعلام الناس، ج 2، ص 350.



تدخل المغامرين الأوروبيين كالتجار في البلاد، بدون إذن من المملكة المغربية . ومن ذلك ما يأتي :

1 - ورد في النص الثالث عشر في حاحة : قضية خروج الأجانب لحاحة، طلبا لديونهم، فجاء في هذا النص : «وبعد : فإن البوزيادي أحد عمال حاحة، أخبر مسترعا بخروج نصراني اسمه التاجر بروم الإنجليزي من السويرة، قاصدا بلادهم، زاعما أن له بدم أناس من إخوانه ديونا من المال والجرصة ؟ مع أنه لا يعلم أن له على أحد من إخوانه شيئا، لأن ذم أهل حاحة، خربت هذه مدة، وطلب كفه عنهم كاليهود، وإن كانت لهم دعوى على أحد منهم فرضا، يوجهون وكيلهم على يدك برسم الدعوى، واصلا ليد من المدعى عليه ليحضره للفصال، ويقف بنفسه تبينا للصدق من ضده، وتحريا لسلامة الفريقين . [هذه مرافعة عجيبة كأنها بنت اليوم] .

وعليه فنأمرك بذلك، وليكن عملك عليه، على أن قبيلة حاحة الآن، لا يسلكها عاقل، ولا يسأل أهلها سائل، لأن المسغبة بلغت فيها حدها، حتى خرجت صدور أهلها، وضائق البلاد عنهم، وهلكت مواشيهم، ونفذ قوتهم، واشتدت فاقتهم، فلا ترى بها إلا من القفرة بادية على وجهه، والفقر بين عينيه، فعلى الرفاق (القوافل) اليوم يخشى سلوكها أحد الفرادي، فلا بد أشع هذا الاسترعاء، والعاقل يحذر على نفسه، قبل حصول الداء، على أن إخوان الشاكي هم أعظم جباله حاحة، وإن كانت حاحة كلها جبالا، فهي كلا شيء، بالنسبة لإخوان الشاكي... حتى صار الاغتيال لقلوبهم مخامرا، وسبغ الغلاء في وجوههم كاشرا، والسلام في 5 قعدة الحرام عام 1299هـ [هذا تحذير في ظروف القاهرة، والأوروبيون يعترفون بذلك] .

2 - ورد في النص الرابع عشر في ساحل أيت باعمران «وبعد فكُرْتَيْسُ النـِـنـِـكـِـلـِـيـِـزـِـي (مشهور بكاريت) الخارج ببابور القوت بالسواحل السوسية، شارعا في بيعه لفساد تلکم القبائل، وكتبنا لك في شأنه سالفا، قد وقع القبض عليه الآن هو ونصراني آخر على يد ابن عمنا مولاي الكبير بن محمد بن سليمان، ووصيفنا الطالب بوغزى السريفي أحد خلائف سوس، وخدمنا القائد محمد بن الطاهر الدليمي قائد الأرحى فأمرناهم بدفعه

لعامل تيزنيت، يوجهه لخليفة أكادير، يوصله لعامل الصويرة، ويمكنه بيد قونصوهم بعد أخذ خط يده بتوصله به والاسترعاء عليهم بأنهم إن عادوا لمثل ذلك، فأصيبوا في أموالهم أو نفوسهم فدركهم على رؤوسهم وخسارتهم بهم خاصة ومصينتهم عليهم قاصرة. وأعلمناك لتكون على بال من ذلك، فتعلم به الباشدور، وتسترعي عليه بنحو ما شرح صدره والسلام. في 29 جمادى الثانية عام 1300هـ (إتحاف ج 2 ص 382).

### تطور قضية مرسى أركسيس بأيت باعمران :

حدث أن خرج التاجر كرتيس الإنجليزي في أركسيس بقبيلة مستي، وليست في إصبويا كما صححه المخزن في رسالة أخرى فيما بعد، والتاجر يسمّى كاريت، والصحيح كُرْتَيْس، بإذن مبارك بن أحمد من إدياگو من قبيلة إصبويا، الذي يعاكس القائد الرسمي لحسن بن عليات، فجاء مولاي الكبير من عند السلطان، (الحسن الأول) ومعه القائد محمد بن الطاهر الدليمي، يحملان أمر السلطان بأن تنهض القبائل من ماسة وبعقيلة ومجاطة وما وراءها إلى أيت باعمران. وهذا محشر من البشر.

فنزل القائد محمد بن الطاهر إزاء ذلك الإنجليزي في أركسيس، حيث أقبل عليه أهل تلك النواحي لإيجاده لهم كل ما يريدونه الناس، من أرز وحبوب خصوصا والوقت وقت مجاعة فصار القائد بن الطاهر يعن النظر فيما عسى أن يفعل مع قبيلة إصبويا، وقد اجتمعت القبائل المذكورة، فنزلت في مستي (..) مع الشريف مولاي الكبير، ولم يتقدم إلى أركسيس إلا القائد بن الطاهر.

وبواسطة القائد لحسن بن عليات وبالجود والإكرام - والمجاعة على أشدها - تداعى له أعيان قبيلة إصبويا بالطاعة، فقرأ عليهم ظهير السلطان [فإذا فيه إن السلطان يسلم على أهل القبيلة، ويطلب منهم أن يعنوا التأمل فيما صنعوه ! وأنه ما أتى به إلى سوس أخيرا عام 1299هـ إلا لإبعاد الأوروبيين عن هذه الناحية، ثم لم يرجع حتى قمتم فأخرجتم إليكم الإنجليزي النصراني، وأنتم مسلمون، وفيكم حرارة الإيمان، وذلك بما لا ينبغي في الدين، ولا في السياسة، ولا في الطاعة لملك البلاد، ثم دعا لهم السلطان في آخر الظهير دعاء حارا إن أقاموا وأخرجوا الأجنبي من بين ظهرانهم].



«فأجابوا كلهم بالتبري من النصراني، وأعلنوا أنهم عند أمر السلطان، وقال ابن الطاهر لكورتيس : بإذن من نزلت هنا ؟ أعندك كتاب من سلطان البلاد ؟ فإنك فتحت بهذه المتاجرة بابا لا يتفق مع العهود بين الدول من أن المتاجرة لا تفتح بين دولة وأخرى إلا باتفاق سابق، فلم يجد الإنجليزي ما يجيب به، فقبض على كورتيس وترجمانه ونصراني آخر، فنقلوا كلهم إلى قنصلهم بالصويرة» (إيليج بتصرف ص 12) فانتهدت الحيلة بسلام وللمعرب رب يحميه.

تنبيه : لخصت - بتصرف - كل تلك التفصيلات، لنحمد الله على إنهاء قضية تاجر واحد، جهّز له المخزن قبائل سوس الأقصى بكاملها ! فهل الأمر بهذه الحدة ؟ أو أن هناك شيئا غامضا وراء الأكمة ؟ فقد كانت المجاعة على أشدها، والسلطة المركزية كانت على حذر شديد من إرتكاب تهور أو شجاعة ضد المغامرين الغربيين، ليعيد التاريخ مصائبه كما حدث في باب سبتة 1959م، فترتب عنه ما كانت إسبانيا تستعد له، ولم ينته أثر ذلك الظلم على الدولة المغربية إلا في عهد السلطان الحسن الأول، لكن استفزاز المغرب هذه المرة في أيت باعمران بمغامر إنجليزي، لكن بفضل حكمة قيادة هذه الحملة، تمت تصفية قضية هذا التاجر وتوابعها، على بعد قليل من تلك القبائل الغضاموشية في مستي بروح وطنية تنتظر الإذن، ولكن الله سلم.

#### الحملة المخزنية تحل بأيت باعمران :

«بعد حملة القائد أبي عزة السريفي البخاري، قدمت الحملة العسكرية لكل من القائد العربي بن حمو البخاري، ومعه جنده من عبيد البخاري، والقائد لحسن التّكّاني (تُكّنا) ومع جنده، وهذان من قواد الأرحاء (الراحة 1000 جندي في المصطلح العسكري) ومعهما القائد القرشي الوريكي، والقائد لحسن السكسيوي، والقائد المحجوب الكّلّولي، ومع هؤلاء خيل ورجل من قبائلهم ممن ليسوا من الجند النظامي، فذهب الجميع إلى أن نزلوا في خميس أيت بوبكر، (بتيغزي) بأيت باعمران، وذلك قبل أن تبني القصبية في أيت إخلف، إذ لم تبني إلا بعد عام 1303هـ إثر السفرة الثانية لرحلة مولاي الحسن الأول، فقد اشترى المخزن مكانها فبنيت فيه بأمر السلطان» (المعسول ج 20 ص 14).

استغل الزحف الأوروبي تأثير الضعف العام الذي حل بالشمال الإفريقي، فأفطرت فرنسا بالجزائر استعمارية سنة 1830م، وتغدت بتونس حماثيا سنة 1881م، فتعشت بالمغرب حماثيا سنة 1912م فأصبح شمال أفريقيا مقسما فعجز كل جار عن إغاثة جاره الآخر، فصدق عليهم المثل [أكلت يوم أكل الثور الأبيض].

1 - لما تدخلت فرنسا في أنغاد، وتدخلت أسبانيا في سبتة، برزت مطامع إنكليزا في ساحل أيت باعمران على يد التجار المغامرين منهم، وهم يبيعون القوت لسكان السواحل المغربية، بدون إذن من الدولة المغربية ؟ فهل جهلت أو تجاهلت الدولة الإنكليزية المعروفة بالدساتير منذ «الماكانا كارتا» قوانين التجارة مع المملكة المغربية التي كانت تاريخيا مع معظم دول أوروبا ؟ أم أن تجار أوروبا مازالوا يظنون استمرار ضعف المغرب بعد صلح تطوان ؟ أو أن أوروبا بعيدة عن معرفة سر قوة الأمة المغربية إلى حد تسميته بالمغرب المجهول ؟ إلى أن جال فيه جواسيسهم طولا وعرضا، فعرفوه لمجتمعهم حسب أهواء المغامرين ؟

2 - هذه قضية تجار حول السويرة : حدث أن أصيب المغرب بجفاف أهلك الحرث والنسل، وكانت حالة سكان قبيلة حاحة في غاية من المجاعة، إذ فقدت كل شيء، وهي نفس ما وقع في سوس بكامله، فكانت السويرة الباب الوحيد لحاحة، كما كانت مرسى أرّكسيس بأيت باعمران، الباب الوحيد كذلك للحصول على أكلة واحدة من الأرز، كيف كانت قيمته الغذائية ؟، وقد أعرب المخزن المغربي نفسه في رسائله عن الحالة العامة في تلك الجهات، ماديا وأمنيا، ومع ذلك، ليس من حق تاجر مغامر أن يفتح الباب بدون قانون دولي.

3 - ليس هؤلاء السكان الجائعون فاقدون الشعور الوطني كما يظن البعض، ولكن للضرورة أحكام، منها متاجرة المضطرين مع الأجنبي، وما دامت السلطة المركزية بعيدة عن تلك الجهات، والمجاعة أفقدت الناس حتى الشعور بالإنسانية، إلى حد أن أكل الإنسان أخاه الإنسان، بعد فقدان كل دابة بها روح، كما ورد مسجلا في مجاعة قاسية مرت بسوس، وبأيت باعمران بالذات، حتى تخلت الأم عن رضيعها، وليس بعد هذه الوضعية من مؤاخذه. إذ كاد الفقر أن يكون كفرا.



4 - فهذه رسائل السلطان نفسها، تصور لنا الأوضاع بما لا مزيد عليه، ويظهر أن المخزن نفسه في حرج من قلة التغذية، وبما يدل على ندرة الحبوب عنده «مقدار قدرة السلطة ماديا كإرسال مركب لمرسى أركسيس بأيت باعمران، يحمل ألف خنشة من الشعير، ومثلها من البشنة من مرسى الجديدة ومرسى الدار البيضاء معا، ليبيع في أركسيس يدا بيد، لا بالطلق» (238).

### أسباب تماسك أيت باعمران :

يعد انتماء أيت باعمران إلى جد أعلى من أهم الركائز الأساسية لمجتمعهم وتماسكهم، واسم ذلك الجد يحيا، كما هو ثابت في أعرافهم المكتوبة، ولا سبيل عندهم إلى الشك فيه، والعرف عندهم بمثابة مرجع ملزم، والناس مصدقون في أنسابهم، وعليه المعتمد فيما يحلون به مشاكلهم على يد إنفلاس (الأمناء المنتخبين)، وانتماؤهم في أعرافهم، قياسا كانتماء الشرفاء إلى جد واحد؟ والمرابطين إلى صالح انحدروا منه؟ والصوفيين إلى شيخ تمسكوا ببركته؟ وهلهم جرأ. وليس معنى ذلك أن الكل من صلب واحد، ولكن الانتماء قد فرض نفسه، ووحده المجال وألزم الاتفاق، وهناك أربع شخصيات مرموقة، كلها في جهة الموقع تسمى يحيا وهم كما يأتي :

- 1- يحيا بن إبراهيم الكودالي الأمير من المرابطين، لكن لا وجود للاتصال به.
- 2- يحيا بن عمر اللمتوني من المرابطين المعروف ولا وجود للانتماء إليه.
- 3- يحيا بن الصحراوية البطل المقاوم حتى النهاية. ضد الموحدين. كذلك.

4- يحيا صاحب ضريح مدرسة تانگارفا القديم، وهو الذي أكد سيدي محند أباراغ الباعمراني صاحب الزاوية بالمسيد الأحمر، المتوفى 22 من ربيع الأول عام 1332هـ على أنه أي يحيا بتانگارفا هو جد أيت باعمران القديم المؤرخ في أعرافهم؟. لكن هناك خلط واضح، بين «إبراهيم بن إبراهيم الباعمراني النازل [بموضع إيسيك] وليس ببو كرفة، وفيه مدرسة علمية لقبيلة أيت بوبكر، وعليه قبة من أصحاب الشيخ الوالي الكبير أبي محمد عبد الله بن سعيد بن عبد النعيم الحاحي المتوفى 1035هـ باختصار» (المعسول ج 13 ص 50) يقام عليه أكبر وأقدم موسم حتى تسوقه أحمد أموسى جد

(238) الإنحاف، ج 2، ص 383.

إمارة تازروالت، وهو شاب مولع بأحواش حتى مسته نفحة صوفية من ذلك الموسم (مخطوط قديم جدا).

«أما الصالح إبراهيم بن عبد الله صاحب القبة ببوگرفا في المرتفع حوله مدرسة قبيلة أيت يعزى ليست قديمة مثل الأخرى بإيسيك، ووالد هذا الصالح هو عبد الله بن يحيا توفي 950هـ «وسيد إبراهيم بن عبد الله البجرفاوي وأمه أي سيدي إبراهيم أمة، لم يتسر أبوه إلا بعد كبره، وهم من أهل القرن الحادي عشر الهجري» (المعسول ج 13 ص 50).

ومن أسباب هذا الخلط أن الصالح الذي في إيسيك عالم صوفي مشهور، بينما الصالح البوگرفاوي صالح له كرامات، وليس عالما مدرسا، بينما ذكر والده بتانگارفا بأنه عالم مدرس، كما نسب خطأ الروائي سيدي محمد أضحاك إلى البوگرفاويين، بينما هو من أليوسفيين، وجدهم سيدي محند بن يوسف صاحب قبة إيمي أوگني الوارد من مليانة بالجزائر، ونسب إلى الوزانيين، وقد نوقش هذا الخلاف أمام السلطان الحسن الأول بتيغزى، لعدم إثبات الاتصال، فرفضت تزكية البعض، بينما قبلت تزكية البعض عام 1303هـ وبما ساهم في الخلط المذكور أفة الرواة الخالية من البحث الميداني، فكثرت الخلف عددهم بالشفويات وبالتكثير من النمو الديمغرافي، والتشبت بالشرف لعلمهم ينجون من الكلف القبلية والمخزنية.

والعجيب في الأمر أن الواردين على أيت باعمران ينص عرفهم دائما في عقودهم على أفاقية كل من ليس أصليا، فنجد مثلا في العقود العقارية للمشتري الوارد هكذا: اشترى فلان بن فلان الفلاني كالمرابطي أو أشتوكي، أو الدليمي الصحراوي، أو الروداني أو المجاطي.. الملك الفلاني من عند فلان، فيبقى دوار ذلك الوارد وفدانه يحمل دائما. صفة أفاقيته، ما عدا اللاجئ : أمزؤوگ الذي يدوب في القبيلة، ويعد واحدا منهم، وهذا يستحق دراسة عميقة لكشف ما وراء ذلك السر، لهذا، لا نجد ما يلحق يحيا الموجود في العرف بسملالة كجد لبوگرفا. الذي هو إبراهيم بن عبد الله بن يحيا السملالي، وصاحب القبة بتانگارفا هو يحيا الذي جعله أباراغ جد أيت باعمران قديما، بينما جعله



البوجرفاويون جدهم المباشر بموافقة هذا الاسم، فأشاعوه بينهم، فاستملحته الألسن بعدما رُفضت تركيبتهم إذ هناك يحييانان القديم المرابطي ومن بعده السملالي.

والذي يهنا هنا هو من هو يحيى هذا المنصوص عليه في وثيقة عرف أصل أيت باعمران؟ إن الرواية الشفوية تربط هذا الجد بالمرابطين، ونحن إذا بحثنا عن أدلة تنير لنا ما غمض بما يعتز به أيت باعمران، نجد ما يدل على أن الرواية الشفوية المستمرة كل هذه القرون على شكل التواتر، لا يمكن أن تصمد لو لم يكن لها حظ راسخ في التاريخ، وخاصة في المجتمع البدوي المتمسك دائما بانتمائه كقوة اجتماعية استمرت كل هذه المدة بدون شك ولا طعن يذكر، كما أنهم ينتسبون إلى المرابطين ولا يدعون الشرف السملالي، على عكس البوجرفاويين.

يرجع أصل أيت باعمران في عهد المرابطين على الأقل إلى قبيلة لمطة المرابطية، والدليل على ذلك، أسماء الأعلام الجغرافية في أيت باعمران القديمة وهي بلهجة زناكة مثل تاوْلاشت، (تاوْلكت) أوْتل - توتلين (أوتيل - تيوْتلين) توراين (تولايين) (أويْتال) العثروس، (أباينو، العين الغزيرة أو الكنز في موضع (إكيسل)، (أثلمون) أقلمون، كما أن سيدي واكاك بن زالو اللمطي من قبيلة لمطة، (هل من اسم المأضج المأضن أم من جلد اللمط) الذين لهم شعر اللحية في الدقن فقط، تاليوين (تاريوين) الضايات العميقة أكْلميم (كليميم بإسقاط الهمزة، وكلمة واكاك هو العالم حتى الآن عند التوارك. وفي سوس ستة أسماء بذلك الاسم على الأقل (للمزيد يراجع كتاب رشيد إدريس).

بل حتى أسماء تضاريس تلك الأقاليم جغرافيا ما زالت تسمى بالأمازيغية تاسريرت (الهضبة) إذ يحتوي نصف الأطلس الصغير الغربي على ثلاث تاسريرتات مستطيلة حسب لون التربة، فهناك تاسريرت تومليلت (الهضبة البيضاء) لوجود الحجر الجيري غالبا فيها (تافزا بالأمازيغية) وهذه هي أرض أيت باعمران الحالية من الشمال إلى الجنوب، ثم تليها تاسريرت تازوگْتاغت (الهضبة الحمراء لوجود التربة الحمراء من ميرغت نحو الجنوب، (لخصاص) ثم تليها تاسريرت تاسوگْتاغت (الهضبة السوداء) تشمل مناطق القمة حول تافراوت لوجود الصخور السوداء البازلت والكرانيت. (وصف جغرافي لسيدي محند بوكريم بتيغراتين الباعمراني).

وفي سوس عدد من الأعلام الجغرافية بهذا الاسم، لكن منذ الموحدين صارت لهجة مصمودة، تحل محل لهجة زناكة، والكل أمازيغي موحد باللغة الأمازيغية، وهذه إشارة فقط، إلى أن الأمة المغربية واحدة، كما أن الوطن واحد.

وأما تأثير العرب المستعجمة وخاصة بني معقل الذين ينفخ في تكثيرهم بعض الإيديولوجيين، فعن ابن الرقيق أن «جميع من دخل إفريقيا من العرب نحو خمسين ألف محارب، كما رواه مارمول كذلك» (إفريقيا لرمول كرباخال ج 1 ص 98) فقال ابن خلدون في هذا الجميع: «أكلتهم الأقطار المتباعدة، واستلحمتهم الوقائع المذكورة، فلم يبق منهم حي يترك، ولا حلة تنجع، ولا عشير يعرف، ولا قليل يذكر، فتقطعوا في البلاد، ودخلوا بين الناس، وغلب أعاجم المغرب من زنانة والبربر على أمرهم... ولم يبق لهم ذكر»<sup>(239)</sup>، فهل بعد هذا النص من ذكر لما يزعمه الذين عكسوا الآية؟ وقال ابن حزم: «إن صنهاجة ولمطة لا يعرف لهما أب» (ابن حزم ص 203) ويقصد أصلهم وقدمهم في هذا الوطن المغاربي، فعلى ماذا تعتمد استمرارية «المغرب العربي رغم التاريخ، ورغم دستور 2011م الذي ينص على انتمائه إلى المغرب الكبير»: تامازغا.

والجواب يكمن في السؤال عن من هم العرب؟ قيل: كل من تكلم العربية فهو عربي، ولو كان أعجميا من سائر الأمم، ولو بعد الوسائل العلمية مثل ADN لتمكن ظاهرة الجمود والجحود لإبقاء ما كان على ما كان.

والحق أن توطين العربية يرجع إلى القرآن الكريم، وإلى رغبة من يرغب في الوصول إلى معنى الآيات بدون الوساطة المحتكرة، والدليل على صحة تلك الرغبة مجهود الفرس والأمازيغ في تقعيد النحو وجمع الكثير من اللغة. وإدماجها في القاموس، إلى حد أن عرف ذلك بالمعجم، ولأمر ما لم يسم بالمعرب.

أما بعمرانة فهي لمطة المرابطية، وهي قديمة في عين المكان، كحلف عند الحاجة، فبعمرانة وولتيتة وجزولة قبيل واحد، لكن متى وقع هذا الفصل؟ ومتى حلت بعمرانة محل لمطة اسميا على الأقل؟ وهذا يفرض علينا تعميق البحث في الموضوع، كما تمناه مؤرخ سوس سيدي محمد المختار السوسي.

(239) ابن خلدون، ج 6، ص 5.



لنرجع إلى وصول السلطان مولاي رشيد العلوي إلى أيت باعمران منذ تأسيس الدولة العلوية، وكذلك مرور مولاي إسماعيل عبر أيت باعمران إلى الصحراء من تيفزي بالذات، إلى تانكارفا إلى إكيسل. ثم إلى أكلميم فالصحراء.

وفي عهد السلطان الحسن الأول سنة 1299هـ/1881م اتضحت القيادات التي كانت أصلا من أيت باعمران بظهير 1299هـ. على أن بعضهم تجرأ على توسيع أحكامه لقلعة إمكانات لديه علي حساب جيرانه، مثال ذلك، كل من القائد علي بن مسعود الخصاصي، والقائد حسون بن عمارة الساحلي، والقائد إبراهيم أوسعيد الباعمراني، إذ قاموا بمغامرة فريدة من نوعها، فقسموا قيادة قبيلة أيت برايم، لعجز قائدها المعين عام 1299هـ (انظر على المحمدي ص 22).

وذلك بدعوى أن حدود أيت باعمران تقلصت شمالا، بسهل أزغار، جنوب تيزنيت، ويذكرون في حدودهم حيث تنبت شجرة تالالت كغابة هناك، والحق أن تقسيم القبيل أيت باعمران بظهير 1299هـ، هو الذي ألغى مجال الحلف الجزولي التقليدي (أمقون) إلى أن رجع من جديد بتعيين المجاهد الشيخ أحمد الهيبة بتيزنيت سنة 1912م وهو يقود الجنوب كله لملاقاة زحف سلطة الحماية باسم التهذنة، نعم، قد حاكى ولكن لم ينجح، والمرء فوق طاقته لا يلام.

### سياسة تقسيم القبائل الكبرى 1299هـ :

كما أن تقسيم السلطان مولاي الحسن الأول للقبائل يعد مشروعا مخزنيا يرمي إلى التمكن من الجبايات، ومن تشقيق الأحلاف القبلية الكبرى المثيرة، فقسم أيت باعمران إلى ست قيادات بدلا من اثنتين، وهكذا في القبائل المحيطة بهم، وليست في الحقيقة تلك القيادات، إلا فخذات صغيرة، نتج عنها طمع القواد في التوسع على غيرهم نحو الشمال، قصد الوصول إلى تيزنيت، حيث مقر المخابرة مع ممثل المخزن المركزي في العاصمة، أو التحكم في إعادة طريق القوافل التجارية، بالإضافة أيضا، إلى رغبة بعض القادة في الوصول إلى حقهم في البحر بمرسى أكلو، قصد الاتصال بالخارج،

كما أن هذا التقسيم كان مبنيا على رغبات المقترحين، فاستبشرت القبائل في البداية بتعيين مجموعة جديدة من القادة على استتباب الأمن في الإقليم، والشروع في تنمية البلاد عن طريق مجموعة من المراسي في تلك الظروف القاسية، وأعمق من ذلك كله، قطع الصلة بمغامرات أجنبية حول المتاجرة مع السكان بدون إذن من الدولة المغربية، لكن مع الأسف، توفي السلطان المؤسس للقيادات، فظهرت عدة عوامل اقتصادية واجتماعية، بما فيها ظلم القادة الجدد، بموت السلطان سنة 1311هـ/1893م فاشتغلت السلطة المركزية الجديدة بتثبيت جمع الكلمة لظهور الخلاف على أشده بين فاس ومراكش في غياب دستور ملزم للجميع، فتناثرت القيادات المخزنية المعينة بظهير منذ عام 1299هـ فجاروا وظلموا، وكثروا فرفضهم الشعب. فبدأت الشرارة في قبيلة أيت يعزى بقائدها أحمد أصواب، فعمت البلاد، وقهرت العباد، كما قال شاعرهم :

- 1- أسّ ليغ تليت أدونيا إيلي لمان
- 2- كورثمغان كادئسكر ربي فلام
- 3- سيدي الحسين وهاشم أماس إييلغ
- 4- د كورثمغان ولا داحمان غ وگلميم
- 5- إدشيوخ هموغ تمگرت نون أ- إخلف
- 6- غاساد تمغان كيجان نفض غلين اس
- 7- يان نسكرن تاسلهامت أمژن أغاراس
- 8- ن تزنيت أردنگ أمغارف يات تاكات
- 9- شات أيدانن أداون نسر ربي تاكات

ملخص النص :

- 1- لما كانت الدولة وكان النظام سائدا
- 2- لم يخلق الله في هذا الإقليم إلا أربع قيادات
- 3- قيادة سيدي الحسين أهاشم بإيلغ



- 4- وقيادة صاحب أكرض وداحمان بيگوليم
- 5- وقيادة آل الشيخ هم برقبة أيت إخلف
- 6- لكن عدد الشيوخ اليوم أكثر من ألف
- 7- وكل من تسلّمهم أخذ طريقه إلى تيزنيت
- 8- فيرجع معينا برشوة على دارواحدة
- 9- كلوا من مالكم أذاقكم الله من عذابه

وبموت هذا السلطان، استلذمت الظروف وقتنا طويلا لإرجاع الأمن إلى ما كان عليه، وكانت قلة المواصلات في ذلك الوقت، من أكبر العراقيل، كما كانت الاتصالات تقليدية بطيئة غير مأمونة، وخاصة لما برزت أطماع التجار الغربيين فاستغلوا التفرقة في ظروف خاصة، فصارت المعاصرة تمنع المناصرة..

وأمام تلك الأوضاع، رجعت كل قبيلة إلى أعرافها القديمة، فبدأت بإحصاء سكانها وحدودها التي كانت قبل التقسيم - وما العهد ببعيد - فعم نصّ العرف من جديد على تعيين إنفلاس، فالتزمت كل قبيلة تجاه جارتها بالأمن وتحمل المسؤولية حسب «عرف الشيخ هم المطبق في جزولة كلها» ففرض تسليح جميع من بلغ من الذكور حد الصوم، وقنن العرف بشدة غرامات أي تهديد بالسلح كيفما كان نوعه. وينص في أيت باعمران على الإغاثة بمجرد سماع الطلقات المعروفة في الاستنفار المسماة «تيماتارين» أي طلقتين فقط، كما أسند الشرع لقضاة مختارين بإرادة أصحاب القضايا، أما التنفيذ، فهو خاص بأهل الحل والعقد.

ليس معنى هذا أن مركز السلطة الشرعية كان خاليا من أهلها، لا، أبدا. وإنما سبب الفوضى يرجع إلى ضياع المسؤولية من أسندت إليه، فإذا كانت هذه هي الحالة السائدة بعد ثورة القبائل على ظلم قادتها المعين منذ 1299هـ فكيف تكون الوضعية في إقليم أيت باعمران الذي لم يتخلله المخزن مدة ستين سنة، على حد رسالة السلطان مولاي الحسن الأول؟

#### نتائج ظلم الولاة وتهور القبائل :

قامت القبائل بالانتقام من قادتهم، ابتداء من قبيلة أيت يعزى ضد قائدهم أحمد أصواب الذي «جمع عقود قبيلة أيت يعزى أيام ولايته، وقتل الشريعة في أحكامه!». (روضة الأفنان ص 119) فاسترجعت قبيلته كل ما انتزعها منهم، إذ كان يأخذ العقود العقارية من أهلها، ثم يستولي على أملاكهم، وبنجاح هذه الثورة، قامت القبائل الأخرى، ففعلت مثلها، لكن ذلك أدى إلى فراغ البلاد من السلطة القانونية الموكولة لأولئك القادة «ففقد الأمن عامة، فبدأت السبية! فرجع أهل الشر رؤوسهم ينشرون في الأرض فسادا، فانتشر الضرر، وفقد الإنصاف، فحار الضعفاء أمام الأقوياء، مما أدى إلى إدراك أهمية السلطة والاستغاثة بها» (رسالة قاضي أكلو والساحل إلى السلطان مولاي عبد العزيز عام 1314هـ).

وهنا بدأت الأزمة توحد أيت باعمران من جديد، فرجعوا إلى عرفهم القديم، وقد أكد لي أحد المسنين - وهو الفقير الحسين الضلعي من موضع إضرصار بأيت إخلف - «أن عهد السبية في أيت باعمران، أي الحروب القبلية، دامت ثلاثين سنة، فقد ولد فيها طفل وكبير وتزوج وولد وشارك في نهاية تلك الحروب القبلية، كما عطلت الأسواق، وقطعت الطرق، فأكل القوي الضعيف، فتكونت عصابات بأسماء قادتها، فانتشرت الفتنة، وعم الذعر في السهل والجبل، إلى حد أن سهل تاكراگرا الواسع، انقطع فيه الحرث، ونبتت الغابات في الحقول، وحرّم المرور على المارين، وقد عشنا ذلك كله وشاركنا في تلك المعارك القبيلة دفاعا عن النفس. إلى أن رجع أهل الحل والعقد إلى تطبيق العرف، انطلاقا من النص القديم، فانتخب إنفلاس وأمغار، وعين القضاة الشرعيون، وردت الأسواق إلى أماكنها الأصلية مرة أخرى، بعد الوباء الجارف، فتكونت الأحلاف القبلية من جديد، قصد فرض التوازن والاستقرار في البلاد» (نفس الحاكي المذكور).

كان والدي البشير، عايش كل تلك الأحداث، فلاحظت في آخر حياته أنه يفضل أن ينام جالسا بدلا من أن يستلقي على فراشه غالبا، فقلت له لماذا تنام هكذا؟ فقال: «إن معظم حياتنا قضيناها في الدفاع عن أنفسنا وأموالنا، فكنا نحرس طول الليل في ديارنا،



والبندية بين أيدينا، ومن لم يفعل ذلك، تسرق منه ماشيته أو بستانه، إلى حد أن تلك العصابات، تخبرك بأنها ستسرق منك ثورا من دارك إذا لم تحرسها وتدافع عن أهلك ومالك، فإذا تمت السرقة، فستدفع ثمن المسروق ليرجع إليك إن رغبت فيه أو يذهب نهائيا؟ ألم تسرق دار والدي القائد مرتين من طرف دحمان الكوليمي وأعرابه؟ كما وقع لدور الأعيان وغيرهم..

ثم قال: ألم تسرقني أنا بنفسى قبيلة أيت يعزى ومعى عيسى بن عثمان في مسجدنا ليلا، ونحن طفلان لمدة سنة كاملة، / والقيد في رجلينا بأدار، يطلبون من أهلنا فداءنا بالمال؟ لكن القائد رفض ذلك، وبعد سنة أرجعونا بسلام. ثم قال: حدث أن توفيت والدتي جمعة بنت محمد أشيبان الخلفاوي، وأنا غلام، فوكلني والدي لأمتنا تاوايا، لتقوم بشؤوني، ففعلت كأنها والدتي، ولأمر ما سرقت من دارنا؟ واختفت مدة طويلة، إلى أن وجدت في دار قائد في عبدة بيعت له، فعرفتها وعرفتني ولا داعي لإعادة تتبع الأحداث التي عشناها يا ولدي، والحمد لله على ما نحن فيه توفي رحمه الله سنة 1960م وعمره 105» ولو جمعت حياته لكانت مؤلفا.

أوردت هذين المثالين لندرك ما قاس أيت باعمران في عهد السبية، طيلة ستين سنة بسبب انحسار السلطة المركزية عن بلادهم كل تلك المدة، كما جاء في رسالة السلطان الحسن الأول.

وقال لي مولاي سعيد بمراكش الصراف: لا شك أن للأجانب دورا في تشجيع تلك الفوضى، وخاصة سرقة كل أسود البشرة لبيع خارج أيت باعمران، ولو كان حرا مسلما يتلو كتاب الله ويدرسه، وكم من سرقات أولئك مرت على يدي، وهو تاجر في العبيد وهو مؤسس عدة مدارس بمراكش. من فمه لقلمي.

### السبية بين الشفوية والمكتوب:

لنستدل على ما ذكر، بنموذج من الرسائل التي تقرّبنا من أحوال ما يسمّى «بالسبية» منها رسالة من قاضي أكلو والساحل أحمد بن إبراهيم بن محمد، في 28 ربيع الثاني

1314هـ / 1896م، وليس القاضي أحمد بن إبراهيم أقرب الباعمراني المتوفى منذ عام 1303هـ يوم رجوع مولاي الحسن الأول من تيزنيت منها:

بعد الحمدلة والتصلية،

«الشجرة المباركة، والنفحة الزكية، الهمام الدراكة، اليتيمة العصماء، في سلك جواهر الأشراف، الملك الذي سمت منزلته على نجوم الجوزاء، أبو فارس سيدنا ومولانا عبد العزيز، خلد الله أمره، وأعز نصره، وسلام الله على مقامك العالي بالله، والغالب به والرحمة والبركة عن خيرك الشامل، وعزك الكامل، والرحمة والبركة وبعد:

فقد وجب عليّ أن أعلمك بجميع الأخبار المحدثّة في إقليمنا سوس الأقصى، كدأبنا مع والدك قدس الله روحه، وذلك أن الناس كلهم دخلوا تحت عبادة طاعتك بالصدق، وكل ما فرض الله عليهم من الزكاة يعطونه عن طيب نفوسهم، ولكن الرؤساء الذين يألفون قبضها منهم يترددون في ريبهم، ويتلونون لون الخرباء، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك، يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم، ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويوظفون الفتنة بعد خمودها بالتقاتل وإتلاف النفوس والأموال، كل منهم يبتغي الرياسة، وأن يكون الأمر له، والقتال والشر ذائع، وقد كثر القتل والموتى بين أهل تيزنيت، وأكلوا في بلد أيت برايم وأيت باعمران، ومات نحو ستين رجلا في الفتنة، ووقع الخراب في بلد أيت برايم، أكل أهل تيزنيت وأيت جرار وبعقيلة بالغدر نحو مائة دار وخربوها، وبعد ذلك نهض أهل أكلو مع لفهم من أيت باعمران والأعراب من البدو، وهم أيت لحسن وإزاركيسين وإصبويا وأيت إخلف من البوبكرين إليهم، وطردوهم وكسروهم وهزموهم، فقتلوا منهم نحو أربعين رجلا، وخربوا ما بقي من أيت برايم، نحو خمس مائة دار. ثم بعد ذلك لفف عليهم بعض من أيت باعمران، وهو القائد محمد بن إبراهيم بن سعيد ومن معه، فأكلوا ديارا من قوم القائد أحمد بن الشيخ هم بالغدر، وقد كان في بلد أيت برايم، ولم يحضر، إذ كان يفصل بين الناس في سوق أربعاء تاسوليلت، ثم اجتمعت عليهم قبيلته، فكسروهم كسرة وهزيمة، فسلبوا منهم تسعة أفراس وقتلوا أربابها، وقد نقضوا العهد والميثاق في الوعد الذي بينك وبينهم من الحركة وغيرها، فبدلوا



واستهزأوا، وقد ذكرت لهم ذلك ووعظتهم، ولم تنفعهم الذكرى والموعظة، وأصل الفتنة وسببها وموقفها عامل تيزنيت، الحاكم بن حسون ومن معه بقبيلة بعقيلة وجرارة، فهو البادئ، والبادئ أظلم، وهو الذي بدأ أولاً في الفتنة بينه وبين آل أكلو، هجم على بعض منهم في العزيز، موضع الغنم والماشية، فقتل منهم نفساً، ونهبوا لهم غنماً كثيرة، ثم إن أهل أكلو قاتلوهم بعده، وقتلوا منهم نحو سبعين رجلاً بهزيمة شنيعة، والحاصل أن القيادة والرؤساء هم الذين أفسدوا الأحكام، فيرسل إليهم سيدي ويعظهم ويؤكدهم على خمد نار الفتنة ويتبعون السنة والشريعة، فإن ظهر لسيدي أن يكتب لهم بأن لا يحدثوا الأمر إلا إذا شاوروني فيه فنظره أوسع، لتخمد الفتنة، ويكتب ذلك بطابعه ويقول لهم: إن فلانا الكاتب جعلته رقيباً عليكم، يكتب ذلك فيأمره عليهم ويؤكدهم على إعطاء زكاة أعشارهم بإرسال عدلين لكل واحد منهم. وكتب خديك ومقبّل غبار نعلك أحمد بن إبراهيم بن محمد قاضي أكلو مع البلاد الساحلية بأمر والدكم. في 28 من ربيع الثاني عام 1314هـ/1896م» (مديرية الوثائق الملكية).

ونلاحظ أن هذه الفتنة المتصلة حصدت أكثر من 259 رجلاً، فكيف تكون خسارتهم في الخيل والجراحات والجانب الاقتصادي والاجتماعي، والمجاعة على أشدها، والأجنبي باب الدار؟ ومثل المخزن في تيزنيت هو قطب الفتنة، وخراب الدور والهجوم على دور مثل السلطة المركزية؟ ولولا هذه الرسالة إلى السلطان، لشككنا في مبالغة الفتن في ذلك العهد، لكن هذا القاضي البليغ الأسلوب، المتهم للحكام وهو بدوره يطمع في تعيينه عليهم، قد وضع لنا حالة سوس في تلك الظروف بما فيه آيت باعمران، كما أبرز بوضوح عجز السلطة المركزية في عهد بآ أحمد الوصي على السلطان عبد العزيز، كما بلغ دور حاكم تيزنيت في الفتنة بادئاً، والبادئ أظلم، فانهار المجتمع، فقتل رجاله، وخربت دوره، وتشتت شمله، كل ذلك قد وقع إبان الخلاف بين الأميرين في مراكش وفاس، لغياب وثيقة الدستور.

فإذا قارنا ما يسميه البعض بالسبية، فإن البعض الآخر يسميها المقاومة والدفاع عن الوطن لضعف المخزن، وخاصة إذا علمنا أن السلطة المركزية كانت مغلوبة على أمرها، سواء كانت باسم الحماية أو باسم الاستعمار، والضعف طبيعي في الدول كما

في الأشخاص، لكنه لا يدوم، والشخصية المغربية لا تموت، إلا عند من لم يقرأ التاريخ المغربي. كما بدأت الصادرات الخارجية تغزو المجتمع في أيت باعمران، ففي سنة 1914م بدأ الشاي في سوس، فابتليت به الطبقة المميزة بالكماليات، فشغلت فتاويه الفقهاء بين محرّم ومحلل، وبين مباح ومنفّر، ومن ذلك:

1- تصرف اغد ورومي زأواق غ لكيغض \*

2- أت وكان سوس تركازن تونك أسيعر \*

أدر فقد سعد الإمكان يا ساق، وارق الهموم بها فحبذا الراق  
راحا معتقة في الدن كافلة، بكل ما فرح للشرب منساق  
وعاطها مثل در ذاب في صدف البلور قد قلدت بالحبب الراق

#### المعارك القبيلية في أيت باعمران :

هناك عدد من المعارك، منها ما تحركه أيادي خفية، لإضعاف المجتمع أكثر، ومنها ما تدعو إليه ضرورة الدفاع عن الحقوق المشروعة، ومنها ما هو مفروض نتيجة الرابطة العرفية التي تربط المجتمع المدني كبقع الشطرنج، ومنها ما ينطلق من شرارة بسيطة، فصار فتنة تستفيد منها الأيادي الخاضعة للاستعمار بواسطة الحماية الشخصية، أو من تحركهم الخصاصة في عهد الظروف القاسية بسبب الجفاف وعدم الاستقرار، ومنها الانتقامات بين القبائل وخاصة في قبائل أعراب الصحراء التي لا تعرف الاستقرار، وخاصة عندما تغيب السلطة المركزية عن الأقاليم البعيدة، وقد تجتمع كل هذه العوامل فتدفع المجتمع إلى تكريس الظلم، حتى شاع قولهم: «إذا كثر الظلم في المجتمع، سلط الله عليه حكم الكفار» وفعلاً استفادت سلطة الحماية من هذه الإشاعة، فكم من قبيلة قاومت الاستعمار، ولما استسلمت له عاملها بأحسن مما كانت عليه، فحمدوا المسكنة في ظلها، ولما طغت، لفظها المغاربة لفظ النواة. إلا أن الاستعمار ساهم بالسلاح المتطور، وأول معركة قبيلية استعمل فيه الشرشور في معركة المسيد الأحمر بيد من القائد إبراهيم الوجداري الذي حصد الخيل ببندقية ذات الستة عشر قرطوشة التي تحصد جماعة كاملة في دقيقة واحدة عام 1308هـ/1890م وفي هذه المعركة قتل هو نفسه من ضمن 259 مقتول من المجموع. ومنذ ذلك التاريخ، استعملت البندقية الإنجليزية شاسبو (ساسبو)



ثم استعملت بندقية تامنا بهيت باسم الوزير المغربي، ثم شاعت البندقية الخماسية الإيطالية المغزوة من ثكنات الجزائر، وبعدها تسليح كبار القوم بالرباعية، ومن ذلك أن طائرة اضطرت للنزول في قبيلة إصبويا، فغنم منها القائد أحمد أصبايو مجموعة من الرباعيات، اشترى منها محمد أمزاي الخلفاوي واحدة بمائة ريال حسني، وهي التي استعملت في تحرير إفني سنة 1957م من طرف المقاومة وجيش التحرير. إذ بقيت عند أمغار عبد الكريم إلى عهد جيش التحرير.

ويتملك البنادق المتطورة «تسرب لصوص من الزفازيين إلى دار أهل مبركة ولد الحاج الركوك من أيت موسى أعلي قبيلة بيروك، وأرادوا أن يسرقوا خيلهم... فجزوا عن فتح الباب... فقصوا شعر أذناب الخيل كفضيحة، فقاموا أي أصحاب الخيل بالقبض على بوجمعة من الزفازيين، فحلقوا لحيته رغما عنه، فجمع شعرها في كفه، فذهب به إلى مجمع قبيلته الزفازية فرماه أمامهم وقال لهم: إن هذه لحيتكم جميعا أيها الزفازيون لا لحيتي أنا وحدي... فبكروا بجيشهم على أيت موسى أعلي، ف وقعت حرب عظيمة سقط فيها من الزفازيين مائة في صبيحة واحدة. فقال شاعرهم: قصيدة في الموضوع:

أَكْ وَر يرحم ربِّي أفلان أبو جمعا

أميأض كيبي أت نكأت تنغيت يفرخان

\* قبح الله سعيك يا بوجمعا \* بشرك ونحسك وعارك المنحوس قتل رجالنا \*

ومنها قدغادرنا مائة قتلى شجعان من أجل لحيتك قبل طلوع الشمس، ثم دامت هذه الحرب بين القبيلتين سنة كاملة. وذلك قبيل عام 1275هـ<sup>(240)</sup> وهل تتصور كل هذه المعارك، وهذا العدد من القتلى في جانب واحد، بعيدة عن اليد الأجنبية؟ ألا تكفي سنة كاملة من الحرب القبلي في استنزاف الرجال والاقتصاد وتشتيت المجتمع؟ والحالة هذه أن تسرب الأوروبيين قد وصلت إلى هناك بما فيهم إنكليز وإسبان وحكام كناريا وأطماع فرنسا، فإذا أضيفت خسائر هذه المعركة هناك بخسائر معركة المسيد الأحمر وسط أيت باعمران، ومعركة أكلو ندرك سياسة استنزاف المجتمع السوسي. ولحكام تيزنيت يد سوداء في بعض ما وقع.

(240) المسول، ج 19، ص 276.

## معركة السبية بالمسيد الأحمر:

أوردها الإكراري في ترجمة القائد إبراهيم بن سعيد البوبكري الوجداري أصلا، ونعته بصفات محمودة، منها أنه «كان رجلا ظريفا رقيقا، جوادا حلما دينا طاعما، ووقعت فتنة بينهم في مسيد الأحمر ضريح الصالح علي بوزيد حيث المدرسة العتيقة والسوق والموسم بتاكرakra، وليس بأيت برايم، كما ذكر المرحوم حمدي أونوش، فوقف له القرطاس في البندقية (سلاح جديد) فلم يرض بالفرار، فقتل هو وأخوه سي علي في موضع إديبائه قريبا من الصخرة المعروفة هناك بأحلاف، قتله رجل قصير القامة من أيت إخلف عندما وصل إليه في المعركة، فظن أنه شاب صغير قاتلا له: أراد لعدا أيازان ور تا تموت: هات البندقية أيها الطفل قبل أن تموت، فرد عليه ذلك القصير. موجها بندقيته إليه فوق فرسه: أمرت القائد ترغانيت سول: خذها أيها القائد ما زالت ساخنة. فقتله والبادئ أظلم بتصرف» (روضة الأفتان تحقيق حمدي أونوش ص 118).

والذي قتله هو عيسى من آل حنكرير الخلفاوي، والحق أن القائد إبراهيم هذا مدفوع من حكام تيزنيت ليمد نفوذه إلى المحيط لينفذ تكليفه ببناء مرسى 1299هـ. ولما لم يجد الوصول إلى المحيط، قام بعدة مغامرات من أجل ذلك، فهاجم على أحكام القائد أحمد بن همو الخلفاوي في جهة ميرلفت، فأندره السلطان الحسن الأول، فترجع، ثم هاجم مرة أخرى في المسيد الأحمر، فكان فيه قتله مع معظم أنصاره.

فقال الإكراري «فحوسب فيه (أي موقع المعركة) من الخيل المقتول ما يزيد على ثلاثين - مع العلم أن أيت باعمران لا يقتلون الخيل - وجرح في أيت الخمس نحو السبعين، ومثل ذلك في أيت النص. قبيلة القائد إبراهيم - والجهة الأخرى لأيت إخلف أكثر من ذلك. كل هذا في عام 1308هـ/1890م.

وهناك قصيدة طويلة للشاعر الأمازيغي الباعمراني الشاهد مبارك أموسى الخلفاوي الذي صور المعركة كما دارت، فشاعت وحفظت وما زالت تردد، وأغلب الظن أن الإكراري أخذ ما ورد وشاع من المعلومات من تداول تلك القصيدة، وهي من أبلغ أدب المعارك باللغة الأمازيغية.



وبما سجله القاضي جهادي محند الخلفاوي فيما يخص الحروب القبلية في أيت باعمران قال : «والحروب القبلية كان القوي فيها يأكل الضعيف، وذلك لسقوط سلطة المخزن المغربي بسوس كله بعد موت الحسن الأول مباشرة سنة 1311هـ / 1893م. وأما ما يتعلق بالعرف والشرع فهناك مسائل تقتضي السرعة في التنفيذ، والتي يتوقف عليها السير العام للمصلحة العامة، فهي موكولة للعرف، ولا تختمل التأخير ولا اللجوء إلى القاضي الشرعي، لأن ذلك سيؤدي إلى ضياع حقوق الغير، وكمثال، إنسان نسي أو تناسى نوبة المدرسة العلمية العتيقة، وفيها ثلاثون طالبا مع أستاذهم، وهم يقتاتون من تلك النوبة اليومية، فإذا بها انقطعت بسبب من الأسباب، فإن العرف يقتضي المبادرة بشراء مؤونة الطلبة بأي ثمن لتستمر الحالة والدراسة، وغدا يغرم الشخص المسؤول ما يلزمه من ذلك، لكن قد يقول البعض : أنا نسيت نوبة المدرسة، أو أنا لا أعترف بذلك الفقيه، وبذلك أنا بالله وبالشرع، ليرفع أمره إلى القاضي إذ لا يعترف بالعرف السريع، وهنا لا يقبل ولا يسمع منه رفع أمره إلى القاضي، بل يؤدي ما عليه، لأن ذلك من باب سد الذريعة، وإلا فسوف يدعي كل شخص النسيان أو العجز أو أن يدلي بعذر، فيختل التوازن في المجتمع، ويتفرق الطلبة، وتقف الدراسة. إذن فالعرف في هذه الحالة من صميم الشريعة والسلام» (مذكراته عند مشاركته بمدرسة أيت بوبكر 1936).

وأغلب الظن أن هذه الفتوى من جوابه لمجموعة انفلاس بأيت باعمران حول تلك المدرسة العتيقة ليستمر تعميرها، وهكذا اعتمد أيت باعمران العرف في تسيير أمورهم، حتى إننا لا نعثر على أحكام القضاة إلا نادرا. وذلك موضوع آخر.

وهاك عرف آخر في الأشغال العامة اتخذ مبدأ مستمرا، وذلك أن السلطان الحسن الأول أمر قائده أحمد بن همّو الخلفاوي هذا ببناء برج لحراسة مرسى سيدي إفني الطبيعية من تسرب الأجنبي بظهير عام 1299هـ فحدث ما يأتي :

«استنفر القائد قبيلته أيت إخلف لبناء ذلك البرج في موضع عائلة إدو فقير الخلفاويين، لكن أحدهم ادعى أنه محرر من الكلفة المخزنية، لأنه من الشرفاء الأدارسة، لكن العرف أرغمه على الانضمام إلى القبيلة، فرفض، والتجأ إلى حماية عائلة من قبيلة مستي،

فرفعت شكواه إلى مراكش، حيث رفض ما يدعي به من تحرير في القضية، وخضع للواقع» (رسالة جامعية للأستاذ علي المحمدي).

لم اطلع على هذا التحرير، ولعلها من المحررين المكلفين بعسات المراسي مثل جد الدكتور برّو المستي وابن خليفة المستي التزيتي من طرف الأمير الحسن الأول عام 1280هـ / 1868م.

أما سيدي إفني فيطلق على الضريح الموجود عند مصب الوادي على بعد قريب من المحيط، وهو قديم جدا، وبجانب القبة قبران طويلان حوالي عشرة أمتار، يزعم السكان أنهما لأناس طوال، وفي نظري أن ذلك الطول يرجع إلى حجرتي شاهدي القبر تباعدتا عن الأصل لجهل الناس، ولبقاء رواسب عواج بن عناق المعاصر لنبيء الله نوح عليه السلام بما وصلنا من ثقافة الشرق.

نعم في شمال الصحراء قبور طويلة شبيهة بالتي توجد على المنحدرات الصخرية لتابلالت موجهة شرق غرب يتراوح طولها ما بين (20 - 25 متر) يزورها الطوارق لرجوعها إلى ذرية ضاربة في القدم؟ وهذا الطول غير مقبول، والبحث في عين المكان يظهر الصواب<sup>(241)</sup>.

وفي سنة 1967م عين القائد دحمان من الأسرة المعروفة بأكلميم في قيادة مستي الحالية، وهو مكان ليس فيه مكتب ولا دار ولا ثكنة ولا حتى ما يستظل به من حمارة القيظ، ولا ما يتقى به سبابة البرد، ففرض على القبائل الباعمرانية (تيويزي) (التويزة) تطبيقا للعرف ستة أيام، لكل مذكر بالغ قادر ليساهم في البناء هناك، فإذا برجل من فخذة أيت علي بأوگّوگ يرفض أن يعمل، وادعى تحريره من الكلفة المخزنية، فسجنه القائد دحمان، وفي كل يوم الجمعة كان يجتمع هناك إمغارن (شيوخ القبائل) لمناقشة أحداث الأسبوع عرفا، فطرحت مسألة الرجل الرفض ووضع في السجن بدون حكم، فاستنكر الناس ذلك لوجود عقد التحرير لديه، فاضطر القائد إلى إحضاره أمام أولئك الأعيان.

ولما حضر طلب منه الإدلاء بما يدعي من تحريره، وقال الحاج أحمد بازين الحاضر : «وفعلا أدلى ذلك الرجل بورقة كأنها من عمل هذا الوقت، لأنه حافظ عليها إذ لم ينل منها

(241) أبحاث في دين الأمازيغ، ص 46.



الزمان قليلا ولا كثيرا، فقرأها القائد وقال له : إن هذا التحرير للسلطان الحسن الأول، وهو ميت، والذي حرره من عائلتك فد مات كذلك، وأنت الآن إما أن تأتي بتحرير جديد من الملك الحسن الثاني فنحرك، وإما أن تقوم بالعمل ستة أيام مثل سائر أيت باعمران، وإما أن تدخل السجن حتى تقبل العمل فتخرج منه للعمل هنا ؟ وذكرهم بمثل ما وقع لرجل حول رفضه العمل في بناء برج حراسة مرسى سيدي إفني. في عهد القائد أحمد الخلفاوي، فقبل ذلك الرجل العمل مع الجميع بتطبيق العرف». (بداية حصار الإسبان بمدينة سيدي إفني).

هذا وقد سألت جُهادي الحاج مبارك من الأعيان وهو حاضر هناك عما دار، فأكد لي كل ما ذكر، وهذا ما أشار إليه الأستاذ علي المحمدي في رسالته المذكورة، والمهم من هذا كله، أن العرف في أيت باعمران، كان هو المعتمد في حل المشاكل منطقيا وموازيا للشرع مع التنفيذ المعجل، لاستمرار المصلحة العامة. ولم يعارضه فقيه واحد من أيت باعمران، بل حرروه والتزموه.

#### معركة بيسورا بقبيلة إدموساكننا :

ويسمى البعض معركة إدموساكننا باسم القبيلة، وباسم المكان إيسورا جمع أسارو، أي الأخاديد العميقة التي حفرتها مياه الأمطار، وقريبا من هناك جرت معركة ضد الصحراويين الذين أتى بهم إصبويا ضد قبيلة إدموساكننا المستغيثين بدورهم بأهل ساحل الحاج علي بقبيلة السيجل.

«ولما انتهت المعركة، رجع فرسان أهل السيجل، فإذا بالأعراب كمنوا لهم في تلك الأخاديد غدرا، وهم يقودون فرسانهم لاجتياز تلك الخنادق، فاستهدفهم الكامنون هناك، فقتلوا معظم رجال قبيلة السيجل، ومن معهم، وقيل بلغ عدد القتلى منهم ثمانين شخصا. وهذه مبالغة يصعب قبولها» (قصيدة أمازيغية في انتقام الأعراب) وذلك أن الأعراب لما انهزموا من غزوه لقبيلة أكلو قبل ذلك، تعرض لهم فرسان قبيلة السيجل بالقتل والتشريد من أكلو حتى بونعمان، وقتلوا منهم الكثير حوالي سبعين كما ذكر صاحب المعسول في تيمتشي أوكلو. أي غزو الأعراب لقبيلة أكلو المشهورة.

أما ما عثرت عليه من أسماء قتلى معركة بيسوري من غير أهل السيجل هؤلاء :

- 1- السي الحسين بن باركا من قبيلة إدموساكننا.
- 2- جامع بن فاضمة بنت عبلا من نفس القبيلة.
- 3- رجل من موضع تينكازو من نفس القبيلة.
- 4- ابن موسى في موضع إيميؤگني بتاگراگرا.
- 5- الحسين بن علي وولده أبو القاسم، باميؤگني كذلك.

هؤلاء لم يميزهم الأعراب من بين أهل السيجل، وما أخذته بعد بحث من سيدة مسنة للغاية من قبيلة إدموساكني أثناء بحثي الميداني، وهي جمعة بنت حماد في نفس القبيلة بموضع إذبويؤيض الباعمرانية، في 3 يوليوز 1983م وقالت لي : «هناك نساء عندنا كن يركبن الخيل ويشاركن في المعارك، مثل مبايركا تاشارات من أيت الخمس، وعائشة ن الكاندي في إدموساكننا» وهناك قصيدة بالأمازيغية تشيد بشجاعة هذه الفارسات وخاصة تاشارات منها :

#### 1- مبارك وشاراد مبايركا تاشارات

#### 2- أكلو نگان سيبان كرايكشمن أكال

أقول : هؤلاء القتلى بدون شك، لكن هل في معركة بيسورا القديمة ؟ أو في معركة أخرى بعين المكان، لأنني لم أجد من أهل السيجل من يتذكر ذلك، إما لقدم المعركة ؟ أو لأنهم يعرفون ولا يرضون بذكر ما جرى. من تلك المآسي، إلى أن عثرت على أن عهد الفارسات المذكورات يرجع إلى عهد سيدي الحسين أهاشم فيما بعد، فزال اللبس.

وتقول الرواية الشفوية : «إن أعراب الصحراء انتقموا من فرسان أهل السيجل، عندما حاصروهم في موضع بيسورا مع غيرهم بعدما انتهت المعركة، ولكي يميزوا أهل السيجل من غيرهم، يقولون لمن وصلوا إليه «إسد أوسيجل أد تكيت» ؟ : هل أنت من أهل السيجل ؟ فإن أجاب بالغيث في كلمة «وُرت كيجغ» تركوه يمر، وإن أجاب بالحاء وُرت كيجح قتلوه، لأنهم ينطقون بالحاء بدل الغين حتى الآن، ويرجع ذلك الانتقام إلى



ما فعل أهل السيجل بأعراب الصحراء في غزوههم لقبيلة أكلو المذكورة، حيث كمن لهم فرسان أهل السيجل بعد طردهم من أكلو، ففعلوا بهم ما يفعل الذئب في الغنم، ما بين مقتول أو مجروح أو مجرد من المحيط والمخيض، من مشارف أكلو حتى بونعمان.

وهذا كل ما تبقى من ذلك الماضي البغيض، وربما نسي ذلك إلى موسم النساء بالصالح سيدي محمد بن عبلاً بتابلكوكت، حيث يكون التراشق بالشعر الأمازيغي بين شاعرات القبائل، فبدأت شاعرة ساحلية تفتخر بغزو السيجل لتابلكوكت في عين المكان، حوالي 1325هـ/1907م وذكر الفقيه أحمد أروهاال اليوسفي، أن حرب المراح وقعت بين أيت النص وأيت إخلف، عام 1314هـ وأما حرب بوواغاض وتسمى أيضا حرب تاعنديت فقد وقعت عام 1327هـ ومن ضحاياها علي بن أحمد من أيت تاعنديت. وذكر لي أيضا أن الدليل المنسوب إلى الصالح سيدي محمد بن عبلاً طرحه أحرق من قبيلة إصبويا في البحر، وكان الفقيه المشارط فيه هو سيدي الحبيب أنغيسيت العبلاوي. أما تابلكوكت، فقد «غزاها الساحليون وغنموا وراحوا بسلام، إذ لم يحضر فيها من يستطيع أن يرد على المغيرين». هكذا تقول قصيدة منها في موسم الصالح سيدي محمد بن عبلاً سنة 1936م :

- 1- تابلكوكت أمزغوبانسان سوتلن أم
- 2- توگيت لهنا توگيت أد تخاصمت أوال نم
- 3- يقيد و سيجل زود أنكي ياوي ن لمال
- 4- يروح ورت سلين يدا من و لا تافويين

فردت الشاعرة تابوگراينت من أيت إخلف :

- 1- أناو نم ورت أترگامن و لا أرئيتيرير
- 2- أسيامت ئشدودا قنامت تيولكين
- 3- موتن ئرگازن ماغ سول توفيت أناونم
- 4- و لا أزاونم أتا بيسورا أغن يموت
- 5- ئمال أس د وگتار أگيس كملن ئناغان

6- س و شواربي و لا ف ئسردان أتا فيس و كان

7- و ر أك يعديل أنادر ويلي سوتلنين

8- يضكام يزري غاساد أس ريغ آتن تارمت

من حفظ الشاعرة فاضمة تاليازيت بتاعنديت. وتكفي هذه الأبيات كإشارة لما ذكر. وبما أن تاريخ غزو تابلكوكت معروف، فإن معركة بيسورا إذن كانت قبل ذلك.

والذي عثرنا عليه مؤخرا في معركة بيسورا القديمة التي قتل فيها معظم رجالات السيجل، وفيها انهزم أيت بوبكر مع أنصارهم أيت السيجل، وامتد شرها إلى موضع إيموارگان، قرب إفني، حيث خرب أيت الخمس دار حمون الكارح، وهو من أعيان قبيلة أيت إخلف، فقامت القبيلة بإعادة بنائها حسب التضامن في عرفهم، وقد انتقم الأعراب من فرسان أيت السيجل، بسبب ما فعلوه بهم ما بين أكلو إلى بونعمان.

ولما أراد المهاجمون أن يشرعوا في هدم دار الرانس علي المجاورة للدار الأولى، قام الفقير المتعبد الصوفي محند بن أحمد إجوي، وهو من مريدي زاوية تيمگيدشت، فأخذ يلوح بعصاه قائلا : «أيها المهاجمون اسمعوا : إن دار الرانس علي في أگدال أي حمى زاوية تيمگيدشت، فمن حاول الوصول إليها فالله حاسبه ودعوى تيمگيدشت تطارده، وفعلا احترموها.

وهكذا نجت دار الرانس من خراب محقق، وهذا المريد المذكور لم يحمل قط بندقية وإنما كان يحمل تسبيحا وعصا ويردد بأعلى صوته بالشلحة نظم أوزال، بخلاف ابن عمه الذي حاول أن يطاول أقرانه، فقتل بإذن من عيسى ابن عثمان، واسم المقتول لعربي بن عبد الله، أما المريد فقد توفي سنة 1346هـ / 1927م في بلاد أشتوكن، ودفن في مقبرة سيدي محند الرگراكي بأيت عميرة عن سن عالية، وهو فقيه صوفي سياح متعبد.

وبفضل هذه الوثيقة، عرفنا موت هذا الفقير المريد الذي حضر امتداد معركة بيسورا القديمة، وبما أنه توفي عن سن عالية، فيمكن أن تكون معركة بيسورا القديمة حوالي 1328هـ / 1911م أي قبيل عقد الحماية واجتماع سوس حول أحمد الهيبة.



واما المعركة الأخيرة في بويسورا ضد الإسبان، فإنها وقعت في سنة 1957 م في عين المكان، عندما خرجت حملة الإسبان من إفني لفك الحصار على ثكنة أملو، وفيها جرح لحسن بن حموش في موضع عرگوب الأكماري، إذ أصابته رصاصة في فكه، ومع ذلك عاش إلى سنة 1970م وبذلك زال اللبس بين زمان المعركتين المذكورتين.

#### معركة إديباها ن حايمود :

في تلك الظروف المعروفة بالسيبية لانعدام السلطة المركزية في أيت باعمران بسبب الخلاف بين مبايعة الأميرين عبد العزيز وحفيظ، أعلنت القبائل حالة الطوارئ، ومعناها أن تراقب كل قبيلة حدودها، وهي المسؤولة عن الأمن بينها وبين جيرانها، وعليها أن تخبر القبائل بأسرع وقت بأي غزو يهددها، حسب العرف، ومن أسباب هذه المعركة :

أن قتل أحد الأشخاص أفعى خطيرة بالرصاص بطلقتين، (تيماتارين) عندما اعترضت سبيله، وهي من نوع الأفعاون، وهو نادرا ما يأتي من الصحراء، وحدث ذلك قريبا من موضع إدينعمر، وهم فخذة من قبيلة أيت إخلف، الموالية للجنوب، وهذا الموضع، سبق أن تعرض عدة مرات لغزو أعراب الصحراء، المختطفين لبهائم الرعاة، لذلك لما سمع الناس إطلاق علامتين للإغاثة، تابعت الطلقات من كل جهة، ثم تسابق المسلحون إلى عين المكان.

وبمجرد ما أشرفت كل جماعة على الأخرى، بدأ التراشق بالرصاص دون البحث عما وقع، ثم تكاثرت الإغاثات من هؤلاء وأولئك، فعمت الحرب، فلم يستبينوا الرشد إلا بعد الخسائر المادية والبشرية، ومن المشاركين في تلك المعركة الشاهد محند بن محمد بن علي من موضع إديبا دنيا بأيت إخلف، كما جرح فيها بالرصاص محمد بن مبارك أخا جبي النصبي المعروف بابن مبارك، ونستفيد مما ذكر، أن الجميع قد تسليح، وأن أدنى شيء يمكن أن يشعل المعركة، وتزهق الأرواح، وتحدث الخسائر، ويزداد فقدان الأمن، والبعض يسمي هذه المعركة بالتضامن وإغاثة المصروع، بينما يسميها البعض الفوضى الناتجة عن انعدام من يتحمل المسؤولية.

#### غلطة موقع إغير ند جامع :

يقع هذا الموضع قريبا من إيسيك، ومن أسباب هذه المعركة أن وقع خصام بين أشخاص في سوق أيت بويكر بين أيت إخلف وأيت النص من جهة، ضد الجنوب، ماعدا فخذة أيت إفرض، الذين انضموا إلى قبيلة أيت الخمس، ومعنى ذلك أنهم أدخلوا قبيلة خارجة عن قبيلة أيت بويكر أجمعين، لذلك قامت جماعة من أعيان أيت إخلف بغزو دار أيت إفرض (إيسيك) المنسلخة من قبيلتهم الكبرى أيت بويكر أويحيا أجمعين.

قليل الكثير عن أسباب الهجوم على قرية إفرض هذه، منها انضمامهم إلى قبيلة أخرى قصد المرور عبرهم إلى تيزنيت مرور قوافل التجارة بين جنوب المغرب وشماله، وهو الهدف الرئيسي، ومنها محاولة القائد المدني الخصاصي لمد نفوذه إلى البحر، فانهمز أمام أيت بويكر بزعمامة الشيخ بلعيد المرسي البوبكري، فاكتفى بضم جزء من قبيلة أيت يعزى ..

ومن عين المكان عائلة باعمرانية كبيرة، أدركت منهم المسن الذكرة ابن أشفي إبراهيم المولود 1919م بن محمد بن علي بن هموش بن لحسن بن لشكار البوبكري، خلف هذا الأخير أولاده الثلاثة : لحسن والحسين ومحمد، وكان هذا الأخير أشجعهم الملقب بابن أشفي : علي، فاشتغل بتجارة القوافل والفلاحة، وغنم في معركة إيگالفن مالا كثيرا وسيفا وشارك في معركة الجنرال دولاموط 1917م.

وقال المستجوب هذا : «إن القائد إبراهيم بن سعيد الوجداري بإيسيك، أغرى بعض أفراد عائلة أشكار ليقوم بقتل أخويه ليصبح أمغارا على القبيلة، وقام هذا الطامع وهو البشير بن هموش، وفعلا قتل عمر ومحمدا، ولما ارتكب هذه الجريمة رجع إلى أصحابه الوجداريين ليزوجوه بنتهم وليصبح أمغارا حسب وعدهم له، لكنهم غدروا به، وأعلنوا للقبيلة ما فعله، فحكمت القبيلة على البشير المجرم هذا، وكذلك على عائلته المظلومة حتى الصبيان، بحيث أشعلوا النار في مطمورة وأسقطوه فيها حيا، ثم اتبعوه بأبنائه، وقد أخذوهم من المسجد إلى تلك المطمورة، ولم ينج من هذه العائلة إلا أخوه علي بن هموش وابن هذا الأخير محمد، ففر من نجا من العائلة إلى حاحة، واستولى آل الوجداري على



أملاكهم بإيسينغ، إلى أن رجع محمد المذكور من حاجة فاسترجع أملاكه بعد القضاء على القائد إبراهيم وابنه محمد بالقتل.

ثم قال : أما معركة إفرض، فقد وقعت حوالي 1343هـ وسببها أن القائد المدني الخصاصي أراد أن يضم إليه أيت بوبكر، فرفضوا ما عدا عائلة آل الوجداري فحاصروهم أيت بوبكر أجمعون : أيت إخلف وأيت النص، مستعينين بإصبويا، ف وقعت معارك دافع فيها ابن أشفي محمد هذا وقتل فيها عبد للسيد الحسين بن أمغار، وساق الغزاة أبناء العبد ظلما وعدوانا، ومن ذبولها معركة إيغير ندمامع» (استجوابه سنة 1983م كما مدني ببعض الوثائق).

وهناك رواية السبب المباشر، وذلك أن أجموع قبيلة أيت إخلف في موضع المحارثا يندبون قتلى أعيانهم غدرا من طرف القائد محمد الوجداري بتزكية من حاكم تيزنيت الحاحي لكسر شوكة قبيلة أيت إخلف القوية، فقام الشاعر مجاينغرا الخلفي بإنشاد شعر لشاعرة فقال :

وَلِي نَ أَيْتِ إِخْلَفِ اِدْ يَكْسَا تَنْتِ وَضَرْضُورِ  
أَرِ اسْ أَقْرَاغِ أَتَنْتِ دِ يَسْرُوحِ يَفْلَتَنْتِ نَنْ  
نِسْ أ- يَأَيْتِ إِخْلَفِ أَدُورِ سُولِ ثَلِي وَانَاوُ  
نِ وِيلِي تَلْنِينِ أَدْ نَكْسِ اسْتَانِ تَدُورِ

نقلت هذه الأبيات عن الطالب كرايش الخلفاوي الذي قال إن هذا الشاعر هو أحد أجدادي وأصله من الصحراء، وهو من شعراء قبيلة أيت إخلف، وهو الذي أبكى واستبكى من حضر، واستغاثت النساء بأرواح إدا الشيخ هم الشجعان، وهنا ترأس مجموعة من فرسان أيت إخلف الشيخ مبارك بن القائد أحمد فقامت معركة إفرض، صحبة جماعة من كبار أعيان قبيلته، منهم اليزيد بن محمد بن الحاج الخلفي بأكني الماهر في الرماية، وأخوه عبد في موضع أكني كذلك، وحفيد الشيخ مبارك الفقيه الحسين بن عبلا بن عدي بموضع إمولاً إنجيا الخلفي، ثم مبارك بن أحمد ضراوي الخلفي، ثم أنفلوس مومادي بن علي أمبارك الخلفي، ثم أنفلوس محمد أو علي بموضع إمولاً إنجيا الخلفي، وكلهم فرسان من رماة القوم. شبوا في المعارك وشاخوا فيها.

وسبق أن اتفق معهم محمد بن علي المعروف بابن الشفي من موضع إفرض (إيسينغ) على أن يمد لهم اليد في هدم دار إد سعيد من شيوخ القبيلة وقادتها، لما فعلوه في غزوهم لدار القائد أحمد الخلفي عام 1314هـ وكان الموعد في الصباح الباكر، كما وقع الاتفاق بين الغزاة وفرسان من إصبويا للإغاثة عند الحاجة.

وكان أجموع قبيلة أيت إخلف في ذلك اليوم، في ضريح الصالح سيدي بورگراگ في عين أزموور بموضع تيزگي، وترأسهم أنفلوس عيسى بن محمد بن عثمان لمناقشة أحوال القبيلة عامة، لذلك اتهم الغزاة أنفلوس عيسى الذي تخلف عنهم بأنه هو الذي وصل الخبر إلى دار أيت إفرض، إلى أن تأكدوا فيما بعد من براءته، إذ كان معه أنفلوس عبد بن محمد بن عبلا بوكرميس البايهي الموالي لأهل إفرض، ومعه الطالب البايهي جباري الحسين بن سعيد من أعيان القبيلة، من فخذة أيت إقوي (معلمة المغرب ج 3 رقم 1029 جهادي) «وهذه الكلمة زناية الأصل يابقوج إبيقى تعني الذراع من نسب القبيلة أو من عروقتها : إژوران : poliginia وهي من أيت إخلف لتقوية عدد أيت النص لما قسمت أيت بوبكر» (دافيد مونتغمري هارت).

وضريح الصالح سيدي بورگراگ هذا، له احترام وتقدير كباقي الرگراگة في المغرب كله، وإن كانت قبيلتهم مشهورة في جهة مصب أسيف ن تانسيفت، ويرجع ذلك التعظيم إلى سبقهم إلى الإسلام، كما استوفينا لذلك حقه مع برغواطة.

وقد انتشر الرگراگة في المغرب يجمعون الزكوات، وقبر هذا الصالح متواضع في بيت مربع، متجه نحو الجنوب، يقام فيه معروف للصدقات بمناسبة موسم الصالح سيدي أحمد أموسى بتازروالت كل سنة، ويشرف هذا الضريح على عين غزيرة هناك، وكانت القبيلة تجتمع فيه قبل القيام بمعركة مقبلة.

وفي عين المكان تناقش خطة المعركة ومراقبة أنواع السلاح، وينتهون بعزم وحزم على تحقيق الانتصار، وأشهر اجتماع حول ذلك الضريح سنة 1917م ضد حملة الجنرال دو لاموط، متعاهدين على النصر أو الشهادة، وفعلا ثم لهم طرد حملة الجنرال من أيت باعمران، لكن استشهد في تلك المعركة أكثر من 600 باعمراني، وحوالي ألف من الصحراويين. كما استوفينا من مراجعه.



«وأضرحة رگراگة مذكورة في سوس، ويعتقد البعض أنهم مجاهدون، وهناك مقام قرب قرية أگلو غرب مدينة تيزنيت، مكان يعرف بتيمزلييت (مرکح) محترم يسمى مقام سيدي واسمين في موضع عرف بتامگرت نسيدي واسمين الذي هو من السبعة الرجال الرگراگة الذين ذهبوا إلى الشرق في عهد بعثة الرسول، ليتأكدوا من صحة نبوته وموقفه من عيسى ومريم، وهم علماء مسيحيون أصلاً، فأمنوا بالرسول ﷺ ورجعوا يبلغون رسالات الله للمغاربة قبل عقبة بن نافع» (242).

سبق أن ذكرنا فتنة السببة المنتشرة في أيت باعمران، حتى صارت كل قبيلة عدوة لجارتها، فساهم في ذلك ممثل المخزن بتيزنيت، لإضعاف الحلف القبلي وتشتيته، بضرب القبائل الموالية بالأخرى الراضية للقادة المتهورين، وأسند ذلك التنفيذ لقادة إفرض الوجداريين، فبدأ القائد إبراهيم بالهجوم على أيت إخلف في معركة المسيد الأحمر المعروفة بالمجازر بين القبائل، إلى أن قتل فيها.

ثم تولى ابنه القائد محمد الوجداري الذي استدعى أعيان قبيلة أيت إخلف للمذاكرة معهم، بعد وفاة قائدهم أحمد براكش، لكنه غدر بهم، فعلقهم في سلسلة أمواتا تشفيا منهم حتى تناثرت عظامهم، ثم وقع منه غزو دار القائد أحمد الخلفاوي للمرة الثانية، فهاجرت عائلته إلى أصبوا عند الشيخ مبارك الأخ للقائد الحسن بن علايات، بينما التحق رجالها بالأخصاص عند القائد بوهايا بن بوفوس في موضع تاعشو.

ثم قام القائد محمد الوجداري بتعيين خلفائه في قبيلة أيت إخلف، لكن تولى أنفلوس عيسى بن عثمان تصفيتهم في الطرقات، فتوقف التسوق في خميس أيت بوبكر بالنسبة لقبيلة أيت إخلف، وإن كان في أرضهم وفي أحكام قائدهم، لذلك أسس أيت إخلف سوقهم الجديد يوم الجمعة في موضع أزرك أومان (المطحنة المدارة بالماء الوحيدة بأيت باعمران).

لكن القائد محمد الوجداري خاف من تكتل قبيلة أيت إخلف القوية من جديد، فأمر أصحابه بإثارة الخلاف في سوق الجمعة هناك، فبدأ الترشق بالرصاص والجميع

(242) نموذج المقاومة المغربية، في الدولة البورغوازية الأمازيغية ص 210.

مسلح، فقتل بوعلی ن الرامي الخلفاوي، فاتهم به أعيان من أيت إخلف، منهم أنفلوس مومادي محمد بن علي أمارك، وحمو ن الكارح، وابنه عبلاً بن حمو، إلى أن تبين صاحب القتل بالخطأ، فحكم عليه أجموع بأزواگ، واستمر التسوق.

فأعيد الهجوم مرة أخرى من أصحاب القائد الوجداري، لكن تعرض أصحابه لخسارة في الأرواح، حيث قتل شجاعهم بأيروك في جبل بوشارب، فانهزم الباقون.

ويتوفر هذا المكان على سيلان طول السنة، وفيه زاوية لسيدي مبارك إجيوي الخلفاوي، المتخذة محل خزانة وثائق البعض ونفائسهم، وكذلك أمانات القبيلة، لذلك بنى برج سمي باسم صاحب الزاوية في أعلى قمة الجبل المسمى سُرْدَرَا لا مجال للصعود إليه بسهولة، وفيه نظفية بسيطة بين الصخور لجمع ماء المطر. وقريبا من تلك الزاوية بالوادي، يوجد مرکح ينسب لسيدي علي بودميعة التازروالتي، وفيه صخرتان على شكل كرة هندسية من الكراتيت، احدهما أصغر من الأخرى، ويزعم الناس أن الصالح سيدي أحمد أموسى هو الذي رمى بهما من تازروالت إلى ذلك المرکح، لذلك يتيمم بهما من يرکح هناك تبركا لوجود مثليهما في مرکح تازروالت كما رأيت ذلك هنالك سواء بسواء.

ويتسابق الناس إلى تحريك أو دفع أو حمل تلك الصخرتين، حسب قلة ذنوب الشخص كما قيل في حج المسكين بسيدي أحمد أموسى؟! وكل ما ذكر يرمي إلى مباركة الموقع وتقديس طقوسه لمباركة السوق أو الاكتفاء بزيارته إذا تعذرت زيارة تازروالت، أو إذا استحالت ظروف الحج إلى مكة، ونفس الطقوس في سيدي رحال البودالي بالسراغنة، وقد يساهم ذلك في تذكير العامة برجائهم على الدوام في أداء الركن الخامس من قواعد الإسلام. دون أن ننسى محاولة ترسيخ هالة الزاوية ورعايتها ودفع أعشارهم إليها بدلا من حملها إلى الأبعاد، وخاصة في ظروف السببة المستمرة ثلاثين سنة. ومع ذلك لم تنج تلك الزاوية من غزو أعراب الصحراء وسلب ما فيها من الأعشار وأمانات الناس.

تضررت قبيلة أيت إخلف من ذلك الحصار، إلى أن اجتمعت كلها في قمة المحايرتا لرد الاعتبار لقبيلتهم من جديد، فضجت النساء وبكت الأرامل، واستهزأت الشاعرات



رجال القبيلة، وخاصة أبناء الذين قتل أبائهم غدرا وظلما وعدوانا، وأعلن الجميع إرجاع عائلة قبيلة آل الشيخ هم الخلفاوية، ثم الانتقام لأعيان القبيلة من قتلهم، فتحمل المسؤولية من جديد، الشيخ الحسن بن علي مكان عمه المرحوم القائد أحمد، فباع ثمانية من عبيد عمه في موسم الصالح سيدي أحمد وموسى وكلهم معتقون أحرار، ودفع للأخصاص ثلاثمائة ريال حسني ليقوموا بقتل القائد محمد الوجداري جزاء بما فعل بضيوفه، فقام بهذا التنفيذ أحمد ن بولهمز الخصاصي، صحبة الطالب مبارك وحماد الخلفاوي أخذا بثأر أبيه حماد أنفلوس.

لم يكتف أيت إخلف بثأرهم هذا، بل قامت جماعة منهم بغزو قرية إفرض، وهي جماعة مغامرة، نتجت عن ذلك خسائر بشرية، لأن أمغار المستهدف السيد أحمد ند سعيد، ذهب إلى السوق مبكرا، وكان الجميع يحترم دار ابن الشفي جار أمغار المذكور هذا، لأنه من أعيان القبيلة، وهو الذي قاوم وحده بالرصاص تلك الجماعة، بعدما تراجع عن موافقته معهم، ففسدت الخطة.

وفي أثناء تلك المناوشات، قتل فرس للشيخ مبارك، كما جرح هو نفسه برصاصة مسّت جبهته، فرجعت جماعته نحو موضع إغير ند جامع، وعددهم ستة، فترس جميعهم بسقوف المدشر المذكور، وحدث أن زارت جماعة من أعيان قبيلة أيت الخمس صديقا لهم جهة بوگارف، على بعد عدة كلمترات، وكلهم صقور، لا تسقط لهم رصاصة، وهم شجعان أيت باعمران بامتياز، وقد لبوا جهة الطلقات النارية، وهم لا يعرفون بدورهم أن بزاة ينتظرونهم أشد منهم بأسا ودراية بالحروب.

فبدأ التراشق بالرصاص، بين من على السطوح، وبين من على ظهور الخيل، فإذا بجماعة من إصبويا أغاثت بدورها المحاصرين في الموضع المذكور ! لأن أيت إخلف لم يرغبوا في قتل أعيان أيت الخمس البارزين، وإلا فهم في متناول ذلك، إلى أن شرعوا في إشعال النار فيما يحيط بالدور والزرع في الأندار وإفساد المتاع، فردوا عليهم من هناك بعد نفاذ الصبر، فسقطوا دفعة واحدة غفر الله للجميع.

وفي حضور أصبويا تعمية كما قيل لي، إذ جرت العادة في الحروب القبلية ألا يعلن قاتل في المعركة، خوفا من الانتقام منه، ولذلك يقال أصابته رصاصة لا يعرف صاحبها،

كما أسند هنا لجماعة من إصبويا خارج الدور، وهم الذين قتلوا أولئك الأبطال السبعة، وعلى من ذكر تلك الفتن أن يستغفر لهم.

وبعد استقرار الأوضاع، وانتهت فتنة السبية، اعترف رجل من موضع أگني بأيت إخلف قال : «كنت على السطح والشيخ اليزيد ير أمامي على فرسه، وأنا أحتمي بحجرة فوق السطح، ولم أرد قتله، ولما دار نحوي، رماني برصاصة أصابت الحجرة التي كانت أمام وجهي، ومن ثم رميته عن قرب دفعا عن نفسي فسقط، وكم ندمت على ذلك، لكن أحدنا مقتول لا محالة»، ولما وقف عليه الشيخ مبارك قال : «ها أنتم قتلتم أكبر رجال أيت باعمران، فأين نجد مثل هذه الشخصيات غدا ؟ فسقطت دموع من عينيه بغزارة» (ملخص مجموع الاستجابات).

وهذه المعركة فوضوية قبلية بين الإخوة، لا معنى لها شرعا ولا عرفا، وأقبح من ذلك أن توصف بالجهاد ضد النصارى ؟ وحق لها أن تسمى بالعار لكي لا تعاد. وهي غلطة فادحة من كلا الطرفين، ولا يسعنا إلا أن نطلب لهم المغفرة، وما أفة الأخبار إلا روايتها !؟. وكاد الشيخ مبارك بن القائد أحمد نفسه أن يلقي نفس المصير، فقتل فرسه وجرح هو نفسه في جبهته، مما جعله لم يشارك في معركة أخرب الخطيرة التي سقط فيها فرس أخيه الشيخ محمد، فكسر في فخذه طيلة حياته وذلك سنة 1339هـ/1920م وبهذا التاريخ تمكنا من تاريخ معركة إغير ند جامع في نفس السنة، هذه المعركة التي كانت قدرا مقدورا، ذكرناها حتى لا يعاد مثلها.

«أما الوصول إلى البحر، فقد كان أول قائد جديد بدأ هذا التوسع نحو الوصول إلى المحيط، وهو القائد إبراهيم الوجداري، فاحتل ميرلفت 1307هـ، التي هي من أحكام القائد أحمد الخلفاوي، لكنه انسحب بعد انذار من السلطان بعد شكاية القائد أحمد، ثم هاجم من جديد في المسيد الأحمر للوصول إلى إفني، لكن أيت باعمران لم يفهموا من تقدم الوجداري نحو المحيط إلا احتلال قبائلهم، ف وقعت معركة خطيرة في المسيد الأحمر، قتل فيها أكثر من مائة مقاتل بين أيت إخلف، ولف القائد أيت النص، ومن أيت الخمس، فانتهدت تلك المزجرة بقتل القائد إبراهيم نفسه مع أخيه ومعظم من والاه.



عام 1308هـ / 1890م كل ذلك بدافع من ممثل المخزن بتيزنيت، ومن الدفاع السري، اعتناء المخزن بإشهار عدد الصالحين على سواحل أيت باعمران، أما السبب الحقيقي فهو سرية مزاعم إسبانيا في إفني حسب المادة الثامنة من اتفاقية تطوان، لأن الشعب لا علم له بذلك، ولم تظهر المعلومات حتى تبرأ السلطان مولاي يوسف من مزاعم الإسبان في سواحل أيت باعمران في رسالته التي جاء فيها حاشا وكلا أن أسلم أرض المسلمين...

ومن تشجيع ممثل المخزن بتيزنيت للوجداري، تجهيزه بسلاح خطير مثل بندقية ذات ستة عشر قرطاسة، التي تحصد جماعة دفعة واحدة، فالوجداري إذن وحاكم تزنيت والمخزن كان هدف الجميع الدفاع عن إفني قبل خروج الإسبان فيه، لكن بدون إفهام أيت باعمران بالهدف الوطني، كل ذلك لم يظهر إلا مؤخرا<sup>(243)</sup>.

#### معركة تيفانيمين بالسيحل :

أشار بعض المؤرخين إلى تشابه عميق بين أيت باعمران وإحاحان : ومن ذلك تعمق العلاقة والتشابه، بينهما حتى في تعدد القبائل، ولا عجب، فالقرابة متوفرة وموجودة في عدة جوانب منها، انتشار أسماء الأعلام الجغرافية في أيت باعمران بنفس الكثافة وفي إحاحان، وهكذا العادات والأهزيج والتقاليد، وكذا معظم الأسر الكبرى في حاحة التي هاجرت فعلا من أيت باعمران، ومنهم إداؤبوزيا، وأيت إلسيمور، وأهل صالح أباينو على مشارف أكلميم، وأيت أومغار، وعائلة لقصيب، والقائد المشهور بيهي البايونوني منذ السلطان مولاي إسماعيل، ومن جهة تيسكاتين مجموعة من أيت تغوما، «وحتى 800 جندي الموظفة على حاحة ومسفيوة والحوز بأمر من مولاي عبد الحفيظ، ترأسهم القائد مبارك الباعمراني، وبهم قبض على الثائر بوحمارة بالريف»<sup>(244)</sup> والحق أن أصالة المواصفات، يزيها الواقع.

أما اللسان الأمازيغي وأحواش وأدواته والدرست واللباس وحب النظافة والاعتزاز بالنفس، والأريحية والبشاشة وربط العلاقات بشكل سريع، واهتمامهم بالقرآن وروايته

(243) وثائق حمايدوش بايسگ.

(244) خلال جزولة، ج 4، ص 79.

والزوايا المتعددة وعلى رأسها التيجانية، بالإضافة إلى قوة الشخصية، وحب الصدارة والشجاعة، وذكرهم في مقاومة أوناغا، مشهور، كما يعتزون بالسلطة والنخوة والجد. والكرم، وتعلقهم بالأرض، والكسب والفلاحة وتربية النحل، وانتشار غابة أرگار في بلادهم واشتغالهم بالبحر..

وفي حاحة واد إيگيزولن الدال من تاگيزولت العزة والشهامة، كل ذلك يساهم في التطابق مع أيت باعمران، حتى الصالح سيدي إبراهيم أعلي بتيفانيمين بإداوتانان، أصله من أيسیگ باعمراني قح، ومدرسته ومقامه بنفس المواصفات، قرب أربعاء السیحل بأيت باعمران حتى الآن، يسمى بنفس الاسم، فأشاعوا عنه أنه ذو قبرين تبركا بمقامه، مع أنه انتقل حيا إلى إداوتانان، وكلا المقامين عامر بنفس المواصفات العلمية والقرآنية والصوفية حتى الآن، في كلا البلدين. ومن عمر هذا المقام الباعمراني بالسیحل فقهاء كبار من إداوسملال قرب مرلفت أبا عن جد.

ومن بقي من خلف سيدي إبراهيم أعلي بحاحة أسماء بناته الفضيلات الأربع :  
للأ يامنا بنت إبراهيم بضريحها في أعلى السور، ثم للأ فاضمة بضريحها بحاحة بتمانار،  
ثم للأ رقية بتاليوين، ثم للأ صفية بجوار الصالح سيدي بولقناديل، ويقام المعروف حول  
ضريح يامنا بمناسبة عاشوراء، وتقوم النساء فيه بالدرست، وبحركات تسمى أحواش ن  
تيدي بين صفين متقابلين من الذكور والإناث ومنه :

للأ يامنا نبراهيم غ وفلا ن سور

للأ صفيا غ وگادير للأ غ إحاحان

وأين من يجمع ما بقي من أثر الصالحين ؟ وقد ثبت تاريخيا أن معظم هجرات أيت باعمرات بسبب الجفاف، قد استقرت بكثافة في حاحة، لكن أقلية منهم رجعت بعد تبدل الظروف، ومن تلك الشخصيات الباعمرانية المستقرة في حاحة منذ تلك الهجرة :

1- القائد المشهور في موضع بورريقي قرب سميمو بجوار زاوية أوْحَسِين، حيث وقعت معركة ضد جنود الحماية الفرنسية، مما أدى إلى تخريبها، وقريبا منها وقعت معركة أخرى تعرف بمكان يسمى «بوتازارت»، وهناك حاصرت حاحة الجيش الفرنسي حتى أكلوا



الجيف، وذبحوا خيولهم، ومع ذلك لا كتاب يسجل، ولا فلم يصور، ولا متى يكون رد اعتبار لبطولة من استشهد هناك في بداية القرن الماضي، أو على الأقل إحصاء الأحداث التاريخية؟..

أما بورقي فمزالت فيه آثار البنيان، وفيه ثم نصر السلطان مولاي الحسن الأول. وشاع في المثل: «من نصرته حاحة لا أحد يتأخر عن نصره» وهناك آثار غير بعيدة تسمى أيت واضيل، ترجع إلى إنتاج السكر في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي، ومن يستطيع أن ينكر البارود المصدر من أسافي إلى أوروبا؟ تلك المادة المقارنة بالرجولة، ولأهمية حاحة أسست الصويرة الحديثة بعد تاصورت القديمة، ومن القادة الكبار، الحاج عبد الله بن بيهي أوميليد. هذه إشارة فقط، إلى دور القادة الحاحيين بسوس وعلاقتهم بأيت باعمران.

2- أما القائد سعيد أكيول، فهو الذي ذهب إلى تيزنيت، وكان يلقب بشارموگ، لأنه مشقوق الشفة العليا «أفلح أعلم» وهو الذي سلطته السلطة المركزية على سوس بكاملها، لبث الأمن في القبائل في عهده، لانتشار ما يعرف بالسبية، لظروف حلت بالسلطة المركزية نفسها، حتى أكل القوي الضعيف، فأمر هذا القائد أن يمثل المخزن بارتكاب أخف الضررين، وأدنى المفسدين، لكنه رفع راية الظلم، فلم يترك للناس دجاجة ولا بقرة، فخاض معارك في السهل والجبل.

وقد بالغ فيما فعل وجاوز الحد، وبخزمه أخضع كثيرا بالقوة والعنف، وقد تحداه سوس بكاملها بجبال ولتية، وفي أيت باعمران. في معركة السيجل، حيث انهزمت حركته في معركة تيغانيمين قرب أربعاء السيجل، كما غزا إداويعاقل في الجبال، حيث اضطر إلى الانسحاب كرها بعد خسائر فادحة من رجاله، وخاصة أخاه أحمد، والحق أن هذا القائد الحاحي، فعل بالسوسيين ما فعله الحجاج الثقفي بالعراقيين، وكلاهما يستعمل في حكمه طريقة إذلال وإخضاع أرخت ما ضيه بالبغض والكراهية

كيف لا وهو «لم يترك بغلة ولا جملا ولا حليا ولا أثانا منظورا ولا رجالا لامعين، فلم ينج إلا قبائل لم تخضع»<sup>(245)</sup>.

(245) المعسول، ج 15، ص 231.

### القائد سعيد الكيلولي ابن ظروفه :

ذكرنا سابقا أنه من الشخصيات الناذرة التي تهجى وتمدح، ومن ذلك قول الأستاذ أبو الحسن الإلغي كفتوى فريدة في 16 بيتا غير مقنعة سامحه الله إن لم يؤمر رغما عنه كما وقع في تلك الظروف :

لك البشر والبشرى بفتح به عنت، وجوه العتاة العمي للحق عن قهر  
وأصبح حزب الكفر دام وبالهم، وقسرهم بالقهر في ذلة الأسر  
أتى أن منهم من تولاهم فما لهصباوة صبت إلى الظلم والظير  
رئيسهم الغير المبارك من دعوا، بنجل يأگو يدعو إلى الشرك والكفر  
فأموالهم مباحة ودمائهم، تراق بسيف الشرع من دون ما نكر

قام هذا الشاعر بعملية الإسقاط في غير محله، فأحل قبيلة هصباوة المتاجرة مع كورتيس الأنجلزي في مجاعة أكل الإنسان فيها أخاه الإنسان، كما عد المضطرين كقاطع الطريق المحاربين بالسلاح، فاقتبس بشعره «أقوال مالك وأصحابه في أعراب قطعوا الطريق» فهل يستويان مثلا، والسلطان نفسه يقر بشدة المجاعة. ونحن لسنا مع من يفتح باب الفتنة، ولا مع من يكفر المضطرين بفتوى شعرية.

وقد «طلب هذ القائد تمييز عسكره بالكسوة والعدة، وفعلا بدأ تلبية مطلبه بثلاثين مكحلة من نوع مارتيني، إلى أن وصلت 300 مكحلة التي كانت توجه بقصد إدالتي أيت باعمران ووادنون» المعسول ج 15 ص 229) وبهذا السلاح المتقدم كان بعض من أيت باعمران مسلحين، وبه قهروا هذا القائد بتيغانيمين بالسيجل.

والحق أن سوس بكاملها كانت تعادي هذا القائد النموذجي العنيف لظلمه المستمر، إلى أن توفي الوزير أحمد بن موسى عام 1318هـ/1900م فأمر بالإقلاع من سوس مغضوبا عليه من الحكومة الجديدة، خائفا من السجن، فذهب إلى الحج فمات بعد رجوعه غفر الله له، ومع ذلك عين ولده القائد مبارك بن سعيد، ثم أثرت فتنة بوحمارة بالريف في تماسك الجميع. فما يدري خداهش ما يصيد؟.



ولا شك أن هناك أدبا بالأمازيغية والعربية أرخ لتلك الحقبة، ولا أدري هل من المصلحة جمع ذلك واستنطاقه والتذكير والتحذير من كل ما مر من الأهوال حتى لا تكرر، أو تركها تموت وتنمحي حتى من الإشارة إليها كما ينص عليه البعض !.

وبما تركه الحاحي في تيزنيت، إنعاش الأدب الأمازيغي، إذ كان مشورها هو ملتقى الروائس وإنضامن والحلقات الفلكلورية في عهده، شبيهة بجامع الفناء براكش، كما قلده قادة الحوز فيما بعد، وقد قام هذا القائد بغزو أيت باعمران مرتين، رغم أن والده يهيي البيونوني من أيت أمغار الباعمرانيين، فوصل في إحداهما إلى مشارف ميرلفت، فسلب موضع إسمالان هناك، وهم أسرة علمية باعمرانية، منهم سيدي إبراهيم أقراب النوازي العالم الكبير، القاضي الأصولي المعروف بحواره مع الأدوزيين، وابنه القاضي سيدي أحمد أوبراهيم المرافق للسلطان مولاي الحسن الأول عام 1303هـ المتوفى مسموما بتيزنيت، يوم رجوع السلطان منها، ونقل جثمانه إلى إسمالان بالسيحل بجوار ميرلفت، وهو من قضاة أيت باعمران كما في عقودهم.

ومن هناك هجر القائد الحاحي هذا خزانة أولئك العلماء الباعمرانيين، وكذلك خزانة التاداراتيين الباعمرانيين، ومنها ما يوجد حتى الآن، في بعض الخزانات في الصويرة، وسمعة القائد الحاحي هذا لا ينكرها السياسيون والمخزنون على السواء، إذ لولاه لأفنت السبية سوس بكاملها، وقد انتقده البعض وهجاه البعض، والقائد ينفذ الأوامر، وللضرورات أحكام، والغاية تبرر الوسيلة، وكل مقدور فما عنه مفر.

انهزم هذا القائد في ثلاث معارك : معركة تابوحنائيت بأشتوكن، ثم معركة ضد ولتيتة، ثم معركة تيغانيمين، بأيت باعمران، إذ كانت هذه القبيلة الساحلية قد هادنت حاكم تيزنيت، منفصلة عن لف أيت باعمران، وهي منهم وإليهم، لذلك تعرضت للتغريم بعد انسحاب الكيلولي الذي فصلهم عن لفهم، وبعد طرد الكيلولي الحاحي تعرضوا للغرامة العرفية، كما أشار إليه مؤرخ سوس قائلا : «فوثب أهل بعمرانة على الكريمة في الساحل، وأخرجوهم من بلادهم، فالتحقوا بزواية سيدي واكاك بأكلو سنة 1315هـ» (246).

(246) المعسول، ج 15، ص 208.

وبغزو الكيلولي هذا كقائد للمخزن استدلت سلطة الحماية في اقتطاع قبيلة السيجل من أيت باعمران بعد اتفاقية الحدود بين الحمائيتين : الفرنسية والإسبانية، فنوقشت في دار أمغار لحسن أو عبلا بموضع أيت تويجانت هناك، مع الضابط الإسباني كباص وضابط فرنسي بحضور أعيان أيت باعمران عند رسم الحدود، وهم لا يعرفون سبب المحاجة أمامهم بين الضابطين حوالي 20 أبريل سنة 1934م.

وقد أثار القائد الكيلولي هذا رعبا في قبائل أزغار بسوس «فهاجم ماست والمعدر، ففر الناس خوفا منه، لكنهم وقعوا في يد البعاقلين وأهل تيزنيت، فانتشرت الفوضى بسوس، فهاجم أيت باعمران على جنوب تيزنيت، كما سجله مؤرخ سوس قائلا : «من العجب أن هذا القلق، وصل إلى أيت بعمرانة وأولاد جرار، فبعضهم وثب على العوينة، فغوروا أعينهم، وأكلوا شعيرهم، وخربوا ديارهم، فهلك من ضعفهم في الطرق ما الله تعالى عالم به». (الأدوزي عن المعسول ج 15) لأنهم خضعوا لحاكم تيزنيت الحاحي المخزني.

ولم يهزم الكيلولي إلا في معركة السيجل ضد أيت باعمران، وضد إدويعايل شرق تيزنيت، حيث فقد كثيرا من أبطاله، منهم أخاه القائد، فرجع كما ترجع الموجة الطاغية عندما تسجد على غشاء السيل في النهاية، وقد كان هذا القائد ممن ساهم في إضعاف قوة القبائل بسوس، وبالتالي فتح المجال أمام قوة الحماية الفرنسية ما بين 1912 إلى 1934م.

گوماك أك تئاسين أ- يوزال س- تاكات  
أركي د تاسي وإياض أرك تكات وإياض  
وانا س تئيت نكا گوماك أك تئاوين  
أر تورومت لعدو كين كين نلوشارات  
ئبيد أرك تئمناد أرك نمال نويياض

3- ومن قادة حاحة كذلك، القائد بوزيا، ويلقب ببوتامني، لكنه أنفق مجهوداته في الصراع ضد أخيه، وهناك القائد مبارك ند عدي، والقائد سعيد أو تاكزيرين، وفي قبيلة



حاجة أساتذة كبار، ومثقفون وطنيون، ساهموا في بناء تاريخ الوطن، لذلك سجلت  
علاقتهم بأيت باعمران، في شتى المجالات. وتتكون حاجة من 12 قبيلة.

وفي إحاحان المدارس العلمية العتيقة، والزوايا الصوفية، أكثرها التيجانية الواسعة،  
والدرقاوية، ومن الفقهاء الباعمرانيين المشاركين في إحاحان، الروائي بوشبوك الحسين إجيوي  
الخلفاوي الباعمراني الجامع بين الروايات والتفسير، وذلك ناذر جدا وعنه أخذ البصرراوي  
الحاحي الملقب بوتروك، الذي هو فقيه باشا درب مولاي الشريف بالدار البيضاء، لكنه  
قتل خطأ لعلاقته بالمخزن في سنة 1953م، كما توفي شيخه المذكور في نفس السنة، ترك خزانة  
نفيسة عهدي بها في يد طالب اسمه الصبان لقبا، بواسطة كريم أحمد كما ذكر.

ومن الباعمرانيين الحاحيين والد عبد الحميد الزموري المقاوم المنتقل إلى جهة  
مكناس، ومنهم أيضا السيموريون بحاجة المثقفون، وكل ذلك ضمن معارك ضد الجهل  
أولا، وضد الاستعمار ثانيا، إذ لا يفيل الحديد إلا الحديد. ورحم الله الجميع، ومن حاجة  
وقع نصر السلطان مولاي الحسن الأول، وموجب هذا الاستطاد، أن بين حاجة وبُعمرانة  
شهادة مشتركة، فهل هذه العصا من تلك العُصية؟ وقبيلة حاجة كانت تمتد في التاريخ  
إلى أسفي. وللتنقيص منها فسرت بالحياحة..

وهذه حكاية مستملحة: «اشتكى طلبة حاجة على القائد الشهير الحاج عبل الحاحي  
فقالوا له: إن الطلبة السوسيين يتكاثرون علينا في نزهتنا التي نقيمها رأس كل سنة،  
فنحب منك أن تقطعهم عنا، فصار القائد يسألهم عن أحوالهم حتى بلغ بهم السؤال  
عن الذين تعلموا منهم، فصار كل واحد يقول: أخذت عن فلان السوسي بسوس،  
والآخر يقول ذلك، حتى قالوه في آخرهم، فقال لهم: حينئذ السوسيون هم أشياخكم  
ثم تعقونهم! لا والله لا أمر بإخراج واحد منهم في نزهتكم فخرجوا يتعشرون في أذيال  
الخبيبة»<sup>(247)</sup>، وهكذا تستمر العلاقة التاريخية الطيبة بين حاجة والجنوب، إذ هذه العصا  
من تلك العصيا.

نعم: للقائد الكيلولي محاسن تشفع له عما فعل بسوس، ومنها الحد من قوة  
تلك الخصومات بين القبائل، مما جعلها تتحد ضد هذا القائد الكبير، ومنها أيضا أنه

(247) مدارس سوس العتيقة محمد المختار السوسي ص 38.

«في سنة 1315هـ ظهر في ناحية إصبويا من بعمرانة سفينة للنصارى، خرجوا في أساكا  
الموضع هناك بمشاورة بعض الباعمرانيين، فنهض إليها الكيلولي بفرقتة، فقبض على  
أولئك النصارى وأصحابهم، فدخل تيزنيت حرا ظافرا بعد أن طمع الناس في نكبته  
وافتنصاحه، لكن لم يقع له شيء، لأن أيت باعمران لا يمكن أن يقوموا ضد الوطنية،  
فبعث بالنصارى وأصحابهم مصفدين في الأغلال إلى السلطان» (المعسول ج 15 رسالة  
ص 227).

لم يتعرض أيت باعمران لحركة الكيلولي، كما يتمنى الناس جميعا، لأنه ذهب  
للقبض على النصارى الخارجين هناك، كما استعان بأعيان أيت باعمران، إلى أن قبض  
على أولئك النصارى، وبعض من كان يبيع ويشترى معهم، والحالة غاية في المجاعة، ولما  
قبض على النصارى عُدد ذلك دفاعا عن الوطن بأمر السلطان.

### من أسباب ضعف قبيلة أيت برايم:

منها أن موقعها هو الذي جنى عليها، فهي بمرطبيعي ربط بين شمال المغرب وجنوبه،  
وهي قبيلة صغيرة منحصرة في مرتفع بين القبائل أكثر منها عددا، ولتعسف قائدهم  
عليهم كعادة من حوله، وللخلاف الذي بين أعيان القبيلة مما أدى إلى فقدان الأمن  
ومرور الأعراب في قبيلتهم حتى وصلوا إلى غزو أكلو على المحيط، كل هذه الأسباب  
وغيرها جنت علي هذه القبيلة.

وتشير بعض الوثائق إلى أن هذه القبيلة تكثر من عدد الطلبة ليتحرروا من الكلف  
المخزنية، بدلا من تكوين المدافعين عنها، لذلك لم تبد أية مقاومة عندما صارت. وزريعة  
بين القبائل المذكورة! كما عجزت عن رد غزو الأعراب عنها عام 1331هـ بل لم تستطع  
أن تتعرض حتى للأعراب المنهزمين من أكلو عام 1332م على عكس قبيلة الساحل  
المنتقمة من المغيرين شر انتقام.

ويظهر أن هذه القبيلة ما زالت تتمسك بما شرعه الموحدون من تحرير الطلبة من الكلف  
المخزنية، ومن المشاركة في المعارك الحربية، ثم استمر ذلك في المشاركين والمدرسين، كما



حررهم العرف القبلي من المساهمة في ثمن الخيل المقتولة في المعارك، إلى أن أعطيت الأوامر لرماة حملة الجنرال دولاموط، بقتل الخيل تحت فرسان أيت باعمران في المعركة قبل الفارس، وفعلاً نجحت الخطة بسبب كثافة السلاح المتطور، فإذا علمنا أن تلك المعركة استشهد فيها 600 باعمراني وأكثر من ألف من الصحراويين، ندرك الخسارة الفادحة في الخيل التي تتعرض للرصاص أكثر من الفرسان.

وهناك وثيقة فرضت بعد هذه المعركة على الشرفاء في أيت باعمران، وعلى جميع الطلبة في قبيلة أيت برايم بما فيها جمع الكلف القبلي لشراء الخيل، وكان يشرف على تطبيق هذه المهمة أعيان من أيت باعمران تحت رئاسة الشيخ مبارك بن القائد أحمد الخلفاوي، ومعه كل من أنفلوس الحسين بن يوسف، وعيسى بن عثمان، ومومادي محمّد، وأعلي محمّد وغيرهم، وفعلاً نجحت الخطة، إلا أن الخصوم سمموا الشيخ مبارك في أكلة، فمات بأجموع في مسجد لمسيّت بالسيحل، ووقع الشك في شريف من آل تازروالت الذي اختلط مع الأعيان، كما اختفى بوفاة الشيخ مبارك الذي دفن بالمجامع عام 1340هـ.

والحق أن قبيلة أيت برايم، كانت دائماً في مهب الرياح، وقد حاول القائد المدني الخصاصي، مراراً أن يشق طريقه عبر قبيلة أيت يعزّي الباعمرانية الصغيرة ومن ثم إلى قبيلة أيت برايم، ليصل إلى البحر، في عهد الأمير أحمد الهيبة، وذلك بدافع من ألمانيا ليتمكن من السلاح من البحر.

قاموا بذلك بعدما لم تنجح محاولتهم في أركسيس جهة الباعمرانيين، وكذلك محاولتهم في الغزيرة بأيت إخلف، «وحول سفارتهم إلى أغبالو ن كاردوس ببعاقيلة بعد خروجهم من أركسيس، صاحبته من هناك جماعة بإذن من الشيخ أحمد الهيبة إلى كاردوس، ومنهم الرحالي الحاج عيسى بن المحجوب البلكوكي الباعمراني وابن عمه القائد محمد بابخا الرحالي (قائد الهيبة) ووشحه السفير الألماني بوسام بقي عند الحاج عيسى إلى أن سلمته منه السلطة الإسبانية في إفني سنة 1936م» (معلمة المغرب رقم 4291 تحرير جهادي).

كان امتداد بعمرانة قديماً نحو الشرق إلى قمم الأطلس الصغير، وبما لخصناه شفويًا من مولاي عبد من بويزكارن، من هذا الموقع الذي يحتاج إلى فتح قوس، فمن حيث الاسم فهو هكذا Bouyzakarn بعدما تعرض لألسنة محرفة ومعناه صاحب الأحبال الغبارية اللولبية الحمراء التي تنطلق بجانب جبل تايرت، من الغرب إلى الشرق في كل فصل الصيف، وبين كل عمود من العجاج الأحمر، حوالي نصف كلم، لكن البعض يقلب الكفاف المعقوفة ويسكن الزاي فيجمعه جمع إزكارن أي الأبقار، وكم تألم الشلوخ من تكرار ذلك على مسامعهم في الإذاعة الوطنية، كما يشددون الدال في كلمة إداوتانان : Idawtanan.

ومن حيث الوطنية فقد كانت قرية بويزكارن مركز قوة القائد المدني ضد الحماية، كما كانت ملجأً لأيت باعمران الناجين من هجوم الإسبان بالطائرات سنة 1957م، ومنها جددت عقود أيت باعمران، ومعظم وثائقهم ما بين 1957م. إلى 1969م كما أصبحت بويزكارن Bouyzakarn مقراً مهماً لجيش التحرير طيلة محاربة الإسبان. في أيت باعمران حيث مركز جيش التحرير.

وفي تلك الظروف القاسية، وجد هناك القائد مروان محمّد منذ بداية الاستقلال، وكان من أفضل الجيل الأول كقائد وطني يستحق كل تقدير، وقد حصل لي شرف استجوابه في يوليو سنة 1995م وهو مريض بمنزله رقم 121 بعين الشق بالدار البيضاء، صحبة أبا كريم الحنفي الذي زاني، فوجدته مسجلاً معظم الذكريات، منها نزوله عندي في حانوتي في المدرسة العتيقة «بوغارفا» عندما كان لاجئاً، بل سجل حتى قدومي عندما قدمت عنده في قيادته أبحث عن عقد الازدياد سنة 1960م صحبة ابن حفيدنا لبيب الحسين كذلك.

وهنا طلبت منه نبذة من حياته فقال : «أنا مروان محمد أصلي من تاليوين جهة تارودانت، ومعني أربع أخوات، وكلفني والذي بهموم العائلة منذ الصغر بدلاً من التعلم، فهاجرت إلى تاحناوت، ومنها إلى أزيلال حيث اشتغلت بالتجارة، فسلبتني هناك حركة وطنية ضد الاستعمار ومن معه، فحدث أن بنت القبيلة هناك مدرسة، لكن لم







ونشر أقاويلها، جعل المخزن يحسب لهم حسابا، ويذكر البعض أنهم من العراق، كعنصر غير مستقر. كما برز فرسان إصبويا كحلف لقبيلتين : أيت إخلف وأيت النص عند الحاجة، مثل الركائب، وما أسماء الأعلام الجغرافية في الصحراء بالأمازيغية، إلا دليل قاطع على مغربية الصحراء. وحتى «الصنف الثالث الذين أتوا إلى إفريقيا يسمون عربا مُستعجمة أي العرب الذين اختلطوا بشعوب بلاد البربر» (إفريقيا لمارمول كربخال ج 1 ص 99) وجميع من دخل إفريقيا نحو خمسين ألف محارب، أكلتهم الحروب، كما قال ابن خلدون، فهم إذن مغاربة أمازيغيون، ولا معنى لاستمرارهم في التعلق بأجنيبتهم المتلاشية منذ قرون، والآن اعترف بالأمازيغية الأصيلة في وطنها تامازغا، فلم يعد هناك الترفع بالانتساب إلى غيرها.

### معظم سكان آيت باعمران حاليا :

ويجب أن ننتبه حاليا إلى أن معظم سكان آيت باعمران، انحدروا من جبال كزولة أو جيتولة القديمة (الأطلس الصغير) ما عدا الأقلية الناذرة في جبل آيت إخلف، ولذلك يعدهم البعض من قدماء الأدارسة، وخاصة فخذة إدلبقاسم منهم، لأسباب منها : حصانة ذلك الجبل بالتضاريس من جميع الجهات، ولذلك كان لا يجد الغزاة إليه سبيلا، على عكس السهول والهضاب المنخفضة، كما أن المساحة الصالحة فيه للفلاحة شبه مضمونة، لعامل الارتفاع، وقد سألت يوما العدل المسن المطلاع على وثائق آيت باعمران، أحمد الراموك عن معظم سكان قبيلتي إصبويا و، فأجابني بقوله :

«كان زوند أقشاب وهداوي، أوتين كيس إمزداغن إدياب لأصل» (نفسه) معناه معظمهم من الأفاقيين، فهم كقميص الهداوي المكون من خرق مختلفة الألوان، وهو الذي نبهني إلى خصوصية جبل آيت إخلف، وقد مدني بوثائق مهمة، ومن باب الاستطراد قال لي أيضا :

«تعلم يا جهادي أن الباء تبدل ميما في العربية» فقلت له ذلك معروف، فقال : «إنما أريد أن تطبق تلك القاعدة في إسم ميرلفت : أي بير لفت» فقلت له : ممكن، ولكن ألا يمكن أن يكون كذلك بلهجة لمطة التي تسقط همزة وصل في أول الكلمة ؟ «إمير لفت» مفرد إمارين (ألال الحوض المزروع)، أما اللفت فهو معروف، مع العلم أن

معظم الأماكن هناك بلغة لمطة، وقد حاول البعض تفسير ذلك بإنكليزية (البحر الأيسر) لكن ليس كذلك، لقدم ميرلفت عن علاقة وصول إنجليتيرا إلى هذا الشاطئ. وعلى كل حال، فكلمة ميرلفت مذكورة في العقود قبل إمارة الأمير بودميعة التازروالتي، كما في عقود شراء جزء من تاركا بميرلفت بعدما نقب هو أكثر عن عين مرلفت في بداية إمارته. قبل أن ينتقل إلى ماست ..

وفيما يخص تأثير السكان أيضا، تذكر الرواية الشفوية هجرة خراب تامدولت أواقا من طرف محند أو علي أمنصاگ، فهاجر سكانها إلى غرب الأطلس الصغير إلى آيت باعمران الواسعة، ومن العائلات من يؤكد ذلك حتى الآن. (مداخلة جهادي في ندوة تاليوين لم تنشر) وهناك رسالة جامعية حول تامدولت لم اطلع عليها حتى الآن، وقصتها مذكورة في منظومة بالأمازيغية منها :

محند أو علي أمنصاگ يصحاح إس نيت يفاغ  
وريسنال د غيد يوران أمويسنال  
أ- بابا كضيغ د واضو لجومات ئيسان  
كر تاكوزبن د بيض وشن أست نعرن

وهناك ظاهرة أخرى، لا تقل أهمية من حيث النمو الديمغرافي في آيت باعمران، نذكر منها على سبيل المثال أيت يعزى ويهدى ؟ وهذه شخصية واحدة، ولد في زاوية أسا سنة 646 هـ / 1248 م. وله أتباع لا ندري عددهم، لكن لأمر ما أطلق على معظم القبور المجهولة الأصل في آيت باعمران «مقبرة لأيت يعزى ويهدى» كلما جهل الناس أصل المقابر، بدعوى أنهم ضد الغزو البورتغالي بسوس ؟ (معلمة المغرب رقم 1248).

لكن لماذا توجد معظم تلك المقبرات بعيدة عن البحر حيث البرتغال ؟ وكلها بعيدة عن الساحل، والبرتغال لم يتوغل داخل البر في الأراضي المغربية إلى تلك الأبعاد، ولنفرض أنه توغل نادرا، فأين أثر ذلك كما عرف عن البرتغال ؟ ثم إذا وقعت المعارك في قرب البحر، فلماذا ينقل الشهداء إلى تلك الأبعاد - وإمكانيات نقل الموتى الكثيرة نادرة، والطرق وعرة، والشهيد غالبا يدفن في الموقع.



تلك من المزايم التي قيلت في بناء إيغيدار الأمازيغية في قمم الجبال، فأسندت إلى البرتغال، مع أنها أقدم من وجود البرتغال والنورماند قبلهم، بل أصر البعض أن الأمازيغ، لا يمكن أن يبنوا بتلك الصخور العظيمة. وفي نفس التنقيص من الأمة المغربية، أسندوا كل دليل مادي تاريخي لغير المغاربة، ومن هذا القبيل، أسند لإعزى ويهدى الصحراوي كل تلك التضحيات الجهادية؟ مع أن شساعة المقبرات حول زاوية هذا الصوفي في أسلم تسند لجهاد ضد البرتغال؟ ولعلها في بداية المرابطين.

وفي نظري أن تلك المقبرات الواقعة في مواطن مرور تابريدا (طريق القوافل) ما هي إلا هجرات من الجنوب، هلكت بالوباء الجارف، فأفناها دفعة واحدة - والقوم لا يعرفون معنى الاحتياط وعدم الاختلاط، تحت تأثير حديث مذكور، أو تشيع بمذهب صوفي بلا حدود - ومن تلك المقبرات في بونفورنا، وفي تيزوكي، وفي أكندو، وفي بولعصافر. وغيرها في أيت باعمران، ألا يمكن الآن أن تجرى أبحاث علمية نموذجية في تلك المقبرات؟ لمعرفة زمنها (a d n) وبالتالي أسبابها ووجودها مكثفة حول تابريدا غالبا.؟ وبعيدة عما يناسبها من موطن عدد السكان!

#### أسباب النمو الديمغرافي للشرفاء والطلبة :

من الملاحظ أن نسبة من يدعي الأدارسة أكثر من غيرهم، انطلاقا من السملاليين والوزانيين ومن تفرع عنهم، فاستفادوا من تكتلهم والتكثير من التزاوج فيما بينهم، وإعفائهم من الكلف الاجتماعية والقبلية بل حتى من تموين المدارس العتيقة والمشاركة في الدفاع القبلي، واكتفوا بهذا التكتل، إلى أن أرغموا بعد الخسائر في الخيل والرجال ضد الجنرال دولاموط 1917م فأدوا مشاركتهم في شراء الخيل المستهلكة، كما حاول الإسبان إشراكهم في تموين المدرسة العتيقة حول جدهم بوجارفا فرفضوا بلا دليل، فأرغموا كالجميع في مد الطريق في جبل تاموشا في عهد الإسبان، ما عدا الطالب المشارط فقط، وينتسبون إلى جدهم الصالح إبراهيم أوعبلا، بجوار الجرف الصخري بقبيلة أيت يعزى، وجدهم الأعلى كندوز المنحدر من الصالح سيدي أحمد أوموسى بتازروالت.

وأما اليوسفيون فهم من الوزانيين رغم أن «جدهم قدم من مليانة بالجزائر - هكذا نقلته من تفرقة القرآن من زاوية ضريحه بخط الطيب بيمينصرون عندما شارط فيها - عام 1339هـ وهم من صميم قبيلة أيت إخلف، لهم ما لها، وعليهم ما عليها، وجدهم. صاحب الضريح بإيميوگني الصالح محند بن يوسف من الوزانيين؟ هكذا قدموا أنفسهم وهديتهم المتواضعة للسلطان الحسن الأول عام 1303هـ بتيغزى، فقبل منهم ذلك، فاندمجوا بالقبيلة، وكان أجموع قبيلة أيت إخلف يتم في أقدم قصبه بمرفلت» (حكم الشيخ هم لصالح إدمالك بحوزتنا).

ويساهم البوجرفاويون في تعمير الكتابات القرآنية وتحفيظه كمهنة عامة دون المشاركة في المدارس العتيقة، ولا أدري كيف لم تشملهم فتوى أبي عمران الفاسي منذ زمان، (فتوى في أمر الحضار) لكنهم خضعوا لرسالة مولاي إسماعيل في نشر الكتابات وتعليم القرآن لأولادهم مبكرا منذ عام 1299هـ.

أما كلف الدفاع عن القبيلة والحروب القبلية، فقد استفادوا من حيادهم، ومن احترام الغزاة لمداشرهم، على عكس غيرهم، فكثرت نهمم الديمغرافي، بقدر ما تقلص غيرهم، ولضيق موقعهم في بونفورنا الذي هو جزء من قبيلة أيت يعزى أصلا، فانتشروا في البلاد، كما اشتغلوا بالتجارة وتكتلهم وتزاوجهم فيما بينهم، نجحوا في تعاونهم، ولأمر ما رفضت تزكية أعرافهم التي أدلوا به للسلطان الحسن الأول بتيغزى سنة 1303هـ؟

ومن الجماعة الواردة على أيت باعمران بدخول الاستعمار بشكل جماعي، المجاهدون أيت خباش وأيت مرغاد وأيت حممو من الأطلس المتوسط المعروفون في حيهم الخاص بهم في مدينة سيدي إفني باسم حي البرابر. هكذا. منذ 1934م وقد دخلوا البلاد بترحيب من الشيخ سعيد الخمسي، ثم نزلوا في تيغزى أولا، ثم انتقلوا إلى مدينة سيدي إفني، وكانوا من أول جماعة نزلت هناك، وهم مقاومون ضد الحماية الفرنسية، من قمم الأطلس المتوسط، مدافعين ضد الزحف الفرنسي عبر وادي درعة في الشمال إلى وادي درا، أو على الأصح واد دارات كما ورد هذا الاسم في التاريخ القديم.

والخلاصة من هذه الإشارات، أن الاستعمار الإسباني في أيت باعمران، كان من 1934م إلى 1969م. لكنهم لم يتركوا هناك ولدا ولا أمأ ولا أبا، ولم أعثر قط على من



تزوج من أيت باعمران نصرانية منهم، في البلاد، أو نصرانيا تزوج باعمرانية طيلة مدتهم على عكس ما نجده في الحماية الفرنسية، رغم انتشار المعاملات الإنسانية والصدقة والجوار بين الطرفين في مدينة سيدي إفني، حتى إنهم في البداية تسكن العائلتان في دار واحدة، مما نتج عن ذلك تعلم اللغتين الشلحة والإسبانية في وقت وجيز بين الطرفين : المغربية والإسبانية، وقد ساهم في ذلك تواضع المستوى المادي للعائلات معا.

وقد ذكر أيت باعمران في رسائلهم ضد الصيرانية بما قاسوا من استعمالهم في الحرب الأهلية التي أثارها الجنرال فرانكو ضد الديمقراطية في إسبانيا، فألقى بالشباب المغربي في حروب لا بقرة لهم فيها ولا فرس، وذلك ما بين 1936 - 1939م «وقدرت إسبانيا نفسها عدد الشباب المغربي المقتول في حربها الأهلية بثمانين ألفا، في الوقت الذي عدتها الدراسة الأكاديمية بمائة وثلاثين ألفا، وهؤلاء الشباب من أيت باعمران» (لائحة أيت إخلف نموذجاً).

ثم الريف والصحراء، ولم يرجع منهم سالماً إلا نادر، والأغلبية ماتت هناك، والأقلية معطوبة تتقاضى بعد رجوعها حوالي خمسة عشر بسيطة. كما ساهم المغرب بأبنائه في الحرب العالمية لصالح أوروبا، ولحد الآن ليس هناك من عدّ بدقة عددهم، ولا من أحصى الراجعين منهم؟ ثم لماذا جندوا؟ ولمصلحة من؟ وقد كنت سجلت قليلاً من الكل.

وهناك ظاهرة أخرى يعلمها الجميع، وهي أن أيت باعمران منذ القديم، هو موطن الحرية ومقصد المظلومين من جهات مختلفة (مثل مجاهدي الأطلس المتوسط سنة 1934م وإلى مدينة سيدي إفني لجأ ست مائة 600 من الفارين من بطش الاستعمار الفرنسي أثناء ثورة الملك والشعب، دون أن ننسى ثورة أيت باعمران ضد الصيرانية، وهم وحدهم قاوموا حتى النهاية، كما رفعوا الراية المغربية، وبرحوا بنصر السلطان محمد بن يوسف. في موسم الصالح سيدي محمد بن عبد الله منذ سنة 1947م. فلجأ منهم كذلك عدد مهم إلى المغرب الشمالي. وتلك وطنية مبكرة في ذلك الإقليم. الباعمراني والمثل يقول: «إنا إناغ إخنس ورات سيريدن وامان» ماكان أصلاً في العظم لا تغسله مياه بالمسح.

### مساهمة عقد الحماية في إنهاء الحروب القبلية :

كان تنظيم السلطان الحسن الأول 1299هـ/1881م أول من عين مجموعة من قواده في أيت باعمران ومن حولهم من القبائل، وكان هذا النظام القيادي يرمي إلى تشقيق القبائل الكبرى لتخضع لقادة السلطة المركزية، وبالدرجة الأولى إنهاء أطماع الأجانب المغامرين في سوس بكامله بقوة القانون، لكن مع الأسف سرعان ما انهارت تلك القيادات كلها بموت السلطان هذا من جهة، وبتهور معظم أولئك القواد وظلمهم لمن في أحكامهم، كما ساهمت الظروف الاقتصادية والاجتماعية في المتاجرة مع الأجانب بسبب المجاعة، ولتوضيح الحال نورد الرسائل الآتية :

1- رسالة من أحمد الهيبة : إلى قبيلة أيت إخلف الباعمرانية بعد الحمدة والتصلية إلى كافة إخواننا أيت باعمران كافة، وفقكم الله وأصلحكم وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فإننا قد عيننا لكم القائد محند بن علي وأخاه الشيخ الحسن أن يكونا واسطة بيننا وبينكم في جميع ما تسنى أن يعرض لنا من جانبكم في الأمور المخزنية والعشور وغيرها، أصلح الله جميع أبنائكم والسلام في 8 من رجب عام 1330هـ/1912م.

تعد هذه الرسالة هي بداية تحديد لما كان، أو تعيين جديد، ففي ما يخص أيت إخلف، فقد حافظت عائلة آل الشيخ هم هذه على تسيير قبيلتهم باسم الشيخ الحسن بعد وفاة عمه القائد أحمد مريضاً بمراكش عام 1316م إلى أن عين أخوه محند من طرف الهيبة، فتولى شؤون مواجهة التدخل الأوروبي، بينما تكلف أخوه الحسن، بتسيير القبيلة تلبية للجهاد العام الذي اتفق على أميره الشيخ أحمد الهيبة بن شيخه ماء العينين سنة 1912م بتيزنيت.

ومنذ هذا التعيين، فرض على كل قبيلة أن يحضر أعيانها الفرسان كصفوف في تيزنيت عندما يمر الشيخ أحمد الهيبة لأداء صلاة الجمعة في المسجد الكبير بها، وويل لمن تأخر عن ذلك، وفي الرسالة كلمة العشور وخاصة من الشعير المعتمد عليه في التغذية وعلف الخيل، لأن محلة الهيبة في تيزنيت، ومن فيها من القبائل بحاجة إلى تلبية ما كان معروفاً عندما يعلن سلطان جديد.



2- رسالة من أحمد الهيبة : إلى قبيلة أيت يعزى الباعمرانية منها : إخواننا معاشر العزاويين أصلحكم الله وعليكم سلام الله وبركاته، أما بعد : فقد أمرنا السيد أحمد بن الطالب بترك الأمر الذي ذكرتم، والآن قفوا على ساق الجد في شأن الحركة للجهد حتى تقدموا علينا يوم الخميس القابل بخيلكم ورجلكم، أصلحكم الله بالتمام والسلام في 16 من رجب عام 1330هـ / 1911م.

ورد في هذه الرسالة أمر أحمد بن الطالب، وهو شخصية معروفة من قبيلة أيت عبلاً الباعمرانية، رجل مثقف متمكن، درس في فاس حتى ارتوى من ثقافة عصره، ولما رجع إلى وطنه دافع عن قبيلته التي استولى عليها القائد المدني الأخصاصي إلى أن حررها، وحاول ضم قبيلة أيت يعزى الصغيرة التي كانت في الأصل من الأولى، وهو أول من أثار القبائل ضد ظلم قادتها، فكافح بجميع الوسائل، إلى أن قتل في تلك الحروب القبيلة، وترك عائلة ما زالت تحافظ على تلك الشجاعة وباقي المميزات المحموده، ومنها الفقيه العدل الطاهر الذي قام بتغطية الفراغ بعيده الاستقلال في إقليم أيت باعمران، وهو الذي كان يقوم بأعمال العدالة في عهد الثورة وجيش التحرير في أيت باعمران، وقد اطلعت على ما خلفه من عقود الناس المتراكمة في خزائنه، ولا أدري ما مصيرها؟ وهو موثق متمكن وخطاط ماهر، ينجز عمله بكل إخلاص، وقد ترك عائلة ما زالت تحافظ على سمعة الآباء والأجداد في الضيافة والسياسة والروح الوثابة إلى الصدارة. وهي أهل لذلك.

\* وهل يلد الأختيار إلا كمثلهم، ولا ينبت الريحان إلا من أصله \* ؟

3- رسالة من أحمد الهيبة : إلى قبيلة أيت بوبكر وأيت إخلف منها : خدامنا المرضيين كافة قبيلة أيت إخلف وأيت بوبكر وخصوصا أعيانهم وأشياخهم أرشدكم الله جميعا وأصلح أمركم وعليكم سلام عام تام ورحمة الله تعالى وبركاته بموجبه إليكم إعلامكم أنه نرتقبوا الجهة التي من طرفكم حيث عز الإسلام وكبت الظلام وقد وقعت عليهم في ثامن جمادى الأخيرة شتت الله شملهم فيها، وتفرقوا شذر مذر وغنمت المسلمون مغنم كثيرة، وأخذوا لهم مداشر عديدة، وارتعدت منها الأعداء غاية ونهاية، والآن هذا وإن النصر دين الله، وإبان اجتماع شجعان المسلمين فاحزموا واعزموا وأقدموا

علينا بحركة منكم تسر الأصدقاء، وتكبت الأعداء، وأيقظوا جيرانكم ولا تتوانوا في ذلك، وانتهزوا الفرصة وطبوا نفوسا بأن الله ناصر حزبه ولو كره الكافرون، ومتم نوره، وقد قال : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ (سورة الروم الآية 47) وقال : ﴿ وإن جنحنا لحم الغالبون ﴾ (سورة الصافات الآية 173) وهو لا يخلف الميعاد، وأنتم لكم المزية عندنا من العباد، حفظكم الله وأرشدكم بالتمام. وعلى المحبة والسلام، في 3 من جمادى الأخيرة عام 1333هـ / 1914م.

هذه الرسالة نموذج من استنفار القبائل مرة أخرى، ويظهر أنها من مراسلات قرية كاردوس حسب التاريخ أعلاه، وذلك بعد انسحاب الهيبة من تارودانت، لأن معظم أيت باعمران رجعوا إلى إقليمهم، وخاصة بعد ثورة تيزنيت وأكلو على من تبع الهيبة، إذ لم يبق معه من أيت باعمران، إلا فرسانهم بقيادة القائد الناجم الأخصاصي. مع العلم أن فكرة الدفاع عن الوطن قد راجت بمجرد عقد الحماية، بل قبل ذلك باحتلال السهول الغربية من دكالة إلى البيضاء، منذ 1905م. وقد تشجعت سوس كلها ونسيت القبائل تلك الحروب القبلية فيما بينها، ومن أهم مزايا ذلك، توحيد الكلمة في تيزنيت، كما انتقلت القبائل الصحراوية إلى تيزنيت، وبوصول أكبر قائد للمخزن من تارودانت الباشا حيدا بن ميس إليها، أسند له الهيبة كل شيء، فانطلقت الجموع نحو مراكش، لإنقاذ البلاد من الزحف الفرنسي نحو مدينة مراكش، وكثيرا ما يردد مؤرخ سوس «قد حاكيت ولكن فاتك الشنب».

4- رسالة من أحمد الهيبة : إلى قبيلة أيت إخلف منها بموجبه إليكم إعلامكم أننا وجهنا إليكم جملة في شأن الإعانة التي جعلتها القبائل من قبل، وقد تقدم لكم العلم بها فلا تعطلوها عنهم، بارك الله فيكم، وعليكم بالتمام والسلام. في 5 من شعبان عام 1335هـ / 27 ماي 1917م.

رغم انهزام طائفة الهيبة في معركة سيدي بوعثمان شمال مراكش وتدخرجه حتى استقر بكاردوس بالأطلس الصغير، فإنه مازال يدافع ضد زحف سلطة الحماية في أزاغار سوس باسم الجهاد، ولذلك من حقه أن يجمع التموين من القبائل إلى حين، إذ كانت



تيزنيت التي انتصر فيها أول من تنكر له ومعها قبيلة أكلو مبكرا، فأخرجوا الأعراب المتعسفين فيها إلى ويجان.

إذا استثنيا مبالغة القتلى في معركة المسيد الأحمر بأيت باعمران، فكيف نعلل قلة القتلى في الإغارات بين القبائل في عهد السبية؟ وخاصة التي تخص غارات أعراب الصحراء المباحثة، ومن الجواب: أن هدف المغيرين هو نهب الماشية غالبا، وقد تنتزع منهم عند مطاردتهم وهم هاربون، وقد يخطفون ما لا يستحق سفك الدماء.

ونادرا ما يصلون إلى الحبوب المخزونة في المطامر المخفية في الدور، وقد تكون محفورة في وسط البيوت كما عندنا، ثم إن حرارتها تمنع أخذ الزرع منها إلا بعد عشرين ساعة بعد فتحها لانعدام الأكسجين فيها، والحق أن الغزاة غالبا يهدفون إلى سرقة بعض الرؤوس من الماعز من مجرد راع لها، وفعل أولئك كفعل الذئب من حين إلى آخر، ومن العذر ما حل بالأعراب من المجاعة.

وقد زال استغرابي عندما اطلعت على تحفظ مبالغة بعض المؤرخين، وأذكر منهم أستاذنا جرمان عياش عن المبالغة في منطقة الريف، إذ قال: إن البندقية العتيقة كانت تفتقر إلى أسلوب التصويب المحكم، وتتوخى إسماع ذوي البارود دون إراقة الدماء، وهو كذلك في بنادق معظم عهد السبية، إلى أن دخلت البندقية الخماسية والرباعية قبيل الاحتلال. ويذكر الأستاذ أحمد التوفيق «أن الحروب لم تكن مع كثرتها عاملا يمكن اعتباره في تأخير نمو السكان، لأنها لم تكن إبادية بقدر ما كانت احتجاجات مسلحة»<sup>(248)</sup>، وذلك هو عين الحقيقة في أيت باعمران، وفي معركة إيمولا نـ يحيى القبيلة المستغرقة يوما كاملا قتل فيه شجاع واحد اسمه بايرونك النصفي مع تعدد المجارح.

**معركة سوق خميس أيت بوبكر سنة 1920 م:**

سبب هذه الفتنة التي فرقت حتى بين أسواق القبائل، قال لي البايهي الطالب الحسين من موضع إدبائه: «كنت أنا وفلان في سوق أيت بوبكر، وكان السكر في ذلك

(248) المجتمع المغربي إنولتان، ص 192.

الوقت قليلا، وكانت مقهى واحدة في السوق، وصاحبها يملك برادة واحدة، تكتري بتتابع النواب، لما دخلنا المقهى ونحن في عهد السبية وجدنا حرطانيا سبقنا إلى استعمال البرادة، فأردنا أخذها من بين يديه بقوة، فتعاركنا في المقهى، فأشبعناه الضرب والسب، فصاح في السوق، كما يقال في الجاهلية، «يا للعار»: وأكواك ففرق المتسوقون كل قبيل إلى جهة معينة، فبدأ التراشق بالرصاص، فقتل من قتل وجرح من جرح، فتفرق أيت باعمران من جديد، إلى أيت باها أويحيا باسم أيت الخمس في الجنوب، وإلى أيت بوبكر أويحيا في الشمال» (معلمة المغرب) وباحتلال المدرسة غادرها فقيها بيمينصورن إلى الكريمة.

وبقلم القاضي جهادي محند قال: «هذه الواقعة وقعت بتاريخ سنة 1339هـ حيث وقعت الفتنة والقتال بين أيت بوبكر وبين أيت الخمس في سوق خميس أيت بوبكر، بعد صلاة الضحى بقليل، وقبض أيت بوبكر مدرسة أيت بوبكر العتيقة التي بالمحل المذكور، وقبض أيت الخمس بيوت الدلائين، بالسوق، واستمر القتال بينهم، إلى بين الظهر والعصر من ذلك اليوم، وزال الفريقان، وكانت ضحاى ذلك من أيت بوبكر:

- 1- قتل السيد محمد بن علي بن إبراهيم البوشناوي.
- 2- وجرح ابن أخيه السيد أحمد بن محند.
- 3- وجرح بلعيد بن لحسن بن مسعود الأسماري..
- 4- وجرح مسعود بن السي لحسن أكلوش.

وسلم الله متاع القبائل في تلك السوق، ولم يضع فيه إلا القليل، ورد الله مكر أهل الفتنة فيهم. ثم وقعت المشاورة بين أيت بوبكر، فاتفق رأيهم على أن يعمروا السوق في سيدي علي بوزيد، وبدأوا في تعميره في اليوم المذكور؟ كما اتفق أيت الخمس على سوقهم في موقع نزول سيدي حسين الشرحبيلي بشجرة أرگان قريبا من قرية أخريب، قيده أقر الوري عبيد ربه محند بن محمد بن الشيخ هم الخلفاوي» (مذكراته في المخطوطات). وكان موضع السوق القديم المحادي للمدرسة، وليس الحديث المسور بعد خروج الإسبان المستمر حاليا.



هذا وقد بنى أيت بوبكر حوانيت في سوقهم بالمسيد الأحمر باللوح، حيث توجد التربة المناسبة والماء الغزير، والموقع الوسط بين القبيلة، هذا وقد دارت أكبر معركة في تيمزكيدا تازوگاغت المسيد الأحمر نظمها الشاعر مبارك أو موسى كما سجلها المؤرخ أرفاك في مؤلفه روضة الأفنان. تراجع

كان الإسبان في معاهدة تطوان يركزون على استنزاف اقتصاد المغرب ماديا، بدعوى أن التمسيح سيأتي عندما تنهار السلطة المركزية، لكن المغرب لم ينهر، فضع أمل الإسبان حسب هذا النص :

«إن المناقشات اللانهائية في الشؤون الداخلية الإسبانية واستمرار صعود حزب وهبوط آخر، واستمرار الاضطرابات والقلاقل الناجمة عن الثورات، هي أقوى الأمور التي حالت بيننا وبين القيام في المغرب بعمل نبيل، وتأدية رسالة مسيحية تمدنية، تحثنا العناية الإلهية على تأديتها حق الأداء في أول وقت مناسب، لأن ذلك القطر (المغرب) يدعونا لهدايته، ولهذه الأسباب نفسها، لم نستطع أو لم تتمكن من الاستفادة كما يلزم من حربنا الأخيرة المجيدة سنة 1860 التي قمنا بها في أفريقيا، كما لم نستخرج منها كل مزاياها المادية والمعنوية التي أودعتها فيها بطولة جيشنا المظفر الراهب منوبل كاسطيانوس. الإسباني الصريح»<sup>(249)</sup>.

وهذا ما حاول استعمار الإسبان استدراكه سرا في أيت باعمران، إلا أن الوطنية الباعمرانية، لا تقبل الصبرانية، رغم تطبيق ذلك التجنيس على كل من له بطاقة التعريف في أيت باعمران، دون أن يعرف، كما لا علم لهم بمعاهدة تطوان 1860م. ولما فهموا معنى الصبرانية، نصرروا سلطان المغرب سيدي محمد بن يوسف سنة 1947م. في الموسم المشترك بين الحمايتين بترسيم الحدود في منتصف قنطرة مبنية بالحجر بوادي سالگماض مازالت مغطاة هناك كأثر تاريخي.

### نصر السلطان محمد بن يوسف :

ذلك الموسم للصالح سيدي محمد بن عبد الله في الحدود المشترك بتابلوكوت سنة 1947م وذلك باتفاق أعيان أيت باعمران وشيوخهم كلهم على نصر السلطان، من (249) تاريخ تطوان، ج 2، ص 315.

طرف أمغار قبيلة أيت إخلف عبد الكريم المكلف بالموسم، ثم تتابعت التبريحات بنصره في مدينة سيدي إفني وفي جميع أسواق أيت باعمران، فاستمر ذلك بشكل عادي، فظهرت الرايات المغربية، فظنت السلطة الإسبانية أن ذلك وحى من سلطة الحماية الفرنسية، إلى أن تأكدت بأن ذلك من يقظة أيت باعمران وفطنتهم بأهداف الإسبان في نشر الصبرانية «الجنسية» التي بدأتها تدريجيا في بطاقة التعريف الشخصية، ولما بدأ الناس يحتفلون ويرفعون الرايات المغربية، بدعوى أنهم مغاربة مسلمون، انتهزت السلطة الإسبانية «تسويقات» قبيل ذكرى عيد المولد النبوي كما جرت العادة، فانقضت غفلة على أعيان أيت باعمران، إلا من لجأ منهم إلى سلطة الحماية بالمغرب الشمالي.

### نموذج الاحتجاج ضد الصبرانية سنة 1947م :

«إلى الدولة الإسبانية، بعد الحمدلة والتصلية المسألة الأولى : أشياخ أيت باعمران وأهل العقد والحل منهم يقولون إنهم لا ينسون الصداقة والملاقة الودية التي بينهم مع الدولة الإسبانية، والعهد الذي بينهم معهم، من غير سابق عداوة ولا قتال ولا ما يشوش البال في الأمور كلها، المسألة الثانية : هي أنهم يطلبون من الدولة أن يحدوا (أن يزيلوا) عنهم الصبرانية ويعلمونهم أنهم لا يعترفون بها، ويطلبون من الدولة أن تجعلهم تحت حماية الدولة المغرب برعاية السلطان وخليفته المفوض، كجملة إخوانهم المسلمين من أبناء المغرب، لأنهم مغاربة إسلاما وجمنا وجغرافية، ولا يصح فيهم سوى ذلك، ولا يطيب خاطرهم بغيره. والسلام. في 6 رجب 1366هـ الموافق مايو 1947م». الإمضاء : محمد بن القائد البشير، أحمد بن القائد البشير، سعيد بن الحسين بن يحيى، عبد الرحمان بن لشگر، بلعيد بن الطيب، بلعيد بن علل أولعيد، عبد الكريم بن الحسن، مبارك بن الحسين بوشم، الحسين بن إبراهيم اليعزاوي. صح ما رسم من الجميع محمد الإمام. (الوثيقة في حوزتنا).

وشنشنة المقاومة هذه، هي التي دفعت أيت باعمران إلى أن يمدوا يدهم وبلادهم إلى جيش التحرير حتى حرروا إقليمهم، كما انخرطوا في الجيش الملكي بعدما انتهى حصار مدينة سيدي إفني بفضل سياسة المغفور له الملك الحسن الثاني باتفاقية فاس سنة 1969م.



وجاء في مذكرة الحاج إبراهيم مسنهو أنه «من أسباب انتفاضة أيت باعمران ضد الإسبان سنة 1947م أنهم اشترطوا على الإسبان عند خروجهم من إفني شروطا منها أن يحكم إمغارن في البلاد، وأن يجمعوا الأعشار، فقبل ذلك منهم، وبعد مدة قالت إسبانيا لإمغارن هؤلاء : ماذا تفضلون ؟ الخضوع لحكم كناريا القريبة منكم، فتكون أجرتكم مرتفعة ؟ أو أن تكونوا تابعين لحكم تطوان البعيدة، فتكون أجرتكم ضعيفة ؟ ففضلوا حكم كناريا عن حسن النية، وبعد مدة ثلاث سنوات، كتبت إسبانيا على ورقة التعريف جنسية إسبانيا، وهنا ظهر خبث الإسبان، فأدى ذلك إلى تحريك الضمائر الحية، فاتفق أفراد من أيت باعمران بنصر السلطان محمد بن يوسف، ومعنى ذلك أنهم مسلمون مغاربة وليسوا مسيحيين ومن هؤلاء المتفقين بإفني :

- 1- مسنهو الحاج إبراهيم البوجرفاوي مهنته تاجر بمدينة سيدي إفني منذ البداية.
- 2- الاستاذ أحمد زكرياء التدرارتي الباعمراني. المشارك في المدرسة العتيقة.
- 3- أحمد الديب الحُسي الباعمراني تاجر بإفني.
- 4- الحاج محمد هرواش الباعمراني تاجر بين إفني وتيزنيت .
- 5- الفقير المتصوف أحمد باضائي الباعمراني سائق سيارة النقل بين الأسواق.
- 6- الفقيه أحمد بن جامع البوجضادي الباعمراني.
- 7- الحاج أحمد المستي الباعمراني التاجر بإفني السياسي مات تحت الضرب.

وهؤلاء هم الذين قاموا بنصر السلطان بالمسجد الجامع بإفني مع الجمهور، فتتابع ذلك، بالاتفاق مع إمغارن بالتبريح في أسواقهم، وكان الإسبان يعتقدون أن فرنسا هي التي حرّضت أيت باعمران، إلى أن تبين لهم بعد ثلاثة أشهر، أن ذلك من وطنية أيت باعمران، إذ يقصدون بذلك أنهم مغاربة مسلمون، فأطلق القبض على معظم أعيان أيت باعمران، فحكم على مسنهو إبراهيم وأمغار بلعيد بثلاث سنوات قضيناها بإفني بدون ضرب مع إحراق متجر مسنهو بقيمة خمسة ملايين بسيطة، أما الباقون ومن معهم فقد سجنوا بالداخلة بالصحراء لنفس المدة، ومعهم الشيخ سعيد الخمسي في سجن منعزل هناك لمدة سبع سنوات». (مذكرة مسنهو إبراهيم بن الحاج).

«وبتاريخ عام 1366هـ الموافق 9 من أبريل 1947م. وقعت المجادلة والمحاورة بين القائد أحمد بن البشير الهصباوي مع طينطي كرونيل سئيس أرنبا بإفني، حتى تخاصما على سبب الراهية أي : البندرا الإسبانية التي رفض رفعها الهصباويون مع الأيسيموريين في الرّيسّ الكرونيل الذي جاء على سبب الخزائم، وذلك اليوم، وقع أيضا مثل ذلك من المجادلة والخوض بين سكان مدينة إفني مع طينطي كرونيل سئيس المذكور، على التصاويرات (بطاقة التعريف) التي كتبوا عليها صبراني (مسيحي) بعدما علموهم بأنه سيجيء خنرال الذي حكم على كناري والصحراء وإفني، وذلك الخبر وصلهم الشيخ سعيد والحسين بن يحيى السيموري هو والقائد أحمد لكرونيل برميخو، ووقع نصر السلطان سيدنا ومولانا محمد بن يوسف بن الحسن نصره الهصباويون في 26 من الشهر، وهو يوم الثلاثاء من شهر جمادى الثانية عام 1366هـ/1945م.

ثم خطب أهل إفني يوم الجمعة، فنصروه كذلك، وفي أول الشهر برّح العزاويون في سوقهم السبت ونصروه، ثم يوم الثالث منه برّح السيموريون في سوق الاثنين ونصروا فيها سيدنا السلطان المذكور، ثم يوم خمسة منه وهو يوم الأربعاء، نصره أيت عبل برّحوا في الأربعاء إنفلاس والفقيه سيدي أحمد بن اليزيد وغيرهم من العامة، وكذا المستاويون برّحوا به في سوقهم يوم الأربعاء المذكور، ثم يوم ستة أيام منه، برّحوا به الببكريون في الخميس ونصروه كذلك، ثم وقعت الجُمعية (صلاة الجمعة) في إفني في هذا اليوم من الشيوخ باعمران مع كرونيل، برّحو وذكروا معه جميع المسائل، وقال لهم : أما الكتابة التي على التصاويرات فسنجيدها (نزيلها) وأما الأمر : النداء والبريح ونصر السلطان فأمره وصل فرنكو حتى يجيء جوابه» (نقلنا الوثيقة بركاكتها).

#### مواجهة الصبرانية بنصر السلطان :

«ففي غشت سنة 1947م الموافق 26 من سنة 1366هـ برح القبطان لَنب يوم الأربعاء في موسم الإصباويين ولم ينصر السلطان.... وبعد فراغه منه قال للمساكين : إئتوا إلى عند المخزن لتقبضوا عنده المعاونة، ويوم الخميس الذي هو تاريخ أعلاه، برّح جميع الشيوخ الأصباويون ومن معهم من المسلمين على نصر السلطان سيدي مولاي محمد بن يوسف بن الحسن نصره الله أمين.



ويوم الأحد الذي هو 29 رمضان سوق جميع الشيوخ الإصباويون سوقة العيد وأراد مخزن إسبانيا أن يقبضوهم في الساعة الحادية عشر، وذهبوا على حالهم إلى حكومة فرنسيس، في مكطع إسك : (معبّر القرن) ورفعوا معهم خمسة وعشرين مكحلة الخمسية ؟ وفي 29 رمضان موافق 17 غشت في زمن التاريخ المذكور، طلع كرونيل خميس برميخو إلى فيسينة تيغزي، وخطب في وسط السوق وقال في خطبته : (كلمات بالإسبانية : الوعيد) سوق الخميس وأرسل الطوموبيل في الساعة الواحدة إلى الشيخ سعيد في سوقة الاثنين لياتوا به، وبعد ذلك ذهب الكاميو إلى داره وأتى به سبعة عشر مكحلة الرباعية، والمنبهة وصندوقين من القرطاس، ونزل الشيخ سعيد المذكور إلى مدينة إفني، وركبوه في الطائرة في الحال من إفني، وذهبوا به إلى الداخلة، وهبط الكولونيل برميخو المذكور إلى إفني في الساعة الثامنة والنصف .

وفي الساعة الرابعة، نزل السي بلعيد بن عبل بن بلعيد في الكار متاع بوجمعة ودخلوه الحبس مع الخمسة الذين قبضوهم في مدينة إفني، وأرسل برميخو الطاموبيل إلى الشيخ عبد الكريم في داره إذ لم يتسوق، وركبه فيها وذهب به إلى فيسينة تيغزي، وهرب الشيخ الحسين العزاوي في اليوم المذكور إلى حكومة فرانسيس بالبيرو، وفي 19 من الشهر غشت المذكور، موافق 3 شوال طلع القبطان أزمير إلى أفاندعيسى في قبيلة الأفكاوين ؟ وتلقى به القبطان المحلي متاع البيرو أبو الأحبال (بويزاكارن) ودفعه الريفي الكابوس الذي ذهب به العزاوي من هذا التاريخ المذكور، وجاء القبطان بلحي والقبطان الكليمي إلى مدينة إفني واتفقوا... وفي 23 غشت موافق 6 شوال 1366 هـ ذهب الكولونيل برميخو والتيننتي كرونيل سائس إلى الفشطة الكبيرة بمدينة تيزنيت بسبة خينيروس الذي طلق من السجن. وفي 25 من غشت من التاريخ المذكور، طلع برميخو إلى سوق الاثنين، وفرق فيه شيئاً من الدراهم على المساكين. وفي 26 منه ذهب إلى سوق الثلاثاء بإصبوا وفرق فيه للمساكين أيضاً.. « ولدينا مجموعة من الاحتجاجات، كلها متشابهة، وبلغت بسيطة نذكر منها :

احتجاج عبد الكريم على الصبرانية :

« الحمد لله . وفي رجب عام 1366 هـ موافق 22 مايه سنة 1947 م . حضرة سعادة الحاكم والكورونيل خوصي برميخو الوئس نائب عن الدولة الإسبانية وعلى المسلمين، نعلمك

بخبر من تاريخ 1355 هـ موافق 25 أبريل سنة 1934 م عجمية حين ذهبنا نستقبل بثلاثاء الأخصاص، ولقينا بعض الضباط الحريين للدولة الإسبانية فريق يمر مع بعض ضباط للفرنساويين حتى كتبنا معهم، وذكر لنا الفرانساويون قالوا لنا : كل واحد يرجع لبلاده حتى يتكلم مخزن فرنسيس مع مخزن سبانيون، وبعضنا عرف يومئذ أن هذه البلدة كانت للإسبانية ؟ ! وبعد ذلك سيأتي ضباط الأمور الآخرون من الدولة الإسبانية كمثّل التيننتي كرونيل ديور، وخرج معنا سيرة حسنة عاملنا معاملة حسنة إلى أن قمت أنت، وقد علمنا أنك خرجت لإصلاح البلاد بمدينة سيدي إفني وخارجه حتى ظهر بتاريخ 42، وأما ما فعلتم وكتبتم على تصاویرات المسلمين صبراني من دولة الإسبانية، فذلك الأمر لا يكون ولا يقدر، والآن طلبنا من الله ثم منك أن تتركوا عنا ذلك الأمر، لأنه قد بعد في الدنيا غاية البعد، قبل كون التاريخ في هذه الدنيا الخالية، وقد فرق دين النصاري ودين المسلمين ودين اليهود، كل واحد يبقى على دينه ويتبعه إلى يوم القيامة، وقد علمنا أيضاً أن الدولة الإسبانية لا تتعدى بشيء يضر الخلق، وإن إنساناً متى حكم يحكم بقلبه، وأن هذه الأمور علمنا وحققنا أنك ما فعلتهم.

واليوم ما طلبنا منك الآن، إلا أن تصحح هذا الغلط الواقع، بما يظهر لك بالسياسة، أو بما يصلح أن تجر به مسألتنا نحن المسلمين، وقد كنا قبل فرحنا بخدمتك حيث ما فعلت عيباً في واحد من أيت باعمران، ولكن هذا الأمر شر وعيب، وقد علمنا أن دولة فرانسيس من تلك التاريخ الذي خرجت فيه التصويرات قد ذهب من أيت باعمران بحكومة فرانسيس، وقبضوا من يده التسريح التصوير، وقرأوها قالوا لنا هل أنتم من النصاري أم من المسلمين ؟ فأرجعوا إلينا التصاویر وقالوا لنا في حكومة فرانسيس : هل كنتم من النصاري أم من المسلمين ؟ على تلك التصوير، فقلنا لهم لا يقدر أن تكتب الدولة الإسبانية ذلك الأمر على التصاویرات، وكنا قد ظننا أن ذلك لا يكون، إلى أن سافر بعض الناس من إفني إلى تطوان، وذهب لفيسنة تطوان يسني فيه التسريح (التأشيرة) فردوه منها وقالوا له : لا نقدر أن نمس تسريحك ولا نسنيها لك لأنكم كنتم من الدولة الإسبانية، وفعلاً كان، ولذلك قلنا لا يمكن أن يكون ذلك أبداً، واعلموا إن ذلك اليوم الذي خرجتم من إفني وجدتمونا على ديننا وعموده من المساجد والمدارس وعلمائنا وأعرافنا وجميع طرق ديننا قائمة عليه..



ومنذ تلك الساعة وقع ما وقع الغلط بين المسلمين بعضهم يضر بعضا أو يسرق له أو يتعدى بعضهم على بعض، حتى خرج المخزن، وفرحنا به من أول يوم قبض فيه من أيدينا السلاح الذي فيه خسارتنا وانتهى صراعنا.

لكن الآن ظهر سلاح آخر من جهة المعاش، وهو الذي يأتينا من بلدة إسبانيا وهو الأثمنة الغالية، كمثّل اللباس بأنواعه من الخنط والكتان والتوب بثمنه من بلدة إسبانيا بثلاث بسيطات، ونخلصه نحن هنا بسبعة بسيطات ونصف، وكذلك السكر وغير ذلك.

وكذلك مسألة الشريعة مثل اثنين تداعيا لدى الفيسينة على شاة مثلا أو ناقة بالسرقة، فيرفع أمرهم إلى يد الشارع، فيقبض من هذا ومن هذا ولا يفصل بينهم، ومثل هذا النوع لا يستحق أن يسند إلى يد الشارع، وإنما يستحق أن يرفع إليه مثل الميراث والقسمة وغير ذلك مما يستشكل، وأما ما ذكر أولا، فيستحق أن يمر على قاعدة الأعراف، أو يفصلها القابطان بالفيسينة، ولكن لا يعرف الظالم ولا المظلوم، بعد ما خبروه بخبرهم، وأن تلك الخدمة تكون لقابطان الفيسينة وشيخ البلاد معا، وإن الشيوخ حتى هم بعضهم فيه النفوسية وبعضهم يتحامى على السراق، وتلك الخدمة تكون أيضا للفيسنة الخارج وشيخ البلاد وإن القابطان ينظر في شأن الشيخ، إن صالح بين الخصمين فهو كذلك، وإن لم يصلح يكتب الأمر إلى إليك القابطان، فينظر في الأمر، فإن لم يصلح الشيخ يخبركم، فيقع في حكم الجماعة.

وأما إنفلاس أيضا فخدمة بعضهم غير مقبولة، إذ منهم من يرسلون الخبر لفرانسييس على الزيادة والنقصان في السلعة بأيت باعمران، وأما مسألة العسكر الذين يمشون في الأسواق بين الناس بسلاحهم، ويضربون به الناس ويردونهم على جميع الحوائج حتى يشترون هم أولا، كما يقبضون اللحم ويبيعونه للآخرين بالزيادة، ويتفاضلون بين الناس وسط السوق، مع أنهم لا يعرفون من الأمر شيئا شرعا ولا عرفا.

والناس يعرفون السلاح يكون في خزائن المخزن، حتى يحتاج إليه فيخرجه لأنه في البلد، فمن فعل شيئا لا يليق، يعاقب بالسجن أو بالتربية أو غير ذلك وما شهدنا

إلا بما علمنا من بعض الضباط الإسبانين الذين هم باقين الآن بسيدي إفني والذين يتكلمون في السلك متاع تلفون الذي نشره بالأرض بدون أعمدة بين الدغموس، ولم يقطعه لكم واحد من أيت باعمران كبيرهم وصغيرهم، وبعض الخيفيات يمشون في الطرق ويستعملون عدد من أرادهم ولا يقطع عليهم ولا يضرهم من أيت باعمران صغيرهم وكبيرهم، لكن المخزن إذا أراد شيئا من حكومته يقوله لأن باب البلدة يسمع إليه». (جزء من نص ذلك الاحتجاج الطويل)

بينما ورد في جريدة الكوالس عدد 311 بتاريخ 18 ماي سنة 1974م : «فلما نزل البطل الريفي بالقاهرة اتجهت أنظار الوطنيين جميعا لتحقيق هذه الغاية بكلمة أوسع، تحت رئاسة زعيم المغرب العربي ومجاهده الأول، وبعد مداولة ومناقشات عديدة، اتفق على تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي ؟ وفي اليوم التاسع من دجنبر 1947م ثم إقرار القانون الأساسي لهذه اللجنة التي كانت مكونة من الرئيس م. ع. خ. ونائبه أحمد بن عبد الكريم الخطابي، والأمين العام الحبيب بورقبة، وأمين الصندوق محمد بن عبود».

ونلاحظ هنا أن أيت باعمران قاموا بنصر سلطان المغرب قبل ذلك، ورفعوا راية المغرب في الأسبوع الأول من فبراير سنة 1947م في موسم الصالح المشترك بين الحمائتين، بينما تأخر حتى تأسيس لجنة تحرير المغرب الكبير بالقاهرة إلى دجنبر في نفس السنة 1947م ! هكذا وطنية أيت باعمران !.

#### نموذج من فقهاء المدارس العتيقة :

تزعم فقيه المدرسة العلمية العتيقة «الجمعة» بقبيلة أيت عبلا نصر السلطان محمد بن يوسف، هذا الفقيه الوطني، هو سيدي أحمد بن اليزيد العبلأوي المشارط في تلك المدرسة. قال الأستاذ محمد صادق من عائلة أولوش العبلأوي الباعمراني الحاضر يومه هناك : «كنت طالبا عند الفقيه بالمدرسة، ومعني الطالب لحسن أوباكّا العبلأوي ضمن مجموعة من طلبة المدرسة في يوم اجتمعت فيه قبيلة المدرسة كلها، سنة 1947م، فقام الفقيه المذكور يملّي صيغة [البريح] بنصر السلطان محمد بن يوسف مثل سائر أيت باعمران في أسواقهم، ابتداء من موسم الصالح سيدي محمد بن عبد الله برئاسة أمغار



عبد الكريم، ثم تابعت التبريحات إلى أن وصلت قبيلتنا أيت عبلا، فأملى الفقيه صيغة لبريح على طالبه السي محند بيثوألن، وهو أخ للسيد الحسين المعلم، وذكر الفقيه أن عدد الباعمرانيين الذين شاركوا في الحرب الأهلية إلى جانب الخنرال فرانكو هو 6000 باعمراني ستة آلاف؟ هكذا سنة 1936م، ومعظمهم قتلوا هناك في سبيل تحرير طائفة فرانكو ضد الروخو، وكان يمني أيت بعمران بكل خير، لكن إسبانيا الآن، لم ترض حتى بنصر سلطان المغرب سيدي محمد بن يوسف، ولا حتى السماح برفع راية المغرب إلى جانب رايتهما، فهل هذا هو جزاء أيت بعمران؟» (الأستاذ محمد صادق أبلوش 12 / 7 / 2002م) ثم قال : وما اطلعتني عليه أيضا، أن أجرة إمغارن بأيت بعمران كانت حوالي 33 ريال إسبانية، ما عدا أجرة الشيخ سعيد الخمسي والقائد أحمد أصبايو، فإنها وصلت إلى خمسين ريالا، وأما من جندتهم إسبانيا من الريف، فعددهم أكثر من عشرة آلاف، منهم أطفال دون العشرين سنة، وقد قاتلوا بشجاعة حتى سأمهم مؤرخ إسباني بالأبطال، ومعظمهم دفنوا في مقابر جماعية» (نفسه).

ولما سألت أحمد بازين، «أكد لي أن كثيرا ممن كنت معهم في حرب 1936م قد احترقوا بقنابل محرقة بمادة كيماوية، وقد أصبت أنا بواحدة أحرقت ملابسني، فصرت عريانا بفضل سرعة التخلص منها، أما من تعذر ذلك التخلص من ملابسه فقد صار مشوها كاملا، لكن خسائر (الروخو) كانت أكثر منا» (نفسه المتوفى سنة 2015م).

#### محاولات السلطة الإسبانية :

حاولت السلطة الإسبانية أن تقلد سلطة الحماية الفرنسية في المغرب الشمالي، وذلك بتشجيع الأعيان وكبار القوم على الاغتناء، على أساس النظام القائدي للتحكم في المجتمع المدني، لكن اقتصاد أيت بعمران كان ضعيفا، وإمكانات الإسبان أضعف من ذلك، فاستدعت إسبانيا وفدا من إمغارن في أيت بعمران، لكنها اقتضرت على الأربعة الكبار، وهم أمغار أيت إخلف عبد الكريم، وأمغار أيت الخمس الشيخ سعيد، وأمغار إصبويا القائد أحمد، ورابعهم باشا مدينة إفني أحمد بن البشير المستي، عمدة الإسبان منذ البداية، كعارف للبلاد منذ سنة 1934م.

اختارت إسبانيا أولئك كالعائلات الحاكمة في أيت بعمران أبا عن جد، والهدف هو أن يقوم هؤلاء بتشجيع الشباب الباعمراني على الانخراط في الجيش الإسباني بزعامة الكولونيل فرانكو ضد الجيش الجمهوري في إسبانيا في الحرب الأهلية سنة 1936م - 1939م. لقي هؤلاء الكبار ترحيبا كبيرا في المناطق المحررة من الأندلس، ومن طرف الكولونيل فرانكو الذي أهدى لكل واحد منهم مسدسا أبيض في غلاف من الجلد الجميل، وعندما رجعوا قام منافسهم من باقي إمغارن ضدهم وضد السلطة الإسبانية التي قيل : ستستغني بأولئك الكبار عن الباقين !.

ولإسكات ما ذكر، استدعي وفد من إمغارن الآخرين، وهم أمغار قبيلة أيت يعزى الحسين، وأمغار قبيلة أيت النص السي بلعيد، وأمغار قبيلة أيت عبلا السي بارا بن العسري، ورابعهم أنفلوس من قبيلة أيت إخلف السي مبارك بن جوان.

وفعلا نقلتهم سلطة الإسبان من إفني إلى الأندلس، لكن لم يتلقوا أي ترحيب ولا أي اعتناء بهم، ولا لقاء بالكولونيل فرانكو، ولا نالوا أي هدية من طرف أحد، فأحسوا بإهانة لا تطاق، فرجعوا حاقدين على الإسبان، ومن هؤلاء انطلقت بداية الكراهية الأولى ضد الصبرانية، فبدأ نصر السلطان محمد بن يوسف سنة 1947م فعم ذلك جميع أسواق أيت بعمران.

وبما أن السلطة الإسبانية لم تنجح في خطتها فرق تسد، أوقفت مساعدا لكل أمغار يسمى مخزنيا تدفع له أجرته شهريا، فكان ذلك أول تنقيص لمكانة أمغار، ونفس الشيء فعلته السلطة الإسبانية بالقضاة الرسميين، قياسا على مخزنية إمغارن، كما أزالته الهاتف عن دور جميع شيوخ القبائل كلها في البادية، ومن ثم منعهم من أخذ الزكوات والأعشار التي يتقووا بهما، كما منعهم من العمل المجاني من طرف القبيلة، كالحرث والحصاد وغير ذلك، مما يسمّى عرفا بتيويزي، ثم ختموا بمنع تحاكم الناس عند أمغار في داره، فانتقلت الأحكام، إلى مكتب السلطة بحضور أمغار كشاهد أو كمستشار في القضية تزكية للحكم. كإهانة لأمغار.

وبالنسبة للقبيلة، بدأت إسبانيا بنزع السلاح بواسطة إمغارن، وبعد جمعه طرح في البحر، وكله من النوع الرديء، كما منع الرجال من التحلي بالخناجر التي تعد مفخرة للرجال، فأدرك الجميع غاية الاستعمار في المغرب المحمي.



وبما ورد في كتاب طوماس كرسيا فيجيراس الموسوم ب سنطا كروز دي مار بيكينيا طبع بمدريد سنة 1941م أن سكان مناطق الصحراء الأربع : الساقية الحمراء ووادي الذهب وطرفاية وإيفني مائة ألف نسمة.

وهكذا شرع الإسبان من جديد في إحصاء السكان، وتصوير الرجال والنساء، مقابل صنع ورقة تسمى لأبريتا تحتوي على 12 أذينة تدفع كل شهر مقابل كيلو غرام من سكر سانيدا الحمراء مجاناً، لكن رفض أيت باعمران تصوير النساء بفتوى من الفقهاء أذكر منهم القاضي جهادي محند الذي حرّمها على نفسه أولاً، وتبعه الفقيه مبارك أمزاي، وفقيه أباراغ، والطالب إبراهيم بن بوبكر، وغيرهم، فوقف تصوير النساء تحت هذا الضغط الشعبي.

فردت سلطة الإسبان على الشعب بتسجيل الضريبة على كل شيء، فرفض أيت باعمران كل تلك التطورات برفع شعار : الصبرانية هي تسيح المسلمين، فقبضت إسبانيا على عدد من لم يلجأ إلى مغرب الحماية الفرنسية، فتطورت الكراهية إلى الثورة التحريرية سنة 1957م . فتدخل جيش التحرير، إلى سنة 1969م فاستقلت مدينة سيدي إفني المحاصرة باتفاقية فاس، لكن بعد توضيحات سجلها التاريخ لمقاومة أيت باعمران، كنموذج يلخصه هذا المثل : [رُئسین ما دئلان غ واولك بلا والي سرس ئتوتن] لم يحسّ بما في المزود المحجّر إلا من ضرب به. وذلك في سبيل استقلال الوطن.

ولما تمكنت إسبانية من أيت باعمران تدريجياً، جندت شبابهم مع إخوانهم في الريف، ودفعت بالجميع إلى حربها ضد الروخو في الحرب الأهلية بإسبانية وهذا نموذج المجندين من قبيلة أيت إخلف، ولكثرتهم نكتفي هنا بعدد كل فخذة تحت عنوان أنفلوسهم كنموذج في قبيلة أيت إخلف حيث تبدأ كل القوائين هكذا :

1- فخذة أنفلوس الحسين بن يوسف من قبيلة أيت إخلف، بتيغراتين . عدد المجندين سبعة وستون : (67) رجلا سجلوا كلهم بعد فحصهم وقبولهم صالحاً للحرب في سيدي إفني، مقابل كيس من الشعير والدقيق والزيت لعائلته.

2- فخذة أنفلوس محمّد بن علي ربيع بن إبراهيم أو ابيس أيت إخلف عددهم تسعة وتسعون رجلا، (99) ومجموع الفخذتين فقط مائة وستة وستون رجلا، هذا ما يخص

فخذتين من القبيلة المكونة من أربعة أفخاذ، فإذا قدرنا للفخذتين نفس العدد، فسيكون عدد من ساقهم فرانكو من هذه القبيلة وحدها يصل إلى ثلاثمائة واثنين وثلاثين رجلاً أكلتهم الحرب الأهلية في خارج وطنهم بإسبانيا.. ولم يطالب أحد حتى الآن بحقهم، بل لم تسمح إسبانيا حتى بنصب تذكارات لهم بإفني والريف...

أما إذا قدرنا عدد القبائل الخمس الباقية بمقدار قبيلة أيت إخلف، فسوف لا يقل عدد من ساهم فيه أيت باعمران مسجلاً 1660 بطلاً باعمرانيا، لم يرجع منهم حتى واحد في المائة، بل الكل مدفون في مقابر جماعية بإسبانيا، ومع ذلك لم يطالب أحد حتى بالاعتذار في حق ذلك الجيل، هذا بالنسبة لأيت باعمران، أما عدد الريفيين فبالآلاف.

### انقلاب فرانكو والإعدامات بإفني :

كانت ثورة فرانكو قاسية على الإسبان وعلى المغاربة كذلك، وبما فعل بمن اتهم في إفني كخصوم لفرانكو، ما لا يتصور في الذهن، فقد شاهد سكان إفني ما فعل بالذكور والإناث والأطفال على السواء أمامهم في رمال إفني، حيث نفذ الإعدام بكل قساوة، على جماعة من الإسبان أنفسهم، وعلى رأس المقبوض عليهم ابن طليلا اليهودي وعائلته التجار الكبار في إفني، وقد اتهموا بانتمائهم إلى الروخو ضد فرانكو، فصودرت جميع أموالهم وشركتهم بإفني، وأعدموا بالرصاص أمام الجميع.

وقد روج المشعوذون والسياسيون، أن فرانكو شوهد يؤدي مناسك الحج في مكة المكرمة، كما شاع في أيت باعمران، أن الكولونيل كَبَّاص الخارج في 6 أبريل 1934م بإفني، كان طالبا من طلبة المدارس العتيقة يسمى عبد السلام الريفي . وكان يتكلم لغة تاشلحيت، وهناك في تيزنيت القبطان الشلح جوستينار كذلك . وقبلهم كان الداوية شارل دوفوكو الذي سجل كل شيء في المغرب والصحراء.

وذلك غير بعيد في كَبَّاص، فقد فتح الأوروبيون العالم بجواسيسهم قبل الغزو العسكري، ونابوليون بونابارت، أغوى المصريين أجمعين، بمجرد كسوة الفقهاء وزيارة



المساجد والأضرحة، وهكذا فعل فرانكو المستغل لمصطلح البركة المغربية، وهي الجنود المغاربة الخاصين بحراسته تحت عنوان «لاوآرديا مورا» ومن خطابه في مدينة سيدي إفني وفي العيون ردد قائلاً «لتنزل عليكم بركة الرب أيها الباعمرانيون».

وفي خطاب الخنرال فرانكو سنة 1950م لزيارة إفني قال : «وفي إفني وجدنا مدينة سيدي إفني، وهكذا في كل مكان، ولم يكن هذا التطور ثمرة فكرة انتفاعية، بل وليدة البذل والسخاء، فقد جئنا لهذه الأراضي لرفع مستوى أبنائها الفكري، وهي ليست لنا بأرض مثمرة، وإنما موقعها وراء أرخبيل كنارياس يجعل هذه الجزر عاجزة عن البقاء بدونها» (خطاب الزعيم الخنرال فرانكو بإفني).

#### استغلال آيت باعمران باسم الجهاد :

اندلعت الحرب الأهلية في إسبانيا، سنة 1936م فشحاع في البلاد، أن فرانكو كان مسلماً يقود المغاربة المسلمين لمحاربة الكفار الشيوعيين في إسبانيا، كما أنه سيعيد للمسلمين عند الانتصار الفردوس المفقود الأندلس، بهذا اقتنع الشباب، ثم بدأ أول إحصاء للسكان بآيت باعمران بوسيلة عجيبة، وهي التبرع بكيلو من سائيدا لكل فرد، حسب الوثيقة المتعلقة ببون Bon السكر مجاناً في كل شهر، مما دفع الجميع إلى تسجيل جميع الأفراد، ومن ثم فرضت الضريبة، ثم الجنسية تدريجياً، والناس لا يفرقون بين العقيدة والجنسية. وهذا نموذج من قبيلة آيت النص، وذلك بعد ذكر الدوار من القبيلة، بحيث يكتب رب العائلة برقم متسلسل في اللائحة، وأمامه بين قوسين عدد «أذينات ألون» من السكر حسب عدد أفراد العائلة من ذكور وإناث، مهما كانت أعمارهم، ونورد هنا اسم القبيلة أولاً، ثم نتبعها بالمداشر، ثم أسماء أرباب كل عائلة سجلنا أمامه عدد أفراد عائلته بالأرقام مثلاً فلان ومن معه بكل دقة هكذا :

#### قبيلة آيت النص : دوار تيغزى :

1- الحسين بن إبراهيم بن محمد عدد أفراد عائلته سبعة. 2- عبد بن الحاج بن مبارك عدد أفراد خمسة. وهكذا 3- أحمد بن الحاج مبارك ثلاثة. 4- علي بن الحاج مبارك

وحده. 5- أحمد بن بلقاسم بن عبلاً خمسة، 6- لعربي بن إبراهيم بن محند ثمانية، 7- سي أحمد بن إبراهيم بن محند ثمانية، 8- لحسن بن علي بن محمد خمسة، 9- الحسين بن علي بن فارس اثنان 10- أحمد بن إبراهيم بن مسعود ثمانية، 11- محمد بن الحسين بن محند خمسة عشر، 12- محند بن بوكريم بن محند عشرون، 21- محمد بن اليزيد بن محند وحده، 22- أحمد بن لحسن بن الحاج أسموگني عشرة، 23- إبراهيم بن سالم أسموگني أربعة، 34- لحسن بن علي بن جامع اثنان انتهى عددهم.

#### دوار إدبوشاتي من نفس القبيلة :

1- زبير بن لعربي بن أحمد عدد ثلاثة، 2- إبراهيم بن عبلاً أحمد ثلاثة، 3- إبراهيم بن لعربي بن أحمد اثنان، 4- الحسين بن أحمد بن الحسين اثنان، 5- أحمد بن لعربي بن أحمد اثني عشر، 6- محمد بن مبارك بن أحمد اثنان، 7- محمد بن أحمد بن إبراهيم ستة، 8- عبد بن أحمد بن علي سبعة، 9- سي علي بن أحمد بن علي أربعة، 10- أحمد بن إبراهيم بن لحسن أربعة، 11- مبارك بن أحمد بن إبراهيم خمسة، 12- علي بن أحمد بن إبراهيم ثلاثة، 13- حسن بن علي بن أحمد اثنان، 14- محند بن محمد بن صالح عشرة، 15- محمد بن الحسين بن لحسن وحده، 16- إبراهيم بن الحسين بن هموش ستة، 17- محمد بن لحسن بن محمد ثمانية، 18- إبراهيم بن مبارك بن لحسن اثنان، 19- محمد بن الحسين بن لحسن ثلاثة، 20- الحسين بن إبراهيم بن لحسن أربعة، 21- بلخير بن مسعود بن إبراهيم وحده، 22- محمد بن مسعود بن عبلاً وحده، 23- أحمد بن محند بن الحسين وحده، 24- مبارك بن الحسين بن أحمد وحده، 25- البشير بن الحسين بن أحمد خمسة، 26- جامع بن عبلاً بن أحمد أربعة، 27- محمد بن لعربي بن أحمد أربعة، 28- البشير بن بلخير بن أحمد ثلاثة، 29- الحسين بن بلخير بن أحمد ثمانية، 30- مبارك بن البشير بن بلخير وحده، 31- محمد ابن مبارك بن أحمد اثنان، 32- محمد بن الحسين وحده. انتهى

#### دوار مراح من نفس القبيلة :

1- اليزيد بن عثمان بن لحسن ستة عشر، 2- محمد بن البشير بن عثمان وحده، 3- الفقير أحمد بن لحسن بن أحمد وحده، 4- الحسين بن الحاج محند بن لحسن أربعة



وعشرون، 5- أجبّارَى الحسين بن الحاج محمد وحده، 6- محمد بن الحسين بن الحاج محمد وحده، 7- الحسن بن الحسن بن الحاج محمد وحده، 8- عمر بن الحاج محمد بن الحسن وحده، 9- أحمد بن عمر بن الحاج محمد وحده، 10- محمد بن مبارك بن سعيد وحده، 11- عمر بن أحمد بن سعيد ثلاثة، 12- عبد الله بن محمد بن سعيد وحده، 13- أحمد بن موسى بن محمد وحده. انتهى

#### قبيلة أيت إخلف : دوار تيگوندا :

1- لمعلم إبراهيم بن الحسن بن الحسين سبعة، 2- لعربي بن الحسن بن الحسين وحده، 3- أحمد بن الحسن بن الحسين وحده، 4- محمد بن أحمد بن الحسن وحده، 5- إبراهيم بن الحسين بن علي احدى عشر، 6- أحمد بن إبراهيم بن الحسين وحده، 7- محمد بن مبارك بن الحسين خمسة، 8- محمد بن مبارك بن سالم وحده، 9- سَيّ الحسين بن عبد بن الحسين وحده، 10- أحمد بن سعيد بن الحسين اثنان وعشرون، 11- محمد بن بلال بن أحمد وحده. انتهى

#### دوار المرابطين من نفس القبيلة :

12- مولاي علي بن أحمد بن الحسن ثلاثة، 13- عبلاً بن أحمد بن الحسن وحده، 14- مبارك بن الحسين بن أحمد خمسة، 15- أحمد بن الحسين بن محمد وحده، 16- مولاي الحسن بن الحسين بن محمد اثنان، 17- أحمد بن محمد بن محمد وحده، 18- إبراهيم بن محمد بن محمد وحده، 19- محمد بن محمد بن الحسن وحده، 20- الحسين بن عبلاً بن أحمد وحده. انتهى

#### دوار فرّكريك إيدادنيا من نفس القبيلة :

1- لعربي بن إبراهيم بن الحاج الحسن، 2- محمد بن إبراهيم بن الحاج الحسين، 3- الحسين بن إبراهيم بن الحاج الحسين، 4- مبارك بن إبراهيم بن الحاج الحسين ستة، 5- مبارك بن الحاج الحسين بن مبارك وحده، 6- محمد بن أحمد بن الحاج

الحسين، 7- أحمد بن جامع بن الحاج الحسين، 8- محمد بن لعربي بن إبراهيم، 9- عبد بن محمد بن علي، 10- علي بن محمد بن الحسن، 11- الحسين بن محمد بن الحسن، 12- الحسين بن محمد بن الحسين، 13- مبارك بن محمد بن الحسن، 14- مبارك بن محمد بن مبارك، 15- الحسين بن مبارك بن محمد، 16- سَيّ مبارك بن بلال بن هموش، 17- سَيّ مبارك بن الحسين بن هموش، 18- الرگائبي بن مبارك بن الحسين، 19- بلال بن مسعود بن محمد، 20- سَيّ مبارك بن عبد الله بن أحمد، 21- مبارك بن الحسين بن سعيد، 22- محمد بن الحسين بن محمد، 23- الحسين بن الحسن بن هموش، 24- محمد بن علي بن مبارك، 25- الحسين بن علي بن مبارك، 26- محمد بن الحسن بن محمد، 27- الحسين بن الحسن بن محمد، 28- الحسين بن عبلاً بن الشّيخ، 29- مبارك بن محمد بن عبلاً، 30- الحسين بن حماريش، 31- محمد بن الحسين بن حماد، 32- محمد بن الحسن بن فلاغ؟، 33- الحسين بن عبلاً بن محمد، 34- محمد بن اليزيد بن الحاج همّ، 35- مبارك بن اليزيد بن همّ، 36- الحسن بن مبارك بن مبارك، 37- محمد بن مبارك بن مبارك، 38- أحمد بن جامع بن مبارك. انتهى

#### دوار إدهايدون من نفس القبيلة :

1- لعربي بن محمد، 2- الحسن بن الرگائبي بن محمد، 3- مبارك بن الوافي بن محمد، 4- أحمد بن الحسن بن محمد، 5- أحمد بن الحسن بن محمد، 6- مبارك بن عبد الله بن محمد. انتهى

#### دوار بو تارمايت :

1- مولاي الحسين بن الحسين بن محمد، 2- محمد بن أحمد بن بلعيد، 3- مولاي محمد بن أحمد بن علي، 4- علي بن محمد بن أحمد، 5- الحسين بن بها بن أحمد، 6- محمد بن أحمد بن الحسين، 7- أحمد بن أحمد بن الحسين، 8- محمد بن أحمد بن محمد، 9- المجند بن محمد بن أحمد، 10- محمد بن علي بن أحمد، 11- محمد بن عمر بن محمد، 12- أحمد بن عمر بن محمد، 13- الحسين بن أحمد بن محمد، 14- لعربي بن



عبد الله بن محمد، 15 - الخضر بن مبارك بن البشير، 16 - عبلاً بن مبارك بن أحمد،  
الطيب بن علي بن عمر. انتهى

#### دوار الركونت من نفس القبيلة :

1 - الحسين بن محمد بن عمر، 2 - محمد بن الحسين بن محمد، 3 - إبراهيم بن محمد بن  
حماد، 4 - الحسين بن الحسن بن هم، 5 - عبلاً بن محمد بن صالح، 6 - محمد بن علي بن  
صالح، 7 - أحمد بن الحسين بن محمد، 8 - بلال بن محند بن عمر، 9 - أحمد بن الطاهر  
البرالي، 10 - رئيس مبارك بن عبلاً بن علي، 11 - المحفوظ بن مبارك بن عبلاً، 12 - علي بن  
مبارك بن عبلاً، 13 - الحسن بن عبلاً بن علي، 14 - محمد بن اليزيد بن عمر، 15 - عبلاً بن محمد بن  
اليزيد، 16 - بوبكر بن اليزيد بن عمر، 17 - مسعود بن محمد بن إبراهيم، 18 - جامع بن  
علي بن عبلاً، 19 - إبراهيم بن أحمد بن علي، 20 - علي بن عدي بن محمد، 21 - محمد بن  
أحمد بن محمد، 22 - محمد بن الحسين بن الحسن، 23 - سيدي علي بن محمد بن  
الحسن، 24 - عبلاً بن عدي بن محمد، 25 - مبارك بن عدي بن محمد، 26 - الحسين بن محمد  
بن علي، 27 - علي بن محمد بن علي، 28 - علي بن أحمد بن علي، 29 - محمد بن عبد بن  
علي، 30 - أحمد بن محمد بن بلقاسم، 31 - عبد السلام بن محمد بن بلقاسم، 32 - الحسن بن  
محمد بن بلقاسم، 33 - مسعود بن محمد بن بلقاسم، 34 - أحمد بن الحاج محمد بن  
أحمد، 35 - عبد السلام بن الحاج محمد بن أحمد. انتهى

#### دوار تابلوكوت من نفس القبيلة :

1 - محمد بن عمر بن الحسن، 2 - محند بن محمد بن الشيخ هم، 3 - مبارك بن إبراهيم بن  
محند، 4 - محمد بن إبراهيم بن محند، 5 - مولاي عيسى بن المحجوب، 6 - المحفوظ بن  
عيسى بن المحجوب، 7 - الحسين بن محمد فلا، 8 - إبراهيم بن محمد فلا ثلاثة، 9 - مبارك بن  
أحمد بن محمد فلا أربعة. أنتهى

ملاحظة هامة : وهي أن لائحة أيت إخلف اقتصرت على رب العائلة فقط، وهي  
تشبه الأولى في النمو الديمغرافي لعدد الأفراد. ومعنى ذلك أن هناك لائحة الجميع لم

أعثر عليها. ومجموع الرجال أرباب العائلات في هذه الكناشة 214 رجل، وهو جزء من  
فخدة القبيلة فقط، مع العلم أن 123 من هذه اللائحة لم يسجل إلا الرجال المكلفون  
دون ذكر عدد أفراد العائلة لكل واحد منهم ولا أدري لماذا ؟

#### مشكلة البطاقة الوطنية وتصوير النساء :

استغلت السلطة الإسبانية نجاح إحصاء السكان للحصول على السكر في نهاية كل  
شهر، بناء على لائحة تسمى لابريتا، تحمل جذاذات عدد أفراد كل عائلة، ولما نفذت  
هذه الخطة، شرعت في تعميم بطاقة التعريف الحاملة للجنسية الإسبانية لجميع البالغين  
من ذكور وإناث، حاملة لصورة المعني في مكتب الإسبان.

وهنا تدخل إمغارن، فأوقفوا عملية الإحصاء، ابتداء من قبيلة أيت إخلف، بعد  
إحصاء رب العائلة فقط، فتم اتفاق إمغارن كلهم على ذلك. كما «تدخل الفقهاء ضد  
التصوير، معلنين أن الصورة خلق، والحق خاص بالله وحده، كما أن الصور هي الأصنام  
بذاتها، وأن كل من صور صورة ما فستحاسبه أمام الله يوم القيامة ليضع فيها الروح،  
وبما أنه عاجز عن وضع الروح في الجسد، فإنه سيعذب عذاباً شديداً، لأنه شارك الله في  
خصوصيته». (فتوي القاضي جهادي محند)

لماذا بدأت هذه المعارضة بقبيلة أيت إخلف ؟ لأن هناك اتفاقية أمزدوغ منذ سنة  
1934م بين أعيان أيت باعمران بحضور الضابط كولونيل كباص حول القبيلة الأولى  
التي ستنفذ أولاً أي قانون ستقدم عليه السلطة الإسبانية منذ الآن، فخرجت تلك  
القرعة في أمغار عبد الكريم، فاستغل الإسبان تلك الاتفاقية التي بدأت بعبد الكريم  
حسب قرعة أمزدوغ فخلقت له عقدة نفسية طيلة حياته. منها :

«الحمد لله وحده. أسعد الله أيام أمغار عبد الكريم بن الحسن، سلاماً تاماً، وبعد  
إن بعض الشرفاء المرابطين الساكنين في أيت باعمران، وردوا علينا قائلين : إن في أيام  
المخزن لم يكون تحت سلطة قبيلة التي هم فيها ساكنين، ويريدون أن يكون متنقلين  
بشؤونهم، وحيث بعض الدشور الذي هم سكتناهم فيه دفع السلاح للفرنسيين وآخر



لكم، ولا بد أولاً أن توجد إليّ بسرعة تقييد ديار المرابطين الذين هم في قبيلتك واسم المدشر الذي هم فيه ولأنهم دفعوا السلاح للفرنسيين أو الإسبانيين. ثانياً إن أولئك الشرفاء هم متعلقون بالقبيلة كممثل غيرهم منها، ثالثاً يُستعملوا بالمسطرة العادلة يحترموا وتعتبرونهم بتخفيف ما عساه أن يحمله من شؤون المخزن فيما يرجع للعدالة والفرض وغير ذلك، ولكنه بدون شك يكون تحت نظر المتولين من بلد الذين هم فيه منازلهم، وأنت يلزمك أن تأخذ ما عندهم من السلاح والقرطاص وغير ذلك من سلاح البارود الذي يكون عندهم. ودمت بخير والسلام في 2 مايه 1934م موافق 18 محرم 1353هـ. التوقيع والطابع كباص». (في حوزتنا)

1- نلاحظ أسلوب هذه الرسالة التي نقلناها بحذافيرها لكونها من أول الرسائل الرسمية بعد اتفاقية القرعة بأمردوغ، المبدوءة بعبارة [الحمد لله وحده] دون التوصية فصارت عبارة رسمية لا مزيد عليها منذ ذلك التاريخ.

2- إلزام أمغار تنفيذ الاتفاق بين الاستعمارين في سلخ بعض آيت باعمران وإلحاقهم بأحكام الفرنسيين مثل أهل السيجل، وآيت أبينو في الجنوب. كما ذكرنا..

3- منذ الأسبوع الأول فرض على إمغارن جمع السلاح كيفما كان نوعه من القبائل.

4- على أمغار أن يعالج مشكلة المرابطين بالتخفيف والليونة في العدالة والفرض وغير ذلك حتى لا يثورون ضد الحكم النصراني الإسباني.

5- وتنفيذ عبد الكريم هذه القضية الخطيرة، فرضت عليه عملية التلقيح ضد مرض السل الشاملة للنساء، وهي في الحقيقة إحصاء للسكان جميعاً تحت طائلة التلقيح تعم جميع آيت باعمران. ذكورا وإناثا، صغيرا وكبيرا. ثم عمت الجميع

6- الشروع في عملية إحصاء الشباب من أجل الذهاب إلى الحرب في إسبانيا في الحرب الأهلية 1936م. ويقبول كل هذه الأوامر، نفذت كلها في باقي القبائل، تطبيقاً لاتفاقية أمردوغ وتطويع الشاب عبد الكريم، وعمره حوالي عشرين سنة.

قال لي يوما : قد سببت لي تلك القرعة مرضاً نفسياً لن أنساه أبداً، لأن الإسبان كانوا دائماً ينفذون أهدافهم في قبيلة آيت إخلف، تنفيذاً لتلك القرعة، وهكذا جندت كل القادرين على الحرب، وخاصة المدربين على السلاح في المعارك القبيلية السابقة لسنة 1934، وتجدد أحياناً ثلاثة أفراد من عائلة واحدة..

كل ذلك للدفاع عن فرانكو في الحرب الأهلية بإسبانيا سنة 1936م. وقدر عدد المجندين في آيت باعمران كلهم بستة آلاف حسب مذكرة فقيه مدرسة لجمعا العبلوي، بل حتى من رجع منهم معطوباً لم يحصل على أجرته العسكرية، وهنا بدأ غدر السلطة الإسبانية يبرز لكل ذي عينين، القذة بالقذة، والخطوة بالخطوة، حتى افتضح مكرها بإنكار نصر سلطان المغرب سنة 1947م. فألقت القبض على أعيان آيت باعمران في ذكرى عيد المولد النبوي، فكان ذلك دق أول مسمار في نعش الحكم الإسباني في آيت باعمران، كما أضاف إلي عقدة أخرى لعدم القبض علي، ففسر لذلك بالخيانة لموالاتة الإسبان، وقد فسرت لك تقديم استقالتي..

### نموذج التحرير الشخصي من الهيبة :

من الجواب في الرسالة الآتية : «يعلم من مسطورنا هذا أسمى الله قدره وجعل في الصالحات طيه ونشره، أننا أسدلتنا أردية التوقير والاحترام على المتمسكين به السيد رحال بن العياشي، وعلى أصهاره أبناء الفاطمي السيد الغزواني والسيد محمد والسيد علي والسيد عباس وعلى أبناء خاله السيد الحسين والسيد أحمد والسيد عمر والسيد محمد والسيد عثمان والسيد علي والسيد رحال والسيد عباس. وأسقط عنهم جميع الكلف المخزنية والتكاليف السلطانية، إلا ما أوجبه الله عليهم من زكاة وأعشار فنأمر من يقف عليه من عمالنا وولاة أعمالنا أن يعظمه ويعمل بمقتضاه ولا يحد عن مذهبه ولا يتعداه. صدر به أمرنا القائم بالله في انتصاف جمادى الأولى عام 1334هـ الطابع بداخله عبد ربه أحمد الهيبة كان الله له».

إن هؤلاء كلهم من أعراب الصحراء، ولا عجب إذا ورد تحرير 13 فرداً من الكلف المخزنية من طرف الهيبة، وكل واحد من هؤلاء له عائلة منتمية قد تصل إلى عشرة أشخاص، فيصير المجموع 130 فرداً، ومعناه قبيلة لها ما بعدها، وعلى هذه الوثيقة



وأمثالها اعتمد الضابط الأول بافني كَبَاص الإسباني، فأمر أمغار القبيلة بملاينة المرابطين في بداية الاستعمار على الأقل، ولا ننس أن تحرير هذه الأعداد يتحمل العامة الباقون ما يلزمهم من الكلف المخزنية، وقد استمر هذا التمييز إلى بعد المعارك ضد الجنرال دولاموط، فأسقطه عرف إنفلاس بأيت باعمران للمصلحة العامة بعد 17 سنة، فألزموا الشرفاء والطلبة والمحربين من الكلف ليساهموا بدورهم مثل الجميع، وقد كان أولئك يثيرون القلاقل كلما طلبوا بإدماجهم في المجتمع كالعمل في مد الطرق أو حفر المطافي والآبار، فكان الإسبان يهادنونهم، أما رسائل الهيبة فقد كانت كلها من الوثائق السلطانية باستثناء الاسم والطابع والتاريخ..

### علاقة فرانكو بأيت باعمران :

كانت علاقة أيت باعمران منذ خروج كَبَاص في رمال سيدي إفني منذ 6 أبريل 1934م بمثابة انتصار مقاومتهم على الحماية الفرنسية لمدة 22 سنة، كما كانت علاقتهم بفرانسييسكو فرانكو الذي وصل إلى السلطة في إسبانيا على أكتاف أيت باعمران وشباب الريف بالشمال مستمرة، وباستغلالهم حكم الشعب الإسباني بيد من حديد لمدة أربعين سنة. وكان يرسم لوحات زيتية بنفسه، وربما كان يقلد أدولف هيتلير، إذ تجمعها صفة الدكتاتور ضد شعبه الإسباني، وقد نشر تماثله في المدن والقرى بإسبانيا، إلى أن هدمها خوسي لويس ثباتيرو الاشتراكي سنة 2004م. وبمزاج الدكتاتور قرر فرانكو أن يجعل الإسبان يخافون منه أفضل من أن يبجلوه بكثير من الاحترام.

عاش فرانكو في شمال المغرب منذ صغره، ويحكي عنه الذين عايشوه عن قرب، أنه كان يحفظ الكثير من الأغاني المغربية الشعبية، ومن المغرب ابتداء الانقلاب الذي وصله إلى الحكم، ومن المغرب جند عشرات الآلاف من المقاتلين المغاربة. (جريدة المساء عدد 766 الثلاثاء 10 مارس 2009م).

### رسالة الأعيان الباعمرانيين :

«الحمد لله وحده. جناب حضرة ومفخر الأمجاد الهمام محب الشجاعة سعادة الكورونيل سير خوان صَنْتِيْشَا بُول. سلاما تاما - سينيور - ورحمة الله وبعد : أعلمنا

سعادتكم أننا وصلنا إلى مسقط رأسنا بالسلامة والعافية، ولم نر ما يكدر الصفو منذ فرقناكم إلى أن وصلنا بلدنا، وكل ما شهدناه من التقى إلينا من الاعتناء الذي رأينا، فإن ذلك بلغ منا مبلغا عظيما، وأحللناه محلا كريما، بفرح تام، وسرور عام، والمؤمل من سعادتكم النيابة عنا فيما اعترفنا به من القصور في حق أمير الدولة الجنرال فرانكو، أي الدولة الجديدة الإسبانية الحقيقية ورجالها الوطنيين، فإن ما أسديتموه لنا من المعروف قد طاب عَرفه، وأزكى نفعه، وكان ذلك تأكيداً للحب وزيادة الامتنان، وعلينا نحن جميع باعمران أن نقابل إن شان الله الدولة بما يناسبها، ونحب أن نقابل به، وقد رجونا من الله الخير الكثير على مر الليالي والأيام، ونقول كلنا بصوت واحد : تحي الدولة الإسبانية، ويحيى أميرها الجنرال فرانكو والسلام. في 11 نوفمبر 1937م / 7 رمضان 1356هـ عن إذن الوفد الذي كان بطرفكم :

- 1 - سعيد بن الشيخ الحسين بن الشيخ يحيى الخمسي.
- 2 - أحمد بن القائد البشير بن القائد الحسن أصبايو.
- 3 - القائد الناجم بن مبارك الأخصاصي اللاجئ.
- 4 - عبد الكريم بن الشيخ الحسن الخلفاوي.

### رسالة جمع السنجاق :

إعلان مساهمة طوعية من أيت باعمران كلهم بالمال حسب الاستطاعة لشراء وسام أو هدية للجنرال فرانكو بعد انتصاره بأيت باعمران والريف في الحرب الأهلية. ورغم أن الرسالة نالت منها البلى ننقذ منها ما أمكن فيما يأتي :

«جناب أمغار سعيد سلام عليك أتم السلام، وبعد فبالفرح الكبير أنبئكم وأهنئ إخواننا المسلمين جميعا الكائنين بأيت باعمران، بأن الجنرال ليسمو فرانكو حاكم إسبانيا السعيدة، قد أعطى للكَرَوْبُو (حاكم إفني. دوريس ؟) دي إفني السنجاق الدولية الإسبانية على الشجاعة التي بينوا في الحرب الإسباني الماضي مع العديان



الجاحدين لله تعالى؟ وهذا الشرف هو لجميعكم، وبالرأس العالي تقدروا أن تقولوا بأن واحدا من إخواننا أو ابننا أو من أهالينا حضر في هذه الحرب، ونحبكم أن تفرحوا بهذا غاية الفرح، ليكون هذا الشرف خصوصا لكم وسعادة الديانتين كرونو ديورو حاكم الصحراء وإفني يحب أن تكونوا (ا.. ندم) ونحن وجميع أيت باعمران والصحراء أن ندفعوا هذا السنجاق للبطايون هدية منا قبل ما يفوز به أحد قبلنا من الناس الأجبيين الساكنين بإسبانيا.

وعليه فالرجاء من الناس القارئ لهذا الكتاب أن يتبرعوا بما تيسر على يدهم من المال قليلا أو كثيرا، وأقل ما يكون بسيطة لكل دار، وإذا أراد أحد أن يتبرع بأكثر من ذلك فله ذلك. والحكام وأعيان القبيلة والناس التجار والعساكير يعملوا ما يليق بهم بخاطر أنفسهم. وجمع هذه الدراهم تكون على يد الشيخ المكلف بالقبيلة، وبعد جمعها تدفع للقيسينا مع تقييده كل واحد باسمه وما دفع، وحين يتعدل هذا السنجاق يدفع للبطايون، ويقع تصفيف العساكير بساحة هذا الفدان الكائن بهذه المدينة بحضور نائب كل قبيلة، وبه الإعلام والسلام. في 29 مايو 1940م (الكمضاندي كالوبيون) ولغة الرسالة ركيكة، وهي تدل على مستوى الطرفين: الخاطب والمخطوب! وكم تعبت في البحث عن عدد المال الذي جمعه إمغارن فلم أجد. وهو كثير.

#### رسالة تهنئة فرانكو لإمغارن منها:

«الحمد لله وحده، ولا يدوم إلا ملكه. سلام الكاهل. سعادة المفتش الكومانضاتي أنطونيو ديورو على إمغارن أيت باعمران هو ما يأتي كما هو ...»

أيت باعمران أيها إخواني الأحباب السلام عليكم، سلاما تاما وبعد: يمكن أن أقول لكم كثير الأشياء من قلة الفصاحة عندي في لغة العربية، وعدم معرفة تشلحيت، لأقول كل ما يجول في خاطري، لكنني أريد أن أنطق أربع كلمات، لأسلم عليكم باسم أمير الدولة ودليل الجيش الغالب سيادة الخينرال فرانكو، وذلك باسم المقيم العام بتطوان سعادة الكورونيل بيخيبيدير الذي يكون مشهورا ومعروفا بمحبته المسلمين في جميع الأقطار، وإني استخبرت فقد علمت أن خدمتكم وسيرتكم في هذا الوقت وهذه الحركة الوطنية

وأن أفعالكم أفعال جميع الإسبانيولين الحقيقيين، ولذلك أرسلتم كثيرا من أولادكم ومن إخوانكم ليقاتلوا طغاة الوطن الكفرة بالله. كثر الله خيركم على ذلك، واعرفوا أن حكام الدولة الإسبانيولية الجديدة، وخصوصا من ذكرته لا يحب سوى خيركم وخير جميع المسلمين، وأحب كما عرفتم أن تقدم جمعية (جماعة) من أيت باعمران إلى (مكان؟) يتلقون فيها بالمقيم، ويصلون إلى مدينة سلمانكة ليزوروا سعادة الخيراليسمو ليرفعوا إليه تهنئتكم الحارة، واعلموا أيها العزاز (الأعزاء) أنني فرحان ومسرور غايات السرور بمجيء هنا. وأشكر لكم شكرا كثيرا على قدومكم (... كلمة) والسلام كتب في 8 من جمادى الأولى عام 1356هـ الموافق باليوم 17 خوليو من العام الأول المظفر 1937م أنطونيو ديورو». وهكذا صارت كلمة الأخوة عادية بين السلطة الإسبانية وبين أعيان أيت باعمران، ولا عجب، فكلاهما أدى للآخر ما يستحق قبول هذه الأخوة، فالحماية دفعت عنهم فرنسا، والشباب الباعمراني حرر لفرانكو حكمه ضد شعبه في إسبانيا.

#### ملاحظات منها:

1- لا شك أن الرسالة من إنشاء الضابط، إن لم نقل حتى الخط الذي كتبت به بشكل تصعب قراءتها حتى على من تمرس على هذا النوع من الخطوط المزوقة بأشكال الحروف كلوحة توحى بشيء يصعب إدراكه من نوع الفنون التشكيلية.

2- كانت عبارة الحمد لله وحده، هي الرسمية في الرسائل الإدارية الإسبانية، وكذلك في جميع الرسائل العادية بين الناس حتى بخط الطلبة المشاركين، بحيث لا تذكر فيها التصليية على الرسول، وهذا ما عثرتنا عليه غالبا دون زيادة على ذلك، مما يدل على أن الإسبان كانت لهم مقدمات نحو تجنيس البلاد وفرض الصوبرانية.

3- اعتذر هذا الضابط في رسالته عن عدم معرفته لفصاحة اللغة العربية، وعن عدم معرفته لغة تاشلحيت هكذا، مع أن دومينيش صاحب المعجم الباعمراني، ومانصيا وغيرهما من المكلفين بجباية الضرائب وتسجيل السكان من دار إلى دار في أيت باعمران، كانوا لا يستعملون إلا تاشلحيت في البيع والشراء والمعاملات.



## تعيين العدول الرسميين :

«جناب أمغار سعيد بن الحسين الخمساوي، لا زلت مغمورا في أياد الملك المنان، وبعد : فساعة وصول الكتاب لديك، أرسل العدل سيدي عبل بن الحسين بن سعيد المسكناوي، والعدل سيدي إبراهيم بن محمد بن حموش السيموري لفيسنه تاليوين، لأنني أردت أن أتكلم معهما، وبه الإعلام والسلام». في 12 نونبر سنة 1942م 5 قعدة الحرام عام 1361هـ .

مرة أخرى نجد السلطة الإسبانية تتجاوز اتفاقية أمزدوغ التي منها عدم التدخل في أمور الدين، والعدول من صميم هذه المادة، وهذان الفقيهان معروفان لدينا وخاصة الأول، وهو الدرقاوي الطريقة القاضي في المهنة، وهو معروف بالفصل بين الناس بالآية «والصلح خير» وقد ترك عائلة مباركة من الخلف قامت مقام السلف، أما الثاني فلم اطلع له على أثر، وأظن به خيرا، مع العلم أن في تلك الظروف تدخلت السلطة الإسبانية، فألغت حرية التقاضي بين الخصمين، ثم عينت قضاة رسميين عليهم قاضي القضاة، وذلك بسبب فشل إحالة الأحكام على الفقهاء الصحراويين من آل الشيخ ماء العينين، كان آخر حكمهم نقض الحكم الصحيح للقاضي جهادي محند في موضع إدأوبوزيا بلا حجة ولا دليل، فاستنكرت القبيلة كلها فعلهم، فحل محلهم قاضي القضاة في مدينة سيدي إفني، وقد كاد نقض هذا الحكم أن يثير الثورة على السلطة إفني، لولا إسراعهم بالتخلي عن الفقهاء الصحراويين غير الممارسين بالعقود العقارية وتطبيق الميراث والمناسخات المعقدة، وتطبيقها عمليا على العقار والخواسر، ومصطلحاتها، وكون الحدود في العقار تبدأ في المرتفعات بمفرق الماء، وتنتهي بمجرى الوديان، ولو كان الملك العقاري في الجانب الآخر للوادي، حيث تبدأ القسمة من جديد هناك، وهكذا في امتداد أغصان الأشجار إلى ملك الغير، كل ذلك مجهول في بيئة الصحاري، وكونهم لا يستقرون غالبا لسكناهم فوق الجمل .

## مسطرة الأحكام العرفية :

المقصود بها جميع القضايا المحدثه في إقليم أيت باعمران مهما كانت، تعالج بسرعة ممكنة، عن طريق عرف البلاد، فإذا كانت جهوية مستعجلة، يرسل ضابط الجهة ورقة

صغيرة عليها طابع الفيسينا بخط كاتب الإسبان الرسمي، تذكر المشكلة ليبحث فيها أمغار مع أنفلوس لتلك القبيلة.

أما إذا كانت القضية كبيرة، فلا بد من اجتماع عام، في مكتب المركز مثل تيغزي المشرف على إمغارن في البادية يوم الخميس على الساعة العاشرة برئاسة الضابط الإسباني، ومساعدته والكاتب والمترجم. وبحضور إمغارن وجميع إنفلاس حسب مستوى القضية.

لغة المداولة دائما بالشلحة، والإسبانية مع الترجمة، وافتتاح الجلسة بكلمة كيف أحوال البلاد؟ والجواب غالبا يوجد الهناء.

الطابط : ما رأيكم في القضية الفلانية؟ فتبدأ المناقشة، بحيث يطرح كل واحد وجهة نظره، أو يتولى أنفلوس المعني عرض ما وقع في أحكامه، كل ذلك شفويا يسمع ولا يكتب، فإذا كانت الحالة بسيطة تحل في الحين، وإذا كانت معقدة، تطرح المقترحات، كأن تكون القضية عامة، فيحضر فيها كل إمغارن وجميع إنفلاس الذين تحت حكمه، ومعنى ذلك جلسة عامة لحكام القبائل السبع، وذلك نادر، لتكريس التفرقة.

الضابط يطرح سبب الاجتماع العام، ويطلب الحل عاجلا، ويسير الجلسة هكذا :

1 - الكلمة للشيخ سعيد الخمسي لتقديره واحترامه ويدلي برأيه.

2 - الكلمة للقائد أحمد أصبايو ويدلي برأيه

3 - الكلمة للشيخ عبد الكريم الخلفاوي. ويدلي برأيه...

لكن عندما لم يوفق أحد، يتولى أنفلوس السيد عيسى بن محمد بن عثمان الخلفاوي، لكبر سنه، ولتجربته الطويلة، ولعرفته بالعرف، وحفظه للقرآن طرح اقتراح مناسب، إذ لا يوازيه في الأحكام العرفية سوى أنفلوس حمايدوش النصفي لكن إذا بقي إشكال في الموضوع، أو غموض في القضية، فإن الضابط يأمر بالمزيد في البحث في اللقاء المقبل، فتلخص النتيجة بالإسبانية، وهكذا تحل جميع القضايا عرفا بسرعة يرضى بها المجتمع،



على عكس القضايا الشرعية التي تستغرق شهورا وسنوات، وقد تضيع الحقوق بين الاستئنافات، والمجتمع لا يدرك الخلافات.

يقول البعض ما محل هذا العرف إلى جانب الفقه ؟ :

من الجواب أن كثيرا من المصطلحات القديمة، لم تعد تسد الفراغ بعد اكتشاف أقطار العالم، فمصطلح دار الكفر ودار الإسلام غير معمول به، وإن نصت الكتب الأصولية على ذلك، إذ متى كانت القواعد الفقهية مصادر للتشريع ؟ ولا أحد يقول بذلك، ولكنها قواعد للتنظيم، فهي ليست من القرآن ولا في الحديث، وإنما هي قواعد اتفق عليها أناس في زمن ما ؟ لأنها مناسبة لحل مشاكلهم، ولا يمنع علينا أن نتجاوزها نحن بدورنا إلى اجتهاد آخر أحسن ومناسب لمشاكلنا، وهذه هي أهمية العرف في أيت باعمران، كما نص عليها عرفهم، وزكيتها ظواهر ملوكهم عبر التاريخ، منها المنصور الذهبي ومولاي إسماعيل والحسن الأول 1299هـ ...

تدخل السلطة الإسبانية في إحصاء الأراضي :

«جناب أمغار سعيد بن الحسين الخمسي، عليك أتم السلام وبعد : فليكن في علمك أنني كتبت لجميع إنفلاس بهذا الإذن المكتوب لك به أيضا ؟ وهو أنهم يُقيّدون جميع الناس الذين حرثوا أرضهم، ويقيّدون الأرض المحروثة، وكم فيها من ذراع طولاً وعرضاً، وعدد الزريعة المزروعة فيها، وقدر ما يأخذونه من نوع الزريعة، كالقمح أو الشعير أو غيره، فإذا مضى على الحرث من أوله شهران، ارفع الإعلام به لتاليوين (مقر السلطة) بالحالة التي هي عليها من الحسن أو القبح من النبات، فإذا استكملت أربعة أشهر، وهي على الحالة التي كانت عليها، أو تبدلت إلى حالة أخرى أو أصابها الجراد وأفسدها، ارفع الإعلام به لتاليوين، وإن كانت الأرض تسقى بالحاسي (البئر) ثم انقطع ماؤه (ماؤها) أو نقص يلزم الإعلام به أيضا، وكذلك يقيّد جميع الحيوان الكائن بالقبيلة، ويرسل تقييده لتاليوين، وإذا نزل المرض بالحيوان اعلمني به أيضا، وبه إعلام إليك والسلام في 25 نونبر 1944م الكبطان ديل كمبو الحاكم بتاليوين» فهم أيت باعمران من ذلك الإحصاء هو

الأعشار والزكوات ؟ رفض أيت إخلف هذا الإخبار، ولم أعثر على رد الباقيين، إذ عد ذلك تدخلا خطيرا أبرز نوايا لها ما بعدها فيما بقي لأيت باعمران من أصالة واعتزاز ونخوة ورفض للظلم وقسوة الظالمين، وإثارة أصل العقارات ومشاكلها لشغل الجميع فيما بينهم :

1- هذه الرسالة عمت جميع إمغارن، وحتى لا يكون لأي أمغار رد فعل باسم قبيلته نصت هذه الرسالة على مجرد إعلام بذلك، لأن الأمر أعطي لجماعة إنفلاس لينفذوا أمر الضابط الإسباني، وقبل ذلك كانت الأوامر من الضابط إلى أمغار، ثم إلى إنفلاس، والآن إلى هؤلاء مباشرة، لأنهم أدرى بالفخدة التي عينوا عليها من طرفهم، وأنفلوس لا يملك إلا تنفيذ الضابط، وإلا تعرض لمراقبة أمغار عليه.

وهكذا صار الحاكم يضرب بعضهم ببعض، وأي معارضة من طرف أمغار، ستهدده حتى في منصبه الشكلي، لأن إنفلاس بدورهم عينوا رسميا بعد اقتراح أمغارهم، وهم يتقاضون أجرتهم، وبسياسة فرق تسد، سلط بعضهم على بعض.

2- كان هدف الإسبان بعد مرور عشر سنوات على احتلالهم لإقليم أيت باعمران القيام بإحصاء كل شيء في البلاد، انطلاقا من تلقيح السكان جميعا، صغيرا وكبيرا، ذكورا وإناثا ضد السل، (تيمسي أو تاشاكا أو تورين)، وبذلك المناسبة، سجلوا كل من لقحوه قبيلة فقبيلة، فعم ذلك أيت باعمران أجمعين، ابتداء كما العادة بقبيلة أيت إخلف، وبهذه المناسبة لفتحت حتى نساء العلماء وكبار القوم، وتجري العملية بريشة حادة بعد غمسها في محبرة التلقيح، ثم يجرح بها ذراع الملقح. وهي أول تلقيح عام.

3- وباندلاع الحرب الأهلية في إسبانيا ما بين سنة 1936 - 1939م أحصى الإسبان شباب أيت باعمران ورجالهم، منتهزين الحالة الاقتصادية للبلاد، فدفعوهم كوقود حرب في إسبانيا، مقابل دفع كيس من الأرز والشعير لعائلة المجند، وبذلك انفصلت تلك الطاقة البشرية الباعمرانية عن مهدها ميدان المعارك والبطولة والحروب القبلية التي نشأ فيها ذلك الجيل، فاطمأنت إسبانية محليا، إذ زجت بهم في الحروب الأهلية في إيبيريا، وقليل من رجع منهم سالما.



4 - إحصاء السكان : ولكي تضمن السلطة الإسبانية إحصاء دقيقا للسكان في أيت باعمران، أعلنت تبرعها على كل فرد بكيلو غرام من السكر (سانيدا حمراء اللون) وخمسين غراما من الشاي، لكن ذلك بواسطة ورقة تحتوي على اثني عشر أذينة تسمى (لابريتا) حسب ترتيب شهور السنة، وهكذا تم إحصاء السكان جميعا، والحرب العالمية مشتعلة في العالم ماعدا إسبانيا المنتهية منها بالحرب الأهلية.

5 - مرحلة التجنيس : الصبرانية. فرضت إسبانيا ورقة التعريف على كل بالغ من ذكور وإناث، تكون عليها صورة المعني، مقابل دفع ست بسيطات ثمنها، وقد ظن حكام إفني أن الأمور تسير كما قرروا، وأن أيت باعمران فقدوا تلك الحاسة الخاصة بهم، وهكذا انتفضوا كلهم ضد تصوير النساء، ورغم كل الجهود، فإنه لم تصور ولو امرأة واحدة في الإقليم كله، مع العلم أن من الشروط الأولى بين الطرفين عدم تدخل الإسبان في أمور الدين والنساء حسب اتفاقية أمزدوغ بين الطرفين.

6 - وأخيرا اكتفت إسبانيا لإطفاء ذلك الغضب القبلي بتصوير الرجال البالغين فقط، وخاصة التجار المسافرين، ومع ذلك رفضها الفقهاء بإصدار فتاويهم علنيا شفويا.

7 - تمكن الإسبان من نشر ورقة التعريف، لكنهم سجلوا فيها أن حاملها إسباني الجنسية، وقد اكتشف تجار أيت باعمران في كناريا وفي إسبانيا، أنهم كلما سافروا إلى هناك يذهبون لمكتب الأجانب، قصد التأشيرة على التسريح (رخصة السفر) أو أخذ سلعة، إلا وقيل لهم : اذهبوا إلى مكتب الإسبان، فجنسيتكم إسبانية، ولما رجعوا وجدوا الصبرانية الإسبانية هي جنسيتهم، فقامت انتفاضة أيت باعمران، واحتجوا على غدر إسبانيا بهم، وأنهم خرقوا بندا من الاتفاقية التي تنص على احترام الدين، فتطورت الأمور إلى قيام أيت باعمران بنصر السلطان المغربي سنة 1947م، مع العلم أن أيت باعمران لا يفرقون بين الجنسية والعقيدة، فردت إسبانيا بالقبض على كثير من أعيان البلاد، لمدة سبع سنوات، فتطورت الأمور، وربما تذكر الناس تسميح الأندلسيين أو طردهم منها. وهنا فعالية التدين في تحريك العامة.

8 - الشروع في انتزاع الأراضي الجيدة لصالح المعمرين، فبدأ ذلك في مشيخة الشيخ سعيد بتاليوين، ليلزم ذلك الجميع، كما حاولوا غضب أحسن موقع في مشيخة

الشيخ عبد الكريم بموضع تيزوكي، بأيت إخلف، لكن الباعمراني يقتل أو يُقتل من أجل أرضه، ومن لا يعرف ذلك فليجرب إثارة غضبهم، وأخيرا اكتفت إسبانيا بفرض الضريبة التي لم تطبق لتعقيد الممتلكات المشتركة. كل هذا ساهم في رفض الاستعمار الإسباني الذي ظن أيت باعمران أنهم قبلوه كتغطية ضد فرنسا.

### إفني قلعة الصمود :

هنا إشارة لا بد منها، وذلك أن جميع الدول المغربية، عانت من تهافت الأطماع الأجنبية، بقطع النظر عن المد والجزر، في ظروف القوة والضعف للطرفين، وحتى في فترات القوة القاهرة، فإن مقاومة الأمة المغربية لا تتوقف مهما كانت الظروف، ومهما كثر حساد المغرب، وتعد مقاومة أيت باعمران، نموذجا من صميم مقاومة المملكة المغربية كما يأتي :

1 - أعقدها وأطولها ضد أطماع إسبانيا الجارة منذ معاهدة تطوان 1860م وقد دافع المغرب بجميع الوسائل الممكنة، كاستغلال حسن الحوار والتفاهم، إلى تبادل المنافع عبر الاقتصاد والتعاون، إلى مصلحة الشعبين لظروف تاريخية...

2 - منها رفع القضايا من المغرب إلى القانون الدولي، بما فيه محكمة لاهاي ومجلس الأمن الدولي، إلى منظمة الأمم المتحدة، إلى الاستعانة بالدول الصديقة من قريب أو بعيد أو كل ما يؤدي إلى حسن الجوار والتفاهم.

3 - قضية سيدي إفني : يجب أن نبدأ أولا بتعريف عام : إن كلمة إفني لفظة أمازيغية قديمة ومنتشرة كعلم جغرافي في عدة مناطق من المغرب، وتعني لغويا «ضاية الماء» كما تسمى تامدا، وهذه أصغر من أكلميم أو أكلامام، وتوجد الكلمة في مناطق بقليل من التحريف، مثل إفني بأيت باعمران، أو تيفنيت بأشتوكن، أو إفني في قمة الأطلس الكبير قريبا من مزار «شامهاروش» وتوجد تيفنيت في شمال ماست وأخرى قريبا من سد عبد المؤمن، وتامدا إيْفني التي كانت عند مصب الوادي حيث ضريح الصالح سيدي إفني حاليا، ويظهر أنها لما غمرتها السيول صارت مستنقعا، فصارت



تطلق على مقابلها في البحر باسم تامدا إيْفني، وحيثما توجد تامدا بهذا الاسم، تحيط بها أساطير من النوع الذي يتفاعل بها، ومن ذلك في الأطلس الكبير منظومة أمازيغية منها منظومة عنوانها :

- 1- ئنَّا د إفري غ ئيگ إفني سلايات اس.
- 2- كرزات ئگران س تمزين أزغار يخلف.
- 1- نطقت المغارة في داخل الضاية فاسمعوا لها.
- 2- احرثوا حقولكم بالشعير فالسهول قد اخضرت.

4- ترتبط هذه الضايات غالباً بالطقوس الأمازيغية العريقة في القدم، ففي قمة الأطلس الكبير، تجرى هناك طقوس تقليدية لا تقدر في العقيدة، بل تساهم في معالجة الأمراض النفسية، بفضل خفة الضغط، إذ كل ما ارتفع 15م كلما نقصت درجة واحدة من الحرارة، ولهذا يكثر زوار ذلك الموقع للتنزه والشفاء..

وفي أيت باعمران يتفاءلون بهزة تحدث داخل البحر غرب مدينة إفني في كل عام طغت فيه سيول الوديان، وخاصة وادي تيزكي المنسوب لأفني حالياً، وعندما يسمع الفلاحون لتلك الهزة، يقولون تلك علامة لسنة فلاحية جيدة، يجب التكاثر في الفلاحة هذه السنة، ولعل ذلك مرتبط بالملاحظة.

5- وفي مصب هذا الوادي يقع ضريح الصالح سيدي إيْفني : المجاور لضاية عين المكان، وهو قديم جداً، وقد عثر في الوثيقة الجلدية التي عثر عليها الفقيه السيد عبد بن بورينج من تيزكي، في مطمورة في خزفية بأكادير نـ داؤبوزيا هناك تربط وجود الصالح سيدي إفني هذا، بضريح الصالح سيدي بوعبدلي بأيت همان، وهو «أقدم صالح في هذا الجنوب، يرجع إلى القرن السادس الهجري» (المختار السوسي) وقد أضاف البعض لهذا الضريح اسم «علي» هكذا (سيدي علي إيْفني) وما أكثر من يريد أن يلحق الصالحين بأنسابهم. قصد الاستيلاء على فتوحات الضريح، أو الانتماء للتخلص من الكلف المخزنية، أو الفوز بميراث الزاوية، بل حتى الإسبان زعموا أنه راهب خرج من جزر كناريا، يريدون بذلك تثبيت سانتاكوز المزعومة في برج إفني بدون دليل.

وقد أكد القاضي الطيب العامري التادراتي، «أن أول من أضاف كلمة علي إلى الصالح إيْفني، هو الطالب المشارط في تلك الزاوية ؟ وهو سيدي محند أوتحكاكوت بجبل أيت إخلف، اشتغل بتحفيظ القرآن طيلة حياته بإفني منذ 1936م حتى أقبر فيه. واشتهر بتلقي الزيارات والهدايا من طرف المجندين لدى الإسبان وغيرهم، ويعتقد فيه الناس البركة كفقيه متعبد، كما يغدق هو نفسه على الزوار جميع الهدايا المتوفرة، وكانت أمواج المحيط أحياناً تمتد إلى جوار الصالح.

وفي عهده شاعت كلمة سيدي علي إفني، فتبناها الشرفاء إدوفقير الخلفاويون، بينما لا نجد في العقود القديمة لهذا الصالح، ولا في الخرائط التي تناولت عين المكان، كلمة «علي» ومن ذلك «وثيقة عند عائلة إدوفقير التي كتبت عام 1218هـ» (نسخة منها في حوزتي).

6- مدرسة سيدي إفني العتيقة : بنيت هذه المدرسة بجانب قبة الصالح في الضفة اليمنى للوادي بأرض قبيلة أيت إخلف، ولذلك فهم يشارطون فيها، ويدفعون إليها لوازم المشاركة كجزء من أعشارهم في الفلاحة، وكانوا يقسمون أعشارهم بين المدرستين العتيقتين سيدي محمد بن عبلا، وسيدي إفني، ولا ذكر للزاوية.

7- ولما خرج الضابط الإسباني في عين المكان في ستة من أبريل 1934م «نشأت نواة مدينة سيدي إفني في الضفة اليسرى لوادي تيزكي في أرض قبيلة مستي أولا، وبعد مدة كون الإسبان قلعة عسكرية في الضفة اليمنى تسمى باطايون : الثكنة العسكرية» (معلمة المغرب رقم 1262 جهادي) وهي التي استغلها الجيش المغربي للتدريب قبل الذهاب إلى الصحراء سنة 1975م.

ولما حوضر الإسبان في مدينة سيدي إفني من طرف مقاومة أيت باعمران وجيش التحرير ما بين 1957م إلى 1969م أسسوا هناك مدينة أخرى، سميت بكولومينا باسم الضابط الإسباني وقته، وتسمى اليوم (حي للآمين) وهي الآن تزحف نحو الشمال، على أراضي قبيلة أيت إخلف.

وعلى بعد حوالي كيلومترين من البحر نحو القبلة، تقع هناك عين غزيرة كانت تسقى بها «تارگا» إيْفني، وعرفت بعين إفني فيما بعد، ولما ظهر الإسبان حولوا مياهها إلى



حاجة المدينة، بالإضافة إلى حفر عدة آبار، مما حول مياه العين (إماراغن) إلى أنابيب لحاجة المدينة، وفي سنة 1948م فكر الإسبان في تشييد سد كبير في موضع تيزرغي، وهو في الحقيقة عين الصواب، إلا أن نيتهم هي نزع الملكية لأن تيزرغي وتاليوين هما موضعاً أنتاج كل خضر المدينة..

كما أن السكان سيحرمون من ممتلكاتهم، كما قيل للسكان : إن الإسبان إنما يريدون استغلال عين المكان، فأدي الأمر إلى مقاومة قبيلة أيت إخلف، ورفع أمغار عبد الكريم وأنفلوس عيسى بن عثمان، شكاية القبيلة وتهديدهم إلى الخنزال فرانكو بإسبانيا، فأوقف المشروع الذي هو العلاج الطبوغرافي المناسب.

مع العلم أن الإسبان استعملوا فرق تسد بين أصحاب الأرض، كما رفعوا في تقريرهم إلى مدريد، أن المكان خال من السكان، وأنه صالح للفلاحة، وأنه صالح لسد عظيم، وما شكك السكان في نية بناء السد، أن ذلك لا يمكن، إذ لا يتصورون في نظرهم الساذج، أن تصل مياه السد إلى تلك المرتفعات التي علمها المهندسون الإسبان، وأكدوا أن مياه السد ستغطي تلك المساحات.

وخاصة عندما منع الإسبان قبيلة أيت إخلف من دفن موتاهم في مقبرة الصالح سيدي محند الشيخ بتيزرغي، حيث أبأؤهم وأجدادهم، وكان أول فقيه منع من دفنه بالمقبرة هو الفقيه سعيد شيطاب في عين المكان، توفي بعد رجوعه من تونس، فدفن في مقبرة سيدي مبارك إجيوي، فحرك ذلك ضمير السكان، بدعوى أن مقبرتهم ستغطيها مياه السد المقترح، وهي مقبرة ترجع إلى عهد الموحدين.

وهنا قام أنفلوس عيسى بن عثمان مع أمغار القبيلة عبد الكريم بتحريك القبيلة، وخاصة أصحاب العقود العقارية، ومما قاله أنفلوس عيسى هذا للإسبان «إننا لا نبيع لكم أرضنا، وحتى إذا بنيتم سدكم المزعوم، فوصلت مياهه إلى فوق سطوح منازلنا، فإننا لا نطلب منكم ثمنها لها، ولا إغاثة لنا، ولا نرحل ونحن نفضل أن نموت غرقاً بمياه سدكم في بيوتنا، من أن نرحل منها، فلا كلام معكم، وافعلوا ما شئتم» (مواجهة الإسبان في سنة 1947م).

وأمام هذا التحدي أنذر الإسبان أنفلوس عيسى هذا، وكذلك أمغار عبد الكريم، مما جعل هذا الأخير، يطلع السلطة الإسبانية في مدريد على الفتنة المرتقبة في قبيلته أيت إخلف، ومن هناك صدر الأمر بتوقيف مشروع سد تيزرغي، والحق أن ما كان هندسه الإسبان، كان ممكناً ومهما في يومنا هذا، لكنه من المستحيل في نظر الناس البسطاء في ذلك العهد 1947م.

8 - هذا وقد بدأت الدولة المغربية حالياً في بناء سد بسيط على نفس الوادي في موضع عارگوب، في شرق مدينة سيدي إفني، وقد يساهم في إحياء مياه الآبار، وتلطيف الجو، وتنعش الوحيش، والتخفيف من أثر الجفاف بفضل بحيرة السد المنتظرة، وقد يكون أكبر بحيرة للتنزه حول مدينة سيدي إفني، كما سيساهم هذا السد، ولو لحين إلى جانب أنابيب جلب مياه الشرب من سد يوسف بن تاشفين على وادي والغاس في شرق ماست، ومن مشاكل المدينة قلة المياه.

ملاحظة : استنفرت سلطة الإسبان بتيزرغي كل من له عقد عقار أو له انتماء عائلي بالأراضي المقترحة لسد تيزرغي، وفعلاً ظهرت عقود عقارية قديمة جداً منها ما يرجع إلى عهد الموحدين (أغادير أو بوزيا بتيزرغي) وعهدي معظم تلك العقود وما تجود به من معلومات نادرة في أكافو عند أنفلوس عيسى بن محمد بن عثمان الضلعي، وفي عقود المقاوم الحاج أحمد بوعماير الخلفاوي اطلعت على جزء منها، سنة 1969م بأغادير والكل في ذمة الله. ربما حتى تلك الوثائق.

### أطماع الإسبان في إفني ومقاومة المغرب :

حاول الإسبان احتلال جنوب الشاطئ الأطلسي من المملكة المغربية وجزر كانارياس (الخالدات) التي اكتشفها الملك الأمازيغي يوبا الثاني الذي عاش ما بين 25 سنة قبل الميلاد إلى سنة 25م. بعد الميلاد، لكن تنازع الإسبان والبرتغال حول هذه المناطق، عندما ضعفت السلطة المركزية للمملكة المغربية، منذ استمرار ضعف الدولة الوطاسية، بالإضافة إلى تأثير الوباء الجارف في نهاية الدولة السعدية عند نهاية السلطان أحمد



المنصور الذهبي، فاستمر هذا النزاع الإيبيري، إلى أن تم اتفاق بين الدولتين الإيبيريتين، في 4 سبتمبر 1479م المسمى باتفاقية الكوسوباس، حيث اعترفت اسبانيا للبرتغال باحتلال مملكة فاس! والشواطئ الغينية مقابل اعتراف البرتغال لإسبانيا باحتلال الجزر الخالدات. (كاناريا) وهذا من أعجب العجائب!

لكن المغامر ديوغو كارتياي أريرا، نزل بقلعة مغربية جنوب أكادير 1476م سماها سانتا كروز دي ماريكينيا (الصليب المقدس للبحر الصغير) وهي إفني في زعم الإسبان، فانصل بكاناريا تجاريا، فغضب البرتغال، لأن المغرب من حقهم المقدس حسب اتفاقية سابقة!

ولذلك رفع الأمر إلى البابا الاسكاندار السادس سنة 1493م فقسم بينهما التراب المغربي! لكن خرقت كل دولة ما حكم به البابا، مما أدى إلى اتفاقية (سانترا) سنة 1508م. فاعترفت اسبانيا للبرتغال باحتلال المغرب وحده، باستثناء قلعة سانتا كروز التي توجد بالبحر الصغير (إفني كما زعموا) مقابل احتلال إسبانيا نقطا في شمال المغرب، وبعد هذه الاتفاقية، يبرز لنا هذا النص التاريخي حالة سوس، في تلك الظروف التي يجب ألا تنسى:

«إن سبب قيام أبي عبد الله القائم (جد السعديين) أن أهل السوس أحاط بهم العدو الكافر، ونزل بجوانبهم من كل جهة حتى أظلم الجو، واستحكمت شوكة البرتغال، وبقي المسلمون في أمر مريب، لعدم أمير مجتمع عليه كلمة الإسلام، لأن بني وطاس، فشلت ريجهم يومئذ في بلاد السوس»<sup>(250)</sup>.

لهذه الظروف، اتفق السوسيون في قرية تيدسي، قرب تارودانت، على من يتولى أمرهم في سنة 916هـ / 1510م. بما فيهم أيت باعمران حيث هناك أطماعهم أكثر، فبدأت الدولة السعدية للدفاع عن الوطن.

وفي هذه البيعة وجدنا كلمة أيت باعمران، كقوة مهمة أسند إليها السلطان السعدي جمع الكلف المخزنية للدفاع عن الوطن، وأسند لقيادة أيت بعمرانة، جميع هذه القبائل التي تشملها عمالة إقليم سيدي إفني تقريبا حاليا، لكن تنقصها قبيلة أيت بوياسين

(250) الاستقصا، ج 5، ص 6.

التي كانت منهم إلى بويزاكارن حتى إغيسل، حيث قلعة المرابطين التي جدها مولاي إسماعيل العلوي، إلى أن اقتطعها القائد المدني الأخصاصي، فحلت سلطة الحماية محله كقائد لأحمد الهيبه أولا، ثم بظهير مولاي عبد العزيز ثانيا.

وفي وثيقة عرفية عند سيدي أحمد البصير بأباينو: «كان امتداد أيت باعمران إلى الصخرة الموجودة في وسط سوق الاثنين بمدينة أگلميم الحالية» (أحمد البصير بأباينو الواعظ المشهور).

وفي سنة (1524م / 931هـ) هاجم الإسبان على سانتا كروز دي ماريكينيا، لكن القوة التابعة للجيش المغربي ردتهم وأهلكت قلعته، والإسبان يقصدون دائما قلعة سيدي إفني (بُرج إفني) التي أفنى المغاربة جذورها في عهد بودميعة، وأذكر أنني صاحبت الأستاذ محمد بن مبارك أجيابدي الخلفاوي، 1969م إلى عين المكان، لكن عندما بدأت الحفارة في شق الطريق في أسفل جبل بولعلام بجانب الوادي بجوار إفني، تبين لي هناك بقايا مطامير مملوءة بتراب مغاير، يدرك أصله من له إلمام بالبحث التاريخي، وعنه نقلت «أن السلطة الإسبانية فرضت على كل من قدم إلى عين مكان بناء ثكنة تيغزي في بدايتها يجب أن يأتي بحجر كبير على الأقل يصلح لبناء ثكنة الإسبان في بدايتها! وبذلك بنيت قلعة تيغزي، وهنا ندرك ضعف السلطة الإسبانية عند دخولها لأيت باعمران، إذ لا تملك إلا استغلال الشعب، وكل ما فعلته هو شراء الملك العقاري، كما فعلت في مدينة سيدي إفني، أما بقية المراكز، فلا أظنها اشترت حتى أماكنها العقارية».

أما لماذا ذهبت إلى البحث الميداني في عين إفني، فلأنني اطلعت على ما عثر عليه عمنا القاضي جهادي محند المشارط في زاوية سيدي إفني في بداية سنة 1936م بعد ما نقلته قبيلة أيت إخلف من مشارطته في مدرسة الصالح سيدي محمد بن عبلا بتابلوكوت في منتصف سنة 1934م حيث أفطر عنده أعيان أيت باعمران صحبة الكولونيل كاباص في الرحلة الأولى لترسيم حدود أيت باعمران مع السلطة الفرنسية، وكان كباص قد لبس كسوة المغاربة بما فيها الدائرة الملفية، راكبا على فرسه الذي أهده له القائد أحمد أصبايو منذ خروجه من البحر بإفني في 6 أبريل 1934م؟.



ومعلوم أن معظم حكام الاستعمار الأولين كانوا ممن تعرف على الوطن بصفات مختلفة، كجواسيس، مثل شارل دوفوكو وجوستينار ومونطاني وغيرهم، وسيدي محند هذا كان يمتاز بتسجيل الأحداث في ورقات متفرقة، ومن قصة قلعة للبرتغال في وادي تيزكي، قبل أن يسمى بوادي سيدي إفني.

فوق تحرير تلك القلعة في عهد الأمير بودميعة التازولتي على يد مغامر من أيت إخلف، وذكر أنه اطلع على عملة نقد كتب عليها (أبوزيا) وكان يكرر دائما ويقول: «فمتى وصلت فخذة أبوزيا إلى مستوى ضرب النقود الخاصة بالملك»؟ مع العلم أن المشهور في أيت باعمران، هو وجود عملة ذهبية ضربت في بوجرايف بأيت باعمران، مع العلم أن هناك من يزور النقود في البادية من الفضة والنحاس، لكن بنسبة قليلة، لذلك كان السلطان الحسن الأول ينذر بالويل، كل من حاول ذلك، إلى حد أن كان في رحلته إلى سوس سنة 1303هـ يستدرج أصحاب الحكمة والنباشين عن الكنوز ليتمكن منهم، لكن لم يتقدم إليه من اشتغل بذلك. خوفا من القبض عليه.

### قصة خراب برج أورومي بإفني :

ذكر القاضي جهادي محند «أنه حلت مجاعة بسوس، فدفع الفقر بشخصية من فخذة إداؤبوزيا بقبيلة أيت إخلف، فذهب إلى محلة جنود الأمير بودميعة النازلة في المسيد الأحمر في بداية ظهوره، لعله ينال منها من الطعام ما ينقذ به أطفاله من شدة المجاعة، لكن قبض عليه، فسيق إلى تازروالت، فاستفسره أميرها على بودميعة نفسه الذي هو حفيد الصالح سيد أحمد أموسي، حول جراءة السارق، فهل ذلك منه ضد سلطة الأمير الجديد؟ أم بسبب آخر يمكن تجاوزه؟ فرد السارق بأن الفقر، هو الدافع، فقال له الأمير: لماذا لم تهاجم بُرج أورومي بوادي إفني؟ فرد عليه بأنه لا يملك الوسائل الضرورية لذلك، فأمده الأمير بودميعة بما طلب». (مذكرات القاضي جهادي محند).

وما يؤيد وجود قوة الأمير بودميعة في أيت باعمران ومراقبتها لبرج أورومي بإفني، ما سجله القاضي سيدي محمد أبلوش العبلأوي إذ قال: «إن أول مسجد لبودميعة في

أيت باعمران، هو المبني في قمة جبل تيفغيت لمراقبة برج أورومي النازل بإفني، إلى أن حدث هذا الحوار مع هذا الشخص المغامر». (من كلام القاضي محمد أبلوش)

- والعجيب في الأمر! أن الناس ما زالوا يقدرّون هذا المسجد المتواضع في موضع قمة تيفغيت، وفي عهد جيش التحرير سنة 1957م اتخذ ذلك المسجد مركزا تنطلق منه فرق الهجوم على أي تقدم لجيش الإسبان من إفني، ومنه يفرق السلاح على كل منخرط في الدفاع ويسجل اسمه، لأن الموقع يشرف على حد البصر على كل قوة تخرج من مدينة سيدي إفني، كما أنه لا يمكن المرور إلى فك الحصار عن ثكنة تيغزي دون المرور في خندقي جبل تيفغيت، وقد جرب الإسبان المرور عبر أكني ن بورصاص فانهزموا، وغنم المجاهدون شاحنتين بما فيهما من سلاح ووسائل تسوية الطريق، وهما أول غنيمة قدموها لجيش التحرير استعملها على الدوام.

وفي معركة بورصاص هذه، اعترضت جماعة من أهل تيزكي المجندين عرفت بجماعت عبد الكريم، منهم أومرزوك مبارك، ومحمد إقيدا، وإبراهيم إجاوان، ومحمد بن القاضي، ومن هناك أغاثهم أصحاب المدفوع والمنتقلون من تيغزي لحصار القوة الخارجة من إفني، لإصلاح الطريق، فانهزموا. وغنم متاعهم.

ولنرجع إلى «أن الأمير بودميعة جهز ذلك المغامر بالحبال وبالسلاح لتسلق برج أورومي، وفوض له في اختيار الشجعان من فخذته ومن قبيلته بأيت إخلف ضمانا لنجاح الخطة، وفعلا راقب المهاجمون حراسة القلعة، فوجدوا أن حراسها لا يذهبون للنوم إلا بعد الفجر وبداية الضوء، وفي الوقت المناسب، هاجم الشجعان على تلك القلعة المستعمرة بعد الفجر، فتمكنوا من دخولها، فهرب حراسها نحو المرسى بإفني على بعد كلم تقريبا من البحر، فخرّب المحتلون ما هناك، ومحو آثاره، مما جعل الإسبان يعجزون عن إثبات أي أثر يثبتون به ما يدعون». (نفس المرجع)

وفي الوثائق المغربية: «ولم تمض أيام قلائل حتى هجمت جماعة من أهل الصحراء على الجنود الإسبان، وأخذت ما عندهم من الأمتعة، وأرغمتهم على الركوب في الباخرة الموجودة بمرسى الداخلة» (أحمد الغربي الساقية الحمراء وادي الذهب ص 285) ولعل



هذه الواقعة جرت في برج إفني بدل الداخلة أو تكررت، وأهل الصحراء كان يطلق على سوس الأقصى بكامله لأن السياسة المغربية تقوم بجميع الوسائل حتى لا يجد الإسبان أي أثر لهم في إفني، كما أن البعد التاريخي قائم، ولا يمنع تكرار ذلك في عدة أماكن.

ويضيف القاضي جهادي محند هذا: «يزعم إداؤبوزيا في آيت باعمران أنهم ينتمون إلى أبي يزيد البسطامي الذي رفضه قومه أن يكون إمامهم في الصلاة، إلا إذا أجابهم عن تسعة وتسعين سؤالاً، وفعلاً أجابهم، ومنها: من هو الواحد الذي لا يمكن أن يكون اثنين؟ فأجابهم هو الله وحده، ومن هما اثنان لا يمكن أن يكونا ثلاثة؟ فأجابهم، الليل والنهار، وما هي الأرض التي رأتها الشمس مرة واحدة، ولن تراها إلى يوم القيامة؟ فأجابهم ضاية فرعة بمصر، وما هي رؤية يوسف؟ فأجابهم أحد عشر كوكبا والشمس والقمر،» إلى غير ذلك من بقية الأجوبة» (من القصص الموروثة).

والعجيب في الأمر، أنني عندما عرفتُ في معلمة المغرب بقبيلة إفاردا بالساحل، ذكر لي فقهاؤهم المسنون، أن جدتهم الأعلى، هو العالم الكبير، أبو يزيد البسطامي، بل حتى الأستاذ المتوكل عمر الساحلي المشهور، انتسب إلى ذلك، مثل قبيلته إفاردا. (معلمة المغرب رقم 552) كما ورد في رسالته إلي بخط يده حول نزول محلة حيدة بجواره 1917م.

وفقيها هذا جهادي محند، لم يخلف ولداً، وإن ترك عدداً كبيراً من تلاميذه، وبما كان يردده في نهاية عمره قوله: «كتب على باب كسرى أنوشروان الفارسي خمس فوائد: العدل لا يدوم، وإن دام عمراً، والظلم لا يدوم، وإن دام دمراً، والأعمى ميت وإن لم يقبر، والفقر هو الموت الأحمر، ومن مات بلا ولد ذكر لم يذكر، وأنا قد امتد بي العمر، حتى أدركت اثنتين من هذه الخمس، قلة البصر، وعدم الولد، لكن ها هو السي الحسين جهادي هو خليفتي فيكم».

ولهذه الشخصية تاريخ حافل، ومناقب ودور وطني كبير، يجب أن يجمع، ومن ذلك عدد من تخرج على يده من الطلبة، وله سمعة طنانة تدر عليه الدعوات بالرحمة والمغفرة حيثما ذكر. وبعد هذا الاستطراد الذي نخاف أن يضيع، نرجع إلى تحليل ما ورد في قصة قلعة بوج أرومي، إذ نجد في التاريخ ما يؤيد صحة ذلك كما يأتي:

1- «إن أبا حسون السملالي كان مستولياً على بلاد سوس، فاستمر حاله على ذلك إلى أن توفي سنة 1070هـ / 1659م» (الاستقصا ج ص 40) وهذا التاريخ يزكي تاريخ إنفلاس الوارد في الوثيقة المذكورة بقبيلة أيت إخلف. في ذلك العهد.

2- ورد في استفسار المضطر إلى أخذ ما ينقذ به عائلته من محلة الأمير سيدي علي بودميعة، لأن المجاعة بلغت أوجها، وأن السارق لو أمكن له العثور لدى البعض لما أقحم نفسه في التهلكة، إذ التوصل إلى الطعام من مجرد أشخاص، أسهل عليه من قوة السلطة، كما نفهم من هذه الحالة، أن أمير تازروالت عاجز عن إنقاذ الجياع من الموت، فكيف بالقيام في تلك الظروف من إنقاذ القلعة المستعمرة؟ - والحالة هذه بعد الوفاء الجارف الذي قضى على دولة السعديين.

3- تدل المعلومات المتداولة والمسجلة، أن قلعة إفني (برج أرومي) ترجع - إن صححت، إلى عهد انهيار الدولة الوطاسية - إذن فلا علاقة لها بعهد الدولة العلوية، مروراً بالشك فيها في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، إلى ظهور أطماع الإسبان منافسة لفرنسا بعد معركة إسلي، إلى بداية السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، إلى مجهودات الحسن الأول أميراً ثم سلطاناً، والدليل على ذلك قلة الإشارات المكتوبة حول الموقع بالضبط، وحول مقدار المساحة، وضبط الزمان والعثور على أثر مادي. كما تزعم إسبانيا؟.

4- أفادني العدل أحمد الراموك المطلاع على معظم عقود الأصول في آيت باعمران، أنه سافر مع القاضي سيدي عبد الله الموساكناوي لزيارة موضع تيفغيت في عهد جيش التحرير 1957م لأنه القاضي العام، فسأل فوق قمة تراقب جهة إفني من بعيد، عن مسجد هناك، فأجيب بأن هذا المسجد قديم ينسب إلى الأمير بودميعة بتازروالت، وهذا يؤيد بداية حكم تازروالت من جهة، ومن جهة أخرى، مراقبة بوج أرومي بإفني. ويؤيد القصة المذكورة.

5- إن ظهور أبي حسون السملالي كان في أيام السلطان زيدان بن المنصور السعدي، وأنه استولى على القطر السوسي أولاً، ثم تناول درعة وسجلماسة ثانياً سنة 1041هـ /



1631م (الاستقصا ج 7 ص 13) مع العلم أن قوة الأمير بودميعة هي تاكيزولت، وعلى رأسها أيت باعمران ومعظم جزولة..

ومن الممكن جدا أن تكون محلة جنده في المسيد الأحمر، وقد تكون محلة عسكريه منذ البداية، بسيطة يمكن النيل منها لسارق مضطر واحد، كما يؤكد ذلك الضعف عجز قوة الأمير تجاه فتح قلعة عين إفني (سانتاكروز المزعومة) وبالتالي طرد حراسها الأجنب، وزاد في ضعفه، أن وكل الأمر كله لذلك الشجاع الباعمراني مع إمداده بلوازم تسلق القلعة من سلاليم وحبال وما إلى ذلك، وقد تكررت مثل هذه الشجاعة في ثورة أيت باعمران التحررية ضد الإسبان سنة 1957م عندما اقتحم إصبويا مخفر الإسبان في سوق ثلاثاء إصبويا، فأنقاذوا المقبوض عليهم، وانتزعوا السلاح من الإسبان، والتحقوا بأكلميم وعلى رأسهم القائد أحمد أصبايو، لذلك لا نستغرب وقوع مثل قصة برج أورومي هذه...

6 - «ذكر لي الفقيه سيدي محمد لشكر بعين المكان، أن المسنين عقلوا من قال لهم، إن مجرى الوادي الكبير قديما في إفني، كان يسمى في العقود بأسيف النازل من تيرتكي، وأخيرا سمي بوادي إفني، إذ كانت مياهه تمتد من البحر إلى تامدا جنوب الصالح في اتجاه القبلة إلى ذلك المكان المفروض لوجود القلعة : (برج أورومي) وذكر أن الزوارق الصغيرة، كانت تصل إلى عين المكان، على بعد نصف كلم، وأكد لي غير واحد من إدوفقيير الجيران لعين المكان، أن هناك أثرا للبناء تظهره فيضان الوادي عند طغيانه، كما لدى هذا الفقيه وثيقة حول علاقة إدوفقيير بالصالح سيدي إفني ومكنني من نسخة منها» (تجريات بعين المكان سنة 1980م).

وفيما يخص وادي إفني هذا فقد شهدناه يحمل كمية هائلة من السيول، وقد يستمر ثلاثة أيام بلياليها، هذا في فصل الشتاء، وأحيانا في الصيف عندما تسقط الأعاصير في قبيلة الأخصاص، فيحمل الواد ماشية كانت مصادفة في مجراه، وقد عقلت هذه الظاهرة في سنة 1949م فكان كل من رأى سيلان الوادي يصيح بأعلى صوته لينذر الناس في اتجاه سيل الواد. الجارف، ونحن في وسط النهار، لكن ذلك لم يصل إلى فيضان مستوى سنة 2015م. الخارق للعادة.

7 - وهناك وثيقة تنص على أن إنفلاس قبيلة أيت إخلف من فخذة إداوبوزيا ترجع إلى القرن الحادي عشر الهجري، وفيها تفصيل قبيلة أيت إخلف، المكونة في ذلك التاريخ من فخذتين، وفي عهد الإسبان صارت أربعا.

الأولى فخذة (أفوس) إديلا أو ايبس، وأحيانا يكتبها بعض العدول (يوسف) ومعنى الأول الفرس، وهو حيوان معروف، وذلك تعريب في غير محله، إذ كان الأمازيغ يطلقون ألقابا كأسماء حيوانية مثل أغويلاس (الفهد) أو أشن (الذئب) أو أژرو، كل هذا ورد في مذكرات العدل الوجداني سيدي الحسين، وغالبا ما يعرف الشخص بتلك الألقاب، كما عند العرب، مثل بنو ضبة وبنو أسد وبنو ثعلبة وبنو أنف الناقة وهكذا. وعليه فتعريب الأعلام من الخطورة بمكان لضياح المعنى اللغوي الأصيل، أو عدم إدراك ذلك جهلا أو متعمدا.

أما الفخذة الثانية، فهي إدبراهيم أو ايبس، وهم إخوة لمن ذكر، وقد استمرت هذه المصطلحات في القبيلة حتى الآن، وتتكون فخذة إديلا بعد تفرعها من يأتي :

أفوس إدواگمار، ويذكر البعض، أنهم من غومارة القبيلة في جهة تطوان، في شمال المغرب، وهم الذين اكتشفوا جزر الخالدات، والقصة المذكورة، وما زالت إحدى تلك الجزر تسمى باسم القبيلة «گومارا»، ومن المشاع أن القبور الطويلة ! ؟ أمام قبة الصالح سيدي إفني من أولئك الغومارين، وقصة الفتیان السبعة معروفة ومتداولة، مع العلم أن كناريا اكتشفها يويا الثاني الأمازيغي حاكم حوض البحر الأبيض المتوسط في عهد الرومان، إلى أن توفي في 25 بعد الميلاد.

#### ملاحظة لا بد منها :

هناك أفكار وهابية تسربت إلى المغرب منذ ورود رسالة في عهد السلطان سليمان العلوي، ضد الأضرحة والزوايا، لكنها فشلت، إلى أن تبناها أفراد تسلطوا على مقابر أضرحة الصالحين في معظم سوس إلى حاحة، وهم الذين حفروا القبور بجوار قبة الصالح سيدي إفني، وذكر لي «الطالب» المشارط في زاوية سيدي إفني عندما زرته في حينه قال :



«أصبحت يوما فوجدت هذا القبر الطويل، استخرجت منه جمجمة إنسان، دخل فيها فأس، مطروحة فوق هذا القبر، فاندھشت، فأخبرت السلطة، وقالوا لي : أترك ذلك على حالته ليراه المسؤولون، فانتظرت أسبوعا كاملا بدون مجيء أحد، فظننت أن ذلك صار نسيا منسيا، فقامت بدفن تلك الجمجمة في مكانها كما كان أصلها، وبعد ذلك قدمت جماعة من السلطة، ربما من الرباط، تبحث عن ذلك، فأخبرتهم بما فعلت بعد انتظارهم طويلا، إذ اعتقدت أن ذلك لا يهم أحدا، فدفنت الجمجمة فسكتوا وانسحبوا» (طالب زاوية سيدي إفني).

وقد سألتني ذلك الطالب عن أهمية ذلك، فقلت له : إنك حرمتهم من معرفة المجرمين الذين قاموا بذلك، فقال كيف ؟ قلت له : أولئك باحثون علماء يمكن أن يأخذوا بصماتهم في كل ما لمسوه، كما أن هناك كاربون الرابع عشر يمكن به معرفة حياة تلك الجمجمة، فهل هي قديمة أم لا ؟ فقال الطالب : سبحان الله، فودعته ورجعت بعرق ذلك الصيف الساخن.

ونحن إذا بحثنا في أماكن وجود إدواكمار في أيت باعمران، نجد في العقود العقارية أن أهل تيغزي الأقدمين هم من هذه الفخدة، إذ كانوا يمثلون كثافة من السكان حسب عقودهم، وإليهم تنسب تاكاديرت ند واكمار بجبل تاموشا، وهي قلعة منيعة لا يصل إليها الغازي، ومن أقدم سكان تاكراكرا كذلك الويساعدنيون، أصحاب البشرة السوداء، ولعلمهم من بقايا خدم المرابطين.

- وتتكون فخدة إدبوميا من أيت العين بتيغزي، وأيت الركونت، وأيت أوغني بأيت إخلف.

- أما فخدة إكروروتين، فمنهم آل شيطاب، وموضع بورمضان، وإد القائد صالح وقدماء إمولا نيجيا.

- أما إخوانهم إدبراهيم أو ابييس، فهم فخدة إدعلي بن علي (مكررا) بن إبراهيم بن أيبس مثل آل بادنيا وإدحموش وآل الشيخ همو، فكلهم يلتقون في جدهم علي المكرر؟.

- أما فخدة إدبلقاسم بن علي بن إبراهيم، فمن أقدمهم إضرصار، وآل حيدون، وآل المحايرتا، أما فخدة إرجدالن، فهم إجاوان والصلعيون ومن والاهم، وقد لخصت هذا من تفصيلات المواضيع كإحصاء دقيق، إما لجمع الضرائب، أو لكلف حربية، أو لإحصاء القبيلة حسب العرف والأمن وما تفرضه مسؤولية إنفلاس. في معرفة جميع السكان، وقد أتقنت كل هذه التفاصيل من عقود قديمة.

وفي سنة 1666م أرسل الملك كارلوس الثالث سفارة إلى ملك المغرب سيدي محمد بن عبد الله العلوي برئاسة خورخي خوان، يطلب منه النزول بسانتاكروز دي ماريكنيا، فرفض ملك المغرب كل تنازل عن سيادته بهذه النقطة، وكل إذن باحتلالها من لدن أية دولة أجنبية، وهذا يدل على أن مطلب الإسبان قديم.

ولحرص هذا السلطان المغربي على استمرار الصداقة مع إسبانيا، اتفق مع السفير الإسباني على أن المغرب يسمح للإسبان بصيد السمك في بعض النواحي المعينة من المياه الإقليمية المغربية، وسجل ذلك في معاهدة تجارية تدعى معاهدة السلم والتجارة بتاريخ 28 ماي 1767م. لكنها لم تنفذ. كما رفض السلطان مولاي سليمان العلوي طلبهم من جديد، فتم بين الملكين سنة 1799م اتفاق جديد يؤكد معاهدة 1767م فقط. التي تدل على استمرار حسن الجوار.

وبعد حرب تطوان سنة 1859 - 1860م احتلت إسبانيا تطوان، وفرضوا على المغرب في ظروف قاسية، شروطا أضعفت المغرب في معظم المستويات، واستمر ذلك الضعف إلى أن انتهى ذلك بعقد الحماية 1912م.

وفي هذه المعاهدة القاسية، طالبت إسبانيا من جديد، تسليم سانتاكروز المجهولة زاعمين أنها إفني، بل ذهب بعضهم إلى أن صاحب الضريح هو منهم، وأنه قادم من كناريا، لكن المغرب رغم ضعفه بعد حرب تطوان مع إسبانيا ومعركة أنجاد مع فرانسوا، لم يسمح قط بشبر واحد من أرض مملكته. حتى السينغال.

فمزاعم إسبانيا في سيدي إفني إذن قديمة، ترجع على الأقل إلى نهاية الحكم الوطاسي كما سنرى، وبعدهم حرر السعديون شواطئ المغرب، إلى ظهور برج أورومي «في عهد



بودميعة حسب قصة تحرير ذلك البرج، فنسبت إلى عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، الذي سمح بصيد السمك هناك دون الأرض، إلى معاهدة تطوان المشؤومة، فبرزن من جديد في المادة الثامنة سنة 1860م.

#### أصل قصة بُرج أورومي :

ترجع قضية برج أورومي هذه إلى مزاعم إسبانيا القديمة باسم سنتاكوز دي ماريكينيا في آخر حكم الشيخ محمد الوطاسي المتوفى 910هـ ومزاعم إسبانيا 1499م / 905هـ وباختصار هكذا : «في تاكغوست عاصمة بوطاطا في 15 فبراير سنة 1499م حضر عامل كناريا في قسبة Agao وفي مقر إقامة عامل وقبطان كناريا الحاضرين بنفس المكان، جاء محمد بن ميمون شيخ تاكغوست وحامد شيخ مدينة ومنطقة إفران، وبعد نقاش وحضور مترجمة مورسكييا، أديا القسم، أعلن حامد بمحض إرادته يعلن نفسه خادما للملك والملكة الإسبانيين، يتعهد بالطاعة لنفسه ولأخيه عبد العزيز، ومع 38 قرية أو مدشر محيط بها أسوار، تتواجد بوادي إفران وتخضع لهما، وأسلم سلطته وسلطة أخيه على 38 قرية إلى عامل الملكين، وفي 20 من نفس الشهر 1499م حضر سكان قسبة إيفني (شاطو) بوج إيفني وأضافوا إلى الوثيقة تعهدهم والاستسلام، وقبل عامل كناريا تسليم خضوعهم وخضوع بوج إيفني مع منطقته ووعدهم باسم التاج الملكي القشتالي»<sup>(251)</sup>.

هذا كله في عهد الدولة الوطاسية التي تلاشت، والسعدية التي انهارت، والتزروالتية التي أجمعت، إلى ظروف المغرب بعد حرب تطوان، فبرز بوج أورومي بإفني، فلماذا السكوت عن كل هذا التقادم ؟ إن صحت قصة تاكغوست ؟ !

وبفضل ثورة أيت باعمران التحررية، وبفضل السياسة الحكيمة للمغفور له الحسن الثاني، حلت سياسة الصداقة وحسن الجوار بين المغرب وإسبانيا، كما ازدهرت العلاقة الاقتصادية والتعاون بين الدولتين في عهد جلالة الملك محمد السادس، فازداد التفاهم بين الضفتين طنجة والأندلس. وبينهما بوغاز جبل طارق، ولا يبعد أن ينجز بحر بحري يربط بين الدولتين، على منوال بحر المانش.

(251) هسبريس فاسيكول 1 سنة 1935م ص 19 - 77.

#### ظاهرة الصالحين :

لا شك في مساهمة الأمة الأمازيغية في حضارة حوض البحر الأبيض الوسط، لكن بمرور الزمان، واستمرار المد والجزر بين الجيران، بدأ غزو الدخيل تدريجيا، يستولي على حضارة الأمة الأمازيغية، انطلاقا من إحلال الدخيل محل الأصيل، حرفيا ولغويا وعرفيا وعادات وتقاليد وطقوس، فصار ذلك يسير في الوطن المغربي، سير بقعة الزيت على القميص الأبيض بدون شعور لابس.

مثلا : كان غصن الزيتون علامة تكريم وتبوية للأبطال لدى الأمازيغ، قبل أن يحتكرها قادة الرومان، وسيطرتهم، حلت العمامة : تاخاسيت. الأمازيغية وريش النسر والسلهام الأرجواني محل ذلك، وتبدل العهود وتوفر الإمكانيات، رجع الأمازيغ إلى التتبوية بإسني من الفضة المعروف بإكليل.

ومعلوم أن هذا المستوى لم يظهر إلا عند الأم المتحضرة، والحضارة لا تبرز إلا في الأقطار التي تتوفر على إمكانيات مزدهرة، كما في شمال أفريقيا وطن تامازغا، وبين الرافدين إلى وطن فارس، وفي حوض النيل حيث توجت الملوك

كانت قيمة التاج : إسني بقدر عظمة الملك : أكليد، وبالإضافات، صار التاج ثقيلًا يغطي رأس الملك، بشكل دائرة من الذهب الخالص، ثم تطور ذلك مُحلا بجواهر نفيسة لدى أباطرة الفرس، فتحول من الرمزية الخفيفة على رأس أكليد، إلى ثقل فوق طاقة رقبة الملك، وهنا صار التاج الكبير كقبة معلقا فوق رأس ملك جالس على كرسيه في أسفله. حتى لا يتضرر صاحب العرش.

ومن مهابة أكليد وقدس إسني، استمدت قبب أضرحة الصالحين، احترامًا لما قدموه لمجتمعهم، وقد كان إسني عند الأمازيغ من اختصاص الملك والملكة معا، ومن الملكة استمد الأمازيغ تبوية العروسة يوم الزفاف، ومن الملك تبوية الأبطال الرياضيين بإكليل من الزهور، وبكثرة الأبطال اليوم، اكتفى المنظموم بتقديم باقة من الزهور للفائزين في المباريات، دون أن ننسى أن حضارة المتوسط مشتركة يضيف بعضها إلى بعض حسب التطور المناسب كالأوسمة مثلا.



وما بقي للأمازيغ منتشرا في وطنهم تامازغا إكلان : Iclan الوشم أو العلامات الموجهة للبحارة منها سيدي بوزيد بتونس بلا قبر هناك، لأنه بوسيضون الفينيقي، ومثله سيدي بوزيد بأسافي بدون قبر هناك (بوسيضون) وغيرهما كما أشار إليه المشرقي. منذ زمان. أما قبب الصالحين المنتشرين في طول المغرب وعرضه، فأغلبها يرجع إلى عهد المرينيين المكتفين بالتحضر وبمزج الفن المرابطي بالموحدي بشكل رائع، لعجزهم عن الاستمرار في التوسعات، وبسقوط الأندلس اكتفى المغاربة بحراسة الشواطئ كرد فعل كئيب أبرزه الشاعر الروندي بما لا مزيد عليه. فصارت هذه الأضرحة رباطات ضرورية كانطلاقة لكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، وخاصة عندما أطل الزحف النرماندي والبرتوغالي ثم الإسباني، فدلّت تلك الأضرحة على تعمير البلاد قبلهم، وخاصة في عهد الدولة العلوية، وفي سواحل أيت باعمران بكل تركيز. إذ يحار المرء في ظاهرة كثافة الصالحين وتشهيرهم وكثرتهم في سواحل البحر ومصبات الوديان، لقد شغل ذلك فكري كثيرا، وخاصة في سوس وبأيت باعمران بالذات، وقد مددت الأستاذ محمد حجي بلائحة طويلة في الموضوع عندما طلب مني ذلك. وقد تكون تلك الكتافة ردا على التبشير بالمسيحية..

ولكن بماذا ينفع هذا الصالح وحده أمام الاكتشافات؟ (تاغات ورتنقا الكماض) الدعاء لا تقتل الأفعى، والتعزّمة لا تغرق سفينة المهاجم، والورد لا يرد المدافع، وتكشف الصوفي وانعزاله عن المجتمع لا يكون المدافعين، والإيمان وحده لا يكفي بدون عمل، والعمل وحده لا يفيد بدون الإيمان، وهما مقترنان في كتاب الله ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾.

وعلى كل حال، فقد لعب هؤلاء الصالحون دورا هاما، سواء باختيارهم الموقع الذي ظهرت أهميته للناس فقصدوه وعمره، أو أن الموقع فرض نفسه كمصبات الوديان وجوار العيون وأماكن مرور القوافل حيث الإمكانيات، وهذه الميزات هي التي تتوفر غالبا في أماكن الأضرحة، وكثيرا ما ربطت الروايات الشفوية معظم الصالحين بحكايات يسهل على المجتمع تقبلها كارتكاب صاحب الضريح خطأ فندم وأقلع عن الذنب فانعزل وتصوف واستغفر ربه فخر راكما وأتاب، فعمر الله به المقام، فكسب عطف

الناس بإشراكه في الدعاء والعمل الصالح، ويكفي بعد ذلك شهادات وفتاوي وتشجيع الزيارات والهجرات المحمودة عرفا وشرعا وتعميرا.

وقد سئل الصالح سيدي أحمد أو موسى السملالي عن معنى الحديث (من فر بدينه ولو بشبر من أرض إلى أرض، ولو مقدار شبر استوجب الجنة، وكان رفيق إبراهيم الخليل ومحمد الحبيب) هل لا بد في ذلك الفرار من الخروج من الأوطان وعن الأهل والعيال؟ أو يحصل ذلك الفرار للمرء ولو أقام بين أظهرهم.

فكتب إليه التيزركيني أحمد بن عبد الرحمان رسالة طويلة أبان فيها عن مستواه الرفيع، نقبس منها مختصرا إذ قال : أما بعد « فقد ورد علينا وارد من قبلكم وذكر لنا أنكم تلتمسون منا أن نتكلم لكم في الفرار المحمود وغيره بصفاته، من الفرار المذموم، ثم ذكر الحديث أعلاه..

وشعار الصالحين كانوا يفرون بدينهم من موضع إلى موضع، ومن جبل إلى جبل، كما فعل أولوا العزم من الرسل كالخليل والكليم والحبيب محمد على جميعهم الصلاة والسلام. وحكى الله عن نبيه الكلیم ﴿ ففررت منكم لئلا خفتكم فوهب لربّي حكما وجعلني من المرسلين ﴾، وفي آية أخرى ﴿ ففرروا إلى الله ﴾ فسّر بعضهم الحديث «سافروا تغنموا» معناه سافروا إلينا تجدونا في أول قدم، والفرارون إلى الله ثلاثة أصناف : صنف قاصدون، وصنف سالكون، وصنف واصلون، فالواصل إلى الله لا يرجع، والباقي يرجع من نفس الطريق، والفرار ليس من مكان إلى آخر، وإنما هو من أوصاف الربوبية الخاصة بالله تعالى. قال تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ ومن نسب شيئا من أوصاف الربوبية لنفسه أو لغيره من الخلائق قولا أو إشارة أو اعتقادا للأشياخ وللعلماء وللملائكة، فقد خسر خسرانا مبينا، وغرقت سفينته في بحر الهلاك وأودية الشرك، ماعدا أن يعتقد أن الله هو الذي أمده بذلك من أوصافه ﴿ قلوا سبحاننا لا علم لنا إلا ما علمتنا إننا أنت العليم الحكيم ﴾ [سورة البقرة الآية 32].

ومن تحقق من العباد بعجزه أمده الله على سبيل الإحسان بقدرته، ومن تحقق بضعفه أمده الله بحوله وقوته، ومن تحقق بجهله أمده الله تعالى بعلمه، ومن تحقق بعجزه أمده



الله تعالى بقدرته، ومن تحقق بذله أمده الله بعزته، ونحن لا ننكر الكرامات ﴿والله يفتصر برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾، (سورة البقرة الآية 105) ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ [سورة الرعد الآية 38] نحن لا نعلم الصالح من الطالح، ولا صاحب قبة من الطارح، والله يعلم المفسد من المصلح، ونكتفي هنا بقول الرسول ﷺ «أمّتي لا تتفق على الضلال».

#### مواسم : إنموگاران وأعرافها :

أورد الحسن الوزان «وتقام في بلادهم سوق تستمر شهرين يقدم فيهما الطعام لجميع الغرباء ولو بلغ عددهم عشرة آلاف» (حسن الوزان عام 920 هـ) وهذا هو أصل شهرة كرم أيت باعمران، ومواسم التجارة في بعمرانة مصنفة غالبا حسب فصول السنة الفلاحية، ومصطلح الموسم التجاري يسمّى أنموگار وجمعه إنموگاران. وبالمناسبات الأخرى الاجتماعية يسمّى أنموگار وجمعه إنموقاران، وكلاهما يعقد في مكان مختار له أو متفق عليه، معروف زمانه ومكانه، وموضعه محبس على ذلك اللقاء الاجتماعي العام في عرف القبيلة من أجل التبادل التجاري بين المتسوقين من داخل الإقليم وخارجه، والقبيلة التي وقع أنموگار في أرضها، هي المسؤولة عن الأمن ومعاقبة الجناة «ويقتل السارقون على الفور برمح، وتترك أشلاؤهم للكلاب» (نفس المرجع) وهكذا التسيير واستغلال مرافق الموسم العمومية. وأما مصطلح اللقاء فيسمى أنموقار عاما، ويطلق على اللقاءات العامة، وهكذا يتميز الأول عن الثاني. لولا نسيان التوثيق.

ولكل أنموگار التجاري عرفه الخاص مقنن من طرف إنفلاس القبيلة، بقانون عرفي مسجل يسمّى أزرف، وهو شامل لتسيير الموسم وتنظيمه وتقسيم أماكن نوع السلع فيه، باسم رحبة كل سلعة، مع التنصيص في عرف الموسم على التخطيط الهندسي، على شكل تيسواك أزفة منظمة، وجميع إنفلاس (أي الأمناء) يحفظون عن ظهر قلب نصوص العرف المكتوب من طرف أجموع القبيلة منذ التأسيس الأول، والذي تضاف إليه نصوص أخرى كلما حدث تطور اتفق عليه.

تستمر المحافظة على الأمن في الموسم طيلة إقامته، وغالبا لا يتعدى أسبوعا كاملا، ابتداءً من تنظيف المساحة العامة للموسم، وتنظيمها إلى تنظيفه في النهاية، ومن مهمة

إنفلاس، إبراز الأعلام في عين المكان، كقبة الصالح مثلا، أو مدرسة أو مقام الدعوات، أو مجلس إنفلاس، والأماكن الخاصة بتوفير الضوء وما يتعلق بالصلاة والأذان في وقته، والصلوات الخمس كما العادة..

والفصل في الدعوات الخاصة بالموسم يرجع للعرف، ويتم بسرعة من طرف إنفلاس تحت إشراف أمغار القبيلة، وينفذ في الحين، ولا تقبل الدعاوي التي لا تتعلق بنفس الموسم. الحالي. وبما أن الموسم يكتمل عادة في يوم الأربعاء، فإن العرف ينص على إعلان «تبريح» ومعناه إعلام للعموم من طرف أمغار القبيلة يحيط به الأعيان والجمهور، في مكان مشرف يفتي شيخ القبيلة بفتح البيع والشراء في الموسم طيلة إقامته هكذا كانت مواسم التجارة تقام قبل أن تتحمل السلطة التسيير حاليا.

وفيما يخص البريح يختار رجل وسيم الطلعة، أسمر اللون، جهوري الصوت، وارث ذلك الاختيار، فيشرف على مرتفع يعيد فتوى لبريح، ويلبس قميصا أبيض يهدى له من طرف أمغار القبيلة، لا يقبل أبيض البشرة كبراح، وذلك منصوص عليه في العرف، وغالبا ما يكون ذلك متوارثا، وفي النهاية يؤدي تحية بانحناءة خفيفة للحضور العام، ويصفق الجميع.

«لا إله إلا الله، محمد رسول الله، لبريح ويلخيز أيموسلمن، هان أنموگان إقيم إيبيد، وأنا يسغان إيقلب، هان لقيلولت ور تلي غ أنموگاز، أد يسربح ربّي يان نسغان، ولا يان نزنزان، لا إله إلا الله عليها». هذا ما نقلته عن الفقيه سيدي إبراهيم زاعبون اليوسفي، وختم بأن لبريح لم يعد معمولا به حاليا. لكل موسم في أيت باعمران خصوصياته، ويعد موسم الصالح سيدي محمد بن عبد الله بتابلوكوت على ساحل المحيط الأطلسي بأيت باعمران نموذجا توفرت فيه شروط النجاح منها :

1 - أهمية اختيار التوقيت الزمني في الخميس الأول من يوليو من كل سنة، وذلك مناسب للمجتمع الفلاحي الذي أنهى عمله بعد الحرث والحصاد والدراس وجمع المحصول عامة، والجو معتدل ومناسب بجانب البحر، ومن مميزاته تبادل السلع بين شمال المغرب وجنوبه، وخاصة شراء الماشية كالثيران وكونتريونص.



2- هذا الموسم يناسب تسوق القبائل لهذا الموسم حيث يعد ملتقى لسكان الجنوب من الساقية الحمراء ووادي الذهب بماشيتهم التي تباع بأثمان مناسبة لأهل شمال المغرب حيث يتسوقه من وازازات إلى أكادير فيتم تبادل منتوجات الشمال بمنتوجات الجنوب بأثمان مناسبة

3- يتوفر موسم الصالح سيدي محمد بن عبد الله بتابلوكوت بمساحة شاسعة تمتد شمالا من شعبة مؤامسا بمرلفت، إلى وادي أكندو : إدبوشاني جنوبا وبينهما وادي سامطماط (سالگماض) حيث ضريح ومدرسة الصالح المذكور.

4- يتوفر موقع الموسم على مياه الآبار الصالحة للنظافة وسقي الماشية لكنها ملحة نسبيا، وفي نفس الوقت تتوفر في عين المكان عدد من النوظفيات مملوءة بمياه المطر وعهدي بعددها يصل إلى (16) نظفية، ومع الأسف صارت الآن معرضة للإهمال والمصادرة، بدعوى وصول مياه سد يوسف بن تاشفين بفضل مجهودات الدولة إلى عين المكان. كما صارت الكهرباء متوفرة.

5- بفضل مجهودات الدولة والجماعة القروية لمرلفت، بدأت المرافق العمومية تنتشر شيئا فشيئا، فصار عين المكان مكتظا بالعمران المتوفرة على التزويد بالماء الشروب والكهرباء والبقية تأتي إنشاء الله.

6- يقع موسم الصالح المذكور على الشاطئ ما بين مدينة تيزنيت ومدينة سيدي إفني، ويمر الطريق الرئيسي بعين المكان، رابطا بين شمال المغرب وجنوبه، وخاصة في فصل الصيف، لموازاة هذا الطريق بالمحيط الأطلسي المتوفر على التيار الكاناري البارد طيلة الصيف، ولكونه خاليا من المرتفعات، مما جعل الموقع متنزها ومنعشا يقصده الجميع.

7- يتوفر عين المكان على إمكانات طبيعية لو وجدت إمكانات للاستثمار، فالجو رائع، والناظر أروع، والأمواج تغري بالسباحة وتتحدى عشاق «السورف» وللمولعين بالصيد البحري ما تشتهيئه الأنفس وتلد الأعين.

8- ومن أهم المؤسسات الاجتماعية في عين المكان بناء مسجد كبير جدا من طرف شخصية باعمرانية الوطني المقاوم الحاج إبراهيم باجكي الخلفاوي من ماله الخاص، وإشراف منه حتى النهاية، فكانت تلك المعلمة التي أنهى بها آخر أعماله الوطنية التي تعد له صدقة جارية، ففضى نحبه بعد بنائها، والمؤسسة ما زالت بحاجة إلى المرافق العمومية التي تليق بمستواها وبإصلاحات منها. سقف المسجد المتأثر بالرمل الوادي المزوج بالتراب..

9- يقع موسم هذا الصالح حاليا في عمالة سيدي إفني الحديثة، على بعد حوالي (30 كلم) شمال مدينة سيدي إفني، وفي جنوب الجماعة القروية لمرلفت بحوالي (3 كلم) وعن دوار تابلوكوت الذي يحمل هذا الموسم اسمها منذ نشأته بـ (2 كلم) وعماقريب سيرتبط الموقعان بالعمران المنتشر، وبالتالي كثافة السكان، مما سيفرض اسم مدينة حديثة في عين المكان لكن بعد توفير مرافق المدينة العامة.

آثار تاريخية : لا يخلو هذا المقام المبارك من آثار تاريخية منها أنه أول مشروع للمرسي البحري للأمير سيدي علي بودميعة بن محند بن الصالح أحمد أموسى التازروالتي في بداية عهده، وما زالت آثارها شاخصة بجانب ضريح الصالح حتى الآن، ومعظم بنيان الزاوية حاليا أساسه هو ما تراكم تحته من صخور ذلك المشروع في عهد دولة السعديين.

ولهذا المقام «لجماعت» المشاركة مدرسة الصالح سيدي محمد بن عبد الله : تتكون من جنوب وادي سالگماض إلى حدود جماعة سيدي إفني في تاحكاكوت قديما

ومن دواوير جنوب الوادي تابلوكوت ، تيفراتين ند بوميا الخلفية ثم إدبوشاني ثم الركونت ثم إدموساوعلي ثم إيرغاد، ثم إگروژرو، ثم أگني، ثم فركريك، ثم إتبان، ثم بووازماسن، ثم بلگگگ، ثم إدبنداود، ثم إدعابو، ثم إدبادونيا، ثم إدحايدون، ثم تامگرت ن المؤذن، ثم تيگوندا، وهذا مسجله الفقيه المشارط في عين المكان جهادي إيريك، لكن انتهى ذلك كله حاليا. فلماذا ؟

ومن أقدم من عثرنا عليه من أعيان المقام : الفقيه سيدي أحمد بن الحاج محمد أوعلال بتابلوكوت، ثم الفقير محند بن علي، ثم ابنه الحاج أجمد بازين بتابلوكوت، ثم



أنفلوس السيد الحسين بن يوسف بتيغراتين، ثم بوقدور محمد بالجامع، ثم أمغار الشيخ محند بن علي بتاعنديت، ثم العدل مبارك أكتاتبي، ثم الحاج عبد أبوشني، ثم بولحسن بالركونت، ثم العربي بن إبراهيم أبادونيا، ثم حاقا بن علايش أكوجا. وكل هؤلاء في ذمة الله. ولولا ما عثرنا عليه مخطوطا لضاع ما ذكر.

كما تمتد جماعة هذا الصالح شمال الوادي إلى دواوير تانامرت وتاعنديت، ثم إدكوجا، ثم إدبلحاج، ثم بوتاسري، ثم إدبوجري، ثم الجامع، ثم إدواسكسو، ثم أيت اسكوغرابو قديما.

ومن المشاركين في هذا الصالح : الفقيه جهادي محند أومحمد سنة 1934م ثم السيد مبارك أكتاتبي، ثم السيد الحبيب أنغيسيت العبلأوي. ثم الفقيه سيدي إبراهيم أموسي من موضع إملاكان بتيغزي، له حظ من العلم، لكنه أثنع اللسان، لا يتمكن من التلفظ ببعض الحروف عندما يقرأ، وسبق له أن شارط في الصحراء في مجاعة خمسة وأربعين هجرية، يعلم القرآن للتلاميذ في خيمة قبيلة متنقلة، فسمعتة أعرابية وهو لا ينطق ببعض الحروف، إلا بصعوبة، فقالت له أيها الفقيه « لا تفسد القرآن بلسانك » فرد عليها بالأمازيغية [أد إرزربي أكنفورغم]. قبح الله سعيك، وشوه خلقتك، وقبح الظروف التي جعلت مثلك يتبجح على مثلي، فغادر الصحراء مباشرة، فشارط في مدرسة الصالح سيدي محمد بن عبلا. عام 1347هـ ومن المشاركين فيها سيدي إبراهيم بن الشريف الصوفي الملازم هناك إلى أن دفن فيه، وهو الذي وصى سيدي محند بأن يدفن في جواره، فنفذت وصيته بمقبرة هناك.

ثم الفقيه لاشغر سيدي محمد من إدوفقيير بجوار إفني، وهو أول من اتصل بالأحباس وأدخلهم، ثم السيد كريم أحمد بن إبراهيم إجوي، ثم ابن عمنا جهادي إريك، ثم السي الحسن إدلعامر، وحاليا الفقيه اللطيب السيد عمر المؤذن.

### الصالح اسمه وموقعه وتاريخه :

ذكر هذا الصالح سيدي محمد بن عبد الله في عدة مراجع، ورسالات سلطانية، وأحكام قبلية، وعقود عقارية، وأحكام لقضاة كبار، عهدي بذلك كله حررته في كراسة

خاصة دفعتها لإمام هذا المقام، ابن عمنا الفقيه جهادي إريك المشارط في ذلك المقام من طرف «لجماعت» لمدة (30) سنة، لكن بلغني مؤخرا أنها صارت موضع رسالة لسيدة في هولاندا؟ ويرجع جمع تلك المعلومات إلى بداية السبعينات حيث لم تنتشر بعد آلة (فوطوكوبي) وأرجو الله ألا يضيع ذلك العمل، إذ حيثما ظهر ينفع، وغايتنا هو المساهمة في إنقاذ ما دب إليه النسيان.

ونورد هنا مختصرات مما بقي لدي عن هذا الصالح بساحل تابلوكوت، وقد استدركت من جديد عن روضة الأفنان، في وفيات الأعيان، وأخبار العين وتخطيط ما فيها من عجيب البنيان. «ومن سملالة سيدي محمد بن عبد الله بساحل البحر في أيت إخلف، نشأ في جهة تونس، ومات لا عن أولاد، ورجعت زوجته لبلدها» وأضاف محقق المخطوط المرحوم أحمد أنوش قائلا : «ولي كبير بأيت باعمران، عند مصب نهر على ساحل أيت باعمران يرجح أنه من أهل القرن العاشر الهجري».

والرواية الشفوية المتداولة تقول : إن الصالح سيدي محمد بن عبد الله كان يزور قبة الصالح سيدي محند بن علي في موضع الضحك القريب منه كل يوم الأحد في الأسبوع، والمزار من الشرفاء اليوسفيين بميرلفت جدهم صاحب قبة إيميوگني مشهور هناك قادم هو كذلك من مليانة. من الجزائر كما قيده القاضي بيمينصرن بخطه عندما شارط في مسجده لمدة شتة شهور تقريبا.

ونستفيد من هذا أن اليوسفيين بميرلفت سبقوا بميرلفت إمارة بودميعة بتازروالت، كما يتجلى ذلك في العقود العقارية لتارگا بميرلفت، ومعلوم أن بداية إمارة بودميعة في عام 1036هـ بتحقيق أول انتصار له ضد خليفة السعديين بدرعة.

وبعيد هذا التاريخ تخطيط بودميعة للمرسى التي غطتها زاوية الصالح سيدي محمد بن عبد الله، وما زال هناك بقايا هذه المرسى خاصة للأعيان، بالإضافة إلى مطامر خزن الحبوب التي تباع لتجار أوروبا بالمقايضة بجوار الصالح، وهي مسدودة هناك حيث يتسوق (أنموگتار) الموسم التجاري، وقليل من يعرف المسدودات هناك حاليا، إلى أن احتل بودميعة مرسى ماست، فانتقل إليها، ومعنى هذا أن صاحب الضريح ظهر بعد التاريخ المذكور، والدليل على ذلك بناء قبة الضريح على أنقاض مشروع المرسى.



أما الواد المذكور فيطلق عليه السكان «سالگماض حاليا» بينما نجد في عقود ترجع إلى عام 1200هـ اسمه «سامطماط» أو سامگماض أحيانا، فقال البعض اسم ضابط بورتغالي خرج هناك، مع أن الاسم قريب من اسم قبيلة أمازيغية «مطماطة» أو من لمطة الباعمرانية التي تسكن هناك إلى أن نقل السعديون جزءا منها لحراسة فاس، فحل اسم بعمرانة محل قبيلة لمطة.

هناك أدلة على أن بالموقع حضارة وعمرانا منها اكتشاف أسس العمران كله من الحجر في ضفتي الوادي، لكن ذلك استعمل كله في بناء الزاوية ومحيطها، مع استغلال السكان، كما اكتشفت نطفتان على عمق ثلاثة أمتار من رواسب التعرية، مما يفرض مرور ثلاثة قرون على الأقل، كما عثرنا على ثلاثة أنواع من الخزف المدفون هناك، الأول من صنع محلي، والثاني من نوع آثار مدينة تاموسيدا في شمال المغرب، والثالث أجنبي غاية في الزخرفة والصناعة، كل ذلك كشفت عنه حفارة الطريق. الرئيسية هناك، وقد تعاونت مع الباحثة السيدة «ساندرا» حتى ميزنا وصنفنا بين تلك النماذج التي جمعتها في حينها لعلها تحافظ على ذلك.

وقلت لها: أكبر ظني أن هذه القلوشة المزخرفة الجميلة من إسبانيا أو البرتغال، لأنني اكتشفتها داخل نطفية غير بعيدة عن أعلاها، إذا قدرنا عمر النطفية بثلاثة قرون، لكن كل هذه الاجتهادات سبقنا إليها مؤرخ سوس المختار السوسي بقوله:

«لم يتيسر لنا أن نرى قرى تانكيسست وقصبة الطين وتاغزوت ملقا (مالاگيا بإسبانيا) حيث مصانع الخزف الذي يشبه خزف ملقا المدينة الأندلسية الشهيرة بتينها وبخزفها، ولهذه الصناعة، أضيفت القرية، فإنها من زمان بعيد تصدر إلى أسواق هذه النواحي سهلا وجبلا مصنوعات من الطواجن والطاسل والسكرجات.. من قبيلة ولتيتة» (252)

ولم يبق الآن لتحقيق أعمار ما ذكر إلا عرضها على المختبرات.

كما اكتشفت هناك (سكيرية) أو (جبانة) من الحجر احتفظ بها أنفلوس السيد الحسين بن يوسف إلى أن سلمها للأستاذ الباحث سيدي محند العثماني أثناء بحثه

(252) خلال جزولة، ج 2، ص 152.

الميداني لإعداد رسالته الجامعية «ألواح جزولة» كما عثر الفقيه سيدي أحمد بن محمد فالاً البلوكوي على ثمانية نقود فضية كتب عليها «لنا أعمالنا ولكم أعمالكم والمهدي إمامنا» وبعد جهد جهيد، اطلعت على واحدة منها عند الزاغو السياخ.

مستقر هذا الصالح: يعرف العام والخاص مقرين لهذا الصالح، أحدهما موضع خيمته في الضفة اليمنى للوادي قريبا من «تگمّي أوگليد» دار السلطان مولاي الحسن الأول، أسست بظهير عام 1299هـ بينما مرّك الصالح حيث قبته حاليا في الضفة اليسرى لنفس الوادي (وليس النهر) وبنيت قبته الحالية عام 1282هـ من طرف قبيلة أيت إخلف بإشراف من الشيخ همّ، كما بنت قبيلة أيت النص مدرسة بمساعدات خليفة المخزن الحاحي بتزيت، الذي شيد معظم قبب شاطئ أيت باعمران أو جددها، وكان لهذا الصالح ضريح متواضع، وبقي كذلك إلى أن قدم لهذه البلاد بناؤون من حاحة فبنوا مسجد سيدي بوالفضائل، ثم اجتمع إنفلاس أيت إخلف، فاستعانوا بهم فبنوا لهم قبة صالح تابلوكوكت 1282هـ ثم اتفقوا على تسويق الموسم.

وعهدي بوجود وثيقة عند عائلة بوشروض الحاج محمد بن عمر البلوكوي ورد فيها أن الفقيه بوشروض هو أمين مال لإصلاح ذلك الصالح بتاريخ عام 1124هـ مما يرجح وفاة الصالح قبل ذلك إلى سنة 1100هـ كما عثرنا على ما يؤيد ذلك. في أصل الملك العقاري لعين المكان حسب العقود والقسممة والتعمير، إذ يرجع ملك تابلوكوكت - المنحصر بين الوادين سالگماض شمالا وأگندو جنوبا - إلى ثلاثة أفخاذ من قبيلة أيت إخلف، ولم نعثر من بين عقود من تصرف هناك لقدمها على ذكر هذا الصالح إلى أن وقع شراء أحواز الصالح عام 1184هـ وذكر في رسم الشراء «أن صاحب الضريح سملاي» ولم يزد الكاتب عليه، وفي رسم عقاري آخر بخط الفقيه القاضي سيدي أحمد بن إبراهيم أسملال الباعمراني بتاريخ 1185هـ حول نزاع بين القبيلة في عين المكان حكم فيه بقوله: «إن صاحب الضريح سيدي محمد بن عبد الله، ليس فيه من الحبس فيما عدا ما اشتملت عليه المقبرة التي في المحدود بأحواز الشيخ سيدي محمد بن عبد الله فهو حبس على من دفن فيه» ولم يذكر أنه سملاي رغم أن القاضي نفسه من أصل سملاي.



وهناك رسم عقاري لأهل الأرض التي بنيت فيها قبة الصالح، وهذا الرسم لبني بالشيخ الخلفيين ومضمونها «شراء الحاج علي بن محند هذا الملك سنة 1184هـ وذكر في رسم الشراء أن صاحب الضريح سملاي» وهذا ما يؤكد رواية المسن محند بن علي البلكوكي أمين هذا الضريح، وهو آخر من بقي من جماعة إنفلاس من ذلك المقام. ولد 1260 / 1844م وتوفي عن سن عالية حوالي سنة 1959م.

وكان هذا الفقير يذكر هكذا «سيدي محمد بن عبد الله بن جبّار في تافيلالت مازال لهم عقب هناك، ولكن يؤكد أنه قد حضر بناء قبة هذا الصالح وعمره حوالي عشرين سنة أبيع للبنائين بيض الدجاج وما يحتاجونه، وذكر المسنون في ميرلفت أن معلم بو جمعة أوهم في موضع إدبلحاج، كان يشارك في بناء قبة الصالح سنة 1282هـ وذكروا أن العمر امتد به طويلا حوالي (116 سنة) إذ توفي 1344هـ وعليه فتكون ولادته حوالي 1228هـ كل هذا دفعنا لتقريبنا إلى حياة هذا الصالح».

وهناك رسم عقاري آخر لنفس العائلة بالشيخ بخط الفقيه القاضي العلامة سيدي أحمد بن إبراهيم السملاي الباعمراني بتاريخ 1285هـ «يذكر فيه أن صاحب الضريح هو سيدي محمد بن عبد الله ليس فيه من الحبس فيما عدا ما اشتملت عليه المقبرة التي في المحدود بأحواز الشيخ سيدي محمد بن عبد الله، فهو حبس على من دفن فيه» ولم يذكر أنه سملاي، لأن ذكر صاحب الضريح جاء في الرسم عرضا.

ولدي وثيقة أخرى حول إسقاط النزاع بعنوان: «وبعد فليتصل حامله سيدي الحاج محمد بن به من بني أبا الشيخ والمشاركة في إرث والده .. بملكهم بصحفة سَمْمَمَض. لهم التصرف بأنواعها ما عدا ما اشتملت عليه المقبرة التي في المحدود بأحواز الشيخ سيدي محمد بن عبد الله، فهو حبس على من دفن فيه، قيده برسم انفصال من ذكر بما ذكر، أوائل ربيع النبوي عام 1234هـ عبد ربه أحمد بن إبراهيم السملاي ..» (في حوزتنا).

الرواية المتواترة الذائعة والشائعة تقول: «إن الصالح سيدي محمد بن عبد الله سوسي سملاي أصلا، وتونسي دارا ومنشأ، وباعمراني مقرا وضريحا، وتداول الناس

وفاته في حوالي عام 1120هـ مما يزكي رواية أخرى أقدم منها عام 1100هـ إذ لو كان قبل ذلك بهذا الشيع، لما أهمله الحضيغي. (1116هـ - 1189هـ) ولم اطلع على سبب نزوله في هذا المقام، هل هو اختياري أو اضطراري؟ وهل قدم مباشرة من تونس على ناقته مع زوجته السباعية، أو أنها من أولاد بن السباع بأحواز مراکش جهة شيشاوة؟ أو كانت له علاقة بآل الأمير بودميعة السملاي كذلك؟ أو كان متطوعا لحراسة هذا الشاطئ الذي يتسرب منه الزحف الأوربي؟ كل ذلك وغيره يمكن. ما لم تتمكن مما يهدي إلى الدليل المادي في انتظار التنقيب. عن المرسى هناك في عهد بداية الأمير بودميعة التازروالتي، حفيد صالحها أحمد.

شهرة هذا الصالح: منذ أن وقع تبريح تسوق أنموكّار هذا الصالح بتابلوكوت في خميس أيت بوبكر في الخميس الأول من يوليوز الفلاحي ابتداء من عام 1218هـ والضريح كان متواضعا، ثم اشتهر بعد تشييد قبة الصالح عام 1282هـ كما سجل داخل القبة حتى الآن. مع اسم البنائين من حاحة. وهما «معلمان بناءان من قبيلة حاحة: أحمد بن عبد الله والثاني لحسن بن سيدي عبد الله بن المحجوب بن عبد الله» هكذا نقلت ذلك قبل أن يمحي الجيارون ذلك، في جدران القبة، كما محوا جميع ما في جهاته الأربع.

وفيما يخص تاريخ قبة الصالح هناك وثيقة تقول «كان سيدي محمد الحاحي هو الذي بنى مسجد المصلى بمدرسة المسيدرة، عام 1280هـ وكان نصيب كل بالغ من الذكور في قبيلة المسيدرة دفع 14 مثقالا لبناء المدرسة، فريح هذا البناء مالا كثيرا، ولما رجع إلى بلاده حاحة، صادف هناك قائدا جاترا فاحتال عليه وانتزع منه المال.

فرجع ذلك الطالب الذي يتقن البناء فشرع في بناء قبة الصالح سيدي محمد بن عبد الله عام 1282هـ وذكر أن أساس القبة في الأسفل يساوي ارتفاع القبة ابتداء من سطح الأرض وقد بناها بالحجر والجير» (الوثيقة عند الرّبي إبراهيم المسيديري) وفي أسفل هذه الوثيقة هاذان البيتان:

في الناس من لا يرتجى نفعه إلا إذا مسّ بأضرار  
كالعود ليس يرتجى طيبه، إلا إذا أحرق بالنار



وكان موسم تابلوكوكت يتسوقه من في الساقية الحمراء ووادي الذهب جنوبا، إلى تارودانت شمالا، وفيه تجرى بطولة فرسان القبائل ونيل الجائزة بين خمسين فارسا، واستمر ذلك حتى في عهد الاستعمارين، وينتهي الموسم بتقديم نذر قبيلة أيت إخلف، وهو عجل يقدمه شيخ القبيلة فيوزع لحمه على المحتاجين، ثم يقام معروف وطقوس الزيارة لصالح حملة القرآن الكريم والفقراء والمساكين، ويختم بالدعاء الصالح الشامل للبلاد والعباد كل ذلك بالشلحة.

موسم النساء : كان موسم النساء بإيسيك أقدم منه، فاستمر فيه حتى الآن، وسجل أن سيدي أحمد أموسى تسوقه (وهو شاب كان أولا يتسرع إلى مواقع اللهوه، ويتسرع (يسرع) إلى ميادين الشباب، وملاعب الأقران، فإذا بنفحة صوفية تفاجئه على يد بعض صوفية عصره<sup>(253)</sup>، كما اطلعت في مخطوطة قديمة على قصة مشهورة له في إسيك أنه ربح من حمل قفة بها التين لعجوز تتسوق به في ذلك الموسم، فعكر له ذلك لباسه، فاشتغل بغسله حتى مر موعد الدرست التي يترأسها، وتكون ولادته نحو عام 853 هـ، وتوفي 971 هـ ومن موسم سيدي بوابراهيم هذا عمّت مناسبات مواسم أيت باعمران من جديد.

ولنرجع بعد هذا الاستطراد إلى موسم تابلوكوكت الذي يقام للنساء يوم السبت الموالي وكثيرا ما تزدهر فيه التجارة، وخاصة ما يتعلق بالحلي والحري والحناء والسواك ولوازم الزينة والعنبر الحر، وفواكه البحر، وأعشاب زكية، ولموسم النساء عرف خاص يشرف عليه أعيان القبيلة، إذ لا يقترب منه الرجال والشباب فوق 15 سنة من العمر. وينصب دور هذا الموسم على الناحية الاجتماعية والأخلاقية والأدبية إذ فيه تقام مساجلات شعرية بالأمازيغية، وينتهي ذلك بالبطولة الأدبية المعنوية العلنية كما في الفروسية وقراءة القرآن جماعة واختيار أحسن فرس وأفضل ثور ومن حسن حظي أنني جمعت ما أدركته من تلك الأشعار.

موسم الطلبة : يقام دائما في الخميس الأول من فبراير الفلاحي من كل عام، وتقوم جماعة من طلبة كل مدرسة عتيقة بجمع رؤوس الأضحيات بشكل كثير لأسبوع ذلك

(253) إيليج قديما وحديثا، ص 19.

الموسم القرآني الذي له عرف خاص لتنظيمه وتوزيع الصدقات، وكيفية تعيين كل جماعة بموقعها داخل المسجد، ثم ترتيب القراءة ابتداء من حزب ﴿المزمل﴾ الكتاب لا ريب فيه.

ربيع لكل فرقة مع الرجز بالشاطبية وابن برّي وغير ذلك من قيد الأوابد من رسم المصحف، بنظام وانتظام، وويل لمن هفا أو لم يخضع لتنظيم معمول به. إلى أن ينتهي «أنموقة الطلبة» موسم لقاء الطلبة بالكور (حلقة الجميع أمام تاكاديرت، وهي هرم من الصخور الكرانيتية للدعاء العام .

الزيارات بشكل كثيف : عندما تنتهي القبيلة الكبرى أيت بوبكر عامة (أيت إخلف وأيت النص) من الحصاد والدراس أغلبهم يزور ذلك الموقع لمدة ثلاثة أيام، حيث يجدون المنزل والمواعين والفرش مجانا كما يأتي كل من رغب في زيارة ذلك المقام، والتمتع بالهواء النقي، وأمواج المحيط الغنية باليود المنعش، وبالرمال النافعة في معالجة البرودة والتمتع بالسّمك وفواكه البحر، وذلك كله كان بفضل تنظيم القبيلة والعناية بمشاركة فقيه الزاوية، إلى أن حدث تخطيط شامل مهم، لكنه لم ينجز منه إلا القليل، بما أدى إلى عزوف عام في اتجاه تيار طارئ منفر من كل محترم.

اعتناء الدولة العلوية بمقام هذا الصالح : ويكفي أن نورد هنا شذرات من هذه العناية من بعض السلاطين، وخاصة مولاي الحسن الأول الذي اعتنى كثيرا بشواطئ أيت باعمران، لذلك خصص المكلفين بحراسة هذا المكان بتسمية «عامل» عام 1299 هـ كالقائد أحمد بن الشيخ همّو الخلفاوي المكلف ببناء دار للحراسة في عين المكان حيث بنت فيه إسبانيا مركزها المشرف على الصالح، إلا أن القائد إبراهيم الوجداري تسلم حراسة هذه الجهة، لذلك أمر السلطان عامله أحمد الخلفاوي بالانتقال إلى حراسة أفتاس سيدي إفني في دوار إدوفقير، تاركا للقائد إبراهيم الوجداري مقام هذا الصالح لكنه قتل عام 1308 هـ فبدأ ابنه القائد محمد الوجداري تلك الدار المذكورة لحراسة المكان نفسه لكنه قتل كذلك لظلمه بعد بداية البناء عام 1318 هـ.

والعجيب أن الاستعمارين الفرنسي والإسباني احتل كل واحد منهما ذلك المكان المعين منذ عهد السلطان مولاي الحسن الأول في أعلى ضفتي الوادي المذكور، إلى أن



قامت ثورة الملك والشعب، ﴿فقصص حابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾  
(الآية 45 سورة الأنعام).

وهذه رسالة من السلطان الحسن الأول بعد الحمدلة والتصليية والطابع الشريف  
أعلاه « محبنا الأَرْضِي السيد الطاهر الحسين أهاشم سددك الله وسلام عليك ورحمة  
الله تعالى وبركاته وبعد : فقد كتبنا خدينا الأنجد القائد أحمد بن محمد العبوبي ومن  
معه بالتوجه لتلك السواحل والتطواف بها ما بين سيدي محمد بن عبد الله وأصك  
(أساكا) إلى البيضة (الشاطئ الأبيض) والتأمل في المجال الصالحة منها للمرسى التي  
عزمنا على فتحها هناك بحول الله وتصويرها وتوجه صورها لحضرتنا الشريفة، وعليه  
فنامرك أن تتوجه معه وتقف حتى ينفذ ذلك والسلام في 16 رمضان 1300هـ/1882م.

ومن شدة اعتناء السلطة المركزية رسالة من السلطان نفسه بتاريخ 3 محرم عام 1311هـ  
يوأخذ فيها القائد محمد بن إبراهيم الوجداري المذكور «على تهاونه حتى سرق البحارة  
الأوربيون مياه الغدير بمطية الصالح سيدي محمد بن عبد الله».

ورغم أن هذا القائد كذب ذلك في رده على السلطان بتاريخ 6 من المحرم 1311هـ فإن  
البرتغال سرقوا المياه فعلا، بل مرارا وتكرارا ولعل تلك النسخة ما زالت بين مخطوطات  
ابن عمنا الفقيه جهادي إريك.

وقد استمرت عناية الدولة العلوية بمقام الصالح سيدي محمد بن عبد الله على  
الدوام وهذه رسالة من السلطان مولاي عبد العزيز في 29 صفر عام 1314هـ تأمر القائد  
محمد بن الحسين أهاشم التازروالي نقتطف منها «وبعد فقد أقرناك على رد البال  
لعسس سواحل البحر بالمراسي المذكورة .... سيدي محمد بن عبد الله عشرين عسة  
عسكرية وعشرين من أهل البلد».

وفي أفتاس ميرلفت كان التموين يساق إلى بناء مدينة السمارة بأمر من السلطان  
مولاي عبد العزيز يدفعه القائد محمد الوجداري، ويسافر على الباخرة المخزنية الآتية  
غالبا من الصويرة إلى هناك في عهد الوزير بآ أحمد بن موسى.

وسيرا على تلك السنة الحميدة، فقد كانت الحكومة حتى الآن ترسل شخصيات  
منها في نفس الذكرى، أذكر هنا ذكرى حضور السيد الوزير بوفتاس عبد الرحمان مع  
السيد العامل والسلطة المحلية مع حضور الطلبة حفظة القرآن الكريم وأعيان القبيلة  
وفيها تقرر بناء أكبر مسجد هناك، وقد استمرت هذه العناية بفضل الله وعناية الدولة،  
كما استمر السيد عامل عمالة إقليم أيت باعمران حاليا والجماعات القروية في نفس  
الاعتناء وتنمية هذا الإقليم، انطلاقا من البنية التحتية في جميع الإقليم، وخاصة مياه  
الشرب والكهرباء وإصلاح مرسى سيدي إفني، والشروع في بناء مقر العمالة لأنها  
حديثه عهد، ولكل مولود حدة، ولجديد لذة، والعبرة بالخواتم. والله في عون العبد ما دام  
العبد في عون أخيه.

علاقات هذا الصالح سيدي محمد بن عبد الله حسب الروايات الشفوية : منها أنه  
«كان صالحا متعبدا قنوعا متصوفا مراقبا لشاطئ البحر، لأن البحارة الأوربيين يسرقون  
مياه المطافي هناك» لأن مياه الأبار ملحة نسبيا، وذلك ما يفسر كثافة المطافئ حول  
الضريح، وحتى الآن وصل عددها (16) من أعمال المحسنين، وهي الآن في طريق  
الاندثار، بدعوى وصول مياه السد إلى عين المكان.

وسيدرك الناس أهميتها إذا ما استمر الجفاف لا قدر الله، وتلك همسة مني في أذن  
المسؤولين، وخاصة الجماعة القروية والسلطة المحلية وأعيان القبيلة ووزارة الفلاحة ومن  
له علاقة قانونية، ومن المشاع أن هناك عجوزا تزور هذا الصالح في حياته كل يوم الجمعة،  
وهي من الضحاك، وهي التي أشاعت عنه كرامات، منها أن النحل يتغذى من عرق  
رأسه أو ما كان معهودا منذ عهد انتشار الصوفية بسوس إثر الوباء الجارف في عهد أحمد  
المنصور السعدي.

ومن الروايات الشفوية التي كانت ترددها عائشة بنت الحسين الملقب بجعائطو  
بتابلوكوت، أنها سمعت عمن سبقها أن زوجة الصالح سيدي محمد بن عبلا السباعية  
كانت تجتمع مع لآ عائشة بنت علي بن الشائن المتصوفة المتدينة التي راجت حولها  
كرامات، منها أنها كانت تخبر بما وقع لحجاج هذه البلاد قبل الرجوع، فكانت تخبر



بموت فلان ومرض فلان، واعتكاف فلان، فوجدوا ذلك كما قالت. وقد أورد صاحب المعسول مثل ذلك من غير واحد وواحدة!

كما تعزز قرية إذكوجا حتى الآن بعلاقة جدهم الرئيس مبارك أكوجا بميرلفت بالصالح سيدي محمد بن عبد الله، وأنه كان يرعى له ناقته الوحيدة مع جماله لأنه صحراوي الأصل من أيت أوسا أو الركايبات، وإليه تنسب عين صبيب من الماء بدوارهم حتى الآن، لكن هناك من يؤخر حياة هذا الصديق إلى بُعيد عام 1299هـ والفرق الزمني بين الصالح وصديقه أكوجا حوالي قرنين مالم يكن هناك أكوجا آخر من نفس العائلة، لأن الأول هو عوام الزورق الذي انقلب في مرسى أكلو. على القائد باقى الرسول من طرف السلطة إلى تيزنيت حوالي 1913م ففرق هناك وأصيب أكوجا في فقر ظهره حتى مات. والفرق الزمني واضح.

أهمية موقع هذا الصالح : فالمكان يتمتع بمناخ عجيب بفضل تيار كناري البارد مع تسرب الحرارة عبر وادي سالگماض الآتية من حوض تاگراگرا، فينتج عن ذلك طقس منعش، كما يمتاز بمناظره الطبيعية الفريدة من نوعها، فصار من أهم المصطافات حتى صار اليوم ميدانا لل عمران بفضل وصول مياه سد يوسف بن تاشفين، بالإضافة إلى الكهرباء والطريقة الرئيسية وتخطيط الجماعة القروية، كما يتوفر المقام على أكبر مسجد هناك، وعمما قريب سيربط العمران ميرلفت بهذا المقام المبارك، تطبيقا لتخطيط الخبير مولاي أحمد بواگتو. وجماعة ميرلفت القروية، رغم قلة الإمكانيات، لمقام هذا الصالح ثلاثة مواسم : الأول للتجارة ويسمى أمموگتار منذ أن أسسته قبيلة أيت إخلف حوالي 1218هـ وكان يتسوق فيه من تارودانت شمالا إلى تيندوف جنوبا، ولو في عهد الاستعمارين، لأن الوطن لا يقبل التقسيم.

هناك على بعد حوالي عشر كلم عن هذا الصالح في نفس الوادي قرب مكان محترم قريب من بوغانيم، يوجد فيه مرّح محترم ينسب إلى الروائي سيدي محمد أعجلي، والمكان ما زال محاطا بسور من الأحجار، ونحن نعلم أن الروائي سيدي محمد بن إبراهيم أعجلي توفي في 1271هـ . 1854م. (إبليغ ص 260) وكان الروائي سيدي محمد أو

ضحّاك اليوسفي يزور ذلك المرّح طيلة حياته من حين إلى آخر، ويصلي فيه، وحتى الآن ما زالت نساء تلك الجهة تجتمع فيه في مناسبة موسم الطلبة في الخامس الأول من كل يوليو، ويقمن فيه «بالمعروف» الذي هو إطعام الجميع، ثم تنتهي المناسبة بالدعاء العام بالخير والصلاح والبركة في هالة من التصوف، وبوداع إلى العام المقبل، وكلمة طحّاك أو ضحّاك اسم مرتفع هناك. ولا علاقة له بالضحك.

وفي موسم الصالح بتابلوكوكت كان يلتقي الاستعماران الفرنسي والإسباني فيظهران عظمة دولتيهما وينشران أعلامها دون العلم الوطني المغربي، مع استعراضات عسكرية فيبهرون الناس بكل جديد، مما أيقظ ضمير الوطنية في أيت باعمران بحثا «عن من نحن»..

وفي موسم سنة 1947م قرر أعيان أيت باعمران أن ينصروا السلطان سيدي محمد بن يوسف فتولى ذلك باتفاق إمغارن أيت باعمران كلهم أمغار قبيلة أيت إخلف لأن الموسم من اختصاصه، وهو الذي خير الضابط الإسباني على أن يسمح بتبريح نصر السلطان، أو أن تقوم معركة لا ينجو منها فرانسى ولا إسباني واحد، وهنا حمل له ذلك الضابط المسؤولية بعد أن فوض له الأمر بدعوى شيخ القبيلة المسؤول عن أمموگتار، فأعلن كلمة نصر السلطان محمد بن يوسف. أمام زاوية هذا الصالح بحضور عام، ولم يدرك مغزى ذلك إلا السياسيون فاستمروا في نصره.

وفي مقام هذا الصالح، جرت أكبر معركة بين مقاومة أيت باعمران وجيش التحرير ضد الإسبان، سميت بمعركة تابلوكوكت، لكثرة ضحاياها من المجاهدين دفن ثلاثة منهم بجوار الصالح، واثنان في ميرلفت، والباقي في مقبرة سالگماض، وتدخل فيها القائد المغربي الرسمي المقاوم عبد العزيز الماسي بمدفع السلطة المغربية، إلى أن انتصر المجاهدون بالقبض على جميع النصارى «البيسطو» فهم الذين قدموا للسلطان سيدي محمد الخامس باگادير.

وفي هذه المعركة الحدودية، استعمل الإسبان قصف موضع تابلوكوكت من البحر، فهدموا جزءا من دار الفقيه جهادي محند ندومغار، وألحقوا ضررا بمنزل الطالب محمد



فالآ، وعزم الإسبان على استرجاع مركز تابلوكوكت الاستراتيجي، لكن المقاومة فجرته بالقنابل التي تسقطها طائرات الإسبان، ولم تنفجر لكثرة الأمطار ورخاوة التربة، قلت يوماً لمن أمر بالتخريب لماذا؟ فقال: ذلك هو دليل وجودنا!

وإلى هول هذه المعركة الحدودية بين الاستعمارين أشار الأستاذ المقاوم محمد بنسعيد أيت إدري في مؤلفه وثائق جيش التحرير بقوله: «يتوقع في قريب القيام بعمليات حربية برية بحرية بسيدي إفني وما بجواره كميرلفت وتابلوكوكت من طرف الإسبان والفرنسيين، وستستعمل في هذا الهجوم الطائرات الفرنسية الموجودة بمطار تيندوف»<sup>(254)</sup>.

وبما أن المؤلف ركز على هذه الإشارة فقط، نضيف نحن هنا إلى خطورة معركة تابلوكوكت أكثر من غيرها سياسياً، لأن الطائرة الإسبانية والباخرة صورتا التدخل الرسمي بالمدفع من طرف القائد عبد العزيز الماسي، وكذلك وقع تتبع نقل الأسرى الإسبانين إلى مركز قيادة ميرفت، تحت الراية المغربية، لذلك حاصرت بواخر إسبانيا مدينة أكادير، وعن شاهد عيان محمد منيب يقول: «أنا موظف في بلدية أكادير التي تقابل الشاطئ، وفي الصباح، كنا نشاهد تلك البوارج تحاصر مرسى أكادير، وعددها بضعة أعداد، ولتلك المفاجأة لم تكن هناك مواجهة من المغرب، ولا من القاعدة العسكرية الفرنسية البحرية والجوية التي كانت توجد في قاعدة بنسرگاو، قريب مدينة أكادير، وظلت هناك عدة أيام فانسحبت، ولا شك أن هناك تدخلات في الموضوع، لا بد وأن تكون من فرنسا». (منيب محمد).

وهناك كتاب للكاتب العام للإقليم السيد محمد المعزوي، فيه كفاية، والعامل في ذلك الوقت سنة 1957م هو السيد الحاج محمد الباعمراني. وسمعنا أن جلالة الملك محمد الخامس تدخل وهو ضيف لدى الولايات المتحدة في عهد إزنهاور، فانسحبت بوارج إسبانيا، وأذكر أنني ذهبت إلى تاراست بإنزگان، فوجدنا هناك دبابات مغربية صغيرة تشبه سيارة (R4) خاوية بها جعبة وجندي واحد، وكلها مغطاة بأغصان الأشجار، وبواخر الإسبان بباب مرسى أكادير كما رأينا، وقال لنا ذلك الجندي: نحن في خطر، وأمرنا بالانسحاب.

(254) نفس المرجع، ص 207.

ثم استمرت الثورة التحريرية في جميع أيت باعمران، واستولوا على جميع الثكنات في ظرف وجيز، ولم يبق إلا مدينة سيدي إفني المحاصرة، إلى أن حررها المغفور له الحسن الثاني باتفاق فاس مع الإسبان 1969م.

وقد أصبح الجيش الإسباني المحاصر بإفني لا يتوصل بمؤنته إلا عن طريق الجو والبحر، كما حوصرت المدن في الصحراء المغربية، ولنستمع إلى مرارة رئيس الدولة الإسبانية فرنسيسكو فرانكو إذ يقول: «إن التضحيات التي أهرقت بسيدي إفني على يد المكافحين الإسبان يستفيد منها بلداهم وأوروبا الغربية بكاملها.. فصار يهيئ عملية حربية بمساعدة فرنسا كحرب الريف سنة 1924م فبينما استعد المغرب للتفاوض يوم 16 يناير 1958م قام الاستعماران باتفاق في كناريا بسحق جيش التحرير المغربي في الصحراء بعملية إيكوفيون (الشطابة) وردا على ذلك الغزو الجوي، قام الملك محمد الخامس بزيارة رسمية في جنوب البلاد، وصل إلى قرية المحاميد في 19 فبراير 1958م. وفيها كرر في خطاب هام أمام رؤساء قبائل الرگيبات مطالب الحكومة المغربية حول الأقاليم الواقعة جنوب وادي درعة» (الخفايا السرية في المغرب المستقل ص 120) وترجع خطورة معركة تابلوكوكت إلى وقوعها في الحدود بين الاستعمارين.

ولنرجع إلى تتبع أهمية مقام هذا الصالح الذي بدأ فيه أيت باعمران نصر السلطان سيدي محمد بن يوسف 1947م، ومن الفقهاء المشاركين في زاوية هذا الصالح حسب ما أدركناه الآتية أسماؤهم:

1- الفقيه سيدي محمد أباذنيا الونعيمي الخلفاوي، عاصر مجاعة 1295هـ / 1878م كان فقيها يفصل بين الناس في أحكامهم، ولا ندري عمن أخذ، ومستواه في كتابة العقود مقبول، وخطه متوسط غليظ، مما يدل على كبر سنه أو قلة بصره، وهو من فقهاء وأعيان قبيلة أيت إخلف في تلك المجاعة الوبائية، وشاع عنه أنه كان يلبس أحايك طيلة حياته، على شكل لباس المحرمين أو العلماء القدماء في ذلك العهد، ولم أعثر على المزيد، ومن أهله الشهيد شربات ضد الجنرال دولاموت 1917م.

2- الفقيه سيدي إبراهيم بن موسى العيني الخلفاوي، كل ما أعرف عنه أنه هو الذي خلف الونعيمي بعد وفاته في زاوية هذا الصالح، وفي عائلته فقهاء والمدرسون.



3- الفقيه سيدي أحمد باموسى اليوسفي القاضي، سليل الصالح صاحب قبة إيميوگني بتاگراگرا، سليم اللغة والنحو وجميل الخط، اطلعنا على مکتوباته وهو كاتب الشيخ الحسن من آل الشيخ هم بعد وفاة القائد أحمد، وهو الذي يكتب لآل الشيخ هم رسائلهم إلى الصويرة، حيث كانت هناك دار للقائد أحمد التي أهداها له السلطان مولاي الحسن الأول، وكان يكتبها خاصة في عهد الشيخ محمد بن القائد أحمد، في علاقته مع قنصل الإسبان في الصويرة، وكان هذا الشيخ يسافر كتاجر مع القوافل التي تربط بين الصحراء والصويرة، وجمع باموسى هذا بين القضاء والمشاركة في هذا الصالح، كما جرت العادة، وفيه كتب تفرقة القرآن كاملة محبسة على هذا المقام، ومنها انتقل إلى المشاركة في مدرسة جده سيدي محمد بن يوسف الوزاني صاحب القبة في إيميوگني، وهناك دخل عليه مجهولون فسجّوا رأسه، فبقي مختلا إلى وفاته، ولذلك علاقة بتلك الرسائل إلى الصويرة، وله تفرقة أخرى في ضريح جده بإيميوگني، فيها كتب القاضي بيمينصورن بأن هذا الصالح هناك قدم من مليانة بالجزائر. وذلك قبل ظهور بودميعة بسوس؟

4- الطالب سيدي الحبيب العبلوي، وهو الذي تبع با موسى في المشاركة في زاوية سيدي محمد بن عبد الله، وهناك أخذ عنه ابنه محمد بن الحبيب العبلوي البرلماني طول حياته، وعن هذا الأخير، أخذت بعض المعلومات عن والده شفويا وبكل استعجال لقلة اللقاء معه.

5- الفقيه جهادي محمد ندومغار، شارط فيها مرتين، بعد بن الحبيب هذا، وربما بعد خروجه من ميرلفت في ربيعان شبابه حوالي 1325هـ.

6- الطالب الصوفي سيدي إبراهيم بن الشريف، الساكن في المسيد الأحمر، وهو رجل متصوف، قنوع منعزل متعبد، أدركته وأنا صغير، وأتيته بأكلة من عمتي سلطنة بتابلكوكت عدة مرات سنة 1947م وفي صوته «خنخمة» معناه يتكلم بالأنف، من مرض بذلك يسمى «أخانخام» وهو غير فصيح ولا يكاد يبين، وكان يترك ما تسلم من لحم الأضحيان بالزاوية حتى تحف أو تتأكل، وعندما يذهب إلى داره يمر علينا حاملا على

كتفه قفة وهو راجل أبدا، والناس يذكرونه بخير وكرامات، وقد عاش طويلا وقبره بجواره دفن جهادي محمد ..

7- الطالب كريم أحمد بن إبراهيم إجيوي الخلفاوي، وهو الذي تبع من ذكر، وهو شاب في ذلك الوقت، أخذ القرآن عن سيدي موسى بجماعتهم بتيزكي، ثم عن عمنا جهادي محمد بمدرسة الخميس، كما أخذ معي عن الروائي الحسين أبناي، ونحن حوالي 15 طالبا، كما أخذ بعض المعلومات في بوزاكارن عند الفقيه محمد بن أحمد المسراوي، ومن هناك انخرط في المقاومة مثل معظم الطلبة.

8- الفقيه سيد محمد لاشگر من إدوفير بجوار مدينة سيدي إفني، لا بأس بمعلوماته وشجاعته وتدينه ووطنيته، وهو أول من اتخذ فيه منزلا ملكيا له من طرف إبراهيم بجي الذي اعتنى بمصالح هذا الصالح تقبل الله منه، وهو الذي أدخل الأحباس.

9- الفقيه الطالب جهادي إريك الذي أحى هذا المقام، ونظفه وشهره، كما أرجع له سمعته العمرانية، فبنيت فيه بيوتات للزوار، ثم سهر على تطبيق عرف ذلك المقام، فقصدته القريب والبعيد، وجمع من جديد القبيلة وعين منها أعيانها، كما كان في الماضي، فصار يجمع «المحضر» الجماعات، ولما مر الطريق بجانب الصالح، تكاثر العمران، والفقيه كريم، والخير متدفق، والزاد موجود للمار والطالب والمسكين والمريض ورجال السلطة، فالطواجين موجودة لكل طارئ، كما أسس هناك محلات للتجارة وفران للخبز يوميا، مع توفير الأواني والفرش في المحلات للزوار. ثم بدأ المقام يعمر بالبناء والمصطافين من كل جهة، وكان هذا الفقيه يجمع بين حاكم الجماعة، والمشارط في المقام، فصار اليوم يطلق عليه زاوية، فطال مقامه هناك أكثر من ثلاثين سنة، إلى أن تعرض المقام لوجهة نظر من هنا وهناك لتطور سمعته، وكثرة المصطافين أحيانا إلى 3000 شخص، فانتهزت السلطة والجماعة غفلة جماعة الزاوية، فمحت آثار الماضي منها من طرف إذن خفي؟. فرسمت فيه لوحة منقوشة تذكر بمقاومة أيت باعمران..

10- الطالب الحافظ للقرآن الكريم لحسن العامري المؤذن الرسمي لعين المكان، مع الفقيه الجيد المتواضع الطيب الأخلاق : حسن المؤذن المشارط حاليا في ذلك المقام



الذي يليق به كثر الله أمثاله، فبدأ يطلق عليه اسم الزاوية، فتدخلت الأحباس في كراء فتوحات الصالح، فلم يعد هناك ما يستفيد منه المقام، كما كان الأمر في عهد اعتناء القبيلة بذلك، وإن كان المقام حالياً من حيث الشكل والمنظر والنظافة والماء والكهرباء والمواصلات أفضل بكثير مما مضى، لكن بعض المرافق العمومية غير تامة، كما حاول البعض الاستيلاء على ما كان محبسا على التسوق منذ قرون، في غفلة من المسؤولين، وعين المكان هو مركز للمصلحة العامة.

وأما كيف يمكن أن يسترجع مقام الصالح مكائته، فلا بد أن تتجدد «الجماعت» من القبيلة، لتستمر في تعمير هذا المقام، مع مجهودات الجماعة القروية، ليستمر ذلك الماضي التعاوني، كما كان فاعلاً إيجابياً وخاصة مشاركة فقيه الزاوية، ومؤذن المسجد وسكناهما بتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وتعاون مع السلطة المحلية، كما جرى بذلك العمل في كل قبيلة، وعهدي بتأسيس عدة جمعيات لمصلحة هذا المقام المبارك، لكن الأقلية لا تجدي في هذا المستوى، فالجانب المادي ضروري، وحله هو التعاون والتدبر لبناء يكتري لسد نفقات المرافق العمومية، للمحضر، ويمكن لسكان عين المكان، أن يشارطوا الفقيه ويساهموا في تسييره ..

وقد مرت هناك عدة جمعيات من أجل الاعتناء بمصالح الزاوية والضريح، نظراً للإهمال الذي أضرب بسور الزاوية ومنازل الزوار، ومن تلك الجمعيات «جمعية تاكاديرت وتابلوكوت» من طرف من لهم غير على مصلحة هذا المقام منذ 1999م، ولما توقف مجهودها تكونت «جمعية تسيير مسجد هذا الصالح وموسم الطلبة» المشهور في المغرب كله، لكن الامكانيات غير كافية، فتكونت «جمعية تامونت سنة 1993م» وكان هدفها هو إصلاح عام، وترميم ضريح الصالح سيدي محمد بن عبد الله، ونظراً لاستقطاب معظم «الجماعت» لهذا الصالح، استمرت عدة اجتماعات، وتكونت عدة لجان للنظر في مستقبل هذا المقام وما ينتظره من العمران بعد تشريفه باللوحة التذكارية لرد الاعتبار لما قام به أيت باعمران في المقاومة المغربية وتحرير إقليمهم في عهد ثورة الملك والشعب..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾

هذه اللوحة التذكارية المبنية بهذا المكان الذي جعل منه الاستعمار الإسباني حداً فاصلاً بين الفرع وأصله، شاهد حق لانتفاضة كبرى خاضها أبناء قبائل أيت باعمران بكل بسالة وأبت الأقدار الإلهية إلا أن يكون قائدها ملك عظيم جلاله الملك الحسن الثاني طيب الله مثواه في تحطيم هذه الحدود الوهمية يوم الثلاثين من شهر يونيو سنة 1969م، وأصدق تعبير على أوثق التحام بين شعب وافي ما عاهد الله عليه وعرش ضحى في سبيل الذود عن وحدة البلاد وصيانة سيادتها.

وتعد هذه اللوحة من جملة رد الاعتبار لتعمير هذا المقام لهذا الصالح المبارك، امتداداً وتخليداً لما قام به أيت باعمران بمشاركتهم في المقاومة المغربية في المدن الشمالية في عهد ثورة الملك والشعب، تحت شعار «الملك إلى عرشه».

### موسم إيسگ في أيت باعمران :

أورد مؤرخ سوس المختار السوسي حول موسم تازروالت في عهد الحسين أهاشم فقال : «وحيث إن ذلك الموسم في ذلك العهد هو الوحيد في العظمة والمتخذ سوقاً عامة تروج فيها البضائع، وتلتقي فيها بضائع السودان التي يستوردها الصحراويون بمعاونة الحسين، وبضائع الحضر التي يستوردها التجار الذين يختلفون إلى الحضر، وهناك تباع وتشتري البهائم والصوف والحديد وكل ما يتوقف عليه الناس في معاشهم الحيوي» (إيلينغ ص 253).

وفي هامش موسم تازروالت علق المؤلف يقول : «لم تحدث المواسم الكثيرة إلا بعد ذلك، ولم يكن منها قديم إلا ما كان من موسم إيسگ وقليل مثله ولكنها ضئيلة» (نفس المرجع).

وموسم إيسگ هذا يقام في مكان فسيح مفتوح، تتوفر فيه مياه حلوة غزيرة في الآبار على عمق قريب جداً، وتمر تابريدا الرابطة بالقوافل بين صحراء المغرب والسودان



بشمال المغرب، وفي عين المكان يقع مقر القائد إبراهيم الوجداري المعين من طرف السلطان الحسن الأول عام 1299هـ. ثم بعده ولده القائد محمد بن إبراهيم، وهي عائلة مخزنية كبيرة، ويسمى مقر هذه القيادة إفارض إيسيج (الحوض).

وفي عين المكان، نزل السلطان المذكور بمحلتة سنة 1303هـ، كما نزلت فيه حملة الجنرال دولاموط سنة 1917م. لكن اضطره أيت باعمران على الانسحاب، في معركة استشهد فيها ألف شهيد من الصحراويين، حسب ما سجله ضابط فرنسي في مؤلفه شارك في تلك المعركة وهو دوغارد.. ومن أيت باعمران ستمائة شهيد بالتمام والكمال، ومقبرة تاغولت وأخرى بجنوب إيگالفن شاهدتان على ذلك.

وبما يدل على قدم ترسيم هذا الموسم التجاري الأفريقي أن صالح الضريح في عين المكان سيدي بوؤبراهيم الباعمراني تسوقه أحمد أموسى نفسه. ورأيت في ورقة قديمة جداً عثرت عليها ما زالت عندي، لكن بعد قول مؤرخ سوس في سيدي أحمد أموسى : «ولادته تكون نحو (853هـ وتوفي 971هـ) كان أولاً يتسرع إلى مواقع اللهو، (أحواش) ويتترع (يسرع إلى الشر) إلى ميادين الشباب وملاعب القرآن، فإذا بنفحة صوفية تفاجؤه على يد بعض صوفية عصره المشار إليهم في بلده، فذكرهم» لكن بصيغة التضعيف (إيلغ ص 19).

وملخص تلك الوثيقة «أن أحمد أموسى كان كما ذكره السوسي في شبابه، وحدث أن ذهب مع أقرانه للتسوق في موسم إيسيج (سيدي بوؤبراهيم) ولما تسلقوا مرتفع ميرغت، - وكان أحمد متأخراً عنهم - صادفوا عجزاً حملت قفة مملوءة بالتين (تازارت) وهي في غاية من الإرهاق، فقالت لهم : أرجوكم أن تحملوا هذه القفة الثقيلة علي لأنني أريد بيعها في موسم إيسيج، فاستهزأوا بها وقالوا لها : هاهو أحمد أموسى سيأتي ليحملها، وهم يقصدون أنه إذا طلبت منه ذلك فسيقبلها عليها لما عرف به من المزاح الصبياني والتترع إلى الشر..

وفعلاً وصلها أحمد، فطلبت منه أي يخفف عنها بحمل ثقل القفة، وفعلاً أخذها على كتفه والقفة تسيل على جلبابه غسل التين الأخضر، ولما وصل الموسم قالت له العجوز [ألك تسريح ربّي أردا كيك توربيحن].

وبما أن كسوته ملطخة بعسل التين وهو الذي سيطرأس أحواش فإنه ذهب إلى بشر هناك، فغسل حوائجه ونشرها لتجف، فإذا بأصحابه يبحثون عنه ليطرأس جماعتهم في الدرست، لكنه قال لهم : من الآن فصاعداً لا أدخل أحواش، وموسم إيسيج هو موسم التباري في الشعر الأمازيغي (الشلحي) وأحواش بين القبائل ومن فاز يفرح بذلك إلى العام المقبل» (انتهى ملخصاً) ونستفيد مما ذكر ما يأتي :

1- إن موسم إيسيج كان من أقدم المواسم التجارية في سوس، كما أكده مؤرخ سوس. سيدي محمد المختار السوسي.

2- إن أحمد أموسى قد تسوق هذا الموسم، وهو شاب مولع بأحواش، وماهر في رئاسة الدرست في شبابه، وهو مولود في عام 853هـ / 1449م.

3- كان هذا الموسم في بعمرانة كلها، تسيره القبيلة الكبرى أيت بوبكر أويحيا، وكان معروفاً بالمبادلات بين شمال المغرب وجنوبه، حتى جنوب الصحراء، وبما يدل على قدم هذا الموسم أنه عرف بموسم إيسيج أي الحوض، لكن حالياً صار ينعتة البعض باسم الصالح سيدي بوؤبراهيم العالم الباعمراني القديم، ولعل إقامة هذا الموسم من سلسلة المواسم التجارية الممتدة عبر تابريدا من «تينبوكتو وولاتة من بلاد السودان إلى مدينة تگاوست الكبيرة - لعلها القصابي - بضواحي أكوليم المزدهرة حتى عام 919هـ (حسن الوزان ج 1 ص 96).

ولم تتقلص القوافل إلا في فترة ما يسمى بالسبية، ثم صارت تتناقص إلى أن انقطعت مع الآفاق بدخول الاستعمار. «فصار الموسم شبه محلي فقط، مع استمرار بعض العادات، منها أحواش النساء بين القبائل المجاورة حتى في عهد الإسبان إلى حين، لأن الموسم فيه كذلك موسم النساء، حول قلعة أنفلوس حمايدوش، بل استمر في إيسيج بعد ذلك» (255).

أما الصالح سيدي بوؤبراهيم فهو باعمراني الأصل، وهو عالم قديم سبق نزول البوجرفاوي إبراهيم في القرن التاسع، ومن الأسر التي انتقلت من إيسيج أسرة أعمو

(255) معلمة المغرب ج 11 رقم 3578 جهادي.



بتيزنيت، وذكر لي ذ المحامي عبد اللطيف أعمو أنهم قدموا من إيمي ن تاتلت إلى أيت باعمران منذ حوالي خمسة قرون، وهناك مخطوط في الموضوع حرر بتيزنيت، لا يخلو من مبالغة وتطويل. وفيما يخص ربط آل إيسيك بتاتلت فيه نظر، ولعله من باب تكثير الصالحين في جهة المحيط ضد المد الأوروبي المسيحي هناك. وعائلة أوعمو لم تكن قديمة جدا، فقد انتقلت إلى إكرار، ثم إلى تيزنيت، وتراجع قسمتهم على يد القاضي أحمد السملالي الساحلي 1303هـ وكثيرا ما عثرنا على من ادعى الانتساب إلى الصالحين بأيت باعمران، طمعا في فتوحاتهم. إلى أن اكتشف هدفهم، فامتحنوا، فتبين هدفهم، فطردوا بلا رجعة.

وفي إيسيك هذه تقع المدرسة العتيقة لقبيلة أيت النص وعلى صالحها قبة ترجع إلى عهد تلك القبيلة، ومر في تلك المدرسة أساتذة كبار، منهم الفقيه علي بن صالح التادراتي الباعمراني المتوفى مفتح القرن 14 الهجري، كما شارط فيها العلامة محمد بن إبراهيم الهرواشي الباعمراني المتوفى في رجب 1331هـ تخرج بسيدي مسعود البونعماني، مشهور بالتدريس والنوازل والإفتاء في مدارس إيسك وإفارد، وإيگضي، فانتسعت هالته، وكان له شأن في كل ميدان، وشاع عنه أن السلطان مولاي الحسن الأول وجده يدرس علم الفلك عندما نزلت محلته هناك عام 1303هـ. وذكر لي حفيده السيد أحمد أنوار في مراسلته أن لديه ما يزيد في التعريف به وليته فعل.

وفي إيسيك هذه وقعت معركة ضد مخفر الإسبان هناك، فاستولى عليه المجاهدون بحيلة عند ترصد من ذهب بهم لسقي الماء بعيدا عن المخفر، فاستولوا على سلاحهم فاستسلم من في المخفر، ولم يقتل إلا طابط منهم ضرب الجمهور بقنبلة يدوية، فلم تنفجر، فرماه أحد الحاضرين بحجرة في رأسه فأرداه قتيلا. وذلك سنة 1957م.

### موسم السيد الأحمر : سيدي علي بوزيد

ارتبط وجود بناء قبب الصالحين بالفترة الأخيرة للدولة الموحدية، وخاصة في البوادي المغربية، وكذلك في بعض المدن، لكن زاد ذلك في عهد المرينيين كمعارضة للدولة المركزية لطغيان الظلم الجبائي، إذ استفحلت الضرائب نتيجة نفقات الحروب في الأندلس، وقد كانت الضرائب في نظر الشعب ضد الأعشار والزكوات الشرعية، فكان

الشعب يبحث عن طريقة ما ولو بالتضرع إلى الله لرفع ظلم الضرائب، فكان اللقاءات في أماكن يستجاب فيه الدعاء، ومن هنا نمت الزوايا لانتقال السياسة من العنصرية القبلية - حسب ابن خلدون في تأسيس الدول - إلى الاعتماد على أرباب الزوايا كبديل.

لكن في أيت باعمران يرتبط بناء القبب على الأضرحة بما يطلق عليه «المرابطون» انطلاقا من رباط عبد الله بن ياسين كنواة للدولة المرابطية، والمصطلح مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِضُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية 200).

ومصطلح المرابط تعني متعبدا، ولا تعني مصطلح النسب الشريف، وهذا الاعتكاف من أجل التعبد يكسب درجة التصوف، وهنا ينخرط المرابط في المجتمع عن طريق القيام بالصلح بين الناس، كما يساهم في التعليم الديني عن طريق القدوة، وكلما ضعفت السلطة المركزية، تقوت وبرزت سلطة مرابطي الزوايا بتسلم الأعشار والزكوات والتابعين والأنصار، فتبدأ المبالغة في تقديس صاحب الزاوية، وبذلك يستحق كل التشهير، ابتداء من بناء القبة على ضريحه، فتنتقل شهرته إلى ورثته ومريديه والمستفيدين من بركته المادية والمعنوية بأساليب مختلفة.

ولكي نفهم جيدا كلمة المرابط نجد في ظهير السلطان مولاي إسماعيل المؤرخ في 1123هـ/1711م «جددنا بحول الله وقوته لمرابط الخير الغزواني بن المرابط البركة السيد محمد سليل الولي الصالح سيدي فارس نفعا الله به على ما بيده ظواهرنا الشريفة وظواهر الأسلاف رحمهم الله المتضمنة للإنعام له بضريح الولي الصالح، والقطب الواضح، سيدي أبو شعيب نفع الله به».

ويقصد بهذا الصالح مولاي أبو شعيب الدكالي بأزمور المعروف بالسارية، وهو باعمراني الأصل من أبيانو قرب أگلميم، وهذا ما تعنيه كلمة المرابط عند السلطة المركزية، لأنها تجدد فقط ما جرى به العمل بما في أيدي الناس.

على أن تلك الأضرحة في أيت باعمران ترتبط بالدفاع عن الوطن ضد الأجنبي، وخاصة في الشواطئ، لذلك نجد سلسلة من الأضرحة موازية للمحيط، بعضها معروف،



وبعضها لم أتمكن من أصله ولا من دوره ولا من زمانه، وكلما أعرف أن البعض يرجع إلى حراسة الشواطئ من الغزو النرماندي والبورتغالي عند ضعف السلطة المركزية الوطاسية بالخصوص.

لكن هناك معلومات ظهرت أخيراً لها علاقة بالقائد الحاحي بتزيت، وذلك أنه كان يشجع بناء القبة على الأضرحة بأيّ باعمران، إذ كانت قوافل الجمال تنقل مواد البناء إلى أماكن خاصة، لبناء القبة على الأضرحة المحترمة هناك، بدلا من البيت المربع المتواضع على صاحب الضريح كما جرت العادة، وفي نفس الوقت، تنقل القافلة معادن بشكل سري إلى الصويرة لتصديرها دون معرفة أحد من أهل البلاد على ما يظهر، كما أنها دليل مادي على وجود الأماكن المقدسة الإسلامية أمام الغزو الأوربي المسيحي المتشوف إلى سواحل المحيط.

أما الصالح سيدي علي بوزيد فيقع في وسط أيت باعمران، في سهل فسيح، على الضفة اليمنى من أسيف ن هنان، وتوجد حوله آبار مياهها عذبة قريبة من السطح، لذلك اختير المكان لرسم موسم للقبيلة في فصل الخريف، في شهر أكتوبر من كل سنة، ومن مميزات هذا أنموگتار (الموسم) توفير لوازم الفلاحة من كل نوع.

فمنه تشتري الدواب للحرث، ومنه تشتري الأدوات كالمحراث ولوازمه، (إماسن ن تيززا) بل حتى الزريعة أحيانا ويرجع اختيار هذا الموقع المسيد الأحمر : تيمزگيدا تازوگاغت. القديمة السابقة لبداية عهد إمارة بودميعة بتازروالت، وهناك تروج الأساطير المباركة المهدوية حول هذا المقام ؟ وخاصة بعد المعركة المعروفة بالمسيد الأحمر عام 1308م ثم استمرت هذه الهالة الغامضة بعد تأثير زاوية المتصوف سيدي محند أباراغ الذي وجه أيت باعمران إلى زاوية تيمزگيدشت - وليس تيمزگليشت. بعدما كانوا مع زاوية تامگروت الناصرية، وبدخول الاستعمار الإسباني، بدأ تأثير تامگروت يتراجع لتوجيه الأعشار والزكوات إلى زوايا محلية، ثم أسندها الإسبان موقتا إلى أشياخ القبائل لمدة قليلة، ثم انتزعت منهم لتحل الضريبة محل الزكاة المرتبطة بالصلاة منذ بداية الإسلام.

وبعدما توقف التسوق في خميس أيت بوبكر بسبب معركة الخميس، اختار أيت بوبكر كلهم التسوق في مقام الصالح علي بوزيد بالمسيد الأحمر. فبنيت فيه متاجر متواضعة بتخطيط هندسي لمن يرغب في ذلك، فاستمر التسوق فيه إلى خروج الأسبان، فتوحد أيت باعمران، ورجع التسوق في خميسهم القديم في التاريخ الذي جده الشرحبيلي من جملة أسواق سوس بعد انتهاء الوباء الجارف في عهد السعديين.

أما الصالح بالمسيد الأحمر سيدي علي بوزيد، فله عرف ينفذه إنفلاس تحت رئاسة أمغار. وحول هذا الضريح معدن أسگو (الصبغة الحمراء) كما هو الشأن في صبغة إفري ن الجواد (مغارة الجنون) حول صالح تابلوكوت، وبوجود هذا المعدن المنقول إلى الصويرة كما اكتشف ذلك الآن، بنيت القبة في عهد الشيخ هم 1282هـ في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان، وأيت باعمران، لا يؤسسون معظم مؤسساتهم إلا في أماكن لها سمعتها، كما لا يشهرون ويعظمون إلا من يستحق ذلك، وخاصة المواسم المتعلقة بالاقتصاد حسب كل فصل من الفصول، بقطع النظر عن تاريخ بناء القبة....

ويذكر البعض أن هذا الصالح قديم في عين المكان قبل القبة، وأنه يرجع إلى عهد الموحدين، ويستدلون على ذلك بانحراف محرابه نحو الجنوب، شأنه في ذلك شأن محراب الصالح محند الشيخ بتيزگي، ومعظم المقابر القديمة مازالت منحرفة عن القبلة، وهذا معروف عند المؤرخين ومسجل في الكتب، لأن الموحدين يخالفون المرابطين حتى في اتجاه القبلة، وأيت باعمران أصلا من لمطة المرابطية والجزولية وهم شعار تاگيزولت...

ومعالم سيدي علي بوزيد في هذا الاتجاه الموحد الجغرافي يعد خطأ ماديا، وليس دينيا، فإذا علمنا من جدد معظم قبب الصالحين في أيت باعمران، فإننا لم نعثر على اسم باني هذه القبة، وإن كنت أرجح اتفاق القبيلة مع استيراد المعلمين البنائين من حاحة في عهد أنفلوس مثل صالح تابلوكوت، وصالح وارزگ بجنوب إفني، وذلك سنة 1282هـ /1865م وتلك ظروف حرب تطوان، حيث فرض الاستعمار الإسباني على المغرب تسليم قطعة أرضية لصيد الحوت زعموا أنها إفني ...



وأثناء بحثي الميداني واستجابي لكل من الذاكرة الطالب سيدي الحسين بن سعيد جباري البايهي بعين المكان، والحاج عبد الكريم، وسيدي محند أباراغ وارث الزاوية حول أصل هذا الضريح، ذكروا كلهم أن في عهد الاستعمار الإسباني، قدم أفراد من الأخصاص، يزعمون أنهم من ورثة الصالح سيدي علي بوزيد، وأنهم جاءوا ليأخذوا فتوحات صندوق الصالح يوم مواسمه، وكانت مهمة في ذلك الوقت، ولما طلبوا بالدليل، أقرروا بأنهم يريدون في الحقيقة أن يتولوا الإشراف على مقامه، ويتكلفون بإصلاحاته، لكنهم رُفضوا وهددوا إن رجعوا مرة أخرى، أما سمعة هذا المقام المبارك فلنخصها في النقط الآتية :

1- هناك أقوال تروج الفكرة المهدوية حول السيد الأحمر المقدس يرجعونه إلى عهد المهدي بن تومارت الموحدية ؟ وبعضهم يطلق عليه علي بوزيد بدون سيادة ولا تعظيم، ولا أملك إلا أن أسجل القولة كما سمعوها وأكدوا لي ذلك.

2- لو لم يكن لهذا المقام شأن كبير في اعتقاد الناس، لما قرر العرف موسم ذلك المكان، وخاصة ربطه بالفلاحة التي هي عماد اقتصاد البلاد. فاسم الصالح علي يعد تيمنا بالإمام علي، كما جرت العادة كلما أطلق هذا الاسم، وكلمة بوزيد تفهم منها الزيادة والبركة، والمجتمع الفلاحي دائما يعتقد في التفاؤل، كما ورد في الحديث المتداول : «تفاعل بما تهوى يكن».

3- كان السيد الأحمر، هو الموقع الذي أنزل فيه الأمير علي بودميعة بن محمد بن محند بن الشيخ أحمد أموسى حراسته في أيت باعمران، وبودميعة ببيع سنة 1121هـ / 1709م فلو لم يكن هذا المقام محترما لدى أيت باعمران، لما اختاره هو أو أختير له على الأصح. وهو يعسوب تاگيزولت.

4- تقول الرواية الشفوية : إن حراسة الأمير بودميعة في السيد الأحمر، لم تحصن في بدايتها إلا بإفريگ (الزرب) وبدل ذلك على البداية وعدم الإمكانيات، أو أنه لم يعترف به بعد كسلطة شرعية ؟ ولذلك لما تجرأ رجل محتاج من فخذة إدواگمار بأيت إخلف، فانسل ليلا إلى معاش المعسكر ليأخذ منه ما تقتات به عائلته، قبض عليه حرس

الأمير بودميعة، فتولى هو نفسه استنطاقه مباشرة، ليعلم أن هتك حرمة العسكرية يفهم منها رفض من المجتمع ؟ أو لسبب آخر ؟ ولفخذة إدواگمار بعين المكان، عقود عقاراتهم ترجع إلى خمسمائة عام، وبعضها عند بوتوغا. وتستمر الرواية الشفوية لتوضح أن الحاجة هي التي دفعت المقبوض عليه، وليس عصيانا ولا تمردا، ولا دفعا من الغير، فقال له بودميعة : إذا كانت الحاجة كما تقول : فلماذا لم تسرق من بوج أورومي بإفني وباقي الأحداث مسجلة..

5- جرت أكبر معركة في السيد الأحمر سنة 1308هـ / 1889م وتزعمها القائد إبراهيم بن سعيد الوجداري بدافع من حاكم تيزنيت، والقصيدة لمبارك أموسى الخلفي شاعت وحفظت وسجلت منها :

أبان يژران أ - بابا يا واش وسان  
 ثموت گيس يان وماهال كولون يفرخان  
 غاسان أد گائرگازن ف ويا تيروفين  
 لبارود زود يگيگ رصاص أر يترشاش  
 ثناغان زود يوضان يان غ تاما يان  
 ييسان زود يماداغن يخ يصاب لحال  
 زرتا گالگماض ينغلن ف تالالين  
 لبلغت آتگاد وساغور توتي تيكيوين  
 يشا وشن يشا وگايوار يشا واووك  
 يشا بومحمد لي جو وريشيين لماييت  
 نس وواجدار براهيم غين أغ أك يموت  
 ولا أوا گوماس ولا سول مييا تاساوت  
 ثميغ نك أدوراد يسحرا تازاميت  
 آنتت يفسى ربي غ وسكرف ثما كرفنت



6- اشتهر السيد الأحمر بالموسم الديني بتأسيس زاوية أباراغ طيلة الحكم الإسباني، وخاصة لما منع فقراء أيت باعمران من الذهاب بكثرة إلى زاوية تيمغيدشت، فاكثفوا بزواية تلميذها سيدي محند أباراغ الباعمراني التابع للطريقة الناصرية الموجودة بكثرة في البلاد، أخذ عن شيخه سيدي لحسن التيمغيدشتي الناسك المتعبد، لا يتدخل في النوازل والإفتاء ولا في المشاركة ولا في التدريس، لكنه انكب على تربية المريدين كواسطة بين أيت باعمران وتيمغيدشت، التي كان يقصدها طلبة أيت باعمران، لذلك توجه إليها عشور الزرع بأطنان، وعليها تعتمد الزاوية في تومين طلبتها، ومن أهم الفقهاء المتخرجين من تيمغيدشت القاضي محمّد أويحيى الخلفاوي صاحب عقود مجاعة 1295هـ والفقير محند أباراغ هذا صاحب ضريح متواضع بجوار السيد الأحمر، وهو الذي أشاع تواضع القبور، كما هو في قبة زاوية تيمغيدشت، وقد أدركت أبناءه في نفس التصوف مثل سيدي محند وسيدي أحمد بزوايته بإفني، وهو وطني معروف، وهؤلاء هم الذين استقطبوا المريدين إلى السيد الأحمر، عندما ضيقت إسبانيا على الداهيين إلى الحماية الفرنسية بتيمغيدشت.

ومن أمثال أباراغ سيدي إسماعيل إقيدًا الخلفاوي بتيژكي الذي أفنى عمره الطويل في التدريس بمسجد الصالح سيدي محند الشيخ، وقبره المتواضع في مرع له بجانب جدار أخوريش الذي حفره هو بنفسه ليدفن فيه وهذه العائلة من المريدين.

وهناك الفقيه سيدي مبارك أومثاي الخلفاوي أخذ كذلك عن الأدوزي وتيمغيدشت فجعل داره زاوية للمريدين يعلم الناس أمر دينهم، وهناك عائلة الفقير أحمد بن لشكر أمغار في منكب صخرة إميّش (الحجر الذي يوقد به زناد البندقية وليس إيماشيون القطط) كما مرت هناك رحلة سيدي علي الدرقاوي الإلغي والد سيدي محمد المختار السوسي. فنصب هناك مريدا للدرقاوية الحسين الكود الأمي، ثم ابنه الفقيه سيدي أحمد مدرس بإيسينغ، كما ظهرت الطريقة التجانية لدى الأغنياء بإفني.

وفي كل ربيع أول، يقدم طائفة تلك الجهة بمن ذكر إلى تيمغيدشت، وعندما تولى ابنه سيدي محمد أباراغ المتخرج من أدوز، ثم حج وتوفي 1357هـ وينسبون إلى العلامة

دفين تانكرت بإفران حوالي 958هـ ومن مسجلات أباراغ الباعمراني أن بردًا (قطعة جليدية) سقطت في جبال أشتوكن، وزنت أربعة أرتال، وهدمت كثيرا من الديار، وقلعت الأشجار، وأحدثت أودية عظيمة جدا.

قال عنه الرفاكي: ومنهم الفقيه الرباني الواعظ الصمداني من له راية الارشاد، وخطابه في كل ناد، أفنى عمره في نصح العباد، بصميم الجد والاجتهاد، بني عليه بيت متواضع، وليس قبة كما ذكر، والقبة للصالح علي بوزيد، وهذا خطأ وقع للمؤرخ المذكور الذي أخذ سماعا معركة السيد الأحمر من قصيدة مبارك أوموسي..

وبجانب أباراغ هناك في نفس (لجماعت) عدة أسر كلها بمن يشرف أصالة أيت باعمران، منهم أسرة آل بوشاني وعلى رأسهم القاضي الشاعر العالم الطيب بيمينصورن البوشناوي، وشيخنا في الرواية والتربية سيدي الحسين أبناي، والشهيد أخاجي الذي صارع بالسلاح الأبيض ضابطا فرنسيا في تاغولت نتمزگيدا حتى قتل أحدهما الآخر سنة 1934م. فصنعت لهما سلطة الحماية تمثالا في عين المكان والتي تهدمت وانمحت فيما بعد، بسبب من لا يعرف ولا يحترم التاريخ، كما قلنا في إزالة المدارس العتيقة القديمة حاليا. فتغيرت معالمها التاريخية، كما في سيدي واكاك وأدوز، ومدرسة أيت بوبكر وهلم جراً.

7- وفي موسم الصالح سيدي علي بوزيد، هذا باعت إسبانيا بالمرزاد العلني ماشية الشيخ الحسين أيعزى أمام الموسم كله، فسالت الدموع من الرجال بسبب ذلك الظلم، وتلك الإهانة، والسبب أن أيت باعمران قاموا بنصر السلطان سيدي محمد بن يوسف. ورفعوا الراية المغربية وذلك سنة 1947م فباعت إسبانيا مال من برح بذلك.

8- شارط في السيد الأحمر عدد كبير من الطلبة الأفاضل، أذكر منهم على سبيل المثال: الطيب بيمينصورن، والحسين أبناي، ومحمّد أشتشي الأنكيزاوي العدل، والحمزاي سيدي محمد بن مايدا اليوسفي تلميذ الضحاكي (أدركته مسنا للغاية) وكان يدرس رواية حمزة، فإن لم يوجد مستوى ذلك يدرس الأمهات العربية، أما الذين تخرجوا من هذه المدرسة فهم كثيرون.



ومن شخصيات هذا المقام أباراغ محند الباعمراني، وهو الذي أسس زاويته الصوفية بعين المكان، وهي تابعة لزاوية تيممكيدشت وكان عالما كبيرا يجيز العلماء، وقد نعتته بعض من أخذ عنه وأجازه بقوله: «وأجازني أيضا شيخنا الفقيه الصالح البركة الشهير سيدي محند بن إبراهيم أباراغ البعمراني، عن شيخه الدراكة الفهامة المفسر الصالح المتبرك به ذي المعارف الوهيبية، أبي علي سيدي الحسن بن أحمد التيممكيدشتي»<sup>(256)</sup>.

ومن هنا نعرف أنه من تلك الزاوية الجزولية التابعة بدورها لتامكروت الناصرية، ثم كون أباراغ هذا زاويته بجوار الصالح سيدي علي بوزيد المعروف بالمسيد الأحمر بوسط أيت باعمران، وكانت في خزانتهم مجموعة من المخطوطات لم أطلع عليها، رغم أن الفقيه سيدي محند الحفيد وعدني فلم يقدر لي ذلك، فندمت ولا تحين مندم، وسبب تشوقي إلى ذلك الاطلاع ما رأيته بخط القاضي الطيب البوشناوي الذي قال ما معناه: اطلعت من بين كتبهم على مخطوط يسمى «المخلعة». لكن لما اطلع عليه ذكر أنه أقل بما كان يظن.

وما وجدته مسجلا بإحدى دفتي كتاب مبصر التشوف، على منتخب التصوف، للشيخ محمد مصطفي ما العينين مكتوبا بخط عمنا القاضي جهادي محند بن محمد بن الشيخ همّو: «الحمد لله وحده، مات المرحوم بالله السيد الحاج محند أباراغ ليلة الخميس السادس عشر من جمادى الأولى سنة 1368هـ/1948م فله الله يجعله في أعلى عليين أمين، وذكر السيوطي أنه قال: إذا أردت اختبار حال الميت، أشقي هو أم سعيد؟ خذ ترابا من قبره واقراء عليه ﴿ولو أن قرأنا ميرت به الجبال أو قصعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ إلى قوله جميعا. واجعله عند رأسك حين تنام، ترى حاله والله أعلم» (نفس المرجع).

ومات أباراغ ودفن في عين المقبرة المجاورة في حوش خاص بقبره، ثم استمر ابن المذكور في نفس الطريقة، ثم تبعهما سيدي محند في عهد الإسبان، تشجيعا منهم على قطع الصلة بزاوية تيممكيدشت الكائنة في الحماية الفرنسية، حتى لا تساق إليها

(256) المسول، ج 13، ص 439.

الأعشار، وكان أباراغ هذا يقيم موسما دينيا بمناسبة ذكرى عيد المولد النبوي، وكانت الجماعات والمريدون يفدون إلى داره بالمسيد الأحمر زرافات ووحدانا، حاملين الهدايا من السمن والعسل وما شئت من المأكولات. وقد يأتي البعض باللحم أو الكبش حيا، وكانت الزاوية تستدعي ماهرا في الوعظ والإرشاد والمدح والترغيب والترهيب، وهو ماهر في ذكر سكرات الموت، والسؤال والعقاب في القبر، وأهوال يوم القيامة، وحرارة الشمس في المحشر، التي تغلي منها أمخاخ الناس يوم الحساب، وما يتخلل ذلك من عرق ووقوف الناس أحقابا وأزمانا، ثم يأتي الميزان والحساب في ظروف يقول فيها الجميع: «نفسى، نفسى، أيها الجليل، فلا يغني من تلك الأهوال إلا ما يقدمه المحاسب من الأعمال...».

وكان ذلك الواعظ فصيحاً في الشلحة بحيث لا تسمع حتى رائحة العريية، وكل ذلك الوعظ بالنشر والنظم بالأمازيغية، ويجلس ذلك الواعظ على حائط لا يقل ارتفاعه عن خمسة أمتار، وهو الفاصل بين الرجال في جهة معزولة، والنساء والأطفال في جهة أخرى، وكان المرحوم سيدي أحمد البصير في أباينو الباعمراني آية في الحفظ لمنظومات أقبرت معه، زيادة على بحر الدموع وأوزال وأزناك، وعشرين صفة، ونظم أبوشكر، وكذلك أحمد العامري الواعظ بواحلوات، وغيرهما. إلى حد أن ذلك الوعظ يدهل الناس ويبكى معظم من هاء من النساء، خوفا مما يسمعون من أهوال يوم القيامة، وقد عرفت فيما بعد الواعظ الفقيه البصير سيدي أحمد، وهو آية في حفظ ما ذكر، كما عرفت عنه فيما بعد أسماء تلك المحفوظات التي استفدت منها ومنه كثيرا فيما بعد، وقد امتد به العمر إلى حوالي بداية يناير 2010م. وقد ذهبت لزيارته في أباينو بأيت باعمران شمال مدينة أكلميم، لكي أستكمل ما لم يوجد عند غيره، فلم أجد إلا الزرب الذي غطي به قبره وهو ما زال طريا قبل أسبوع، فدعوت له بالرحمة والغفران، وقد كنت دائما أداعبه من أجل أن أستفيد من ذاكرته، كان أباراغ يستدعي واعظا آخر يأتي من إفران بجزولة، ومنهم الواعظ أحمد العامري بواحلوات المتخصص في المنظومات الأمازيغية الدينية، وله كنانة سجل فيها مجموعة من تلك الأذكار اطلعت عليها عند ابن أخيه السيد لحسن الطالب المتدين الجيد، وكلهم يساهمون في تلك الذكرى النبوية بزاوية أباراغ. قديما، وحاليا انتهى ذلك كله كأن لم يكن له أثر ذكرا وعمرانيا ووراثيا بعد ثورة أيت باعمران.



## موسم الصالح سيدي مسعود أوزينا :

يقع هذا الصالح في القسم الجنوبي لأيت باعمران : أيت باها أويحيا. وفي سنة 1336هـ/1936م رجع أيت بوبكر إلى تعمير سوقهم الخميس، بينما أسس أيت الخمس سوقهم في وسط قبيلتهم بعد هذا الاتفاق :

«وبعد ففي أحد عشر من ذي القعدة الحرام عام خمسة وخمسين وثلاث مائة وألف، اتفقت قبيلة أيت الخمس الباعمرانيين على بناء سوقهم يوم الاثنين في رحبة وجوار الولي الصالح السيد مسعود بن زين بأملو بني موساكنى على يد ورضى حاكمهم واتفاقه إياهم الشيخ السيد سعيد بن الحسين الأسموري، وخصوصا من القبيلة أهل الحل والعقد منهم أعيانهم الآتي أسماؤهم كما سجل في مكانه...»

يوجد هذا الصالح في قبيلة أيت الخمس الحالية في سهل تمر فيه الطريق الرئيسية الرابطة بين مركز تيغزي ومركز مستي (محو) وشهرة هذا الصالح جاءت من اسم موسم تجاري مشهور يقام في الصيف، سمي «بأموگتار نسيدي مسعود أوزينا» كما صار سوقا رسمية للقبيلة منذ التاريخ المذكور، وزينة هذه أم الصالح المذكور، لكن لم نعثر على موقعها ولا على ضريحها، والتسوق يوم الاثنين، والموسم في غشت؟ وفيه تهب حرارة مفرطة من الجنوب، قتلت غير واحد ممن ليس له علم بموعدها، وغالبا كلما اشتدت تلك الحرارة، كلما توقع أيت باعمران الأمطار في فصل الشتاء، حسب التجربة، وهذا ما أدركه الفلاحون المسنون.

والموسم مناسبة هامة لبيع الماشية من كل نوع، فمنها المحلية أو التي يأتي بها الكسابون من الصحراء المغربية، حتى في عهد الإسبان، وكانت عائلة الشيخ سعيد الخمسي هي المشرفة على تسيير ذلك الموسم، وقد قمت بجولة هناك بحثا عن معلومات حول هذا الصالح، فصدق علي هذا المثل «زوند وأنا نزنزان أسادغ دار تخامت» : كمثل من يبيع القفل لساكن الخيمة، والخيمة كلها أبواب، والحق أنني لم أصادف تلك العائلات الكبرى العارفة بما مر هناك من أحداث قبلية.

والمنطقة غنية بشجرة أركان، والعجيب أنني لاحظت مياه الآبار العذبة غير بعيدة عن السطح، والمنطقة صالحة للفلاحة، وتربية الماشية والنحل وغرس أكناري لولا ما

يلحقه جمال الصحراويين بالمصالح كلما دفعهم الجفاف إلى عين المكان، وهم يباغتون ليلا مصالح السكان بماشيتهم كالجراد المنتشر.

وهناك انتشرت عدة أضرحة معظمها مجهول الأصل والزمان، وأغلب الظن أنهم مرتبطون هناك بتربية الماشية، وبالكفاف في المعاش في بادية سهلية تحيط بها المرتفعات تحت سماء صافية، توحى ليلا لمن هناك بالتفكر في المجال الواسع، والمحيط كأنه تحت قبة قناديلها من النجوم، فكيف لا يتفكر الإنسان في خلق السموات والأرض، لا يسمع فيه الإنسان فجرا إلا حفيف الأشجار، وزقزقة الأطيوار، وضجيج الصرار، وصوت المؤذن. وفي تلك الجهة قبب الصالحين من هنا وهناك، أعلاها سيدي الطوال أوغلي. بأعلى قمة جبل هناك، كل هذا لاحظته وأنا بت هناك عند مولاي مبارك لعله من آل بوگارفنا خارج السقف كعادتهم في الصيف لشدة الحرارة، وأكبر قبيل هناك هم أيت أيوب، أما مجموع القبائل فيما بعد، فترجع كلها إلى أبناء بها أويحى في جنوب أيت باعمران، وهم إخوان لأبناء بوبكر أويحى في شمالهم حسب ما لدينا من أعرافهم القديمة المنتمة إلى ذلك الأصل. والأبوة هنا بمعنى الانتساب والانتماء أو من جذم واحد على حد قول ابن خلدون.

وهناك صالح يسمي سيدي وأملحافت، هو قديم جدا، وضريحه في جهة تانگارفنا حيث مدرسة عتيقة علمية وقرآنية حسب تخصص المشارط فيها، منهم من أدركنا سمعته الفقيه المتمكن سيدي أحمد بن محمّد بن محمّد الملقب بهميش، توفي 1334هـ وكان فقيها عالما عارفا بعلم الميراث دراسة وعملا، وكان يشتغل بالقضاء بقبيلة أيت الخمس، مع ملازمة التدريس في المدرسة العتيقة المذكورة بتانگارفنا.

وكان يخاف من الضبع، إلى حد أنه ترك وصية لتحصين قبره حتى لا يأكله ذلك الوحش الذي تسلط على استخراج الموتى من المقابر ليلا بجواره، ثم يجرها إلى مغاراته حيث يغذي جراه، وكان الناس يتعجبون من خوف هذا الفقيه من هذا الوحش ولو كان في قبره، وبعد وفاته نفذت وصيته، وحصن الناس قبره بالزرب المشوك وبالحجارة حتى ما حوله، وقال لي سيدي إبراهيم فقيه المدرسة، ورغم ذلك نقب عنه الضبع من



بعيدا حتى وصل إليه في قبره، فأكل قليلا من راحة يده، فأدركه الصباح فانصرف،  
وكان المرحوم علم بذلك، ومن خاف شيئا سلط عليه.

وكان عالما صوفيا زاهدا مرشدا للعباد، وقد استفته عمنا جهادي محند في بداية  
اشتغاله بالقضاء، في زمن قلت فيه المراجع 1318هـ وهو الذي عرفني بمكانته العلمية،  
إذ قال : «قد قصدته طالبا للجواب منه في مسألة عرضت علي، والكتب قليلة، وأهل  
العلم أقل، فأجابني مباشرة وبداهة كأنه على علم بالسؤال، وكان الحاج هميش معروفا  
في زمانه، محترما لدى الجميع، وتوفي عن سن كبيرة، وغسله تلميذه السيد بوجمعة  
الجراري الذي قال : «وعنه استكملت تعليمي وهو الذي رباني وأنا طفل تائه فاقد  
الوالدين في تلك المجاعة، ولازمته حياته حتى توفي وغسلته ودفن في مقبرة تانكارفا  
وأعاد قصة الضبع» وهذا الأخير فقيه جراري سكن بواد المالح قرب فضالة بحث عنه  
طويلا إلى أن استجوبته. (الفقيه بوجمعة الجراري).

أما الصالح سيدي أواميلحافت : (owamilhaft) كما ينطق به، فمازالت هذه الكلمة  
محتفظة على أصلها، وهي مركبة من (أو + إيبي + الحافة) وتعني صالح باب الحافة  
المدفون في حافة المرتفع هناك في قبيلة أيت السيمور، حيث مجموعة من الصالحين  
محورها تانكارفا، حيث سوق السبت حاليا ومدرسة عتيقة قربها أثر حراسة ترجع إلى  
عهد المرابطين، ومن عمر تلك المدرسة الوراشي سيدي إبراهيم الخومسي لمدة خمسين  
سنة، وله الفضل في تعريفني بالفقيه الجراري المذكور.

ومن أولئك الصالحين سيدي الطوال أوغلي، المدفون في قمة ذلك الجبل العالي  
من جهة قبيلة إصبويا، فقد حل اسم الجبل الطوال مكانه، وبقي اسم والده العالي،  
فقالوا الصالح فلان بن علي في القمة الطويلة، هذا إن لم يكن الأصل «المرتفع العالي»  
وهو أعلى قمة هناك، ويمكن لمن يريد أن يفتح هذه الأقفال المنغلقة منذ قرون، أن يجري  
البحث الميداني هنالك، وكلمة أملاحاف عند البعض هو المزار في تلك البوادي، ونحن  
لا ننكر تفسير الناس لبعده الزمن، فالفهاء كانوا يلبسون هذا اللحاف الأبيض في بعض  
المناسبات، فقد أدركنا بعضهم على شكل إحرام الحجاج. والراجح هو وجود مقام  
الصالح في باب الحافة المرتفعة.

وأشهر وأقدم من عرف من قدماء الصالحين ذوي القرب هناك، هو صالح بعين أبيانو  
سيدي لحسن القريب من أكلميم، وهو من أيت أمغار الباعمراني، وشجرتهم منتشرة  
تضم حتى مولاي عبلا أمغار بالجديدة، وفي حاحة الكثير منهم أقدمهم أوبيهي...

### موسم الصالح سيدي إبراهيم أعبلا بوگورفا :

يتسوق في الأربعاء الأول من شتنبير الفلاحي مستمرا إلى الثمانينات، فتوقف  
بسبب قمار بين الصعاليك بسبب النصب والاحتيال على طفل هناك، فتصارع من  
يهمهم الأمر، ثم بدأ التراشق بالحجارة يوم السوق، فامتد ذلك إلى إشعال النار في  
السوق، فزالت هيبة المقام المحترم، فألغى الموسم منذ الثمانينات، وفيه حاليا سوق يوم  
السبت لكنه بسيط بالنسبة لما حوله من الأسواق، ويمر فيه الطريق المعبد الرابط بين  
تيزنيت عبر بونعمان إلى خميس أيت بوبكر بتيغزي على بعد تسع كلم...

### موسم أسرير :

كان موسم أسرير مشهورا في باب الجنوب، ومرت في عين المكان أحداث اختلط  
فيها الحابل بالنبيل، وفيه زاوية سيدي عامر أوعمران، وزاوية سيدي محند بن عامر في  
نول لمطة والتي أصبحت أسرير تاكاوست أو تاكوست، وهناك سيدي الغازي بأكلميم  
حيث كان تركز تجارة اليهود، إلى أن أحرقتهم بوحلاس الصغير 1207هـ ومن القصابات  
المشهورة هناك : أكاوس، وتاكاوست، وتيزيگنان. (مر إگنان) وجميعها تكون  
تاكاوست من لف أيت الجمل كما ورد في هيسبريس تامودا الجزء السابع. والتاريخ  
مثل النعمة يهضم كل شيء عند غير أهله. وفي أثناء البحث هناك.

أمدني الأستاذ أحمد الدغبرني الباعمراني ببعض الوثائق منها أن عائلة الإسكوباني  
بورتغالية، بدعوى أن هذا الاسم يوجد في دولة بورتغال، ومن هذه العائلة القاضي سيدي  
عبد الله الإسكوباني بهذا الاسم. وهو قاض مشهور وموثوق ومتمكن، ويشرف على  
عدد كبير من العدول، ولحاستي الخاصة، قلت كيف يثق أيت باعمران بقاض ينتمي إلى  
استعمار احتل سواحلهم منذ الوطاسيين إلى أن حرروها بدمائهم في عهد السعديين ؟



ليس لدي إلا البحث عن أصل هذه العائلة التي تحمل هذا الاسم، وفي بعض العقود كتب أحد العدول عقدا وقعه نفس القاضي، فوضح ذلك العدل انتماء هذا القاضي بقوله « وعطف عليه القاضي سيدي محمد الإسكوباني أي الساكن في قرن جبل باني، فالكلمة أمازيغية، والمكان ما زال معروفاً بذلك حتى الآن.

وفي استمراري في البحث الميداني عمن بقي من تلك العائلة، التقيت بالسيد محمد الاسكوباني الذي مازال يحمل هذا اللقب، ففرحت به غاية الفرح، وخاصة بعدما تأكدت من بطاقة تعريفه بالإسكوباني فقال : أنا محمد الاسكوباني الساكن في قرن باني أصلاً، بن علي بن حماد بن إبراهيم بن محمد بن عيلاً الفقيه الإسكوباني بن عيلاً (عبد الله) تركه أبوه في بطن أمه، وأصل عائلتنا أمازيغ فخذة بوحايتك، من دوار أسيرلسيدي محمد بن عمر صالح الضريح بعين المكان.

كان سيدي عيلاً بن عيلاً كتب عدداً من تفريقات القرآن الكريم، وهو الذي بنى داراً في تادارت، فصارت فيما بعد مدرسة يدرس فيها العلم، وحتى الآن يدرس فيها القرآن بمساعدة الكرماء من أيت باعمران، مثل مبارك أوجامع في دوار إغوران، والحسين الدرهم حفيد أيت علي، ومحمد أنجار في موضع إداوسوكم، وبفضل تعاونهم استمرت مدرسة تادارت بأيت علي. حتى الآن.

وأن عائلتنا انتقلت من أسير إلى أيت باعمران في القرن التاسع الهجري، وفي أسير يقيم موسم تجاري معروف بها الاسم (أموگتار) أسير، في 17 ماي الفلاحي كل عام، وكان لهذه العائلة خزانة من المخطوطات، تنتقل من حفيد إلى حفيد، حتى وصلت إلى علي بن حماد، فصاعت لسبب غير معروف، ولم يبق فيها عندي إلا بعض المؤلفات سأطلعك عليها، وفعلاً أنجز حرماً وعد، وهو رجل متدين، حفظ القرآن، وشارك في تحرير أيت باعمران، وانخرط في جيش التحرير في بوزاكارن بقيادة القائد الكبير بن بوزكري، ثم التحق بالجيش الملكي سنة 1960م إلى التقاعد سنة 1992م وقال : ولدت في سنة 1935م على الصحيح، أما معظم مخطوطاتهم فقد انتقلت إلى خزانة أرفاك. عن طريق المصاهرة. وقد اطلعت على بعض تلك المخطوطات ونسخت معظم ما يهمني، فأرجعت له الأمانة.

### أهمية ساحل قبيلة أمستين :

كانت قبيلة مستي، قديماً من صميم أيت بوبكر أو يحيى، فاستمروا في ذلك حتى قسم السلطان الحسن الأول القبائل الكبرى إلى عدة قيادات، وكان عدد إنفلاس أيت بوبكر أجمعين 24 تحت أمغارهم الشيخ هم الخلفاوي. ومنهم أنفلوس من قبيلة مستي، وسنعرف سبب ومتى انفصلت هذه القبيلة عن أمها الأصلية بعد ذلك، وإن تعرضت لغزوات الجنوب. وبعد بحث ميداني توصلت من السيد عبد الله بوفيم المستاوي ببعض الوثائق، استفدت منها ما يأتي :

«إن هذه القبيلة اتفقت على مصلحة أمرهم وجمعهم وضبطهم على مهمات أمورهم كبيراً وصغيراً بعد أن قسموها أثلاثاً الثلث لبني شعيب، والثلث لبني إدتن مع بني نَعَم، والثلث لبني إهريأتن مع إدوگضل مع بني بگتن، ثم اتفقت القبيلة على عشرة رجال يقومون بالجميع. منهم سيدي مبارك بن حماد بن بلقاسم، ويلييه سيدي عمر بن بلخير، ويليها الشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم، والمقدم علي بن الحسين الهزيماوي بن حيمود بن بهوش المگاوي، (إموگائين) ومسعود بن أورغ (أمغار المعروف) ثم عبل بن الحسين يكفي كل واحد منهما على الآخر، وحמיד إزيكتن مع لحسن بن حماد بن صالح يكفي كل واحد منهما على الآخر، وبنر (عائلة معروفة) مع حماد بن داوود ويكفي كل واحد منهما على الآخر، وحماد مع محند مع سيدي عمر كل ينوب عن الآخر، وأحمد بن عبد الله في المثل، فهؤلاء الرجال المذكورون يحضرون بين يدي المراتب سيدي الطاهر، ولا يتأخر منهم واحد، فمن عدم منهم فعليه عشرة مثاقيل. وكتبه من كان الأمر على يديه بتاريخ انتصاف ربيع النبوي عام 1293هـ / (1876م) عبد ربه محمد بن أحمد بن الفضيل السباعي أمنه الله عبد ربه أحمد بن عبد الله السملالي بخطه المعروف الله وليه. الحمد لله وحده. صح الإذن والتعريف من الجماعة وبه يقول عبد ربه الطاهر بن علي السجراتي (السُّكراتي) أمنه الله. انتهى» (نسخة في جوزتنا).

وفي وثيقة أخرى «اتفق جمعهم الكثير على الساقية المائية والحقلة مع نوبة ماء الساقية ورضوا كلهم بذلك بتاريخ أول جمادى الأول عام 1162هـ».



وفي وثيقة أخرى أمدني بها السيد بوفيم أمبارك إمستي حول عرف القبيلة «وبصحة ما بمغلوبه من أحكام قبيلة مست كما كتبه الفقيه الأفخم، الشريف الأعظم، ذو نباهة وسياسة، وفطنة ومعرفة بأعراف قبائل المسلمين سيدي البخاري بن أحمد صالح السباعي، والطالب الرباني سيدي جامع بن الحاج محمد النعماموي، أشهدني الشيخ عبد الله المستاوي بزيادة أن الديار التي فيها حراس بني بيبكر في بلاد بني أنعم إن قدر الله فيها وقوع الإنصاف في وسطها أو حولها، فهم في رفع جميع الإنصاف كان قليلا أو كثيرا، والنصف لقبيلة مست، والربع لحراس مست، وأن دار الفقير مسعود الأصفري، إنصافها مائة مثقال أفرادا كاملة. وبهذا أشهدني الشيخ عبد الله بن إبراهيم الإكضلي شيخ قبيلة مست بأوائل المحرم الحرام عام 1292هـ» (نسخة في حوزتنا).

وهذا عرف قبيلة مستي منه. على ذكر الصالح سيدي محند بن داود بقبيلة مستي عثرت على عرف يلقي الضوء على هذا المقام، كما يأتي بعد الحمدلة والتصلة :

«وبعد فقد اتفقت جماعة آل شعيب كبيرهم وصغيرهم على مقدم الصالح سيدي محند بن داود، على الطالب سيدي حماد بن سعيد، أنه هو المقدم على شروط الشيخ فيه. فيها الزرع كله والصوف إن ظهر، وجلود ما ذبح آل الزيارة كلهم وصندوقه الشيخ، ومن تعرض له في ذلك فيها العوام وغيرهم، فإنه ينصف بخمسة مثاقيل، ومن زفد شيئا (أخذ) من متاع الشيخ من غير مشاورة فيها كالقصة والقدرة وإناء ولم يردها ساعة، عنده عشرة مثاقيل، وإن وجد ثلاثة أرباع من اللحم له الثالث، وإن كانوا اثنين ما له شيء منهم، وإن سرق أحد من الشيخ فيها الزرع والصوف والجلود والدراهم، عنده (عليه غرامة) خمسة وعشرون مثقالا، إن ظهر، وإن لم يظهر واتهموه عنده خمسون مثقالا، اثني عشر يوما في المسجد، وهذا ما شهدوه به علينا، وكل من فتن من الطلبة مع أهل البلاد، فإنه ينصف وربُّه لانفليس المسجد، (تعزيره) ومن فتنوا بينهم نصافه بينهم لطالب المسجد، طال الزمان أم قصر، وكل من قال من الثمانية للمتقدم المذكور بقبض ساروت أو دراهم، لم يعطه شيء إلى فقد (إذا فقد) وجدوا كلهم إن ظهر لهم بينهم يفعلوه، والمتقدم المذكور يقبض ما مضى، وما بقي، وهذا ما اتفقوا عليه (اتفقت) الجماعة المذكورة بحال تمامه وكتبه من حضر إليه بالأداء في افتتاح شهر الله جاد الأولى

في عام 1291هـ/1874م عبد ربه أحمد بن عبد الله الوزاني أصلا، القاطن بحيارة سيدي محند بن داود نفعنا الله ببركاته أمين. نعم من المذكورين تكفلوا بقبضتين من الإدام لإمام المسجد في الشهر، إن كان عالما، وإن لم يكن عالما قبضة للشهر، طال الزمان أم قصر، والعيد بخمسة مثاقيل، ووقية للصائم من القبيلة التي لا شرط لهم، وما بقي من الشيخ وهذا ما شهدوا به علينا جميع ما بحوله عبد ربه أحمد بن عبد الله الوزاني المذكور بحوله والسلام».

ونستفيد من هذه النصوص أن قبيلة مستي بهذا التاريخ خاضعة لحراس بني بيبكر، بما يركي ما ذكر في أحكام 24 أنفلوس إلى 1299هـ. كما أن تاريخ العرف هو عهد المجاعة القاتلة المؤرخة بخمس وتسعين (1295هـ) ورغم تعدد إنفلاس قبيلة مستي قائمة بذاتها ضمن أمها الأصلية أيت بوبكر، وعهدي بالسيد بوفام هذا أن له حسا تاريخيا، وهو من عائلة معروفة هناك يمكنها أن تتوصل بما مر هناك من الأحداث، وما تعرضت له قبيلة مستي لموقعها الهام. ، وأضيف هنا «أن سيدي الحاج الحبيب فقيه تانالت، قد شارط في المدرسة العتيقة لصالح سيدي محند ابن داود بمستي، عندما كان لاجئا إلى أيت باعمران بعد انتهاء أمر الهيبة» (في حوزتنا).

وأضيف إلى ما هنا، رسالة من الخنرال كباص : «الحمد لله وحده. ولا يدوم إلا ملكه. إلى حضرة محبنا الأجل المكرم السيد عبد الرحمان بن الحاج سعيد أمغار مستي، عليكم عاطر السلام والتحية، وبعد : فإن تراكم الأشغال علي قد حالت دون إرادتي التي كانت تدفعني ورغبتني الأكيدة بأن أكتب لك، لأعبر لشخصك لدي من المحبة الخالصة والوداد الوافي، نظرا لحسن قيامك بإدارة شؤون المستاويين الذين أحسن عليهم حنوا خالصا منذ نزولي على شواطئ سيدي إفني هذه مدة سنة والذين قاموا بخدمات جليلة وأبانوا ببراهين واضحة تامة عن محبتهم الخالصة وانحياشهم للدولة الإسبانية وبأيت باعمران، وهذا يدل دلالة كافية بأن محبتنا هي متبادلة، لا يحدث فيها ما يكدرها، وهذا برهان قاطع على درايتكم ووزانتكم وولائكم وصفاء طريقتكم وعظيم خبرتكم بإدارة الشؤون، وأنا أغتنم هذه الفرصة بأن أهنئكم على هذه الخصال الحميدة، راجيا أن تثابروا على هذه الخطة الحميدة، وتزيدوا خيرا على خير، وبذلك يتضاعف



الولاء والمحبة التي يكنهما صدري نحوكم. والله عز وجل يحفظكم ويرشدكم لما فيه خير الجميع، ودمتم في هناء وسرور، تطوان في المحرم عام 1354هـ الموافق 15 أبريل سنة 1935م الخترال كباص طابعه بداخله كباص آمنه الله» (في حوزتنا).

وعبد الرحمن أمغار هذا شخصية زمانه، له دور كبير في مدينة سيدي إفني، ويعد من أول من دخل أيت باعمران صحبة الإسبان، وقد سجلت عنه الكثير، وهو من كبار أعيان أيت باعمران لمدة طويلة.

وهذه رسالة إلى قبيلة مستي : «ألشيخ محمد بن محمد بن الشيخ محمد أكبرم والشيخ المعطي والشيخ لحسن إمستي وكافة الجماعة، كل واحد باسمه سلام عليكم ورحمت الله عن خير الأمير أيده الله وبعد : فإن الشيخ إبراهيم نُن، والشيخ يحيى بن محمد وردا علينا معا، واستفدنا منهما صحة الخبر منهما، وأنت ما هذا التماطل والكسل منكم لم يظهر منكم أحد، وما زال بيننا وبينكم العهد والمحبة كما عرفتم وليس الخبر كالعيان، ولا شك أنكم إلينا ومنا، فكيف بكم حتى لم يظهر منكم أحد، فإن العذر لا يقبل منكم في هذا، ولا ينتسب إليكم على هذا المعنى، إلا لأجل محبتكم بيننا وبينكم والخير كله في رأس الحامل والله يصلح الأمور ءامين، ولا زين من أهل المحبة أن يكونوا من أهل الكسل، بل أردناهم أن يكونوا رجالا والسلام 6 ربيع الثاني عام 1332. محمد مصطفى بطابعه الصغير» (نسخة في حوزتنا).

وتبرز هذه الرسالة مستوى العلاقة بين قبيلة مستي وبين حكام ما العينين إلى حد هذا الإنذار، إن لم نقل تهديد وتنقيص من القبيلة لوصفها بالكسل، ولذلك استغل الخترال كباص عبارات حبه وحنوه على قبيلة مستي ! ..

ومن العائلات التزنيية التي انتقلت من مستي عائلة إدخليفة يعرفون حاليا بالرماني قدم جداهم الأول من زعاير في رحلة الأمير الحسن الأول عندما كان وليا للعهد إلى أيت باعمران، وكان ممن بقي في مستي بموضع إمغارن بإكضل من قادة الحراسة هناك، حيث خلفهم الأمير الحسن الأول لمراقبة شواطئ سيدي إفني وما إليه، فبقي هناك، وتزوج من أيت باعمران عند إمغارن بموضع أدار بإكضل بمستي، ثم انتقل إلى تيزنيت، وترك

بها أولادا منهم المعروف بخليفة بن علال بن مبارك الغزال، وعن هذه العائلة عثرنا على وصول الحسن الأول، وهو أمير، فانطلق من أشتوكن حيث محلته الكبيرة، إلى أيت باعمران وصل بكثيبته تلك إلى مستي، في إطار الدفاع عن شواطئ أيت باعمران، وأكد الأستاذ حسن أدهمون شفويا، أن هذا الأمير، بات عند عائلة مولاي على أحرار ثلاثة أيام، وهو أنفلوس بمستي ولد 1893م وتوفي 1960م. ومن شخصيات قبيلة مستي التي ردت على مراسلاتنا في الموضوع هؤلاء :

عائلة برّو المستاوي وهو عبد الله برّو من قبيلة مستي الباعمراني الذي توفي في حادثة سير، في طريقه من مدينة أگلميم إلى مدينة السمارة في الصحراء المغربية قصد المشاركة فيما سمي بعملة قافلة السلم التي انطلقت من مدينة وجدة في المغرب الشرقي إلى مدينة العيون الجنوبية، وشاعت إشاعات حول السبب، إلا أن السرعة وانفجار عجلة السيارة هي السبب الحقيقي، فمات الطبيب الدكتور برّو عبد الله ومعه دكتور آخر في الطب بينما نجا الاثنان معهما حسب ناقل الخبر، وذلك يوم الجمعة 28 من أكتوبر سنة 2005م، وبذلك فقد أيت باعمران شخصية وطنية واعية بحاجة بلاده إلى مجهوداته في قبيلته، وفي تلك البادية القاحلة التي لا يقبل العمل فيها إلا الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

عبد الله برّو من عائلة محترمة من قبيلة إمستين التي من حوزتها مدينة سيدي إفني وساحل المحيط حتى أساكا، حيث يجتمع البحر والسهل والجبل في تضاريس متوازية، تتكون تلك العائلة من عدة إخوة منهم من يعمل في دولة هولاندا، ومنهم أخوه برّو مبارك الذي وصف بمزعج للسلطة فيما يسمى بفترة الرصاص، عندما كانت الأفكار الشرقية تصدر إيديولوجياتها الجمهورية إلى المغرب ضد نظامه الملكي المعروف منذ ما قبل الإسلام بأگليد الضامن للاستقرار.

والحق أن هناك شخصيات دفعها السياسيون كوقود تحترق وهم في الساحة يقتسمون الكعكة، ومن أولئك الشباب برّو مبارك المستي الذي تولى ثقل الإزعاج في المدن المغربية، مثل الدار البيضاء، إلى حد أن حارت سلطات الأمن في الكشف والعتور عليه لمدة طويلة.



وأخيرا أعلن أنه كان يقوم بعمل سياسي ليلا، ثم يختفي في مقبرة من مقابر الدار البيضاء كفقير يقرأ القرآن على موتى الزوار في المقبرة ويصلي على الجنائز ويدعو بالصبر والسلوان، وبالمغفرة والرضوان لموتى المسلمين.

وشاع أنه لما أحس بالشرطة تقترب من مجاله، قام بشراء مجموعة من النعاج فخرج من البيضاء وهو يرعاها تدريجيا مارا بالأطلس المتوسط إلى المغرب الشرقي، ثم إلى الجزائر دون أن يتفطن به أحد، وذلك ذكاء مفرط، لكن في غير محله مع الأسف، وهل وعى المغاربة قولة الحسن الثاني: «المغرب محسود»؟ فلو وعها ذلك الشباب، لما دخلوا من الحدود الشرقية مدججين بأسلحتهم ضد الوطن، لكن اكتشف أمرهم فقتل برو مبارك في «أحداث مولاي بوعزة» سنة 1973م كما أعلن.

قال تعالى ﴿ولا تنزواzone وزر أخري﴾ (كل شاة علق برجلها) لكن الدكتور عبد الله برو علق بجريرة أخيه الثائر على الأوضاع، إذ بسببه تعرض الطالب الدكتور هذا بالسوس في آخر تخرجه لمدة ثلاث مرات في الامتحانات السريرية فقط، كما حكي لي بنفسه، وأكد لي أنه بريء براءة الذئب من دم يوسف على حد قوله، كما انتزع منه جوازه، واستمرت متابعته لمدة طويلة، اللهم احفظ شباب المغرب من الاستيلاء ومن جرهم إلى التهلكة. والهدف من ذكر ذلك ألا يعاد..

وبعد تخرجه وتأكدت السلطة أنه بريء عين طبيبا في مدينة أكلميم، وفي نفس الوقت انتخب عضوا في المجلس البلدي لنفس المدينة، كما تقدم للانتخابات البرلمانية في لائحة الدكتور الخطيب، وأنفق كل ما يملك في التعريف ببرامجه، لكنه لم ينجح ثم اشتغل بالتنمية ومساعدة الجماعة القروية في قبيلته مستي إلى أن قضى نحبه رحمه الله، وكان آخر لقاء معه أثناء ندوة سيدي إفني، ومن ثم سجلت معه ما هنا في 4/11/2005م. والله بصير بالعباد، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء.

ومن الذين أصابتهم مصيبة الفكر الثوري مجموعة أطلس محمد بن محمد ومن معه من المتابعين باتهامات ارتكبت سنة 1957م وعددهم 17 فردا، ومن الباعمرانيين منهم من قبيلة مستي برو إمبرك المستاوي من عائلة الدكتور برو عبد الله الذي عانى من مضايقات البحث بسبب هذا الانتماء العائلي.

وهناك كذلك من نفس القبيلة مستي الزعري عيسى بن مبارك بن أحمد المستاوي الباعمراني: كان عاملا بفرنسا كما مارس الحياة العسكرية بالجيش الإسباني قبل استقلال المغرب ثم قال: «كنت ضمن فرقة مولاي محند البعمراني؟ التي انضمت إلى منظمة الجيش الأطلسي، وشاركت في معركة بويغرا بمستي ومعركة تاحانوت بلاً بأيت الخمس، ومعركة تيفغيت بأيت إخلف التي قتل فيها مسعود ندوفقيير ومعركة بونكاديرت بمستي، كلها ضد الاستعمار الإسباني 1957م في الثورة التحريرية لأيت باعمران من أجل توحيد المغرب كاملا. ومن الفارين من هؤلاء المتهمين محمد بن سعيد أشتوكي، وسعيد الفتاح سباطة، ولحسن زغلول، وفي أيت باعمران الساكنين وحدهم في أشبار. أما غيرهم فقد اجتازوا الحدود..

ابن سعيد: هو الذي عرفت به العائلة توفى سنة 1954م وله أخ هو الحسين بن محمد بن إيدر بن منصور بأشتوكن، وهو أمغار، وإلى هذه العائلة تنسب قرية تينمنصور، ولسعيد هذا علاقة تجارية مع أيت باعمران عبر القافلة التجارية الرابطة بينهم وبين الصويرة في عهد الحماية، كما ذكر لي الحاج أحمد بازين من آل الشيخ هم، وبواسطته عرفت من هذه العائلة ابن سعيد محمد المناضل المساهم في جيش التحرير إثر الثورة التحريرية لأيت باعمران سنة 1957م كما عرفنا صديقنا المحترم أخاه الطالب الجيد عمر العارف بالمقاومة وبمسارها طيلة ثورة الملك والشعب، وهو من الجماعة السوسية الذين رشحوا للقيادة بعض المقاومين من قادة سوس في بداية الاستقلال، أعرف منهم القائد محمد مروان وعبد الله جوان...

أما المناضل محمد، فقد سبقت له علاقة بأيت باعمران عندما كان طالب علم في المدرسة العتيقة بسيدي بوعبدلي بأيت همان، لمدة ست سنوات، ومن هناك التحق بالمختار السوسي براكش ضمن مجموعة الاثنى عشر من المناضلين، ومن ثم استمرت علاقته لاجئا إلى أيت باعمران في عهد المقاومة، وله دور كبير في جيش التحرير، وهو من المكلفين بتموين جيش التحرير في مشارف أيت باعمران، ولما علم بما يحدثه بعض المنخرطين في جيش التحرير من الأضرار بمصالح بعض الأعيان، كانتزاع منهم بعض الماديات لانقطاع التموين أو لقلته، كان ابن سعيد هذا من المستنكرين لمظالمهم، إلى حد الانتقام منه، ولكن الله سلم.



ومن آثاره هذه الرسالة : «الحمد لله وحده في شعبان 1370هـ / 9 / 5 / 1951م الأخ المحترم السيد محمد بن أحمد النظيفي عصامي، تحايا جليلة وأشواقا تحمل إليكم آلاف التشكرات والإخلاص على ما أبدتتموه نحونا من البشريات والأفراح وما قوي به شخصكم العظيم فكرنا الغير المستقر من الروح المثمر والإخلاص الصادر عن عزيمة قوية، ولتحيا الصداقة ولتحيا الأخوة ولتحيا الاتحاد، أخي وردت علي رسالتكم الغراء صباح هذا اليوم الأغر، وسررت جدا بما احتوت عليه هذه الرسالة العزيزة التي أتتني من صديق بر بل من أخ عزيز وما أبداه الفكر المراكشي الذي طالما تلمص في بحبوحة التروي المقتدية بجهد خالص أخرجته الروح العلمية إلى الميدان ليشاهد مصرع الكفاح ويكرع من حياض التضحية والمقاومة حتى ينال مبتغاه تاما غير منقوص.

أيها الأخ : إنني في شوق عظيم لمتيكم استقرار في قلبي منذ ... منكم وما دامت صلة الغد لليوم والصبح للمساء عديمة الوجود، ولكن يا صديقي الكل في علمك وأرجو من شخصكم أن ينوب عني عند الإخوان المسرحين، في تهنئاتي لهم عما أصابهم وبالخصوص البيضاويان والمولى البصري الفيغيكي أحمد بن الحاج بن الحاج حسين، / والإخوان الآخرون وأخص بالذكر الحامدي، وأحمد بن القامو دادا، والمدني داود، وأخبرهم بأنني ما زلت أبحث عن العمل وأخبرني ببعض المعلومات عما مر أمام الإخوة المسرحين، وبماذا كلمهم الأسود حين خروجهم وأخبرني أيضا بقضية الدين الذي على التلاميذ إزاء الآخرين، وأؤكدك مسئلة جماعتنا المعلومة وكيف تتمشى وموقفها وأنت وأحمد بن القاضي والحامدي أمام مسئوليتها وأخبر الحامدي أنني وأنا أكتب هذه الحروف لا أزال أنتظر كتابك وعلى الإخوان كلهم والسلام ودمتم في يمن وكفاح».

وفي الهامش واعلم أنني كتبت للفيغيكي قبل أن أتصل برسالتكم لما وفاني الخبر أمس عند عمر الحسين (عمر الساحلي المتوكل) أخوكم ابن سعيد وعن عجل مفرط. وابن سعيد هذا من الذين حكم عليهم بمؤاخظة كل من أطلس محمد بن الحاج، ومحمد بن سعيد الشتوكي، ولحسن زغلول، وعبد الفتاح سباطة بجرائم تدبير مؤامرة، وحكم عليهم جميعا بالإعدام سنة 1968م ولكن الله أطال في عمرهم ومنهم من اهتدى إلى الصواب. يحو الله ما يشاء ويتبث، والله غفور رحيم.

### موسم سيدي إفني :

لا يعرف بالضبط متى كان الصالح، وإن كانت الروايات الشفوية تشير إلى أقدميته، ولذلك حاول البعض أن ينتسب إليه طمعا في فتوحات ذلك الضريح، وهناك من أضاف إلى كلمة إفني اسم علي، كما يذكر إدو فقيير المجاورين له، لكن ما أدلوا به من التاريخ القريب غير مقبول، وحاول البعض إلحاقه بالوزانيين كعادتهم في تكثير الشخصيات، وأنه جاء من الشرق، وزعم الإسبان أنه منهم قدم من كناريا بلا دليل يريدون بذلك تصحيح مزاعم المغامرين الذين قبض عليهم أيت باعمران بإفني في عهد مولاي عبد الرحمان (يراجع التسكاتي).

وقديما كان يقام فيه أمثوقار الطلبة من أيت إخلف وإمستين، إلى أن اختص ذلك بصالح تابلوكوت، وأخيرا يقام أمثوكتار التجاري بمدينة سيدي إفني كذلك. فكان أول عمل يربط مدينة إفني بخارجها، عندما بدأت إسبانيا بمد الطريق الرابطة بين سيدي إفني وميرلفت حسب الفرق من مركز إفني بالجيش الإسباني، ولما أنجزوا العمل حتى أمام قبة الصالح سيدي محمد بن عبد الله.

أنجزت فرنسا الطريق من أربعاء السيجل إلى واد سالگماض بالعمل الشعبي (السكان) وبقي اتصال الطريقين الآتي من إفني من طرف إسبانيا والآتي من ميرلفت من طرف فرنسا، وقامت الدولتان بإعداد قنطرة وادي سالگماض في وسط الواد، إذ ذاك استدعى الإسبان قبيلة أيت إخلف لإنجاز عدة أمتار ما بين الطرفين فأنجزوه بدلا من الجيش، ومعنى ذلك أن الشعب الباعمراني رضي بذلك هذا كله في سنة 1946م وكان ذلك أول عمل قامت به القبيلة والبقية تأتي.

وقد شارك في ذلك العمال بين الحمايتين جزء من أيت إخلف وجزء من أيت النص، كل ذلك قد وقع، لكن الناس لا يعرفون ما الهدف من ذلك، وهو الاعتراف التام باستعمار البلاد وبالمساهمة في الأشغال العمومية مستقبلا.

أول مقتول في إفني بشري بن الشيخ ماء العينين، قال الهرجاني البشير المستاوي وهو أستاذ بالنيجير قدم طلبا لإجراء بحث ميداني بأيت باعمران في 3 / 12 / 1996م



لكنه رفض طلبه، وهو البشير بن مبارك بن محند بن علي بن حميدوش بن محمد بُوواركان الهرجاني المستاوي دوار أويبال ولد 1948م.

أسجل هنا ما حكاه هذا السيد والعهد عليه قال : قتل بشري رجما قتله جنان أصبايو وقيل سوويلام أومولود أصبايو من أكادير نلعسارا قرب ويرين.

قال الهرجاني كان جدي للام حمّا الإدريسي من الحاضرين، ومن تلامذة الشيخ ماء العيتين، وحضر القتل مع كثير من آل ماء العينين، وقالت والدة هذا الأستاذ الهرجاني بعد أن تفرق الناس قبيل المغرب، جاءه أبوها حمّا هو ابن أخته حمّادي ولد ألتوفي فدفنا الشيخ بشراي في كفن عمامة حمّا لأنهم سلبوه ملبسه، وقالت أيضا إن محمد بن بكار الهرجاني، وبعد ثلاثة أيام أراهم سروال سالم مباركة التدراريني وهو يفتخر به أي بسروال المقتول مع بشراي وكان لون السروال أسود (كاحل).

وبما قال : رأيت عقد قسمة أيت شعيب لأرض الساحل منها شعبة الغنم وبوتاگوت وأگوجگال الأروية الصغيرة بولقبر كلها جنوب المرسى وترجع هذه القسمة إلى 1172هـ وكتبها صالح بن عبد الله أشعايب ونسخها العدل البوجباوي أحمد والحوضي أحمد هذا ما حكى لي كله شفويا فقط.

من أول اللاجئين إلى مدينة سيدي إفني السيد العبگي سعيد الأخصاصي موضعه إدعلي داود، قال فرضت علينا الحماية الفرنسية الخدمة بشكل صعب في مد الطريق، وعم ذلك الكبار والصغار، فهربت في شهر دجنبر سنة 1946م وقد سلط علي الحسين بن القائد المدني كل أنواع الشدة، فهربت إلى إفني، فعملت في البناء لكثرت، لأن الجميع أخذ يبني منزله، وكانت أجرتي اليومية (لگرش الإسبانية) معناه فرانك وثمان الخبزة (بيرا) أصغر فلس في العملة هو التشيكا.

وما كدت أنجو من كلفة المخزن في الأخصاص فالتجأت إلى موطن الحرية في أيت باعمران، حتى وقعت الحرب في إسبانيا بين الروخو من جهة وبين ثورة كبّاص من جهة أخرى، فانخرطت في الجيش الإسباني وعمري (14 سنة) فحاربت في إسبانيا ثم استمرت فيها من 1937م إلى 1952م.

ولما رجعت عملت في إفني في «الكوشة» هذه التي أمامنا الآن ياجهادي، وكانت هي والبوليسية من مباني مدينة إفني الأولى، ومعني رجل من «البرابر» اسمه بوعزة من زايان صار قائدا، وما زال حيا إلى يومنا هذا (23 / 7 / 2002م).

فسألته عن قبة الصالح سيدي إفني فقال : منذ نزلت هنا فالقبة دائما في مكانها، لكن هناك ما يروجه الشعب ويذكرون أنهم يبنونها في مكان بعيد من مكانها الحالي فنتقل القبة نفسها إلى عين المكان كرامة كما زعموا، ولما سألت ضابطا إسبانيا عن ذلك قال لي : «هناك ثلاث حاجات الأذن والعين والفم، فانظر وتأكد، واسمع وتمهل، وسد فاك ولا تروج ما لا يعقل، واعلم أن المخزن الإسباني والفرنسي سيرحلان من المغرب في يوم من الأيام» قال لي ذلك في سنة 1940م.

وفي مدينة سيدي إفني في 26 / 7 / 2002م بحثت هناك عن بقي من المجاهدين «البرابر» في إفني، فلقيت أفرياض سيدي علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن همّو بن بلا وهذا الأخير طالب قدم من خميس تافراوت ن المولود بالأطلس الصغير وهو أول من نزل بأيت باعمران من عائلتهم، وهو جد سكان ألوراض. ومن شعراء الأمازيغ بتاشلحيت الشاعرة إجو بنت الحاج عبد الله أفرياض، ومن شعرها

ألوراض أ- يگر يجان كولو مو سوتلن  
يفرخان زوند تيزا وُسينت تاناوين  
أ- يرگازن أ يفريگ مال تئاع لآن  
تئاع وُر تليم نك خلا يکيت وُضار

ثم قال : توفيت هذه الشاعرة في إفني حوالي 1987م وكانت هجاء لقبيلة أيت يعزّي بالخصوص، ولها هجاء صعب في الحراطين، وسبب عداوتها هي الحرب التي وقعت بين الطرفين أيت بوبكر وأيت يعزّي الموالين للقائد المدني.

وذكر لي أن أفرياض محمد إمام مسجد نگي ن لمرس دشاييرة في طريق تيكويين، وهو فقيه عنده خزانة عائلته لا تخلو من التاريخ.



ثم قال : هناك في أيت باعمران عائلات كثيرة معظم أصلها هربت من الظلم إلى حماية أيت باعمران، ومنهم عائلة إدبوتيت من مجاط بتاجاجت، وعائلة إيوكالمن قدموا من تانالت بالأطلس الصغير، ومن عائلتنا الشاعرة الأمازيغية بالشلحة إجو بنت الحاج عبد الله أفرياض المذكورة . هذا ما نقلته من ذاكرته بإفني.

### مدرسة تيمكدشت العتيقة :

«كانت قبيلة إيسي من قديم مثابة العلماء والأدباء والصالحين، تأسست نحو 1320 / 1902م فكانت ثانية لتمكروت، فنشرت مدارس الحوز منها مدرسة مژووضة ومتوكة والشياطة وحمر والرحامنة، كلها أو غالبها» (المختار السوسي مدارس سوس العتيقة ص 123) ومنها تخرج عدد كبير من أيت باعمران، عندما كانت مدرسة تعليم وتدرّيس، ومن تخرج منها من ذلك الجيل الربّي :

الفقيه البركة، الصوفي الربّي المدرس طول حياته، المقدم على جماعة المريدين كل عام إلى زاوية تمكيدشت (تيمكليشت) سيدي إسماعيل إقيدا الخلفاوي، أخذ عنه سيدي عبد الرحمان أمزاي تلميذه الذي خلفه في محضر سيدي محند الشيخ بتيژكي، وهو مسن للغاية، إلى حد أن حفر قبره في مركعه يتعبد ويتلو القرآن على شرفتيه، وكان صديقه الشيخ محمّد بن القائد أحمد يمازحه ويزوره غالبا ويقول له : جئت لأملأ بك هذا القبر المحفور أيها العجوز، فكان يرد عليه : بل أنا الذي سأدفنك فيه أيها الأقرع، وكان الأمر كذلك، وبينهما أسبوع واحد في ذلك المركع بجانب المحضر، ولعله أخذ عن الأدوزي كذلك، مثل صديقه الفقيه الصوفي مبارك أمزاي، ومحمّد أباراغ، وكلهم من قبيلة أيت إخلف، وكلهم اشتهروا بمريدي الزاوية وتحفيظ القرآن أكثر منهم من فقهاء النوازل، تبعا لتخرجهم، وإن كانت زاويتهم ثانية مدرسة تامكروت التعليمية . ثم صارت زاوية تابعة للطريقة الناصرية الدرعية، وكان أيت باعمران يدفعون جزءا من أعشارهم إلى تامكروت قديما، وبعدها صارت تدفع لزاوية تيمكيدشت، لعل ذلك في عهد من ذكر ؟ إلى أن أسس أباراغ زاويته في المسيد الأحمر في عهد الإسبان، فلم تعد الزوايا تخرج الفقهاء بقدر ما تكثر من المريدين أصحاب الهيلة والتساييح في الأعناق، إلى حد «أن أهل الزاوية لا عالم فيهم» (نفس المرجع).

يقام موسم تيمكيدشت في 7 من ربيع الأول من كل سنة، وتعطى فيها محاضرات للوعظ والإرشاد بالشلحة من طرف المتمكنين من الفقهاء في اليوم الأول، وفي اليوم الثاني يوزع التمر على الحضور، وفي اليوم الثالث يكون الدعاء العام.

ولكل جماعة وافدة مقدم يعلن عنه جهارا : هؤلاء فقراء أيت باعمران يقدمون هديتهم للمشرفين على الزاوية كالعادة القديمة، وهناك أماكن للضيوف والأكل والشرب، وحول الزاوية عين ماء غزيرة بالوادي مستمر الجريان، وبه تسقى تلك الأشجار وتختلف محاضرات الوعظ من فقيه إلى آخر، لكنها تتفق كلها على مهاجمة الشيطان وقتل النفس والتنقيص من المرأة، ووصفها بأوصاف يندى لها الجبين، إلى حد غرس ذلك في ذاكرة الحضور، ومن ذلك بالأمازيغية :

- 1- ترزّم تَتغويّال غ وسّكرف كّانت أكّ تَغاراسن
- 2- لاسواق وّلا لاشياخ عمّرن آرّبي نو عفو فلانغ
- 3- نغ نّلا لماجليس نديكرو رّيلي مات تّوصالسن
- 4- غ تگيرا ياد نرّمان دّان أكّ ميّدن سوّرواس
- 1- أطلقتم الحميرات من القيود فانتشرون في الطرقات
- 2- ملّان الأسواق والأضرحة نرجو عفو ك يا إلهي
- 3- إذا انعقد مجلس العبادة فلا أحد يحضر إليه
- 4- ذلك شائع في آخر عهدنا فسار الكل إلى الهاوية

والسؤال هو من أين جاءت هذه الثقافة ؟ وأي مصدر صحيح اقتبست منه هذه النظرة الجاهلية ؟ أليست النساء شقائق الرجال ؟ ألسن نصف المجتمع ؟ قطعا ليست هذه النظرة مغربية أمازيغية أصيلة، لأن ربة العائلة تسمى تامغارت، أي سيدة الأسرة وقائدة مجتمعها، موازاة مع الرجل القائد المنتخب من طرف مجتمعه، وبمساهمتها الإيجابية اعترف لها العرف بحق تامازالت زيادة على حقها في الإرث الشرعي، هكذا الثقافة الأمازيغية.



فتحقير المرأة في المنظومة المذكورة بالأمازيغية البريئة منها، لا تخلو من سموم جاهلية طالما حاربها الإسلام قولا وفعلا، ولعل صاحب هذه المنظومة تأثر بمثالب النساء التي نظمها البحتري في هجائه لنصف المجتمع من ذلك :

والشيطان أخرج آدم من الجنة لما أغرى به حواء  
وعلى غيرهن أحزن يعقوب وقد جاءه بنوه عشاء

### ظروف موسم تابلوكوت سنة 1947م :

قال أمغار عبد الكريم : «كان من العادة أن أقوم بتجهيز الموسم التجاري للصالح سيدي محمد بن عبلا، لأنني أمغار القبيلة، ولما وصلت الشاحنة إلى مدينة سيدي إفني قاصدين أنموگار، أرسل إلي الضابط الإسباني الكولونيل خوسي برميخو، ولما وصلت إليه في مكتبه قال لي بلغة مشحونة بالتهديد ! : [ما هي عادة الموسم ؟ وبماذا قمت به بصفتك أمغارا ومسؤولا على هذا الموسم ؟] فأجبت، إنك تعلم كل شيء، فأنت حاكم هنا منذ مدة، فنحن نقوم بما نفعله في كل موسم كما العادة، وأنا استغرب هذا السؤال !

وقال : وهل في علمك أن هناك جماعة من أيت باعمران ستقوم بإحداث اضطرابات في هذا الموسم ؟ قلت له لا علم لي بذلك، ومن هم هؤلاء ؟ فقال : أعلم أن القائد أحمد أصبايو وأصحابه وعددهم حوالي خمسة فرسان، قد تغذوا عند عبد الرحمان الأشكر المستي، (أمغار) وهم يحملون رايات مغربية تحت لباسهم، وهم سيظهرونها في الموسم المشترك بين الحمائتين بتابلوكوت، وفعلا تغذى أوليك عند الأشكر، ثم ذهبوا إلى الركن عند أمغار سعيد، وهناك باتوا يوم الثلاثاء لهذا الموسم، ومن ثم أرسلوا إلى الشيخ بلعيد أمغار لأيت النص، يخبرونه بأنهم سيفطرون عنده غدا الأربعاء، ومعهم رايات مغربية، فقلت له : وما رأيك أيها الحاكم ؟ وماذا ستفعل ؟ قال : [سأرسل حالا إلى ثكنة تيغزي للقبض عليهم جميعا، والإتيان بهم إلى هنا] قلت له : هذا من شأنك، ويهملك وحدك، أما رأيي أنا، فلا تقبض على أحد، ولا تسأل أحدا، فهؤلاء عقلاء البلاد، وكبار رؤسائها، وسوف لا يقومون بأي عمل يعكر الجو، كما أن الموسم يخصني أنا وحدي عرفيا، ولكل واحد من هؤلاء الأعيان موسمه الخاص به، فلا يعقل أن يقوم هؤلاء بمثل هذا العمل، دون أن يشاركوني في الأمر.

وإذ ذاك أخذ هذا الحاكم التلفون، وتحدث مع مكتب تيغزي قائلا لهم : [اتركوا الأمر على ما هو عليه، ولا تسألوا أحدا إلى أمر آخر، قال لي : ومن الآن، فأنت مسؤول عن كل ما سيحدث في موسمك، ونحن سنعزز الموسم بقوة كافية، احتياطا لما يمكن أن يحدث] حدث كل هذا وأنا لا أعرف، وقد اندهشت لهذا الإنذار، ومع ذلك ذهبت إلى الموسم، ثم أخبرت أن أولئك الأعيان، سيتفقون يوم الأربعاء مساء عند أنفلوس الحسين بن يوسف في تيغراتين، وهو مساعدي في القبيلة وفي الموسم، ولذلك طلبت منه أن يتصل بأولئك الأعيان باسمي، وأن يطلب منهم أن يكونوا على جانب من التعقل، وأن الإسبان على علم بكل ما يمكن أن يحدث، وأن حالة الطوارئ قائمة، وكل ذلك سرا بيننا.

وفعلا اتصل بهم الحسين أنفلوس، وأفهمهم الأمر على حقيقته، كما أن الإسبان علموا بكل ما حدث، حسب مقاله أولئك الأعيان في علم الإسبان من طرف أمغار مستي الأشكور الذي تغذوا عنده يوم الثلاثاء، وذلك عادي في الضيافة، لكن أمغار سعيد، هو الذي اتهم أمغار عبد الرحمان الأشكور بإخبار الإسبان، نعم أخبرهم بضيائهم لهم، لا غير، ولا وجود لهذه التهمة، والإسبان كانوا يتجسسون في كل مكان، وخاصة على إمغارن، منذ احتجاجهم على الصبرانية، وكثيرا ما يتهم هذا الشخص المستاوي بلا دليل ولا حجة، ومصدر ذلك علاقته التجارية الناجحة مع السلطة الإسبانية منذ نزولهم بمدينة سيدي إفني، ولأنه أصلا من بدرارة، صار باعمرانيا معتزا بذلك، وهذه شهادة مني له.

والمهم أن أنفلوس الحسين، تذاكر مع القائد أحمد أصبايو، فأخبره بأن الحاج عبد الكريم طلب منكم ألا تقوموا بأي شيء، ماعدا إذا اتفقتم معه، وفعلا اقتنعوا بهذا الرأي، ولذلك لما وصلوا إلى أنموگار (الموسم) قصدوا مباشرة محلي الذي استقبلتهم فيه بكل حفاوة، وتذاكروا في مسألة رفع الرايات المغربية بيننا في الموسم، فتبين لي أنهم لا يتفرون على الرايات المغربية، وأن ما شاع هو الكذب، وكل ما هناك أن هؤلاء تخاصموا مع حاكم إفني حول قضية ما ؟ فجاء الجواسيس لهذا الحاكم بهذه التهمة. لهم.



لكن لما طرحت عليهم خبر حمل الرايات كما أخبرني بها حاكم إفني، جذبوا ذلك واستحسنوه، فقالوا : ولماذا لا نقوم بهذا العمل فعلا ما دمننا متهمين بذلك ؟ فنحن يسرنا أن نقوم بهذا العمل، وننصر السلطان، فاتفقنا على نصره فقط، وبينما هؤلاء يتذاكرون في الأمر معي، إذا بسلطة الحماية الفرنسية تخفي الراية المغربية في هذا الموسم، ووضعت بدلها رايتين فرنسيتين في الأمام، بحيث دفعت راية فرنسية لجنودها على الحدود، وأخرى فرنسية كذلك للمدنيين، لأن الموسم مشترك، ولا أثر للراية المغربية في هذا الموسم، خلافا للعادة، حيث تكون الراية المغربية إلى جانب الفرنسية دائما، ولولا رواج الفكرة ما كنا ننتبه إلى ذلك، كما تأكد لدينا جميعا أن فرنسا، اتفقت مع إسبانيا، وأن كل من قام بشيء سيقضي عليه، ولا مفر لأحد مادام الاتفاق بين الاستعمارين، ولذلك لازمنا الهدوء والحذر، لأن الموسم مشترك بين الدولتين، ولم نفهم لماذا أشعلت إسبانيا - ولأول مرة - مصابيح الكهرياء بهذا الموسم حتى الصباح احتياطا لما ذكر ؟ بينما الناس في غاية من الفرح والتعجب لهذا التقدم. الحضاري الذي جعل الليل نهارا بأضواء لم نرها من قبل بذلك المستوى العام.

البريخ بنصر السلطان، قال عبد الكريم، قلت للحاكم الإسباني في الموسم : لا بد من ذكر نصر السلطان في تبريخ الموسم، لكنه رفض، وبعد مناقشة طويلة بيننا وحدنا، اقتنع وأمرني بذلك، وهكذا ناديت على البراح أوبيهي (الأسمر) في موضع ايسينك، وهو على سطح الزاوية، حيث يشرف على الموسم، فصرت أملي عليه صيغة التبريخ كما كان معروفا :

«لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثلاث مرات، اللهم انصر أجليد سيدي محمد ابن يوسف بن الحسن على الحق، ويهدم الباطل، الموسم للمسلمين، فليبارك الله كل من باع أو اشترى لكن بعد الرضى والقبول، وأما الديون بين الناس فلا يحكم فيها في المواسم، وأن سلعة الكنتربونض مباحة في هذا الموسم حتى يوم السبت، لا إله إلا الله عليه» (كان البريخ كله بالشلحة).

«لبريخ ويلخير، لا إله إلا الله محمد رسول الله، كراط تيكال، أد انصر ربي أجليد سيدي محمد بن يوسف بن الحسن ف الحق، ويهدم الباطل، أتموكتار وي إيموسلمن

إيبيد إيقيم، أد يسريح ربي يان تزنزان، ولا يان تسغان، ماش إقاند أد يقلب ماد تسغا، هان لقيولت ور تلي غ ونموكتار، هان أصروض ور يلي غ ونموكتار، هان أوتو ولا أغارس يرزم نيمزساغن أر أس ن سابت، لا إله إلا الله عليه».

وفعلا مر الموسم بخير، وأن ما وصل إلى حكام إسبانيا كان صحيحا. وأصل ذلك، أن جماعة من إصبويا باتوا يوما عند أنفلوس أوغلي محمد، وهو من مساعدي في القبيلة، وبات معهم مولاي محمد كايمو الخمسي، وكان مخبرا للإسبان ومبلغا لي أنا كذلك بكل ما راج من الأقوال كعادته في الجولان، فأكرمه لضعفه كما يعامله غيري.

وفيما يخص الرايات قال لي الحاج محمد هرواش : «صحيح أن جماعة كنت منهم جاءت برايات مغربية، وبعض المسدسات إلى الموسم، لتعلن ثورة أيت باعمران على إسبانيا ضد الصبرانية بحضور السلطة الفرنسية في الموسم، لكن لم يتم ذلك، ونحن لم ندرك خطورة رفع الراية في ذلك الوقت، ولما ذكر نصر السلطان، كان أولى من الراية في نظرنا». (هرواش محمد معلمة المغرب) مع العلم أن الراية المغربية ذكرت في اتفاقية أمردوغ سنة 1934م مع كباص وحسم فيها، بأن الرايتين لا تجتمعان، ثم أحيي ذكرها مع نصر السلطان الشيخ سعيد 1946م، ثم ذكرت في الموسم المذكور سنة 1947م كما في المراسلة الآتية.

ثم قال : عبد الكريم : «لم يقبض عليّ الإسبان مثل الآخرين، ففسر الناس ذلك بأنني خائن عميل للإسبان، والناس لا يعرفون أنني قد قدمت استقالتي سرا للإسبان منذ أن قدمت لهم احتجاجاتي على الصبرانية، ففرضوا عليّ الإقامة الإجمالية في داري في انتظار الجواب عن قبولها أو عدمه من إسبانيا، وقليل من يعرف ذلك، ورغم أنني نجوت من السجن مثل باقي الأعيان الذين نصرنا السلطان، وأنا أولهم، فإنني تمنيت لو كنت معهم في سجنهم، كما أن الإسبان يعرفون الشلحة، ومع ذلك يفرضون على الترجمان الرسمي، أن يترجم لهم الأمازيغية المستعملة في أيت باعمران طيلة حكمهم، إذ لا تستعمل العربية في البلاد أبدا، وكنت أنا الوحيد بين الأعيان العارف باللغة الإسبانية في مجالس الأحكام، وكثيرا ما يترجم ترجمانهم رأيا بالشلحة خطأ، وذلك يؤدي إلى تحريف كلام الناس للحاكم الإسباني في الاجتماع فيحكم عليه».



وعن حسن النية، صرت أتدخل لصالح المتهم في الجلسة، بدعوى أن المتكلم يريد بكلامه خلاف ما قال المترجمان، كما أن كل من أراد أن يتكلم مع الحاكم، لا بد له من المترجمان، ما عدا أنا، فإنهم يتكلمون معي بدون المترجمان بلغتهم، وكان هذا الأخير، يخاف مني على وظيفته، فصار يحذر الحكام مني، كما ينقل للناس : إن عبد الكريم يتأمر مع الإسبان، وهكذا وقعت في حرج، كما كنت أشعر بكل ما يدور حولي، وعلمت أن المترجمانات يخافون من أن أنقل عنهم ما يضرهم إلى حكاهم الإسبان الذين يعرفون كل شيء، لأن جميع المعلومات السرية تمر على أيديهم، فينقلونها للإسبان، ما عدا ما يدور بيني وبين حكام الإسبان، بسبب فهمي للغتهم، وأنا سادج : (أمعو) وددت لو لم أعرف الإسبانية، فأنا أمي في العربية لفظا وقراءة وكتابة . وذلك نقص أعاني منه طول حياتي.

ولما أحسست بخطر الإسبان، صرت أحيانا أستعين بالمترجمان، لكن الحكام، رفضوا مني ذلك، بل يأمرن المترجمان بالخروج من مكتبهم عندما يتحدثون معي، وربما كانوا يشعرون المترجمان، بأن هناك من يستطيع أن يقوم بمهمته، ويراقب ما يخفيه، وفعلا خلقوا تلك المنافسة لكي لا يخفي المترجمان أي شيء عن الإسبان، وأنا أشهد الله أنني لم أقل للإسبان ولو كلمة واحدة تضر بالشعب، بل صرت عدوا لجرأتي ولمعرفة لسانهم وليتني لم أعرفها أبدا.

وبما عمق عداوة الإسبان معي أكثر، علاقتي بالمقاوم كريم محمد بن إبراهيم، منذ هروبه من الدار البيضاء، وهو من جيراننا ووالده حفيدنا ابن عمتي كلثومة بنت جدي القاضي علي، وعلاقتنا مستمرة منذ الآباء والأجداد، وهو وطني مقاوم معروف، مما فرض بيننا ثقة كاملة، وأنا أمغار القبيلة، مسؤول أمام الإسبان عن كل مقاوم فر من سلطة الحماية الفرنسية إلى أيت باعمران، إذ فرض على كل أمغار، أن يخبر السلطة الإسبانية بكل لاجئ، بل أعلن لهم أن لا خطر منه، وأنا المسؤول عنه، وبلغ عدد اللاجئين حوالي 600 فرد، وهم متركون في مدينة سيدي إفني، ما عدا من له أسرة في البلاد، كابن إبراهيم هذا بجوارنا، ولا يناديني إلا بخالي، ويقص علي مغامرات الفدائيين بالدار البيضاء، حتى سلبي، فصرنا مؤمنين برجوع السلطان إلى عرشه، وخاصة لما اقتنع

الشعب برؤية السلطان محمد الخامس في القمر، والشعب عندما يؤمن بشيء لا مجال لانعكاسه، وهنا اقترح علي الانخراط في المقاومة وبميزة عالية جدا ؟ واتفقنا على أن ترسل إلي المقاومة رسالة رسمية، تتهمني فيها بالخيانة، وعليها، صورة مسدس، فأقدمها أنا إلى السلطة الإسبانية، وأطلب منهم حمايتي، وذلك بأن تسلم لي السلاح فقط بدون الجنود، ثم أقدمه للمقاومة سرا. وضرينا موعدا للتطبيق ونتيجة ذلك.

في يوم السبت لموسم الصالح سيدي أحمد أموسى، أرسل إلى الفقيه سيدي مَحند أباراغ، لأزوره في منزله بالمسيد الأحمر، بطلب من ابن إبراهيم، صحبة والده الحاج إبراهيم إيجوي، وابنه الحسين ومبارك بن بلعيد أوشلايح، ويكون اللقاء عند محمد بن البشير نبارو اليعزاوي قرب مدرسة بوكارفا مساء.

وفعلا اجتمعنا بداري، ثم سافرنا ليلا، لكنني احتياطا أرسلت إلى ابن خالي الحاج مبارك، فأخبرته بكل ما راج، ودفعت له بندقية خماسية مع رصاصها، ومعه المقدم محمد بن مبارك أضرصور، فدفعت له كذلك بندقية أخرى وما يكفي من الرصاص، وطلبت منهما أن يذهبا خفية إلى فدان أكناري المحيط بدار بارو اليعزاوي بجوار بوكارفا ليلا، حيث اقترح علي الاجتماع هناك، وطلبت منهما أن يكونا على أهبة تامة، لما يمكن أن يدبر لي شخصا هناك.

وقلت لهما : فإذا كانت هناك خيانة أو غدر أو محاولة القبض علي أو القتل، فعليكما ألا ترحموا أحدا ممن حضر هناك وأنا منهم كذلك، فليقتل الجميع، ومعني طبعا مسدس احتياطا أهداه لي الخنزير فرانكو، وهو من النوع الممتاز.

وفعلا تم اللقاء بدار المذكور بارو. وهو رجل وطني من المقاومة، ومجهوده لا ينكر في توصيل الفارين من تزنيث إلى إفني، وبعد تناول العشاء طلب ابن إبراهيم مني أن أخرج من بيت الاجتماع إلى خارج الدار ليلا، لإجراء مذكرات وفعلا خرجت ومعني ابن إبراهيم والبشير بن أمغار اليعزاوي، ومحمد بن عبلا إيجوي، وكلهم من المقاومة، ومعنا المضيف محمد بن البشير.

فقال ابن إبراهيم المطلوب منك أن تطلب من الإسبان أن يدفعوا لك ثمانية بنادق برصاصها لتضعها في دارك، مدعيا أنك في خطر بعد الرسالة التي بعثتها لك بها، وبعد



ذلك، تدفع لنا ذلك السلاح، فنهاجم به على الإسبان، والحق أنني لا أتصور ذلك الهجوم؟. وقلت له: هل نستطيع نحن أن نفعل أكثر مما فعله محمد الخامس؟ أقصد هذا الاستقلال الذي جاء به للمغرب؟ وبعد هذا فلا يصعب عليه أن يحرر أيت باعمران كذلك، أما أنا وأنت فإن قمنا بشيء آخر، فإنما سنجنني على أنفسنا، ثم أؤكد لك أمام هؤلاء الرجال، بأنني لا يمكن أن أغدر بالإسبان ولا بالمسلمين، وأنت تعلم أن للمغرب سلطانه، وأن لإسبانيا حاكمها، ويمكن لهما أن يفعلا أحسن الحلول، لكن إذا كنت أنت قادرا على أن تفعل أي شيء بالنسبة لتحرير أيت باعمران، فأنا مستعد لأن أنضم معكم لكن بشرط أن أرى الفعل أمامي والقوة الكافية، فانتهى الكلام». (مذكراته معلمة المغرب ج 20 ص 6882) كان هؤلاء على علم بصدقة عبد الكريم القديمة مع الإسبان، فأرادت المقاومة أن تستغل صداقته مع الإسبان، ومن ذلك ما يأتي:

«الحمد لله وحده، إلى صاحبنا الشيخ عبد الكريم، بن الشيخ الحسن الخلفي أمرك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد: فقد ورد علينا تحرير مودتكم فقرأناه مسرورين غير أنه ما وجد سيادة القنص هنا بمراكش، بل غائبا لبلد إسبانيا، وعن شهر أو شهرين سيقدم إن شاء الله، وكل ما ذكرتم لنا أحاط الذهن به علما وصرنا بذلك غريقين في بحر الممنونية متقلدين عقود الإفضال، نسأله تعالى أن يديم لنا صداقتكم ويقدرنا على مكافأتكم بالأفراح السعيدة، هذا ونعرف حضرتكم - أدام الله مسرتكم - أن رجاءكم مقبول وسؤالكم مأمول وكل أمر تطلبونه نسعى فيه بغاية الجهد حتى نصل بعون الله إلى منتهى القصد، وهذا أمر غني عن البيان، ولا يحتاج لدليل وبرهان، لأنكم عندنا من أعز الأصدقاء المقيمين على عهد الوفاء ويهمنا ما يهمكم ويصرنا ما يصركم؟! وها بقية الكلام في رأس الحامل وبه الإعلام وعلى تمام المحبة الأبدية والسلام حرر بمراكش في 16 ربيع 2 عام 1353هـ خليفة القنص / 1932م. الطابع «Consulado de espana Marrakech» (حوزتنا) ولا أدري تفسير شفرة يسر بالصاد؟! وهذا نص عجيب يرجع تاريخه إلى ما قبل مؤتمر أدار وقبل اتفاقية الهناء 1934م وأن عبد الكريم والأعيان متفق عليهم مسبقا. بين الحمائيتين.

### مطالبة الشيخ سعيد بنصر السلطان:

«سعادة الحاكم الكبير نائب الدولة الإسبانية (المصون إليه) بأية سيدي إفني والصحراء الكورونيل برمينخو، سلاما تاما وبعد: فنعلمك بأن القبطان كنيو صرح لنا بأن لا يكون التبريح في الأسواق بنصر السلطان المغربي سيدي محمد بن يوسف، وأشرنا له أن هذا الكلام سعد فيه الكورونيل بملاقنتنا معه، وساعد بأن يخطبوا فيه في الجمع الكبير. والآن نحبك بارك الله فيك أتنبه هذا الكلام لما نصحتنا به ولا تسمع للقاتل ولقاه في أيت باعمران، لأنهم عند خدمة المخزن التي ألحقتهم، وسيزيد فيه جدا، لأنهم ما جعلوا ذهنهم إلا فيك، ولا يتركوا عندك، وكلما أمرتهم فيه يفعلون في الحين، وعلى هذا نعلمك ودمت في عز سالمين والسلام في 20 رمضان سنة 1366هـ/1946م والجواب بما ظهر لسعادتك. سعيد بن الحسين الخمسي».

### توضيحات ضرورية منها:

- 1 - ينبغي الانتباه إلى ضعف أسلوب الرسالة المترجم من تاشلحيت مثل (ألحقتهم = احتلتهم)، (للقاتل ولقاه = لا تسمع للتقولات ولا لقيامهم) ..
- 2 - كانت فكرة نصر السلطان مع الإسبان من الشيخ سعيد قبل موسم تابلوكوكت.
- 3 - فهم الشيخ سعيد كما فهم عبد الكريم من حاكم الإسبان نوعا من المرونة في انتظار القيام برد الفعل، إذ ساعد بعضهم ورفض لبعضهم.
- 4 - ظهرت فكرة نصر سلطان المغرب في سنة 1946م، لكن لم يطبقها أحد إلا أمغار عبد الكريم بالموسم المشترك 1947م، لأن كل من خالف الإسبان يمكن أن يكون لاجئا إلى الحماية الفرنسية في عين المكان، إلا أن الأمر كان مدروسا بين الدولتين حتى لا تقع فتنة في موسم مشترك.
- 5 - بعد هذا الموسم، تابعت التبريحات في أسواق أيت باعمران كلها، إلى أن استكملت إسبانيا قوتها، ففاجأت الأعيان بالقبض على جلهم، كما التجأ الآخرون إلى



الحماية الفرنسية، يطرقون كل باب، إلى أن استقل المغرب. في 2 مارس 1956م. وظن الجميع أن استقلال أيت باعمران من نفس المملكة، فاحتفل الجميع، لكن قضية إفني من أخطر المستعمرات حسب معاهدة تطوان 1860م.

ليلة عيد المولد سنة 1957م :

«جرت العادة في عرف أيت باعمران، أن يكون لبريح في السوق الذي قبل العيد بإقامة تأسوت في اليوم الذي يكون قبله في جميع أيت باعمران، لقضاء حوائج العيد، مثل عيد المولد سنة 1947م إذ قدم الكولونيل بارمينخو حاكم مدينة سيدي إفني، إلى خميس أيت بوبكر بتيغزي، وفي الصباح الباكر، أحاطت القوة الإسبانية بالسوق، من كل جهة والناس في غفلة مما يدبر لهم ثم أرسل الضابط المذكور كار السائق الريفي (الحافلة) المشحونة بالجيش، إلى موضع إدمبارك أويحيا بقبيلة أيت الخمس، للقبض على الشيخ سعيد في تأسوت هناك، وهو من أكبر الشخصيات الباعمرانية الوطنية وهو الذي أوى مجاهدي الأطلس، ورفض الحضور في اتفاقية ثلاثاء الأخصاص، وهو الذي جاء برسالة الهناء من جهة تيزنيت للذهاب إلى الأخصاص، وهو دائما متعلق بالمملكة المغربية مع بوذايم، وللشيخ سعيد سمعة كبيرة وطنيا وشعبيا وتغنت النساء بنقله عبر الطائرة إلى سجن الداخلة هكذا :

\* تلاً طيارا غ إكنوان ما توسي؟ توسي الشيخ سعيد د وگليد أتوسي \*

وفي نفس الوقت، توجهت فرقة من الإسبان، إلى قبيلة أيت يعزى للقبض على أمغارهم الشيخ الحسين، لكنه هرب والتحق لاجئا بالمغرب المحمي، بعدما تبادل الطلقات مع الذين قدموا للقبض عليه، ثم دخل الحدود المغربية، وأصل عائلة أمغار هذا من جزولة في موضع إمكران، كما أكد لي ذلك الأستاذ الحاج إبراهيم جمالي الملقب بأروها، كما توجهت فرقة أخرى إلى قبيلة أيت عبلا للقبض على أمغارها الشيخ بارا بن العسري، أما أمغار بلعيد البوبكري من قبيلة أيت النص، فقد حدث أن كان في السوق، فأخبره أحد بما يدبر له، فذهب مرتين إلى المدرسة العتيقة بجوار السوق ليختفي فيها، لكن لشجاعته، رجع إلى السوق، لأنه لا يرضى أن يقال عنه هرب.

فأطلق عليه القبض، وسلم للجندي المعروف بحميدو صحبة نصراني، وساقاه إلى الكار (الحافلة) ثم إلى مدينة إفني، وركب الناس معهما، فقال لي أخي جهادي الحاج أحمد : «كنت مع المقبوض عليهم في الحافلة التي نقلتهم، ونحن نعد ذلك مجرد استدعاء، ولو شئنا لحررنا المقبوض عليهم، لضعف إمكانيات الإسبان، الذين استعملوا الحافلة العمومية، وقد قطعنا كل تلك المسافة بين تيغزي وإفني بحراسة شخصين فقط، والأمور كلها عادية، وأن ما حدث مجرد استدعاء مستعجل» (جهادي الحاج أحمد عايش الأحداث).

أمغار عبد الكريم يقول : «لم أتسوق في ذلك اليوم، لهذا أرسل إلى ذلك الضابط سائقه بنفسه في سيارته ليأخذني من داري بتيغزي على بعد (9 كلم) وفعلا أركبني بسرعة، ولم يمهلني حتى لمدة أخذ ملابسي، بل ركبت معه مكتفيا بلباس قميص أبيض، واضعا جلبابي على كتفي الأيمن، كما علقت مسدسا على كتفي الأيسر، وبسرعة دخلت على الكولونيل بارمينخو وحده، على حالة قصوى من الهستيرية، وهو متشنج الأعصاب، مصاحبا الترجمان، وبعض كبار العسكريين الإسبان، فقال لي بالإسبانية التي أعرفها : [لماذا لم تتسوق اليوم؟ قلت له لا غرض لي في السوق، مادامت السويقة ليست رسمية، فقال : وهل تعرف أن جميع إمغارن قد قبض عليهم اليوم؟ قلت له لا. فقال : إذن أعلم ذلك، وهل تعرف لماذا لم يقبض عليك أنت كذلك؟ قلت له لا، قال : لم يقبض عليك بسبب الاستقالة التي طلبتها من المخزن منذ نصر السلطان]. وفعلا طلبتها عندما بدأت إسبانيا عملية الصبرانية، فقال لي : «إلزم ذلك حتى يأتي قبولها من إسبانيا، وكذلك منذ اليوم، بدون سفر ولا سوق ولا ملاقة» وهكذا فعلت إلى أن طلب مني الإسبان مرة أخرى أن أرجع للعمل معهم كأمغار في قبيلة أيت إخلف عندما خلت جميع القبائل من شيوخها المقبوض عليهم، فصحح الناس علي ظلما أنني مع الإسبان. ثم قال : وفي مساء ذلك أرسل إلي بومارث ليلا من إفني، يخبرني بجميع من قبض عليهم في مدينة سيدي إفني بكل تدقيق، وإذ ذاك فقط أدركت خطورة غدر الإسبان في السويقة العامة.

أما القائد أحمد أصبايو في سويقة ثلاثاء إصبويا، فقد قبض عليه الإسبان في مكتبهم غدرا، فتسرب الخبر إلى المتسوقين، فهاجموا على مكتب الإسبان فانزعوا من جنودهم



البندقيات، فافتكوا القائد بعد تبادل طلقات نارية، فلجأ مع من ثار هناك إلى المغرب المحمي، وانتهى الأمر. بسلام». (الحاج عبد الكريم)

بعد تبريح بنصر السلطان محمد بن يوسف سنة 1947م نشرت جريدة العلم تحت عنوان حوادث خطيرة بإفني منها : «وردت علينا - والجريدة ماثلة للطبع، أنه جرت حوادث خطيرة بإفني يوم الأحد الماضي، إذ هاجمت القوات الإسبانية بعض الهيئات الوطنية، وألقت القبض على كثير من الزعماء. وسنوافي القراء بتفاصيل عن هذه الحوادث في العدد المقبل بحول الله» وعن نفس الجريدة السنة الثانية عدد 294 يوم الجمعة 5 شوال 1366هـ موافق 22 غشت 1947م - وكان ثمن الجريدة 5 فرنكات، وقد أمدني أخي جُهادي الحاج أحمد بهذه الجريدة، لكن لم أتمكن من العدد التالي لنفس التاريخ أعلاه، وهو ولا شك - إن نشر - سيوجد في أرشيف الجريدة، وقد استجوبت عدداً ممن عايش الأحداث، ومنهم من تعرض للحكم عليه بالإعدام مثل :

أحمد الديب الأيوبي : رجل مقاوم وطني جريء، بارع في الجدل بالأمازيغية والإسبانية، يدافع عن الإسلام متشعباً بالدين، عاني من سجون الإسبان، يحاضر أكثر مما يستمع، معلوماته العامة بسيطة، نيته صادقة في التصحية، فهو لسان مجتمعه الباعمراني البدوي، قال لي في يوم : 14 من شهر ماي سنة 1978م. إن مقاومة أيت باعمران تلقائية من صميم تطور أهداف السلطة الإسبانية. نعم كانت فعلاً منذ سنة 1947 م وأيت باعمران مثل خلية النحل، فهي تخدم نظامها بشكل طبيعي، لا تثير الأنظار، لكن متى مسّت تلك الخلية في صميمها، هاجت ونعرت وأهاج بعضها البعض، وهمها الهيجان والسعار (imswi) ومتى لسعت ماتت، وأيت باعمران كذلك تهيجهم رائحة البارود، أكثر مما تخوفهم، والدفاع عن الحق أعلى من حياتهم.

أما مفهوم السياسة في سنة 1947م كمعناه اليوم، شبه مجهول، أما سبب ظهور فكرة المقاومة، فقد جاءت من فعل الإسبان عندما بدأوا يلصقون مناشير على الجدران في مدينة سيدي إفني باللغة الإسبانية، مكتوباً عليها [هذه الأرض هي أرض إسبانية] ومن هنا بدأ الناس يتساءلون ما معنى ذلك؟ وما المقصود منه؟ وما ينتظر من وراء ذلك؟

ثم لم يمض إلا قليل، حتى شرع الإسبان يكتبون بالإسبانية على ورقة التعريف الجنسية الإسبانية. لبعض التجار المسافرين إلى الخارج.

فكانت مكاتب الحماية الفرنسية بتيزنيت، حيث مكتبتين : بيروأعراب والثاني بيرو الكوفة، الخاص بالأجانب، فيقال لأيت باعمران في الأول : لستم مغاربة، فجنسيتكم إسبانية، فذهبوا إلى مكتب الأجانب لتأشير ورقة الإذن بالمرور (التسريح) وهكذا وقع لأيت باعمران عند زيارة كناريا وفرانسا. فصار كل من رجع من السفر ينشر ما وقع له، فبدأ التساؤل، لأن الناس لا يفرقون بين الدين والجنسية، ثم راج ذلك في مدينة سيدي إفني، وخاصة بين التجار المسافرين، ثم جاء تأكيد ذلك من إسبانيا نفسها، في كناريا، سواء بسواء، فصارت رخصة السفر بينهم كدولة واحدة، ولما استفسروا عن ذلك في إسبانيا نفسها، فسر لهم من طرف المسؤولين عن التأشيرات أن جميع أيت باعمران هم الإسبان، ومفهومنا أننا نصارى». انتهى (استجوب أحمد الديب الباعمراني 1978م).

وهذا نموذج آخر الحاج لحسن فالاً بالكوكي عن مشاكل الجنسية قال :

«أخذت جواز السفر من الإسبان بإفني سنة 1957م قبيل الثورة بقليل، فسافرت عبر الطائرة من إفني إلى طرفاية، ومنها إلى كناريا، ثم إلى إسبانيا بمادريد، وفيها طبع لنا فيها قنصل فرنسا بواسطة باعمراني يعمل فيها، وليس في قنصلية إسبانيا، ونحن ستة من أيت باعمران، ومنهم لحسن أوژرو، ومحمد بن مبارك بن بنداود، وأنا فالاً لحسن، كلنا من قبيلة أيت إخلف، ولما وصلنا إلى باريس، عوض لنا جواز الإسبان الذي فيه الجنسية الإسبانية، بجواز آخر بالجنسية المغربية، ثم أخذت منا جميع جوازات الإسبان، فأحرقت أمامنا، لأن لحسن بن ويمينگ الخلفاوي الباعمراني، كان يعمل بالقنصلية شواشاً، وهو الذي ساعدنا، فزادوا في أعمارنا في الجوازات الجديدة المغربية، لكن قيل لنا من الآن لستم من أيت باعمران، بل أنتم من أقاليم أخرى بالمغرب، ولذلك عينوا لي موضع ولادتي في إساقن نايت هارون (جهة طاطا) مع أنني ولدت في تابلوكوكت، وبقينا أفاقيين، إلى أن استقل إفني، وردت لنا أصالتنا ومقرنا بأيت باعمران» (حالة طبقت على الكثير) وكثير من كناش حالات المدنية الإسبانية، عوضت بأكلميم وبويژاكارن وتيزنيت وبالدار



البيضاء، قد ارتكبت فيها أخطاء في الألقاب والأسماء وتاريخ الولادة وموقعها لمحو الجنسية الإسبانية على الباعمرانيين قصدا وتعمية، وتلك تضحية كبيرة...

أوردت هذه المعلومات لنرى ما تعرضت لها هوية أيت باعمران في عهد الاستعمار الإسباني وما ترتب عنها، كغيرة شاوش باعمراني حول كل شيء لاستمرار الجنسية المغربية في الوقت الذي يتهافت البعض على تغيير جنسيته من أجل الحصول على الجواز الأخضر لولادة طفل في دولة أجنبية ليكسب مظلته كمستلب! فكم من عائلة سافرت في إبان المخاض لتكسب عقد الازيداد لولودها خارج هذا الوطن!؟!

### تحايل الإسبان لتجنيس أيت باعمران :

منذ خروج الضابط الإسباني الكلونيل كَبَّاص في سيدي إفني، كتب بأصبعه على رمال الموقع تاريخ 6 أبريل 1934م، أمام الجمهور الذي استقبله هناك، فكان يعني بذلك تحقيق آمال الدولة الإسبانية في النزول في قطعة مجهولة لصيد السمك تسمى سانتاكرور ديمار بيكينيا (الصليب المقدس للبحر الصغير) التي زعمت أنها وعد لها بذلك دون تعيين في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وهنا يأتي سؤال : فهل يحق لسلطان ما شخصيا أن يتبرع بأي وجه من الوجوه بمترو واحد من الوطن الذي أؤتمن عليه؟ ليس له ذلك، بل إن فعل ذلك صار خائنا لوطنه وشعبه ودينه كما وقع للسلطان المسلوخ السعدي في حالة الفوضى، فكيف يحدث هذا للسلطان سدي محمد بن عبد الله القوي المعترف باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية، وهو شريف علوي. مغربي يقوم بفك أسرى المسلمين ويحاور الأمازيغ بلغتهم. كيف تصح عليه مزاعم الإسبان والشعب كله معه لتحرير الشواطئ؟.

صحيح أن إسبانيا منذ ذلك التاريخ، صارت تتهافت على احتلال موقع مناسب لحماية جزر كناريا في ساحل المغرب، وخاصة أيت باعمران، وقد زعموا أن الصالح سيدي إفني يرجع أصله إلى كناريا، ولذلك ركزوا على بُرُج أوروامي، لكنهم عجزوا عن إثبات موقعه، وبعد حرب تطوان، فرضت إسبانيا على المغرب - في ظروف قاهرة - المادة الثامنة من تلك المعاهدة الظالمة.

وزعموا أيضا أن السلطان محمد بن عبد الرحمان، تكفل لهم بذلك، إذا أظهرنا لسكان أكلميم إذا مزورا، لكنهم عجزوا عن إثبات مطلوبهم، ثم قاومهم السلطان مولاي الحسن الأول، وبعده مولاي عبد العزيز، فبحثوا مع لجنة متخصصة في كل هذه الشواطئ، يحاولون إثبات مزاعمهم الاستعمارية بمغامرات روادهم، وللنكليز والفرنسيين مغامروهم في لباس كإسلاميين في الصحراء كما يأتي :

### نموذج من المغامرين الرواد :

منهم رحلة المغامر الإسباني خاوكين كاتيل : Jaoquin qatel إلى وادي نول سنة 1865م / 1282هـ فطبع عمله 1877م بعنوان زيارة للمغرب ! ثم يليه مغامر آخر اسمه سيرفيرا : Cervira وكيروگا Quiroqa وريزو Rizzo كلهم إسبانيون...

«وفي المؤتمر الدولي للجزيرة الخضراء في 7 أبريل سنة 1906م وقعت خمسة عشر دولة بما فيهم المغرب على إدخال إصلاحات تستند على أساس سيادة صاحب الجلالة السلطان واستقلاله ووحدة تراب ولاياته والحرية الاقتصادية بدون حيف» وإلى تاريخ هذا المؤتمر، يقصد الضابط كَبَّاص الإسباني بكتابة ستة من أبريل على رمال سيدي إفني بخروجه من البحر سنة 1934م. لكن كل ذلك ألغته الثورة التحريرية لأيت باعمران باتفاقية فاس 1969م في عهد المغفور له الحسن الثاني. فهل عرف الشباب المغربي اليوم ذلك الدفاع عن المغرب من السلطان محمد بن عبد الله منذ 1184هـ/1770م عندما حاصر الإسبان في مليلية المغربية فاستمرت تلك المقاومة حتى الآن في الصحراء، فكيف يتصدق هذا السلطان ما أتعب الملوك العلويين حتى تحرر إفني بمقاومات من 1770م إلى 1969م. لمدة 199 سنة.

### كيف صارت البقعة المزعومة مستعمرة :

عانى المغرب من أطماع الإسبان في السواحل السوسية، زاعمين أن أحد السلاطين وعدهم شفويا بقطعة أرض قدر ما ينزلون فيها لصيد الحوت، ونظرا لعدم الضرر في ذلك، راسل السلطان مولاي عبد العزيز العمال المجاورين هكذا :



«خدينا الأرضي القائد البشير الصبوي وفقك الله وسلام عليك وبعد : فغير خاف أن جنس الصبانيون كان طلب حياة سيدنا الجد قدس الله روحه الإنعام على بعض الأفراد في النزول بمحل من ساحل تلك الناحية السوسية بقصد اصطيد الحوت من البحر لا غير، وبنواهم به بقدر ما يستقر فيه النازلون لذلك... قرب إيفني، ويحده طولاً وعرضاً بقدر ما يبنون فيه للاستقرار والاصطياد فقط. على الوجه الذي لا مضرة فيه من الجوار بحول الله، وقدمنا لك ولغيرك من خدامنا العمال المجاورين الإعلام بما ذكر، لتكونوا على بال من الموجهين لذلك الساحل بقصد النظر، ويتم التعيين في البقعة التي تسلم لهم بشروطها... والسلام. في 17 ربيع الأول عام 1318هـ/1900م» (نسخة من كتاب مولاي عبد العزيز) لا يخفى على أحد أن ظروف المغرب في تاريخ هذه الرسالة، لا ينفع فيها مع قوة الخصوم إلا مراوغات وتسويات وارتكاب أخف الضررين، وأدنى المفسدين، في انتظار ما يمكن الدفاع به عن المغرب، في تلك الظروف الطبيعية والاستعمارية المستمرة منذ معركة إسلي في شرق المغرب وما ترتب عنها من صعوبات، يجب أن تلقن كنموذج للمقاومة المغربية للخلف الصالح ليعرف ظروفًا قاسية مرت على هذه المملكة المحسودة..

وقفزة لا بد منها :

1- نلاحظ غير هذا السلطان على كل شبر من هذه المملكة الممتدة في ذلك التاريخ من بوغاز جبل طارق شمالاً، إلى نهر السينيغال جنوباً، ورغم اتساع هذه الإمبراطورية نلاحظ التسامح «بقعة بقدر ما يستقر فيه النازلون بشروطها لصيد الحوت» وبتكرنا هذا الحذر بما فعله ملك أمازيغي مغربي مع ملكة قرطاجة اللاجئة من لبنان إلى تونس، حيث اكترى لها مقدار جلد ثور في البر حوالي سنة 814 ق م ومع ذلك ترتب عنه قرنان من الحروب، كما كلف الدفاع عن إفني فعلياً كذلك ثمن ذلك الوعد الشفوي إن وجد؟ بهذه البقعة عام 1277هـ/1860م تحت ظروف قاهرة، ومنذ ذلك إلى عام 1318هـ أي مدة 41 سنة، لم يعثر الإسبان على تلك البقعة المنحوسة، ولم ينزل الإسبان في أيت باعمران إلا بعد اتفاق الاستعماريين على خروج كباس من رمال سيدي إفني بعد مرور 74

سنة على ظلم حرب تطوان 1860 إلى 1934م. باتفاقية ثلاثاء الأخصاص مع أعيان أيت باعمران بشروط.

«خدينا الأرضي القائد البشير أصببي الباعمراني، وفقك الله وسلام عليك ورحمت الله وبعد : فقد شرح الله صدرنا لترتيب وظيف سنوي على القبائل السوسية كغيرها من قبائل رعيتنا السعيدة، إثارة للمصلحة ومراعاة للرفق وصونا لأموال الناس من الحيف والعداء... وكلف القائد محمد أنفلوس والعدلين بجمعها من غير استثناء أحد منها، إذ لا فرق في هذا التوظيف بين شريف ومشروف، ومتولي وغيره من غير إخفاء شيء أو إغفاله أو وقوع تدليس فيه... وإن بلغ لعلنا الشريف أنك مددت يدك في مال أحد بعد هذا الترتيب، فتلزمك المؤاخذة بحول الله والسلام في 4 رمضان المعظم عام 1319هـ/1901م» (السلطان عبد العزيز).

فهل هناك أكثر من تصرف المخزن بواسطة ولاته وعماله في جباية الضرائب وإحصاء السكان أكثر مما ذكر؟ ولأيت باعمران دائماً مكانتهم، وإليك هذه الرسالة السلطانية : بعد الحمدلة والتصلية... والطابع الكبير للسلطان مولاي عبد العزيز :

«خدينا الأرضي القائد البشير الصبوي وفقك الله وسلام عليك ورحمت الله وبعد : فبوصوله إليك أمرك أن تقوم على ساق الجد في جمع حركة أيلتك من أهل الثروة في البلاد والأشياخ والأعيان والكبراء واشحنهم من... وفرسان القبيلة ورماتها الذين يعتز بهم في جلائل الأمور ومهماتنا ذوي عزة معتبرة معنية في كل كفاح وخيل... صحاح... بها لحضرتنا الشريفة عاجلاً وفي أقرب حين تكون بها واصلاً أعانكم الله والسلام 18 ذي الحجة الحرام عام 1320هـ / 1902م» هذه رسالة مستعجلة لدفاع أمر جليل يعرفه من درس تلك الظروف المحيطة بالمغرب. وهي ظروف ثورة بوحمارة بالريف، ضد تفسخ بعض الوزراء.

ومنها «لما خرج كباص من البحر بإفني، نزل في دار بوجاراً بأمزدوغ، ومن هناك اجتمع عليه أيت باعمران، فأرسل ضابطاً إلى الجرف ليتحدث مع باخرة بإشارة من الثوب، ثم طلب اختيار بحار ليدخل زورقه ليأتي بأشياء وبضابط من الباخرة، أمام إفني، فاختر



البحار إبراهيم أشركي المستاوي، فأتى بضابط ومعه علم إسباني، وحوالي الساعة الثانية بعد الزوال، رفعت راية الإسبان، على دار بوجازا، بأزدوغ، وفي الحين أمر كباص باختيار بعض الجنود من أيت باعمران، ليقوموا بالحراسة فتقدموا إليه ببنادقهم، ثم تكلم بالرديو مع الباخرة، ثم جاءت طائرة صغيرة نزلت بأزدوغ بعد ما قام الناس بتشطيب محل النزول، وبعد حوالي عشرة أيام بدأت رحلة كباص مع أعيان أيت باعمران لتخطيط الحدود» (مذكرات عبد الكريم).

استغل كباص الظروف العامة، فقام بترسيخ السلطة الإسبانية، فقام باستشارة أعيان أيت باعمران حول هذا السؤال الملمع: «هل تتبعون في أحكامكم ومصالحكم حكم الإسبان حيث الخليفة في تطوان - وهي بعيدة مع قلة المواصلات والاتصالات؟ أم تفضلون إلحاقكم بجزر كناريا القريبة منكم والمتاجرة معكم والزيادة في أجوركم؟ فكان الجواب الساج، نحن نفضل كناريا القريبة من سيدي إفني. وهكذا بدأت الأرضة تنخر الجذوع، وتنتشر كبقعة الزيت في الثوب بلا شعور.

لكن بنشر هذه المعلومات بدأ الوعي، ولم يعد أحد لم يشك في نوايا الإسبان، ثم شاع أن أيت باعمران أصبحوا نصارى! لأنهم لا يفرقون بين الجنسية والمسيحية، ثم شرع حكام مدينة سيدي إفني في إحصاء سكانها، ومن جملة الأسئلة التي تلقى على المحصى بعد تسجيل عدد العائلة، هل أنت مغربي؟ أي من منطقة الحماية الفرنسية؟ أم أنت باعمراني؟ فيرد الجميع بأنه باعمراني، إذ ذلك يؤمر بالتوقيع على ورقة طويلة بيضاء، لم يكتب فيها أي شيء، ومن الطبيعي أن يشك بعض الناس في تلك الورقة البيضاء.

### ظهور عامل جديد شجع الشعب أكثر:

وهنا برز سؤال، «ماذا سيضيفه الإسبان إلى تلك الورقة التي وقع عليها كل باعمراني؟ وهكذا تطورت الفكرة، فاجتمع الناس في مسجد الفقيه سيدي أحمد أباراغ الباعمراني، صاحب الزاوية بإفني، فتحاور الجمهور في مشكلة التوقيع على الورقة البيضاء، إذ شك فيها الجميع، ما عدا السيد أحمد بن البشير الترجمان لدى الإسبان منذ أن خرج معهم في أول مرة بإفني، لأنه موضع أسرارهم، كما أنه قد اطلع على كل شيء، وهو خبير في الموضوع، لذلك دافع عن تلك اللوائح الموقعة، وأكد أن شيئا مزورا لا وجود له، ثم أتى

بمجموعة من تلك اللوائح إلى المسجد للاطلاع عليها، وأعلن أن المخزن لا يمكن أبدا أن يخدع السكان» (مسنهو الحاج إبراهيم).

وهنا تدخل السيد أحمد بن لشكر المستاوي فقال: «إن التوقيع على الورقة البيضاء يعد بنفسه خداعا، فأفحم بذلك الترجمان المذكور بالمسجد، فاقنع الجميع بأن إسبانيا تنوي إلحاق ضرر خفي بأيت باعمران، وهنا انطلق بعض الشخصيات إلى دار الحاج محمد هرواش بإفني»، وهم «الفقيه الحاج أحمد المستاوي، وأحمد الديب الخمسي، ومسنهو إبراهيم وأبا كريم البوجرفاويان»، والشك في حضور زكرياء؟ وفي تلك الدار، صار التداول في كتابة رسالة الاستنكار، إلى الضابط الإسباني سيدي إفني الخينيرال بارميخو، إلى أن اتفقنا على رسالة مقنعة تعرب عن المقصود، وكان كاتبها هو الشهيد السيد الحاج أحمد المستاوي الملقب بأشنيص، الذي كان فقيها سياسيا ما هرا، تعلم كثيرا في تونس، واطلع على أحوال العالم، وإليه يرجع الفضل في نشر الوعي الوطني بمدينة سيدي إفني، وهو أول من قتله الإسبان في إفني برفسه بأرجلهم حتى مات تحت أقدامهم.

وبعد تحرير تلك الرسالة، تداولوا في من سيقروها على الجمهور في المسجد المذكور، ثم من يوصلها إلى الخنرال بارميخو الضابط الإسباني، في مكتبه، فقال الحاج أحمد المستاوي أنا كاتبها، وأنا سأتولى قراءتها على الجمهور في المسجد، كما انتدب أحمد الديب ومحمد هرواش على حملها إلى الضابط الإسباني بإفني.

وعندما اجتمع الناس في المسجد، وضعت تلك الرسالة في المحراب أمام الجميع، وهنا فر الناس منها، وابتعدوا خوفا من الاتهام بكتابتها، لكن الفارين وجدوا باب المسجد موصدا من طرف الجماعة المذكورة لمنع المصلين من الهروب، وطلب من البعض قراءة الرسالة، لكن رفض كل منتدب لقراءتها. وهنا تقدم السيد الحاج أحمد أشنيص كاتبها فقرأها على الجميع، وما كادت تنتهي حتى وقع هرج ومرج في المسجد، بين من يشجع وبين من يخوف، وبين من يؤيد، وبين من يستنكر، وهناك اقتراح ثالث يطالب بإزالة بعض الكلمات، وهناك من أجهش بالبكاء إما خوفا أو خشوعا لصعوبة الموقف، أو تعظيما وحماسة للمزيد.



وبعد ذلك فتح باب المسجد، فانطلق المصلون خارجين منه كسرعة البرق، ثم حمل الرسالة أحمد الديب، ومحمد هرواش قائلًا: «فانطلقنا معا إلى مكتب الضابط الإسباني، فوجدنا الجواسيس قد سبقونا إلى إخبار الإسبان بكل ما وقع، فكان أول من استقبلنا هو الضابط سايس، ثم وجدنا حراس المكتب هما عبدان أسودان جاء بهما الإسبان قصد حراستهما خوفا من أيت باعمران، فأخبرناهما بالرسالة التي سنسلمها للخنرال بارميخو، وبعد الاستشارة أخبرنا بعدم السماح باللقاء معنا، وطلبوا منا تسليم الرسالة، فرفضنا، فبقينا هناك ننتظر مدة طويلة، حتى أتوا بالترجمان الرسمي لهم، وهو السيد أحمد بن البشير المذكور، مع إسباني آخر يتقن العربية والشلحة، وهو مانصيا (mancia) وهو يهودي أصلا من الصويرة، وكانت مهمته الصيد البري والتجسس في الإقليم كله، وبعد ترجمة الرسالة وفهمها ودراستها والمداولة في فحواها، أمرنا بالدخول على الضابط الإسباني، وكان الضابط (mancia) يقابلنا من بعيد من حيث لا يراه الخنرال، وكان يشجعنا بيده من بعيد، ويؤكد على كل ما نواجه به الخنرال، والراجح أن ذلك من مغربته، كيهودي أصيل من الصويرة» (الحاج محمد هرواش): والذي استجبونا هو ضابط إسباني هكذا:

1- السؤال: كم عدد الذين كتبوا هذه الرسالة؟ الجواب: كثير جدا، وفي الحقيقة عدة أفراد، معظمهم تجار معروفون في المدينة.

2- طالبنا: الديب من الضابط الجواب عن الرسالة، فأجاب بسؤال، لمن يعطى الجواب؟ وإلى أين سيصل؟ ولمن يدفع؟ الجواب يرسل إلى مسجد أباراغ، فتدخل هرواش وقال: إنكم أيها الإسبان تعرفون حق أيت باعمران، وتعرفون مكانتهم، وعلمتم جيدا أنهم قبائل يحسب لهم ألف حساب، وقد كانوا قديما يتحكمون ويتصرفون في أرض تمتد من تيزنيت حتى إلى هنا، إلى الصحراء، ولا يقطع أمر إلا باستشارتهم، وأنهم أناس أعزاء لهم المهابة والفخار، ورفع الهمة والكرامة، إلى غير ذلك من قيمة أيت باعمران، كما لا يخفى ذلك، ولا يليق بإسبانيا أن تلصق الوسخ! بوجه أيت باعمران، فلماذا تجعلون منهم نصارى وهم مسلمون!؟ فأجاب الضابط: إنما أنا ضابط ممثل للحكومة إسبانيا في أيت باعمران، وإنني سأرفع الأمر إلى دولة إسبانيا، وبعد ذلك نجيبكم.

فانصرفنا ننتظر الجواب من إسبانيا، فإذا بإشاعة في مدينة سيدي إفني تقول: إن هناك جماعة بالمدينة تملك السلاح والقنابل، وأنهم توصلوا به من الاتحاد السوفياتي هكذا، ونحن لا نعرف مصدر هذه الإشاعة، هل هي من الإسبان أنفسهم؟ أو من أجل تنفيذ مؤامرة القبض على من أنكر الصبرانية؟ أو من الجمهور المدني؟

وبما قوى احتجاج الجمهور غضب إمغارن، وذلك أنهم منذ خروجهم بإفني، أسندوا أعشار القبيلة لأمغارن، لكي يتقوا ريثما تنتهي مدة الاتفاق المعينة المحددة ب13 سنة، (1934م إلى 1947م) ولما تمكن الإسبان إثر هذه الأحداث، منعوا إمغارن من جمع الأعشار والزكوات من قبائلهم، فاستغل مستنكروا الصبرانية الفرصة، فاتصلنا بإمغارن، فشحجوا الجميع، على المضي في الفكرة ضد الإسبان، فانتشرت العداوة ضد الصبرانية فجمعت الجميع، فرجع الشيخ سعيد الخمسي، والشيخ عبد الكريم الخلفاوي، والقائد أحمد أصبايو وغيرهم احتجاجات كتابة. ومنها التي أرسلت سرا إلى العاصمة الرباط. لم أعر على ذلك في مظانه حتى الآن؟

ولما وصل حاملوا تلك الرسائل إلى الرباط، قيل لهم: يجب أن يكون الاتصال بالسيد أحمد بلافريج، إلا أنهم لم يتصلوا في النهاية إلا بالسيد بوشتا الجامعي، وهو الذي سلمت له الرسائل، وأول ما قام به أن أوصل هذه الجماعة إلى حزب الاستقلال لأداء القسم والانخراط في الحزب أولا؟! وقال المستجوب: وفعلا تسلمنا ورقة العضوية، ولو عدة مرات منهم، وطلبنا من جديد، أن يلاقينا مع الملك، لكن قيل لنا ذلك مستحيل، فقلنا لا بد من تبليغ الرسائل ولو سريا. ولما عجزوا عن الوصول لأنهم من إقليم مستعمر وجنسياتهم إسبانية، والقضية بين الدولتين، ونحن لا ندرك ذلك.

وهنا رجع محمد هارواش إلى الدار البيضاء يحرك الباعمرانيين بها، ورجع الأستاذ أحمد زكرياء إلى أيت باعمران يخبر بالزيادة في المعارضة في إفني ضد الإسبان دون الفعل، قال أحمد الديب: لما رجعت وحدي من حاملي الرسائل المذكورة إلى إفني استشار الإسبان أمغار سعيد في القبض علي، لكنه قال لهم: إنه وطني، فإذا قبضتم عليه، فستقوم القبيلة كلها، لأنه لم يفعل أي شيء بالنسبة لكم، وقد سبق لي أن



أخبرت أمغار هذا بكل ما وقع في سفرنا أنا وهرواش وزكرياء، وقد استدعاني الضابط الإسباني وجري بيننا الحوار الآتي :

الحوار من جديد : أخبرني أولا عن جميع الأماكن التي زرتها أو سافرت إليها أو تحدثت هناك أو لقيت فلانا وفلانا في المكان الفلاني في المغرب بكل تدقيق، ثم أراني رسالة قال : وصلت من إسبانيا، ففتحها الضابط، فإذا فيها حسب ما قرئ علي وترجم لي بالشلحة «لا بد من الحكم على أحمد الديب بثلاثة أمور : إما النفي، وإما السجن، وإما الإعدام» فخيرني، فقلت له : مرحبا بما قدر لي من ذلك، وأنا لا أشك في الإعدام.

ثم قال لي : هل كنت في الرباط ؟ قلت له نعم، قال : وهل اتصلت بالملك ؟ قلت له نعم ! وأنا لم أتصل به ! ؟ فقال : أين لاقيته ؟ قلت له في المقهى ! ؟ قال في المقهى ! ؟ قلت له : ألا يمكن للخنرال فرانكو أن يجلس في المقهى ليراه الجميع ! قلت ذلك لأنني أنتظر الإعدام، وهنا غضب غضبا شديدا فقال : لماذا نصرتم السلطان الأجنبي عن أيت باعمران ؟ يقصد بالسلطان محمد بن يوسف مع أنكم قد سبق لكم أن نصرتم أهل ماء العينين، قلت له : ذلك وقع نتيجة الفوضى التي حدثت بالمغرب، كما في أيت باعمران، فغضب وقال :

«إن أيت باعمران طماعون، لا يهمهم إلا ما يقبضون، فلو أن الإسباني فلانا (سمّاه كأحمق عندهم) أعطاكم مليوناً من البسيطة لبايعتموه» فقلت له : لا، بدليل أن العملة التي وجدتموها هنا في أيت باعمران، ليست باسم أهل ماء العينين، ولكنها باسم السلطان الحسن الأول العلوي، لأن هذه من احتجاج إمغارن.

ثم قال : «إن إسبانيا قد اشترت هذه الأرض من أحد السلاطين المغاربة منذ زمن بعيد، ثم إن سلاطين المغرب، كانوا يعترفون لنا دائما بذلك، وكنا دائما نمر بسفننا على هذه الأرض، ونصطاد في هذه الشواطئ، ونراها جميلة خضراء، إلى أن دخل هذا القرن ونزلنا فيها» (الضابط برميخو). ثم استنكرت منه ذلك، وقلت أشياء أخرى لأنني أنتظر الإعدام، ولا أنكر أنه سمح لي بذكر ما لا يمكن أن أذكره أمام أصغر ضابط منه، بينما الخنرال بارميخو في منتهى الحكمة والرزانة والتحكم في الأعصاب، وهذه شهادة تقدير مني له. في مكتبته.

ثم قلت له : إن أيت باعمران قامو بالدفاع عن دينهم ووطنهم، وذكرته برأي رهيب كنيسة بمدينة سيدي إفني حول ما حدث من رد فعل السكان كقوله : «إن إسبانيا تسرعت في هذا الأمر، ولم تقم بأية دراسة قبل إعلانه، وأن ما قامت به، كان ينبغي ألا يقع إلا بعد مائة سنة أخرى وبعد تمهيد محكم» (فتوى من راهب بكنيسة إفني).

وهنا قال : «حقا إنك يا أحمد الديب، تستحق أكثر من النفي، وأكثر من السجن، وأكثر من القتل قبل هذا اليوم بكثير» وفي تلك اللحظة أدخلوا عليه ورقة تحمل أسماء الباعمرانيين الذين سينفون إلى السجن بالداخلة بالصحراء، وذكر لي أسماءهم وقال : «هل تعرف ما هي الداخلة ؟ قلت له لا أعرفها، قال : «إنها جزيرة صغيرة في وسط البحر، لا ترى فيها أحدا».

كان أحمد الديب هذا يحسن الإسبانية، لكنه استعمل تاشلحيت، ولم ينطق بكلمة واحدة من الإسبانية مع الضابط، وكان يجابو الضابط، وكان من الجماعة الأولى التي قبض عليهم بسبب الاحتجاج على الصبرانية سنة 1947م ومعه في السجن من بقي في إفني ومنهم من نفي إلى الداخلة لمدة سبع سنوات، وأذكر من المسجونين عامة كل من الحاج إبراهيم مسنهو البوجرفاوي التاجر، والحاج أحمد هرواش التاجر، والحاج أحمد المستاوي الفقيه السياسي التاجر، والأستاذ أحمد زكرياء السكّال، والفقيه الصوفي أحمد باضاني الشافور، وأباكرم الحنفي البوجرفاوي، والشيخ سعيد الخمسي أمغار، والشيخ بلعيد البوبكري، بالإضافة إلى مجموعة سجنات بإفني، منهم مسنهو وبلعيد. والجميع وطنيون مجاهدون مغاربة قاوموا حتى النهاية، ولهم فضل كبير في إشعال الثورة التحريرية ضد الإسبان.

### من وثائق جيش التحرير في جنوب المغرب :

1- أحدث إدماج جيش التحرير في شمال المغرب في الجيش الملكي قلقا، بينما تمسك البعض منهم في الجنوب بسلاحه، وبأمر من الملك وبتوجيهات منه، قصد المسلحون المغرب الجنوبي لتحرير ما بقي من الوطن المغربي الممتد إلى نهر السنغال، بقيادة محمد ابن حمو، فانطلق هذا الجيش إلى الصحراء إلى مورتانيا، وليس إلى أيت باعمران، إذ لم يرجع إلى حدود أيت باعمران إلا بعد عملية إكوفيون : الشطابة !



2 - «كان جيش التحرير منذ البداية في الجنوب يحمل بذور الفشل، رغم النية الصادقة، والوطنية الوقادة، ومن أسباب ذلك الضعف العام من حيث السلاح والتموين والخبرة الكافية، مما جعل هذا الجيش، يرتكب أخطاء مضطرا إليها، منها مد اليد إلى أموال الناس الميسورين بدعوى علاقتهم بعهد الحماية. وكان هذا الوصف في بداية الاستقلال - إن صدقا أو كذبا - يشمل كل من تحمل مسؤولية التسيير بجانب السلطة، ومن الطبيعي ومن طبيعة مهنتهم أن يرتكبوا بعض الأخطاء، ومن المنطق كذلك أن يتطلع المظلومون إلى من يأخذ لهم حقهم من أولئك الأسياد، والشعب حديث عهد بالاستقلال، فصار البعض باسم جيش التحرير والمقاومة يشرع ويقاضي وينفذ». (وثائق جيش التحرير محمد أيت إد).

إن معظم المعلومات في تلك الظروف، نقلت عن شفويات لا تخلو بدورها من الزيادات والنقصان، بل حتى من الهفوات التي تنتج عبر الزمان بين الموثقات والشفويات، والأحزاب المغربية في المغرب الشمالي كانت أضعف من نسج العنكبوت، شغلت الطبقة العاملة بأناشيد العداوة فيما بينهم في فاتح ماي منها : أنتم بـكـر عـلال، فيرد الآخرون : أنتم خمير بـرك ! معنى ذلك أن الفريقين حيوانات للزعيمين علال والمهدي، وتحت شعار هذه العداوة نفذت انتقامات معظمها شخصية، تفرق أكثر مما تجمع، ولتلك الظروف أحكامها الخاصة.

وبما أن إمكانيات من تمسك من جيش التحرير غير المنخرط في الجنوب، تعرض لإهمال اضطر بدوره إلى مد اليد إلى بعض الميسورين من الأعيان بسوس، فسلبوا منهم معيشتهم، وزجوا ببعضهم في السجن بلا محاكمة، ومن تلك الشخصيات من لها وزنها في مجتمعتها، ودورها الاجتماعي والوطني والمساهمة في المقاومة، كل في ميدانه، وحسب استطاعته، وعلى سبيل المثال : الفقيه سيدي أحمد بو الطعم في قبيلة أيت الرخا، وتوزيع محتويات منزله النفيسة للغاية، فأعلن الجنوب كله أن ذلك ظلم صارخ، لا علاقة له بالوطن ولا بالوطنية.

وشاع أن السلطان سيدي محمد بن يوسف، هو الذي أمر بإطلاق سراحه، أما أثائه فقد توزعت بين فلان وفلان ؟. وفرشت في دورهم على عينك يا ابن عدي كما يقول

المثل . المغربي المجهول الأصل ؟. ونفس هذه الحوكرة نالت أمغار قبيلة أيت إخلف عبد الكريم، فاحتلت داره إلى حين، وأكل زرع مطامره في داره، وسرقت أمواله وسلاحه من بين أهله وذويه في داره، وهددت عائلته حتى في حياتها، ثم سجن بلا حكم ولا دليل، إلا ما كان من العداوة الشخصية، فمر ذلك كله فامتد به العمر. حتى اقترب من مائة سنة.

وفي قبيلة أصبويا، أطلق القبض على السيد بلعيد وابنه علي لنفس الأسباب، إلى أن أطلق سراحهما، فانخرط الابن في جيش التحرير، مما يدل على أن التهم كانت واهية، غايتها التنقيص من ماضي تلك الشخصيات التي لا ذنب لها، ويحاول البعض بناء شخصيته على أنقاض نسيان تلك الشخصيات، وتلك ظاهرة إثر كل حدث لأمة من الأمم، والحمد لله على سلامة المغرب.

وهذا مثال آخر من تلك الشخصيات، وهو أمغار محند بن علي بموضع تاغنديت على الحدود بين الاستعمارين، تلك الشخصية التي ير في ظلها أيت باعمران وتجارتهم بلا رخصة، كما يساهم في إطلاق سجنائهم بميرلفت، وهو شخصية باعمرانية وطنية تسلم السلاح من البلكوكي الحسين وقدمه للوطنيين، وفي باب داره ير بعض اللاجئيين إلى إفني في ظروف 1953م.

ومن أهم أعمال الشيخ محند هذا غض الطرف على استمرار تبادل التجارة على الحدود لصالح أيت باعمران، وعلى من يتسوق أحكامه بلا رخصة طيلة حكمه، وهو شخصية يعرف كيف يقوم بواجب مهنته. ومع ذلك تعرضت أمواله للنهب والسلب من طرف أشخاص باسم جيش التحرير، وربما لهؤلاء بدورهم ما يبرر ما ارتكبه من أخف الضررين، كالأخذ من الميسورين لإطعام المحرومين. من جيش التحرير، وإلا فهذا الشيخ بمثابة مراقب للديوانة بين السلطتين، يختلف فيها العمل بين الليل والنهار. ولكن من يقدر ذلك ؟ فكم من مغامر باعمراني عرفناه زج به في سجن ميرلفت، ولا سبيل للاتصال به إلا بمساعدة الشيخ محند هذا، وخاصة عندما أوقفت السلطة الفرنسية أمغار محمدا مغا، بسبب تساهله وغض الطرف عن هفوات الناس، فلم يعد



هناك من يستعين به أيت باعمران، إلى أن تولى الشيخ محند هذا المسؤولية، ولم يخبر بأحد ولا سمع منه ما يחדش وطنيته، وقد استنكر الكل محاولة الإضرار به، ووصلت الشكايات إلى المسؤولين. فأطلق سراحه في الحين، وعاش معززا مكرما متدينا مريبا لعائلة تعد عمدة صالحة كخير خلف لخير سلف.

وكان من مثل تلك الهفوات : «ماعرّك صفو العلاقات حتى بين قادة جيش التحرير، وزاد الطين بلة، أن افتقار قيادة جيش التحرير في الجنوب إلى مناخ ديمقراطي بسبب استبداد بعضهم، وانفرادهم باتخاذ القرارات، ورفضهم توسيع دائرة التشاور والتعاون مع باقي أعضاء القيادة، هذا العنصر التنظيمي، ساهم بشكل رئيسي في حدوث الحركة الانشقاقية في بوائزكارن، الأمر الذي نتج عنه اختطاف عدد من الرافضين المنشقين ليوضعوا في الاحتجاز لأكثر من سنة ونصف، فاق عددهم المائة وسبعة وثلاثين شخصا» (ذكريات تاريخية ص 158)..

#### خلافات جيش التحرير في بوائزكارن :

أدى هذا الخلاف إلى طفرة من جماعة الخميسات، مما أدى إلى القبض على 137 جنديا منهم بحيلة بعدما سلموا سلاحهم، بدعوى أنهم سيستقبلهم الأمير مولاي الحسن الثاني ؟ لكن قبض عليهم في أندجا، ثم تفرقوا مسجونين في عدة مراكز بسوس. منهم 30 في مركز أنزي عند القائد على أبرني، ثم 20 عند القائد بنموسى البرايبي بطاطا، ويمنع عليهم أن يتصلوا أو يكلموا أحدا في مركزهم هناك، وإلى هناك نفى عبد الكريم، إلى أن أوحى إليه القائد بنموسى، بأنه نزل عنده بدون تسجيل ولا توصيل قائلا له ؟ ! : فالأمر موكل إليك، ومن هنا عرف أن سجنه كان مدبرا بلا حجة. ثم هناك 20 من جيش التحرير المقبوض عليهم بقوا في أندجا ما بين أباينو وبوائزكارن، بينما تفرق الباقون في السجون. بالمغرب الشمالي.

وإلى هذه الاعتقالات، عُني قول الرئيس عبد الله إبراهيم : «اعتقال مجموعة من المقاومين وأعضاء جيش التحرير، وعلى رأسهم الفقيه البصري، وعبد الرحمان اليوسفي، وسعيد بونعيلات بدون أن تتوفر هذه الأجهزة على ملف مدقق ومتكامل

حول تهمة التآمر لاغتيال ولي العهد»<sup>(257)</sup> وهذا هو المشاع والرائج حول عدم استكمال مهمتهم المطلوبة.

وقد كانت هذه الإشاعات وغيرها منتشرة في أيت باعمران، وكان الجميع يستنكر ويستغرب ويندد، إلى أن فسر للناس بأن ذلك من طرف بقية الجيش الفرنسي في بعض المراكز بسوس، وليس من جيش التحرير، وخاصة عند الاحتجاج ضد فرنسا بسبب تفجير قنبلتها الذرية في الصحراء، وما زلت أتذكر أن إحدى الجرائد المغربية، نشرت غبار تلك القنبلة، وقرىبا منها صورة فأر، يطل عليها ! وهي لم تقتل فأرا، فكيف تثير غضب المحتجين المغاربة في المدن ؟. يا له من تضليل من تلك الجريدة ! «مع العلم أن المغرب قدم شكاية لهيئة الأمم المتحدة، وحوالي ثلاثين مذكرة احتجاج». (نفس المرجع ص 127) أوردت هذا حتى لا يتهم المغاربة باستهانة القنبلة الذرية بالصحراء المغربية، أو إقناع المغاربة بتحدي الفأر، والهدف هو أن لا داعي للاحتجاج أيها الناس !.

3 - الاتصال بالإسبان في إفني : عن بنعاشر جناح قال : «وكنت أول من اتصل بحاكم إفني وبرفقتي محمد بنحمو المسفيوي، وإبراهيم المانوزي، وعلي بوعيدة، والمترجم حميدو التطواني، وقتها استقبلنا الجنرال حاكم الناحية، ودار الحديث بيننا عن جيش التحرير، وعن مواقف إسبانيا تجاه المغرب، وعن تأييدهم لكفاحنا، واستنكارهم لنفي محمد الخامس، واحتضانهم للمقاومين المغاربة بتطوان أو بالعرائش أو بالقصر الكبير، أو بالناضور أو بإفني، وقضينا رفقة الجنرال وحاشيته يوما كاملا، تناولنا فيه ما أعدوه لنا من طعام الغداء، ونظموا لنا الزيارات لأماكن مهمة في المنطقة، ووعدونا بالمساعدة، كما كان عليه الأمر في السابق، ثم رجعنا إلى القيادة في كولينم، ونحن متأكدون من صدق النوايا الإسبانية، فتم الاستعداد لبدء المعارك ضد الفرنسيين من جديد، أولها معركة فم العشاير في 6/6/1956م» (نفس المرجع ص 124).

أما مصطلح الخونة، فقد كان يطلق على كل من وقع طوعا أو كرها على نفي السلطان محمد بن يوسف، وكان معظم هؤلاء في المدن الكبرى، والأطر المخزنية في البوادي،

(257) سنوات الصمود وسط الإعصار، ص 127



لكن سرعان ما أعفي عن أهل المدن الشمالية لخطاب السلطان بعد رجوعه «عفا الله عما سلف» بينما اتسع مجال الانتقام في المغرب الجنوبي، ولم تتحرك السلطة المركزية، إلا عندما امتدت اليد إلى اختطاف بعض الفرنسيين المحسوبين على الإدارة المغربية، مثل الضابطين الفرنسيين : مورو ثم بيران، فقامت القيامة، بينما أطلقت يد جيش التحرير لتقتات من أموال الأعيان اليسوريين نسيباً، بعدما أهمل إمدادهم حتى بالضروريات عامة.

وفيما ينخص إقليم أيت باعمران خارج جيش التحرير، فقد استعمر من طرف إسبانيا خارج اهتمام جيش التحرير المغربي، إلى أن فشل كلياً في الصحراء المغربية، ولما انتقلت أفراد المقاومة من شمال المغرب إلى جنوبه، بدأت الإشارات، إلى أهمية أيت باعمران، ومن ذلك ما نجده في وثيقة رقم سبعة لجيش التحرير في جنوب المغرب للقيادة العليا منها :

«أيها الإخوان الصحراويون : إن الإسبان والفرنسيين عذبوا إخوانكم في طرفاية والداخلة والعيون وأيت باعمران وإيفني، ونهبوا أموالهم وديارهم، وأودعوهما السجن والمعتقلات ..» (وثيقة رقم سبعة المذكورة) لكن ما ذكر أعلاه يرجع إلى أحداث 1947م فوظف هنا للإثارة فقط !.

«والحق أن تسعين في المائة من هذه الإيجابيات، وقعت في أيت باعمران، ابتداء من نصرهم السلطان سنة 1947م. أما الباقي من تلك النسبة، فهو موزع على ما ذكر في الصحراء، دون أن ينكر أحد كفاح هذه القبائل هناك بدورها، وفي ظروف قاسية، أهمها الركائيات الكبرى الأمازيغية، وأولاد الدليم، وأيت لحسن، وإيگوت، وأيت أوسا، وإدبراهيم الأحرار، وكلهم وطنيون، إلى أن وقع التفريط، فسلبهم الآخرون بإهمال. منا، كما خوفهم الاستعمار من المغرب، بل ذكر الاستعمار قبائل السودان الغربي كله بخطر المد المغربي إلى حدوده التاريخية، فظهرت فكرة جمهورية عربية في الصحراء الكبرى، كعنصر غريب، في جسم كبير لا أساس له، وهو من جملة صادرات الشرق العربي. إلى الوطن الأمازيغي، وأغرب من ذلك اعتراف الفلسطينيين ببوليزاريو، وبما أجهز على استمرار جيش التحرير، ما راجع عن مؤامرة بويژاكارن ومؤامرة بوعرفة» (مذكرات لحسن بطل الإفرائي في أگلميم).

أما عملية إيكوفيون (الشطابة) بالصحراء، فقد اتفق الاستعماران الفرنسي والإسباني على طرد جيش التحرير من الصحراء المغربية باستعمال القصف بالطيران، فقتل من قتل، وقبض على من قبض، ولجأ من نجا إلى جوار أيت باعمران بأگلميم، وهنا جاءت فكرة الانضمام إلى أيت باعمران، مادامت إسبانيا قد نقضت حيادها، كما أن أيت باعمران هم رمز المقاومة المستمرة، وعلى يدهم يمكن رد الاعتبار لمن نجا منهم من ذلك القصف.

أما كيف فضحت ثورة أيت باعمران ضد الإسبان؟ فقد استطاعوا أن يقاوموا الزحف الفرنسي بعد تجربة الشيخ أحمد الهيبة وما ترتب عنها، من معارك في سوس بكامله، استمراراً من سنة 1912م إلى 1934م، إلى أن استسلم الحلف السوسي بكامله، فبقي أيت باعمران وحدهم ضد حملة الباشا حيدا، ثم ضد الجنرال دولاموط على مشارف بلادهم، وفي تلك المعركة 1917م، قدموا المئات من الشهداء منهم ومن الصحراويين. الأبطال، دفاعاً عن الوطن.

وأخيراً فضل أيت باعمران حماية الإسبان بشروط؟ بدل انتقام الحماية الفرنسية، بدعوى، أن مخالبا القط أهون من مخالبا السبع، إلى أن اكتشفوا صدفة، إدخالهم أجمعين في الجنسية (الصبرانية) وهم لا يفرقون ما بين هذه وبين العقيدة، وهنا طرح ما العمل؟ وما هو الحل المناسب وكيف نبدأ؟.

### ثورة أيت باعمران التحريرية 1957م :

شارك أيت باعمران في ثورة الملك والشعب، بجنسيتهم وبسلاحهم ضمن الشعب المغربي كله، كما صار إقليم سيدي إفني ملجأً للفدائيين من مدن المغرب الشمالية حتى وصل عددهم 600 مقاوم. شأنهم شأن إقليم الريف ومدينة تطوان، فرجع الملك إلى عرشه، واستقل شمال المغرب، وهنا قيل لأيت باعمران : أنتم لستم المغاربة !! فقالوا فمن نكون إذن؟ فما جزؤنا؟ ولماذا؟ وكيف؟ أسئلة عريضة عمقت الجراح، وأيقظت بحبوحة بعمرانة الجزولية اللطية الأسود الغضاموشية



فأعلنوا أن الموت بالحر أجدر، فقامت الثورة التحريرية بأيت باعمران في 23 من نونبر سنة 1957م «ولم يتردد جيش التحرير في تبنيها بكل ما تحمله من مشاكل وصعوبات» (محمد بن سعيد وثائق ص 48) وفي نفس المرجع «وقع الهجوم على إفني وتاليوين وتيغزي وإيسگ وثلاثاء إصبويا وتابلوكوت، وأسر من الإسبان (36) وغنيمة الذخيرة الحربية، وحرر أكثر من أربعة أحماس أيت باعمران، وبقيت مدينة سيدي إفني محاصرة، بعد أكثر من خمسين معركة. خلفت من قتلاهم أكثر من (600) ومثلها من الجرحى، واستشهد حوالي (100) بين شهيد وجريح. ثم (14) أسيرا» (نفس المرجع).

وبعد كل هذه الجهود من أيت باعمران والمقاومة ومساعدات من بقايا جيش التحرير، ظهرت دعايات، ترمي إلى كسر شوكة أيت باعمران جملة وتفصيلا، ولنستمع إلى كلام القائد أحمد وصحبه أمام جماعة من الناس بگوليم :

«إننا اتصلنا بمدير الأمن الوطني، وولي العهد، ورحبوا بنا، وقد قالوا لنا : إننا نسلم للمسؤولين عن الجيش 53 مليون شهريا، وأعطيناهم 900 ألف طن من القمح لإسعاف أيت باعمران، وأنهم وحدهم الذين يأكلون هذا كله، وأن باب القصر مفتوح لكم، ولم يكن بينكم وبين ما تبغون إلا أولئك المسؤولون عن جيش التحرير، وإذا استطعتم أن تأتوا بوفد يمثل أيت باعمران، لتشتكوا بهؤلاء لدى صاحب الجلالة، فسنزودكم بكل ما تحتاجون إليه، وهم الذين سدوا عليكم أبواب الخير لكم ولأيت باعمران كلها؟» (وثائق جيش التحرير ص 74).

وأضيف هنا أن جماعة أخرى قدمت شكاية إلى الرباط بجيش التحرير، فيها التحرش بالنساء وإغواء البنات، ومد اليد إلى أموال الناس، وابتزاز الميسورين إلى حد تهدتتهم بالسلاح ليلا في دورهم، ولم يكن جل ذلك سوى دعاية لا أساس له من الصحة حسب ما شاع في ذلك لدى الجميع.

«شاهدت بالدار البيضاء بنفسي، صحبة ابن عمي أحمد بن محمد ولبيب الحسين بن عبد الكريم، فذهبنا معا عندما أعلنت ثورة أيت باعمران التحريرية في 23 نونبر 1957م، فاجتمعنا مع شخصيات باعمرانية في مقر لجنة الاتحاد الوطني في «الباب الكبير»

بالدار البيضاء، والهدف هو إغاثة ثورة أيت باعمران حالا، بحيث يذهب كل من يستطيع أن يحمل السلاح، فإذا كان في العائلة بالبيضاء رجلا ن فأكثر، فيجب أن يبقى واحد منهم فقط عند العائلة، والباقي يلتحق بالثورة، وقد ترأس تلك الجلسة بنسعيد محمد أشتوكي، وبجانبه المسفيوي، وابن إبراهيم كريم محمد، فإذا برجل يدخل علينا ويقول بأعلى صوته : «أيها الباعمرانيون : أليس منكم رجل رشيد ؟ حتى يترأسكم أشتوكي ؟» فنهض خمسة كانوا متفقيين معه على إفساد الجلسة، فهرب الأول عبر الدرج، فأغلق الباب خلفه، فكادت الفتنة أن تقع، فإذا بهاتف يرن من الكوميسارية يقول :

إبلغنا أن أيت باعمران المجتمعين حاليا في هذا المقر من أجل القيام بمعركة، فسالت فيه الدماء، وكسر الزجاج، ووقعت الخسارة في الأرواح] فرد كريم محمد ابن إبراهيم قائلا : «عليكم بالقبض على ذلك الخائن الذي بلغكم هذه الأخبار الكاذبة» وفي الحين، انتقل بنسعيد محمد أشتوكي، من مكان رئاسة الجلسة، فحل محله كريم محمد إجوي الباعمراني.

فإذا بضابط خلفه حارسه بسلاحهما يدخلان علينا، فجال في قاعة الاجتماع، ودخل المراحض، ولم يلاحظ ما يدل على الفتنة ولا على كسر الزجاج . وقال : [أعانكم الله أيها الباعمرانيون] وانسحب، فتبعه الجميع، فإذا بنا نجد قوة مدججة بسلاح من كل نوع في ساحة باب الكبير، فلما انسحبت تلك القوة انسحبنا بدورنا، حوالي الساعة الواحدة ليلا». (جهادي الحسين كاتبه).

وهذا يؤيد ما أشار إليه بنسعيد من وجود خصوم في الخفاء ضد تحرير باقي الأقاليم الجنوبية، بما فيهم إقليم أيت باعمران الخاضع لمعاهدة تطوان 1860م.

وقول بنسعيد هذا تؤيده هذه الفقرة الجامعة «تكليف أوفقيرو والدليمي وحفيظ العلوي ومحمد الشرقاوي بربط اتصالات ميدانية في گلميم وبويزاكارن وأيت باعمران مع قادة جيش التحرير من عسكريين وسياسيين في أفق تفتيته واحتوائه خلال الفترة من 1956م إلى 1960م»<sup>(258)</sup>.

(258) محمد لومة مؤامرة 16 غشت 1972م ص 28.



## أيت باعمران والاستقلال :

أعلن استقلال المغرب رسميا في اثنين من مارس سنة 1856م. فلخص المغاربة الاستقلال كله برجوع الملك سيدي محمد الخامس، لأنه هو رمز الأمة، وملك البلاد، وحمي حمى الدين والوطن، فاحتفل الناس في كل مكان، مرددين «عاش الملك» هكذا فهم أيت باعمران في إقليمهم، فانطلقت مسيرة الحافلات والشاحنات والسيارات بوصول وفد كبير من الدار البيضاء، ومن تيزنيت إلى إفني عبر طريق غير معبد، عبر أربعاء السيجل إلى ميرلفت، إلى الحدود المصطنعة في وادي سالگماض عند الصالح سيدي محمد بن عبد الله بتابلوكوت، حيث برج الإسبان.

لا يوجد أحد في حراسة الحدودين، بل لا ترى جنديا ولا نصرانيا، وإنما تسمع الهتافات مع استقطاب المزيد من السكان، مما جعل القافلة متصلة من تيزنيت إلى مدينة سيدي إفني، يقدمهم الكشافة المعدة في أكادير بإعداد من أخنوش أحمد أولحاج والحاج أحمد كاريض». (معلمة المغرب كاريض)

سمعنا فيما بعد أن إسبانيا لغمت أسيف ند بوشاني، بحيث لا يمكن لأحد أن يمر إلى إفني، لكن الإسبان المكلفين بحراسة مخفرهم في عين المكان يسمى سيدي الوافي، أخبروا الخنرال بارميخو في إفني، بمسيرة لا حد لها، وفي مقدمتها أطفال من الكشافة يرددون نشيد الاستقلال، هكذا قال لي الحاج أحمد كاريض قائلا : «قلنا للإسبان : إن المسيرة من أجل زيارة الأهل والإخوان بمناسبة رجوع الملك وفرحا بإعلان الاستقلال، فأمرونا بالمرور، وليس لهم أمام الهيجان إلا ذلك، وإلا فلا حد لما سيقع من الخسائر نحن لم نتصورها» (الحاج أحمد كاريض الحاحي).

شارك الإسبان في مدينة سيدي إفني أيت باعمران في أفراحهم، وهكذا في جميع الأسواق، وكل من وجدت عنده راية مغربية يعد من «الوطن» وهذه الكلمة يقصد بها الفدائيون وجيش التحرير من أجل إرجاع الملك إلى عرشه.

انطلاقا من هذا المفهوم، توقفت الأحكام والمذاكرات مع الإسبان، ولم يكن في استطاعة أحد أن يتصل بمكاتب الإسبان في أيت باعمران باتحاد عام، أو يقصد تسليم

وثائقه منهم، «فبرح بعض الشبان بخميس أيت بوبكر، بأن الصلة بمكاتب الإسبان قد انتهت باستقلال المغرب، وأيت باعمران من صلب الشعب المغربي» (ذ سحبان محمد زلوزو الباعمراني).

وفي موسم الصالح سيدي محمد بن عبد الله بالحدود المذكورة، التقى أعيان أيت باعمران مع القبطان عبد السلام الصفريوي على عمالة أكادير، يقدمهم لبيب عبد الكريم المسؤول عن الموسم، طالبين منه إرسال من يقوم بقضاء حوائج الناس المتوقفة في إقليم أيت باعمران كله، فكان جوابه على رواية عبد الكريم «إن قضية إقليم أيت باعمران، مازالت معلقة بين جلالة الملك وإسبانيا، فاستمروا في شؤونكم كما هي العادة مع الإسبان، حتى تسوى الأمور بين الدولتين» والجميع لا يدركون ما قال الصفريوي ولا معنى لذلك، لأن استقلال المغرب واحد ! ؟ !.

وبمرور الأيام، بدأ بعض الشبان يحكمون بين الناس في الأسواق علانية وبتعسف غير مقبول، إلى حد اضطهاد واتهام بعض الشخصيات، حتى قتل بعض الأفراد ظلما وشاع تهديد الآخرين بسبب الخلاف بين المنخرطين في حزب الاستقلال والمنخرطين في حزب الشورى والاستقلال، مما جعل السلطة الإسبانية تراقب الأحداث، إلى أن اختل التوازن، فتدخلت وقبضت على البعض، بينما فر البعض الآخر من أولئك الشبان، إلى الحدود المستقلة، فدخلت أيت باعمران في مسار دامس لا يعرف أحد إلى أيت تتجه الأمور، والناس لا يدركون. أن الاستقلال بالوثائق.

## بداية المعارك ضد الإسبان :

كانت معركة تيغيسيت، في قبيلة أيت عبلا الباعمرانية، هي أول معركة ضد الإسبان، إذ وقعت في 11 غشت 1957م. وقد توصل الإسبان سرا بوجود جيش التحرير في تيزنيت وبويزاكارن، وتاريمونت، وأيت يعزى، فهاجموا تيغيسيت، وهي دوار لشرفاء آل سيدي أحمد أوموسى، فاستشهد فيها السرجان محمد، ثم تكررت نفس المعركة في 16 من نفس الشهر، فاستمرت خمس ساعات بالطائرة الإسبانية والمدافع الثقيلة، فاستشهد مدني واحد، وهو الضابط الحسين سارخيننتو متقاعد من جيش الإسبان، كان يقاوم



المهاجمين الإسبان بالرصاص بين جذعي شجرة أرگان، فإذا بهدّاف إسباني يلاحظه، فرماه عن قرب برصاصة بين عينيه كما قال لي من حضر في المعركة.

وأذكر هنا أنني كنت يومه مع ابن عمنا عبد الكريم في مرتفع دوار إضرضار المقابل لتيغزى، ومعه منظر طويل يراقب تيغزى عن بعد عشر كلم تقريبا، فإذا بقافلة من القوة الإسبانية حوالي (12) بين جيب وشاحنة في اتجاه جهة المعركة، قادمة من مدينة سيدي إفني عبر تيغزى على بُعد غير بعيد منا، والساعة حوالي الرابعة زوالا، فإذا بتلك القافلة تمر بسرعة كبيرة إلى تيغزى، ومن ثم إلى جبل تاموشا، ومنه إلى أفاندا عيسى حيث مخفر الإسبان، والعجيب أن هذه أول معركة وقعت قبل الهجوم العام بثلاثة أشهر، لذلك لا تذكر، لأنها وقعت بمبادرة خاصة من قبيلة أيت عبلا قبل إعلان عام.

والسبب في وقوعها قبل أن يصل موعدها في 23 نونبر 1957م وبأسبقية من تلك القبيلة الباعمرانية، يرجع إلى أن معظم الناس في المغرب، كانوا قد انخرطوا في حزب الاستقلال، ولو سماعيا، دون أن ينخرطوا فيه فعليا، ولا يفهمون من هذا الاسم إلا إخراج النصارى من المغرب وإرجاع أكليد إلى عرشه، لكن قبيلة أيت عبلا هي الوحيدة التي تجدر فيها حزب الشورى والاستقلال، وفيها عرف الناس الانخراط في الحزب والالتزام به، وبرزت بذلك منهم منافسة لحزب الاستقلال الذي لا يذكر الناس إلا هذا الحزب، وهو الذي كان يحذر العامة من انتشار حزب الشورى، وقد فسروا تلك العداوة بقولهم: إن حزب الاستقلال يطالب بإرجاع السلطان حالا وهو الاستقلال، بينما حزب الشورى يقول حتى نتشاور بيننا جميعا على كيفية الاستقلال، وحزب الوحدة يقول حتى نتوحد جميعا، ثم نأخذ الاستقلال، هكذا تسيست المنافسات..

وقد توصل الإسبان بمخابراتهم في تيغزى بأن جيش التحرير، وصل إلى مشارف بوكرفا في 11 نونبر 1957م. ولذلك أرسلت جماعة استطلاعية من الخيالة برئاسة حاكم تيغزى نحو الحدود الشمالية، فوصلت حتى إلى تاريمونت في الحدود الشمالية لإيسگ، حيث مخفر الأسبان، فرجعت ولم تلاحظ أي شيء.

وعند رجوعهم قال الترجمان لعبد الكريم: قبح الله جواسيس الإسبان الكذابين، فقد جلنا في جميع تلك الجهات، فلم نر إلا فلاحين يشتغلون في حقولهم في أيت يعزى

وهو لا يدري أن انتشار الفلاحين من باب تضليل الإسبان فقط. ولولا التعليمات التي منعت أية مبادرة لما نجح أفراد تلك الجماعة من القتل المحقق في ذلك اليوم.

وكان أغلب المجاهدين المعول عليهم في الهجوم على مدينة سيدي إفني، كانوا في تافراوت نأيت داوود بأيت برايم، أو على الأصح من قبيلة أيت يعزى عموما، ومن هناك انطلق المسلحون إلى إفني، والمسافة لا تقل عن عشرين كلم على الأرجل، وقد استغرق السير الليل بكامله، مما جعل التعب ينال من الجميع، وقال لي المناضل كريم محمد: «كنت آخر من انطلق من مركز التسليح، على حمار عليه مجموعة من البنادق المختلفة في اتجاه إفني، وقد أصبت بجرح بليغ في عقب قدمي، وأنا في غاية من الألم، ولي موعد مع الجنود المنفلتين من إفني» (معلمة المغرب ج 20 رقم 6802 جهادي).

وكثيرا ما يختلط الأمر بين القبيلتين والمعركتين: قبيلة أيت عبلا شمال قبيلة أملن، وقعت في سنة 1933م ضد الزحف الفرنسي المنطلق من تارودانت، فشارك فيها أيت باعمران بكثافة كبيرة، فردوا تلك الحملة بعد تضحيات في الرجال وخسارة كبيرة في الخيل، وفيها أصيب أنفلوس محمد بن علي في موضع إيمولا ن يحييا الخلفي، وأصيب إبراهيم بن عبد بورينگ الخلفي، ومحمد بن البشير بن زواينگا الخلفي، وهناك قصيدة تؤرخ لهذه المعركة البودرارية. هذا هو الفرق.

أما معركة أيت عبلا الباعمرانية فهي ضد الإسبان سنة 1957م منها معركة جبل تاموشا بعد تيغيسيت، وفيها انهزم الإسبان وطم طردهم بالرصاص وبدحرجة الصخور عليهم من عل مقهقرين في جبل تاموشا المذكور، وفي هذا الجبل أكبر غابة لشجرة أرگان في أيت باعمران، وفي مرتفعه أثر قديم يعرف بتاگاديرت ند واگمار الخلفيين، منها غيران ومطافئ لحزن المياه مازالت صالحة، وقريبا منها عين غزيرة، ولقدمها ولحصانتها يلجأ إليها السكان عند الحاجة، وفيها تحصن الشيخ محمد بوژاليم وغيره عندما نزلت محلة الجنرال دولاموط بإيسينگ سنة 1917م.



أهم مراكز جيش التحرير بالجنوب :

أكبرها في بويزاكارن، حيث تركز المجندون من الخميسات، وكان السجن في المطار بأكلميم، والمركز الثاني في فندق الحاج بن يحيى بأكلميم، ومن القادة مولد الخمسي في العيون إيغومان بين لبيار وأيت ياسين.

أما القائد الهاشمي بن صالح الجزائري، ففي الساقية الحمراء وغير ذلك، إلى أن رجع جيش التحرير من الصحراء إلى أكلميم في ليلة 23 / 11 / 1957م فوزع القوة بين تاليوين وثلاثاء إصبويا وأربعاء مستي وأملوؤو بأيت الخمس، وتيغزي وتابلوكوت، وفي هذه الأخيرة، انتقلت فرقة إلى ميرلفت عددها 40 فردا ولهذا الموقع خصوصياته لما ترتب عنه من تبعات خطيرة.

### معركة تاليوين ضد الإسبان :

أما معركة تاليوين فقد اعتمدت فيها عن محمد أسكوباني إذ يقول : «وقع الاتفاق على الساعة السادسة صباحا من أجل إطلاق الرصاص في كل جهة، وكنت أنا الإسكوباني محمد من المهاجمين على مركز الإسبان في تاليوين مع القائد بن عيسى، فقصفتنا طائرة الإسبان، فقتل منا مولاي لحسن بووگورون من تاليوين، فجرح الحسين أوضاراعي جروحا خطيرة، فنقل إلى أكلميم في ظروف صعبة، فمات شهيدا في الطريق لقلة الاسعافات، بل انعدامها تماما.

وقد فوجئ الإسبان في مركز تاليوين، فهربوا إلى إخوانهم بثلاثاء مخفر تاكاناتين في توريرت نبوهگكو، والمعركة الثانية في أسيف بأوتلاؤك، ثم رجعوا إلى مدينة سيدي إفني، فاحتل جيش التحرير موضع أوغران بكل سهولة وبلا خسارة، وغنم السلاح والتموين، وكون المركز في دار إبراهيم ولد ماماس، والمستشفى في دار أسكوباني سيدي علي بن حماد العدل الذي تولى العدالة منذ ترسيم الإسبان في إفني، وهناك مركز آخر في تاكاديرت، والثالث في توگونفل في أيت علي».

وهذا ما تيسر لي نقله من المستجوب المذكور، لأنني مررت هناك دون أن أتمكن من هو أدري بعين المكان، إلا هذا الإسكوباني محمد، كما زرنا موقع معركة أصدر الواقعة

هناك بمناسبة الندوة الثقافية بمشاركة كلية ابن زهر في مدينة سيدي إفني، بعدما تغذينا عند الدكتور برّو المستاوي. وعهدي بصديقنا الشاعر محمد البايك العويني أنه أنشأ قصيدة في موقع معركة أصدر هناك، لم أتمكن من تسليمها منه، كما لم تنشر تلك الندوة حتى الآن !

### معركة تيغزي :

حدث أن نزل الجراد على سهل تيغزي يومه لانعدام الأشجار هناك، فملأ الأرض بجانب السكان، مما جعل البعض يستيقظ قبل الفجر لجمع الجراد قبل طلوع الشمس، وذلك يوم الجمعة 11 / 22 / 1957م. وفي صباح يوم السبت 11 / 23 / 1957م بدأ الرصاص يتبادل بين الإسبان في ثكنة تيغزي، وبين جيش التحرير المحصن، في بُرج بوزاليم، وهنا قال الحاج أحمد بازين لعائلته : لنهذب، فقد حدث شيء غير عادي، فقصد برج بوزاليم بجواره، فقيل له اذهب مع عائلتك قبل أن يهلك الجميع، وفعلا ذهب والرصاص يسقط كالطر قبيل الفجر.

وعند انتشار ضوء الصباح، استيقظ الناس مذعورين، فهرولوا نحو جبل تاموشا tamouchcha وكان جيش التحرير أحاط بثكنة تيغزي مركزا في برج بوزاليم، والثاني في موكفاف والمدرسة العتيقة، والثالث في موضع ألوزاض، فأخذ جيش التحرير يقترب من الثكنة، وفيها حوالي 500 جندي، وفي تاموشا حوالي 150 جندي، ودام الحصار 15 يوما، والثكنة محاطة بسلك مشوك. وجيش التحرير قدم من سوق خميس تافراوت على حدود أيت برايم، ولذلك حبس جيش التحرير كل من قدم من هناك نحو تيغزي حتى لا يوصل الخبر إلى الإسبان.

فك الحصار على تيغزي : قدمت قوة كبيرة من مدينة إفني إلى فك الحصار على تيغزي، فلم يتعرض لهم جيش التحرير لقوتهم، والعجيب أنه بمجرد خروج قوتهم من تيغزي انقضّ الناس كالشعالب على الثكنة، فأفسدوا كل ما وجدوه هناك، كما كسروا محلات التجار في السوق، وسرقوا ما فيها، بل دخلوا دور الناس في المواضع التي هرب منها أهلها، وأخذوا كل شيء، ومن الناس من استرجع بعض الأدوات من هنا وهناك،



فانظر إلى هذه الحالة، وكيف ضاعت مصالح البلاد والعباد، وفي تيغزي هذه ضاعت الوثائق الإدارية للقنابل التابعة لهذا المركز الكبير بعد إفني.

وفسروا تفجير الثكنة بالخوف من رجوع الإسبان، ثم بدأ جيش التحرير يهدم الثكنات بالقنابل التي تسقطها الطائرة ولم تنفجر، وكان المكلف بتفجير القنابل تحت البنيان رجل اسمه لحسن من قبيلة أيت اليسييمور، كان جنديا لدي الإسبان، ويقول الشاب بازين مبارك، كنت من الذين كلفوا بجمع تلك القنابل (وعددتها 51) وتزن كل قنبلة حوالي خمسين كيلو غرام، كنا ننقلها بواسطة الدواب.

ومن المشرفين على مركز تيغزي بعد ذلك القائد التسولي، ومنها انتقل إلى موضع الأالن قرب إفني، عندما حل السلم بين الجيشين على حساب أيت باعمران، وكان التموين يخزن في دار الحاج الطاهر بن الحاج عبلا بوژاليم، ومنها ينقل إلى الأالن.

ولكي نقرب الوضعية العامة، نذكر قدوم طالب يريد الجهاد، فأرسل إلى مشارف إفني حيث حصار الإسبان، وفي المعركة الأولى له، لاحظ جنديا جرح بجانبه، فترك ينزف حتى مات، والمحيطون به يأكلون ويشربون ويتكلمون حوله، إذ لا وجود لطبيب ولا دواء، وفي الغد ترك بندقيته هناك، فالتحق بقبيلته أيت عبلا، ومع ذلك عد من أصحاب الحقوق لتسجيله في جيش التحرير، وتكفيه نية الذهاب عن الفعل !

وليس الهدف من قراءة هذه الشهادة كما هي، ولكن المهم أن ندرك ظروف الزمان والمكان والإمكانات، وانعدام التنظيم والتدريب، ومع ذلك استطاع أيت باعمران بالإيمان وبالتضحية أن يحرروا جميع مراكز الإسبان خارج إفني.

الضابط الحاج حمّادي صديقي البشير الفلالي يقول : «كنت جنديا لدى الإسبان في إفني مدة طويلة، وكنت متقنا للغة الإسبانية، وكان اختصاصي هو الراديو اللاسلكي عندهم، لذلك كنت على علم بما يدور وما يروج بينهم، كما كانت تعسفات الإسبان لا تعجبني، ففكرت في الهروب من الثكنة العسكرية بإفني (باطايون) وهي أكبر ثكنة للإسبان في المغرب، وفعلا عازمت على الهروب إلى جيش التحرير الذي لنا معه اتصالات سرية، ونحن جماعة من الجنود في إفني.

فصرت أخطط لذلك الهروب مدة، لشدة حراسة الإسبان على كل مسلم، إلى أن جاءت الفرصة عندما ذهبت فرقتنا إلى ثكنة تيغزي لتعميرها، وفعلا هربت من تيغزي إلى مركز جيش التحرير في أندجا في جهة بويزاكارن، فقدمت معلومات لهم لكنني تركت زوجتي جهادي فاطمة وأولادي كلهم معها في مدينة سيدي إفني لغيرتي الوطنية، وتلك تضحية كبيرة في سبيل الوطن.

وفي مركز أندجا، طلب مني جيش التحرير أن ألتحق بالصحراء، لأعمل في اللاسلكي هناك لكوني أعرف الإسبانية، ولقلة من يعرف استعمال اللاسلكي بالصحراء من المجندين المدنيين، لكن طلبت منهم أن أبقى في أيت باعمران، حيث أولادي، وبصعوبة قبلوا عذري بفضل توضيحي واحتياجهم إلى معرفتي في تيغزي، فأرسلوني إلى مركز أفاندعيسى في أيت عبلا البعمرانية.

وهناك بدأنا نهيب للهجوم، لأنني كنت هناك قبل ثلاثة أشهر من الهجوم، فشاركت في حصار ثكنة تيغزي، يوم الثورة، وأنا عارف بجميع قوة تلك الثكنة عددا وعدة، ومع ذلك أشجع من معي، ونحن عدد قليل جدا، وسلاحنا أقل فعالية وعددا، وبسيط أيضا، ويتكون من كل نوع، مثلا كل عشرة منا تسلم ست بنادق فقط، في انتظار الهجوم على الثكنات الإسبانية لنغنم منها السلاح، وتلك أعجوبة لا يصدقها جندي محترف عرف ما يتوفر عليه العدو. وهو يطمع في سلاح غيره.

وفعلا أحطنا بثكنة تيغزي من عدة جوانب، مما جعلهم يعتقدون أن قوتنا أكثر وأشد منهم، وخاصة عندما ركزنا على الجهة الغربية حتى لا تأتي منها الإغاثة من إفني، أو يخرج جيش تيغزي في اتجاه إفني ويمر علينا، وكنت أنا في هذه الجهة الغربية في موقع يسمى موكفاف، (مرتفع يقابل ثكنة الإسبان) كما احتلنا كذلك المدرسة العتيقة، فصرنا نرشق الإسبان بالرصاص، ويردون علينا، والمسافة بيننا حوالي نصف كلم. فقط.

ورغم قلتنا كنا في ردنا عليهم نشعرهم بكثرة الطلقات، وأنا أكثر وأقوى، فاستمر حصارنا للثكنة بكاملها، لأنهم لا يعرفون عددا ولا قوتنا، وقد أدهشهم ما توصلوا به من وقوع الهجوم على جميع الثكنات بأيت باعمران، ومن الصحراء كذلك في وقت واحد، وتلك مغامرة من قادة جيش التحرير ليقحم غيرهم فيما لا يستطيع.



ولم يمت منا أحد، كما لم ألاحظ قتيلا من الإسبان كذلك، لبعد المسافة المذكورة، ولأن الجميع يتبادل الطلقات من وراء الجدران، سواء من كان في برج بوزاليم شرق الثكنة، ومن في موضع ألوراض شمالا، ونحن في الغرب، فاستمر الحصار.

والحق أنهم لو خرجوا جميعا من الثكنة نحو إفني لأزاحونا من مواقعنا، مع العلم أننا صممنا على أن نواجههم إلى أن نستشهد جميعا، إذ لا نرضى بالانهزام، وفي تلك الظروف الصعبة، وردت علينا أخبار بسقوط بعض المراكز الإسبانية في يد المجاهدين عبر الاتصال بي، فزددت قوتنا وإيماننا بالانتصار.

لكن هذه الفرحة لم تدم، إذ ورد علينا خبر بفشل الهجوم على مدينة سيدي إفني، وأن بعض من أرسل إلى هناك قد قبض عليهم، كما أخبرنا بأن القوة الإسبانية بإفني عازمة على الخروج من مدينة إفني لفك الحصار على كل ثكنة خارج المدينة، مثل أملوو وتيغزي، كل هذا عبر اللاسلكي معي، وهنا أمرنا بالذهاب إلى أگني نبورصاص لنسد الممر الوحيد الذي ستمر منه القوة الإسبانية الخارجة من إفني لفك الحصار على الثكنات منها تيغزي..

وفعلا ذهبنا إلى عين المكان، وقمنا بالكمين هناك إلى أن قدمت فرقة من الإسبان المكلفة بإصلاح الطريق، فتراشقنا معهم بالرصاص والمدفع، فوقعت فيهم خسائر فادحة، وغنمنا منهم شاحنتين وسلاحا كثيرا، ومع ذلك خرجت حملة من إفني بقوة كبيرة، ومرت في نفس الممر، وفي نفس الاتجاه، لفك الحصار المطلوب، فاستعملوا الرصاص كالمطر أمامهم، ولم تتعرض لهم لقوتهم. إلى أن تمكنوا من فك حصار كل من أملوو وتيغزي ورجعوا كلهم إلى إفني.

التدريب العسكري : إن أغلبية المجاهدين لا تدريب لهم، ولا أية معرفة بالجيش وقوانينه، ولا بالحرب ولا بالمطلوب من الجندي، إلا أقلية منهم أرشدهم ما أمكن مع مثلي بين جماعتي بتيغزي.

والحق أن الفضل فيما بعد، يرجع إلى ضباط قدموا من السلطة المغربية، فصاروا يدرّبون ويسلّحون وينظّمون المجاهدين على شكل فرق صغيرة، ثم إلى الكبيرة إلى

مراكز إلى قيادات، أهمهم الضابط بن حمّو، والضابط إدريس الحارثي الذي استشهد في معركة أمغالا بالصحراء، وهو من زمّور الشلح، ولهذه الشخصية دور كبير في ثورة أيت باعمران التحررية ضد الإسبان، ولد سنة 1934م وتابع دراسته الابتدائية ببلدته الخميسات بجهة مكناس، والثانوية بمدارس محمد الخامس بالرباط، وشارك في المقاومة بالخميسات، إلى أن فر إلى الدار البيضاء، خوفا من القبض عليه، وبعد ما اشتد البحث عنه، التحق بتطوان، ومن هناك ذهب إلى الشرق، قصد التدريب على استعمال الرادار. فأتقن ذلك.

وفي العراق تدرّب عليّ تعليم حرب الأغوار، ولما رجع ساهم في تدريب جيش التحرير بالريف، ولما قامت الحرب في أيت باعمران وفي جنوب المغرب، بعث رسميا هو وصديقه الكوماندان إدريس بن بوبكر إلى منطقة أيت باعمران، فصار قائدا لمقاطعة 13 بأيت باعمران المعروفة بتاحانوت ن بلا. فسهر على تسيير العمليات هناك ما بين سنة 1957م - 1969م حيث أدمج جيش التحرير بأيت باعمران في الجيش الملكي.

ولم يعرف أحد من أيت باعمران بأن إدريس الحارثي وإدريس بن بوبكر يمثلان السلطة المحلية إلا عندما وقع الإدماج حيث قال الملك أين الذين كلفناهم منذ زمان بجيش التحرير، بأيت باعمران ؟

وإذ ذاك فقط، تقدم إليه من الصف كل من إدريس الحارثي وإدريس بن بوبكر قائلين نحن دائما تحت الخدمة يا جلالة الملك، لكن مؤخرا كثيرا ما نمنع من الوصول إلى القصر. وعلى كل حال، فقد سهر الرجلان على إدارة جيش التحرير بأيت باعمران، رغم ما يتخلل ذلك التسيير، والذي لا بد منه في تلك الظروف من حسنات وسيئات، ومن محاباة وتعسفات، لكن بالجملة فقد أثبت الرجلان كفاءتهما بفضل مرونة أيت باعمران والتعاون معهما، رغم ما بدل من طرف بعض الأحزاب حينذاك لتشويه سمعة الرجلين، وبالتالي جيش التحرير بكامله». (صديقي حمّادي ج البشير)

وخلاصة القول فالرجل جندي كفاء، سياسي وشجاع، وشاء القدر أن يستشهد في معركة السمارة بين الجيش المغربي من جهة، وبين جبهة بوليزاريو كوريثة للاستعمار الإسباني في الجنوب المغربي.



ورغم ما يروج إعلاميا حول معركة السمارة، فإن الحقيقة صارت غامضة، سواء في كيفية إدارة المعركة، أو في عدد الخسائر في الأرواح والعتاد، ومن المؤكد الآن ان هذه المعركة قد تكون بداية لمعارك أعنف، كما سجل علنا ورسميا دور الطيران المغربي من نوع ميراج رقم (1) التي لها تقنية عالية، والتي ستؤدي - ولا شك - إلى توسيع رقعة الحرب، قد لا ينحصر مكائنها حاليا. في ست دجنبر 1979م وكذلك إدريس الملاي والضابط ابن المختار والضابط التسولي وغيرهم، وهؤلاء هم الإغاثة في التدريب، وهم ضباط أكفاء ومدربون كبار.

تسليم السلاح للمهاجمين من تافراوت : قال : إن الذي سلم لنا السلاح في البداية هو كرم محمد بن إبراهيم إيجوي الخلفاوي، وبه بدأنا الهجوم. ثم قدم المجاهدون أيت باعمران من كل جهة، فتسلموا السلاح مما غنم من مراكز الإسبان المحررة فيما بعد، منه ما استخرج من بئر ثكنة تيغزي فيما بعد، لكن معظم البنادق أفسدها الماء بعكس القرتوش الصالح للاستعمال.

حصار مدينة إفني : لما جمعت قوة الإسبان من كان في مراكزها خارج المدينة، شرعت في تحصين ما حولها من حفر الخنادق، ونشر السلك المشوك، وزرع الألغام كشريط يحيط بأحواز إفني بكاملها، هنا أمر جميع المجاهدين أن يتترسوا قريبا من قوة الإسبان حول إفني، فتم الحصار مدة من الزمن.

قيل بأن قوة الإسبان بلغت في إفني ثلاثين ألف جندي، ومعهم من سكان المدينة المحاصرين هناك عشرة آلاف شخص، فنال الجميع من قلة الزاد والماء واللباس ما برهن على ضعف قوة الدولة الإسبانية، وكان تبادل الرصاص من حين إلى آخر كلما برز جندي إسباني في الحدود، مما جعلهم لا يستطيعون أن يستغلوا الخشب ولا الماء ولا أكناري وما هناك من الخضر حول الحدود.

تدخل الجيش الملكي : والحق أن ذلك الحصار، أهلك الطرفين معا، إذ نال الخصاص من حوصر في إفني ومن حاصرهم من المجاهدين في الحدود، وقد هلك رجال بالمرض والسل وقلة التغذية وقلة اللباس وهموم العائلات المشتتة إذ هاجر أيت باعمران بعائلاتهم إلى خارج الحدود، فضاع كل ما يملكون.

وتدخل الجيش الملكي، بدأت الاتفاقيات بين الطرفين، فسمح لبعضهم بالدخول أو الخروج من إفني، وقال الحاج البشير : منهم عائلتي التي حملها الإسبان من إفني، في الطائرة مجانا إلى مدينة العيون، ثم سلموهم للمغرب في حدود طرفاية، ثم نقلتهم الحكومة في الشاحنات إلى أكلميم، حيث اتصلت بهم عندما نودي علي وأنا في حصار حدود إفني. وأشكر الله على سلامة عائلتي كلهم، وخاصة زوجتي جهادي فاطمة المجاهدة والمحافظة على العائلة..

أما تغيير الخطة، فقد تراجعت عملية الإسبان في نقل المغاربة من إفني إلى الصحراء عبر الطائرة، منذ الفوج الأول، ثم شرعت تقذف بالسكان في الحدود مع جيش التحرير، فاتخذت الجمال والحمير وسيلة للنقل بالكرء إلى أكلميم، وبها من تعاسة وشقاوة، وقد شارك الحاج حمادي صديقي البشير الضابط هذا في معركة أمغالا بالصحراء حيث وقعت مجزرة بين الجيش المغربي وبوليزاريو، فجرح هو برصاصة اخترقت كتفه وأخرى مسمومة اخترقت ركبته، ورغم معالجات طويلة، فقد كان فيها أجله، وهذه المعلومات أخذت كلها ناضجة من المساهمين عن قرب في عين المكان.

وعن مناضل آخر لحسن أبانكا العبلاوي الذي سلم لي مذكرته يدا بيد في 5 فبراير سنة 1973م ومنها قوله : «ولدت في سنة 1933م بقبيلتنا أيت عبلا الباعمرانية، فاستوعبت القرآن الكريم، ثم تابعت دراستي في المدرسة العتيقة «الجمعة» حيث أخذت مبادئ الأمهات العلمية عند الفقيه السيد أحمد بن اليزيد أبلوش الباعمراني، ومعني الطالب الجيد محمد بن القاضي حسن العبلاوي وعدد من المشحونين بالوطنية، فاتصلنا بالحركة الوطنية سنة 1952م. ومهمتي أنا توعية الجماهير في قبيلتنا، إلى أن انتقلت إلى مدينة فضالة (المحمدية) حيث تعرفت على جماعة سرية لحزب الاستقلال، ثم صرت كاتبا لفرع هذا الحزب في أيت عبلا، ثم كاتبا للجنة الإدارية، بسيدي إفني، حتى سنة 1957م.

حيث هاجم الإسبان جميع المؤسسات الوطنية بإفني، فقبض على البعض منا وفر البعض الآخر إلى أكلميم وإلى بوائزكارن وتيزنيت، ومن ثم أصبحت منخرطا في جيش



التحرير، صحبة أكرير محمد بن عبد الله إيجوي، تحملنا مسؤولية مركز تافراوت بأيت برايمم تطبيقاً لأوامر قيادة جيش التحرير إلى يوم 21 نونبر سنة 1957م. حيث هاجم أيت باعمران جميع مراكز الجيش الإسباني، فكنت ضمن الفرقة المهاجمة على مدينة سيدي إفني، ومهمتي الاستعلامات من طرف قيادة جيش التحرير، كما حملت سلاحاً وبعض المفرعات والمصورة.

لكن قدر لي أن أكون من أسرى في يد الإسبان مع عدد من المجاهدين : أذكر منهم مبارك بن الحسين أعراب الخلفاوي، وإبراهيم بن السكاي العبلاوي، ولحسن بن الحسين العبلاوي، وعبد الله التيوتي، والمحفوظ البراييمي، وأحمد بن لحسن البراييمي، وأحمد بن علي بن حما البراييمي، ولحسن البراييمي الذي مات في سجن الإسبان، ومحمد بن محمد البراييمي، والحسين بن إبراهيم العزراوي وعددنا عشرة.

وقد حوصرنا ونحن ننتظر الأوامر لنهاجم الثكنة الإسبانية باطايون بإفني، لكن الأوامر لم تصل إلينا حتى طلعت الشمس، كما لم نسمع بهجوم المجندين في داخل الثكنة كما وقع الاتفاق عليه، فإذا بالخطة قد فشلت فيما يخص مدينة إفني، بينما نجح الهجوم على جميع مراكز الإسبان في القبائل خارج إفني.

وقد انطلقت فرقتنا من مركز تافراوت بأيت برايمم، وهي الحدود بين الدولتين، وهي المركز العام، حيث استدعي جميع مجاهدي أيت باعمران الذين سيشاركون في الهجوم على جميع المراكز الإسبانية، فتدرب الجميع على كيفية استعمال السلاح مدة أسبوع واحد، ومن ثم أرسلت فرقة تتكون من خمسين رجلاً إلى موضع كريمة قرب إفني على بعد عدة كلمترات فقط، ومعهم مائة بندقية، واختفوا هناك في حديقة للسيد محمد بن التاكي البوجرفاوي، وذلك يوم 19 / 11 / 1957م كما أرسلنا حمولة حمار من السلاح نهاراً للحاج عبلاً الخلفاوي إيليوي أوصلها إلى عين المكان، كل ذلك والإسبان لا يعرفون ما يدبر لهم.

ومن ضمن الفرقة محمد عاشور وعائلاً ومحمد بن جامع الخلفاوي والحسين بن إبراهيم إيجوي، وهم العارفون بعين المكان معرفة تامة، ولو كان الوقت ليلاً، وكان الجميع

تحت رئاسة هانون المستاوي، ويقال بأنه هو المسؤول الكبير عن فشل دخول إفني، وزعم أن أهل إفني سيقومون بالهجوم، وأن جيش المسلمين الذين تحت الإسبان في الثكنة سيبدأون بالهجوم على ضباطهم في السادسة صباحاً، وعلى فرقة جيش التحرير، أن تعزز موقفهم داخل الثكنة بعددنا الواصل إلى 110 جندي، وقد زحفنا ليلاً حتى وصلنا إلى حائط الثكنة الإسبانية في باطايون بإفني.

وكانت الخطة المتفق عليها هي أن تقوم فرقة هانون المكلفة باحتلال القنطرة التي تفصل في الوادي بين المدينة بالجنوب عن الثكنة العسكرية في الشمال بإفني، وعدد جنوده خمسون فرداً، ومهمتهم قطع الطريق عن إغاثة الثكنة العسكرية باطايون، وقد أعطيت لنا الأوامر بالأهجم إلا بعد ما نسمع الطلقات من احتلوا القنطرة أولاً، وكذلك سماع الطلقات في داخل الثكنة الإسبانية، لكن لم نسمع أي شيء حتى طلعت علينا الشمس، والإسبان سدوا علينا جميع المنافذ، وركبوا في المرتفعات عتادهم الحربي، وجيشهم الذي خلفنا هو الذي أخبر الثكنة بوجودنا بباب الثكنة.

وقد قلنا لقائدنا علوش الريفي : إننا في خطر، وأن الساعة المتفق عليها قد مرت، ولا أثر للهجوم، وأن أوامر قادة جيش التحرير، لم تعد مجدية، عليك أن تفكر في مصير 110 جندي، فقال : من لم يرض بأوامري منكم فليصرف، فكان جوابه هذا الطامة الكبرى علينا، فأجبناه بأننا تحت الطاعة، لكن لا تنس قتل الجميع بلا فائدة.

وهنا سمعنا بطلقات بالوادي كإعلان بفشل الهجوم لينسحب الجميع، لكن لم نتأكد من مصدر ذلك، ولا تسأل عن حالتنا المنهارة، والإسبان يحاصروننا، وفرقة هانون على علم بحالتنا الفاشلة، فأرسل ثلاثة أشخاص لإخبارنا بما وقع لنسحب، منهم الحسين بن إبراهيم إيجوي، فأشاروا لنا بالضوء من بعيد، ولم نعرف الهدف من ذلك، وليس معنا سانفيل كما عند الحاج البشير ليتصل بنا.

كما أن خمسين بندقية دفعت لهانون ليوصلها إلى الجنود المسلمين بإفني لم يوصلها لهم، كما قال لهم إنه يتوفر على ألف جندي مجاهد، وعليهم أن يبدأوا بالهجوم ليغيثهم هو، لكن قالوا له : إن إفني لا تفتح بهذه الإمكانيات فرجعوا في ليلهم.



وحوالي الساعة الثامنة بعد طلوع الشمس، بدأ انسحابنا، فقتل البعض، وقبض على البعض، ولم ينج منا إلا من عرف تضاريس تلك الجبال، ولم يقف من نجا من ذلك الحصار إلا بعد أن قطع الحدود بين الدولتين، بينما الباعمرانيون كونوا الدفاع قريبا من إفني، أما الفرق التي وجهت إلى مدينة إفني فعددها ثلاثة: فرقتنا نحو باطايون، وفرقة هانون المستاوي نحو القنطرة، وفرقة نحو أمزدوغ، والحق أن الهجوم على إفني كان بمثابة التضحية بنا جميعا.

أما من قبض عليه من فرقتنا فقد استسلمنا بدون إخراج البارود، فنقلنا إلى سجن أمزدوغ، وتعرضنا للتعذيب، ومن ثم إلى جزيرة فورتني باتتوري، وتعرضنا من جديد للتعذيب والبحث، فحكم علينا عسكريا بسجن لمدة عام ونصف، إلى أن وقع تبادلنا مع أسرى الإسبان، وسلمنا لجيش التحرير لضباط منهم كريم محمد إيجوي والسي علي المسفيوي، ومن إفني إلى إداوسوكم إلى بويزاكارن، ثم إلى أكلميم ومنه إلى أكادير. حيث استقبلنا المغفور له محمد الخامس صحيفة قيادة جيش التحرير منهم ابن حمو وابن إبراهيم وإبراهيم بن عبد الله التزيني وغيرهم.

ملاحظ هناك روايات متشعبة كثيرة، وحتى عدد الجنود الموجهين إلى إفني أقل بكثير مما ذكر، والعدد المذكور في مذكرة أبابا ما هي إلا العدد المضخم لتشجيع السامعين منذ الانطلاقة من مركز تافراوت، كما أن السلاح قليل، ومن تلك الخطب أن يباغت المجاهدون الثكنة ويحصلوا على السلاح بشجاعتهم على حد تشجيع كريم محمد لهم، وقد اقتصر على الروايات المباشرة المسجلة كمذكرات من أصحابها الذين لديهم ثقافة حملت إلينا واقعهم المعاش، وإلى حد الآن، لم نعرف حتى عدد المقتولين في ذلك الحصار، ولا حتى المسؤولين عن فشل ذلك، وإن كنا نعرف أن كل من ليس باعمرانيا في ذلك اليوم لم يقف إلا بعد اجتياز الحدود بين الدولتين، حتى لا يقبضون كدليل على أن الدولة المغربية هي التي هاجمت وليس ثورة أيت باعمران.

#### نقطة استفهام وتعجب :

1 - منها أن أيت باعمران احتلوا أو شلوا جميع قوات الإسبان خارج إفني لعامل مفاجأة المجاهدين من جهة، ولضعف قوة تلك الثكنات وفقدان احتياطاتها من أي هجوم مرتقب من المجتمع البدوي من جهة أخرى.

2 - لو ثم أسرى الإسبان وعدده ثلاثون ألفا، فأين سيسجنون وكيف يعاملون، والدولة المغربية لا يمكن أن تتدخل قانونيا، ولذلك تم توقيف احتلال مدينة إفني بهمسة خفية حكيمة ضرورية، مع الاكتفاء بما تحقق من نجاح في الثكنات خارج المدينة.

3 - وأما ما قيل عن مسؤولية هنون وعدم تنفيذ قتل الضابط الكبير في مقره لقطع الصلة بالأوامر كما يقول كريم محمد، ما هو إلا تغطية لأسباب الفشل والتضحية بمن استسلم بلا مقاومة بجوار الثكنة، والهجوم قد حقق فرض التفاوض وهو المطلوب.

4 - وأكد لي كريم محمد أنه لما لم يقتنع الجنود الوطنيون من الإسبان بما لدينا من السلاح والعدد عند اللقاء بهم فانسحبوا راجعين، كما أن الوصول إلى الضابط لم ينجح، فأرسل هو من يخبر بالانسحاب. مقابل حصار إفني بعدة معارك، حتى لا يتقدم الإسبان لاسترجاع البوادي، فتدخل الجيش الملكي، كفاصل بين أيت باعمران والإسبان، فبدأت المحادثات بين الدولتين فتم ذلك بأعجوبة تاريخية وبحكمة الملك الحسن الثاني، هكذا لخص لي مسار الأحداث...

#### معركة مركز تابلوكوت :

وهذه مبادرة مسجلة أخرى من مناضل باعمراني مثقف، إنه بومارت حسن بن إبراهيم بن عبد الله في موضع أسيف إيبدوادران من فخذة أيت إملان قبيلة أيت النص الباعمراني، رقمه في جيش التحرير 72. بأسيف إيبدوادران شرق مدينة سيدي إفني، والده بومارت إبراهيم بن عبلا بن محمد بن أحمد بن محمد بن بلقاسم الباعمراني، توفي هذا الوالد سنة 1968م وعمره حوالي ثمانين سنة. وهو متوسط الثقافة، ولما احتلت إسبانيا إقليم سيدي إفني، انقطعت الصلة السياسية بمنطقة الحماية الفرنسية الخاضعة للأحباس الإسلامية، لذلك أنشأت السلطة الإسبانية في أيت باعمران ما يقابل وزارة الأحباس، فاتفقت مع أعيان أيت باعمران حسب عرفهم على السيد إبراهيم بومارت لأمانته ولمكانته بين الأعيان، على أن عين رسميا وكيلا للغياب والورثة، وذلك بعدما تحصي تركة كل غائب ثم تسلم لهذا المسؤول كمشرف عليها إلى أن يظهر الوارث لمن فقد في حرب إسبانيا 1936م. فقام بذلك أحسن قيام طيلة عمره، ولأجل ذلك نشأت هذه المهمة : بومارت، فعرفت بها العائلة.



قمت باستجواب السيد حسن بومارت هذا، ولأهمية معلوماته كشاهد عيان، رجعت إليه من جديد لاستكمال نشأته، فقد أخذ تعليمه بموضعه عن الطالب محمد بن أحمد بن لحسن من عين المكان، ثم استكمل عن الطالب سيدي أحمد أوعدي بموضع إدوفقيير، وهو من إجاوان نبورمضان بأيت إخلف، ثم حفظ القرآن كاملاً على يد الفقيه عمنا جهادي محند، عندما كان مشارطاً في مدرسة أيت بوبكر العتيقة، قال : وكان معي أخي عبلاً وهو صغير، وكان سيدي محند هذا شارط في تلك المدرسة بتيغزي 1936م. وهو قليل النظر، في الجد والاجتهاد والدين والوطنية وبالقدوة والمثالية والإرشاد وجمع الكلمة، وتخرج على يده جيل من الطلبة.

ولما تمكنت من حفظ القرآن الكريم عنده، انتقلت إلى أخذ الأمهات العربية، فأخذت الجرومية على يد الفقيه سيدي محمد أوبلوش العبلأوي بمدينة سيدي إفني، ثم انتقلت إلى المدرسة العتيقة الجمعة بأيت عبلا الباعمرانية عند العلامة سيدي أحمد أليزيد، وهو فقيه وطني متمكن ومفيد، توفي رحمه الله بسرطان في العنق، وذلك سنة 1949م. ثم خلفه في نفس المدرسة سيدي محمد أبلوش القاضي المعروف، والد الدكتور عبد الحميد، ثم انتقلت إلى مدرسة سيدي علي أسعيد بقبيلة أيت عبلا الباعمرانية عند الفقيه سيدي عيسى الأدوزي الماهر في تفسير الدروس بشلحة فصيحة صافية ناذرة من غيره، وبعد مدة رجعت إلى الجمعة، لكن تعرضت للقبض من طرف الإسبان، ونحن جماعة منهم أنا حسن بومارت، والفقيه سيدي لحسن أوبلوش، كما قبض على طلبة مدرسة بوگارف، منهم السيد سليمان بن سليمان العبلأوي بموضع تيغسييت، وكان الفقيه فيها السكالك زكرياء أحمد التادارتي.

وذلك بسبب كتابة في مقر اجتماع السلطة الإسبانية مع الأعيان يوم سوق الجمعة بأيت عبلا كتب فيها «تسقط إسبانيا وليحي الوطن» فانهموني بذلك، وقبض علي يوم عيد رمضان من دارنا حيث قدم من تيغزي للقبض علي جنديان فصادفاني خارجاً من داري، فسألوني عن شخص في موضعنا اسمه بومارت حسن بن إبراهيم، فقلت لهما : لا يوجد هنا بهذا الاسم إلا أنا، فقالا لي : إننا جئنا للقبض عليك، فقلت لهما أنا مستعد، ولكن تفضلاً للغذاء ولحمل لباسي، فقالا : لا يمكن لنا أن نفعل أي شيء

إلا أن تذهب معنا، وكان معهما الشريف مولاي محمد البوجرفاوي ملازم الأضاحي في الصالح سيدي محمد بن عبلا، فأرسلته ليخبر والدي وليأتي لي بلباسي، لأنني لا أعرف ماذا ينتظرني وفعلاً ثم ذلك

وقد وصلنا إلى مكتب الإسبان بتيغزي، وأنا لم أتغذ يوم العيد، وهناك استجبوني بواسطة الترجمان ابن جامع عن معلومات دقيقة، منها أنني تسوقت سوق ثلاثاء الأخصاص، فقلت لهم ذلك صحيح، وقلت لهم جميع ما كان، وانهموني بأنني واسطة من «الوطن هناك» لأن الإسبان كانوا يبحثون عن ابن عمي الذي هرب منهم منذ سنة 1947م عند التبريح بنصر السلطان بموسم تابلوكوكت، وابن عمي المطلوب هو إبراهيم بن جامع البوجدادي النصفي بأسيف إيودران، الذي فر من الإسبان، فقلت لهم إنه ابن عمي، لكن لم أراه منذ خمس سنوات، وأنا قبض علي في هذه السنة التي هي سنة 1951م.

وبعد شهادة الجنديين بحسن السلوك، وبعد الرد بكل وضوح عن أسئلتهم، تبين لهم أنني بريء، فأطلقوا سراحي بعد أن سألوني عن علاقتي بسليمان بن سليمان العبلأوي، فقلت لهم : إنه ماهر في علم الميراث والحساب، وهو الذي يدرس لنا ذلك في منظومة تاسملالت والفرائض، فأطلقوا سراحي في الساعة 12 ليلاً. وأنا في غاية من الوقوف والجوع، فقصدت مدرسة أيت بوبكر، والمشارط فيها هو القاضي سيدي عثمان بن زبير التادارتي، وذلك سنة 1951م.

وبعد هذا الاضطهاد والمراقبة، هاجرت أيت باعمران إلى مدرسة إيوكشتيم بقبيلة أمّلن، عند شيخنا سيدي محمد المحمّدي اليزيدي، وهو فقيه متمكن جدي مفيد منذ 1951 حتى 1953م. وكان سبب هروبي من هناك انفجار قنبلة في موضع «أكونس ن واسيف بأمّلن» فنصحني من هناك بالمغادرة قبل القبض علي، فرجعت إلى أيت باعمران، ولما سبق أن قبض علي «اشتهرت بالوطني» فاعتنقت الفكر الوطني أكثر، وفي سنة 1956م قمنا بتكوين عدة منظمات وقمنا بالحفلات، لكن رفض الإسبان عملنا وتجمعاتنا، ونحن نعتقد أن استقلالنا واحد برجوع الملك، ثم أغلقوا مكاتبنا وقبض علي



عدد من الشخصيات الوطنية، منهم الفقيه أحمد زكرياء، وأحمد بوجضاضي الطالب الوطني الجيد، وهناك منظمة تطلق على نفسها «اليد السوداء تنذر كل من يعتزم أن يشارك في حفلات ست أبريل الإسبانية، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون».

ثم شرعنا نوزع المناشير أنا وأخي عبلا، ومحمد بن علي البدراري بموضعنا، ومعنا أحمد بن محمد بن لحسن بموضعنا كذلك، ومحمد زوايگا، وأحمد ند عمر، وإبراهيم ند عمر، ومبارك ند عمر بوسناينا، وأحمد بن الحاج سليمان بأسيف إيوداران، والحسين أهنا بإدلقائد صالح، الذي أصله من آيت علي نـ تاگوت بمجاط، ومن هناك جاء بالتسمية كقائد لاجئ لأمر ما فصار باعمرانيا بالتوطين. وبهذا العدد، لم يعد أحد يتصل بالإسبان ولا بمحاكمهم، فانتشر الخوف في البلاد.

الانخراط في جيش التحرير سنة 1957م سلحت جماعتنا في خميس تافراوت بأيت همان، وكان اللقاء هناك سبعة أيام تتدرب على استعمال السلاح كالبنادق، وذلك وقت صلاة الفجر، ثم نحتفي في الثكنة هناك طول النهار، وعددنا ثمانون فردا.

أما القادة الذين يدربوننا ومعنا كريم محمد بن إبراهيم إجيوي الباعمراني، والضابط إدريس بن بوبكر المعروف، والمقاوم المعروف بخالي لحسن كما يلقب بالبطل الحاج لحسن الإفرائي المستقر حاليا بمدينة أكلميم.

ومن تلك الثكنة، قسمت القوات المكلفة بالهجوم على جميع ثكنات الإسبان، منها فرقة مكلفة بالهجوم على أكبر ثكنة للإسبان في مدينة سيدي إفني المعروفة بباطيون (معلمة المغرب جهادي) والفرقة الثانية مكلفة بثكنة تابلوكوت، وأنا منهم، نقلتنا حافلة لحسن بن حاياد البراييمي ليلة السبت 23 نونبر سنة 1957م. فأصبح لنا الحال، فتركنا الحافلة، فسرنا راجلين، وكان الضباب كثيفا، والرؤية منعدمة، فتركنا الحافلة هناك، فصعدنا مرتفع الضحاك إلى أگني نـ زاعبون، مبكرين، وعددنا هناك 32 مسلحا برئاسة بدوي إبراهيم بن لحسن إيوكاضن في موضع عارگوب، فصادفنا هناك رجلا في أگني المذكور، فقبضنا عليه، وصاحبناه معنا إلى جهة الهجوم خوفا من أن يبلغ بنا إذا أطلقناه، ولما تحققنا منه، أطلقنا سراحه ثم انطلقنا إلى المرتفع المطل على ميرلفت، ليلة الجمعة

11/22/1957م وفي السبت 23/11/ وقع الهجوم، فمكثنا هناك إلى العصر، فأتى لنا رجل اسمه إبراهيم مغا بالشاي، ثم دخلنا ميرلفت في دار المقاومة، وهناك أكلنا تگولا والزيت وشربنا الشاي...

ولا تسأل عما نحن فيه من مشقة وتعب وجوع، ثم انطلقنا إلى قطع أسيف نـ سالگماض الذي هو الحدود بين الاستعمارين، فانطلقنا من إفرض بتابلوكوت، واختفينا في خربة تسمى آتبان بجانبه حيث الغابة الكثيفة، وكانت الريح القبلي تدفع حسنا ورائحتنا وقعقة أسنان المجاهدين لشدة البرودة نحو الثكنة، فهبت علينا كلاب الإسبان، ونحن محيطون بمخفر الإسبان.

واختفينا بجوار حائط برج الإسبان إلى الرابعة ليلا، ونحن ثلاث فرق، إلا أن الإسبان لم يراقبوا إلا جهة القبلة حيث كلابهم تحاصر من قدم من هناك، أما نحن في جهة الغرب، فلم يحسوا بنا. وأنا حامل الشرشول، وليس بيني وبين ثلاثة من الإسبان نزلوا من البرج، إلا عشرون مترا، لكن لم يصل بعد موعد إطلاق الرصاص، والفرقة الثالثة هاجمت في جهة الشمال.

وقبل التفرق قطعنا سلك اتصال الإسبان مع مدينة سيدي إفني، وقال رئيس فرقنا الشهيد بدوي إبراهيم بن لحسن الباعمراني : لا يخرج أي واحد منكم أية رصاصة حتى أبدأ أنا بنفسي، وقد كانت كلاب الإسبان تحاصر الفرقة التي قدمت من شرق مخفر الإسبان، بينما نحن الآتين من الغرب، لا تشم كلابهم رائحتنا ولا تحس بحركاتنا بسبب الرياح، ولذلك تقدمنا حتى التصقنا بحائط ثكنة الإسبان.

وقد أيقظ الحارس الضابط الإسباني برتبة ليوطنا، فقال له إن كلابنا تهاجم من قدم من جهة الشرق، وفعلا استيقظ هذا الضابط، فجال مع ثلاثة معه حول برج الإسبان داخل سلسلة من السياج من جهة الغرب حتى اقترب مني وأنا مسلح بالشرشور، ولولا الأمر المذكور لقتلتهم جميعا، لبعدهم عني بعشرين مترا فقط.

فإذا بالرصاص يبدأ من جهة الرئيس في جهة الجنوب، فهرب الضابط، وتحصن في أعلى البرج، فصاروا يرفعون رايتهم بمعنى أنهم لا يقاومون من حاصرهم، فقال من معي



إنهم استسلموا إذ رفعوا رايتنا، فإذا بي ألاحظ رايتهم وليست راية المغرب، ومن كثرة خوفهم رفعوا رايتهم معكوسة، فقلت لأصحابي هذا فال حسن لنا.

فعلت صلاة المجاهدين دفعة واحدة «اللهم صلِّ عليك أرسول الله» فوثبت شريط السياج المحيط بالقشلة واحتमित بالجدار في الأسفل، والإسبان في الأعلى، وهم يرمون الأبعاد، فدخل معي الحاج أحمد بن الحاج سليمان في أسيف إبودران قرب إفني، ثم التحق بنا أحمد ند لحسن بموضع إدباكّا، ثم مبارك بن محند بن عمر بوسناينا والسيد البشير بن عبلا اليعزاوي، ولما دخلنا وجدنا عددا من الأحجار متراكمة هناك، فقلت لهم لا تقتربوا من تلك الصخور، وفعلنا وقد نجانا الله من مس تلك الصخور التي كانت تخفي قنابل خطيرة.

وهكذا بقينا نحن نحاصر الثكنة في مواقعنا من الصباح حتى الساعة العاشرة ليلا، ولا يعرف أي واحد منا ماذا وقع للآخرين، مع أن الفرقة التي هاجمت من الجنوب برئاسة الرئيس هي التي تعرضت للرصاصة، فقتل الرئيس منذ الطلاقات الأولى، كما كسر لحسن بن اليزيد من تانولمي في الكف، فوقع في حفرة وهو يصيح، ولا أحد يستطيع أن يساعده هناك، ولا أحد يستطيع أن يتحرك وينجو من رماية الإسبان في أعلى البرج المظل على ما حوله.

أما أنا فقد تترست بحائط البرج، ثم تسللت إلى المكتب في داخل البرج، فاصطدمت بعسكري، فهرب نحو الخارج، فرجعت أنا إلى الخلف أنتظر مروره، فصار يصيح ويطلب من الأعلون أن يضربوا من في الأسفل بالقنابل التي انفجرت ورائي، فأصبت بالرش في ظهري، فأعلن من كان قريبا مني للباقيين: إن القنابل قتلت بومارت حسن، لكنني خفت من تلك الرائحة، فرجعت وأندرتهم بالعسكري الذي أراقبه لأصليه نارا.

ومن حسن حظي أن ضربوني بقنابل أوفانصيف، بينما الأخرى دوفانصيف تقتل، فرجعت إلى العسكري لكنه هرب، وأنا الذي أخبرت أصحابي بأن النصراري في أعلى البرج، فلا تضربوا الأسفل فنحن قد احتلناهم تحتهم

وحوالي العاشرة صباحا، مرت طائرة إسبانية علينا، فأعلنوا لها الدخان كإخبار لها.

أما نحن ففي غاية من التعب والجوع حتى إنني نمت تحت البرج كأنني فاقد الوعي، إلى أن استيقظت ولو في تلك المدة القصيرة، محصورا هناك إلى الرابعة زوالا، فأخذنا ما وجدنا تحت برج الإسبان، مثل بعض المأكولات، منها الخبز والزيت، لكن لا أحد يتقرب من تلك المأكولات، فأخذت قطعة من الخبز أمضغها لكن جف حلقي فلفظتها، ونحن حوالي يومين في الجوع، فإذا بنا رأينا ضبابا قدم نحونا من جهة الجنوب، فظننا أنه قوة الإسبان قادمة من إفني، فاندعش الجميع، ولما تمعنت فيها قلت لهم ذلك ضباب كثيف، خرج من البحر، وهكذا صمدنا إلى الليل فحملنا قتلانا، فقامت أنا بإطلاق الغاز في أسفل البرج، وأشعلت فيه النار، ومعني البشير بن عبلا من موضع إدزباير، اليعزاوي، وهو الذي ساعدني على الخروج من نافذة الثكنة، فالتحقنا بمن كان عند الصالح بزواية سيدي محمد بن عبلا بتابلوكوكت القريبة منا، وهم ستة من القتلى، والسابع من إدباكّا العبلوي. وهم عمر أوزروال مات في داره بعد نقله إليها، ولا تسأل عن الطبيب ولا عن الإغاثة ولو بالماء. ومن شهداء معركة تابلوكوكت هذه من يأتي:

- 1- رئيس الفرقة الشهيد بدوي إبراهيم بن لحسن بموضع عركوب من قبيلة أيت إخلف.
- 2- الشهيد البشير بن محمد قاقاس بموضع المسيد الأحمر من قبيلة أيت النص.
- 3- الشهيد أحمد بن سعيد في موضع الداويلاسن الذي انفجرت عليه بندقيته.
- 4- الشهيد علي بن أحمد في موضع ألوزاض من أيت النص.
- 5- الشهيد محند بن الرايس بموضع إدباكّا من قبيلة أيت عبلا الباعمرانية.
- 6- الشهيد أزروال عمر بن محمد بموضع إدباكّا بقبيلة أيت عبلا كذلك.
- 7- الشهيد الحسين بن محند اليعزاوي الطالب الجيد الملقب بإيليس لذكاته.

أما الذين نقلوا القتلى ليلا حول برج تابلوكوكت فهم فقيه زاوية الصالح سيدي جهادي إريك، وعمه بوشروض الحاج محمد بن عمر، وابن عمهما حجوم محمد بن إبراهيم، كما قام هذان الأخيران بإفساد قنطرة بومجوض الرابطة بين مدينة إفني وإغاثة المحاصرين، والثلاثة المذكورون من دوار تابلوكوكت. ومن الجرحى لهذه المعركة الآتية أسماءهم:



1- السيد حسن بومارت بن إبراهيم بن عبلاً بأسيف نـ إبودران شرق إفني، 2- الحاج أحمد بن الحاج سليمان النصفي بعين المكان، 3- لحسن بن اليزيد بموضع تانولمي اليعزوي النصفي، 4- أحمد بن مبارك أحاجي بالمسيد الأحمر النصفي، 5- محند بن جامع بموضع إدبايه النصفي، 6- إبراهيم بن محمد بن عمر بموضع إدبوسناينا النصفي، 7- محند بن البشير زوايگا الخلفاوي، 8- محمد بن مبارك بموضع إيمي وگني النصفي، 9- علي واعاش بموضع إدبوسناينا الخلفاوي، 10- بوويدير بن إددر بموضع إدباكا العبلاوي. وغيرهم. انتهى

والمعركة خطيرة لموقعها. وعندما سحبت فرقتنا القتلى والجرحى حل محلنا في حصار الإسبان فرقة أخرى منهم الحاج المناضل بو عيس ومولاي اليزيد من ميرلفت وغيرهم من أهل السيجل، فاستمر القتال والحصار إلى يوم الإثنين، فجاء القائد الوطني عبد العزيز الماسي فقصفوا بالمدفع جوار برج الإسبان كإنداز لهم، وفي الحين علقوا قطعة بيضاء فوق رايتهم كإعلان بالاستسلام، إذ ذاك تقدم القائد عبد العزيز عبر الحدود، بعدما أعلن توقيف الرصاص، ولما وصل برج الإسبان، رماه المجاهدون بالرصاص، لأنهم لم يتوصلوا بالإعلان، ولأنه لبس هو كسوة فرنسية، لذلك رماه مولاي بوهوش بالبندقية التسعية بين قدميه، فصاح القائد أوقفوا الرصاص، إذ ذاك نزل كبيرهم من البرج، وهو جاندارمي مع زوجته وبنته.

فقال للقائد عبد العزيز : سأسلم كل من في البرج بشرط أن تنقلونا إلى مدينة إفني، فقال له عبد العزيز : كيف ننتقلك إلى إفني وأنت تراني معرضاً للرصاص من كل من أحاط بهذا الموقع حتى إفني ؟ فإن فعلنا فسنقل كلنا جميعاً، وأعلم أن كل ما بين تابلوكوت ومدينة إفني على بعد 30 كلم مطوق بجيش التحرير..

إذ ذاك سلم نفسه ومن معه. فقال له عبد العزيز أنت الآن في ذمتي، ولا خوف عليكم، فنقلهم في سيارة إبراهيم الساحلي إلى ميرلفت خارج حدود الإسبان، وهناك قال ذلك الضابط سأرجع إلى الحصن لأنني هناك بمال وأزبل القنابل الموقوتة هناك، وفعلاً أرجعوه، ففعل ذلك بالنسبة للألغام، بينما وجد البليزة والدرهم قد احترقت

جميعاً بالنار التي أشعلتها، ثم قدموهم جميعاً إلى مركز بوجرايف جهة بويزاكارن. إلى أن قدموا للسلطان محمد الخامس بمدينة تيزنيت.

توفي بومارت حسن هذا يوم الخميس 8 يوليوز 2015م ودفن بموضعه إيموارگان، رحم الله تلك الشخصية وجعل البركة في عائلته أمين.

أما الحاج لحسن الإفرائي الملقب ببطل، قال : «لما تسلمنا أسرى برج تابلوكوت قال له الضابط الإسباني : أنا مسجون الحرب عندكم، أذافع عن رايتي، فافعلوا بي ما تريدون، لكن ما ذنب زوجتي وبنتي ؟ فأجابه : إن الإسلام يحترم الأسرى ونساءهم، والمغرب دولة متحضرة لها قانونها». (استجواب بطل لحسن)

**بدوي إبراهيم شهيد مناضل :**

كان رئيس هذه الفرقة التي حررت مركز تابلوكوت بعد خسائر كبيرة، هو الشهيد بدوي إبراهيم الخلفاوي، كان من أول من استشهد في معركة تابلوكوت، وعن بدوي الحسين بن محمد بن لحسن بن محمد بن أحمد بن علي أوبلاً الملقب بأبو كاض، هو الذي عرفت هذه العائلة بلقبه «إبو كاضن» ومنهم الشهيد المذكور إبراهيم سنة 1957م من الجماعة المذكورة، كان أحد جدودهم مستقراً مدة في تونس، ولما رجع ظن البعض أنه تونسي، وله علاقة بگابون في تافراوت نـ گابون، بأيت برايم، ثم تحولوا إلى عرگوب، ومن عائلتهم إدلختار العائلة المعروفة، ومنهم أنفلوس المختار ومنهم التجار بإفني مثل العربي ومبارك والحسين إلى أن لجأوا خوفاً من الاستعمار الإسباني، وتسميتهم بالخصاصي من أجل جواز السفر إلى فرنسا، ومن هذه العائلة محمد بن لحسن الذي استشهد ضد الجنرال دولاموط منذ سنة 1917م من ضمن العشرات في معركة تاغولت نـ تمزگيدا، رحم الله الجميع.

استمر حصار الإسبان في إفني وما حولها من طرف أيت باعمران بمساعدة جيش التحرير إلى أن توقفت بتاريخ 5 دجنبر 1958م يوم العيد بعد الهجوم في معركة موضع بوزوگني بأيت إخلف بإجاوان نـ عارگوب، وكان الإسبان يلوحون بعلمهم، ثم تفرقوا



ولم يرد أحد علينا، فأعلننا البارود في جميع الجهات ضد الإسبان من جهتنا إلى سيدي ورزك جنوب إفني، لأنهم أخبروا بوقف الحرب، ونحن لم نتوصل بعد، فتعجبنا فاستمر عندنا الرصاص إلى الرابعة مساء حيث وصلنا الإذن بتوقيف البارود عند الطرفين معا.

### ذكر المعارك المحلية منها :

ومن أسماء المعارك معركة تابلوكوكت المذكورة، وهي أخطر المعارك لكثرة الخسائر، ومعركة أصدر في جنوب مستي، وفيها تعرض الإسبان للخسارة، ومعركة بويزري كانت حامية الوطيس، لا يعرف عدد خسائرها من الإسبان. ومعركة تاليوين، ومعركة مدينة سيدي إفني التي فشلت لخطأ في التنفيذ، فقبض على عدد من المحاصرين لباطايون، ومعركة جبل تاموشا بأيت عبلا الأولى قبل بداية الهجوم العام، ومعركة لگزيرة على المحيط بأيت إخلف. وكل واحدة من هذه تحتاج إلى تفصيلات خاصة.

وفي دوار الركونت، حيث سهل خال من الغابة، أنزل فيه الإسبان مجموعة من المظليين، ففر السكان أمامهم ولم يقبضوا إلا على رجل وامرأة ساقوهما إلى إفني، فشلت خطتهم، كما استولوا على مطحنة للرئيس مبارك، ونقلوها إلى إفني، وبعد ذلك فرض جيش التحرير على كل رجل عشرة أوتاد خشبية طولها متر واحد، فسنتها النجارون وغرسوها في مكان نزول المظليين، ولما رجع الإسبان مرة أخرى أنزلوا فيه المظليين، فأصيبوا كلهم بتلك الأعمدة التي استعملت في حرب الفتنام. وبها وبحرب العصابات، وبمثل هذه التقنيات الطبيعية، وبمعرفة المجاهدين للتضاريس، غلبوا عدوهم، وتمكنوا من حصار جيشه في مدينة سيدي إفني لمدة 12 سنة، محروما حتى من الماء الشروب، وبالآحرى تغذية أربعين ألف نسمة. ثم معركة بويجاريفن بأيت إخلف، ومعركة ظهر وفروخ (مرتفع نخلة) ومعركة إجاوان نـ عارگوب، ومعركة تيغزي وحصارها، ومعركة شعبة بورصاص، ومعركة الأالن التي قتل فيها جل الإسبان وضاع الباقون في الاتجاه نحو إفني. وقد حاول المستجوب نظما ضمنه أسماء تلك المعارك منها :

ثورة الباعمرانيين انفجار  
سبعة وخمسون تسع وألف  
اهتزت لها مدريدهم والجبال  
حدث كان فيه عهد طويل

سبع وخمسون عهد جديد  
عام أشرق فيه عهد جديد  
صدم جيشهم بجيش عظيم  
صدموا بالهجوم أرضا وجوا  
هدمت ثكناتهم برجال بأسود فأين النجاة ذاك خبـول  
تخمت الكلاب لحم غزاة  
بأيصانو يحسبون كل غموس  
عجبا لبلادنا تنبت الشوك نباتا وفي الجهاد عز ومجد يطول  
أملؤو تابلوكوكت وأصدرو وييسورى سجلت بالدماء كي لا تعول  
تاموشا تاليوين وإفني قبور  
لبقايا الغزاة حصارا فأين الفضول  
لگزيرا بيجاريفن كذا ظهر أفروخ إجاوان للعركوب كذا أقول  
فتغزي وإيسنگ وبورصاص والألن قتل جلهم وعدهم مجهول  
فهذي أرضنا وهذي الجبال قلاع  
تحفظها حماتها منا والجليل  
أناس جاهدوا لله فيهم من  
قضى نجه فذاك السبيل  
أناس كجبال لها في الثبات  
عند الرحمان فنصرهم لله مأمول  
كلهم أكرموا بأية ربي  
لهم أجرهم ونور جليل  
سقطوا في سبيله أحياء  
عند ربهم يرزقون في ظله لا يزول

ولا شك أن هذه القصيدة كانت بنت لحظة فرضها الواقع. كما أن هناك قصائد بالعربية والأمازيغية أرخت للثورة التحريرية بأيت باعمران ومنها لجهادي :

ثمخ نك أـ يفني كان ما تـارا يان  
اس ليخ ترغا تمدايت ثلين ثناغان  
أد زوولن أيت حلب أكناري سوتلن أك  
ثمحاركان لي سيضنغ وتين أساغور



ئس وُكان سلان سبوك ايلن نراكا  
 نغاما وباعمران نرر افود ار نكات  
 ارومي رصاص نس نكوت يوتي تاسافوت  
 اتين نتران غ توژومت نون ا. ياضان  
 نما وينغ اذوكيگ لموت اس يتوسان  
 ورتلي بلا نخف نبايسانو كاف نطار  
 تانا ورتكين ابوج تاوي تيمقيت  
 وراكاتن ايت تمازيرت امر تيشيشيت  
 مراو نرگانز قادن نفض تاساونت  
 غيكا د اس نان ويد ايمرصن تاقاموت  
 نارات ايگ امود يزيلن ننا تاسوتين  
 اباعمران هان نفرگ نخف نس ولا امور نس  
 غيكان نتيارا ورتكيس ما نيني يان  
 اد نسوكت ربي امود نس ياروتن وايض

ومن مذكرات الضابط حسن بومارت تقرير قيادة جيش التحرير بأيت باعمارن سنة 1958م منها إحصاء الأسلحة : المقاطعة السادسة عدد السلاح 94، المقاطعة السابعة عدد السلاح 298، المقاطعة الثامنة عدد السلاح 330، المقاطعة التاسعة عدد السلاح 275، المقاطعة العاشرة عدد السلاح 115، المقاطعة الحادية عشر عدد السلاح 398، المقاطعة الثانية عشر عدد السلاح 271، المقاطعة الثالثة عشر عدد السلاح 470، المقاطعة الرابعة عشر عدد السلاح 387، مركز تافيلالت عدد السلاح 272، المجموع : 2890 قطعة من السلاح.

أما مراكز جيش التحرير بأيت باعمارن فمنها : 1- مركز أندجاقرب بويزاكارن.  
 2- المنطقة الحربية لتندوف مركز أسا الرزاك. 3- المركز العام للقيادة تاكانت نوتوتال،

4- طانطان، 5- تافنديلت، 6- عين أدرا، 7- أكلميم، 8- بويزاكارن، 9- أساكارن،  
 10- المحامد الغزلان، 11- أرفود، 12- الخملة، 13- بوغانان، 14- بوعرفة،  
 15- فيكيگ، هذه المعلومات كلها من مذكرات بومارت رحمه الله.

كما نختصر إحصاء جنود جيش التحرير هكذا : فعددهم 3610 ومن بينهم الضباط الصغار، والكبار والمعطوبون والشهداء والأسرى والمفقودون، وكان عدد الجنود إلى حدود 5/12/1958م بعد إيقاف الحرب عمليا هو 3908 دون إحصاء جنود بتافيلالت، أما قادة المقاطعات فهم قائد الرحي أمبارك منار، ثم قائد الرحي داعمر، ثم قائد الرحي الهاشمي بن عثمان، ثم قائد الرحي صالح بن عسو، ثم قائد الرحي علي بن دحمان، ثم قائد الرحي بن الحبيب، ثم قائد الرحي بن الفلاح إدريس الحارثي، ثم قائد الرحي بن المعلم محمد بن المختار، ثم قائد الرحي مولود، ثم قائد الرحي مولاي علي بطاطا. هؤلاء نوجه إليهم تقديرا واحتراما باسم أيت باعمارن أجمعين، ونخص بالذكر الشهداء في سبيل وحدة المغرب وتعزيز مكانته، ورأيت مسجلا 16 معركة، استشهد فيها 120 من أيت باعمارن ومن معهم.

ومن مراكز جيش التحرير : مركز أندجا للتدريب والتكوين، ومركز حراسة المخازن، والمواصلات اللاسلكية، وإصلاح وسائل النقل والمستشفى، مما يدل على غاية من التنظيم وتقسيم للمقاطعات، وتعيين الأكفاء والسهر على توفير الضروريات للكل، والاعتناء بالجنود وإحصاء ما هناك من أنواع الأسلحة ومراقبتها، وبفضل وطنية أيت باعمارن، ومجهودات حكومة صاحب الجلالة وحكمته، تحقق استقلال إقليم سيدي إفني، وانتهت مظلمة حرب تطوان.

#### مذكرات محمد أكرير الساحلي :

ولد محمد أكرير هذا سنة 1923م. عرف بالمدفعي لأنه مكلف باستعمال المدفع في المعارك، وله عدة شهادات تقديرية من القيادة العليا لعمله في معارك جيش التحرير بأيت باعمارن والصحراء تحت رقم 410. ويرجع الفضل في تعريفني بهذه الذاكرة والاطلاع



على مذكراته إلى الأستاذ عبد الله همّو أو مسعود الساحلي من نفس عائلة أكرير. ومن بين وثائقه هذه الرسالة.

«الحمد لله وحده. وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

الطابع بداخله محمد المصطفى أمربيه ربّ الله وليه وحسبه وكفى.

خداننا المرضيين قبائل بعمرانة وتكنة كافة، السلام عليكم ورحمة الله أما بعد : فإننا نوصيكم كافة .... بتقوى الله، وعليكم بالاتفاق والتعاقد فيما بينكم، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم : أي قوتكم، إنما أيد الله موسى بأخيه إذ قال : سنشد عضدك بأخيك وأمنوا طرفكم، واستعدوا للجهاد، ورد المظالم، وتراحموا بينكم، وصغيركم يحترم كبيركم، وكبيركم يحترم صغيركم، وإننا نحمد الله إليكم على نعمة الإسلام، وكفى بها نعمة، وما طلبنا .... إلى أي أن تعبئوا من كل قبيلة أعيانها ليفدوا علينا إن شاء الله، للمفاوضة والمشافهة فيما بيننا، إن شاء الله، والله الموفق لنا ولكم للصواب والكمال إلى الرشاد والسداد الناظر لنا جميعاً بحول الله تعالى والاتفاق الحافظ من الشقاق والنفاق، أصلح الله الجميع لما يحبه ويرضاه بالوثاق والسلام. في 22 ...».

تعد هذه الرسالة من مجموعة من الرسائل التي تحاول بها قيادة المجاهد أحمد الهبية وأخيه مره رب أن يستقطب قبائل سوس.. وما تعرض للبللى من الرسالة، لا يؤثر ما عدا في سنة كتابتها. والرسالة موجهة إلى «قبائل بعمرانة وتكنة كافة» وليس لشخص معين، ومعنى ذلك أن تقرأ على الجميع وأن يستعدوا للجهاد...

وهذه شهادة أخرى سجلتها من مذكرة الحاج أكرير محمد بن العربي الساحلي من دوار إدبعللي بالكريمة، قال : «كان عدد المجاهدين الذين ذهبوا لتحرير برج تابلوكوك من الإسبان 45 رجلاً، خرج الجميع من أربعاء الساحل في الشاحنة (الكاميو) ونزلنا في ميرلفت، وهناك تدرّبنا على استعمال الأسلحة، على يد الضابط المعروف بالتزنيطي.

وبعد ثلاثة أيام من التدريب، على السلاح، أختير منا سبعة من 45. وكلهم من الساحليين، وكنت أنا من السبعة، وقصدنا عين المكان بتابلوكوك لنحل محل من

هاجم قبلنا، والحرب قد بدأت يوم السبت، فحوصر برج تابلوكوك لمدة سبعة أيام، وفي السبت المقبل، قبض على جميع نصارى هذا البرج، وعددهم 12 بما فيهم مسلمان، أحدهما أسود البشرة.

ولم يتم سقوط هذا البرج، إلا بعد أن تدخل القائد عبد العزيز الماسي بمدفع ركبه في مكان يعرف بتيگمّي أوگليد (دار السلطان) توفي عبد العزيز هذا 1978م ركبه في المقابل لبرج الإسبان في المغرب المستقل، ثم أطلق على برج الإسبان قاذفتين إنذاراً لبرج الإسبان، وبعد ذلك، رفعوا العلم الأبيض، وسلموا أنفسهم للقائد عبد العزيز الماسي، الذي هو القائد المغربي الرسمي. وأصل جده من أيت باعمران.

ثم نقل الجميع إلى ميرلفت، حيث سلموا إلى جيش التحرير، فنفذوا الإعدام في ذلك الجندي الأسود، في أندجا، حيث المركز الكبير، وحيث معظم القيادات والسجن الكبير هناك جهة بويزاكارن.

أما أكرير محمد ومن معه فقد اندمجوا في جيش التحرير بعد الاستسلام، فانتقلوا إلى موضع لجزيرة قريبا من إفني من جهة الشمال على الشاطئ، قال : أما السلاح الذي نحارب به في تابلوكوك، فقد أعطي لنا من ميرلفت، ونحارب به إلى المساء، ثم ندفعه للمسؤولين، لذلك لما تقدمنا إلى لجزيرة حيث الحكم الإسباني فلا سلاح معنا، وكانت معي قبلة واحدة أعطيت لي، وكان مع صاحبي شرشور وهو لحسن بن السي بيهي ند علي الكريبي، ومعنا شارجان إبراهيم الكرايمي، وكذلك إبراهيم بن جامع من موضع إديبيهي أو علي الساحلي، وكذلك أمگون لحسن في موضع الدوايلية من تملالت الساحلي، ثم لحسن بن الحسين الأنكيزاوي، والحسين بن لحسن الأنكيزاوي كذلك.

كل ذلك احتياطا، وفي موضع لجزيرة بأيت إخلف، وجدنا هناك حربا ضد الإسبان، لذلك طلب منا، أن نذهب جميعا نحن أهل السيجل إلى مركز تيفغيت شرق إفني لتسلم السلاح هناك، فأسند إلي المورتر (المدفع) من عيار 85.

أما المجند المعروف بالمسطاش قال لي : «تملك مدفعان فقط من عيار 80 أحدهما فرنسي، والآخر أمريكي» ثم قال أكرير محمد : أسند إلي المدفع لأنني بناء لمعرفتي



بالميزان والدرجات في الارتفاع، وكنا نحمله على جمل، ومعني سبعة من المساعدين منهم الهاروش الأصبواوي، ولحسن أمكوي الساحلي، ولحسن بن لحسن الأنكضاوي، ثم بريك بن الجامور الخلفاوي الذي أصبحت داره منذ البداية بموضع بويجاريفن خنادق الدفاع بأيت إخلف، ومعنا ذلك الشيخ ولد سيدي بوي الذي فر من جيش الإسبان، والتحق بجيش التحرير، ومعنا كذلك الفقير إبراهيم بن محمد الباعمراني الذي فر كذلك من جيش الإسبان، إلا أنه كان مريضاً منذ البداية، لذلك انسحب في الأخير، وبقينا نحن الستة مع المدفع.

ومن مركز تيفغيت فوق الجبل المطل على إفني من بعيد، نقلنا المدفع على أكتافنا بالتعاون إلى إيجاون بورمضان بأيت إخلف القريب من المحيط عبر تلك الجبال الصعبة ليلا، وهناك وصلنا الجمل من جديد لنقل المدفع، وفي معركة بورمضان استشهد شارجان إبراهيم الكرايمي.

وكان جيش التحرير ما زال قليلا في مركز تيفغيت، ويتكون من ثلاث فرق، حوالي 30 جنديا، أما عددنا في بورمضان فلا يتعدى 40 جنديا. ومن المستشهدين في هذه المعركة المعروف بإفزملي ممرض لم نعرف من أين هو؟ إلا أن تلك المعركة دامت ساعة واحدة فقط، وقدر عدد الإسبان بـ 400 جندي، فقتل منهم 25 إسباني، وقد كان جيش التحرير يطلع على أسرار تعليمات الإسبان، عبر الراديو، ومن المستمعين له الحاج أحمد بازين الذي يعرف الإسبانية، ولذلك كنا نعرف أين يهاجموننا فنسبقهم إليه، مما جعل جيش التحرير، يفشل خططهم نحو التقدم، لذلك رجعوا القهقرة بعد هذه المعركة عازمين على احتلال قمة المرتفعات التي تطل على مدينة سيدي إفني، لذلك رجعوا إلى لكزيرة في أسفل الجبل.

وبما أنهم تمسكوا باحتلال قمة بويجاريفن بجبل أيت إخلف، تمكن جيش التحرير بمرتفع بويسيغ المقابل للإسبان، ومن أجل تمكنا هناك استشهد من جيش التحرير خمسة، وجرح 12 في ذلك اليوم، وذكر أن خسائر الإسبان بلغت 170 جريح، ثم القتلى 72 كما استفدنا من إخباراتهم عبر اللاسلكي..

وبعد يومين من معركة بويجاريفن، هاجمنا الإسبان ليلا في مكان يسمى بويزري، واستشهد منا واحد من قبيلة أيت عبلا، ولم نعر عليه إلا بعد ثلاثة أيام من موته، وقدر عدد الإسبان بين قتيل وجريح بثلاثين جنديا لكثرتهم، وقد اختلطنا بهم ليلا حتى لم يعرف منا الإسباني من الباعمراني، وكان عددنا 30 جنديا وهذا كله في أرض قبيلة أيت إخلف. القريبة من إفني. وكانت فرقة المدفع تنتقل بسرعة.

معركة بويشورتا: بقية فرقنا تحاصر تقدم الإسبان بعد تلك المعركة ليلة كاملة، بينما انتقلت فرقة المدفع فاشتركتنا في معركة بويشورتا قرب مرتفع تيفغيت، وكان سببها أن الإسبان تقدموا للإستيلاء على ثانوطني لمياه الغدير هناك، فبدأوا بالهجوم نحوها نهارا، لذلك هاجمناهم ليلا، فانسحبوا قبل أن يتتسوا، فكانت خسائرهم فادحة ولم يصب منا أحد، ما عدا بهيمة قصفتها طائرة الإسبان في موضع تيفغيت، وذلك لقلتنا ولأهمية مدفعنا أمام كثرتهم المكشوفة، وجاءت الأخبار أن قتلهم 75 والجرحى أكثر من ذلك. وكانت تلك المعارك يوم عيد الأضحى.

أما معركة تامعراضت: فيقع هذا المكان في خانفوف، وتامعراضت هذه اسم للشعبة الأولى في مركز خانفوف، وهو موقع مهم بحيث لم يصب فيه واحد منا لأننا نشرف من المرتفع على الإسبان، وكانوا دائما يحاولون النيل منا لكن بدون جدوى، وأهمية الموقع هو حصار أي تقدم للإسبان فاكتفوا بالتراشق.

الانتقال إلى الصحراء: فلما نجح أيت باعمران في حصار الإسبان في تلك المعارك انتقلنا نحن فرقة المدفع إلى الصحراء، فشاركنا في موضع تاعبالت، وفي الواد الأبيض، وفي بئر أم كراين، وهناك أصبت بمرض أثر في صحتي كثيرا لشدة الحرارة، فنقلت إلى مستشفى مركز أندجا، إلى أن خرجت من جيش التحرير، لأنني من المعطوبين.

### معركة إيسيج:

«البدرابي الحاج لحسن بن مبارك بن بهي بن علي بن الحسين في ربع أيت تاهلاً قبيلة أيت يعزى، ولد 1923م حفظ القرآن بمدرسة القصبه على يد الطالب لحسن بن



محنه، ثم استكمل رسمه على يد الفقيه سيدي أحمد بن مأيذا أخ الحمزاوي محمد المشهور اليوسفي، ثم انتقلت إلى المدرسة العتيقة بتانكارفا عند سيدي لحسن بن محمد بويشورالن الخمسي المتوفى 1958م.

ثم اشتغلت بالتجارة في مدينة سيدي إفني لمدة 19 سنة، ابتداء من 1938م إلى 1957م حيث صادرت إسبانيا تجارتي مثل غيري بسبب نصر السلطان محمد بن يوسف، والحق أن هذه الانتفاضة إسلامية ضد التجنيس الذي كتبه على بطاقة كل باعمراني، فقام ضدها الجميع، وخاصة بتشجيع من إمغارن كلهم، إذ كان ردهم القيام بنصر السلطان ورفع الراية المغربية حسب ما اتفقوا عليه في موسم تابلوكوكت، ثم انتشر ذلك بالتتابع، وقليل من يعرف ذلك الاتفاق.

وقد سلمنا رسائل من أجل استمرار نصر السلطان، فاجتمعنا بدار الحاج محمد هرواش بإفني، وعددنا 25 فردا، منهم السي محمد بن القائد أصبايو المتحمس أكثر لأنه سبق أن نصر في سوقه، فإذا فشل فستنزل إسبانيا على قبيلته، فذهبنا إلى الشيخ محمد الإمام بن ماء العينين الذي هو الإمام الرسمي للجمعة بإفني لينصر السلطان فرفض، فأكدنا عليه إما نصر السلطان أو القتل، كما قتل أخوه بشري وسالم مباركة هنا بإفني لإدخالهم النصر إلى بلاد المسلمين سنة 1934م.

وهناك خططنا لما سيحدث وتجهزنا بمسدسات والمقاومة بالمسجد ولو أدى ذلك إلى هلاك الجميع، وأثناء ذلك الهيجان، قال محمد الإمام للنصاري: إذا لم انصر السلطان فسوف أقتل في المسجد كما قالوا لي، وبإدراك الضابط برميخو خطورة الموقف، أمر محمد الإمام بنصر السلطان، وفرح الجميع بهذا التسامح، وفعلا نصر السلطان، فأجهش الناس بالبكاء تخشعا، فاحتفل السكان في مسجد الكبير بإفني.

وهنا أرسلت الرسائل إلى جميع إمغارن للقيام بنصر السلطان حسب أسواقهم، فقام به الشيخ الحسين في سوق السبت في بوكارفا، وفي يوم الاثنين نصره الشيخ سعيد، وفي الخميس نصره عبد الكريم وبلعيد، ثم تتابع الباقي. فأعطى الضابط برميخو لهؤلاء ثورا عظيما وبرميلين من الزيت، وكمية مهمة من السكر والشاي والدقيق، فاحتفل السكان في المسجد الكبير بإفني، وفي هذا التتابع عكس الواقع.

ولما سكن الرعب قال الإسبان لجميع إمغارن: هنا في البلاد رعاة مشوشون علينا، وهم فضوليون بلا مسؤولية، ويجب القبض عليهم، وهم يجتمعون في دار السي محمد بن القائد أصبي، فرد إمغارن بلسان الشيخ سعيد، فهل قاموا بما يمس الدولة الإسبانية؟ فقالوا لا. فقال: إذن ما يتعلق بالإسلام فنحن معهم فيه سواء، فرد الضابط إذن لا بأس بما تفعلون، فقال الشيخ سعيد باسم الجميع نطلب من إسبانيا أن تزيل علينا الصبرانية، فأجابه، نحن ننتظر رد طلبكم من الدولة الإسبانية، وكان الجميع يظن أن الإسبان قد قبلوا مطالب أيت باعمران، فقد اضطروا إلى التساهل في أمر نصر سلطان المغرب، ونحن ننتظر إزالة الصبرانية والسماح برفع الراية المغربية كما في الحماية الفرنسية، لكن ذلك كله في انتظار القبض على الأعيان، ومصادرة أموالهم، وبيعها بالمزاد العلني في أسواقهم، ثم تشديد المراقبة على الجميع، وبدراسة دقيقة ثم ذلك في التسوق العام الموحد في أيت باعمران ليلة العيد، فنفذوا ذلك كله بسهولة تامة» (مذكرات البدراوي الحاج لحسن).

أما معركة أيسينغ فنلخصها فيما يأتي: «قال: شاركت في حصار مركز الإسبان بايسينغ، وعددنا 23 فردا، ومعنا 12 بندقية، لقلعة السلاح، انطلقت من تيزنيت نحو مركز المجاهدين في تافراوت نأيت داود بأيت برايم، ولم أجد فيها إلا المقاوم الحاج لحسن المعروف بخالي الإفراي مع الشيخ محند البراييمي، لأن الباقي ذهب يوم السبت لحصار ثكنات الإسبان في جميع أيت باعمران، ومهمتي أن أوصل 12 بندقية للمجاهدين و60 قرطاسة فقط وردت إلى هذا المركز.

ومن هناك أرسلنا إلى إبراهيم بن السي ليعرفنا بمسلكنا لنقبض على من في مركز الإسبان بحيلة، فأرشدنا إلى مدرسة إيسينغ المجاورة لمركز الإسبان، والمطر يسقط علينا بغزارة، فإذا بنا نلتقي بالفارين الذين فشل هجومهم على أكبر ثكنة بإفني: باطايون، مثل الضابط علوش والبشير اليعزاوي وغيرهم ممن نجا من القبض بأعجوبة هناك. والوقت ليلا وقالوا لنا إن الإسبان سيسقطون المظليين في تاكراگرا وأنكم ستقتلون جميعا، وإن ذهابكم إن كان ولا بد، فعليكم بالاختفاء في قمم المرتفعات، وهناك لقينا هذا الضابط وهو راكب الشاحنة وذلك ليلة السبت التي ستصبح ليوم الأحد، وهروب



هؤلاء الضباط حتى لا يقعون في قبضة الإسبان كدليل على هجوم المملكة المغربية، لذلك لم يقف في الحصار إلا أيت باعمران.

أما نحن فقد وصلنا إلى جوار مركز الإسبان، وقد أمرنا بالهجوم، لكن قوتنا بسيطة أمام مركز الإسبان، ونحن في خطر، لذلك اتفقنا على الاختفاء حول المدرسة العلمية القريبة حيث توجد بئرٌ تنتظر الجنود الذين يأخذون الماء بجانب المدرسة فنقبض عليهم، وفي الصباح جاءت الطائرة الإسبانية تمر على جميع الشكنات وتخبر من فيها بملومت، منها أن لا أحد حول هذا المركز الذي نحن فيه.

وبعد مرورها بعد الظهر، قدم ثلاثة نصارى وجندين مسلمين نحو البئر لأخذ الماء، فراقبوا جهة الواد وجميع الجهات، ولا أحد، فقصدوا البئر، فجرحنا مراقبهم على مرتفع هناك، وهو مولاي إبراهيم جندي الإسبان من تاليوين الباعمرانية، فسقط ثم هرب مع الآخرين إلى المركز، بعدما قبضنا على لحسن بن المؤذن منهم، وذلك يوم الأحد ثم جاءت قوة أخرى لصالحنا ومعها القائد علوش وأحمد بولينات أصبايو (المفجر بالألغام) والغير، فاستمر الحصار إلى يوم الأربعاء.

وكنا نقرب من حائط المركز المكشوف ليلاً بصعوبة، كما أضربهم بالجوع والعطش والخوف، ثم جاء المدفع، فوقع اللقاء بين الطاباط علوش مع الضابط الإسباني حول الاستسلام، لكنه رفض، فوقع رميهم بالمدفع، فأعلنوا الاستسلام وطرحوا السلاح، وعددهم 18 فرداً بالإضافة إلى المقبوض عليه، فصار عددهم 20 فصرنا ندخلهم إلى بيت مطحنة لحمايدوش هناك، فظن رئيس الإسبان أننا سنقتلهم هناك، فألقى قبلة يدوية علينا، لكنها لم تنفجر، فهرب ودخل مقبرة إيسينج، فحاصره الناس، إلى أن رماه أحدهم بحجارة فأرداه قتيلاً، فطرحناه في مطمورة هناك.

ثم قبضنا على الباقين، والناس في هيجان يريدون الانتقام، فإذا بسائق كان معنا لبس قلنسوة مما يلبسه الإسبان، فصاح به الجمهور، فظنوه منهم فرموه فقتل خطأ. ثم جمعنا السلاح الموجود في المركز، وعدده 16 بندقية ثم 16 سلسلة من الرصاص ثم 150 رصاصة من كل نوع، ثم مسدسين من عيار 9 السباعي ثم بندقية 24 ثم مدفع السريع الطلقات

ثم صندوقين له من رصاصه وآخرين للقنابل اليدوية، فسلم الأسارى لمركز المقاومة. « (نفس المذكرة).

«حدث أن زار عامل أكادير عبد السلام الصفريوي مدينة سيدي إفني، فالتقى معه أعيان أيت باعمران، وظن الجميع أنهم رجعوا إلى المملكة، وهم لا يعرفون أن ذلك بعيد، وعند اللقاء قال: «إن أمر أيت باعمران سيحل بين محمد الخامس وبين فرانكو، وأن عاملكم هو هذا الضابط الإسباني الخنرال برميخو» وهنا تغيرت العواطف، كما أن الإسبان فهموا من قوله: إن الذين يخوضون في أيت باعمران، لا علاقة لهم بالمغرب، وإنما هم فوضيون يجب القبض عليهم.

وهنا بدأ بعض الشباب بالاعتيالات، كما قام الإسبان بقتل الآخرين، ومن أولئك جماعة علي بن حيسون، وهم بمعزل عن المقاومة وعن جيش التحرير، فنفذوا قتلاً ظلماً بلا أحكام ولا دليل. فبدأوا بالسيد إبراهيم العروسي، المستاوي، وهو جندي لدى الإسبان، ثم الركايبى المستاوي كذلك، وتلك فتنة تهدد السلطة الإسبانية.

وهنا تدخل جيش التحرير، وقبض على هذه المجموعة، فقتل منهم من يستحق ذلك مثل بلوش العبلأوي، والسي أحمد بن سليمان السوگمي، ثم علي ند باغات، ثم أحمد بن لحسن الكدائل العزاوي، ثم إيگيدر الخصاصي، ثم إمطضي في تاراخالت، وسبب الانتقام من هؤلاء قتلهم محمد بن أحمد بنكرتام المشارك في المقاومة مع جهة تيزنيت ومع جيش التحرير.

ومن جماعة السي إبراهيم التزيتي الذي لجأ إلى أيت باعمران، فشارط في بوتزگيدا بقبيلة إدموساكنة المقدسة؟! ومن قتلوا من أصحابه السي لحسن الزاغو على يد علي أمجوض السيموري، ثم الضابط الكبير لدى الإسبان المقاوم مع جيش التحرير، وهو محند بن لحسن الأيوبي، قتله كابو خوبي، ثم علايات أصبايو، قتله هتون من تاليوين، وهنا قامت قيامة الإسبان، فقبضوا على كل من شكوا فيه، فتعرض الكثير للبحث والسجن ومصادرة الأموال، وفر من لم يقبض عليه ممن يسير المكاتب وعددها 11. مكتبا. ولكل مكتب مثله في تجمع يا فني، لكن أغلبهم التحقوا بالمغرب، أما المقبوض عليهم فقد



قضوا ثلاثة شهور سجنا بإفني، ثم أطلق سراحهم، ثم أعلنت سلطة إفني السماح لكل من فر ليرجع إلى بلده أيت باعمران. صدر هذا الحكم مؤخرًا قبيل ثورة أيت باعمران التحررية، فحرروا بلادهم بفضل المغرب بكامله، وبحل مشكلة إفني بسياسة المغفور له الحسن الثاني» (نفس المذكرة).

### تدخل الجيش الملكي :

وعن الضابط حمادي صديقي قال : قد عانى الطرفان معا من الخصاص سواء من حوصر في إفني ومن حاصرهم من المجاهدين في الحدود، وقد هلك هناك رجال بالمرض كالسل وقلّة التغذية واللباس وهموم العائلات المشتتة، فهاجر أيت باعمران بعائلاتهم إلى خارج الحدود، فضاع كل ما يملكون حتى الوثائق...

ويتدخل الجيش الملكي بدأت الاتفاقيات بين الطرفين، فسمح لبعض الباعمرانيين بالدخول أو الخروج من إفني، ومنهم عائلتي. وقد كان إفني عاصمة للصحراء المغربية، ولما استقل يجب أن تكون الصحراء تابعا له في الاستقلال مثل أيت باعمران، لكن الاستعمار له منطقته الخاص لا يعالج إلا بمأخذته تطبيقا لخطاب جلالة الملك محمد الخامس، «ما ضاع حق وراه مطالب» وهكذا استمرت المملكة المغربية بقيادة جلالة الملك الحسن الثاني، وبالمسيرة الخضراء المباركة، وبقانون الجهات المتقدمة في عهد عاهلنا سيدي محمد السادس، فرض المغرب نموذجيته المتفتحة على الواقع العالمي في جميع المستويات.

### الخاتمة :

تعد الثورة التحريرية الوطنية لإيت باعمرانية سنة 1957م من الثورات الواعية بحقوق الإنسان، ولما لم ينفع هذا المطلب ولم يسمع، بدأ أيت باعمران بنصر أجليد سيدي محمد بن يوسف، ورفعوا الراية المغربية، فرد الإسبان في إفني بعنف احتج ضده العالم في حق أيت باعمران المسلمين، إلى أن تجبرت سلطة الاستعمار وغيرت في الدين والدنيا، وبدلت جنسية البلاد بالصبرية التي لا يعرفون مدلولها، ثم قبضت على معظم الأعيان

بسبب احتجاجهم في الداخل والخارج، إذ ذاك قام أيت باعمران دفعة واحدة، فحرروا جميع الثكنات العسكرية الإسبانية في حوالي أسبوع تقريبا، ثم حاصروا ثلاثين ألفا مجموعين في مدينة سيدي إفني أمام العالم...

«وبفضل مساعي جلالة الملك الحسن الثاني، حصل الجزء المحتل بإفني وما حولها على استقلاله، فانضم إلى الوطن الأم، وانتهى الاحتلال الإسباني، وسلم إلى السلطات المغربية في يوم 30 يونيو 1969م»<sup>(259)</sup>.

وقد عانى إقليم أيت باعمران في مدة حصار إفني من 1957م إلى 1969م. إذ صار الإقليم كله منطقة حرب، وبإدماج جيش التحرير في أيت باعمران في الجيش الملكي، عازمت الهجرة الباعمرانية على الرجوع إلى مواطنها ومساكنها وحقوقها بعد عشر سنوات من التيه بلا بطاقة تعريف، ولا عقد ازدياد من كناش الحالة المدنية، وبدلا من إصدار مذكرة في الموضوع، ترك أيت باعمران يتيهون في الأرض يعانون من الإكراهات ما الله عالم به، إذ تعد فترة الإدماج 1969م من أقسى الفترات في المغرب المهدد : «بسبب تداريب عسكرية في الجزائر وسورية وليبيا والعراق» فاشتغلت الدولة بالأمن العام، فتأخر إنعاش إقليم أيت باعمران، فاستمرت الأزمة لمدة 15 عاما. فارتفعت الهجرة بدون اتجاه، وتفرقت العائلات، واكتوى الأفراد والجماعات بمرارة الإهمال إلى حد إعلان مصطلح الخائرة المعبرة عن كل شيء.

إلى 18 ماي 1972م حظيت مدينة سيدي إفني بأول زيارة رسمية لصاحب الجلالة المغفور له الحسن الثاني، وكانت مناسبة عظيمة مكنت قبائل أيت باعمران من التعبير عما يكنونه من الإخلاص والولاء والمحبة لصاحب الجلالة وللعرش العلوي المجيد، وفيها عبروا عن امتنانهم للعاهل الكريم الذي حرر منطقة سيدي إفني بسياسته الحكيمة في اتفاقية فاس بإلغاء رواسب الاستعمار القديمة إلى الأبد.

وقبل مغادرة جلالته لمدينة سيدي إفني، استقبل أعضاء المجلس البلدي بالمدينة، وأخبرهم جلالته بأنه خصص منحة مليون درهم لهذه المدينة، لإنشاء عدد من المشاريع

(259) مذكرة بلدية إفني 1973م.



الاقتصادية والاجتماعية، وبالمحنة الملكية الكريمة، تقرر المشاريع المهمة، منها بناء حي نموذجي للسكنى بمدينة سيدي إفني، ودار للجمعية الخيرية الإسلامية، وبناء منشآت لقطاع الشبيبة والرياضة، وشراء سفن للصيد البحري، وإنشاء تجهيزات لتبريد السمك في عين المكان، بالإضافة إلى إنشاء تعاونية لنسج الزرابي للمحافظة على الصناعة التقليدية العريقة في الإقليم...

وإذ ذلك فقط، شرع في بناء الطريق بين إفني وميرلفت، بينما كانت الطرق عبر القبائل غير سالكة، فوقع إهمال البادية، وسئم السكان إلى حد القنوط من الإصلاحات التي وعدهم بها جلالة الملك الحسن الثاني، فساهم الجفاف في استياء السكان أكثر، فازدادت الهجرة نحو تيزنيت وإلى أكادير وأكلميم وطانطان والعيون، وعبر البحر، حتى كاد إقليم أيت باعمران أن يصاب بهجرة عامة، لولا تدخل الحكومة بتعبيد الطرق، فبدأ الانتعاش والاهتمام بفضل شعار التنمية المستدامة في عهد جلالة الملك محمد السادس مؤسس المغرب النموذجي المتفتح.

وبفضل السياسة الاقتصادية الجديدة في عهده، انتشرت المواصلات والاتصالات، وتمتعت البادية بالإنارة وبمد أنابيب المياه إلى معظم الجماعات، الأمر الذي ربط السكان بمواطنهم من جديد، لتوفر المرافق العمومية، وتقريب الإدارة من المواطنين، فصار الإقليم يندمج تدريجيا رغم طول الإهمال، وإن أيت باعمران يستحقون كل خير، وعليهم أن يساهموا في إنعاش إقليمهم ضمن الجهة العاشرة التي تملك شواطئ غنية قد تصبح كاليفورنيا الإفريقية سياحيا. إن شاء الله.

وختاماً: أرجو الله أن يساهم هذا المؤلف في ربط الماضي بالحاضر ضمن تاريخ سوس الرابط دائما بين شمال المملكة وجنوبها مساهما فعلا في تطوير العلاقات العامة مع القارة الإفريقية كما أكد على ذلك صاحب الجلالة الملك سيدي محمد السادس أيد الله ملكه، وأعز أمره، وحفظه لشعبه أمين يارب العالمين. والسلام.

## فهرس

5	..... تقديم
9	..... مقدمة
12	..... قبيلة لمطة
14	..... متى حلت بعمرانة محل لمطة ؟
16	..... موطن لمطة قديما
20	..... جزولة القديمة
22	..... لمطة من قبائل المرابطين
27	..... لمطة في عهد المرابطين والموحدين
35	..... لمطة في حوز مراکش في نهاية المرابطين
37	..... فتنة أمراء سوس
40	..... لمطة في عهد السعديين باسم بعمرانة
46	..... نزلة السلطان السعدي بتانگارفا لبني بعمرانة
50	..... ديوان قبائل سوس للمنصور السعدي
53	..... أيت باعمران مع لف تازروالت
56	..... انطلاقة الدولة العلوية
57	..... السلطان مولاي إسماعيل بسوس
62	..... رسائل إلى القاضي أمزوغار منها
70	..... نزلات السلطان مولاي إسماعيل
74	..... عهد السلطان مولاي سليمان
77	..... وثيقة الحدود بين الاستعمارين
81	..... احتجاج أيت باعمران على كباص
85	..... خطورة تسليم الجنوب بوعود لا أصل لها



219	..... وفاة السلطان عبد الله بن إسماعيل
221	..... السلطان يزيد بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل
229	..... فتنة بوحلاس
231	..... دور الفقيه التاساكاتي بعهد من مولاي سليمان
235	..... تولية السلطان مولاي سليمان
238	..... محاكاة بوحلاس الصغير لمحاكاة بوحلاس الكبير
240	..... السلطان عبد الرحمان بن هشام
244	..... ظاهرة اللاجئين إلى سوس
248	..... السلطان محمد بن عبد الرحمان سن 1276هـ / 1859م
250	..... استنفار السلطان محمد بن عبد الرحمان للأمة
252	..... رحلة ولي العهد الحسن الأول إلى سوس
253	..... حضور أعيان القطر السوسي بمراكش
255	..... وفود أيت باعمران لملاقة السلطان
256	..... القطر السوسي في عرف المخزن
258	..... العمل بالعرف في سوس
261	..... بشرى نزول السلطان في أيت باعمران
264	..... أوبة السلطان من مشارف أيت باعمران
268	..... رسالة الوعظ والإرشاد من السلطان عام 1300هـ / 1882م
270	..... أقدمية أزرف الأمازيغي وأهميته وتطوره
277	..... عرف الشيخ هم الخلفاوي الباعمراني
284	..... السلطان مولاي يزيد
286	..... علاقة الشيخ هم كبير القوم بالسلطان العلوي
288	..... استقبال أيت باعمران السلطان بتيغزي عام 1303هـ
290	..... كتاب السلطان من أيت باعمران إلى باشا مكناس

86	..... تنظيم السلطان الحسن الأول للجنوب
88	..... مقاومة أيت باعمران للاستعمار
95	..... علاقة أيت باعمران بالبحر
101	..... بداية دولة المرابطين في الجنوب
109	..... مصطلح سوس ومحاولة استلحاقه
110	..... من مذكرات مرادي الباعمراني
118	..... القبائل الكبرى في وادي سوس
119	..... تقسيم أيت باعمران وجزولة إلى قيادات
123	..... من هو أبو عمران بهذه الكنية ؟
127	..... إشكالية أصل أبي عمران الفاسي
133	..... دور القيروان في تكوين الأطر السياسية لشمال أفريقيا
144	..... حساب بعمرانة بألف سرجة
146	..... نزلات السلطان المنصور الذهبي في سوس
151	..... لائحة المرافقين للسلطان السعدي
154	..... شخصيات متشابهة
159	..... الرجوع إلى يحيى المرابطي المذكور
161	..... الملك العلوي مولاي رشيد بسوس
178	..... عناية السلطانين الكبيرين بالجنوب
182	..... ظاهرة انتشار المقبرات القديمة
184	..... ظاهرة العرف في أيت باعمران
192	..... أهمية موقع قبيلة مستي الساحلية
200	..... دور الصوفية في بداية تفكك المجتمع
207	..... ظاهرة أضرحة الصالحين في أيت باعمران
214	..... المحافظة على الصحراء المغربية



465	..... نموذج الاحتجاج ضد الصبرانية سنة 1947م
475	..... إنقلاب فرانكو والإعدامات بإفني
476	..... قبائل أيت النص : دوار تيغزي
478	..... قلبية أيت إخلف : دوار تيغوندا
481	..... مشكلة البطاقة الوطنية وتصوير النساء
483	..... نموذج التحرير الشخصي من الهيبة
484	..... علاقة فرانكو بأيت باعمران
490	..... تدخل السلطة الإسبانية في إحصاء الأراضي
493	..... إفني قلعة الصمود
497	..... أطماع الإسبان في إفني ومقاومة المغرب
500	..... قصة خراب بُرج أوروامي بإفني
509	..... ظاهرة الصالحين
516	..... الصالح اسمه وموقعه وتاريخه
533	..... مواسم إيسك في أيت باعمران
536	..... موسم المسيد الأحمر : سيدي علي بوزيد
546	..... موسم الصالح سيدي مسعود أوزينا
549	..... موسم الصالح سيدي إبراهيم أعبلاً بوغورفا
549	..... موسم أسرير
551	..... أهمية ساحل قبيلة أمستين
559	..... موسم سيدي إفني
562	..... مدرسة تيمغدشت العتيقة
564	..... ظروف موسم تابلوكوكت سنة 1947 م
576	..... تحايل الإسبان لتجنيس أيت باعمران

296	..... تأثير الجفاف ومتاجرة الأجانب بسوس
299	..... تجاوز السلطان سوس الأقصى إلى الصحرائه
308	..... بعمرانة في عهد السعديين
316	..... قصة برج أوروامي المزعومة في أيت باعمران
320	..... معركة إيغالفن المشهورة
357	..... خطبة الاتفاق
365	..... حملة الجنرال دولاموط
378	..... ظهور الألمان في سواحل أيت باعمران
379	..... عقد الهدنة بين الطرفين
381	..... عقد الحماية وظهور الهيبة بتيزنيت
387	..... معركة تيزي الثانية سنة 1934 م
390	..... وثيقة الهناء بين أيت باعمران والمخزن
399	..... اتفاقية أيت الخمس على الشيخ سعيد
407	..... مجهودات السلطان الحسن الأول بسوس
411	..... تطور قضية مرسى أركسيس بأيت باعمران
414	..... أسباب تماسك أيت باعمران
418	..... سياسة تقسيم القبائل الكبرى 1299هـ
422	..... السبية بين الشفوية والمكتوب
427	..... معركة السبية بالمسيد الأحمر
445	..... القائد سعيد الكيلولي ابن ظروفه
449	..... من أسباب ضعف قبيلة أيت برايم
454	..... معظم سكان أيت باعمران حالياً
464	..... نصر السلطان محمد بن يوسف



580	..... ظهور عامل جديد شجع الشعب أكثر
585	..... من وثائق جيش التحرير في جنوب المغرب
591	..... ثورة أيت باعمران التحررية 1957 م
598	..... معركة تاليوين ضد الإسبان
599	..... معركة تيغزي
609	..... معركة مركز تابلوكوت
618	..... ذكر المعارك المحلية منها
621	..... مذكرات محمد أكرير الساحلي
625	..... معركة إسيغ
630	..... تدخل الجيش الملكي
630	..... الخاتمة



الإيداع القانوني رقم : 2016 MO 2325

ردمك : 5-888-37-9954-978

